كتاب
المسالك والممالك

لأبي عبيد البكري

جزءان

حققه وقدم له

أدريان فان ليوفن و أندري فيري



دار الغرب الإسلامي

كتاب المسالك والممالك

لأبي عبيد البكري

جزءان

حققه وقدّم له

أدريان فان ليوفن و أندري فيري

الدار العربية للكتاب

المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات
بيت الحكمة

الدار العربية للكتاب		المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات
بيت الحكمة

ر.د.م.ك : I.S.B.N

(طبعة كاملة) 3 - 107 - 10 - 9973
الجزء الاول : x - 109 - 10 - 9973

المقدّمة

ترجمة سعد غراب

ليس من المفيد هنا أن نطيل في الحديث عن الحالة السياسية في الأندلس في القرن 5هـ/11م وهي الفترة التي عاش فيها البكري فهي معروفة من قبل كلّ المهتمين من قريب أو بعيد بتاريخ العالم الاسلامي بصفة عامة وبتاريخ المغرب بصورة خاصة فسنقتصر اذن على رسم الخطوط العامة للاطار الذي تكونت فيه وتمت آثار البكري موضوع هذا العمل.

إن ارتقاء هشام الثاني عرش الأندلس وهو طفل بعد حكم مستقر ومزدهر للخليفتين عبد الرحمان الثالث (300/912 ـ 350/961) وابنه الحكم الثاني (350/961 ـ 366/976) قد فتح عهدا من الاضطراب والصراعات الداخلية ستؤول بالخلافة الأموية إلى انهيار كلي سريع وسيشهد المرء مطالبين بالحكم يعتلون العرش تباعا أو في نفس الوقت وكل يعتمد على عناصر متعدّدة من عرب وبربر وصقالبة مكونة للجيش.

فمن العشرية الأولى للقرن الحادي عشر ظهرت خلافة منافسة هي خلافة الحموديين بمالقة ثمّ بالجزيرة الخضراء وكان حكامها يتعاقبون أو يتزامنون مع ممثلي الخلافة الأموية الأخيرين وستتواصل هذه الحالة الى سنة 442/1031 عندما سينتهي أمر الخلافة الأموية بزوال آخر خلفائها هشام الثالث.

وبدأ بذلك في الأندلس عهد جديد أصبح فيه رسميا ما كان يعتبر منذ سنين عديدة أمرا واقعا وأصبح كل حاكم مستقلا بجهته أو مدينته، إنها فترة الفوضى والتشتت المعروفة بقرن ملوك الطوائف وسيُحصى منهم في بعض الفترات أكثر من العشرين [1].

ملاحظة : بالنسبة الى المراجع الأعجمية أشرنا الى أرقامها في القائمة البيبلوغرافية حتّى لا تثقل هذه التعاليق.

(1) انظر زنباور (بالفرنسية، رقم 198) 54 ـ 57.

إنه لمن الممل أن يتبع الباحث تاريخ هذه السنوات القاتمة المضطربة ، فكتب التاريخ تعج بأخبار الحروب المتتالية لهذه الدويلات وتنعقد التحالفات وتنقطع عبر الأيام وتولد ممالك وتندثر أخرى الى أن تبرز من الخضم وحدات أكثر اتساعا واستقرارا تتمكن من البقاء الى آخر القرن[2] إذاك انتهى الأمر بممالك الشمال مثل طليطلة وسرقسطة الى الانهيار تحت ضربات الأجوار المسيحيين : قشتالة وليون وأرغون .

ومن البديهي أن النصارى لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام الحالة المتداعية التي كانت عليها الأندلس في تلك الفترة فلقد استغلّوا كلّ الامكانيات المتاحة لديهم سواء كانت عنيفة أو سلمية لمدّ تأثيرهم الى جهات أوسع فأوسع من الأندلس نظرا لتشتّت المسلمين وعدم استقرار أمورهم وعجزهم عن الاتحاد والدفاع عن النفس .

وبلغ هذا المدّ أوجه سنة 1085/478 عندما احتلّ الفونش السادس ملك ليون وقشتالة مدينة طليطلة . وكان لهذه الكارثة وقع عظيم في كلّ العالم الاسلامي وسببت ردود فعل أندلسية : فلقد وقع الاستنجاد بالمرابطين الموجودين آنذاك بشمال افريقيا . ونزل يوسف بن تاشفين بالأندلس سنة 1090/483 يقود جيوشه لمقاومة مسيحي الشمال ولكن سرعان ما تبيّن له ان ذلك غير ممكن ان لم يحدث تغيير جوهري في وضع الأراضي الاسلامية السياسي ، سيُقضَى اذن على ملوك الطوائف الواحد تلو الآخر وتضمّ ممتلكاتهم إلى الدولة المرابطية. وبذلك أعاد يوسف بن تاشفين وحدة الأندلس السياسية رغم أنف الأندلسيين في الغالب ولفائدة الدولة المرابطية أولا ولكن لفائدة الأندلسيين أيضا ودافع عن الأندلس وتمكن من تمديد حياتها قرنين آخرين .

إن القرن 5هـ/11م يقدم لنا لوحة قاتمة ومحزنة من الناحية السياسية ولكن كل ذلك لا يجب أن ينسينا جانب اللوحة الآخر . إن فترة التدهور السياسي والعسكري هذه تميزت بازدهار عجيب للحياة الثقافية والفنية وليست الأندلس المثال الوحيد لمثل هذا التناقض[3] فإذا ما كانت قرطبة في عهد الأمويين مركزا ثقافيا مزدهرا فلقد

---

(2) يمكن ان نذكر منها : اشبيلية بني عباد وغرناطة بني زيري وسرقسطة بني تجيب وطليطلة بني ذي النون.

(3) يمكن أن نشير في هذا الصدد الى الحالة في المشرق الاسلامي في القرن 4هـ /10م زمن انقسام الخلافة العباسية وتكون العديد من الدويلات الاقليمية : الحمدانيون ــ الطولونيون ــ السامانيون الخ ....

كانت وحيدة تقريبا أما في عهد ملوك الطوائف فلقد نشأت العديد من هذه المراكز وكان كل أمير ينافس أجواره وأعداءه ليجلب الى بلاطه الشعراء والأدباء والعلماء من مختلف الاختصاصات ، يمكن أن نذكر من هذه الحواضر اشبيلية والمرية وباجة ومالقة وغرناطة فضلا عن طليطلة وسرقسطة قبل احتلالها من قبل المسيحيين . انها الفترة التي لمع فيها أبرز اعلام الثقافة الأندلسية من أمثال ابن حزم وابن حيان وابن بسام وكثير من الأعلام الآخرين الذين نعرف على الأقلّ اسماءهم إن لم نعرف آثارهم التي اغتالتها عواصف التاريخ .

إنّ البكري ينتمي الى هذه الفترة ويساهم كما سنرى في مظهريها : مظهر الانحطاط السياسي ومظهر الازدهار الثقافي . نعم إنّ آثاره ستولد وستنمو في هذه الفترة المتميزة اكثر من غيرها بالاضطراب وسيواصل البكري سنّة المدرسة الجغرافية العربية بعد اندثارها في المشرق وسيبقى دائما من أكبر أعلام الثقافة الأندلسية وأبرز جغرافي المغرب الاسلامي رغم بعض سمات الانحطاط الموجودة في آثاره .

ترجمــة البكري : (4)

هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري المشهور خاصة بكنيته : « أبو عبيد » ولد بلبلة (5) من عائلة عربية يرجع أصلها الى قبيلة بكر وائل تولى الكثيرمن أفرادها مناصب رسمية بالأندلس ولكن لا نعرف شيئا يذكر عن أوائل هذه العائلة ولا عن الفترة التي استقرت فيها بالأندلس .

وأول بكري حفظ لنا التاريخ اسمه هو أحد أجداد أبي عبيد ويسمى أيوب بن عمرو البكري (6) تولى في الربع الأخير من القرن 4 هـ /10م منصب القضاء ببلده ثم

---

(4) لقد استعملنا في هذه الترجمة بالاضافة الى المصادر العربية ــ مقالي دائرة المعارف الاسلامية (ط. الأولى) : 619 ــ 620 (أ. كور) و(ط. الجديدة) : 159 ــ 161 (ليفي بروفنصال) وحسين مؤنس تاريخ الجغرافية والجغرافيين ص 108 ــ 131 دوزي : ابحاث (بالفرنسية رقم 76 ــ مقال بكريون)، بالنسبة الى المصادر العربية انظر مقال ليفي بروفنصال في دائرة المعارف الاسلامية.

(5) ابن الابار : الحلة2 : 180.

(6) نفس المصدر ص 181.

ولي خطة الرد (أي ردّ المظالم) بقرطبة ويبدو أنه كان له تأثير كبير إذ نجده مع أخيه محمد يلعب دورا هاما في المصالحة بين الخليفة هشامII ووزيره المنصور بن أبي عامر سنة 997/387 .

وبعد ذلك بقليل نجد العائلة مستقرة بولبة ثمّ بشلطيش وهي جزيرة صغيرة على مصبّ الوادي الكبير بالقرب من اشبيلية ولكن لا نعلم بالضبط متى كان ذلك الاستقرار .

ويبدو حسب ابن الأبار الذي يستشهد بابن حيان[7] ان محمد بن أيوب قد تولى حكم تلك الجهة وبقي على ذلك الى وفاته المحتمل حدوثها حوالي سنة 1040/433 . فهل يمكن أن نعتبره أميرا مستقلا بتلك الرقعة الصغيرة ؟ إنه من العسير أن نجزم بشيء في الموضوع ولكن يظهر أنه استقل سنة 1011/402 ـ 1012 والمؤكد على كلّ حال هو أن العائلة كانت من أنصار المنصور بن أبي عامر أي انها معارضة للخليفة الأموي وكانت لها علاقات متينة باسماعيل بن عباد[8] وهو من أوائل الذين استقلوا باشبيلية عن الحكم المركزي . فلا يستبعد اذن أن يكون محمد بن أيوب قد اتبع مثال اسماعيل بن عباد .

وتولى الأمر بعد وفاة أبي زيد محمد ابنه أبو مصعب عبد العزيز بن محمد فسير مقاطعته الصغيرة المتكونة من ولبة وشلطيش في استقلالية كاملة وكان ثاني أمير لها حسب بعض الآراء والأول والوحيد حسب بعض الآراء الأخرى . ودام له الأمر الى سنة 1051/443 حين استولى المعتضد بن عباد صاحب اشبيلية على مقاطعة لبلبة المجاورة ، نعم لقد تمكنت قوّة المعتضد المتصاعدة منذ حوالي عشر سنوات من ابتلاع عدد كبير من المدن ـ الدويلات ـ والحاقها بمملكته التي كان يريد أن يكوّن حولها من جديد وحدة الأندلس . ولم تغير الروابط التي جمعت من القديم بين عائلة البكري وبني العباد من المشروع شيئا وتراءى الخطر لعبد العزيز فسلم مدينة ولبة لبني

---

(7) نفس المصدر ص 181 ـ 182. يوجد بعض التضارب في الأسماء عند ابن حيان وقد لاحظ ذلك ابن الأبار نفسه ص 184.

(8) ابن الابار : نفس المصدر ص 182.

العباد وبقي مدّة في جزيرة شلتيش واضطرّ في نهاية الأمر الى التفريط فيها مقابل عشرة آلاف مثقال وغادرها مع عائلته وأمواله .

وكان لعبد العزيز اذاك ابن ما هو الاّ صاحبنا عبد الله ، ولا يذكر لنا أي مصدر تاريخ ولادة هذا الذي سيكنّى من بعد بأبي عبيد ولكن يمكن لنا أن نحاول ضبط هذا التاريخ ببعض الدقة .

يقترح فاينقوش في ترجمته لنفح الطيب للمقري[9] سنة 1040م (= 431 ـ 432هـ) بدون أن يذكر المصادر التي يعتمدها ويشير بروكلمان إلى نفس السنة[10] ويستحيل في رأينا قبول هذا التاريخ وذلك لعدّة أسباب .

ان ولد أبو عبيد سنة 1040/432م فإن ذلك يقتضي أن يكون سنه حوالي 11 سنة عندما أطردت عائلته من شلطيش الا أن ابن الأبار يتحدّث عنه وهو من « الفتيان بذ الأقران جمالا وبهاء وسرورا وأدبا ومعرفة »[11] وهي تعابير يعسر اطلاقها على طفل في مثل تلك السن . هذا وتؤكد ترجمات البكري على انه توفي سنة 1094/487 « عن سن متقدمة » ولا تسمح 54 سنة التي قد يكون عاشها ان افترضنا ولادته سنة 1040 باعتباره قد توفي . « عن سنّ متقدّمة » حتّى في عهده .

يذكر لنا الفتح بن خاقان انه التقى به وهو ما زال غلاما والبكري إذّاك في سن الثمانين[12] .

ويستنتج من كلّ هذا ان ولادة البكري يجب أن توضع حوالي سنة 1010/400 أو بعد ذلك بقليل وانه كان له عندما غادر مسقط رأسه 37 أو 38 سنة .

---

(9) فاينقوش تاريخ (بالانقليزية رقم 89).

(10) تاريخ الأدب ـ اللحق 1 : 875.

(11) الحلة 1 : 182.

(12) حسين مؤنس المرجع المذكور ص 115. يقول ابن خاقان : «رأيته وأنا غلام ما أقر هلالي ولا نبغ في الذكاء كوثري ولا زلالي» .... وقد بلغ سن ابن محلم، وابن محلم هذا هو عوف بن محلم السيباني صاحب البيت المشهور :

إنّ الثمانين ـ وبلغتها ـ قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

ويوجد أيضا بعض الغموض حول المكان الذي انتقل اليه عبد العزيز وعائلته عندما خلعه المعتضد : فابن الأبار وابن عذارى[13] وغيرهما يذهبون الى أنه انتقل الى قرطبة ليضع نفسه تحت حماية أبي الوليد محمد بن جوهر حاكم المدينة . الاّ أن ابن عذارى نفسه يرى في موضع آخر من كتابه « انه صيره الى اشبيلية وأجرى عليه الرزق الى أن مات »[14] .

ومن العسير أن يفضّل المرء إحدى الروايتين عن الأخرى فهل يمكن التأليف بينهما بافتراض ان عبد العزيز قد أقام مدّة قصيرة باشبيلية ولما شعر بتغير موقف المعتضد إزاءه انتقل بعائلته الى قرطبة وعلى كل فإننا لا نجد أي حديث عن عبد العزيز بعد هذه الفترة ويمكن أن يُفترض ان موته لم يتأخر كثيرا عن ذلك .

ولا نعلم كم بقي أبو عبيد بقرطبة وهل تركها في حياة والده أم بعد وفاته والذي لاشك فيه هو أنه بقي بما فيه الكفاية كي يواصل ثقافته الأدبية والعلمية فابن بشكوال يعلمنا أنه تابع دروس ابي مروان ودروس المؤرخ الكبير أبي حيان[15] والمؤكد انه اتبع أيضا بقرطبة دروس أبي بكر المشعفي وابن عبد البرّ[16] ولا يمكن أن نعرف أي تآليفه ألّف (ان كان قد ألف) مدة هذا المقام الأول بقرطبة لأن تواريخ تآليفه غير معروفة ولكن الكثير من القرائن تبين انه لم يكن عديم الشغل وان الكثير من تآليفه قد تكون ظهرت في تلك الفترة ويبدو حسب خبر لابن حيان نقله الفتح بن خاقان وحكاه أيضا ابن الأبار في شيء من الاحتراز[17] ان البكري قد انتقل من بعد الى المرية بدعوة من أميرها محمد ابن معن ولاشك أن سبب هذه الدعوة كانت شهرة الرجل بصفته أديبا واستقبله حاكم المرية بترحاب وجعله من خلانه وانقسمت حياة أبي عبيد بين حياة البلاط والدراسة وتابع في المرية دروس العذري[18] ولا يستبعد

---

(13) ابن الابار ص 182 ـ 183 ـ ابن عذارى البيان 3. 240 ـ 242.

(14) البيان 3 : 299.

(15) الصلة ص 287.

(16) نفس المرجع.

(17) الحلة 3 : 186.

(18) عن العذري انظر الاهواني : نصوص عن الأندلس (المقدمة).

أن يكون هذا الشيخ قد أثر في الاتجاه الذي ستتخذه دراسة تلميذه فلقد كان العذري جغرافيا وقد يكون جلب أبا عبيدة نحو هذه الوجهة فهل من الجرأة أن يفترض أن تأليفه لكتبه الجغرافية : معجم ما استعجم وكتاب المسالك والممالك يرجع إلى هذه الفترة ويتأكد هذا الافتراض أكثر إذا ما علمنا انه انتهى من تأليف الكتاب الثاني حوالي سنة 1058/460 اعتمادا على الكثير من الملاحظات المتناثرة التي وردت فيه .

ولم تكن حياة البكري بالمرية مضطربة حسب الظاهر فمترجموه لا يذكرون لنا أشياء عديدة تتعلق به وتراجمه مقتضبة أشدّ الاقتضاب لا يتجاوز غالبها بضعة أسطر .

وذهب البكري سنة 1085/478 ـ 1086 الى اشبيلية موفدا من قبل محمد بن معن لدى المعتمد بن عباد عندما ذهب الى المغرب الأقصى يستنجد بعون المرابطين ضدّ التهديد النصراني[19] فهل بقي البكري باشبيلية أم رجع الى المرية . نحن مضطرون مرة أخرى الى الافتراضات ، ونجده من جديد سنة 1090/483 ـ 1091 بقرطبة التي أصبحت عاصمة الأندلس بعد احتلال المرابطين لها والراجح انه قضى بها بقية حياته بين الدراسة والحياة اللاهية مع أصدقائه وبها توفي أيضا ودفن بمقبرة أم سلامة .

تآليف البكري :

لم يتخصص البكري في أي فرع من فروع المعرفة الانسانية شأنه في ذلك شأن جلّ العلماء المسلمين في القرون الوسطى . لقد كان تكوين الرجل المثقف في تلك الفترة يشتمل دائما على دعامة متينة من العلوم الدينية ، فقه، علوم قرآنية ، علم كلام ، ثم يأتي الأدب واللغة والفلسفة ومواد أخرى حسب الإمكانيات والأذواق الشخصية فلا غرابة إذن ان نجد ضمن تآليف البكري مصنفات تبحث في مواضيع مختلفة .

---

(19) انظر مقال دائرة المعارف الاسلامية (ط. الأولى) 1 : 620.

فالبكري لغوي وأديب قبل كلّ شيء رغم أنه اشتهر بصفته جغرافيا في المشرق والمغرب ويكفي للتفطن الى ذلك أن يستعرض القارىء عناوين الكتب التي تنسب اليه فالأدب له دور كبير في أكبر آثاره الجغرافية أما معجمه الجغرافي فهو كتاب لغة قبل كلّ شيء .

إن الكثير من تآليفه قد ضاعت ولا نعرف منها الاّ العناوين ، نكتفي إذن بتقديم قائمتها[20] (عدا شعره الذي لم تصلنا منه الا بعض الأبيات ـ وقيمتها هزيلة ـ المتناثرة خلال تراجمه) .

1) في اللغة والأدب :

ـ كتاب الإحصاء لطبقات الشعراء

ـ كتاب اشتقاق الأسماء

ـ التنبيه على أغلاط أبي علي في أماليه

ـ شفاء عليل العربية

ـ كتاب صلة المفصول في شرح أبيات الغريب المصنف (لأبي عبيد القاسم بن سلام)

ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (لابن سلام أيضا) .

ـ اللآلي في شرح أمالي القالي .

2) الجغرافية

ـ معجم ما استعجم

ـ كتاب المسالك والممالك

3) موضوعات مختلفة

ـ اعلام نبوة نبينا محمّد

ـ التدريب والتهذيب في دروب أحوال الحروب

ـ كتاب النبات

---

(20) انظر مؤنس ، المرجع المذكور ص 127 ـ 128 .

المسالك والممالك : ـ صيغة التأليف ومحتواه

مما لا شك فيه أن كتاب المسالك والممالك كانت له المساهمة الكبرى في شهرة البكري . وهذا الكتاب لا يشبه أي كتاب آخر من نفس الفن رغم تداول هذا الاسم في الأدب العربي . فليس هو مجرد سرد للمسالك كما هو الشأن بالنسبة الى سميه كتاب ابن خرداذبه ولا هو مجموعة ملح وغرائب وأساطير بدون تنظيم[21] مثل كتاب البلدان لابن الفقيه ولا هو أيضا حوصلة لرحلات كاتبه مثلما هو الشأن بالنسبة الى المقدسي والاصطخري .

ولا يمكن لمسالك البكري أن يصنف في فن العجائب ولا في نوع كتب الهيئة وانما يجمع كتاب البكري كل ذلك فتتوالى فيه المسالك ووصف البلدان والشعوب والمدن وتمتزج بالملح والأساطير والاستطرادات التاريخية ويبقى انتباه القارىء دائم اليقظة .

ولا يوجد مع الأسف أي واحد من المخطوطات العشرة كاملا وحتى إذا ما أضفناها الى بعضها البعض فانها لا تسمح بالحصول على نسخة تامة وان بعض النقول التي أخذناها عن بعض المؤلفين الذين أتوا بعد البكري تهدف ـ كما سنبين ذلك ـ الى ابراز محتوى التأليف كما كانت عليه حالته الأصلية .

ويشتمل كتاب المسالك على قسمين متقاربي الحجم .
والراجح ان القسم الأول كان يحتوي مقدمة عامة أو تمهيداً يعتبر اليوم ضائعا ويستهل هذا القسم بمقدمة تاريخية طويلة تبدأ بمبدأ الخلق وتتعرض لتاريخ الأنبياء من آدم إلى محمد (ص) .

ويتعلق الفصل الموالي بالمعتقدات الدينية وأوهام قدماء العرب يليه وصف لأهم الهياكل الدينية الموجودة أو التي وجدت عند أمم مختلفة : اليونان والرومان والفرس (معابد النار) والصقالبة والصينيون الخ ...

---

(21) بلاشير : الجغرافيون العرب ... (بالفرنسية ـ رقم 65) ص 70.

ويبدأ القسم الجغرافي الحقيقي بفصول عديدة في الجغرافية العامة : الأراضي ـ البحار ـ الأنهار ـ الأقاليم السبعة .

ويستعرض المؤلف بعد ذلك البحار السبعة وأهمّ الأنهار ، وبعنوان : ابتداء الممالك نبدأ في القسم الذي تسمّى به كل الكتاب ويتمثل في وصف العالم بلدا بلدا وجهة جهة ومدينة مدينة . ونجد دائما نفس التخطيط : مقدّمة تاريخية ـ وصف عام للبلاد والسكان والمنتوجات وصف للمسالك (وهذا القسم ضائع في الكثير من الأحيان مثلما هو الشأن بالنسبة إلى الأندلس) ووصف للبلدان مع قسم تاريخي في الغالب ، ويتخلّل كل ذلك بعض الحكايات الغريبة تتصل بأدب العجائب .

والتدرج العام ينطلق من المشرق الى المغرب ويبدأ بالهند فالصين فالترك ثمّ ينتقل الى الشام والتبت والسند ويخصص للفرس فصلاً كبيراً مقسماً الى قسمين يتعلق الأول بالعائلة المالكة الأولى والثاني بالثانية . ويتبع ذلك بصورة منطقية تاريخ الاسكندر الأكبر ثمّ تاريخ ملوك الاغريق بمصر والشام وتاريخ الروم ويلي ذلك ملوك السودان ثمّ البربر وبلاد واحات افريقيا ثمّ أوروبا فيتحدّث البكري عن الصقالبة والافرنج والجلالقة والنورمان ويختم بفصل عن الأكراد .

ويتعلّق كلّ ما سبق بغير العرب ويبدأ القسم الخاص بهؤلاء بتاريخ ممالك العرب القدامى في اليمن والحيرة . ويلي ذلك وصف الجزيرة العربية بصفة اجمالية ثم جهة جهة بداية باليمن . وفي هذا القسم يخصص المؤلف فصلا طويلا لمكة ، المدينة المقدسة ، تاريخها وأماكنها المقدّسة والجبال التي تحيط بها ، ونجد تحاليل متشابهة بالنسبة الى يثرب أو المدينة وينتهي هذا القسم : بالطريق من مدينة النبي الى مصر .

ويبدأ في العراق أيضا بوصف العراق وأهم مدنه وهنا يختلط الترتيب شيئا ما فنرجع الى المشرق بعد العراق : الى فارس أولا ثم الى بابل فخراسان ونواحيها ثمّ الى ما وراء النهر .

ونجد في آخر الجزء الأول بعض المقالات عن بعض الشعوب التركية : لبجاناكية والخزر والجغر وبلاد سرير وبرداس وبرجان ويقدم لنا أحد المخطوطات فهرس الفصول انطلاقا من ملوك الحيرة إلى آخر الجزء وكأنه يتمّم فهرسا آخر من

المفروض انه مسح الجزء الأول وهذا الفهرس بخط مخالف لخط المخطوط ويمكن أن نتساءل هل انه يرجع للبكري أم أنه من إضافات بعض النساخ .

ويبدأ القسم الثاني بوصف حائط ياجوج وماجوج ورحلة سلام الترجمان . ثمّ يرجع المؤلف الى الشرق الأوسط ويقدم لنا معلومات عن العواصم وعن الشام نفسه بمدنه الرئيسية : دمشق ، حمص،انطاكية الخ ... ثمّ يتحدّث عن فلسطين ويأتي بوصف طويل لبيت المقدس . وتتواصل الرحلة في بلاد الروم : مدينة رومة وجزر البحر الأبيض المتوسط وبعض جهات جنوب شرقي أوروبا : طراقية،وطشالية، ومقدونية،وبلاد الانقلش،وينتهي هذا القسم بوصف بلاد الروس .

ثمّ يضمّن المؤلف بعض الفصول التي ليست لها صلة ظاهرة بما يحيط بها وتأتي في مرتبة أولى خصائص عدد من البلاد مثل الشام والعراق ومصر ثم تعداد لكلّ البلاد تقريبا مع ذكر مساحاتها ثمّ يستعرض بتفصيل كل مناطق أرنشهر وينتهي بحساب خراج تلك الجهات .

وتتواصل بعد هذا الانقطاع الرحلة نحو المغرب بفصل طويل عن مصر ينتقل فيه المؤلف من وصف البلاد عامة مع ذكر بعض الخصائص ، الى استعراض تاريخها حتّى الفتح الاسلامي .ويعير القسم المخصص للتاريخ القديم قيمة كبرى للعجائب . ويلي وصف مصر قائمة كور البلاد ثمّ يهتم الكاتب بصفة خاصة ببعض المدن وبعض المسالك وينتهي الفصل بوصف الاسكندرية ، وتستأثر المنارة باهتمام كبير .

ويقودنا طريق الاسكندرية ـ افريقية الى شمال افريقيا ، وتتوالى المعلومات عن المسالك ووصف المدن بشيء من التطويل أو التقصير ونجد تحليلات تاريخية طويلة عن الأدارسة وبرغواطة والمرابطين . إنها نفس الطريقة المتبعة بالنسبة الى المشرق . وعند وصولنا الى أقصى الجنوب المغربي (سجلماسة ـ أغمات) نتجه الى الجنوب ونخترق الصحراء ونزور بلاد السودان : غانة ومالي الخ ...

ويهتم القسم الأخير من الكتاب بأوروبا الغربية ويبدأ بوصف عام للأندلس ثمّ لتقسيماته فجباله فخصائصه ثمّ تُستعرض بعض المدن بداية من قرطبة واشبيلية وتتبع ذلك مقالات عن جليقة وبلاد الافرنج البوتونيين ومن المؤسف انه لم تحفظ الا أجزاء

من هذا القسم الأخير وكما سنذكر ذلك من بعد فإنه من الممكن أن نتمم العديد من ثغرات مسالك البكري باستغلال محكم لكتاب الحميري : الروض المعطار ولكن ذلك لا يسمح لنا بترميم مرضي إذ أن صاحب الروض قد جزأ أوصاف المدن لكي يرتبها ترتيبا أبجديا أما الاطار الذي كانت تندرج فيه أي المسالك فإنه قد ضاع نهائيا اللهم إلاّ إذا ما عثرنا على نسخ جديدة من كتاب البكري .

المصادر :

نستنتج مما سبق أن عديد المعلومات الجغرافية والتاريخية والأتنوغرافية والاقتصادية قد تراكمت في كتاب المسالك وان تلك المعلومات تتعلق بكلّ العالم المعروف لدى العرب في تلك الفترة . ان هذا الثراء لا يجب أن ينسينا عيب الكتاب الأكبر : البكري لا يحدثنا أبدا عما يشاهده بنفسه وليست له تجربة مباشرة تتعلق بالبلاد التي يصفها وذلك خلافا لأبرز سابقيه من أعلام العصر الكلاسيكي المشرقي أمثال : ابن حوقل والاصطخري والمسعودي ولا يُستنتج من أي ترجمة من تراجم البكري انه غادر وطنه بل ان حياته في ذلك الوطن قد انحصرت في رقعة ضيقة بين ولبة واشبيلية وقرطبة والمرية . فلقد كان مضطرا إذن لكي يؤلف كتابه أن يراجع مصادر . نعم لقد كانت تآليف سابقة في متناوله الا أن ما ينتج عن ذلك هو ان العالم الذي نتصوره من خلال قراءة مسالك البكري ليس عالم القرن 5هـ/11م بل هو عالم أسبق بقرن أو قرنين الاّ إذا تعلق الأمر بمعلومات استقاها البكري مباشرة من رحالة عرفهم أو من مصادر معاصرة له على أن هذه الحالات قليلة وتنحصر في بعض التحليلات المتعلقة بالمغرب والسودان[22] . وبالنسبة إلى ما عدا ذلك فإن البكري اقتبس من مصادر مكتوبة تاريخية وجغرافية وأدبية يمكن أن يفترض أنه كان يمتلكها بصورة شخصية إذ من المعروف عنه انه كان يحب الكتب ويروى عنه انه كان يلفها في « سباني الشرب وغيرها اكراما لها » [23]

وأدّى هذا المنهج الى نتيجتين : واحدة ايجابية والثانية سلبية . أما النتيجة الايجابية فإن كتاب المسالك يشترك فيها مع الكتب الأخرى التي تعتمد النقل وتتعلق

---

(22) انظر مثلا الفقرة رقم 1444.

(23) ابن الابار : الحلة 2 : 185، والسباني ج سبنية وهي لفظ اسباني ومعناه المنديل الكبير (المترجم).

بحفظ كتب كادت تتلاشى تماما لولا تلك الطريقة ونذكر هنا مثال ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي . أما الناحية السلبية فتتمثل في انعدام الطرافة فأغلب نصّ المسالك الحالي معروف من مصادر أخرى ونجد غالبه في طبعات المسعودي وابن رسته وابن عبد الحكم والطبري ...

وينتج عن المنهج النقلي عيب آخر : فلقد تمنّى لفي بروفنصال في المقال الذي خصصه للبكري في دائرة المعارف الاسلامية [24] لو يقع القيام بدراسة لغته حتّى تستخرج جدولا للألفاظ المستعملة والتي فيها تأثير للغة الأندلسية . ونحن لا نعتقد ان مثل هذه الدراسة يمكن أن تؤدي الى نتائج ايجابية اذ من المحتمل أن نجد تلك التأثيرات عندما يستعمل المؤلف مصادر أندلسية الا أنها تبقى لغة المصادر لا لغة البكري وان ملاحظات المؤلف الخاصة من الندرة بحيث يعسر استخلاص نتائج مقنعة .

ويصرح البكري في الغالب بالمصادر التي يستعملها الى حدّ أنه من الميسور اعداد قائمة في مؤلفيه المفضلين والدراسة المدققة للمسالك تبين لنا منهجه في استعمال مصادره : انه في بعض الأحيان يذكرها حرفيا ويستشهد حتّى بالصفحات العديدة لكنه في الغالب يخوصلها ويمزج بينها فيخرج منها نص مؤلف تأليفا جديدا ويسبب هذا المنهج بعض المشاكل لدى تحقيق النص سنلمح اليها من بعد .

ومن المفروغ منه أن تنوع المواضيع المطروقة وكثرة البلاد الموصوفة تجعل الناقل يتخلّى مؤقتا عن هذا المصدر أو ذاك وقد يرجع اليه من بعد . وبعض المصادر مستغلة استغلالا مطولا وبعضها مقتبس منها اقتباسات متواضعة تحوم حول مواضيع محددة ومن المستحيل تفصيل القول في هذا الموضوع في اطار هذه المقدمة ويعسر ذكر المصدر بالنسبة إلى كل فصل وكلّ فقرة فنكتفي اذن بذكر الخطوط العامة .

إن لكتاب المسالك خصائص مميزة تجعل المعلومات الجغرافية دائمة الامتزاج بالمعلومات ذات الصبغة التاريخية لذا ارتأينا أن نعرض المصادر الجغرافية منفصلة عن المصادر التاريخية رغم ان خصائص هذه التآليف التي نجد فيها مواضيع متنافرة لا

---

(24) انظر دائرة المعارف (ط. الجديدة) I : 159 ـ 161.

تجعل من هذا التميز أمرا ميسورا . فإننا رأينا من المفيد أن نلتجيء إلى هذا التمييز حتّى ندرس الموضوع دراسة أولية .

٦) المصادر التاريخية

يعترضنا اسم الطبري منذ الأسطر الأولى لكتاب المسالك وسيتكرر ذكره خلال القسم الأول خاصة في الفصل المتعلّق بالأنبياء وملوك الفرس وملوك اليمن وسنجد الاسم أيضا في فقرات متعددة مخصصة لمدن أو بلاد مثل كرمان والمدائن . ونجد أمثال هذه الاستشهادات في حوالي 130 فقرة وتبدأ باحدى العبارات التالية : الطبري ـ أبو جعفر ـ محمد بن جرير ـ أو بحرف : ط فقط[25] .

ويستشهد بمؤلف آخر مشهور ـ هو المسعودي ـ أكثر من الاستشهاد بالطبري . وهما بالتداول مصدرا الحديث عن تاريخ الأنبياء وملوك اليمن . والمسعودي هو المصدر الأساسي في العديد من الفقرات التي تتناول البحار والأنهار وتاريخ ملوك الحيرة وأهل الشام والنبطيين والأكراد والسودان وتاريخ مصر القديمة . وكل الفصل المتعلق بمعتقدات العرب مقتبس مباشرة من المروج وكذلك الأمر بالنسبة الى ملوك مصر اليونانيين وملوك الروم الأولين وبعض الفقرات المتعلقة بالصقالبة وشعوب القوقاز ، وفي الجملة فإن حوالي 330 فقرة تعدّ مقتبسة من المسعودي بصورة موجزة ، وعندما يذكر المسعودي صراحة فإنه يذكره بالصيغ التالية : المسعودي أو أبو الحسن أو بحرف س[26] .

وبالاضافة الى هذين المصدرين الأساسيين فإن البكري يستعمل عديد المصادر الأخرى في فصل معين أو مسألة مخصصة فلقد استشهد بكتاب المعارف لابن قتيبة حوالي عشرين مرة في الفصل المتعلّق بالأنبياء ويرمز اليه عندما يذكره بحرف : ق[27] ويستشهد في نفس هذا الفصل بالقرظي أو بأبي حفص القرظي[28]

(25) مثلا الفقرات : 2 ـ 45 ـ 439.

(26) انظر الفقرات 19 ـ 58 ـ 145.

(27) انظر الفقرات 15 ـ 20 ـ 125 ـ 172.

(28) انظر فقرة 66.

(29) انظر فقرة 52.

والتأليف الذي يذكر في المرة الأولى هو التاريخ وفي المرة الثانية هو : الديوان . ويشير فؤاد سيزكين[30] إلى تفسير لا نعرف عنه شيئا يذكر منسوباً إلى محمد بن كعب القرطبي فيمكن أن نتساءل هل ان المقصود هو نفس الشخص وهل ان التأليفين المذكورين هما لمؤلف واحد أم لا ؟ .

ونجد في نفس الفصل المخصص للأنبياء ذكرا لشخص يسمى القوطي[31] . ويختفي في الحقيقة وراء هذه النسبة المؤرخ بولس أوروزيوس Paul Orosius الذي ألف كتابه « سبعة كتب تاريخية ضدّ الوثنية » بطلب من القديس أغوستينيوس + Saint Augustin ونحن نعلم ان كتاب هذا الراهب الأندلسي قد ترجم الى العربية في البلاط الأموي بقرطبة وعلى الراجح في عهد عبد الرحمان الثالث[32] . وبرجوعنا الى المخطوط الوحيد المعروف من هذه الترجمة والمحفوظ في جامعة كولبيا بنييورك أمكن العثور على الفقرات التي استشهد بها البكري في صيغتها الحرفية تقريبا واقتبس البكري من أوروزيوس أيضا في تحريره للفصول المتعلقة بالاسكندر الأكبر ومن تولى بعده وبأباطرة الرومان (الفقرة رقم 468 وما تلاها) وقد تمكنا في هذا المضمار أيضا من العثور على عديد الاستشهادات الحرفية . ويستشهد البكري في القسم الأول من المسالك بمؤلف آخر يتردد اسمه بكثرة في تاريخ مصر القديمة ويسمى الوصيفي وكثيرا ما يكتب اسمه الوصفي[33] . والراجح أن هذا الشخص هو إبراهيم وصيف شاه صاحب كتاب العجائب الذي ترجمه كارادي فو. أما النص العربي فإن ناشره نسبه خطأً إلى المسعودي بعنوان أخبار الزمان[34] .

وقد وجدنا استشهاداً منسوباً صراحة إلى صاحب كتاب العجائب (انظر الفقرة 311) في الطبعة الثانية للنص العربي ص ص 45 ـ 46 . وقد لاحظنا هذه الاقتباسات على الأقل بالنسبة إلى 120 فقرة من المسالك خاصة الفقرات 304 ـ 328

---

(30) GAS I : 32 ـ 253.

(31) مثلا الفقرات 157 ـ 160 ـ 169.

(32) انظر لي دلافيدا (المرجع رقم 32) ص 257 ـ 293.

(33) انظر مثلا فقرات : 63 ـ 67 ـ 906 ـ 913 ....

(34) طبع دار الأندلس بيروت وقد رجعنا الى الطبعة الثانية (سنة 1966، 279 صفحة).

و914 ـ 991 . الآ أن نص البكري هو في الغالب أطول من نص واصف شاه مما يجعلنا نفترض انه كان بين يدي البكري النص الكامل وان ما وصلنا هو مختصر.

وبالنسبة إلى تاريخ مكة في الجاهلية فإن البكري يعتمد كثيرا أخبار مكة للأزرقي وتتعلّق الاقتباسات خاصة بالفقرات 646ـ676 والتعرف على مصادر البكري بالنسبة إلى القسم المتعلق بالمدينة أعسر، فكثير من الفقرات نجدها في كتابي السمهودي : وفاء الوفاء في أخبار دار المصطفى . وخلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى فالراجح اذن ان البكري والسمهودي قد اعتمدا نفس المصادر خاصة ابن زبالة (القرن 2/8م) .

ويمكن أن نلاحظ نفس الملاحظة بالنسبة الى وصف بيت المقدس وتاريخها في المسالك الكثير من الفقرات المشابهة لما ورد في كتاب : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجيز الدين (860/1456 ـ 928/1522) .

ويعتمد البكري في جزء كبير من تاريخه لفتح مصر (الفقرات 992 ـ 1014) وفي بعض ما يتعلق بفتح المغرب (الفقرة 1093 وما يليها) على ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر وأخبارها .

أما المقال الموجز المخصص لمدينة البصرة فإنه مستمدّ مباشرة من فتوح البلدان للبلاذري (الفقرة 730) ونجد استشهادا واحدا من كتاب يعتبر الآن مفقودا هو تاريخ ابن خرداذبه (الفقرة 132) وسنعود أسفله إلى هذا المؤلف وتأليفه الجغرافي .

ويعتبر كتاب المسالك والممالك لمحمد بن يوسف الوراق أحد مصادر البكري الأساسية بالنسبة الى كلّ ما يتعلّق بالمغرب سواء كان مادة تاريخية أو جغرافية ويذكر الوراق عادة باسم محمد بن يوسف(35) .

لقد سبق لنا أن أشرنا الى أن البكري لم يسافر قط وان أفقه بقّي محدودا لا يتجاوز جهته وإنه التجأ إلى المصادر المكتوبة عوضا عن تجربته المباشرة حتى بالنسبة إلى وصف الأندلس . إن مخبره الأساسي سواء بالنسبة إلى المادة التاريخية أو الجغرافية هو أحمد بن محمد الرازي المؤرخ والجغرافي الأندلسي الكبير الذي يعتمده كل المؤلفين

(35) عن هذا الشخص انظر : دي سلان (المرجع رقم 64) المقدمة ص 15 ـ 16.

الموالين لكن من العسير أن نتبين هل انه استعمله مباشرة أم عن طريق شيخه العذري .

ولنذكر في نهاية حديثنا عن المصادر التاريخية رأى لفي بروفنصال القائل إن البكري قد اعتمد بقرطبة على وثائق الأرشيف الرسمي[36] لكتابة بعض الفصول خاصة منها المتعلقة بالأدارسة وبرغواطة . ان الأمر راجح لكن لا يمكن أن نتجاوز الترجيح طالما لم نعثر على معطيات اضافية .

ب) المصادر الجغرافية

لقد أشرنا الى العديد من المؤلفين والكتب خلال عرضنا للمصادر التاريخية فلن نعود الى ذلك هنا وينطبق الأمر على ابراهيم وصيف شاه وعلى مروج المسعودي ويذكر البكري مرة على الأقل كتابا آخر من كتب المسعودي هو : التنبيه والاشراف : (الفقرة 342) .

ويعتمد البكري مؤلفين آخرين سبق أن ذكرناهم وهم الأزرقي بالنسبة الى القسم المتعلق بوصف مكة وجهاتها وابن زبالة بالنسبة الى المدينة أما فيما يتعلق بجغرافية شمال افريقيا والأندلس فإننا نجد مرّة أخرى أبا يوسف الوراق والرازي .

وبالاضافة الى هؤلاء المؤلفين الذين سبق أن قدمناهم يستمدّ البكري جانبا هاما من معلوماته من جغرافيين بأتم معنى الكلمة : ويجدر بنا أن نذكر في البداية ابن رسته وكتابه الاعلاق النفيسة الذي يمثل بدون أي شك مصدرا هاما للمسالك خاصة في قسمه الأول ويرمز اليه عادة في الاستشهادات بحرف د [37] وهو أمر غريب حتى أن ناشره الأول كولسن قد قرأ اسمه ابن دستة[38] ونحن مدينون له بالفصول المتعلقة بالأرضين والأنهار والبحار والبيوت المعظمة في الجاهلية بمكة والمدينة وأقسام أرنشهر وكذلك وصف بعض جهات الهند وفقرات تتصل بشعوب أوروبا مثل وصف القسطنطينية وروما وتعاليق تهم الصقالبة والبلغار ... وفي الجملة فإن حوالي 60 فقرة ترجع كلها أو في جزء منها الى هذا المؤلف .

---

(36) انظر المقال المذكور في دائرة المعارف الاسلامية ودي سلان، المرجع المذكور ص 15.

(37) انظر الفقرات : 95 ـ 100 ـ 258 ....

(38) انظر طبعة بيترسبورق سنة 1869.

ونجد من بين الجغرافيين الكلاسيكيين ابن خرداذبه وقد ذكر البكري كتابه المسالك والممالك عديد المرات[39] لكن بعض الاشارات تبين انه لا يقتبس منه مباشرة ولكن من خلال ابن رستة .

ويعتمد البكري على الاصطخري وابن حوقل في بعض التفاصيل المتعلّقة بالسند وكرمان وخراسان[40] ويحيل مرات عديدة على شخص اسمه الجيهاني (فقرات 190 ـ 363 ـ 368 ...) ونحن نعرف ان جغرافيا ـ يحمل هذا الاسم ـ قد ألف في القرن الرابع هـ/العاشر م كتاب المسالك والممالك لا نعلم عنه الا بعض الاستشهادات حفظها مؤلفون متأخرون عنه[41] ويسمى هذا الجغرافي عادة : أبو عبد الله محمد بن أحمد بينما يذكره البكري مرّة (الفقرة 190) في شيء من الدقّة فيسميه أبا نصر سعيد بن غالب الجيهاني . وعلى كلّ فإن بعض الاستشهادات توجد عند ابن رسته ولنترك جانبا مشكل العلاقة بين ابن رستة وابن خرداذبة والجيهاني[42] ولنتساءل هل أن البكري رجع مباشرة الى المصدر أم اقتبس من خلال كتاب آخر وهذه بعض معطيات تسمح باجابة أولية : يذكر البكري الجيهاني على الأقل مرّة واحدة من خلال مصدر آخر يسميه أحمد[43] فمن المقصود ؟ نعلم أن ابن رستة اسمه أحمد ولكن البكري لا يسميه بهذا الاسم قط في المواضع الأخرى فمن المستبعد اذن أن يكون صاحب الاعلاق النفيسة . ويعرف البكري حقّ المعرفة شخصا آخر اسمه أحمد هو العذري شيخه بالمرية فهل من المجازفة أن نفترض أن البكري قد تعرف على الجيهاني من خلال تأليف شيخه الذي يسمى هو أيضا المسالك والممالك ؟

ومن المرجح أيضا أن حكاية ابراهيم بن يعقوب التي يذكرها البكري مستمدة من تآليف العذري ومن غير المستبعد أن تكون الكثير من المعلومات التي يوردها ، بدون ذكر مصدر ، مستمدة من نفس الأصل فيكون العذري بهذه الصورة من

---

(39) مثلا فقرة 763 وما يليها عن حائط ياجوج وماجوج.

(40) انظر الفقرات 375 ـ 376 ـ 416.

(41) انظر ميكال (المرجع 151) ص 92 ـ 95.

(42) عن هذه المسألة انظر مينورسكي (المصدر 149) ص6 ـ 8.

(43) انظر الفقرة 341.

مصادر كتاب المسالك الأساسية خاصة فيما يتعلق بأوروبا (بجدونية وطشالية وطراقية الخ ..) و البحر الأبيض المتوسط ورومة ....

وفي الختام يبدو لنا أنه توجد آثار كتاب البلدان لليعقوبي (مثلا في جزء كبير من الأخبار المتعلقة ببغداد) وبعض الاستشهادات من ابن الفقيه ومن كتاب الأمصار للجاحظ ولئن لم تكن هذه اللمحة عن مصادر البكري شاملة فانها تقدم لنا فكرة عن تنوع المادة التي تمكن من جمعها لتأليف كتابه الرئيسي هذا .

المخطوطات

إن عدد مخطوطات المسالك المعروفة إلى يومنا هذا عشرة وهي موزعة في مكتبات مختلفة بالمشرق والمغرب ولا يوجد أي مخطوط بخط المؤلف أو يرجع إلى نسخته بالاضافة إلى أن جلّ هذه المخطوطات مبتورة سواء من البداية أو النهاية مما يجعل تأريخها عسيرا . على أننا نعلم أن أحداها متأخرة نسخت في القرن التاسع عشر وان اثنتين مؤرختين وهما مخطوطتا استنبول . ولا تقدم لنا أية مخطوطة من هذه المخطوطات النص كاملا فهي مقتطفات تختلف طولا وقصرا وتتكامل جزئيا ولكنها إذا ما رتبت لا توفر النص كاملا ولزيادة الايضاح فاننا نقدم في أواخر هذه المقدمة جدولا مختزلا يسمح بالتعرف على مادة كل مخطوط وترتيبها وتبين ما تشترك فيه بعض المخطوطات ولقد استعملنا كل هذه المخطوطات لاعداد هذا التحقيق وهذه قائمتها :

1) ل : مخطوط مكتبة الآلي باستنبول رقم 2144
2) ن : مخطوط مكتبة نورعثمانية باستنبول رقم 3034
3) ب : مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 5905
4) م : مخطوط مكتبة الأكاديمية الملكية بمدريد بمجموعة قاينقوس رقم 13
5) ق : مخطوط مكتبة القرويين بفاس رقم ل 80/390
6) ر : مخطوط المكتبة الوطنية بالرباط رقم ق 488
7) س : مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 2218
8) ص : مخطوط المتحف البريطاني بلندن رقم 9577 .
9) ط : مخطوط مكتبة الاسكوريال مدريد رقم 1625
10) ج : مخطوط المكتبة الوطنية بالجزائر رقم 1548

1) المخطوط : ل :

مقـــــــاس كبير 125 ورقة أوراقه مرقمة من 1 إلى 77 والترقيم بنفس خط المخطوط ، 31 سطـــــرا بكل صفحة وبكل سطر معدل 15 كلمة : ليس فيه احالات بأسفل الصفحات.-جاء بورقته الأولى :
« كتاب المالك والمسالك تأليف الشيخ الامام العالم المحقق أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري القرطبي ، أثابه الله الجنة ورضي عنه برسم الخزانة العالية ... بسم الله الرحمان الرحيم وما توفيقي الا [به] عليه توكلت » وجاء في آخره : « كمل بحمد الله وعونه ولطفه ومنّه وجوده على يد يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد العمري السعدي نسبا الشافعي مذهبا في يوم الأحد 21 رجب سنة737 ».

والخـط دقيق واضح وحالة النص طيبة في الجملة وهي أحسن من المخطوط الموالي الذي يرجح انه نسخ عنه.

2) المخطوط : ن

مقاس كبير ، مرقم من 1 إلى 246 بنفس خط النص ، بكلّ صفحة 15 سطرا ومعدل كلمات كل سطر 9 ليس به احالات بالأسفل والصفحة الأولى مزركشة باطار فيه عنوان الكتاب واسم المؤلف ويبدأ الكتاب بدون أي تقديم بقوله : القول في مدة عمارة الأرض .
وجاء بآخره :
« كمل بحمد الله وعونه ولطفه ومنّه وفضله وتوفيقه وحوله وتوتده وكرمه وحسن توفيقه وذلك يوم السبت المبارك الحادي والعشرين من شهر شعبان المكرم من شهور سنة 851 ، أحسن الله عاقبتها ، محمد وآله وصحبه وسلم ، وصلاة الله وسلامه الأتمان والأكملان على سيدنا محمد وآله » .

والخط مشرقي مثل السابق متسع وسهل القراءة وجل النص مشكول وحالته طيبة ما عدا الاعلام (والملاحظة صالحة لكل المخطوطات تقريبا) وكلّ القرائن تدل

على ان ن : قد نسخ عن : ل : فالنص واحد تماما وبه نفس النقص ونفس الأخطاء مع بعض الثغرات الاضافية بالنسبة إلى : ن .

3) المخطوط : ب :

مقاس متوسط مرقم من 1 إلى 186 بكل صفحة 17 سطرا وبكل سطر معدل 12 كلمة والترقيم بنفس خط النص ولا توجد احالات والخط مشرقي من النسخي العصري سهل القراءة الاّ أنّه قليل الشكل . وحالة النص سقيمة فكثير من الكلمات بل الجمل ناقصة تماما فضلا عن اخطاء الناسخ العديدة وقد نسخت هذه المخطوطة لشيفر Schefer باستنبول انطلاقا على الراجح من المخطوطتين السابقتين . ولم نعتمد على هذه المخطوطة في تحقيق النص لأنه ليس لها قيمة من الناحية النقدية ولم نشر الا لبعض الخلافات القليلة عندما تكون لها فائدة في تحقيق قراءة بعض الكلمات .

وهذه المخطوطات الثلاث تغطي بالضبط نفس أقسام المسالك والفارق في عدد الصفحات بينها راجع إلى الاختلاف في المقاس والخط .

4) المخطوط : م

مقاس متوسط ، 113 ورقة مرقمة بخط مخالف بكل صفحة 15 سطرا وبكلّ سطر معدل 10 كلمات ولا توجد احالات بأسفل الصفحات . الخط مشرقي نسخي ميسور القراءة مشكول ولكن ليس دائما بصورة صحيحة ، وحالة النص طيبة وبالصفحة الأولى اشارة إلى أن المخطوط هو الجزء الثاني من المسالك ولكن جاء في آخره : « انتهى الجزء الأول » ثمّ يلي فهرس الجزء الأول . وهذا التضارب جعل البعض يفترض ان ذلك ناتج عن خطأ من الناسخ أو انه اضافة متأخرة ولكن الأمر في الحقيقة راجع فحسب إلى تسفير فاسد فالورقة 97 تبدأ بلفظي : « حتّى تفضي » : ويتطابق النص بعد ذلك مع الورقات الأخيرة من المخطوطات الثلاث السابقة وتمثل حقا نهاية الجزء الأول من المسالك وكان يجب أن يكون موضعها في البداية .

5) المخطوط : ق :

مقاس صغير ، 131 ورقة مرقمة بخط مخالف بكل صفحة 17 سطرا وبكل سطر معدل 10 كلمات.لا توجد احالات ، الخط مغربي واضح لكنه عسير القراءة . انه المخطوط الوحيد الذي نجد به صورة : انه تخطيط مسجد بيت المقدس ، ويجب أن نلاحظ أيضا أنه المخطوط الوحيد الذي به النص المقابل (وصف مسجد بيت المقدس) وبقية الفصول مضطربة (انظر الجدول الاختزالي) حتّى لكأنها مجموعة قطع ضُمت إلى بعضها بدون ترتيب يذكر .

6) المخطوط : ر :

مقاس متوسط ، 165 ورقة صفحاتها مرقمة من 1 إلى 330 بنفس الخط بكل صفحة 25 سطرا وبكل سطر معدل 13 كلمة وفي أسفل كل ورقة احالة. الخط مغربي قليل الشكل لكنه واضح سهل القراءة وحالة النص طيبة في الغالب .

7) المخطوط : س :

مقاس متوسط ، ترقيم الصفحات من 1 إلى 256 بخط مخالف وأرقام عربية حديثة بكل صفحة 21 سطرا وبكل سطر معدل 11 كلمة وبالورقات احالات . الخط مشرقي نسخي قديم تقلّ فيه الحركات وتعوزه في بعض الأحيان النقط مما يجعل القراءة ـ وخاصة قراءة الاعلام ـ عسيرة بل مستحيلة. في بعض الأحيان سقطت من هذا المخطوط الكثير من الأوراق الداخلية . ومن الملاحظ أن هذا المخطوط هو الوحيد الذي يقدم عنوانا يختلف بعض الشيء عن الأخـرى فيسمى الكتاب : «كتاب أخبار الزمان في الممالك والمسالك» ، ويرجح أن هذا التحريف قد تسرب من التفكير في كتاب المسعودي المفقود الآن : «أخبار الزمان» . وهذا المخطوط هو الذي حلّله كاترمار Quatremère وكان أول من نسبه إلى البكري .

8) المخطوط : ص :

مقاس متوسط أوراقه مرقمة من 1إلى 119 (مع نفس الملاحظة التي ذكرت بالنسبة إلى المخطوط السابق) بكلّ صفحة 19 سطرا وبكلّ سطر معدل 11 كلمة وبالنص إحالات ، والخط مغربي سهل القراءة ، الحركات قليلة فالكثير من الأعلام

مشكولة وان كانت بصورة خاطئة في بعض الأحيان وحالة النص طيبة بالنسبة إلى القسم المتعلّق بشمال افريقيا والراجح انه أحسن النسخ في هذا المجال وكان دي سلان De Slane قد اعتمده في القسم الذي نشره وترجمه (انظر المرجع عدد 64) وتنقص المخطوط ورقة واحدة .

9) المخطوط : ط :

مقاس كبير ، يتكوّن المخطوط من 110 ورقات مرقّمة بصورة لا تخلو من اعتباطية . ليس في الورقات احالات ، بكلّ ورقة 19 سطرا وبكل سطر معدل 10 كلمات والخط أندلسي جميل جدّا ، واضح سهل القراءة نسبيا . تضررت بعض الأوراق ـ خاصة الأولى ـ من الرطوبة وانفسخت الكتابة تقريبا من الزوايا العليا ولئن قدم لنا النص بعض القراءات الجيدة فمن المؤسف أن النساخ قد وقعوا في بعض السهو . اضطرب ترتيب كثير من الأوراق .

10) المخطوط : ج :

مقاسه 139/182 مم ، صفحاته مرقّمة من 1 إلى 235 ومن العسير الجزم بأنه نفس الخط لا وجود لاحالات وتراوح الأسطر بين 20 و23 في الصفحة ومعدل الكلمات بالسطر الواحد : 9.والخط مغربي غير معتنًى به وعسير القراءة ويبدو أنه قد تداول عليه عديد النساخ ويذهب دي سلان De Slane ـ بدون أن يقدم أي دليل ـ إلى أن المخطوط قد نسخ بالقيروان وعلى كلّ فواضح أنه متين الصلة بالمخطوط رقم 8 إذ بهما نفس القراءات ونفس النقص ونفس الأخطاء الرسمية على ان حالة المخطوط رقم 10 هي أكثر تدهورا من حالة المخطوط رقم 8 وقد يكون نسخة منه أو نُسخا معا عن أصل واحد ، وتنقص من داخل المخطوط عديد الورقات .

استعمال نص المسالك والنقل عنه

1) مقتطفات نقلها كتاب قدامى

نقتصر هنا على تقديم عينات من الكُتاب الذين نقلوا عن المسالك ولا نعطي قائمة شاملة لهم ونعتني خاصة بالتآليف التي مكنتنا من إصلاح أو إتمام نص مخطوطاتنا السقيم.

ـ لنذكر في البداية كتاب الاستبصار وهو تأليف من القرن السادس هـ/12م[45] مجهول الكاتب مقتبس في غالبه من البكري[46] وهذا النص نشره بالقاهرة سعد زغلول وترجم فانيانFagnan[45] إلى الفرنسية القسم المتعلق بشمال افريقيا سنة 1899.

ـ وفي: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : للعمري الذي نشر جزءه الأول أحمد زكي بالقاهرة سنة 1924 استشهادات عديدة من البكري مقتبسة خاصة من القسم المتعلق بالأرضين والأقاليم ; والنشرة الكاملة للقسم الجغرافي ، المعلن على وشك صدورها ببيروت ستسمح بالتثبت في مدى استعمال العمري لسابقه.

ـ نجد غالبا فصل البكري المتعلق بالمرابطين في كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي.

ـ نجد استشهادات أخرى أقل أهمية في آثار البلاد للقزويني ونخبة الدهر في عجائب البر والبحر للدمشقي والفهارس الملحقة بهذين الكتابين تسمح بالعثور بسرعة على الفقرات المنقولة.

ـ وفي كتاب : معجم ما استعجم ، الأثر الجغرافي الآخر للبكري مقتطفات من وصف الجزيرة العربية الموجودة بالمسالك إلا أننا لا نعرف أيها الأصل لأن تاريخ تأليفها مجهول ولكن نميل إلى اعتبار المعجم أقدم.

---

(45) بالنسبة الى هذا التأليف وما يليه انظر قائمة المراجع.

(46) خاصة بالنسبة الى القسم المتعلق بشمال افريقيا.

ـ ان بعض الاستشهادات الأخرى ليست مقتبسة من البكري ولكنها مأخوذة من نفس مصادره ولقد أشرنا من قبل إلى السمهودي ومحي الدين ويمكن أن نضيف صبح الأعشى للقلقشندي وخطط المقريزي اللذين يعتمدان كتاب ابراهيم وصيف شاه وسمحت النصوص المستشهد بها باصلاح نص البكري في بعض الأحيان.

ـ الروض المعطار في أخبار الأقطار للحميري : من المفيد أن نتوقف أكثر عند هذا القاموس الجغرافي الذي يعتبر من أواخر ما وصلنا من المؤلفات في هذا الفن ولن نتحدث هنا عن المؤلف نفسه ولا عن المشاكل التي أثارتها شخصيته وكتابه [47] ونود أن نشير إلى علاقة الروض بالمسالك.لقد لاحظ لي بروفنصال أن الكثير من المقالات المتصلة بالأندلس ترجع إلى المسالك لكن الأمر لا يتعلق في الحقيقة بالأندلس فقط فإذا ما نظرنا إلى النص كله فإننا نلاحظ أن جلّ المادة الجغرافية مأخوذة من البكري إذا ما استثنينا الاقتباسات المستمدة من الادريسي ومن ابن جبير.

ملاحظة هامة : ان استشهادات المسالك في مخطوطات الروض المعطار تبدو في الغالب أصوب وأشمل من نص البكري المنقوص وذلك يصح بصورة خاصة في وصف بعض جزر البحر الأبيض المتوسط مثال مالطة وصقلية فعوض بعض الأسطر عند البكري نجد في الروض الصفحة وأكثر ولا نتحدث عن وصف صردينية الغائب تماما من المسالك . ونجد نفس الشيء في وصف بعض أجزاء أوروبا والشام (مدن دمشق ـ حلب ـ حمص ـ أنطاكية) وينحصر وصف الجزيرة في سطر في مخطوطاتنا بينما هو مستفيض أكثر في الروض فواضح أن الحميري كان بين يديه نص أشمل بالنسبة إلى هذه الجهات وسنوضح من بعد كيف استفدنا في تحقيقنا للنص من العلاقة الموجودة بين هذين النصين الجغرافيين.

2) قطع نشرها كتاب محدثون

لقد نشرت كثير من قطع المسالك في الشرق والغرب بعد أن فتح كاترمير الباب بنشر تحليل وترجمة جزئية للمخطوط رقم 7 . انها في الغالب أهم القطع لأنها لم تكن معروفة من جهات أخرى.

---

(47) عن هذه المسألة انظر لي بروفنصال (المرجع 128) المقدمة ؛ وهرني (المرجع 103) ص 145 ـ 156.

ـ ان القسم الذي نشر وترجم وشرح بكثرة هو بدون شك حكاية ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي عن الصقالبة . لقد ظهرت أول مرّة بسان بيترزبورق سنة 1878 مع ترجمة وشرح لكونيك A. Kunik وروزن V. Rosen وصدر كوفالسكي A. Kowalski نشرة أخرى وترجمة وتعاليق سنة 1946 بكراكوفي Cracovie ونشر هذا النص أخيرا الحجي ببيروت سنة 1968 في كتابه : جغرافية الأندلس وأوروبا . وأصدر دي خوي De Goeje ترجمة هولندية بآمستردام .

ـ أما النص الآخر الذي لا يقلّ عن السابق شهرة وان نشر أقل منه فهو : وصف افريقيا : وكان دي سلان De Slane أول من نشره وترجمه إلى الفرنسية ثم ترجم منه مونتايل V. Monteil قسما ونشره بمجلة المعهد الفرنسي بافريقيا السوداء B.I.F.A.N وترجم منه كيوك J. Cuoq قطعا أخرى تتعلق بافريقيا السوداء ونشرها في كتاب : مجموع المصادر العربية المتعلقة بافريقيا من القرن 8 إلى القرن 16 (المرجع رقم 71) .

ـ نشر حجي في الكتاب الذي ذكرناه آنفا كل ما يتعلق بالأندلس وأوروبا

ـ ونشر سيبل A. Seippel سنة 1896 و1928 نص الصفحات المتعلقة بالنورمان وترجمتها (المرجع 176) .

ـ نشر لي بروفنصال في طبعته للروض المعطار بعض المقتطفات المتعلقة بالأندلس اعتمادا على المخطوط رقم 5 .

ـ نشر ديفريمري Defremery في المجلة الآسياوية سنة 1849 النص المتعلق بالبجاناكية والخزر والبلغار وبلاد سرير وأضاف اليه ترجمة فرنسية

ـ نشر بلاشير R. Blachere ودارمون H. Darmaun في مقتطفاتهما عن الجغارفة العرب (المرجع 65) النص المتعلق بوصف سجلماسة .

ـ وفي نطاق شهادة ختم دروس الأستاذية ببوردو سنة 1981 قدم كليمون F. Clément ترجمة مرفقة بتعاليق ثرية للمقتطفات المتعلقة بالأندلس وأوروبا (انظر نسخة مراجعة ومصلحة : سنة 1983 . 137 صفحة مرقونة) .

تحقيق النص

I) المصادر

هذا التحقيق قد أعد بالاعتماد على عشر نسخ معروفة وبما انه لا توجد أي واحدة من هذه النسخ تامة فان العديد منها قد اعتبرت بالتوالي نسخا أصلية حسب أقسام المخطوط :

فالبنسبة إلى القسم الذي تغطيه المخطوطات 1 ،2 ،3 (الفقرات 1 إلى 713) اعتبرنا المخطوط 1 هو الأصل وأحلنا في الهامش على صفحاته .

بالنسبة إلى القسم المشترك بين المخطوطين 4و 5 (الفقرات 714 ـ 825) اعتبرنا المخطوط 4 هو الأصلي وأتممنا التحقيق بالمخطوط 5 وأحلنا على ترقيم المخطوط 5 لأنه أكمل ومسترسل .

ومن الفقرة 826 إلى آخر النص فإنا أحلنا على ترقيم صفحات المخطوط 6 . لقـــد أمكن لكراتشكوفسكي أن يقول في تاريخ الأدب الجغرافي العربي متحدثا عن الحميري ومصادره واقتباساته من الادريسي : « انها ظاهرة هامة لأننا نجد أنفسنا أمام نص جديد للإدريسي يمكن أن تكون له قيمة كبرى في تحقيق نص نزهة المشتاق واعداده للنشر[48] ». ويمكن لنا أن نقول نفس الشيء بالنسبة إلى البكري بعدما قارنا بين مخطوطات المسالك ومخطوطات الروض . ولقد كنا في المرحلة الأولى من اعدادنا لهذا العمل اعتمدنا مخطوطتي الروض المحفوظتين باستنبول والمدينة وفي الأثناء صدرت طبعة هذا الكتاب كاملة ومحققة بالاعتماد على المخطوطتين المذكورتين[49] ونحن نحيل على هذه الطبعة في الهوامش التي نذكر بها اسم الحميري . ونظرا للاقتباسات المتعددة التي يقوم بها البكري عن متقدميه فاننا قد رجعنا إلى آثارهم المطبوعة خاصة في المواضع التي يكون فيها نص المسالك مخطئا ومنقوصا . وتطبيق هذا المنهج سهل نسبيا عندما ينقل البكري نقلا حرفيا لكنه في الغالب

(48) انظر ص.

(49) ط. احسان عباس بيروت مكتبة لبنان 1975، 745 صفحة.

يحوصل ويغيّر ترتيب الكلمات والجمل ويعوض الكلمة بمرادفها بل قد يمزج بين مصادر مختلفة ويؤلف نصا جديدا بالاضافة إلى ما قلناه من قبل من أن بعض الأقسام منقوصة واختصرت إلى حدّ أنها أصبحت مبهمة . فهل كان يجب أن يترك النص على حاله أم نحاول إرجاعه إلى صيغته الأولى ان لم يكن بصورة كاملة فعلى الأقلّ بصورة جزئية؟

ولقد اخترنا هذا الحل الأخير وبيّنا بصورة واضحة الإضافات التي اضطررنا إلى إدخالها بوضعها بين معقفين أو بكتابتها بأحرف أصغر . وفضلنا في بعض الأحيان أن نترك نص المخطوطات كما هو إذ أنه حرّف إلى حد يعسر معه الاهتداء إلى الصيغة الأصلية ومثال ذلك التحليلات المتعلقة بتكوّن الجنين وبالتبت والصين المستمدّة من مروج المسعودي[50] وكذلك الأمر بالنسبة إلى ما يتعلق بجبال مكة ونجد ، أصله في أخبار مكة للأزرقي أو ما يتصل بوصف الأندلس .

أما بالنسبة إلى الاستشهادات الشعرية فإن البكري يختلف في الغالب عن المصادر من حيث الألفاظ ونقص الأبيات أو تغيّر ترتيبها والمزج بين أقسام مختلفة من أبيات الشعر في بيت واحد الخ .. فهل ترجع هذه التغييرات إلى البكري أم إلى النسـاخ ؟ لقد اتبعنا في التحقيق القاعدة التالية : إصلاح حالات الخطأ الواضح : نص غير مفهوم أو بحر غير مستقيم ، أما فيما عدا ذلك فاننا اتبعنا قراءة مخطوطات المسالك وأحلنا في الهوامش على قراءة الأصول .

2) الرسم والنحو :

بالاضافة إلى ما ذكرناه من اختلافات بين الأصول والنص المأخوذ عنها وجدنا صعوبات أخرى تتمثل في اختلاف المخطوطات وأخطاء النحو والرسم وبما أن عملنا يهدف إلى الوصول إلى نص واضح ومقروء للمسالك لا إلى دراسة وضعية للغة العربية في الفترات التي نسخت فيها المخطوطات فإننا رأينا من الصالح أن نهمل عديد القراءات وأخطاء النسخ خاصة الرسمية منها حتّى لا نثقل الهوامش بصورة مبالغ فيها ، وهذه الأخطاء الأكثر ترددا والتي لم نشر اليها في التعاليق :

---

(50) عن الجنين انظر الفقرة 41 وعن التبت والصين انظر الفقرة 410 وما بعدها.
انظر مثلا الاستشهدات الشعرية في الفصل الخاص بمكة : فقرات 648 الى 654.

النحـو :

ـ كلّ الأخطاء النحوية المتعلقة بترا بط الفعل بالفاعل والاسم بالصفة وبالممنوع من الصرف الخ ...

الرسم :

أ) رسمنا الهمزة حسب القواعد المعمول بها الآن ، وفي المخطوطات تكتب كلمة : مائة مثلا بصور مختلفة : مائة : ماية : مئة : مية .

ب) استعملنا الرسم المعمول به بالنسبة إلى ألف المد فكتبنا ثلاث عوض ثلث وهذا عوض هاذا .

ج) واحترمنا التمييز بين الألف الممدودة والألف المقصورة خاصة في الأفعال الناقصة والمصادر وقد أهملت المخطوطات التمييز بينهما في الغالب .

د) يضيف النساخ في الغالب ألفا لكل الواوات في آخر الكلمات قياسا على واو الجماعة في الفعل الماضي (فعلوا) فيكتبون مثلا : أبوا ، بنوا ، ولقد حذفنا دائما هذه الألف الا في بعض الاعلام عندما لم نعرف هل ان الألف جزء من اسم أم لا .

هـ) استعمال الفاء أو الواو يختلف كثيرا من مخطوط إلى آخر ولم نر فائدة في الاشارة إلى هذه الاختلافات .

و) ان صيغ كتابة الاعلام متعددة خاصة إذا ما لم تكن من أصل عربي وحاولنا بالاعتماد على نصوص موازية التعرف على الرسم الصحيح وأشرنا إلى القراءات الأخرى في الهوامش . .

ز) إذا ما تكرّر الخطأ عديد المرات كما هو الشأن بالنسبة إلى الاعلام فإننا نقتصر على الاشارة اليه أول مرة وإذا ما وردت صيغة أخرى فإننا نلمح اليها .

ABREVIATIONS UTILISEES DANS LA BIBLIOGRAPHIE

ACT. OR	: Acta Orientalia (Budapest)
AIEO	: Annales de l'Institut d'Etudes Orientales d'Alger.
AION	: Annali dell'Istituto (Universitario) Orientale di Napoli.
AKGWG	: Abhandlungen der Königliche Gesellschaft für Wissenschaften, Göttingen.
AND	: Andalus (Madrid, Granada)
ANN. ESC.	: Annales Economies, Sociétes, Civilisations (Paris).
BAP	: Bulletin de l'Académie des Sciences de St. Pétersbourg.
BFA	: Bulletin of the Faculty of Arts (Le Caire).
BIFAN	: Bulletin de l'Institut Français d'Afrique Noire; devenu Institut Fondamental... (Dakar).
BLS	: Bulletin de Liaison Saharienne (Alger).
CT	: Cahiers de Tunisie (Tùnis).
EI	: Encyclopédie de l'Islam (EI¹ = 1ᵉʳ éd.; EI² = 2ᵉ éd.).
FOL. OR.	: Folia Orientalia (Krakow).
IQ	: Islamic Quarterly (London).
JA	: Journal Asiatique (Paris).
JAH	: Journal of African History.
JAOS	: Journal of the American Oriental Society.
KCA	: Kōrosi Csoma-Archivum.
Mém. AISP	: Mémoires de l'Académie Impèriale des Sciences de St. Pétersbourg.
Mém.RAHM	: Mémorie, Real Academia de Historia di Madrid.
MW	: Muslim World (London).
RA	: Revue Africaine (Alger).
RHCM	: Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb (Alger).
RIEIM	: Revista del Instituto de Estudios islamicos en Madrid
RO	: Rocznik Orientalistyczny (Warszawa).
RSO	: Rivista degli Studi Orientali (Roma).
RT	: Revue Tunisienne (Tunis).
Sem. Kond.	: Seminarium Kondakovianum.
TJ	: Travaux et Jours (Beyrouth).

المصادر والمراجع

1 ـ ابن الأبّار أبو عبد الله : **الحلّة السيراء** ، تحقيق حسين مؤنس ـ القاهرة 1963 .

2 ـ **أخبار الصين والهند** ، حققه وترجمه ج سوفاجيه ، باريس 1948 .

3 ـ الأزرقي محمد بن عبد الله : **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** ، نشره ر . صالح . مكة 1352ـ1357هـ ، في جزئين .

4 ـ الاصطخري ابراهيم : **المسالك والممالك** ، نشره م . ج . الحيني وم . ش . غربال ، القاهرة 1961 .

5 ـ الاصفهاني أبو الفرج: **كتاب الأغاني** ، بولاق 20 جزءا .

6 ـ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت 1956 ـ 1957 ، 3أجزاء .

7 ـ الأعشى ميمون : **ديوان** ، نشره محمد حسين ، القاهرة 1950 .

8 ـ ابن بسّام علي : **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، القاهرة 1939 ـ 1945 ، 3 أجزاء

9 ـ ابن بشكوال : **كتاب الصلة** ، نشره ع . العطّار ، القاهرة 1966 ، جزآن .

10 ـ البكري أبو عبيد : **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، نشره م . السقا ، القاهرة 1945 ـ 1951 ، 4 أجزاء .

11 ـ البلاذري : **فتوح البلدان** ، نشره ر . م . رضوان ، القاهرة 1932

12 ـ الجاحظ عمرو بن بحر : **كتاب البلدان** ، نشره س . ع . العلي ، بغداد 1970 .

13 ـ ابن جبير : **رحلة** ، بيروت 1959 .
14 ـ ابن جوزي عبد الرحمن : **فضائل القدس** ، ج . س . جبّور ، بيروت 1980
15 ـ الحاجي عبد الرحمان علي : **جغرافيا الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري** ، بيروت 1968 .
16 ـ الحميري محمد : **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، احسان عباس ، بيروت 1975 .
17 ـ ابن حوقل أبو القاسم : **كتاب صورة الأرض** ، حققه ج .ح . كرامرس ، ليدن 1938 ، جزءان .
18 ـ ابن خرداذبه : **كتاب المسالك والممالك** ، نشره دي غويه ، ليدن 1889 .
19 ـ الدمشقي شمس الدين : **نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر** ، نشره أ . ف . مهرن ، لايبزيغ 1923 .
20 ـ ابن رستة أحمد : **الأعلاق النفيسة** ، نشره دي غويه ، ليدن 1891 .
21 ـ ابن سعيد المغربي : **المُغرب في حلي المَغرب** ، نشره شوقي ضيف ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1980.
22 ـ السمهودي نور الدين : **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى** ، م .م . عبد الحميد ، القاهرة 1954 ـ 1955 ، 4 أجزاء .
23 ـ السمهودي نور الدين : **خلاصة الوفاء** ، المدينة 1972
24 ـ السيوطي جلال الدين : **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، نشره م . ابراهيم ، القاهرة 1964 ـ 1965 ، جزءان .
25 ـ صاعد الأندلسي : **كتاب التعريف بطبقات الأمم** ، نشره ل . شيخو ، بيروت 1912 .
26 ـ الضبّي أبو جعفر : **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** ، ف . كوديرا وج . ريبارا ، مدريد 1884 .
27 ـ الطبري أبو جعفر : **تاريخ الرسل والملوك** ، م . ابراهيم ، القاهرة 1960 ـ 1968 ، 10 أجزاء .
28 ـ العبّادي أحمد مختار : **تاريخ الأندلس لابن كردَبوس ووصفه لابن الشبّاط** ،

نصّان جديدان ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد ، العدد 13 (1965 ـ 1966) ص 7 ـ 126 ؛ 14 (1967 ـ 1968) ص 99 ـ 163

29 ـ عبد الباقي محمد فؤاد : **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، القاهرة 1378هـ

30 ـ عبد البديع لطفي : **نص أندلسي جديد . قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب** ، مجلة معهد المخطوطات العربية 1 (1955) ص 272 ـ 310

31 ـ ابن عبد الحكم : **فتوح مصر وأخبارها** ، نشره ش . س . تّريه ، نيو هافن . 1922

32 ـ ابن عبد ربّه أحمد : **العقد الفريد** ، القاهرة 1939 ـ 1940 ، 4 أجزاء .

33 ـ ابن عذاري : **البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب** ، نشره كولان وليفي بروفنسال ، باريس 1930 ، 3 أجزاء . الجزء الرابع : إحسان عبّاس ، بيروت 1967 .

34 ـ (العذري أحمد) : **ترصيع الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان في غرائب البلد والمسالك إلى جميع الممالك** ، ع . الأهواني ، مدريد 1965

35 ـ العمري ابن فضل الله : **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، القاهرة 1924 نشر الجزء الأول فقط .

36 ـ الفتح بن خاقان : قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، تونس 1971 .

37 ـ ابن فضلان : **رسالة ابن فضلان** ، نشره س . الدهان ، دمشق 1959 .

38 ـ ابن الفقيه الهمذاني : **مختصر كتاب البلدان** ، نشره دي غويه ، ليدن 1302هـ (1885)

39 ـ ابن قتيبة : **كتاب المعارف ، نشره ث . عكاشة ، القاهرة 1960** .

40 ـ القزويني زكريا: **آثار البلاد وأخبار العباد** ، ف . وُستّنفلد فيسبادن 1850 .

41 ـ القلقشندي : **صبح الأعشى** ، القاهرة 1913 ـ 1919 ، 14 جزءا

42 ـ **كتاب الاستبصار** ، نشره س. زغلول ، الاسكندرية 1958 .

43 ـ كراشكوفسكي : **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، ترجمة س . هاشم ، القاهرة 1961 ، جزءان .

44 ـ مؤنس حسين : **الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس** ، مدريد 1967 .

45 ـ مجير الدين العُليمي : **الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، عمان 1973 .
46 ـ المرزوقي أبو علي أحمد : **شرح ديوان الحماسة** ، أحمد أمين وأ . هارون ، القاهرة 1954 ـ 1955 ، 4 أجزاء .
47 ـ المسعودي : **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، نشره ش . بلاّ ، بيروت 1966 ـ 1974، 5 أجزاء .
48 ـ المسعودي : **كتاب التنبيه والاشراف** ، نشره ع . إ.الصاوي ، بغداد 1938 .
49 ـ المقدسي : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، دي غويه ، ليدن 1906
50 ـ المقّري أحمد : **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، نشره إحسان عباس ، بيروت 1968 ، 8 أجزاء .
51 ـ المقريزي : **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، نشرة بولاق
52 ـ المنجّد صلاح الدين : **مواد أندلسية جديدة من الروض المعطار** ، مجلة معهد المخطوطات العربية 5 (1959) ص 57 ـ 58 .
53 ـ ابن هشام : **السيرة النبوية** ، القاهرة 1955 ؛ جزءان .
54 ـ الهمذاني الحسن : **صفة جزيرة العرب** ، نشره محمد الأكوع ، الرياض 1974
55 ـ ابن وصيف شاه إبراهيم : **مختصر عجائب البلدان** ، (نشر بعنوان **أخبار الزمان للمسعودي**) ، بيروت 1966 ، الطبعة الثانية .
56 ـ ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، بيروت 1955 ـ 1957 ؛ 5 أجزاء .
57 ـ اليعقوبي : **كتاب البلدان** ، نشره دي غويه ؛ ليدن 1892 .

58 ABDUL WAHHAB H. H., **Les steppes tunisiennes (région de Gammouda) pendant le Moyen-Age**, in CT 2 (1954), 5-16.

59 ABDUL WAHHAB H.H., **Villes arabes disparues**, in Mélanges W. Marçais, Paris 1950, 1-15.

60 ALEMANY BOLUFER J., **La geografia de la Peninsula Ibérica en los escritores arabes**, Grenade 1921.

61 AMARI M., **Biblioteca arabo-sicula**, Leipzig 1857.

62 ANDERSON A.R., **Alexander's Gate, Gog, Magog and the enclosed Nations**, Cambridge (Mass.) 1932.

63 ASIN PALACIOS M., **Nuevos datos sobre el Faro de Alejandria**, in AND. 3 (1933), 185-193.

64 AL-BAKRI Abu Ubayd, **Description de l'Afrique septentrionale**, éd. De Slane; texte ar., Alger 1911; trad. fr., Alger 1913.

65 BLACHERE R. et DARMAUN H., **Géographes arabes du Moyen Age**, Paris 1957.

66 BRUNSCHVIG R., **A propos d'un toponyme tunisien du Moyen-Age: Nûba-Nûbia**, in **RT** 1935, 149-155.

67 BRUNSCHVIG R., **Un aspect de la littérature historico-géographique de l'Islam**, in **Mélanges Gaudefroy-Demombynes**, Le Caire 1935-1945, 147-158.

68 CAMPANI R., **Il «Kitâb al-Farghânî» nel testo arabo e nelle versioni**, in **RSO** 3 (1910), 205-252

69 CATTENOZ H.-G., **Tables de concordance des ères chrétienne et hégirienne**, 3ᵉ éd. Rabat 1961.

70 CHARMOY F.B., **Relation de Masoudy et autres musulmans sur les anciens Slaves**, in **Mém. AISP**, 8ᵉ Série, vol. II, 1834.

71 CUOQ J., **Recueil des sources arabes concernant l'Afrique occidentale du VIIIᵉ au XVIᵉ siècle**, Paris 1975.

72 DEFREMERY C., **Fragments de géographes et historiens arabes et persans relatifs aux anciens peuples du Caucase et de la Russie méridionale: Extraits de Abu Obeid al-Becri**, in **JA** 13 (1849), 460-477.

73 DEVUC M., **Le pays des Zendjes ou la côte de l'Afrique orientale au Moyen-Age**, Paris 1883.

74 DIEHL F., **L'Afrique byzantine**, Paris 1896.

75 DOZY R., **Historia Abbadidarum**, 2 vol., Lugduni Batavorum 1846-1852.

76 DOZY R., **Recherches sur l'histoire politique et littéraire de l'Espagne pendant le Moyen Age**, Leiden 1849, 2 vol.

77 DOZY R. et DE GOEJE M.J., **Description de l'Afrique et de l'Espagne par Edrisi**, Leiden 1860.

78 DUBLER C.E., **Abû Ḥâmid al Granadino y su relacion de viaje por tierras eurasiaticas**, Madrid 1953.

79 DUSSAUD R., **Topographie de la Syrie antique et médiévale**, Paris 1927

80 FAGNAN E., **L'Afrique septentrionale au 12ᵉ siècle de notre ère. Description extraite du «Kitâb al-istibsâr», traduite par...** in **Recueil de Notes et Mém. de la Soc. d'Archéol. de Constantine** 32 (1899), XII-226p.

81 FERRAND G., **L'Empire sumatrais de Crivi jaya**, Paris 1921.

82 FERRAND G., **Les îles Râmny, Lâmery, Wakwâk, Komor des géographes arabes, et Madagascar**, in **JA**, série 10, 10 (1907), 433-566.

83 FERRAND G., **Relations de voyages et textes géographiques arabes, persans et turcs relatifs à l'Extrême-Orient du VIIIᵉ au XVIIIᵉ siècle**, 2 vol., Paris 1913-1914.

84 FERRAND G., **Le «Tuhfat al-albâb» de Abû Hâmid al-Andalusi al-Gharnâti**, in **JA** 207 (1925), 1-148; 193-304.

85 FERRAND G., **Voyage du marchand arabe Sulayman en Inde et en Chine, rédigé en 851, suivi de remarques par Abu Zayd Hasan (vers 916)**, Paris 1922.

86 FODOR A., **The origins of the Arabic Legends of the Pyramids**, in **ACT.OR.** 23 (1970), 335-363.

87 FRAEHN C.M., **Beleuchtung der merkwürdigen Notiz eines Arabers aus dem XI. Jahrhundert über die Stadt Mainz**, in **Mém. AISP**, Série 6, vol. 2 (1834), 87-99.

88 GAUDEFROY-DEMOMBYNES M., **Masâlik al-absâr fi mamâlik al-amsâr. L'Afrique moins l'Egypte**. Traduit et annoté, avec une Introd. et des cartes, Paris 1927.

89 DE GAYANGOS P., **The History of the Muhammedan dynasties in Spain**, 2 vol., repr. New York/London 1964.

90 DE GAYANGOS P., **Memoria sobre la autenticidad de la Cronica denominada del Moro Rasis**, in **Mém. RAHM**, Madrid 1852.

91 DE GOEJE M.J., **Das alte Bett des Oxus, Amu Darja**, Leiden 1875.

92 DE GOEJE M.J., **Een belangrijk arabisch bericht over de Slavische volken omstreeks 965, in Verslage en Mededelingen der Kon. Acad. van Wetenschappen. Afd. Letterkunde**, 2e reeks, XX/2 Amsterdam 1880.

93 DE GOEJE M.J., **De muur van Gog en Magog, ibid.**, 3e reeks, Deel 7, Amsterdam 1888.

94 GRAEFE E., **Das Pyramidenkapitel in Al-Makrizi's Hitat**, Leipzig 1911.

95 GUIDI I., **La descrizione di Roma nei geografi arabi**, in **Arch. della Soc. Rom. di Storia Patria**, 1 (1878), 177 suiv.

96 HAJJI A.A., **Andalusian diplomatic relations with Western Europe during the Umayyad period**, Beyrouth 1970.

97 HAJJI A.A., **Christian States in Northern Spain during the Umayyad period, in IQ** 9 (1965), 46-55.

98 HAJJI A.A., **Diplomatic relations between Andalusia and the Franks during the Umayyad period, in IQ** 13 (1969), 112-126.

99 HAJJI A.A., **Ibrâhîm ibn Ya'qûb al-Turtûshî and his diplomatic activity, in IQ** 14 (1970), 22-40.

100 HAJJI A.A., **Political relations between the Andalusian rebels and Christian Spain during the Umayyad period**, in **IQ** 10 (1966), 84-94.

101 HAJJI A.A., **Two unknown embassies from a Frankish monarch to the Court of Cordoba during the reign of al-Hakam II**, in **IQ** 10 (1966), 19-25.

102 HAMARNEH S.K. **The description of Damascus in the «Ar-Rawd al-Mi'târ» by al-Himyari**, in **FOL. OR.** 9 (1968). 275-290.

103 HAMARNEH S.K., **An unpublished description of Jerusalem in the Middle Ages as found in the «Ar-Rawd al-Mi'târ» by 'Abd al-Mun'im al-Himyari**, in **FOL.OR.** 11 (1969), 145-156.

104 HARKAVI A., **Sur un passage des Prairies d'Or de Maçoudi concernant l'ancienne histoire des Slaves**, in **Arb. des Peterburger Orientalistenkongresses**, Band II, 1876, 335-341.

105 HONIGMANN A., **Die Ostgrenzen des Byzantinischen Reiches**, Bruxelles 1961.

106 HOPKINS J.F.P., **The medieval toponomy of Tunisia. Some identifications, in CT** 53 (1966), 31-39.

107 HOPKINS J.F.P., **Sousse et la Tunisie orientale médiévales vues par les géographes arabes**, in **CT** 31 (1960), 83-95.

108 **Ḥudûd al-ʿâlam. The regions of the world. A Persian Geography**, transl. and expl. by V. MINORSKY, 2nd. éd., London 1970.

109 HUICI MIRANDA A., **Un fragmento inédito de Ibn ʿIḏârî sobre los Almoravides, in Hesperis-Tamuda** 2 (1961), 43-111.

110 IBN AL-FAQIH AL-HAMAḎÂNI, **Abrégé du Livre des Pays**, Trad. H. MASSE, Damas 1973.

111 AL-IDRISI, **Géographie d'Edrisi**, trad. fr. de A. JAUBERT, 2 vol., Paris 1836-1841.

111bis Al-IDRISI, **Kitâb nuzhat al-mustâq fî htirâq al-âfâq**, ed. II MEO, Napoli-Roma, 1970-1984. 1090p.

112 JEFFREYS M.D.W., **Arab knowledge of the Niger course, in Africa** 2 (1955), 84-90.

113 KOWALSKA M., **The sources of al-Qazwînî's «Athâr al-Bilâd»**, in **FOL.OR.** 8 (1966), 41-88.

114 KOWALSKA M., **Namensregister zu Ḳazwînî's «Aṯâr al-bilâd»**, in **RO** 29 (1965), 99-115; 30 (1966), 119-134.

115 KOWALSKI Th., **Der Dîwân des Kais ibn al-Khatîm**, Leipzig 1914.

116 KOWALSKI Th., **Relation Ibrâhim ibn Jaʿkûb de itinere slavico quae traditur apud al-Bakri**, Cracovie 1946.

117 KUNIK A. et ROSEN V., **Izvestiya al-Bakri y drugich avtorov o Rusi v Slavianach**, St. Petersbourg, I, 1878; II, 1903.

118 LESSARD J.M., **Sijilmassa, la ville et ses relations commerciales au XI**[e] **siècle d'après El Bekri**, in **Hesperis-Tamuda** 10 (1969), 5-36.

119 LE STRANGE G., **Baghdad during the Abbasid Caliphate**, Oxford 1924

120 LE STRANGE G., **The lands of the Eastern Caliphate**, (repr.) London 1966.

121 LE STRANGE G., **Palestine under the Moslems**, (repr.) Beyrouth 1966.

122 LEVI DELLA VIDA G., **The «Bronze Era» in Moslem Spain**, in **JAOS** 63 (1943), 183-191.

123 LEVI DELLA VIDA G., **La traduzione araba delle Storie di Orosio**, in **AND.** 19 (1954), 257-293.

124 LEVI-PROVENCAL E., **Abû ʿUbayd al-Bakri**, in **EI**[2], I, 159-161.

125 LEVI-PROVENCAL E., **Une description arabe inédite de la Crète**, in **Studi Or. in onore di G. Levi della Vida**, Rome 1956, tome 2, 49-57.

126 LEVI-PROVENCAL E., **Une description arabe inédite du Phare d'Alexandrie**, in **Mél. Maspéro**, Le Caire 1935-1940, tome 2, 161-171.

127 LEVI-PROVENCAL E., **La «Description de l'Espagne» d'Ahmad al-Râzî**, in **AND.** 18 (1953), 51-108.

128 LEVI-PROVENCAL E., **La Péninsule ibérique au Moyen-Age . «Kitâb al Rawḍ al-Mi'ṭâr fi ḫabar al-aqṭâr» d'Ibn Abd al-Mun'im al-Ḥimyarî**, Leiden 1938.

129 LEWICKI T., **L'Afrique Noire dans le «Kitâb al-masâlik wa-l-mamâlik»** d'Abû 'Ubayd al-Bakri, in **Africa Bulletin** (Varsovie) 2 (1965), 9-14.

130 LEWICKI T., **L'apport des sources arabes médiévales (IXe-Xe siècles) à la connaissance de l'Europe centrale et orientale**, in **L'Occidente e l'Islam nell'alto medioevo**, Spoleto 1965, 461-485.

131 LEWICKI T., **Arabic external sources for the History of Africa to the south of Sahara**, Varsovie 1969.

132 LEWICKI T., **Brâġa et Miška d'après une source arabe inédite**, in **FOL.OR.** 1 (1960), 322-326.

133 LEWICKI T., **Le monde berbère vu par les géographes arabes du Moyen-Age**, in **Actes du 1er Congrès d'Etudes des cultures médit. d'influence arabo-berbère**, Alger 1973, 31-42.

134 LEWICKI T., **Sur le nom de Dieu chez les Berbères médiévaux**, in **FOL.OR.** 8 (1966), 227-229.

135 LEWICKI T., **Sur l'Oasis de Sbrû (Dbr, Shbrû) des géographes arabes**, in **RA** 378 (1939), 45-64.

136 LEWICKI T., **A propos du nom de l'Oasis de Kufra chez les géographes arabes des XIe et XIIe siècles**. in **JAH** 6 (1966), 295-306.

137 LEWICKI T., **Les rites funéraires paiens des Slaves occidentaux et des anciens Russes d'après les relations des voyageurs et des écrivains arabes**, in **FOL.OR** 5 (1963), 1-74.

138 LEWICKI T., **Survivances chez les Berbères médiévaux d'ère musulmane de cultes anciens et de croyances païennes**, in **FOL.OR.** 8 (1966) 5-40.

139 LEWICKI T., **Die Vorstellungen arabischer Schriftsteller des 9. und 10. Jahrhunderts von der Geographie und von den ethnischenVerhaltnissen Osteuropas**, in **Der Islam** 35 (1960), 26-41.

140 LEWICKI T., **West African food in the Middle Ages**, Cambridge 1974.

141 LHOTE H., **La saline d'Amadror et le géographe al-Bakri**, in **BLS** 13 (1953), 54-56.

142 MAQBUL AHMAD S., **India and the neighbouring territories in the «Kitâb nuzhat al-muštâq fi ḫtirâq al-âfâq»**, Leiden 1969.

143 MAQBUL AHMAD S. et TAESCHNER F., Art. **Djughrâfiyâ** in **EI²**, II, 590-605.

144 MARKWART J., **Osteuropäische und Ostasiatische Streifzüge**, Leipzig 1903.

145 MARMARDJI A.-S., **Textes géographiques arabes sur la Palestine**. Paris 1951.

146 MASPERO J. et WIET G., **Matériaux pour servir à la géographie de l'Egypte**, Le Caire 1914-1919, 2 fasc. parus.

147 MAUNY R., **Un itinéraire transsaharien du Moyen-Age**, in **BLS** 13 (1953), 31-41.

148 MAUNY R., **Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen-Age d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie**, Dakar 1961.

149 MINORSKY V., **Sharaf al-zamân Ṭâhir Marvazi on China, the Turks and India**, London 1942.

150 MIQUEL A., **L'Europe occidentale dans la Relation arabe d'Ibrâhîm b. Ya'qûb**, in Ann. ESC. 21 (1966), 1048-1064.

151 MIQUEL A., **La géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XI^e^ siècle**, Paris, La Haye 1967.

151bis MOLINA Luis, **Orosio y los geografos hispanomusulmanes**, in **Al-Qantara** V (1984), 63-92.

152 MONTEIL Ch., **Les empires du Mali. Etudes d'histoire et de sociologie soudanaises**, Paris 1968 (avec Avertissement de V. MONTEIL).

153 MONTEIL Ch., **Les «Ghâna» des géographes arabes et des Européens**. in **Hesperis** 38 (1951), 441-452.

154 MONTEIL V., **Al-Bakri (Cordoue, 1068), routier de l'Afrique blanche et noire du Nord-ouest**, in **BIFAN**, Série B, 30 (1968), 39-116.

155 AL-MUNAJJID S., **L'empire du Mali vu par les géographes arabes**, tome I (textes), Beyrouth 1963.

156 AL-MUNAJJID S., **Rome vue par les géographes musulmans**, in **TJ** 21 (1968), 51-61.

157 MU'NIS H., **La división politico-administrativa de la España musulmana**, in **RIEIM** 5 (1957), 79-135.

158 von MZIK H. (éd.), **Beiträge zur historischen Geographie, Kulturgeographie, Ethnographie und Kartographie vornehmlich des Orients**, Leipzig, Wien 1929.

159 NAKLI A., **Essai de toponymie maghrébine**, in **RHCM** 8 (1970), 42-62.

160 NALLINO M., **Un'inedita descrizione araba di Roma**, in **AION**, n.s. 14 (1964), 295-309.

161 PELLAT Ch., **Extraits d'une notice inédite sur Baṣra**, in **Arabica** I (1954), 213-215.

162 PINNA M., **La Siria e le isole del Mediterraneo orientale nel «Kitâb al-masâlik wa-l-mamâlik» di Abû ʿAbady al-Bakri**, Tesi di Laurea, Napoli 1983.

163 PONS BOIGUES F., **Ensayo bio-biblografico sobre los historiadores y geografos arabigo-españoles**, Madrid 1898.

164 QUATREMERE E., **Notice d'un manuscrit arabe concernant la description de l'Afrique**, in **Notes et Extr. de la Bibl. du Roi**, Paris, tome 13, 1831.

165 RAPOPORT S., **Mohammedan writers on Slavs and Russians**, in **Slavonic and East European Review** 8 (1929-30), 80-98.

166 REINAUD M., **Introduction générale à la géographie des Orientaux**, Paris 1848.

167 REINAUD M., **Relations de voyages faites par les Arabes dans l'Inde et la Chine**, 2 vol., Paris 1845.

168 RIZZITANO U., **L'Italia nel «Kitâb al-rawḍ al-miʿṭâr fi ḫabar al-aqṭâr» di Ibn ʿAbd al-Munʿim al-Ḥimyarî**, in **BFA** 18 (1956), 9-18.

169 ROBERT D., ROBERT S., et DEVISSE J., **Tegdaoust: Recherches sur Aoudaghost**, tome 1, Paris 1970.

170 ROSENBERGER B., **Note sur Kouz, un ancien port à l'embouchure de l'oued tensift**, in **Hesperis-Tamuda** 8(1967),23-66.

171 ROSENBERGER B., **Tâmdult, cité minière et caravanière pré-saharienne (IXe-XIVe s.)**, in **Hesperis-Tamuda** 11 (1970). 103-140.

172 SAMARRAI A., **Some geographical and political information on Western Europe in the medieval Arabic sources**, in **MW** 62 (1972) 304-322.

173 SAUVAGET J., **La mosquée de Médine**, Paris 1946.

174 SAUVAGET J., **Relation de la Chine et de l'Inde**, Paris 1948.

175 SCHWARTZ P., **Iran in Mittelalter nach den arabischen Geographen**, Leipzig 1896.

176 SEIPPEL A., **Rerum Normannicarum fontes arabici**, Oslo 1896-1926.

177 SOLIGNAC M., **Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan et des steppes tunisiennes du VIIe au XIe siècle (J.C.)**, in **AIEO** 10 (1952), 5-273.

178 SPRENGER A., **Die Post-und Reisenrouten des Orients**, (repr.) Amsterdam 1962.

179 STASOLLA M.G., **Italia euro-mediterranea nel Medioevo : testimonianze di scrittori arabi**, Bologna 1983.

180 STERN S.M., **Three North-African topographical notes (islamic-roman)**, in **Arabica** 1 (1954), 343-345.

181 STRECK M., **Die alte Landschaft Babyloniens nach den arabischen Geographen**, Leipzig 1900-1901.

182 TALBI M., **Hérésie, acculturation et nationalisme des Berbères barĝâwâṭa**, in **Actes du 1er Congrès d'Etudes des Cultures médit. d'influence arabo-berbère**, Alger 1973, 217-233.

183 THIERSCH H., **Pharos, Antike, Islam und Occident**, Leipzig, Berlin 1909.

184 TISSOT CH., **Géographie comparée de la province romaine d'Afrique**, 2 vol., Paris 1884-1888.

185 VALLVE BERMEJO J., **Fuentes latinas de los geografos arabes**, in **AND** 32 (1967), 241-260

186 VASILIEV A., **Hârûn ibn Yaḥyâ and his description of Constantinople**, in **Sem. Kond.** 5 (1932), 149-163.

187 WAṢÎF ŠÂH Ibrâhîm, **L'Abrégé des Merveilles**. Trad. de l'arabe et annoté par Carra de Vaux. Préf. d'A. Miquel, Paris 1984.

188 WESTBERG F., **Analizi vostocnich istocnikov o vostocnog Evropa** in **Zurn. Min. Narodni Prov.**, n.s. 4 (1908), 7 suiv.

189 WESTBERG F., **Beiträge zur Klärung orientalischer Quellen über Ost-europa (Erste Hälfte des Mittelalters)**. in **BAP** 11 (1899). 211-245; 279-314.

190 WESTBERG F., **Ibrâhim ibn Ja'qûbs Reisebericht über die Slawenländer aus dem Jahre 965**, in **Mem. AISP**, 8e Série. vol. 8/4, 1898.

191 WIET G., **L'Egypte de Murtadi, fils du Gaphiphe**, Paris 1953.

192 AL-WOHAIBI A., **The Northern Hijaz in the writings of the Arab geographers, 800-1150**, Beyrouth 1973.

193 WÜSTENFELD F., **Die älteste Ägyptische Geschichte nach der Zauber und Wundererzählungen der Araber**, in **Orient und Occident**, 1861, 326-340

194 WÜSTENFELD F., **Bahrein und Jemama nach arabischen Geographen beschrieben**, in **AKGWG** 19 (1872), 173-222.

195 WÜSTENFELD F., **Das Gebiet von Medina nach arabischen Geographen beschrieben**, in **AKGWG** 1873.

196 WÜSTENFELD F., **Die von Medina auslaufenden Hauptstrassen nach arabischen Schriftstellern beschrieben**, in **AKGWG** 1862.

197 WÜSTENFELD F., **Die Strasse von Basra nach Mekka**, in **AKGWG** 1871.

198 ZAMBAUR E. de, **Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam**, Bad Pyrmont 1955.

199 ZICHY E., **Le voyage de Sallâm, L'interprète , à la muraille de Gog et de Magog**, in **KCA** 1 (1921-1925), 190-204.

كتاب
المسالك والممالك

القول في مدّة عمارة الأرض

(1)

عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهم أنّ ذلك سبعة[1] آلاف سنة. وكذلك قال أهل الكتاب وأخذوا ذلك مأخذًا شرعيًّا. أبو صالح عن كعب : ستّة آلاف[2] سنة. ابن معقل عن وهب مثله.

(2)

قال ط : والأوّل الصواب لرواية ابن عمر عن رسول الله ﷺ : أجلكم في أجل مَن كان قبْلكم من صلاة العصر إلى مغيب الشمس، وقوله عليه السلام : بُعثتُ أنا والساعة كهتَيْن، وجمع ما بين السّبابة والوسطى. وصحّ عنه مع ذلك ما رواه ابن وهب يرفعه إلى أبي ثعلبة الخشني أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول : لن ينقض الله هذه الأمّة من نصف يوم، يريد اليوم الذي مقداره[1] ألف سنة. فإذا كان ذلك كذلك معلومًا أنّ الماضي إلى ظهور الإسلام ستّة آلاف سنة. وقد رُوي عنه ﷺ قول يدلّ على صحّة القول الآخر.

---

1 (1) ل ن : ستّة ـ 2) ل ن : الفي، والتصحيح من الطبري 10/1.

2 1) ل ن : هو مقدار.

(3)

وأصحّ ما روي في التاريخ على ما ذكره ط س أنّ [من آدم إلى الطوفان ألفي سنة ومائتي سنة وستًّا وخمسين سنة و][1] من الطوفان إلى مولد إبراهيم عليه السلام ألفًا وتسعًا وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى من مصر ببني إسرائيل إلى التيه[2] الذي مات فيه خمسمائة وخمسًا وستّين سنة ، ومن ذلك الوقت إلى أربع من ملك [سليمان بن][1] داود ، وهو وقت ابتدائه لبناء بيت المقدس [ستّمائة سنة وستًّا وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبعمائة سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ثلاثمائة سنة وتسعًا وستّين سنة][1] ، ومن[3] مولد المسيح بن مريم الى بعث محمد ﷺ خمسمائة سنة وإحدى وستّين سنة . فذلك ستّة آلاف سنة ومائة سنة واثنتان وثمانون سنة[4] ، ويوافق ما اخترناه من أنّ مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة لقوّة الآثار في ذلك .

(4)

وقول الفلاسفة إنّ تدبير هذا العالم[1] الذي نحن فيه السنبلة وسلطانها سبعة آلاف سنة ، فإذا استكمل العالم قطع هذه المسافة وقع النفاد والدثور ، ثمّ عاد التدبير إلى الميزان فاجتمع المراد ويبتدىء النشر عودًا . وسلطان الحمل عندهم اثنا عشر ألف سنة ، ثم كذلك على التوالي حتّى تكون قسمة الحوت ألف سنة . فإذا انصرمت هذه المدّة انقضى عالم الكون والفساد . وهذا قول هرمس ، وزعم أنّه لم يكن في عالم الحمل والثور[2] والجوزاء على الأرض حيوان ، فلمّا كان عالم السرطان تكوّنت دوابّ الماء وهوّام الأرض ، فلمّا

---

3 1) من الطبري 237/2 ـ 2) ن : اليوم ـ 3) ن ب : يبن ـ 4) كذا في النسخ.

4 1) ل ن : العلم ـ 2) والثور : من ب.

كان عالم الأسد تكوّنت دوابّ الأربع ، فلمّا كان عالم السنبلة تولّد الإنسانان الأوّلان أدمانوس [وحيوانوس] . وزعم غيره أنّ مدّة العالم مقدار قطع الكواكب الثابتة لدرجة الفلك ، والكوكب يقطع البرج في ثلاثة آلاف سنة ، فذلك ستّة وثلاثون ألف سنة ، وهي ألف وعشرون كوكبا .

(5)

وزعم أهل التوراة أنّ ما مضى من لدن خلق آدم إلى الهجرة على ما وجدوه فيها أربعة آلاف سنة وستّمائة سنة واثنتان وأربعون سنة . وزعم أهل الإنجيل أنّ ذلك إلى الهجرة خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنتان وتسعون سنة . وزعم المجوس أنّ مدّة الزمان من لدن جيومرت ، وهو آدم عندهم ، إلى الهجرة ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة . والله أعلم بغيبه وأحكم .

القـــول في مبـدأ الخـــلق

(6)

قال أبو عبيد رحمه الله : إنّ الله عزّ وجلّ خلق الأشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل وأنشأها من غير حاجة إليها ليستدلّ بذلك على قدرته ويعتبر في بديع حكمته . فتبارك الله خالق كلّ شيء وهو أحسن الخالقين .

(7)

ثبت أنّ رسول الله ﷺ قال : أوّل ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتُبْ ، فجرى في تلك السّاعة بما هو كائن ، رواه ابن عبّاس وغيره . وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما : القلم طوله خمسمائة عام ، واللوح من ذهب ونتاه من ياقوتة

حمراء عرضه ما بين السّماء والأرض ينظر الله عزّ وجلّ فيه كلّ يوم ثلاثمائة وستّين نظرة يخلق ويرزق ويُحيي ويُميت .

(8)

ط : وقال ابن إسحاق : أوّل ما خلق الله النُّور والظلمة ، والأوّل أصحّ . قال : ثمّ إنّ الله خلق بعد ذلك سحابا رقاقًا وهو الغمام الذي ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه : هلْ يَنْظُرُون إلّا أنْ يأتِيَهُمُ اللهُ في ظُلَلٍ مِنَ الغَمَام والملائكَة[1] . كما روى أبو رزين قال : قُلتُ : يا رسول الله أين كان ربُّنا عزّ وجلّ قبل أن يخلق خلقهُ ؟ قال : في غمام تحته هواء وما فوقه هواء .

(9)

ثمّ اختُلف في الذي خلق بعد هذا الغمام ، فقيل الكرسي ، وقيل العرش ، وقيل الماء ، فكان عرشه على الماء باتّفاق ، وقيل إنّ الماء كان على متن الريح .

(10)

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : لمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا نسمًا فسمّاه سماء ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ في يومين[1] بعد تمام سائر الخلق ، وذلك قوله عزّ وجلّ : ثمّ أستوى إلىَ السّماء وهيَ دُخَانٌ[2] ، ودحا الأرض في يومين ، أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ، ثمّ فتقهنّ سبع أرضين في يومين وفرغ من سائر الخلق في يومين .

---

8 1) سورة البقرة 210/2 .

10 1) سورة فصّلت 12/41 ــ 2) سورة فصّلت 11/41 .

(11)

وروي أنّه لمّا أراد الله عزّ وجلّ خلق السموات والأرض سلّط الريح العقيم على الماء ، فعظمت أمواجه وكثر زبده وصعد دخانه وسما ، فسمّاه سماء ، وقال لزبده : اجمدْ فجمد فصار أرضًا ، وخلق الأرض على حوت .

(12)

س ط : والحوت هو الذي ذكره الله عزّ وجلّ قال : ن والقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ[1] ، والحوت في الماء والماء على ظهر صِفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح ، وهي الصخرة التي ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز حكاية عن لقمان عليه السلام . فاضطرب الحوت فتزلزلت الأرض فأرساها الله عزّ وجلّ بالجبال . فذلك قوله عزّ وجلّ : وألقى في الأرض رَوَاسِيَ أنْ تَمِيدَ بِكُـــمْ[2] . ثمّ آستَوَى إلى السَّماء وهي دُخَانٌ[3] .

ذكـــر الأيـّام

(13)

قال أبو عبيد : واختُلف في اليوم الذي ابتدأ الله فيه الخلق ، فقيل الأحد ، وقيل السبت ، وقيل الأثنين . ط : والأول أصحّ ، كذلك روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما وعبد الله بن مسعود ورواه مالك يرفعه إلى ابن سلام قال : خلق الله الأرضين يوم الأحد والأثنين وخلق ما عليها من المنافع يوم

---

12 1) سورة القلم 1/68 ـ 2) سورة النحل 15/16 ـ سورة لقمان 10/31
3) سورة فصّلت 11/41 .

الثلاثاء والأربعاء وفتق السّموات : وكانتا رتْقا[1] يوم الخميس والجمعة ، وإنّما سُمّي الجمعة لأنّه جمع فيه خلق السموات والأرض .

(14)

ابن سلام وكعب : وخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فتلك السّاعة التي تقوم فيها السّاعة . ج عن عِكرِمة : خلق في ساعتين منه الملائكة وفي ساعتين الجنّة والنار وفي ساعتين الشمس والقمر والكواكب وفي ساعتين الليل والنهار . واختُلف أيّها خلق قبل ، والصواب قول من قال إنّ الليل خلق قبل النهار لأنّ النهار من ضوء الشمس .

(15)

وذكر ق أنّ آدم عليه السلام خُلق يوم الخميس[1] . وذكر ط في خبر إبليس أنّ الله عزّ وجلّ خلق الملائكة يوم الأربعاء والجنّ يوم الخميس وآدم يوم الجمعة . وقال ط : بعد إحدى عشرة ساعة منه ، فمكث جسدًا ملقى أربعين عامًا من أعوام الدنيا ، ثم نفخ فيه الروح . وكان مكثه في السّماء ومقامه في الجنّة بعد ذلك إلى أن أصاب الخطيئة وأُهبط منها ثلاثًا وأربعين سنة وأربعة أشهر ، وذلك من ساعات الأيّام الستّة . وذلك قول الله سبحانه وتعالى : قُلْ ائِنّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالّذي خلق الأرْض في يوْميْنِ[2] إلى آخرها .

(16)

قال ح عن عطاء وعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهم إنّ الله عزّ وجلّ خلق

---

13 1) راجع سورة الأنبياء 30/21 .

15 1) ابن قتيبة 3/15 : يوم الجمعة ــ 2) سورة فصّلت 9/41 .

الجبال يوم الثلاثاء ، فلذلك تقول الناس إنّه يوم ثقيل . قال عطاء وابن عبّاس رضي الله عنهم : وفرغ من سائر الخلق في اليوم السّابع وهو يوم السبت ، صحّ لها . قال س : وإنما سُمّي السبت لأن خلق المخلوقات انقطع فيه ، يُقال : سبت شعره إذا سخفه . والأيّام النحسات كلّ أربعاء يوافق أربعًا من الشهر نحو أربع خلون أو أربع بقين أو أربع عشرة خلت أو بقيت أو أربع وعشرون خلت أو بقيت . قال ط : وكلّ يوم من هذه الستّة الأيّام مقدار ألف سنة .

(17)

وكان بين خلق القلم وسائر المخلوقات ألف سنة ، وهو يوم على ما قدّمناه . فقدر ما بين ابتداء الخلق إلى الفراغ منه سبعة آلاف سنة ، كذلك روى عكرمة عن ابن عبّاس وأبو روْق عن الضّحّاك وأبو صالح عن كعب . والضّحّاك بن مزاحم يقول : إنّ أسماء الأيّام التي خلق الله فيها المخلوقات انجدال قد تسبيت ، رواه خ عن زيد بن أرقم ، وهذا لا تناقُض فيه لأنّ اختلاف الألسنة واللغات ممكن .

(18)

وقال ابن عبّاس ووهب رضي الله عنهم أن السّموات والأرض والبحار لفي الهيكل وإنّ الهيكل لفي الكرسي وإنّ قدميه عزّ وجل على الكرسي وهو كالنعل لقدميه انفرد بهذا وهب . والكرسي داخل في العرش والعرش داخل في علم الله سبحانه وتعالى .

(19)

س : سماء الدنيا من درّة بيضاء والثانية من فضّة والثالثة ياقوتة حمراء والرابعة درّة خضراء والخامسة ذهب والسّادسة ياقوتة صفراء والسّابعة نور قد طبّقها

بملائكة قيامٍ قد خرقت أرجلهم الأرض السّابعة ورؤوسهم تحت العرش من غير أن تبلغه ، يُسبّحون اللّيْلَ والنّهَارَ لا يَفْتُرُونَ[1]

(20)

ق : عن عليّ [في قول الله عزّ وجلّ][1] وَالْبَحْرِ[2] الْمَسْجُورِ[3] ، قال : [هو بحر تحت العرش][1] (وهذا شبيه بما)[4] في التوراة على أنّ السماء ما بين مائين . س : وتحت سماء الدنيا بحر من ماء يطفح[5] فيه من الدوابّ مثل ما في بحور الأرض مُستمسك بالقدرة .

(21)

ورُوي عن النبيّ ﷺ أنه قال : السماء الدنيا موج مكفوف وسقف محفوظ ، ولولا ذلك لأحرقت الشمس الأرض ومن عليها . وبين كلّ سماء والّتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وبين السماء والعرش مسيرة ألف عام . ثمّ قال رسول الله ﷺ : هو الأول لا شيء قبله والآخر لا شيء بعده ، وهو بكلّ شيء عليم .

(22)

وقال بعض أهل الأثر إن البيت المعمور فوق السّموات السّبع وله ثلاثمائة وستّون بابًا جعلت درج الفلك بإزائها ، وإنّ كلّ علم ورحمة وقضاء إنّما تُنزل من تلك الأبواب إلى ما يوازيها من درج البروج ، ثمّ يصير إلى الأرض . وقال

---

19 1) سورة الأنبياء 20/21 .

20 1 - 5) من ابن قتيبة 1/10 ـ 2) ن : وهو البحر ـ 3) سورة الطور 6/52 ـ 4) ل : وهذا تنبيه ، ن : وهو تنبيه ما ـ 5) ل ن : يطيح .

بعضهم إنّ الخلائق العالية الروحانية ـ وهم الملائكة ـ اثنا عشر صفًّا حذاء البروج الاثني عشر ، وإنّهم نُورِيُّون جعل الله فيهم حولا وقوّةً يقدر أحدهم أن يلج في سمّ الخياط لطفًا ويغوص في تخوم الأرض والبحار نوره . وزعم أهل الطبائع أن الفلك حيّ مميّز ذو صورة وأنّ الكواكب ذوات صور حيّة ناطقة حسّاسة .

(23)

وروى وهب بن مُنبّه أنّ النبيّ ﷺ قال : إنّ لله عزّ وجلّ ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا منها عالم واحد ، وما العمران في الخراب إلّا كحبّة خردل في كفّ أحدكم . وفي الحديث أنّ لله عزّ وجلّ مدينتيْن واحدة بالمشرق واسمها جابلقا والأخرى بالمغرب واسمها جابَرْصا ، طول كلّ واحدة اثنا عشر ألف فرسخ ، ولكلّ مدينة عشرة آلاف باب يحرس كلّ باب كلّ ليلة عشرة آلاف رجل لا تلحقهم النوبة إلى يوم القيامة ، الرجل منهم يعمر ستّة آلاف سنة إلى ما دونها ، وهم يأكلون ويشربون ويتناكحون وفيهم حِكَم كثيرة . والمدينتان خارجتان من الدنيا لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يعرفون إبليس ولا آدم يعبدون الله ، وإنّ لهم نورا يسعون فيه من نور الله من غير شمس ولا قمر . قال رسول الله ﷺ : مرّ بي جبريل عليهم فآمنوا بي فدعوتُهم إلى الله سبحانه وتعالى ، فأجابوا فمُحْسِنهم مع مُحْسِنكم ومُسيئهم مع مُسيئكم .

ذكـــر إبلـــيس[1]

(24)

كان الله قد شرّفه وملّكه سماء الدنيا والأرض وجعله مع ذلك من خزنة الجنان . وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : ولذلك سُمّوا جنًّا . قال ابن

---

24 1) ب : إبليس عليه اللعنة والعذاب .

عبّاس : وكان من أشرف الملائكة قبيلا واسمه الحارث ، وقيل عزازيل ، وكنيته أبو مرّة . فدخله من ذلك كِبْر ودعا من تحت يده إلى عبادته . وقيل إنّه أوّل من أسكن الأرض الجنّ ، فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة ، فقتلهم حتّى ألحقهم بالبحار وأطراف الجبال ،فاعترى إبليس في نفسه ووقع في صدره كبر ولم تعلم بذلك الملائكة ، فأراد الله إطلاعهم عليه بما أراهم من معصيته .

(25)

وقيل إن الله عزّ وجلّ لمّا أسكن الأرض الجنّ بعث إليهم إبليس قاضيا يقضي بينهم ، فبقي يقضي بينهم بالحقّ ألف سنة حتّى سمّاه الله حكيمًا ، فعند ذلك تكبّر . وقيل إنّ الذين كان بعث إليهم إبليس البأس والعداوة ، فاقتتلوا في الأرض ألفي سنة حتّى أنّ خيولهم كانت تخوض في دمائهم ، وذلك قول الله عزّ وجلّ : أَفَعَيِينَا بِالخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ في لَبْسٍ من خلقٍ جديدٍ[1] . فبعث الله عند ذلك نارا فاحرقتهم ، وعرج إبليس إلى السماء فلم يزل يعبد الله مجتهدًا لم يعبده شيء من عباده مثل عبادته حتّى كان من آدم ما كان ، فأهبطه الله عزّ وجلّ في أقبح صورة وأشرّها تشويهًا ، فسكن البحر ووضع عرشا على الماء وجُعلت له ولاية وألقيت عليه شهوة الفساد ، وجعل لقاحه كلقاح الطير .

(26)

وذكرت الهند والفرس أنّ الجنّ مائة واثنان وثلاثون قبيلة : فالّذين يطيرون في الجوّ خمس عشرة قبيلة ، والذين يمشون على أرجلهم خمس وعشرون قبيلة ، والذين يخرجون مع الزوابع اثنتا عشرة قبيلة ، والذين مع لهب النار عشر قبائل ، ومسترقو السّمع ثلاثون قبيلة ، وسكّان الهواء ـ وهم مثل الدخان ـ ثلاثون قبيلة .

---

25 1) سورة ق 15/50 .

(27)

ورُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال : الجنّ ضعفة الجنّ ، وإنّ الكلاب من الجنّ ، فإذا رأوكم تأكلون فالقوا إليهم فإنّ لهم أنفسًا ، يعني يعينون أي يصيبون بالعين .

القــول في خلــق آدم عليــه السّــلام[1]

(28)

عن ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله عنهم أنّ الله عزّ وجلّ أمر جبريل أن يأتيه بطين من الأرض ، فاستعاذت الأرض منه فأعاذها ، ثمّ أمر ميكائيل كذلك ، ثمّ أمر ملك الموت ، فاستعاذت منه ، فقال : أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفّذ أمره . فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء ، فلذلك خرج بنوه مختلفي الألوان . عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال : بعث الله عزّ وجلّ [ابليس][2] ، فأخذ من أديم الأرض من عذبها ومِلحها ، فمن ثمّ سُمّي آدم ومن ثمّ قال إبليس : ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[3] أي هذه الطينة أنا جئت بها .

(29)

وفي حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر ذلك : الأحمر والأسود والأبيض وبين ذلك ، والسهل والحزن والخبيث والطيّب . قال ط : ثمّ بُلّت طينة آدم حتّى صارت طينا لازبًا ، ثم تُركت حتّى صارت حمأ مسنونًا ، ثم تُركت حتّى صارت صلصالا كالفخّار ، ومدّة

---

28 1) من ل فقط ـ 2) من الطبري 90/1 ـ 3) سورة الإسراء 61/17 .

ذلك أربعون ليلة ، وقيل أربعون عاما . فذلك قول الله سبحانه وتعالى : هلْ أتى على الإنْسان حينٌ من الدّهر لَمْ يكُنْ شيْئا مذْكورا[1] . وقيل مائة وأربعون سنة وهو أصحّها ، وذكر الأربعون سنة أيضا. قال : وكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل ، ثم يدخل من فيه ويخرج من دُبره ويقول : لستَ شيئا ولشيء ما خُلقتَ ، ولئن سلّطتُ عليك لأهلكنّك ، ولئن سلّطت عليّ لأعصينّك . ونفخ فيه الروح على ما تقدّم آخر ساعات الجمعة وهو اليوم السّادس من أوّل أيّام الخلق ، وكان السّادس من نيسان . فجعل ما يجري الروح في شيء من جسمه إلّا صار لحمًا ودمًا ، ثم عطس فقالت له الملائكة : قل الحمد لله ، فقالها ، فقال الله تعالى : يرحمك ربّك يا آدم . فلمّا دخل الروح في عينيه رأى ثمار الجنّة ، فلمّا دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب يريدها قبل أن يبلغ الروح رجليه ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ : خُلِقَ الإنْسَانُ من عَجَلٍ[2] .

(30)

عن عليّ : ثمّ جعل الله آدم محرابًا وكعبة وبابًا وقبلة أسجد له الروحانيين الأبرار ، سجدوا إلّا أبليس ، فأوقع الله عزّ وجل عليه اللعنة وأخرجه من الجنّة وبقي في السّماء لم يهبط إلى الأرض ، فذلك قوله : فأخرجْ مِنْها ، إلى قوله : لأمْلأنَّ جهنّمَ مِنْكَ ومِمَّنْ تَبِعَكَ منْهُم أجمَعِينَ[1] . وعلمت الملائكة ما كان عنهم مستترًا .

(31)

ثمّ علّم الله سبحانه وتعالى آدم الأسماء كلّها . قال عبد الله ابن عبّاس : كلّها عمومًا . وقال وهب : أسماء ذرّيته . وقال آخرون : أسماء الملائكة . ثم

---

29 1) سورة الإنسان 1/76 ـ 2) سورة الأنبياء 37/21 .

30 1) راجع سورة ص 38/77ـ85 .

عرض الله سبحانه وتعالى أهل الأسماء على الملائكة ، فقال عزّ وجلّ : أنبئُوني بأسْماء هؤُلاء إنْ كُنتُمْ صادقين[1] . وكانوا يقولون لمّا أخذ في خلق آدم : ليخلق ربّنا ما يشاء فلن يخلق خلقًا إلّا كنّا أعلم منه ، فذلك قوله : إنْ كنتُمْ صادقين . ففزعوا إلى التوبة : قالوا سُبْحانك لا عِلْمَ لَنَا إلّا ما علّمتَنا إنّك أنت العليمُ الحكيمُ . ثمّ قال : قال يا آدم أنْبِئْهُمْ بأسْمائِهِمْ . الآية[2] .

القــول في خلــق حــوّاء عليهــا السّــلام .

(32)

ثمّ خُلقت حوّاء من آدم وأسكنها الجنّة . وأصحّ ما قيل في مدّة مقامها بها إلى أن أُهبطا ما تقدّم ذكره . قال : مكثا ثلاث ساعات وهو ربع يوم مائتان وخمسون سنة من أعوام الدنيا .

ويقال : مكثا فيها ستّة أيّام وأُهبطا في الجمعة الثّانية . تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنّ الله سبحانه وتعالى خلق آدم يوم الجمعة وفيه أهبط إلى الأرض وأخرجه من الجنّة يوم الجمعة وتاب عليه يوم الجمعة وقبضه يوم الجمعة . وقال بعضهم : أُخرج آدم من الجنّة في الساعة العاشرة أو التّاسعة . والمعروف ما تقدّم أوّلا ، كما أنّ بعضهم قد ذكر أنّه خُلق لساعتين مضتا من يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ، والصحيح ما تقدّم .

(33)

وأهبط الله آدم قبل غروب الشّمس من اليوم الذي خلقه فيه بالهند على جبل يقال له واسم[1] عند وادٍ يقال له بهيل[2] بين الدَهنَج والمَنْدَل ، وهو بشرقي

---

31 1) سورة البقرة 31/2 ـ 2) سورة البقرة 32/2ـ33 .

33 1) هكذا في تاريخ الطبري ، وفي المخطوطات : واشم ـ 2) من الطبري ، في المخطوطات : سهيل ـ

أرض الهند ، وقيل على جبل يقال له يرد[3] ، وقيل بِسَرَنْدِيب على جبل الرهون منها ، وعليه الورق الذي خصفه ، فيبس فذرّته الريح في بلاد الهند ، فعلّة كون الطيب في بلاد الهند من ذلك الورق ، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما مثله . وأُهبطت حوّاء بجدّة والحيّة بإصبهان ، وقيل بالبريّة ، وإبليس بساحل بحر الأُبلّة بميسان . قال أبو جعفر : وهذا لا نعلم صحّته . وأمّا هبوط آدم بأرض الهند فذلك ما لا يدفع (صحّته علماء الإسلام)[4] وأهل التوراة وأهل الإنجيل .

(34)

وإنّ آدم لمّا أهبطه من الجنّة أخرج معه ثلاثين قضيبا مودعة أصناف الثمار ، منها عشرة لها قشر وهي : الجوز واللوز والجلوز والفستق والخشخاش والشاهبلوط والبلّوط والرانج ــ وهو جوز الهند ــ والموز والرّمان ، وعشرة ذوات نوى وهي : الخوخ والمشمش والإجاص والرطب والغُبيراء والنبق والزُعْرور والعنّاب والمُقْل والقراسيا ، ومنها ما لا قشر له ولا حجاب ولا نوى وهي : التُفّاح والسفرْجل والعنب والكمّثرى والتّين والتوت والأترج والقثاء والخيار والبطيخ ، مثله إلّا أنّه ذكر مكان المقل الشّاهلوك[1] وهو العنيقد ، ومكان القثاء الخرنوب . وأمّا المقل فإنه يثمر بالهند ثمرا طيبا يُستعمل ولا يكاد يثمر في غيرها ، وله شجر يشبه النخل .

(35)

ثمّ جاء آدم عليه السلام في طلب حوّاء فتعارفا بعرفات ، فبذلك سُمّيت . وازدلفت حوّاء بالمزدلفة ، فسمّيت بذلك أيضا .

---

33 3) الطبري : يرد . 4) ل ن : علماء الإسلام فيه ، والتصحيح عن الطبري .

34 1) الطبري 128/1 : الشاهلوج .

(36)

ق : طوى الله له الأرض وقبض المفاوز ، فلم يضع آدم قدمه في موضع إلّا صار عمْرانًا ، حتّى وصل إلى مكّة ، كان موضع قدميه قرية وخطوته مفازة .

(37)

وعن عطاء وابن عباس رضي الله عنهم أنّ آدم لمّا أهبط كان يمسح رأسه السّماء . (ابن عبّاس : فمن ثمّ صلع وأورث ولده الصّلع)[1] ، ومن طوله نفرت دوابّ الأرض ، فصارت وحشية من يومئذ ، ثم اتّفقا فخفضه الله عزّ وجلّ حتّى حطّ طوله إلى ستين ذراعا ، صحّ عن النبي ﷺ . فقال : يا ربّ كنت أسمع أصوات الملائكة يُسبّحونك وأجد ريح الجنّة وطيبها وكنت آنس بذلك ، فقد ذهب ذاك عنّي . فأجابه الله سبحانه : يا آدم لمعصيتك فعلتُ بك ذلك . وأوحى الله إليه : إنّ لي حرما بحيال عرشي ، فانطلقْ فابنِ فيه بيتًا تحفّ به كما رأيت الملائكة يحفّون بعرشي ، فهناك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي . فقال آدم : يا ربّ وكيف لي بذلك ؟ فقيّض الله له ملكًا فانطلق به نحو مكّة . وكان آدم إذا مرّ بروضة أو مكان يعجبه سأل[2] الملك أن ينزل به حتّى أتى مكّة ، فصار كلّ مكان نزل به عمرانًا ، وكلّ مكان تعدّاه مفازة . فبنَى البيت من خمسة أجبل : من طور سينا وطور زيْتا ولبنان والجودي وبني قواعده من حراء . ثم أراه الملك المناسك كلّها . ثم ذكر أيضا أن شيتا بنى الكعبة بالحجارة والطين ، وأنّه كانت هناك خيمة لآدم وضعها الله له من الجنّة لمّا اشتدّ جزعه على مفارقتها ، وأنّ تلك القبّة لم تزل في الكعبة حتّى رفعها الله سبحانه وتعالى حين أرسل الطوفان .

---

37 1) من ل ـ 2) ل ن : فسأل .

(38)

وكان آدم قد أنزل معه الحجر الأسود وكان درّة بيضاء ـ وقال ابن عبّاس : ياقوتة بيضاء ـ وعصا موسى وكانت من آس الجنّة طولها عشرة أذرع على طول موسى . ثم أنزل الله عليه العلاة[1] والمطرقة . وكان أوّل شيء ضربه آدم المُدْية ، ثم ضرب التنّور وهو الذي ورثه نوح عليه السلام ، ففار بالعذاب بالهند ، وغزلت حوّاء الصوف والشعر من الثمانية أزواج التي أنزلها آدم من الجنّة وحاكته بيدها ، حاكه آدم فاكتسيا .

(39)

وبقي آدم وحوّاء يبكيان على ما فاتهما من نعيم الجنّة مائتي سنة ولم يقرب حوّاء مائة سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يومًا ،ولم يزل يسائل الله قبول توبته وأن يرجعه إلى الجنّة حتّى أجابه ، فذلك قوله تعالى : فَتَلَقَّى آدم مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ[1] . قال جماعة قوله : رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا الآية[2] .

(40)

واستطعم آدم ربّه ، فبعث إليه مع جبريل بسبع حبّات من حنطة وزن الحبّة مائة ألف درهم وثمانمائة درهم وأراه كيف يبذرها . وقيل إنّ آدم أهبطها مع نفسه من الجنّة . فلما بلغ الزرع أتاه أمر الله فدرسه . ثمّ أذراه وطحنه ، ثم أمره بعجنه وأراه جبريل كيف يوري النار فطبخه . فلم يبلغ ذلك حتّى بلغه الجهد ما شاء الله أن يبلغ . فذلك قوله عزّ وجلّ : فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ

---

38 1) ل ن : الصلاق (؟) والتصحيح عن الطبري.

39 1) سورة البقرة 37/2 ـ 2) سورة الأعراف 23/7 .

فتشقّى[1] . ومسح الله ظهر آدم بنعمان من عرفة ، فأخرج ذرّيّته فنشرهم بين يديه كالذرّ ، فأخذ مواثيقهم كما تكرّر في التفسير .

القول في كيفيّة تصوّر الجنين[1]

(41)

ذكر جالينوس في كتابه عن إبقراط الحكيم أنّ مقام المني مقام الفاعل والمفعول به في تصوّر الجنين . وقال صاحب المنطق إنّ المني يغتذي دم الحيض قبل الحركة ، ثمّ يستحيل روحًا فيخرج من الرحم . وحكى جالينوس أيضا أنّه يجري إليه الدم الذي هو الطمث فينميه ويجذب إليه الروح من العروق والشريانات . وقد ذهب قوم إلى أنّ في الرحم قالبا يتصوّر فيه الجنين . والّذي يقضي على جميع هذا هو ما أخبر به الباري سبحانه وتعالى : هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلاهَ إِلّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ[2] . ولم يُخبر بكيفية ذلك بل استأثر بعلمه ، فهذا ممّا ينقطع علم العقول عنده .

(42)

وذكر أنّ له عزّ وجلّ ألف أمّة وعشرين أمّة بعدد الكواكب الثّابتة ، في البحر منها ستّمائة وباقيها في البرّ أحسنها كلّها صورة وأجلّها خلقًا وأتمّها اعتدالاً الإنسان خلقه الله عزّ وجلّ على صورة اسرافيل . وفي الحديث : لا تضربوا الوجوه فإنّها على صورة إسرافيل . ويقال إنّ في الإنسان من كلّ الخلق ، فلذلك سخّر له جميع الحيوان وأكل من جميع المأكولات وعمل بيده جميع الأعمال وأُلهم إلى جميع المنافع والمضارّ وعلم العلوم ، وإيّاه خاطب الباري عزّ وجلّ وهو المتعبّد من هذه الأمم وعليه وقع الأمر والنّهي .

---

40 1) سورة طه 117/20 .

41 1) ل : وقد تنازع الناس في كيفية تصوّر الجنين ـ 2) سورة آل عمران 6/3 .

[القول في ولد آدم عليه السّلام]

(43)

وكان آدم لا يولد له بطن إلّا توأمان ذكر وأنثى ، فخالف بينهم في المناكح حتّى ولد له ابنان يقال لأحدهما قابيل وللآخر هابيل ـ والصحيح قايين[1] . س : وقد ذكر[2] علي ابن الجهم ذلك في قصيدته في بدء الخلق [رجز] :

وَاقْتَنَيا الأبْنَ فَسُمّي قاينا ... وَعَايَنَا مِن أمْرِهِ[3] ما عاينَا
فَشَبَّ هابيل وشبّ[4] قاينُ ... ولم يكُنْ بينَهُمَا تَبايُنُ

فزوّج[5] أخت قايين هابيل وأخت هابيل قاين ، وتلك كانت شيمة آدم احتياطًا (لأقصى ما يمكنه في ذوي المحارم لموضع الاضطرار وعجز النسل عن التباين والاغتراب)[6] . وقد زعمت المجوس أنّ آدم لم يخالف في النكاح بين البطون ولم يتّخذ[7] المخالفة ، ولهم في هذا سرّ يدّعون فيه الفضل [في صلاح الحال في تزويج الأخ من أخته والأمّ من ابنها][8] ، قد ذكرته في كتابنا الموسوم بأخبار الزمان . فأبى قابيل أن يتزوّج أخت هابيل لأنّها كانت أخته أجمل من أخت هابيل وقال : أنا أحقّ بها . فقرّبا قربانًا إلى الله عزّ وجلّ أيّهما أحقّ بالجارية . فقرّب هابيل شاة سمينة وكان صاحب ماشية ، وقرّب قابيل حزمة سنبل وكان صاحب زرع ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ، ففركها وأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل . ق : وذلك بمِنًى . فغضب قايين وقال : لأقتُلَنّك . فكان من أمرهما ما نصّه الله تعالى ، فاغتاله قايين في بريّة بلاد دمشق من أرض الشام وقتله شدخًا بحجر . ويقال إنّ الوحش هناك استوحش من الإنسان لأنّه بدأ بالشرّ والقتال . وكان من أمر الغراب في المواراة ما كان .

---

43 1) المسعودي 37 : قابن ـ 2) ل ن : وقد ذكر س ـ 3) المسعودي 49 : نشه ـ 4) شبّ : زيادة عن المسعودي 49 ـ 5) ل ن : فزوج ـ 6) من ل ـ 7) المسعودي 50 : يتحرّ ـ 8) من المسعودي 50 .

(44)

وفرّ قابيل بأخته إلى عدن من أرض اليمن ، وبلغ آدم ما صنع فوجد هابيل قتيلا وقد نشفت الأرض الدم ، فلعنها ومن أجل لعنته أنبتت الشوك .

(45)

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأوّل إنّ قابيل وتوأمته وُلدا لآدم في الجنّة ، فلم تجد حوّاء عليها السلام عليهما وصبًا ولا طلقًا ولم تر معهما دمًا . ثم أوّل ما ولدت بالأرض هابيل وتوأمته ، فوجدت ما تجده النساء . ويقوّي هذا ما أتى في الحديث عن ابن عبّاس ووهب وابن زيد وغيرهم أنّ الله عزّ وجلّ لمّا قال لآدم : يا آدم من أين أتيت ؟ قال : من قبل حوّاء . قال : عليّ أن أجعلها تحمل كرهًا وتضع كرهًا ، فقد كنت خلقتها تحمل يُسرًا وتضع يسرًا . قال صاحب هذه المقالة : ولذلك فاق حُسن أخت قابيل أخت هابيل .

(46)

ط : وقال قوم : لم تكن قصّة هذين الرجلين اللذين قتل أحدهما أخاه في عهد آدم ولا كانا لصلبه ، وإنّما كانا من بني إسرائيل . قالوا : لأنّ القربان لم يكن إلّا في بني إسرائيل . والصحيح ما قدمناه (لصحّة الحديث)[1] . عن عبد الله بن عبّاس قال : قال رسول الله ﷺ : ما من نفس مظلومة إلّا كان على ابن آدم كِفْل منها لأنّه أوّل مَن سَنّ القتل .

---

46 (1) من ل .

(47)

تكرّرت الأخبار[1] عن علي رضي الله عنه أنّ آدم عليه السلام بكى هابيل فقال [وافر] :

تغيّرت البلادُ (ومن عليها)[2] فوَجْهُ الأرْض مُغبّر قبيح
فقتل قابيل هابيل أخاه فوا أسفا على الوجه المليح
فما لي لا أجود بِسكْب دَمْعي وهابيلُ تَضَمَّنه الضريح
أرَى طولَ الحياة عليّ غمّاً ولا أنا من حياتي مُستَريح
أبا هابيل قد قُتلا جميعًا وصار الحيّ كالمْيت[3] الذّبيح
تغيَّر كلّ ذي طعْمٍ ولوْنٍ وَقَلَّ بشاشةُ الوجْه المليح

(48)

وأوحَى الله إلى آدم : إنّي مخرج منك نوري الذي أباهي به الأنوار ، وأجعله خاتم النّبيين الأبرار ، فتطهّر وقدّس وسبّح وأغش زوجتك على طهارة منها ، فإنّ وديعتي تنتقل منكما إلى الولد الكائن بينكما . فواقع آدم حوّاء فحملت لوقتها وتلألأ النّور في مخائلها ولمع من محاجرها حتّى إذا انتهى حملها وضعت شيتًا بعد خمس سنين من مقتل هابيل ولمائة سنة وثلاثين من مهبط آدم . وقال في خبر شيت : لمائتي سنة وخمس وثلاثين .

(49)

ومعنى شيت هبة الله خلفًا من هابيل ، كذلك قال أهل التوراة وذكروا أنّه وُلد فردًا بغير توأم ، لم يولد لآدم فرد سواه . قال : وهو بالعبرانية شيت وبالعربية شثّ وبالسريانية شاة . وانتقل النّور من حوّاء إليه حتى لمع من

---

47 1) ب : الأحاديث ــ 2) من ن ــ 3) ن ب : بالميّت .

أسارير جبهته وبسق[1] في طلعته وغُرّته حتّى إذا ترعرع وأيفع[2] كان كأسرى[3] الناس وأحسنهم صورة وأتمّهم وقارًا وأكملهم هيئة مُجلّلاً بالنّور والهيبة مُوشّحًا بالجلال والأبّهة ، وكان أشبه ولد آدم بآدم ، ثمّ أشبههم به بعده يوسف . فعهد إليه آدم وعرّفه بمحلّ ما استودعه وأعلمه لأنّه حجّة الله بعده ، وأنّه الخليفة في الأرض والمؤدّي حق الله ، فاحتقب[4] شيث تلك الوظيفة واحتفظ بمكنونها .

(50)

وذكر ابن إسحاق أنّ جميع ما ولدته حوّاء لآدم أربعون بطنًا ، وقد عدّ من أسماء ذكرانهم خمسة عشر اسمًا . وقالت طائفة إن حوّاء ولدت لآدم مائة وعشرين بطنا . قال : ويقال إنّ آدم مات عن أربعين ألفًا من ولده وولد ولده . وأنزل الله على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف العجم في إحدى وعشرين ورقة ، وهو أوّل كتاب كان في الدنيا أخذ الله عليه الألسنة كلّها . وإلى شيث تنتهي أنساب البشر باجماع.وانقرض سائر ولد آدم . قال : وقد قال غيره ذلك .

(51)

وأمر آدم بكتاب الصحف وعلم اللّغات كلّها التي تقرّ بها الجنّ والشياطين وحساب الأزمنة ومسير الكواكب ، وسأل ربّه أن يُريه مثال الدنيا وما يكون فيها من خير وشرّ إلى يوم القيامة ، فمثّلت له برّا وبحرًا ، فنظر إليها وإلى من يملكها ويسكنها من ولده ، وأوري صور الأنبياء وما يكون في العالم . ولمّا كثُر ولده بعثه الله إليهم بعد[1] سبعمائة سنة وسبعين سنة من مهبطه يأمرهم

---

49 1) ل ن : وسبق ـ 2) ل ن : أينع ـ 3) ل ن : كأسرّ ـ 4) ن : فاحتفت ، ل ب : فاختفت .

51 1) ن ب : في ـ

وينهاهم . ثمّ أمره الله عزّ وجل إذ أراد أن يتوفّاه [بأن] يجعل وصيّته الى شيت ويعلّمه جميع هذه العلوم المذكورة ، وأمره أن يرفع إليه مصحفه سرّ الملكوت الذي كان عنده ولا يمتحنه بعد شيت إلا إدريس ، فكانوا يتوارثونه مختومًا لا ينظرون فيه حتّى وصل إلى إدريس . ثمّ كانت الوصيّة من ولد شيت فيمن يأتي ذكره حتّى وصلت إلى إدريس صلوات الله عليهم ورضوانه .

وعمر آدم تسعمائة[2] سنة وثلاثون سنة .

القــول في وفــاة آدم عليــه الســلام

(52)

تكرّرت الروايات عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنّ الله تعالى لمّا فرغ من خلق آدم عليه السلام قبض له يديه وقال له : اختر . فقال : اخترتُ يمين ربّي عزّ وجلّ[1] وكلتا يديه يمين . ففتحها فإذا فيها صورته وصورة ذرّيته ، وإذا كلّ واحد مكتوب عنده أجله ، وإذا آدم كُتب له عمر ألف سنة ، وإذا قوم عليهم النّور . فقال آدم : يا ربّ من هؤلاء ؟ فقال الله سبحانه وتعالى : هؤلاء الأنبياء والرّسل ، وإذا فيهم رجل هو أضوؤهم نورًا ، ولم يُكتب له من العمر إلاّ أربعون سنة . فقال آدم : يا ربّ ما هذا ؟ قال : ذلك أجله الذي كتبته له . قال : يا ربّ انقصْ له من عمري ستّين سنة . قال رسول الله ﷺ : ثمّ أهبطه الله إلى الأرض ، فكان يعدّ أيّامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال آدم : عجلتَ عليّ يا ملك الموت ، وقد بقي من عمري ستّون سنة . قال : فقال له ملك الموت : قد سألتَ ربّك أن يكتبها لابنك داود . فقال : ما فعلتُ . فقال رسول الله ﷺ : (نسي آدم ونسيت ذريّته)[2] وجحد .فجحدوا . فيومئذ وضع الله الكتاب وأمر بالشهود ، وأكمل لآدم

---

51 2) ن : مائتي .

52 1) ن : جلّ جلاله ـ 2) ل ن : فنسي آدم وفنسيت ذرّيته.

ألف سنة ولداود مائة سنة . ويزعم أهل التوراة والإنجيل أنّ عمر آدم تسعمائة وثلاثون سنة ، وذلك ذكر حفص القرطي في تاريخه . وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما أنّ عمره كان تسعمائة وستًّا وثلاثين سنة .

(53)

قال ابن إسحاق إنّ آدم لمّا قبض كسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام . وذكر عن يحيى بن عبّاد عن أبيه أنّ الله بعث إليه كفنه وحنوطه من الجنّة . صحّ عن أُبَيّ أنّ الملائكة غسلته وكفنته وصلّى عليه جبريل والملائكة خلف جبريل وبنوه خلف الملائكة ثمّ دفنوه . وقال : هذه سنّتكم في موتاكم يا بني آدم . وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما أن شيثا قال لجبريل ﷺ : صلّ على آدم ، فقال له جبريل : تقدّم أنت فصلّ على أبيك وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة .

(54)

قال الطبري : ومات على الجودي الجبل الذي أُهبط عليه[1] يوم الجمعة لستّ خلون من نيسان في السّاعة الّتي خُلق فيها . وتنازع النّاس في قبره ، فمنهم من قال إنّه بمنًى ومنهم من رأى أنّه في كهف في جبل أبي قُبَيس في غار يعرف بغار الكنز ، وذكروا أنّ نوحًا أخرجه عند الطوفان ، ثم أعاده في مكانه . وقيل إنّه دفنه حين أخرجه من السفينة ببيت المقدس ، والله أعلم . وعاشت حوّاء بعده سنة ، ثمّ دُفنت معه في الغار المذكور .

---

54 1) ل : عليه نوح عليه السّلام .

شيت عليه السلام

(55)

لم يزل مقيمًا بمكّة يحجّ ويعتمر ، وجمع ما أنزل الله من الصحف وهي خمسون ، ولم يزل عاملا بما فيها ، وبنَى الكعبة بالحجارة والطين . قال ابن إسحاق : وتزوّج أخته حزورة فولدت له أنوش لمائة سنة وخمس وستّين من عمره ، وتوفّي شيت وقد بلغ تسعمائة واثنتي عشرة سنة . انتقل النُّور الذي ذكرناه إلى أنوش ، وقلّد سياسة الملك وتدبيره بعد أن مضى شيت لسبيله ولم يخلف بنين وبنات سوى أنوش . قال : وفي زمن أنوش قُتل قابيل بن آدم قاتِل أخيه هابيل . قال : ولقتلته خبر عجيب قد أوردناه في كتاب أخبار الزّمان . قال : وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الأوّل ، فكانت مدّته تسعمائة وستّين[1] سنة .

(56)

وذُكر أنّ قابيل لمّا هرب من أبيه إلى اليمن حين قتل أخاه أتاه إبليس فقال له : إنّ هابيل إنّما قُبل قربانه وأكلته النّار لأنّه كان يخدم النّار ويعبدها ، فانصب أنت أيضا نارا تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار ، فهو أوّل من نصب النار وعبدها . قال : وولد قابيل أوّل من ضرب الصّنج وولده أوّل من تجبّر . قال : ولم يمت آدم حتّى أظهروا المعاصي والفواحش ، ونهى آدم شيثًا وولده أن يناكحوهم . قال : ولم يتركوا عقبا إلّا قليلا ، فجهلت أنسابهم وانقطع ذكرهم ، ونسل النّاس اليوم من شيت ابن آدم ، وقال : جماعة من

---

55 (1) ل : تسع وخمسين، ن : تسع وستّين .

أهل الهند ممّن (يُقِرّ بآدم)[1] ينتسب إلى هذا الشعب من ولد قاين[2] ، وأرض هذا النوع أرض قِمار من الهند ، وإليهم يُضاف العود القماري .

(57)

وولد أنوش بن شيث قينان ، وإليه الوصيّة ونفرًا كثيرا . قال : فولد قينان مهلائيل ، فولد مهلائيل اليارد ، فولد اليارد خنوخ ـ وهو إدريس ـ بعد مائة سنة من عمره ، وكان عمر قينان تسعمائة سنة ، وتوفّي في تموز ، وكان عمر مهلائيل ثمانمائة سنة وخمسًا وثمانين سنة . والنسّابون من الفرس يزعمون أن مهلائيل هو أشيم[1] الذي ملك الأقاليم السبعة وأنّه أوّل من استخرج المعادن وأوّل من بنى المدائن ، بنى مدينة بابل[2] ومدينة السوس ومدينة الري ، وكان فاضلا محمودًا في سيره . ونزل الهند وتنقّل في البلاد ، ولمّا استوثق الأمر عقد على رأسه تاجًا وخطب خطبة ذكر فيها أنّه ورث الملك عن جدّه جيومرت ، وهو آدم عندهم . وذكروا أنّه قهر إبليس وجنوده ومنعهم من الاختلاط بالنّاس ، وكتب عليهم كتابًا في قرطاس أبيض أخذ عليهم فيه المواثيق ألّا يعرضوا لأحد من الإنس ، وأنّه قتل منهم جماعة من مَرَدتهم ومن الغيلان . وكان عمر يارد تسعمائة سنة وإحدى وستّين سنة ، وكانت وفاته في آذار . قال : وكان بين ولد قاين ويارد حروب قد ذكرناها في أخبار الزّمان .

إدريس عليـــه الســـــلام

(58)

قال المسعودي : الصّابئة تزعم أنّه هِرْمِس ، ومعنى هِرْمِس عطارد ، نبّأه الله عزّ وجلّ وأنزل عليه ثلاثين صحيفة . وهو أوّل من طرّز الطرز وخاط الثوب ،

---

56 1) ل ن : يقرب آدم ـ 2) ن : قابيل .

57 1) الطبري 168/1 : أوشهنج ـ 2) ل ن : تليل .

وأوّل من خطّ بالقلم بعد آدم ، وكان يعدّ عدّة خطوط ، وهو أوّل من جاهد في سبيل الله عزّ وجلّ ، وسبى ولد قاين لمّا دعاهم إلى الله فلم يجيبوه . وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، فتمّت الصحف يومئذ ثمانين صحيفة .

(59)

ولمّا ولد إدريس أتى إبليس محويل الملك في صورة روحاني له جناحان ، فأخبره أنّه ولد ليارد مولود يكون عدوّا للآلهة وسبب فسادها . فقال له الملك : أتقدر أن تهلكه ؟ قال : سأحرص على ذلك . فوكّل الله بإدريس ملائكة يحفظونه. وأوصى إليه أبوه ، ونبّأه الله بعد أربعين سنة من عمره . وذكر أنّه رُفع في حياة أبيه وأنّ أباه يارد عاش بعد رفع إدريس أربعمائة سنة وثلاثين سنة ، وتنبأ على عهد آدم وقد مضى من عمر آدم ستّمائة سنة واثنتان وعشرون سنة .

(60)

ق : عن وهب : كان إدريس طويلا ضخم البطن عريض الصّدر ، وكانت إحدى أذنيه أكبر من الأخرى ، وكان في جسده نُكتة بيضاء من غير برص ، وكان رقيق الصوت قريب الخُطى ، وسُمّيّ إدريسا لكثرة ما كان يدرس من كتب الله عزّ وجلّ . وقال : واستجاب له ألف إنسان ورُفع وهو ابن ثلاثمائة وخمس وستّين سنة . وقيل إنّ إدريسا أوّل من نظر في علم النجوم بعد آدم ، وانّ أزرائيل[1] الملك علّمه علم الفلك والكواكب وسعودها ونحوسها وصور البروج .

---

60 1) ل ن : زرائيل .

(61)

وفي التوراة أنّ إدريسا أحسن خدّام الله تعالى ، فرفعه الله إليه . ولمّا رأى إدريس انهماك ولد قابيل في المعاصي سأل الله تعالى أن يرفعه إليه ويطهّره من خطاياهم ، فأجابه الله إلى ذلك ، وأوحى إليه أن يلازم الهيكل أربعين يومًا هو وشيعته ، وكانوا سبعين حبرا . فاغتسلوا ودخلوا هيكل الله المنصوب وقدّسوا الله فيه أربعين يومًا . وأوحى الله إليه أن اجعل الوصيّة في متوشلخ ، فإنّي مخرج من ظهره نبيًّا أرضى فعله . فلمّا رفع إدريس حزن عليه بنو آدم الحنفاء حزنًا شديدًا ، وكثر الاختلاف والتنازع ، وأشاع إبليس أنّه أراد الصعود إلى الفلك فاحترق . وسرّ بعده محويل الملك وأظهر أنّ صنمهم الأكبر أهلكه فزادوا في عبادتها والتقرّب إليها ، ولزم متوشلخ الهيكل مع بني أبيه والأحبار السبعين .

(62)

فولد إدريس متوشلخ ، وولد متوشلخ لامك ـ وأهل الإنجيل يقولون لامن ـ وإليه الوصيّة . وولد للامك نوح ، أمّه قينوش من ذريّة قابيل بن آدم القاتل ، وذلك بعد وفاة آدم بمائة سنة وستّ وعشرين سنة . وروي عن جماعة من السلف أنّه كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلّهم على ملّة الحقّ ، وأنّ[1] الكفر إنّما حدث في القرن الذي فيه نوح وأنّه أوّل نبيّ بُعث إلى الكفّار .

(63)

قال الوصيفي[1] : وقد اختلف الناس في المدّة التي كانت بين آدم ونوح ، فقال أصحاب التواريخ[2] ألفا سنة وعشر ، وقال بعضهم ألف سنة وسبعمائة

---

62 1) ن: وإنّما .

63 1) ل ن : الوصفي ـ 2) ن : التاريخ .

سنة وكسر ، وقال المصريّون ثمانية عشر ألف سنة ، لأنّ الطوفان كان وقلب الأسد في أوّل درجة من السرطان ، ومقامه في كلّ برج ستّة آلاف سنة وهي ثلاثة بروج . صحّ وصفا .

القـول في نـوح عليـه السـلام

(64)

ذكر أنّه بُعث بعهد بيوراسب ، وتقدّم في خبر إدريس أنّه كان وقع إليه كلام من كلام[1] آدم فاتّخذه سحرًا في ذلك الزمان . فكان إذا أراد شيئا من جميع مملكته أو أعجبته امرأة أو غير ذلك نفخ قصبة كانت له من ذهب ، وكان يجيء إليه بنفخته كلّ شيء يريد ، فمن ثمّ تنفخ اليهود . وكان قومه أهل أوثان . قال الله عزّ وجلّ حكاية عنهم : وقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا ولا سُوَاعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ الآية[2] .

وروي عن عبد الله بن عبّاس أنّ الله بعثه إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوّته مائة وعشرين سنة ، وركب السفينة وهو ابن ستّمائة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين ، فذلك ألف إلّا خمسون عامًا . وقال وهب كذلك إنّه بعث ابن خمسين ، فدعا قومه إلى أن بلغ ستّمائة . عن ابن عبّاس أنّه بُعث ابن أربعين ، فمكث فيهم ألف سنة إلّا خمسين عامًا ، ثم كان الطوفان ، وعاش بعد ذلك مائة سنة . وقيل : عاش بعد الطوفان ستّين سنة ، فذلك ألف وخمسون . قال وهب : وعمر نوح ألف سنة لأنّه بُعث ابن خمسين وأقام فيهم ألفًا إلا خمسين . وقالت طائفة إنّ عمره كان ألفًا ومائتي وخمسين سنة ، فلم يُجبه قومه .

---

64 1) سقطت من ن ـ 2) سورة نوح 23/71 .

(65)

قال ابن إسحاق : كان لا يأتي منهم قرن إلّا أشدّ من الذي قبله ، وكانوا يقولون : قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونًا . وكانوا يبطشون به ويخنقونه حتّى يغشى عليه . فإذا أفاق قال : اللّهمّ اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون ، حتّى يئس منهم وعظم طغيانهم ، فشكاهم إلى ربّه ودعا عليهم بقوله : ربّ إنهم عَصَوْني واتّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْه مالُهُ وَوَلَدُهُ إلّا خسارًا الآية[1] . وبقوله : ربّ لا تَذَرْ علَى الأرْضِ مِنَ الكافرين ديّارا[2] .

(66)

فأوحى الله سبحانه إليه أن اصنع الفلك بأعيننا . قال عبد الله بن عبّاس : وقد كان الله أمره بغرس شجرة ، فغرسها وبقيت أربعين سنة فعظمت وتناهت ، ثم أمره بقطعها ، فاتّخذ منها السّفينة . وزعم أهل التوراة أنه أمره أن يتّخذها من خشب السّاج وأن يجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلاثين ذراعا ، وأن يجعلها ثلاث أطباق وبابها في عرضها . صحّ عن ابن عبّاس . د : وقال الحسن : طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتا ذراع وعرضها ستّمائة ذراع . وقال القرظي في كتاب الديوان إنّه أنشأها في مائة سنة . (وقال غيره)[1] وأقامت بعد فراغها على البرّ سبعة أشهر . وقيل أنّه لم يدر كيف يصنعها ، فأتاه جبريل فأمره أن يصنعها مثل صدر الدجاجة . فلمّا فار التنّور بالهند ، وهو تنور من حجارة كان لحوّاء ، قاله ابن عبّاس ، وقد تقدّم غير ذلك ، وقيل : فار بناحية الكوفة ، رواه ليث بن مجاهد . وكان الشعبي يحلف بالله : ما فار التنور إلّا من ناحية الكوفة .

---

65 1) سورة نوح 21/71 ـ 2) سورة نوح 26/71 .

66 1) عن ل .

(67)

وأدخل نوح في السفينة من أمره الله بإدخاله وما أمره من الأزواج ، وأدخل التابوت الذي كان فيه آدم . ق : وكان من خشب الشمشار . وقال غيره : حملته الملائكة وكان بتهامة . فأدخل مع نفسه ثمانين نفسا ، روي ذلك عن ابن عبّاس رضي الله عنهما . وقال ابن جريج إنّه أدخل بنيه الثلاثة وكنائنه الثلاث وامرأته ، فكانوا ثمانية نفر . عن ابن إسحاق : وكانوا عشرة نفر . عن وهب مثله . أدخل بنيه ونساءهم وأربعين رجلا وأربعين امرأة . وكذلك روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما . قال الوصيفي[1] انّه كان معه في السفينة ستّمائة رجل سوى ولده . وقال قوم إنّهم أعقبوا ، وقال قوم : لم يعقبوا إلّا ولد نوح . قال ابن الكلبي إنّه حمل معه في السفينة امرأته وبنيه الثلاثة ونساءهم ثمانية نفر واثنين وسبعين سواهم . قال غيره : كلّهم من ولد إدريس إلّا فيلمون كاهن مصر ، فإنّ ملك مصر كان أنفذه إلى الدرمشيل ليحاجّ نوحًا في عبادة الأصنام ، فآمن بنوح . وأدخل من كلّ زوجين اثنين .

(68)

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : أوّل ما حمل الدرّة[1] وآخر ما حمل الحمار ، فلمّا دخل الحمار تعلّق إبليس بذنبه فلم تستقلّ رجلاه ، وجعل نوح يقول : ويحك ادخل . فلا يستطيع حتّى جزم نوح وقال : أُدخل وإن كان الشيطان معك ، كلمة زلّت عن لسانه . فلمّا راح نوح في السفينة قال له : مَن أدخلك عليّ يا عدوّ الله ؟ قال : ألم تقل كذا وكذا ؟

---

67 1) ل ن : الوصفي .

68 1) الطبري 184/1 : الـذرّة .

(69)

وأمر الله أن يُدخل معه قوت سنة ، وجعل تابوت آدم حاجزًا بين الرجال والنساء . وكان ركوبهم في السفينة لسبع عشرة خلون من آذار . عن وهب : لعشر خلون من رجب على رأس ستمائة سنة من عمر نوح . ثمّ أرسل الله الماء أربعين يومًا بلياليها ، وتحرّكت ينابيع الغوط حتّى طبّق الماء الأرض وارتفع على أعلى جبالها خمس عشرة ذراعا . ثم حمل الماء الفلك وجعلت تجري بهم في موج كالجبال وسارت بهم الأرض كلّها ، وطافت بالحرم أسبوعا ولم تدخله ، ورُفع البيت المعمور على أبي قُبيس ، وهو الذي بناه آدم ، فبقيت في الماء مائة وخمسين يوما باتّفاق من أكثرهم ، واستقلّت يوم عاشوراء من المحرّم ، فصام نوح وأمر من معه من الإنس والوحش والدوابّ ، فصاموا شكرًا لله عزّ وجلّ .

(70)

فكان بين الوقت الذي أرسل الله الطوفان إلى أن غاص الماء ستّة أشهر وعشرة أيّام . وذكر الوصيفي[1] : عشرة أشهر . وقيل : ثمانية أشهر .. وقيل : سنة . وكذلك روى ابن إسحاق عن ابن الكلبي أنّ نوحًا ركب السفينة لثلاث عشرة مضت من رمضان وخرج منها أوّل يوم من رمضان من قابل ، فذلك سنة إلّا ثلاثة عشر يوما . قال : وبقي الماء في أرض الحرم – وهي حِسْمَى – خمسا وأربعين سنة بعد أن غاض الماء من جميع الأرض من المحبّر ، ولم يبق على الأرض شيء من الحيوان ولا الشجر إلّا ما حمل في السفينة . وأمّا العوج بن أعناق فيما يزعم أهل الكتاب فإنّ الطوفان لم يغرقه ولا بلغ ماؤه إلّا بعض جسده[2] .

---

70 1) ل ن : الوصفي – 2) ورد في النسخ بعد هذه الكلمة : فهذه البحار من بقايا ذلك الماء .

(71)

ذُكر أنّه ما أسرع من الأرض إلى بلع مائه كان ماؤه إذا احتفر عذبًا ، وما لم يُسرع إلى القبول أعقبه الله بماء ملح وسبخ ، (وانحدر من ذلك الماء إلى قعور من الأرض ، فمن ذلك البحار ، فهذه البحار من بقايا ذلك الماء أهلك به أمم)[1] . واستقلّت السفينة بالجودي ، وهو جبل بالخضيض[2] من أرض الموصل بينه وبين دجلة ثمانية فراسخ . قال : وموضع جنوح السفينة على رأس الجبل إلى هذه الغاية . وابتنوا في سفح الجبل مدينة سمّوها مرقة ثمانين بعددهم وقيل : بنوها بقردى فسمّوها ثمانين . قال : وهي تُعرف بذلك إلى وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

(72)

ووجّه نوح التّابوت الذي فيه جسد آدم عليه السلام إلى غار الكنز ، فجُعل فيه ، وقد تقدّم الاختلاف فيه .

وأوحى الله إلى نوح ألا يُعيد الطوفان أبدًا وأنّ قوسه الذي في السحاب أمان من ذلك . وتزعم المجوس أنّهم لا يعرفون الطوفان ويقولون إنّ الملك لم يزل فينا من عهد جيومرت ـ وهو آدم ، وبعضهم يقرّ بالطوفان ويزعم أنّه كان بإقليم بابل وأمّا هم وديارهم بالمشرق فلم يصل إليهم .

(73)

وكان نوح من أولي العزم من الرسل ، وكان طويلا جسيما أدم دقيق البشرة في رأسه طول عظيم العينين دقيق الساعدين والساقين كثير لحم الفخذين طويل اللحية .

---

71 1) من المسعودي ، وفي النسخ : والحديث من ذلك إلى ثغور من الأرض فمن ذلك البحار وهي بقية من هلك به من أمم ـ 2) ل ن : بالخضيين .

وهلك محويل الملك على رأس مائتي سنة من عمر نوح ، وملك بعده ابنه الدرمشيل ، فأعلى أمر الأصنام وشدّد في عبادتها ودعا الناس كافّة إليها ، ونال نوحًا بمكروه كثير وحبسه حتّى رأى في منامه رؤيا هالته ، فأمر بإرساله من السجن . وهو الذي أدركه الطوفان . ولمّا اتّصل بالدرمشيل أنّ نوحًا قد ركب السفينة وحمل فيها ما أمره الله عزّ وجلّ أقبل في عدّة من أصحابه ليحرقها عليهم . فلمّا أتاه قال : يا نوح أين الماء الذي يحمل سفينتك هذه ؟ قال : هو يأتيك في مقامك هذا . فقال : هذا أعجب أن تقول إنّه يكون في أرض ييْبس ماء غُمْر يحمل هذه السفينة ، فانْزل منها وإلّا أحرقكم أجمعين . فقال نوح : ويلك ، ما أشدّ اغترارك بالله ، فعجّل الإيمان واخلع الأنداد تسلم وترشد . فبينا هو في محاورته إذ أتاه من أخبره أن امرأته كانت تخبز في تنّورها فنبع الماء منه فقال : وما عسى أن يكون من ماء قد فار من تنّور ؟ فقال له نوح : إنّها علامة السخط وإنّ الأرض تخلخل فيأتي الماء من جميعها ، فحرّك فرسك فإنّ الماء سينبع من تحت قدميه . فأزال فرسه من موضعه ، فإذا الماء ينبع من موضع حوافره ، فعاد إلى موضع آخر فكان كذلك . وعادت رسله تُخبره أنّ الماء قد كثر وفار ، فرجع إلى داره ليأخذ أهله وولده ويتحصّن في المعاقل التي كان عملها لذلك ، فكانت الحجارة تنحطّ عليهم من رؤوس الجبال . وفتحت أبواب السماء بماء منهمر ، ويقال إنه كان ماء ذميمًا مُنتنًا ، فأهلك أهل الأرض إلّا من كان في السفينة والعوج[1] على ما تقدّم .

---

74 1) ل ن : الأعوج .

خبر عوج بن أغناق

(75)

قال[1] : وزعم أنّه إذا قام صارت السحاب له مترزًا . وقال غيره : عوج بن عناق . وذكر في بعض أهل الأخبار[2] أنّ حوّاء ولدت لآدم عناقًا مفردة بغير ذكر مشوّهة الخلق ، لها رأسان ولها في كلّ يد عشر أصابع لكلّ إصبع ظفران مثل المنجلين الحادّين ، وذكرها عليّ رضي الله عنه وقال : هي أوّل من بغى وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي واستخدمت الشياطين وصرّفتهم في وجوه من السحر . وكان الله عزّ وجلّ قد أنزل على آدم عوذا وأسماء تطيعها الشياطين ويملكون بها على ما تقدّم ، فعلّقها على حوّاء لتكون لها حرزا . وكانت حوّاء تصونها ، فاستغفلتها عناق وهي نائمة ، فأخذتها واستجلبت الشياطين بتلك الأسماء وعملت السحر وجاهرت بالمعاصي وأضلّت كثيرا من ولد آدم . وولدت عوجًا الجبّار ، فدعا عليها آدم فأمنت حواء ، فأرسل الله إليها أسدًا عظيما من الفيل فرّق أعضاءها وأراح الله منها .

(76)

وعمّر عوج إلى زمان فرعون ولم يغرقه الطوفان ولا بلغ ماؤه إلّا بعض جسده ، وطلب السفينة ليغرقها وقطع صخرة على قدر عسكر موسى وكان فيه أكثر من مائتي ألف ليطرحها عليهم ، فأرسل الله عليه طيرًا فنقر تلك الصخرة فنزلت من رأسه إلى عنقه ومنعته الحركة . وأمر الله عزّ وجلّ موسى بقتله ، فوثب موسى وكانت وثبته عشرة أذرع وطوله مثل ذلك وطول عصاه مثل ذلك أيضا ، ولم يلحق إلا عرقوبه ، فقتله وأقام جسرًا على النيل يعبر الناس والدوابّ عليه مدّة طويلة . وفي حديث آخر أنّهم جرّوه بألف عجلة وألفي ثور

---

75 1) ل : وقال الخليل عوج بن عوق ـ 2) ن : بعض الأخبار .

في كل يوم نصف ميل إلى أن طرحوه في بحر القلزم . وقيل : بل قطموه قطعًا وجرّوه إلى البحر . وقيل : تُرك بموضعه وأردم عليه بالصخر والرمل ، فكان كالجبل العظيم في صحراء مصر .

القول في ذرّية نوح عليه السلام

(77)

قال بعض أهل التوراة : لم يكن التناسل ولا وُلد لنوح ولدٌ إلّا بعد الطوفان ، وإنّما كان معه في الفلك قوم آمنوا به إلّا أنّهم بادوا فلم يبق عقب . وقال بعضهم : كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلك أحدهما كنعان ، (وهو الذي غرق في الطوفان)[1] ، والآخر عاش ومات قبل الطوفان . وروي عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما قال : ولد نوح الذي غرق كنعان والعرب تُسمّيه يام . ق : المختلف عن نوح الذي قال له : (يا بُنيّ)[2] اركب معنا ، لم أر له في التوراة ذكرًا . يقال له اسمه يام والعرب تقول إنّما هو عمّنا يام .

(78)

[ذكر بيوراسب][1] وتسمّيه العرب أيضا الضحّاك ، وهو ذو الأفواه ، والعجم تدّعي الضحّاك ، واليمن تدّعيه وتنسبه غير هذه النسبة وتزعم أنّه [الضحّاك بن][1] علوان بن عبيد بن عويج وأنّه ملك ألف سنة وملك الأرض كلّها . وإيّاه يعني أبو نواس بقوله [منسرح] :

---

77 1) سقطت من ل ـ 2) سقطت من ن .

78 1) من الطبري 194/1 ـ

وكان مِنّا الضحّاك يَعْبُدُه   الـخابِلُ والجنّ في مَسارِبها[2]

وإيّاه عني حبيب بقوله [رجز] :

ما نالَ ما قَدْ نال فِرْعَوْنُ ولا   هامانُ في الدُّنْيا ولا قارُون[3]

بل كانَ كالضحّاكِ في سَطْوَتِهِ   بالعالَمِينَ وأنتَ أفرِيدُون .

(79)

والفرس تُسمّيه الازدهاق وتنسبه نسبة أخرى . وهو أوّل من سنّ الصلب ووضع العشور . يقال إنّه خرج في منكبيه سِلْعتان كل واحدة منهما كرأس الثعبان . قال كثير من أهل الكتاب تتحرّكان تحت ثوبه إذا جاع أو غضب ، فكان يشتدّ وجعهما حتّى يطليهما بدماغ إنسان ، فكان يقتل لذلك رجلين كلّ يوم وكان يقسمها على الآفاق.. وزعموا أنّه نمرود صاحب إبراهيم ، وقد زعموا أنّه مقيّد مغلول ، (وقد زعموا أنّه بيوراسب الملك الفارسي ، هذا قول الفرس ، وأنّه ملك الأقاليم السبعة ، وزعموا أنّه مقيّد مغلول)[1] في جبل دُنْباوَنْد[2] بين الري وطبرستان ، واتّخذوا اليوم الذي قُيِّد فيه عيد المهرجان ، قيّده أفريدون فقام عليه كابي[3] رجل من أهل إصبهان من أجل ابنين له قتلهما ، ودعا الناس إلى مجاهدته[4] ، فأسرعوا إليه ونهضوا إلى الضحّاك ، فألقى الله الرعب في قلبه وخلا عن منازله ، فافتتح الأعاجم ما أرادوا واجتمعوا إلى كابي[3] وسمّوه (درفش كابيان)[5] وتبرّكوا به ، فأعلمهم أنه لا يتعرّض للملك وأمرهم أن يملّكوا من بيت المملكة . وكان أفريدون (بن أثفيان)[6] مستخفيًا من الضحّاك فملّكوه .

78 2) ل ن : مخاربها ـ 3) عن الطبري 194/1 ، وفي النسخ :

ما نال قد نال من عدّة   فرعون أو هامان أو قارون .

79 1) من ل ـ 2) ل ن : دنباوقد ـ 3) ل ن : كاوبا ـ 4) ل ن : مجاهدتهما ـ 5) ل ن : درمس كاوبا ـ 6) من ل .

(80)

وهو أوّل من تسمّى بالكنية[1] ، [فقيل له][2] كي أفريدون ، (فقام عليه)[3] . وتفسير ذلك من التنزيه[4] والبهاء ، واتبع الضحّاك وأسره واتّخذوا ذلك اليوم عيدًا وسمّوه المهرجان ، وأصله بالفارسيّة مهرماه ، أي نفس الملك ذهبت . وأفريدون أوّل من ذلّل الفيلة وامتطاها ونتج البغال وعالج بالترياق . وقد زعم بعضهم أنّ الضحّاك كان في زمن نوح وإليه أرسل .

(81)

وروي عن النبي ﷺ في قوله تعالى : وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ[1] أنّهم سام وحام ويافث ، وبذلك تكرّرت الأخبار والآثار ، وهم لأمّ واحدة . وقيل : تزوّجها بعد خمسمائة سنة من عمره . وأصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح أن يغيّر الله نطفته ، فجاءت بالسودان . وقال أهل التوراة إنّ نوحًا (شرب وانتشى و)[2] تعرّى ، فأبصر حام عورته ، فأطلع على ذلك أخويه فأخذا رداء فألقياه على عواتقهما ومشيا على أعقابهما فواريا عورة أبيهما وهما مُدْبِران . فعلم بذلك أبوه نوح فقال : ملعون كنعان بني حام يكونون عبيدًا لأخويه ومبارك سام ويكثّر الله يافث .

(82)

أمّا سام فسكن وسط الأرض الحرم وما حوله إلى اليمن إلى حضرموت إلى عُمان

---

80 1) ل ن : بالكنية ، والتصحيح عن الطبري 213/1 ـ 2) عن الطبري 213/1 ـ 3) سقطت من ل ـ 4) ل ن : التنويه ، والتصحيح عن الطبري 213/1 .

81 1) سورة الصافات 77/37 ـ 2) من ل .

إلى البحرين إلى عالج ويبرين ووبار والدَّو[1] والدَّهناء . وعن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما : نزل بنو سام سرّة الأرض فيما بين ساتيدَما[2] إلى البحر وما بين اليمن إلى الشام ، وجعل الله عزّ وجلّ فيهم النبوّة والكتاب . وسام كان القيّم بعد نوح في الأرض ومن ولده الأنبياء كلّها عربيّها وعجميّها ، والعرب كلّها يمنيّها ونزارها .

(83)

فولد سام أرفخشد ، وهو أرفخشات ، وهو القائم بأمره بعده وإرَم وملما(؟) . فمن ولد أرفخشد قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد أبو[1] اليمن و[يقطن بن عابر بن شالخ هو أبو][2] جرهم بن يقطن بن عابر ، نزلوا مكّة وقطورا بنو عمّهم . وجرهم أخوال ولد إسماعيل ، وملكان بن أرفخشد من ولده الخضر عليه السلام .

(84)

ومن ولد إرَم عاد بن عُوص بن إرم ، ومنازلهم الأحقاف والرمل إلى حضرموت ، وثمود بن غابر بن إرم ، منازلهم الحجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ، وطَسْم وجَديس ابنا لاوِذ بن إرم نزلوا اليمامة وما حولها إلى البحرين ، واسم اليمامة إذ ذاك جو . أخوهما عمليق بن لاوِذ ، نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام . فطسم وجديس وعاد وثمود والعماليق ويعرب وجرهم هم العرب العاربة لأنّه لسانهم الذي جبلوا عليه . ويقولون لبني إسماعيل العرب المتعرّبة لأنّهم إنّما تكلّموا به حين سكنوا بين أظهرهم . ومن العماليق الجبابرة بالشام والفراعنة بمصر . وأهل تيماء وعمان منهم أمّة يسمّون جاسم[1] ، وكان ملك أهل الحجاز وتيماء منهم واسمه الأرقم .

---

82 1) ل ن : الدور ـ 2) ل ن : ساتيك ، والتصحيح عن الطبري 208/1 .

83 1) ل ن : بن ـ 2) عن المسعودي 71 وابن قتيبة 5/27 .

84 1) ل ن : داسم .

(85)

ومن ولد إرم أميم بن لاوذ بن إرم أخوهم نزلوا بأرض وبار ، وأجناس الفرس كلّهم من ولده . ومن إرم شقّ الكاهن الأوّل بن حويل بن إرم ، وهذا غير شقّ الأنماري . فأمّا ماش فنزل بابل ومنه النبط أجمعون ، وأرنيط بن ماش . وزعم قوم أنّ النبط من ولد كنعان بن حام . وولد ماش نمرود بن ماش صاحب الصّرْح ملك خمسمائة سنة وهو ملك النبط ، وفي زمانه فرّق الله الألسنة ، فجعل في سام تسعة عشر لسانًا وفي حام سبعة عشر لسانا وفي يافث ستّة وثلاثين لسانًا . وبنى الصّرْح بعد البلبلة وهو البناء الذي يسمّى المجدل ، وكان ارتفاعه خمسة آلاف ذراع ومائة وسبعين ذراعًا ، وكان أسفله أوسع من أعلاه ، وكانت فيه محاريب كثيرة من فائق الرخام مزيّنة بالذهب والجوهر وما لا يكاد سامعه يصدّق الخبر عنه . ويقال إنّه بناه بأرض فارس لأنّه بعد البلبلة استقلّ عن بابل إلى أرض فارس وفرض على الناس عبادة النّار . ويقال إنّ المجدل بُني في زمان غابر .

(86)

وذكر أنّ لاوذ ولد سام لصلبه . وذكر أنّه كان لسام ولد يسمّى آدم وذكر أنّه يُسمّى مالكا وأنّه حيّ ، وذلك أنّ سامًا دفن تابوت آدم في وسط الأرض ووكّل مالكا[1] بقبره ، فأوحى الله إليه أن الذي وكّلته بقبر آدم أُبقيه[2] إلى آخر الأبد .

(87)

فأمّا يافث بن نوح فمن ولده الصقالب وبرجان والأشبان أعجمية ، وكانت

---

86 1) المسعودي 72 : لكا ــ 2) ل ن : ألقيه .

الأشبان منازلهم أرض الروم قبل الروم . ومن ولده الترك والخزر وياجوج وماجوج .

(88)

وأمّا حام بن نوح فولد قوط بن حام ، فنزل الهند والسند وأهلها طرّا من ولده . وأهل الهند يقولون إنّهم من ولد سلا بن قوط ، وسلا أحد ملوك العالم المشهورين . وكنعان بن حام من ولده الجبابرة والكنعانيّون بالشام الذين قاتلهم موسى ويوشع بن نون ، ويقال إنّ فراعنة مصر منهم . وهؤلاء غير العمالقة ومنهم جالوت وكوش والنوبة والزنج والفزان والزغاوة والقبط والحبشة والبربر .

(89)

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنّه قال : ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب وفارس والروم وأهل الشام وأهل مصر ، ويافث أبو الخزر وياجوج وماجوج ، وحام أبو هذه الجبلة السوداء . وقال سعد بن المسيّب : ولد نوح ثلاثة وولد لكلّ واحد منهم ثلاثة : سام ولد العرب والفرس والروم وفي كلّ هؤلاء خير ، وحام ولد السودان والقبط والبربر ، ويافث ولد الترك والصقالبة وياجوج وماجوج وليس في واحد من هؤلاء خير .

(90)

وقال أهل الخبر إنّ الشيطان نزغ بين بني سام وبني حام فوقعت بينهم مناوشات وحروب كانت الدائرة فيها لسام وبنيه ، وكان من آخر[1] أمر حام أن هرب

---

90 1) سقط من ن .

إلى ناحية مصر وتفرّق بنوه ومضى على وجهه يريد المغرب حتّى انتهى إلى السوس الأقصى إلى موضع يعرف اليوم بأسفا ، وهو آخر مرسى تبلغه مراكب البحر من عين الأندلس إلى ناحية القبلة ، وليس بعده للمراكب مذهب . وخرج بنوه في أثره يطلبونه ، فكلّ طائفة من ولده بلغت موضعاً ، وانقطع عنهم خبره وأقامت بذلك الموضع وتناسلوا فيه . ووصلت إليه طائفة منهم فأقاموا معه وتناسلوا هناك . وكان عمر حام أربعمائة سنة.وإحدى وأربعين سنة ، وقال قوم : كان عمره سبعمائة سنة وسبعين سنة . ولمّا مات دفنه بنوه في صخر منقور في جبل أصيلة.

(91)

وقال الجيهاني : إنّما تفرّقت الألسنة حين ملكهم نمرود بن كنعان بن سخاريب بن نمرود بن كوش بن حام ، فردّهم عن الإسلام فأمسوا كلامهم السريانيّة وأصبحوا وليس منهم مخلوق يعرف بكلام صاحبه ، فتبلبلت ألسنتهم ففهّم الله تعالى العربية عادا وعبيل ابني أوص بن سام وعمليق وطسم وأميم وجاسم بني[1] لاوذ بن سام ، (هكذا ذُكر. قال الطبري)[2] : فافترقت لغة بني آدم على اثنين وسبعين لسانا ، لبني سام منها اثنان وثلاثون وسائرها لبني حام وبني يافث . قال : ونزل عبيل بموضع المدينة مدينة النبيّ ﷺ ، فأخرجت العماليق بني عبيل من المدينة وأنزلوهم موضع الجُحفة ، فأقبل سيل من الليل فاجتحفهم فألقاهم في البحر فسمّيت الجحفة . وقد احتمل السيل الحجاج بالجحفة سنة ثمانين من الهجرة ، ويقال إنّها عند ذلك سُمّيت الجحفة . فذهب كثير من الناس وأمتعتهم ورجالهم وذلك يوم الاثنين . وقال أبو السنابل : [رجز]

لم ترَ عيني يوم الاثنين أكثر محزونًا وأبكى للعين

91 1) ن : ابني ــ 2) ل : هكذا قال لطلب سام كما قال الطبري ــ

إذ هبّ السيل بأهل المصرين وأقبـل المخبّآت يسعين
حـواسرا في جـبـلين يـرقـلين[3]

(92)

ويقال أيضا إنّ النبط من ولد أرفخشد ، وإرم وملوك بابل من النبط ، وهم الذين عمّروا الأرض ومهّدوا البلاد ، وكانوا أشرف ملوك الأرض ، فأذلّهم[1] الدهر وصاروا إلى ما هم عليه من الذلّة في هذا الوقت كما شاهد مَن بالعراق وغيرها منهم . وقد ادّعى الكثير ممّن ذكرناهم أنّهم من العرب ، وأكثر أجناس العجم[2] يزعمون أنّهم عرب : فرقة من الروم تزعم أنّها من غسّان من آل جفنة ممّن دخل مع جبلة بن الأيهم الغسّاني أحد ملوكهم إلى بلاد الروم ، فإنّه دخل معه ثلاثون ألفا في عهد عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . وقوم منهم يزعمون أنّهم من اياد دخلوا بلاد الروم عند إجلاء أبرويز إيّاهم من أرض العراق في سبعين ألفا ، فنزلوا أنقرة . وقوم منهم يزعمون أنّهم من ولد قضاعة من تنوخ خرجوا من الشام مع هرقل ملك الروم لمّا غلبه المسلمون عليها . ونصارى الجزيرة يزعمون أنّهم من العرب فبعضهم يقول إنّه من ولد الحارث بن كعب بن مدحج ناقلة من الشام ، وبعضهم يقول إنّه من لخم رهط النعمان بن المنذر ، وكانوا كلّهم على دين النصرانيّة ، وبعضهم يقول إنه من آل عبّاد بن تميم رهط زيد العبادي ، وبعضهم يزعم أنّه من بني سليم . والديلم تزعم أنّها من بني قيلة بن أد بن طانجة . وذلك بأنّ سابل بن ضبّة نافر إخوته فسار إلى بلاد الديلم فأقام بها . والحدلجيّة خاصّة يزعمون أنّهم من حمير . وغيرهم من أجناس الترك يدّعي العرب ويسمّون أولادهم بأسماء العرب العاربة . والأكراد يزعمون أنّهم من قيس ثم من هوازن ، وهم

---

91 3) قارن بابن قتيبة 1/357 ـ 8 .

92 1) ل ن : فأدال منهم ، والتصحيح عن المسعودي 954 ـ 2) ل ن : العرب .

مقيمون على هذه الدعوة إلى هذه الغاية . والخزر يزعمون أنّهم من قريش ومن بني أميّة وأنّ الدولة العبّاسيّة لمّا ظهرت هرب قوم من بني أميّة فتناسلوا هنالك . والبربر كلّهم يزعمون أنّهم من العرب . وهوارة تزعم أنّها من عاملة ناقلة من الشام ، وزويلة تزعم أنّها من جرهم ، لمّا نالهم ما نالهم بمكّة هربوا فصاروا بزويلة . وقبط مصر من أهل الصعيد يزعمون أنّهم من ربيعة ثمّ من تغلب وأنّ قوما من تغلب انتجعوا بإبلهم أرض مصر لطلب الكلأ وهم على دين النصرانيّة ، فتزوّجوا القبطيات وتناسلوا هناك وهم التيمي من القبط . والحبشة الذين ببلاد النجاشي يزعمون أنّهم من اليمن ، فغلبت الحبشة على أرض اليمن في قديم الدهر وملكهم بها ومقامهم بها أربعين سنة حتّى صاهروا وصوهر إليهم .

1 هـود عليـه السـلام

(93)

عن وهب : هو ابن عبد الله بن رباح بن حارث بن عاد بن عوص بن إرم . ومنهم من يزعم أنّه هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشد : هذا قول أهل اليمن. لمّا وقعت العصبيّة بين يمن ومضر فتخرت مضر بأبيها إسماعيل ادّعت اليمن هود أنّه من ولد أرفخشد أبيها . وقال حبيب البصري : هو هود بن عبد الله بن الخلود أرسله الله إلى قومه عاد ، وهي عاد الأولى ، وكانوا ثلاث عشرة قبيلة ، وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . وذكر جماعة من أهل العناية أنّ الملك بعد نوح تأثّل في عاد الأولى قبل سائر الممالك ، وذلك قوله عزّ وجلّ : وَٱذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الخَلْقِ بَسْطَةً[1] . قال : كانوا في هيئة النخل طولا وكانوا في القوّة واتّصال الأعمار

---

93 1) سورة الأعراف 69/7 ـ

بحسب ذلك . قال وآثارهم بالشحر ومواضع مساكنهم تدلّ على عظم أجسامهم . قال : وكان عاد رجلا جبّارا يعبد القمر ، وتزوّج ألف امرأة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد وعاش ألفا ومائتي سنة . ثمّ ملك بعده ولده شداد بن عاد ، وهو الذي بني مدينة إرم ذات العماد ، وهذه عاد الثانية ، فقد قال الله تعالى في الأولى وبيّنها بقوله عزّ وجلّ:﴿وأنّه أهلك عادًا الأولى﴾[2]. وقال في هذه : ﴿ألمْ ترَ كيفَ فعَلَ ربُّكَ بِعادٍ إرَمَ ذاتِ العِمَادِ﴾؟[3]

(94)

ولشداد مسير في الأرض وحروب في البلاد ، ويقال إنّه تغلّب على سائر ملوك الأرض . قال : ويقال إنّ جيرون بن سعد حلّ دمشق فمصّر مصرها و(جمع عمد)[1] الرخام والمرمر إليها وشيّد بنيانها وسمّاها إرم ذات العماد ، وبقية هذا البنيان في هذا الوقت بدمشق يعرف بباب جيرون وهو بناء عظيم . وأكثرهم كان بالدّوّ[2] والدّهناء وعالج ويبرين ووبار إلى عُمان والشحر وحضرموت والأحقاف . قال الله عزّ وجلّ : ﴿واذكُرْ أخا عادٍ إذْ أنْذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقافِ﴾[3] . فلمّا سخط الله عليهم جعلها مفاوز وغيطانًا وكانت أخصب البلاد ، ولحق هود ومن اتّبعه بمكّة فلم يزالوا بها حتّى ماتوا .

(95)

د : ويقال إنّ قبر هود بحضرموت . وقال أبو الطفيل : سمعت عليًّا رضي الله عنه يقول لي : رأيت كثيبًا أحمر يخالطه مَدَرَة حمراء وآراك وسدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت ، هل رأيته ؟ قلت : نعم والله إنّك لنعتّ نعت رجل قال : ما رأيته ولكنّي حدثت عنه ، وفيه قبر هود عليه السلام

---

93 2) سورة النجم 50/53 ـ 3) سورة الفجر 89/6ـ7 .

94 1) ن : عمر ـ 2) ل ن : الدور ـ 3) سورة الأحقاف 21/46 .

عند رأسه سِدْر وسَلَم . وذكر ابن وهب عن ابن لهيعة أنّ رجلا من مهرة أتى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له : ممّن أنت ؟ قال له من مهرة. قال : وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ . وقال ابن لهيعة : قبر هود بمهرة .

(96)

وكانت عاد أصحاب أوثان وكانت لهم ثلاثة أصنام : صمّود وصدّاء والهبا[1] . قال الله عزّ وجلّ حكاية عنهم : قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وما نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ[2] . فحبس الله عنهم القطر ثلاث سنين ، فأوفدوا وفدًا ليستسقوا لهم بمكّة وهم قيل بن عتر[3] ولقيم بن هزّال ومرثد[4] بن سعد ــ وكان مسلمًا يكتم إسلامه ــ ولقمان بن عاد وجلهمة بن الخيبري[5] ابن خال معاوية بن بكر ، فبلغوا بأشياعهم سبعين . فلمّا قدموا مكّة نزلوا على معاوية بن بكر ، وهذه عاد الأخرى ، وكانوا أخواله وأصهاره ، فأكرمهم وأقاموا يشربون الخمر وتغنّيهم الجرادتان قينتان لمعاوية ، فمكثوا كذلك شهرًا . فلمّا رأى ذلك شقّ [ذلك][6] عليه وقال : هلك أصهاري وأخوالي وهؤلاء مقيمون وقد بعثوهم يتغوّثون لهم . واستحى أن يأمرهم بالخروج فيظنّون أنّه أضيق لمقامهم . فقالت له جارية من جواريه : قل شعرا نغنّيهم به لعلّه يحرّكهم ، فقال [وافر] :

ألا يا قيلُ ويحَكَ قُمْ فَهَيْنِم ... لعلَّ الله يصبحُنا غماما
فَيَسْقِي أرض عادٍ إنّ عادًا ... قَد أمسوا لا يُبينُون الكلاما
مِن الجهد الشّديد فليس يرجو ... به[7] الشيخَ الكبيرَ ولا الغُلاما
وأنتم هاهُنا فيما اشتهيتُم ... نَهاركم وليلكُم التّماما

---

96 1) عن الطبري 216/1 ، وفي النسخ : الحبا ــ 2) سورة هود 53/11 ــ 3) ن : عتد ــ 4) ن : مريد ــ 5) ن : الحنبن ــ 6) عن الطبري 220/1 ــ 7) ل ن : له ــ

فقبّح وفدكم من وفد قومٍ ولا لُقّوا التحية والسّلاما

فأجمعوا على الاستسقاء فقال لهم مرثد [8] : إنكم والله لا تُسقون بدعائكم ولكن إن اطعتموني سُقيتم ، آمنوا بهود واظهروا إسلامه . فقال له معاوية بن بكر حين سمع ذلك منه[وافر] :

أبا سَعْدٍ فإنك من قبيلٍ ذوي كرمٍ وأمك من ثمود
وإنّا لن نُطيعك ما بقينا ولسْنا فاعلين لما تُريد
أنترك دين آباء كِرام ذوي رأي ونتبع دين[9] هود

(97)

وقالوا لمعاوية : احبسْ عنّا مرثد بن سعد لا يخرج معنا ، فإنّه قد ترك دين آبائنا وديننا وخرج عنّا . وخرجوا يستسقون فقالوا : اللّهمّ إن كان هود صادقًا فاسقنا فإنّا قد هلكنا . فأنشأ الله لهم سحائب بيضاء وحمراء وسوداء ، ثمّ نادى منادٍ من السحاب : يا قَيْل اخترْ لنفسك . فقال : اخترتُ السحابة السوداء . فناداه منادٍ :

اخترت رمادًا أرمدا لا تبقي من عاد أحدا
لا والدا تترك ولا وَلَدا إلّا جعله الله همدا

وساق الله السحابة السوداء بالنقمة إلى عاد ، فلمّا رأوْها قَالُوا : هذا عارِضٌ مُمْطِرُنَا . قال الله عزّ وجلّ : بَلْ هُو ما اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ الآية[1] . سخّرها عَلَيْهِمْ سَبْعَ ليالٍ وثمانيةَ أيّامٍ حُسُومًا[2] ، أي دائمة ، ولم يصب هودا ومن اتّبعه منها إلّا ما تلين عليهم الجلود وتلذّ به الأنفس ، وإنّها لتمرّ من عاد بالظعينة بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة .

---

96 8) ن : مريد ـ 9) ل ن : رأي .

97 1) سورة الأحقاف 24/46 ـ 2) سورة الحاقة 7/69 .

(98)

وقال ابن إسحاق : لما سخرت الريح على عاد قال سبعة رهط منهم أحدهم الخَلَجان[1] : تعالوا نقوم على شفير الوادي فنردها . فجعلت الريح تردهم وتنسفهم حتّى تركتهم:صَرْعَى كأنّهُمْ أعجازُ نَخْلٍ خاوِيَةٍ[2] ، فلم يبق إلّا الخلجان[1] . فقال له هود : ويحك أسْلِمْ تَسلَمْ . قال : وما لي إن أسلمتُ ؟ قال : الجنّة . قال : فما هؤلاء الذين أراهم في السحاب كأنّهم البُخت ؟ قال : الملائكة . قال : فإن أسلمتُ يُعيذني[3] ربّك منهم ؟ قال : ويحك هل رأيت مِلكًا يعيذ من جنده ؟ قال : ولو فعل[4] ما رضيت . ثم جاءت الريح فألحقته بأصحابه . وفي سابعهم يقول الأوّل وهو النهبان بن الخليل [رجز] :

لو أنّ عادًا سمعت من هود ... ما أصبحت غامرة الجلود
هامدة الأجساد بالوهيد ... صرعَى على الأنف مع الخدود
ماذا جني الوفد على الوفود ... أحدوثة للأبد الأبيد

وقال مرثد بن سعد [وافر] :

عصتْ[5] عادٌ رَسُولَهم فأضحوا ... عِطاشًا لا تَبلُّهم السَّماءُ
ألا قَبَّح الإلاهُ حُلومَ عادٍ ... فإنّ قلوبهم قفْرٌ[6] هوَاءُ

(99)

ويقال إنّ الريح أُرسلت عليهم يوم الأربعاء ، فلم ترد الأخرى وعلى الأرض منهم حيّ . فلذلك كرهت الأربعاء . وروى عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن الحارث بن حسّان قال : مررت على عجوز بالرَّبذة وهي تبغي الصحابة إلى رسول الله ﷺ ، وأنا أريد رسول الله ﷺ ، فاحتملتُها . قال : فدخلت

---

98 1) عن الطبري 222/1 ، ل ن : الجلجال ـ 2) سورة الحاقة 7/69 ـ 3) : ينقذني ـ 4) ل ن : فعلت ـ 5) ن : عصيت ـ 6) عن الطبري 223/1 ، ل ن : قفر .

المسجد وهو غاص بالناس وإذا راية سوداء تخفق وبلال مقلّد السيف قائم بين يدي رسول الله ﷺ . قال : فلمّا دخل رسول الله ﷺ رحله أذن لي . قال : فدخلت المسجد فسلّمت فقال : هل كان بينكم وبين بني تميم شيء؟ قلت : نعم يا رسول الله كانت لنا الدائرة عليهم ، وقد مررت على عجوز منهم بالرَّبذة منقطَع عنها فقالت : إنّ لي إلى رسول الله ﷺ حاجة ، فاحتملتها وها هي بالبـاب . قال : فأذن لها رسول الله ﷺ فدخلت ، فلمّا قعدت قلت : يا رسول الله إن أردت أن تجعل الدَّهناء حاجزاً بيننا وبين بني تميم فافعل ، فإنّها قد كانت لنا . فاستوفزت العجوز وأخذتها الحمية فقالت : يا رسول الله بأين[1] تضطرّ مضر؟ قال : قلت : أنا والله يا رسول الله كما قال الأوّل معزًى حملتْ حتفها ، حملتُ هذه ولا أشعر أنّها كانت خصما ، وأعوذ بالله يا رسول الله أن أكون كوافد عاد . قال رسول الله ﷺ : وما وافد عاد ؟ قال : قلت : يا رسول الله على الخبير سقطت . فقال رسول الله ﷺ : إنّه يستطعم الحديث . فقلت : إنّ عادًا قحطوا فبعثوا وافدهم قيْل ، فنزل على معاوية بن بكر شهرًا يسقيه الخمر وتغنّيه الجرادتان . قال : ثمّ مضى حتّى أتى جبال مهْرة ، ثم قال : اللّهمّ تعلم أنّي لم آت لأسير فأفديه ولا لمريض فأداويه ، فاسق عاداً ما كنت تسقيه ، فمرّت به سحائب سود فنُودي منها أن تخيّر السحابة ، فقال : هذه السحابة السوداء فنودي منها أن خذها رمادًا رمدداً لا تدع من عاد أحدًا . قال : قلت : يا رسول الله والله لقد بلغني أنّه لم يرسل عليهم من الريح إلّا قدْرَ ما يجري في حلقة الخاتم . قال أبو وائل وكذلك بلغنا . ويقال إنّ قبر هود بمهرة على ما تقدّم .

(100)

قال د : ومن أعاجيب أرض عاد أنّ هناك منارة من نحاس عليها تمثال من نحاس ، فإذا كانت الأشهر الحرم سالت ماء في حياضهم .

---

99 (1) ن : فإنّ .

وروي أنه كان قبل لوفد عاد حين نشأت لهم السحاب : وقد اعطيتم مناكم فاختاروا لأنفسكم . فقال لقمان بن عاد : أعطني يا ربّ عمرًا . فقيل : لا سبيل إلى الخلد ، فاختر لنفسك بقاء سبع أيعار[1] عفر[2] في جبل وعر لا يرقى به إلّا القطر ،أو بقاء سبعة أنسر إذا مضى نسر خلّف نسرًا مكانه . فاختار النسور ، فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته حتّى إذا مات أخذ غيره ، وكان آخرها لُبَد ، ولُبَد بلسانهم الدهر ، فماتا جميعًا .

وكان هود أشبه ولد آدم بآدم ما خلا يوسف عليه السلام .

صالح عليه السلام

(101)

هو صالح بن عبيد من ذريّة ارم بن سام . وقال وهب بن منبّه : هو صالح بن عبيد بن جابر بن هود النبيّ عليه السلام بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وقد تقدّم من نسب هود غير هذا . قال وهب : بعثه الله إلى ثمود حين راهق الحلم ، وكان يمشي حافيا لا يتّخذ حذاء كما كان يمشي المسيح ابن مريم ، ولا يتّخذ مسكنًا ولا بيتًا ، ولا يزال مع ناقة ربّه حيثما توجّهت . وكانت منازل قومه بالحجر وبين الحجر وبين قرح ثمانية عشر ميلاً ، وقُرح هي وادي القُرى . وبيوتهم إلى وقتنا هذا مبنيّة منحوتة في الجبال ورممهم باقية وآثارهم بادية ، وهي بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي على طريق الحاجّ من الشام ، وهي في ناحية تبوك ، ومساكنهم على قدر مساكن أهل عصرنا هذا ، وهذا يدلّ على أنّ أجسامهم كانت كأجسامنا لا كأجسام عاد الأولى . وأوّل ملوكهم عابر بن إرم بن سام ، وثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح . وكانت أعمارهم[1] تطول فيبنون كلّ بناء فينهدم فاتّخذوا من الجبال بيوتًا فرهين .

---

100 1) عن الطبري 223/1 ، ل ن : أبقار ــ 2) ل ن : عفر .

101 1) ن : أجسامهم وأعمارهم .

(102)

وقالوا لصالح : فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ[1] . وكان القوم أصحاب إبلٍ . فقال له زعيم من زُعمائهم : إن كنت صادقًا فأظهر لنا من هذه الصخرة ناقة سوداء عشراء ذات عرق وشعر ووبر . فأتى بهم هضبة ، فلمّا رأته تمخّضت كما تمخض الحابل وانشقّت عن الناقة ، ثم تلاها سقبها في نحو صفتّها ، فآمن كثير منهم وآمن زعيمهم جندع بن عمرو ، فكان شربها يومًا وكان شربهم يومًا ، فإذا كان يوم شربها حلبوا لبنًا ، فلؤوا كلّ إناء ووعاء .

(103)

وعاقر الناقة أحمر ثمود وهو قُدار بن سالف ، وكان أحمر أشقر أزرق سُناطا[1] قصيرا ، والعاقر الآخر مِصْدع بن مِهْرج ، واستغويا تسعة من قومهم وهم الذين أخبر الله عنهم في كتابه أنّهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون . وكانت لهما صاحبتان أغوتاهما ـ عنيزة[2] وصدوق ـ بذلتا أنفسهما إن عقرا الناقة ، فأتوها فضرب قدار[3] عرقوبها بالسيف ، واِمتثل مِصْدع فعله في العرقوب الآخر واستهموا لحمها .

(104)

فلمّا عقرت خرجت ثمود تعتذر إلى صالح بأنّه عقرها فلان وفلان ولا ذنب لنا . فقال : انظروا هل تدركون فصيلها ، فعسى أن يرفع عنكم العذاب . ولمّا رأى الفصيل أمّه تضطرب صعد جبلا يقال له القارة[1] ، فأوحى الله

---

102 1) سورة الأعراف 70/7 .

103 1) عن ابن قتيبة 12/29 ، ل ن : شاطًا ـ 2) عن ابن قتيبة ، ل ن : غُبيرة ـ 3) ل ن : مقدار .

104 1) ل ن : الغمارة ـ

عزّ وجلّ إلى الجبل فطال في السماء حتّى ما تناله الطير ، وبكَى الفصيل حتّى سالت دموعه . ثمّ استقبل القوم فرغا ثلاثًا وقيل إنّه لحقه بعضهم فعقره فقال صالح : لكلّ رغوة أجل يوم تمتّعوا في داركم ثلاثة آيام ، ذلك وعد غير مكذوب . قال لهم : وآية ذلك أن تصبح وجوهكم مصفرّة وفي اليوم الثاني محمرّة وفي الثالث مسودّة . فلمّا رأوا صدق قوله في اليوم الأوّل همّ بعضهم بقتل صالح وقالوا : إن كان صادقا عاجلناه ، وإن كان كاذبًا جزيناه بكذبه. فأتوا ليلاً فحالت الملائكة بينهم وبينه ومنعه الله منهم . ثمّ لمّا رأوا صدق ما أنذرهم به في اليوم الثاني والثالث تحنّطوا في الثالث وتكفّنوا وصاحوا وضجّوا وبكوا وانتحبوا ، فجعلوا يقلّبون أبصارهم إلى السماء مرّة وإلى الأرض مرّة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب . فصبحهم في اليوم الرابع وهو يوم الأحد صيحة من السماء ، فتقطّعت قلوبهم في صدورهم ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين[2] . عقروا الناقة يوم الأربعاء وصبحهم العذاب نهار الأحد .

(105)

قال غيره : وخرج عنهم صالح بمن آمن معه ليلة الأحد ، فنزل موضع مدينة الرملة من بلاد فلسطين . وقال حباب [بن] عمرو ، وكان ممّن آمن مع صالح [بسيط] :

كانت ثمودُ ذَوي عزٍّ ومكرمة ما إنْ يُضام لها[1] في الناس من جار
فأهلكوا ناقةً كانت لِربّهم قد أنذروها وكانوا غير أبرار

(106)

وروي عن رسول الله ﷺ أنّ الله عزّ وجلّ أهلكهم بتلك الصيحة أجمعين إلّا رجلاً واحدًا وهو أبو رِغال ، كان في حرم الله فمنعه من العذاب . وقد نهى

---

104 2) ن : جاشمين .

105 1) المسعودي 936 : لهم .

رسول الله ﷺ أصحابه لمّا مرّ بهذه القرية أن يدخلوها وأن يشربوا من مائها وأراهم مُرتقَى الفصيل. قال ط : وأهل التوراة يزعمون أنّه لا ذِكر لعاد ولا لثمود ولا لصالح عندهم ، وأمرهم عند العرب في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم . ق : عن وهب : ولمّا رأى صالح أنّها دار قد سخط الله عليها ارتحل هو ومن معه ، فأهلّوا بالحجّ على قلايص حمر مخطّمة بحبال الليف حتّى وردوا مكّة ، فلم يزالوا بها حتّى ماتوا ، فقبورهم في غربيّ الكعبة بين دار الندوة والحجر.

إبراهيم عليه السلام

(107)

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن أسرغ بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح . قال : وكذلك في التوراة إلّا أنّه مكان أسرغ شاروغ . واختُلف في الموضع الذي ولد فيه ، فقيل بالسُّوس من أرض الأهواز ، وقيل بأرض بابل من أرض السَّواد ، سواد الكوفة . وقال بعضهم بكُوثا من السَّواد أيضا ، وفيها كان نمرود . وقال عامّة السلف : وُلد في عهد نمرود بن كوش المتقدّم الذكر ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ، وقال بعض أهل الكتاب : ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستّون سنة . وقال د : تسعمائة واثنتان وأربعون سنة . قال : وإنّما سُمّي أبو إبراهيم آزر النمرود لمّا صار قيّما على خزائنه . وقيل إنّ النمرود ملكه المشرق ، وقال مجاهد إنّ آزر ليس باسم أبيه وإنّما هو اسم صنم ، وقيل إنّه عيب عابه به معناه معوج .

(108)

ولمّا قرب أمر إبراهيم طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، فدعا المنجمين والكهنة فسألهم عن ذلك . وفي زمانه ظهر القول

بأحكام النجوم وكوّرت الأفلاك وعملت الآلات وقرب فهم ذلك إلى قلوب الناس ونظر أصحاب النجوم فيما سألهم عنه ، فأخبروه أنّ مولوداً يولد يكون على يده هلاكه وذهاب مملكته وفساد آلهتهم .. فأمر بقتل الولدان وعزل الرجال عن النساء . وخرج إلى قرية أخرى وأخرج الرجال مع نفسه ولا يولد مولود إلّا قتله[1] . وعرضت حاجة للنمرود إلى المدينة فلم يأمن عليها إلا آزر ، فأرسله فيها ونهاه عن مواقعة أهله ، فقال (له آزر : أنا أضنّ بديني)[2] . فلمّا دخل المدينة لم يتمالك أن وقع على زوجته ، ثم مرّ بها إلى قرية بين الكوفة والبصرة فجعلها في سرَب ، وكان يتعاهدها بالطعام والشراب ، فولدت إبراهيم فكانت جمعته كالشهر لسرعة شبابه ، وترعرع ابراهيم ونسي الملك ما أنذر به . فلمّا أمن عليه أبوه أخرجه من السرب بعد المغرب فرفع رأسه فإذا هو بالكوكب المشتري ، وكان من أمره ما نصّه الله تعالى .

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما : وخرج في آخر الشهر ، فلذلك لم ير القمر قبل الكوكب . وكان قد أوتي رُشدَه من قبل ، ومن أوتي رشده فقد عُصم من الزلل وعبادة غير الواحد الصمد . ثمّ أتاه جبريل عليه السلام فعلّمه دينه واصطفاه الله خليلاً ونبيًّا ، فدعا قومه إلى الإسلام ، وكان من كسر الأصنام ما نصّه الله تعالى .

(109)

فشاور نمرود في أمره ، فقال رجل منهم يقال له هيزم : حرِّقوه ، فخسف الله به الأرض فهو يتلجلج فيها إلى يوم القيامة . وقال عبد الله بن عمر لمجاهد[1] : أتدري من أشار بحرق إبراهيم؟ قال : قلتُ : لا . فقال : رجل من أعراب فارس . قلت : وهل للفرس من أعراب ؟ قال : نعم ، الكرد .

---

108 1) ل : ذبحه ـ 2) عن الطبري 236/1 ، ل ن : لهم آزر : أنا أظنّ بابني .

109 1) سقطت من ن ـ

ولمّا رفع إبراهيم ليقذف به في النار سألت السموات والأرض وكلّ من عليها غير الثقلين ربّها تبارك وتعالى أن يأذن لها في نُصرته ، فقال : إن استغاث بشيء منكم فينصره ، وإن لم يدعُ غيري فأنا وليّه . فرفع إبراهيم رأسه فقال : اللّهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض . فقال الله عزّ وجلّ : يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وسلامًا[2] . فقال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما : لو لم يتبع بردها سلامًا لمات إبراهيم من بردها ولم ينتفع بنار في ذلك اليوم وظنّت كلّ النار أنّها المأمورة[3] . ونظر نمرود إلى إبراهيم في روضة خضراء في سواء النار ومعه رجل ورأس إبراهيم على حجره وهو يمسح العرق عن وجهه ، وكان ملك الظلّ ، وإبراهيم حينئذ ابن ستّ عشرة سنة . فعجب نمرود من ذلك وما كفّ عن إبراهيم وقال : إنّي مقرّب إلى إلاهك أربعة آلاف بقرة . فقال إبراهيم : إنّه لا يقبلها منك ما كنتَ على شيء من دينك .

(110)

واستجاب لإبراهيم رجال من قومه بتلك الآية على خوف من نمرود ، وآمن به ابن أخيه لوط . وتزوّج إبراهيم سارة ابنة عمّه هران الأكبر بن ناحور ، هي سارة ابنة هران بن ناحور أخت لوط وابنة عمّ ابراهيم ، فآمنت به . قال : وهي أوّل من آمن به . وخرج إبراهيم مهاجرا بمن معه حتّى قدم مصر . قال وهب : فلسطين . فوجد بها فرعون من فراعنة القبط . قال وهب : يقال له صادوف ، فذكر له حسن سارة فأرسل إلى إبراهيم فسأله عنها فقال : هي أختي : وخاف أن يقتله عليها لو قال : هي زوجتي . فقال : زيّنها وارسل بها إليّ أنظر إليها . فمدّ يده إليها فرعون فيبست إلى صدره فقال : ادعي ربّك أن يطلق يدي ولا أمسكك . ففعلت وانطلقت إليه يده ، ووهب لها هاجر

---

109 (2) سورة الأنبياء 21/69 ـ 3) ن : المأثورة .

فوهبتها سارة لإبراهيم . وقال رسول الله ﷺ : لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : إنّي سقيمٌ ، وبَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هذا ، وقوله للجبّار إذ سأله عن سارة : هي أختي .

(111)

فخرج إبراهيم حتّى نزل فلسطين بين الرملة وإيليا ، وقال وهب : إنّ الله أخرج الجبّار الذي عرض لسارة من تلك المدينة وأورثها إبراهيم ، فأثرى بها فولدت هاجر ــ وهي قبطية ــ إسماعيل لستّ وثمانين سنة من عمر إبراهيم ، وولد له إسحاق وهو ابن مائة سنة وعشرين وسارة ابنة تسعين سنة . واختتن إبراهيم بعد تسع وتسعين سنة وختن الله إسماعيل ابن ثلاث عشرة سنة . وكان من إخراج إبراهيم لهاجر وابنها إسماعيل إلى مكّة ما قد شهر : أسكن إسماعيل بمكّة وهو ابن ستّ عشرة سنة ، وقيل ابن أربع عشرة سنة ، وانفجرت زمزم من تحت يد إسماعيل فاستسقت هاجر وجعلت تدخره في قربتها ، فلو لا الذي فعلت ما زالت زمزم معينا ظاهرة . ثم أجاب الله دعوة إبراهيم فأنسهم بجرهم[1] وجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ورزقهم من الطيّبات .

(112)

ثمّ بنى إبراهيم البيت مع ابنه إسماعيل على ما أمره الله تعالى به . وذكر آخرون أنّ الذبح كان قبل بناء الكعبة وهو أصحّ ، والله أعلم . ثمّ أمر الله إبراهيم أن يذبح ولده على كثرة الاختلاف فيه . قال : إن كان الذبح وقع بمِنى قبل ذبح الفداء فعلى ما تكرّر فالذبيح إسماعيل ، لأنّ إسحاق لم يدخل الحجاز . وإن كان الأمر بالذبح وقع بالشام فالذبيح إسحاق ، لأنّ إسماعيل لم يدخل الشام بعد أن حمله أبوه منه . وقد تكرّرت الآثار أنّ الموضع الذي خلا فيه

---

111 (1) ن : بجذمهم .

بابنه وأضجعه للذبح فيه شِعْب ثبير . وعن عليّ وابن عبّاس رضي الله عنهم أنّ الكبش أهبط على إبراهيم في ثبير . قال عبد الله بن عبّاس : وكان رعى في الجنّة أربعين خريفا . قال : فأرسل إبراهيم ابنه فاتّبع الكبش حتّى أخرجه إلى الجمرة الأولى ، فرماه بسبع حصيات فأفلته عندها . فجاء الجمرة الوسطى فرماه بمثلها فأفلته . ثمّ رماه عند الجمرة الكبرى بمثلها وأخذه . فأتى به إبراهيم المنحر من مِنى فذبحه . قال عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما : لقد كان أوّل الإسلام وإنّ رأس الكبش المعلّق بقرنه في ميزاب الكعبة قد وخش[1] يعني يبس .

(113)

قال أبو جعفر : ممّا امتحن الله به إبراهيم النّار والكواكب والشمس والقمر وأمره بذبح ابنه والكلمات التي ذكرها الله في محكم كتابه على اختلاف الناس فيها وذكر خمسة أقاويل . فلمّا علم الله منه الصبر على ما ابتلاه [به] والقيام بما ألزمه واسترعاه جعله الله لمن بعده إماماً ، وجعل في ذريّته النبوّة والرسالة وخصّهم بالكتب المنزّلة والحكم البالغة .

(114)

وروي أنّ أوّل من ركب الخيل إبراهيم وقالت العرب : إن أوّل من ركب الخيل إسماعيل بن إبراهيم ، وكانت وحوشاً فأوحى الله إليه بآية الخيل فدعا بها فأتته فأمكنته من نواصيها فركبها هو وولده ، فعتاق الخيل تنسب إليهم إلى هذه الغاية ، فيقال الخيل العربيّة .

---

112 1) عن الطبري 276/1 ، ل ن : حتّي .

(115)

وذكر السدّي أنّ إبراهيم سأل ربّه أن لا يتوفّاه حتّى يكون هو الذي يسأله الموت . فبعث الله إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم ، وكان إبراهيم كثير الإطعام ، فبينما هو يطعم الناس إذ رأى شيخا كبيرا يمشي في الحرّ ، فبعث إليه بحمار فركبه حتّى إذا جاء أطعمه . فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه فيدخلها عينه أو أذنه ثم يدخلها ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره . فقال للشيخ حين رأى ذلك منه : ما بالك ؟ قال : الكبر، فسأله عن سنّه ، فزاد على عمر إبراهيم سنتين . فقال إبراهيم : إنّما بيني وبينك سنتان ، فإذا أتيت عليها كنت مثلك ؟ قال نعم . قال إبراهيم : اللّهم اقبضني إليك قبل هذا . فقام الشيخ فقبض نفسه وتوفّي وهو ابن مائتي سنة ، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة ــ صحّ عنهم ــ ودفن بأرض الكنعانيّين في حبرون في مزرعة اشتراها إبراهيم ، وفيها دفنت سارة وإسحاق ، ومواضع قبورهم مشهورة وهي على ثمانية عشر ميلا من بيت المقدس في مسجد هناك يعرف بمسجد إبراهيم .

(116)

وأنزل الله على إبراهيم عشر صحف . قال رسول الله ﷺ أمثالا ومواعظ منها : على العاقل أن يكون بصيرا لزمانه مقبلاً على شأنه حافظًا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا في ما يعنيه .

ق : وما عاشت سارة سوى مائة سنة وسبع وعشرين سنة . واختلف هل هي أوّل موتًا أو هاجر ، والصحيح أن هاجرًا تقدّمتها ، ولا اختلاف أنّها ماتتا في حياة إبراهيم . ودفنت هاجر بحجر مكّة وفيه دفن ابنها إسماعيل . وتزوّج بعدها إبراهيم امرأتين من الكنعانيّين قطورا وحجورا وله ثلاثة عشر ذكرا ، منهم مدين بن إبراهيم جدّ شعيب ، فجميع ولده ثلاثة عشر ولم يذكر إلّا قطورا ولدت له سبعة نفر ولا تذكر الأخرى . وكان لإبراهيم أخوان : حرّان

أو لوط ـ ويقال هاران ـ وهو الذي بنى حرّان وإليه تنسب[1] ، وناهر وهو أبو رفقا امرأة إسحاق . وفي التوراة أنّه ناحور لا ناهر وناهر لوهب .

(117)

وأمّا الدليل أنّ هاجر سبقت سارة فما رواه السدّي أنّ إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل ، فآستأذن سارة أن يأتيه . فأخذت عليه عهدًا ألّا ينزل غيرة على هاجر ، فركب البراق ثمّ أقبل فوجد أم إسماعيل قد ماتت . وتزوّج إسماعيل آمرأة من جرهم ولم يجد إسماعيل ورأى المرأة فظّة غليظة فقال لها : إذا جاء زوجك فقولي له : جاء هنا شيخ من صفته كذا وكذا ويقول لك : لا يرضى عتبة بابك . ففعلت ، فلمّا أخبرته طلّقها . وتزوّج ثانية ، وجاء إبراهيم مرّة ثانية فلم يجد إسماعيل ووجد امرأة سهلة طلقة وأتته باللبن واللحم ، فدعا لها بالبركة وجاءته بالمقام فوضعته تحت شقّه الأيمن ، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه وغسلت شقّ رأسه الأيسر ثم قال لها : إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له : قد استقامت عتبة بابك .

(118)

قال أبو جعفر : ثمّ لبث ما شاء الله أن يلبث وأمره ببناء الكعبة . وفي رواية أخرى قيل : كان على أتان ولدعوة إبراهيم لا ينقطع اللّبن بمكّة في فصل من فصول السنة ، ولذلك كانت لحومها أطيب اللحوم حتّى أنّ القصّاب ليعطي الشحم بدلا من اللحم يغشّ به .

---

116 (1) ن : يثبت .

(119)

وأمّا نمرود صاحب إبراهيم فعذبه الله بأضعف خلقه ببعوضة توغّلت في خياشيمه ، فمكث أربعمائة عام ، أربعين عامًا يعذّب في حياته ، وكان يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس عنده من جمع يديه فضرب بهما رأسه . وهو الذي جوّع الأربعة الأنسر وقرنهنّ بالتّابوت ، فلم يزل يرفع اللحم حتّى وقع في ظلمة لا يرى ما فوقه ولا ما تحته ، ففزع وألقى اللحم وانقضّت النسور وكان طيرانهنّ من بيت المقدس وسقوطهنّ بجبل الدخان . وذلك قول الله سبحانه وتعالى : وَقَدْ مكَرُوا مكْرَهُمْ وعِنْدَ الله مكْرُهُمْ الآية[1] . ثم أخذ بعد ذلك في بنيان الصَّرْح ، فبنى حتّى إذا ظنّ أنّه أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر – بزعمه – إلى إله إبراهيم ، فأتى الله بُنْيانَهُم مِنَ القَواعِدِ فخرّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وأتاهُمُ العَذَابُ مِنْ حيْثُ لا يشعُرُون[2] . فيقال : عند ذلك تبلبلت ألسن الناس من الفزع ، فتكلّموا بثلاثة وسبعين لسانا ، فلذلك سُمّيت بابل ، وإنّما كان لسان الناس قبل [ذلك] بالسريانيّة .

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام

(120)

وتزوّج إسماعيل بعد التي أمره أبوه بطلاقها أسيدة ابنة مُضاض بن عمرو الجُرهمي ، وهي التي رضي عنها أبوه ، فولّدت لإسماعيل اثني عشر ذكرًا : نابت بن إسماعيل – ويقال نبت ، وقيدور ، ونبت هو بكره[1] . وبعث الله عزّ وجلّ إسماعيل إلى العماليق وقبائل اليمن . وقيل إنّه لمّا حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق ، وقيل إلى ابنه قيدور ، وزوّج ابنته من عيصو بن

---

119 1) سورة إبراهيم 14/46 – 2) سورة النحل 16/26 .

120 1) ل : وهو ولي البيت بعده –

إسحاق ، وعاش مائة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالحِجر حيال الموضع الذي فيه الحجر الأسود عند قبر أمّه . وانتشر بنوه في البلاد وظهروا وهم نَفَوا[2] العماليق . وسُمّي إسماعيل لأنّ الله عزّ وجلّ سمع دعاء هاجر ورحمها فيه ، وقيل إنّ الله سمع دعاء إبراهيم . وقيل : هو وإسماعيل أوّل من ركب الخيل على ما تقدّم وكانت وحوشًا ، وأوّل من عمل قوسا عربية فرمى بها .

إسحـاق ويعـقوب عليهمـا الصّـلاة والسّـلام

(121)

وتزوّج إسحاق رَفقا ابنة عمّه على ما تقدّم ، وهو قول أهل التوراة . وقال ابن إسحاق : هي رفقا آبنة بتْويل[1] بن ناحور بن آزر ، فولدت له عيصو ويعقوب توأمين ، وذلك بعد أن مضى من عمر إسحاق ستّون سنة . فولدت لعيصو من ابنة إسماعيل الروم ، فكان بنو الأصفر من ولده ، وقيل: إنّ الأشبان من ولده ولا أدري أمن آبنة إسماعيل أم لا ؟ وولد عدّة أولاد سواه . قال : ووُلد للعيص ثلاثون رجلا ومن (بني الأصفر)[2] ملوك الروم (ومنهم الإسكندر في قول الروم . قال عدي [متدارك] :

وَبَنُو الأَصْفرِ الكِرامُ مُلوكُ الرُّومِ [2] لم يَبْقَ مِنْهُم أحد مَذْكُور .

(122)

وقد آختُلف في الروم ، فقيل:إنّهم من ولد إسحاق ، وقيل:إنّما سُمّوا رومًا بإضافتهم إلى مدينة رومة وليس آسم رجل . وكان منزل عيصو الشّام ، فكثر ولده فصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ، ثمّ إنّ الروم غلبوا الكنعانيّين .

---

120 2) ل ن : بنو .

121 1) ن : تويل ـ 2) سقطت من ن .

قال : وكان العيص فيما ذكر يُسمّى آدم لأدمته ، ولذلك سمّي ولده بنو الأصفر . وكان الروم رجلا أصفر في بياض ولذلك سمّي ولده بنو الأصفر .

(123)

فكان أكثر دعاء إسحاق ليعقوب وظهرت البركة له بدعائه ، فغاض ذلك العيص وتوعّد يعقوب بالقتل ، فخرج هاربًا إلى خاله ببابل ، فكثر جزع يعقوب من أخيه العيص فأمّنه الله عزّ وجلّ من ذلك . وكان ليعقوب خمسة آلاف وخمسمائة من الغنم ، فساهم أخاه العيص فيها وأعطاه عشرها استكفافًا لشرّه وخوفا من صولته بعد أن أمّنه الله منه . فعاقبه الله في ولده لمخالفته لوعده ، وأوحى الله إليه : لم تطمئن إلى قولي ، لأجعلنّ ولد العيص يملكون ولدك خمسمائة وخمسين سنة ، وهو عدد ما أعطى العيص من غنمه ، فكانت المدّة مذ أخربت الروم بيت المقدس واستعبدت بني إسرائيل إلى فتح عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه بيت المقدس .

(124)

ولم يزل يعقوب يتألّف أخاه العيص[1] حتّى ترك له البلاد وعبر إلى الروم ، فأوطنها فصار الملك من ولده وهم اليونانية فيما يزعمون .

(125)

وعاش إسحاق مائة وثمانين سنة[1] ودُفن مع أبيه إبراهيم ، وقد كفّ بصره . وأمر إسحاق ابنه يعقوب أن لا ينكح امرأة من الكنعانيّين وأمره أن ينكح من

---

124 1) سقطت من ل .

125 1) ورد في ل بعد ذلك : القرظي : مائة وخمسين سنة ـ

بنات خاله لابان بن ناهر بن آزر ، فنكح ابنتيْه لايا وراحيل بالحديث المشهور . وكانوا يجمعون بين الأختين حتّى جاءت شريعة موسى ﷺ . وقيل إنّه لم يتزوّج راحيل حتّى توفّيت لايا ، فولد له منها الاثنا عشر سبطا ، وكان ولدا راحيل يوسف وبنيامين ، وقيل اثنان سواهما . وقيل إنّ الاثني عشر من أمتيْن كانتا لابنتي لايا جهّزهما فوهبتها له .

ولمّا توجّه يعقوب إلى خاله لينكح ابنته أدركه الليل فبات في بعض الطريق متوسّدًا حجرًا . فرأى فيما يرى النائم سلّمًا منصوبًا إلى باب (من أبواب)[2] السّماء والملائكة تعرج فيه وتنزل منه ، فأوحى الله إليه : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا ، وقد ورّثتك هذه الأرض المقدّسة وذرّيتك من بعدك ، ثمّ أنا معك أحفظك حتّى أردّك إلى هذا المكان ، فأجعله بيتًا تعبدني فيه ، فهو بيت المقدس . عن ق . ثمّ كان من أمره مع خاله ما كان . وتوفّي يعقوب بمصر وهو ابن مائة سنة وسبع وأربعين سنة ودفن عند قبر ابراهيم وإسحاق . وكان يعقوب قد أوصى إلى يوسف أن يحمل جسده حتّى يدفنه مع أبيه بالشّام ففعل . ق : وعاش يعقوب مع يوسف بمصر سبع عشرة سنة وعاش عيصو كعمر يعقوب سواء .

يوسف عليه السّلام

(126)

كان بين دخول يوسف مصر إلى أن دخلها موسى بن عمران أربعمائة سنة ، وعاش يوسف بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة ، وفي التوراة مائة وعشر . وغاب عن أبيه ثمانين سنة ، وقد قيل سبعًا وسبعين سنة . وقيل : كان بين رؤياه ومجيء تأويلها أربعون سنة[1] ، فتلك

---

125 2) سقطت من ن .
126 1) سقطت من ل _

مدّة مغيبه عنه[2] إذا ، وهذا لا يصحّ لأنه ألقي في الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ولم يعش بعد أبيه إلّا ثلاثا وعشرين سنة ، كذلك نقل . وقال: وعاش[3] بعد ما جمع الله شمله به ثلاثًا وعشرين سنة ، وهذا الصحيح لأنّه إذا حملت على هذا سنّه إذ خرج عنه وذلك سبع عشرة سنة ، يبقى من عمره ثمانون سنة وهي المدّة التي غاب عنه[4] فيها .

(127)

وأوصى يوسف إلى أخيه يهودا ، وجُعل يوسف لمّا توفّي في تابوت رخام وسُدّ بالرصاص وطُلي بالأطلية الدافعة للهواء والماء وطُرح في نيل مصر ، ويقال إنّ موسى جعل جسده في تابوت عند خروجه من مصر ، وقد روي أنّه أوصى أن يحمل إلى الشّام فيدفن مع أبيه وجدّيه .
وولد ليوسف أفرائم وميشى ، فولد ميشى موسى تنبّأ قبل موسى بن عمران ، وهو صاحب الخضر فيما ذكر أصحاب التوراة ، صحّ ط ق .

لوط عليه السّلام

(128)

وهو مقدّم في المرتبة لأنّه كان في زمان إبراهيم . وهو ابن هاران أخي إبراهيم ، ولمّا هاجر إلى الشام على ما تقدّم وآستوطن إبراهيم فلسطين أنزل آبن أخيه لوطًا الأردن ، فأرسل الله لوطًا إلى أهل سَدوم وما حولها وهي المؤتفكات ، وكانت خمس قريات وسدوم هي القرية العظمى ، وهي باقية إلى وقتنا هذا وهي سنة ثلاثمائة واثنتين وثلاثين ، خراب لا أنس فيها ، والحجارة المسوّمة موجودة فيها ، يراها السَّفْر سودًا برّاقة . قال : وكان في قرية منها مائة ألف .

---

2) ن : عنها ـ 3) سقطت من ل ـ 4) سقطت من ل .

126

أيّـوب عليـه السّـلام

(129)

كان في زمن يعقوب ، زوجته ابنة يعقوب وهي المضروبة بالضّغْث ، وهو أيّوب بن موص[1] بن رغويل ، وكان أبوه ممّن آمن مع إبراهيم إذ ألقي في النّار . وقال ابن إسحاق وغيره : رغويل بن عيصو بن إسحاق ، وأمّ أيّوب ابنة لوط باتّفاق ، ويقال إنّ زوجه المضروبة بالضغث هي ابنة أفرائم بن يوسف . وكان أيّوب كثير المال كانت له البَثَنيّة والجابية من الشام كلّها له ، فيها ما لا يحصى من العبيد والغنم والدوّاب . وابتلاه الله في ماله وولده فصبر ، ثمّ ابتلاه الله في جسمه وبقي مطروحًا في كُناسة سبع سنين وشهرًا فصبر . قال : ومسجده والعين التي اغتسل فيها مشهوران إلى وقتنا هذا فيما بين دمشق وطبرية على ثلاثة أميال من مدينة نوا ، وعمر ثلاثا وسبعين سنة .

[ذكـر ذي الكفـل عليـه السّـلام]

(130)

وبعث الله بعده بشر بن أيّوب ذا الكفل عليه السلام وأقام بالشام حتّى مات ، وعمر خمسًا وسبعين سنة . قال ق : لم نجد فيما نقله وهب له ذكرًا ، وهو رجل من بني إسرائيل أُرسل إلى ملك يقال له كنعان ، فدعاه إلى الإيمان وكفل له بالجنّة وكتب له كتاب ذكر حقّ على الله ، فآمن ذلك الملك وسمّي ذا الكفل بالكفالة .

---

129 1) ن : عـوص .

شعيب عليه السلام

(131)

من ذريّة مدين بن إبراهيم ، وجدّة شعيب ابنة لوط . وقال بعضهم : لم يكن شعيب من ذريّة إبراهيم وإنّما هو من ذريّة من آمن به إذ أُلقي في النّار . وكان عربي اللسان ، وكان شعيب ضرير البصر ، وحدث بذلك ابن جبير في قول الله عزّ وجلّ : وإنّا لَنَراكَ فينا ضعيفًا[1] . ويقال له خطيب الأنبياء بعثه الله إلى مدين وهم أصحاب الأيكة ، وهم من ولد مدين بن إبراهيم . ومن ملوكهم أبو جاد[2] وهوّز على تواليهما فكان ملكه مكّة وما يليها من الحجاز ، وكان هوّز وحطّي ببلاد وجّ[3] ، وهي الطائف وما اتّصل بها من أرض نجْد ، وكَلَمَن وسَعْفَص وقَرشَت[4] ببلاد مصر . وفيها لحق بهم من عذاب الله يقول المنتصر بن المنذر [طويل]

مُلُوكُ بني حطّي وسعْفص ذي الندى   وهوّز أرباب البنية والحجر
هُم ملَكوا أرض الحِجاز بأوجه   كمثل شعاع الشمس أو صورة البدر
وهُم قطنُوا البيت الحرام وزيّنوا   حضورًا وسادوا بالمكارم والفخر[5]

(132)

وقال ابن خرداذبه في تاريخه : كان شعيب ألثغ وعمّر مائة وأربعين سنة وتوفّي بمكّة ودفن عند المسجد الحرام حيال الحجر الأسود ، وأوصى إلى موسى بن عمران صهره . وسلط الله عزّ وجلّ على قومه حرًّا شديدًا حتّى أخذ بأنفسهم ، ثم بعث الله سبحانه وتعالى سحابة فوجدوا لها بردًا ، فلمّا صاروا

---

131 1) سورة هود 91/11 ـ 2) المسعودي 1181 : أبجد ـ 3) في النسخ : دوج ـ 4) عن المسعودي ، ل ن : قريشات ـ 5) ل ن : وهم قطنوا أرض الحرام قطوناً وسادوا بالمكارم والفخر

تحتها أرسلها الله عليهم نارًا ، فذلك قوله عزّ وجل : فأخذهُمْ عَذَابُ يومِ الظُّلَّةِ الآية[1] . واحترقوا كما تحترق الجراد في المقلى . وكانوا أهل كفر بالله وبخس في المكيال والميزان . ولم يكن أهل مدين قوم شعيب ولكنّها أمّة بعث إليها ، وما أدري كيف هذا والله عزّ وجلّ يقول : وإلى مدْيَن أخاهُمْ شُعَيْبًا[2] . قال : وكان اسم شعيب بثرين . وروى ابن لهيعة أنّ أبا هريرة سأل رجلا فقال : ممّن أنت ؟ قال : من جذام. قال أبو هريرة : مرحبا بأصحاب موسى وقوم شعيب. فإن صحّ هذا فجذام من مدين ولد إبراهيم . وزعم قوم أنّ أهل مدين الذين بُعث إليهم شعيب من العرب العاربة والأمم الدائرة وليسوا من ولد مدين ، وتزعم قريظة والنضير أنّهم من رهط شعيب وأنّهم من جذام .

الخضر عليه السّلام

(133)

وهو بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ . وقال عامّة أهل الكتاب : كان في زمان أفريدون المتقدّم ذكره[1] . وقيل إنّه كان على مقدمة ذي القرنين الأكبر الذي كان في زمان إبراهيم ، وبلغ الخضر مع ذي القرنين نهر الحياة فشرب منه ولم يعلم به ذو القرنين ولا من معه ، فهو حيّ إلى الآن . وقد قيل إنّه من ولد فارس ، والله أعلم .

---

132 1) سورة الشعراء 189/26 ـ 2) سورة الأعراف 85/7 .

133 1) ل : الذكر .

(134)

موسى وهارون ابنا عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب ، صحّ . وقيل عمران بن يصهر بن قاهث . قال : وقارون بن يصهر بن قاهث[1] ، قارون بن صافر[2] بن قاهث ، فهو على هذا ابن عمّ موسى وعلى قول عمّه . واسم أمّ موسى وهارون نوخابت[3] ، وقيل باختة ، من ذريّة يعقوب من ذرية نفشان بن إبراهيم . كان هارون أسنّ من موسى بثلاثة أعوام ، وكانت لهما أخت اسمها مريم كانت أسنّ منهما وكانت تحت كالب بن يوفنا .

(135)

ولمّا قبض الله يوسف عليه السلام توارثت الفراعنة من العماليق مُلك مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم حولاً ، وهم على بقايا من دينهم الذي كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام شرعوا لهم ، حتّى كان فرعون موسى وهو الوليد بن مصعب (صحّ عنهم)[1] . عن وهب . وقيل إنّ فرعون موسى هو فرعون يوسف عمّر أكثر من أربعمائة سنة . قال : وغيره ينكر هذا . فعذب بني إسرائيل وكان سيّء المملكة شديد البطش ، وكان قد نكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم من خيار النساء لمّا أراد الله عزّ وجلّ من أمر موسى .

---

134 1) ل ن : ناهث ـ 2) ل ن : صاقر ـ 3) الطبري 385/1 : يوحابد .

135 1) سقطت من ل .

(136)

فلمّا تقارب زمن موسى أعلمه المنجّمون بما وجدوا من أمره في علمهم وقالوا : قد أظلّك زمانه . وقيل : بل رأى فرعون[1] في منامه أنّ نارًا أقبلت من بيت المقدس فأحرقت القبط بمصر وتركت بني إسرائيل ، فسأل عن رؤياه فقيل له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه رجل يكون على يده هلاك القبط . روي ذلك عن ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله عنهم . فأمر بقتل الغلمان واستحياء الجواري ، فكان من أمر موسى ما نصّه الله عزّ وجلّ . فلمّا شبّ موسى كان[2] يركب مثل ما يركب فرعون ويلبس كلبسه ، وكان يُدعى موسى بن فرعون لأنّه كان تبنّاه . وركب يوما وقد ركب فرعون ، وهو يتبعه ، وقد خلت الأسواق لاحتفال النّاس مع فرعون ، فكان من أمر القبطي والإسرائيلي الذي استنصر بموسى ما كان . فذلك قوله عزّ وجلّ : وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا الآية[3] . ثم خرج خائفًا يترقّب تلقاء مدين ، فكان من أمره وأمر الجاريتين ما نصّه الله عزّ وجلّ ، وهما ليا وصفورة[4] ، وتزوّج موسى منهما صفورة .

(137)

وكلّمه [الله] تكليمًا وأمره أن يأتي فرعون وشدّ عضده بأخيه ، ثمّ كان من أمره وأمر فرعون ما كان . وقيل إن عدد السحرة الذين حشر له فرعون خمسة عشر ألفًا ، فكانوا أوّل النهار سحرة وآخره شهداء قتلهم فرعون لإيمانهم لمّا رأوا الآية المعجزة . وأمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يسري ببني إسرائيل فقال: فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً[1] . فأمرهم أن لا ينادي إنسان صاحبه وأن يسرحوا من بيوتهم . ثمّ خرجوا وألقى على القبط الموت فأصبحوا يتدافنون ، فاشتغلوا بذلك حتّى طلعت الشمس . فذلك قوله عزّ وجلّ : فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ[2] .

---

136 1) سقطت من ن ـ 2) ن : وكان ـ 3) سورة القصص 15/28 ـ 4) ل ن : صفر .

137 1) سورة الدخان 23/44 ـ 2) سورة الشعراء 60/26 .

(138)

وخرج موسى في ستّمائة ألف مقاتل لا يعدّ ابن العشر لصِغره ولا ابن الستّين لكِبره ، وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبع مائة ألف حصان ليس فيها ماذيانة أي حجر . ولمّا وعد الله موسى أتاه جبريل على فرس يقال إنّه فرس الحياة ، فأخذ السّامري من تربة حوافره ، والسّامري موسى بن ظفر ، واتّخذ لهم العجل وقال : هذا إِلَهُكُمْ وإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ [1] . يقول : أترك موسى إلاهَه هنا وذهب يطلبه .

(139)

ثمّ انصرف موسى من عند ربّه ولم يستطع أحد بعد ذلك أن ينظر في وجهه لما يغشاه من النّور حتّى كان موسى يلبس وجهه بحريرة . وأنزل الله عليه الألواح بطور سينا من زمرّد أخضر فيها كتابة بالذهب الأحمر . فلمّا رأى ما أحدث قومه من بعده ارتعد وسقطت الألواح من يده فتكسّرت ، فجمعها وأودعها في تابوت السكينة ، وكان قد ضرب التابوت من ذهب من ستّمائة ألف مثقال وسبعمائة مثقال وجعله في الهيكل .

وكان هارون قيّم الهيكل ، ثمّ أظهروا من توبتهم بقتلهم أنفسهم ما ذكر الله عزّ وجلّ . ثمّ أمر الله عزّ وجلّ موسى أن يأتيه في الناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل . فاختار موسى من قومه سبعين رجلا . ثمّ كان من سؤالهم أن يروا الله جهرة ، فأماتهم الله ثمّ أحياهم . فذلك قوله عزّ وجلّ : ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ [1] . ثمّ أمرهم الله عزّ وجلّ بالمسير إلى أريحا ، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا . فلمّا [2] قربوا منها بعث موسى

---

138 1) سورة طه 88/20 .

139 1) سورة البقرة 56/2 ـ 2) ن : لمّا ـ

اثني عشر نقيبا من أسباط بني إسرائيل ، فلقيهم رجل من الجبابرة فجعلهم في حجرته وعلى رأسه حزمة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته وقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يريدون أن يقاتلونا . فطرحهم في يدها وقال : الآن أطحنهم برجلي . فقالت امرأته : لا بل خلّ عنهم حتّى يخبروا قومهم بما رأوا . فذلك قول بني إسرائيل : إنّ فِيهَا قَوْمًا جبَّارِين ، إلى قوله : إنَّا هَاهُنَا قاعِدُون(3) . فقال موسى : ربِّ إني لا أملكُ إلّا نفسي وأخي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وبَيْنَ القوم الفاسِقِين(4) . قال الله عزّ وجلّ : فإنّها مُحرّمَةٌ عليْهِمْ الآية(5) .

(140)

فخرج موسى إلى التيه وعددهم ستّمائة ألف بالغ ، وأتاهم بالآيات المشهورة ، والتقى موسى بعد ذلك عوج بن أعناق ، فارتفع موسى في الهواء عشرة أذرع وكان طول عصاه مثلها وطول موسى مثلها ، ثلاثون ذراعًا . فأصاب كعب عوجًا فقتله ، حدّث بذلك سعيد بن جبير عن ابن عبّاس . وقيل إنّ عوجًا عاش ثلاثة آلاف سنة .

القول في وفاة موسى وهارون عليهما الصّلاة والسّلام

(141)

حدّث ابن عبّاس وابن مسعود رضي الله عنهم أنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى : إنّي متوفّي هارون ، فآت جبل كذا . فانطلق موسى وهارون إلى ذلك الجبل ، فإذا فيه شجر وبيت مبنّي ، وإذا فيه سرير وعليه فرش . فلمّا نظر إليه هارون أعجبه وقال : يا موسى إنّي أحبّ أن أنام على هذا السرير . فقال : نم عليه . قال : إنّي أخاف ربّ البيت . قال موسى : أنا أكفيك .

---

139 3) سورة المائدة 5/22 ـ 24 ـ 4) سورة المائدة 5/25 ـ 5) سورة المائدة 5/26 .

فلمّا نام هارون قبض الله روحه ، ثمّ رفع ذلك البيت والسرير به إلى السماء . فلمّا رجع موسى إلى بني إسرائيل وليس معه هارون قالوا : إنّ موسى قتل هارون وحسده حبّ بني إسرائيل له . وكان هارون أعطف عليهم . قال : دفن هارون في جبل مواب[1] نحو جبال السراة ممّا يلي الطور ، وقبره مشهور في مغاوة عادية يُسمع فيها في بعض الليل دوي عظيم يجزع منه كل ذي روح . وقيل إنّه غير مدفون بل هو موضوع في الغار ظاهرًا ، ولهذا خبر عجيب ، من وصل إلى هذا الموضع علم ما وصفناه .

(142)

وكان ذلك قبل وفاة موسى بسبعة أشهر . [وقبض هارون وهو ابن مائة وثلاث وعشرين سنة ، وقيل إنّه قبض وهو ابن مائة وعشرين سنة . وقد قيل إنّ موسى قبض بعد وفاة هارون][1] بثلاثة أعوام وقاله أيضًا ، وتلك التي كان يزيد عليه هارون في سنّه ، فماتا في سنّ واحد ، فكانت سنّ كلّ واحد منهما مائة وعشرين سنة . وقبضا ولم يحدث لهما شيء من الشيب ولا حالا عن صفات الشباب . وكانت في جبهة هارون شامة وعلى طرف أرنبة موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولا يعرف أحد قبله ولا بعده كانت على طرف لسانه شامة . وهي العقدة التي ذكرها الله[2] ، العقدة حدثت من الجمرة التي وضعها في فيه لمّا دعت آسية له جمرًا وياقوتًا حين نتف لحية فرعون فأرادوا قتله ، فأتى جبريل فوضع في يده الجمرة .

(143)

ثمّ إنّ موسى كان مع يوشع إذ أقبلت ريح شديدة ، فظنّ يوشع أنّها السّاعة

---

141 1) ل : موازي ، ن : مواري .

142 1) الزيادة عن المسعودي 88 ــ 2) راجع سورة طه 27/20 .

فالتزم موسى ، (واستلّ موسى)[1] من تحت الثياب فذهب موسى وتركها في يديه . فلمّا رجع يوشع[2] إلى بني إسرائيل بالثياب وفقدوا موسى اتّهموه بقتله وارادوا قتله ، فسألهم أن يؤخّروه ثلاثة أيام ، فأتى كلّ رجل ممّن كان يحرسه في منامه أنّ يوشع لم يقتل موسى وأنّ الله عزّ وجلّ رفعه إليه .

وذكر ابن إسحاق أنّ موسى مرّ برهط من الملائكة يحفرون قبرًا فسألهم : لمن هذا ؟ فقالوا : لعبد كريم على ربّه . فقال : إنّ لهذا العبد من ربّه لمنزلاً . قالوا : أتحبّ أن تكون هو؟ قال : وددتُ ذلك . قالوا : فانزلْ فاضطجعْ فيه وتوجّه إلى ربّك . ففعل ثمّ تنفّس فقبض الله روحه وسوّت عليه الملائكة .

(144)

قال : وكان في زمان موسى بلعم بن باعور وهو من الرهط الذين آمنوا بإبراهيم يوم ألقي في النار ، وكان بقرية من قرى البلقاء قد أوتي ملكًا عظيمًا ، وأعطي اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب . فسأله قومه من العماليق أن يدعو على موسى وبني إسرائيل ، فأبى فلم يزالوا به حتّى فتنوه ، فركب أتانه وارتفع إلى الجبل يدعو عليهم ، فصرف الله لسانه بالدعاء على قومه . ثمّ أمرهم أن يرسلوا النساء الحسان إلى عسكر بني إسرائيل بالسلع وأن لا تمنع إمرأة نفسها من رجل أرادها . فوقع رجل من بني إسرائيل بامرأة فوقع فيهم الطاعون ، فيقال إنّه هلك منهم سبعون ألفًا . في بلعم أنزل الله : وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا الآية ، إلى قوله : يَتَفَكَّرُونَ[1] . وهو الذي نطقت أتانه بفضيحته وقالت . ويلي منك تنكحني بالليل وتركبني بالنهار .

---

143 1) عن الطبري 432/1 ، ل ن : واشمل ـ 2) ل ن : موسى .

144 1) سورة الأعراف 175/7ـ176 .

(145)

قال س : فأمّا السامرية ذريّة السامري فهم في وقتنا هذا ـ وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ـ في قرى متفرّقة ببلاد فلسطين والأردن إلى نابلس[1] ، وأكثرهم في هذه المدينة ، وهم يقولون لا مِساس[2] ، وهم صنفان متباينان كتبايُنهم لسائر اليهود ، يقال لأحدهما الكوشان وللآخر الدوستان[3] . ويقول أحدهما بقِدَم العالم ، ويزعمون أنّ التوراة الصّحيحة هي بأيديهم وأنّ التي بيد اليهود ليست التي أنزلت على موسى لأنّها حرقت وقت سبيهم ، وأنّ المحدث لهذه التي بأيديهم روبابيل .

[ذكـــر يـوشـع]

(146)

ثمّ بعث الله بعد موسى يوشع بن نون بن أفرائيم نبيًّا وأمره بمقاتلة الجبّارين . فسار ببني إسرائيل بعد شهر من موت موسى إلى بلاد الشام ، وقد غلب عليها العماليق ، فسار إليهم ملك الشام وهو السميدع بن هوبر ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديدا حتّى غربت الشمس . فدعا الله أن يردّ عليه الشمس فردّها عليه ، فزاد في النهار يومئذ ، فهزم الجبّارين واقتحموا عليهم يقتلونهم . فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها فلا يقطعونها . وأمرهم يوشع أن يقرّبوا أغنامهم تلك إلى الله ، فلم تزل النار تأكلها . وجاء رجل إلى يوشع فصافحه فالتصقت يده بيده فقال : هلمّ ما عندك . فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالدرّ والجوهر كان غلّه ، فجعله في القربان وجعل الرجل معه فأكلتها النار .

---

145 1) ل : يا بليس ، ن : بابليس ـ 2) راجع سورة طه 97/20 ـ 3) ل ن : اللدوشان .

(147)

وكان عمر يوشع مائة وعشرين سنة ، وأقام أمر بني إسرائيل مذ توفّي موسى سبعا وعشرين سنة . وفي هذه الوقيعة يقول عوف بن سعد الجرهمي [طويل] :

ألمْ تر أنّ العمليقيّ بن هوبر بأيلة أمسى لحمه قد تمزّعا
تداعت عليه من يهود جحافل ثمانين[1] ألفا حاسرين ودرّعا

وفي أذينة بن السميدع هذا الجبّار يقول الأعشى [وافر] :

أزال عن أذينة عن ملكه فأخرج عن أهله ذا يزن

(وقام بأمر)[2] بني إسرائيل بعد يوشع كالب بن يوفنّا . قال : ويوشع وكالب الرجلان اللذان [3] أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا[4] . وكالب زوج مريم أخت هارون ، وأقام فيهم ثماني سنين .

ذكر حزقيل

(148)

ط : ثمّ بعث الله بعد ذلك حزقيل بن بوذي[1] ، وهو الذي يقال له ابن العجوز لأنّ أمّه سألت الله الولد وقد كبرت ، فوهب الله لها . وهو الذي دعا القوم الذين ذكر الله في كتابه : أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلوفٌ حَذَرَ المَوْتِ[2] . واختلف في أمرهم كيف كان .

---

147 1) ل ن : ثمانون ـ 2) ن : وأمّا ـ 3) ل ن : الذين ـ 4) سورة المائدة 23/5 .

148 1) ل ن : بورا ـ 2) سورة البقرة 243/2 .

[ذكـــر إلـيــــاس]

(149)

ثمّ بعث الله من بعده إلى بني إسرائيل إلياس بن ياسين بن العيزار بن عرون بن عمران . ق : هو من سبط يوشع بن نون [بعثه الله][1] إلى قوم من بني إسرائيل يعبدون بعلاً صنماً وملِكهم أحب ـ أحاب ـ وامرأته زوبيل ابنة ملك مصر[2] ، وكان يستخلفها على ملكه ، وكانت قتّالة للأنبياء وهي التي قتلت يحيي بن زكريا ، وتزوّجها سبعة من ملوك بني إسرائيل . واستخفى منها إلياس شفقة على نفسه عند امرأة لها ابن يقال له أليسع ابن أخطوب وكان به ضرّ ، فدعا له إلياس فعوفي واتّبع إلياس . فلمّا رأى إلياس أن قومه لا يجيبونه وأنّهم مقيمون على أخبث ما كانوا عليه دعا (ربّه أن يرفعه)[3] إليه ويؤخّر عنه مذاقةالموت . فقيل له : أخرج إلى موضع كذا ، فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه . فخرج ومعه أليسع وأقبل فرس من نور حتّى وقف بين يديه ، فوثب عليه ، فناداه اليسع فلم يجبه ، فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذّة المطعم والمشرب وجعله أرضيا سمائيا ملكيًّا بشريًّا . ويقال إنّ الخضر وإلياس يلتقيان في كلّ عام في الموسم .

ذكـــر أليسـع

(150)

ثمّ تنبّأ فيهم أليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثمّ قبضه إليه فكثرت فيهم الخطايا والفواحش وسلّط عليهم الجبابرة ، فأخذت عنهم السكينة

---

149 1) عن ابن قتيبة 7/51 ـ 2) ابن قتيبة 11/51 : صيداء ـ 3) ل : الله أن يقبضه .

غلبوهم عليها في بعض حروبهم . فمات ملكهم كمدا لذلك ولم يزالوا مقهورين حتّى بعث الله فيهم إشماويل .

ذكـــر إشمــاويــل

(151)

هو إشماويل بن (هلقانة، وقيل هو ابن بَرُوخَان)[1] بن ناحور ، واسم أمّه حنّة من بني إسرائيل . قالوا : وإشماويل هو إسماعيل ، وهو الذي قالوا له : اِبْعَثْ لنا مَلِكًا نُقاتِلْ في سبيل الله[2] . لم يكن بين يوشع وبينه نبيّ ، وذكر أنّ من رتب من الأنبياء بعد يوشع هم بعد إشماويل ، وكانت مدّة ما بين إشماويل وأليسع....[3] قال س : كان من خروج موسى ببني إسرائيل عن مصر إلى أن ملك عليهم طالوت خمسمائة سنة واثنتان وسبعون سنة . وملكهم بعد يوشع بن نون إلى أن بُعث فيهم إشماويل أحد عشر ملكًا من أسباط مختلفة . وقيل ان ندعون منهم نبيّ وشمويل هو شمعون(؟) .

(152)

فلمّا طال على بني إسرائيل البلاء رغبوا إلى الله أن يبعث إليهم نبيًّا منهم[1] ، وكان سبط النبوّة قد هلك فلم يبق منهم إلّا امرأة حبلى . فأخذوها وحبسوها خوفا أن تلد جارية فتبدّلها بغلام . فولدت غلاما وسمّته شمعون ، فتنبّأ وهو غلام صغير ، فأعلمهم أنّ الله عزّ وجلّ قد بعثه نبيًّا ، فكذّبوه وقالوا له : استعجلت النبوّة ولم يأن لك . وقالوا له : إن كنت صادقا فابعث لنا ملكًا . فدعا الله فأتى بعصا تكون على طول الذي يبعث فيهم ملكا فقال لهم : إنّ

---

151 1) ل ن : هلفا هو بروحا ـ 2) سورة البقرة 246/2 ـ 3) نقص في النسخ .

152 1) سقطت من ن .

صاحبكم يكون طوله طول هذه العصا . فقاسوا أنفسهم بها فلم يكونوا مثلها .

ذكـــر طـالـوت

(153)

وكان طالوت رجلا سقّاء يسقي على حمار له ، فضلّ حماره وانطلق يطلبه . فلمّا انصرف دعوه فقاسوه بها فكان مثلها . وقالوا : كان دبّاغا يعمل الأدم . فقال قومه : ما كنتَ قطّ أكذب منك الآن ، نحن من سبط المملكة ويملك علينا هذا . قال : إنّ الله اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً في العِلْمِ والجِسْمِ . قالوا : إنْ كُنْتَ صادِقًا فأتنا بآية . قال:إنَّ آيةَ مُلْكِهِ أنْ يأتِيَكُمُ التَّابوتُ فيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وبقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ موسى وآلُ هارُونَ[1] ، يريد عصا موسى ورضاض الألواح . فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ينظرون إليه نهارًا عند الفجر حتّى وضعته عند طالوت . روى ذلك ابن وهب عن زيد . وكانت مدّة مغيب التابوت ببابل عشر سنين ، فأقرّوا غير راضين .

ذكـــر جـالـوت

(154)

واشتدّ سلطان جالوت وبلغه أمر طالوت ، فسار جالوت من فلسطين بأجناس البربر ، فنزل بساحة بني إسرائيل ، فسار إليهم بنو إسرائيل وسلّط عليهم العطش فابتلاهم بنهر بين الأردنّ وفلسطين ، فشربوا منه هيبة من جالوت ،

---

153 1) سورة البقرة 2/247ـ248 .

فعبر منهم معه أربعة آلاف ورجع ستّة وسبعون ألفًا ، فمن شرب منه عطش ومن لم يشرب منه إلّا غرفة بيده روي . فلّما رأى الذين معه عدد جالوت قالـوا ﴿ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ الآية[1] . فرجع عنه أكثر من عبر معه وخلص إلى جالوت في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا بعدد أصحاب بدر . وقتل طالوت كلّ من شرب من النهر عن آخرهم .

(155)

فعبر يومئذ أبو[1] داود فيمن عبر معه ، وكان له ثلاثة عشر ولدًا (أصغرهم داود)[2] . قال : وكان يرعى على أبيه وكان فيه قصر وزرق وقرع في ناحية من رأسه . وكان داود يأتي أباه فيقول : يا أبةِ إنّي لا أرمي ببندقتي هذه شيئا إلا صرعته . فيقول له : ابشر يا بنيّ ، فإنّ هذا خير أعطاكه الله عزّ وجلّ . ثمّ أتاه يومًا فقال له : يا أبةِ إنّي لأمشي بين الجبال وأسبّح ، فما من شيء إلّا يسبّح معي ، فقال له مثل مقالته الأولى .

فأتـى النبيّ[3] إشماويل بقرن فيه[4] دهن وتنّور من حديد ، فبعث إلى طالوت وقال : إنّ صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا القرن على رأسه فيثبت[5] دهنه ولا يسيل على وجهه منه شيء ، يكون على رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنّور فيملأه . فدعا طالوت بني إسرائيل فخوّفهم[6] فلم يوافقه منهم أحد ، فلمّا فرغوا قال : هل بقي منكم أحد؟ قال أبو داود : نعم قد بقي ابني داود وهو يأتينا بطعام . فلمّا انصرف داود كان قد مرّ في الطريق بثلاثة أحجار فكلّمته وقالت : خذنا يا داود تقتل بنا جالوت . فأخرج الحجارة فأخذها وجعلها في مخلاته . وكان طالوت [قد] قال : مَن

---

154 1) سورة البقرة 249/2 .

155 1) سقطت من ن ـ 2) ل : داوود أصغرهم مبعة داوود أصغرهم ـ 3) ل ن : ابني ـ 4) ن : من ـ 5) ن : يتتن ـ 6) الطبري 472/1 : فجرّبهم به ـ

قتل جالوت زوّجْته ابنتي وأجريت خاتمه في ملكي . فلمّا أتى داود وجرّبوه بالقرن فكان كما قال النبيّ : وبالتنور نملأه ، وكان منحوقًا مصفارًا ولم يدخله أحد إلّا تغلغل[7] فيه .

(156)

وكان جالوت من أجسم الناس ، فمشى داود إلى جالوت فأخرج الحجارة وجعلها في القذّافة ، فكلّما أخرج حجرًا منها قال : باسم أبي إبراهيم ، والثاني : باسم أبي إسحاق ، والثالث : باسم أبي يعقوب . ثمّ أدار القذّافة فصارت الأحجار حجرًا واحدًا ، ثم أرسله (فصكّ به بين عيني)[1] . جالوت فنقبت رأسه وقتلته ولم يزل يموت كل إنسان تصيبه بحياله [2] فهزموهم عند ذلك . وزوّج طالوت ابنته من داود وأجرى خاتمه في ملكه ، فمال الناس إلى داود . قال : سلّم له طالوت الجباية وثلث الحكم . ثمّ حسده بعد ذلك طالوت وأراد اغتياله ، وسجي له داود [زقّ][3] خمر في مضجعه ، ودخل طالوت فضربه فطارت نقطة من الخمر إلى فيه ، فقال طالوت : يرحم الله داود ، ما كان أكثر شربه للخمر . ثمّ أتى داود طالوت فوضع سهمين عند رأسه وهو نائم وآخرَيْن عند رجليه . فلمّا استيقظ طالوت عرفها وأيقن أنّ داود خير منه حين كفّ عنه وقد ظفر به . ثمّ إنّ طالوت كان لا ينهاه أحد عن داود إلّا قتله . ثم أدركه الندم من ذلك وأقبل على طلب التوبة ، فسأل امرأة كان عندها الاسم المكنون فقالت : لا أعلم لك توبة إلّا أن تتخلّى عن ملكك وتخرج أنت وولدك فتقاتلوا في سبيل الله حتى تُقتلوا . ففعل طالوت ذلك حتّى قتل .

---

155 7) الطبري 1/472 : تقلقل .

156 1) ن : فصدّ به عيني ـ 2) الطبري 1/473 : فلم تزل تقتل كل إنسان تصيبه وتنفذ فيه حتّى لم يكن بحياله أحد ـ 3) عن الطبري .

(157)

قال القوطي : فأتى داود غلام حسن حين هزم الجيش من المسلمين الذين كانوا مع طالوت ، فقتل طالوت وأتى بسواريه وقال : وجدته جريحًا فاجتهدت عليه لمّا علمتُ أنّه عدوّك وأتيتك بسواريه لأحظى عندك بذلك . فأمر داود بقتله وقال : قتلتَ مقدّس الربّ وأمير بني إسرائيل . وكان الغلام غريبا من العماليق .

(158)

إنّ طالوت لمّا رأى ظهور داود وميل الناس إليه وصرفهم عنه مات على سرير ملكه ليلة كمدا ، وانقادت بنو إسرائيل لداود وبعثه الله نبيًّا . واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس من ذرّيّة يعقوب . الموضع الذي قتل فيه جالوت بيسان من أرض الغور من بلاد الأردن .

داود عليه السّلام

(159)

هو ابن إيشا[1] من ذرّيّة يهودا بن يعقوب ، أعطاه الله عزّ وجلّ ما نصّه الله في كتابه من الآيات ، ولم يزل قائمًا بأمر بني إسرائيل أحسن قيام إلى أن كان من أمره بامرأة أوريا ما كان ، وهي التي ولدت له سليمان بن داود . فلمّا واقع الخطيئة اشتغل بالتوبة واستخفّ به بنو إسرائيل ووثب عليه ابن له يقال له أبشالوم ، وهو ابن ابنة طالوت وهو بكره ، وأراد نزعه من الملك ودعا إلى نفسه ، فاجتمع إليه أهل الزّيغ . فلمّا تاب الله على داود ثابت[2] إليه الناس

---

159 1) ن : أنيشا ـ 2) ل ن : ثاب .

وحارب ابنه حتّى هزمه ووجّه في طلبه قائدًا من قوّاده ، وتقدّم إليه أن يتلطّف في أمره ولا يقتله . فلم يزل يتبعه القائد حتّى اضطرّه إلى شجرة ، فتعلّقت أغصانها بشعره ولحقه القائد فقتله مخالفًا لأمر داود ، فاشتدّ حزن داود عليه .

(160)

وأصاب بني إسرائيل في زمانه[1] طاعون ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشف البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتّخذوا ذلك الموضع مسجدًا . وذكر أنّ ذلك لإحدى عشرة سنة خلت من ملكه . وقد تقدّم في بيت المقدس غير هذا . قال : وتوفّي قبل أن يتمّ بناءه ، وأوصى إلى ولده سليمان باستتمامه ، فبناه في ثماني سنين . وصحّ عن القوطي قال : ابتدأ سليمان بناءه في السنة الرابعة من ولايته وأتمه في السنة الحادية عشرة . ويذكر أنّ سليمان لمّا فرغ من بنائه أطعم فتية بني إسرائيل فيه اثني عشر ألف ثور . والذي بنى منه داود هو المعروف بمحراب داود ، وليس في بيت المقدس بناء أعلى منه في هذا الوقت ، يُرى من أعلاه البحيرة المُنتنة[2] ونهر[3] الأردن . والبحيرة المنتنة بأرض العراق وهي لا تقبل الغُرقاء ولا يتكوّن فيها ذو روح من سمك ولا غيره ، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية وهو الأردنّ . فإذا انتهى إلى البحيرة المنتنة خرقها وانتهى إلى وسطها متميّزًا عن مائها فيغوص في وسطها ، وهو نهر عظيم لا يُدرى أين غوصه من غير أن يزيد في البحيرة المنتنة شيئًا . ومن البحيرة المنتنة تخرج الأحجار التي تستعمل لوجع الحصاة وهي نوعان ذكر وأنثى ، فالذكر للرجل والأنثى للمرأة . ومنها يخرج العقّار[4] المعروف بالحمر .

---

160 1) ل : في زمان داود ـ 2) ن : الميتة ، وكذا دائمًا ـ 3) ل ن : بحر ـ 4) ل ن : العقاب ، والتصحيح عن المسعودي 90 .

(161)

وكان عمر داود فيما وردت به الأخبار عن النبيّ[1] ﷺ مائة سنة ، وقال أهل الكتاب تسع وتسعون سنة ، ومدّة ملكه أربعون سنة ، وكان ملكه على فلسطين والأردنّ ، وكان عسكره ستّين ألفًا ، أصحاب درق وسيوف . والنصارى يزعمون أنّ قبره في الكنيسة الجسمانية ببيت المقدس .

(162)

وكان داود إذا قرأ الزبور ترقّ له الوحوش حتّى تؤخذ بأعناقها ، وإنّها لمُصغية[1] . وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج [2] إلّا على أصناف صوت داود عليه السلام[3] .

سليمـان بن داود عليهمـا الصّـلاة والسّـلام

(163)

أمّه امرأة أوريا ، أتاه الله عزّ وجلّ النبوّة ، وسأل ربّه أن يؤتيه ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده . فسخّر الله له الجنّ والأنس والطير والريح غُدُوّها شهر وَرَواحُها شَهرٌ[1] . ذكر أنّ منزلا بناحية دجلة مكتوبة فيه : نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيًّا وجدناه ، غَدَوْنَا من اصطخر فقلناه[2] ، ونحن رائحون[3] الشام إن شاء الله .

---

161 1) ل : رسول الله .

162 1) ن : المصينة ، الطبري 478/1 : لمُصيخة ـ 2) ل ن : الطنوج ـ 3) ل : عليه الصلاة والسّلام .

163 1) سورة سبأ 12/34 ـ 2) ن : فقلناه ـ 3) ل ن : راغين .

(164)

وخبره مع بلقيس مشهور ويذكر أنّه تزوّجها ، ويقال إنّه إنّما أنكحها من تبّع ملك همدان فردّها إلى اليمن ولم يزل زوجها ملكًا باليمن حتّى مات سليمان ﷺ . ولمّا غلب سليمان والد جرادة وقتله الملك واصطفى جرادة كانت من أجمل الناس ، فأحبّها سليمان حبًّا شديدًا ، وكانت لا تزال تبكي أباها ، فوجد لذلك سليمان وجدًا شديدًا حتّى سألته أن يأمر الجنّ فيصوّروا لها صورة أبيها فلعلّها تسكن . فأمر سليمان الجنّ بذلك فعمدت إلى الصورة فلبّستها وعمّمتها وجعلت تسجد لها هي وولائدها غدوة وعشية . وبلغ ذلك آصفَ وكان صدّيقًا ، فأعلم سليمان فكسّر الصنم وعاقب المرأة . فسلبه الله خاتمه عقوبة . وقد ذكرنا الحديث بطوله في أخبار جزائر البحر الأخضر .

(165)

وروي أنّ سليمان عليه السلام كان إذا رأى شجرة نابتة بأرض المقدس أو في أرضه يقول لها : ما اسمك ولأيّ شيء أنت ؟ فإن كانت لدواء كتبت وعلمت . فبينا هو يمشي إذ رأى شجرة نابتة فقال : ما اسمك ؟ فقالت : الخرّوب . قال : ولأي شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت . فقال سليمان : اللّهمّ عمّ على الجنّ موتي حتّى تعلم الإنس أنّ الجنّ لا يعلمون الغيب . فنحت الخرّوب وأخذ منها عصا وتوكّأ عليها ميّتا حولاً كاملاً ، فأكلت الأرضة العصا حتّى خرّ سليمان . فلمّا خرّ سليمان شكرت الجنّ الأرضة فهي تأتيها بالماء والطين وتنقل إليها الطين حيث كانت وقال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب ؟ هو ممّا يأتيها به .

(166)

وكان جميع عمر سليمان نيّفًا وخمسين سنة ، اثنتين وخمسين سنة ، وبعد أربع من مملكته ابتدأ ببناء بيت المقدس . قال : وكانت مملكته أربعين سنة ،

صحّ لهم . قال القوطي : ولّي وهو ابن سبع عشرة سنة وبقي أربعين سنة ، فعمره على هذا سبع وخمسون سنة ، قال القوطي : أوّل حكم حكم به في الصبا في أمر الصبي الذي ادّعتاه المرأتان ، فدعا بالسيف وأمر بشقّ الصبي وقسمته عليهما ، فرضيت بذلك التي لم يكن لها وقالت أمّه : بل تعطيه الأخرى حيًّا . فحكم به لها وعجب بنو إسرائيل من حكمه وفهمه .

(167)

ثمّ ملك بعد سليمان ابنه أرْخَبْعَم[1] ، فتفرّقت عليه بنو إسرائيل ولم يبق معه إلّا السبطان[2] ، [وكان ملكه إلى أن هلك][3] سبعة عشر عامًا . وتوارث ذلك عقبه ولم يزالوا برهة (يجتمعون على ملك منهم ثمّ يفترقون إلى رأس مائتي سنة من موت سليمان إلى أن بعث الله عزّ وجلّ)[4] فيهم شعيا نبيًّا .

ذكر شعيا عليه السّلام

(168)

هو شعيا بن آموص[1] ، وهو الذي بشّر بعيسى بن مريم ومحمّد ﷺ ، وكان في زمان حزقيا ملك لبني إسرائيل من ذريّة سليمان ، هذا الصحيح . وقد قيل في زمن جدّه وقيل يوطان . وكان حزقيا الملك مستقيم السيرة صحيح الإيمان نابذًا للأوثان التي كان اتّخذها [بنو اسرائيل] من قبله وقطعها من جميع أرض يهودا . فلمّا حان انقضاء ملكه بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ومعه ستّمائة ألف راية ـ سنحاريب ملك الموصل ـ حتّى نزل بأرض إيليا

167 1) عن المسعودي 107 ، ل ن : رجيعا ـ 2) ن : الشبطان ـ 3) عن المسعودي 108 ـ 4) سقطت من ن .

168 1) ل ن : راموص .

والملك مريض . وأوحى الله عزّ وجلّ إلى شعيا أن سر إلى الملك وأعلمه أنّه ميّت وأمره أن يستخلف من شاء على ملكه . فلمّا قال له ذلك شعيا بكى وجزع وتضرّع ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى شعيا أن قد أخّرتُ أجله خمس عشرة سنة وإنّي منجيه من عدوّه . فشكر الملك وسجد لله عزّ وجلّ .

(169)

قال القوطي : وبعث الله الطاعون على عسكر سنحاريب فهلك منهم في ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانون الفًا لم يسلم منهم إلّا سنحاريب وخمسة من كتّابه وقوّاده أحدهم بخت نصر بعد أن فرّوا فأدركوا في مغارة . وأوتي بهم ملك بني إسرائيل فخرّ ساجدًا من حين طلعت الشمس حتّى كان وقت العصر . وأمر بأن توضع الجوامع في رقابهم ويطاف بهم سبعين يومًا حول بيت المقدس ، ثمّ أرسله ومن معه لينذروا من ورائهم وكان ملكه الى أن توفي سبعا وعشرين سنة . وبقي المُلك في ولده إلى ملك لهراسيف[1] ملك الفرس . تنافس بنو إسرائيل الملك ، فأمر الله شعيا أن يقوم فيهم بوحيه ، فلمّا فعل قتلوه فسلّط الله عليهم عدوّهم فوجّه لهراسيف[1] بخت نصر . فبنى مدينة بلخ فسمّاها الحسنى ، فقاتل الترك واشتدّت شوكة بخت نصر حتّى أتى دمشق فصالحه أهلها ، ووجّه رسوله إلى بيت المقدس فصالح ملك بني إسرائيل وهو رجل من ولد سليمان ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فوثب بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه وقالوا : راهنت أهل بابل وخذلتنا . فكرّ بخت نصر راجعًا إليهم فأخذ المدينة عنوة وقتل وسبى وحرق البيت وهدّم أسوار المدينة . وكان آخر ملوك بني إسرائيل شدخش ، وقيل خرخش ، من ذرّية سليمان بن داود ، فانقطع سلطان بني إسرائيل ووُجد في سجن بني إسرائيل إرميا النبي[2]

---

169 1) الطبري : لهراسب ــ 2) ل : عليه السلام .

ذكـر إرميـا النبـيّ عليـه السّـلام

(170)

وكان الله قد بعثه إليهم يحذّرهم ما حلّ بهم من بخت نصر إذ لم يتوبوا ، فضربوه وسجنوه . فسأله بخت نصر عن شأنه ، فأخبره فأحسن إليه وخلّى سبيله . وانصرف بخت نصر بعد أن غزا مصر لمّا منع منه ملكها ، فأتى بني إسرائيل وقتل ملكها ، وهو فرعون الأعرج ، وسبى أهله . ورجع ومعه سبي كثير فيهم عزير ودانيال وغيرهم .

(171)

وفي ذلك الزمان تفرّقت بنو إسرائيل فنزل بعضهم بأرض الحجاز يثرب ووادي القرى وغيرها . وانتهى عدد سبيه من بني إسرائيل ثمانية عشر ألفا . قال : وعمد بخت نصر إلى التوراة وإلى ما كان في هيكل بيت المقدس من كتب الأنبياء وطرحه في بئر وعمد إلى تابوت السكينة فأودعه في بعض المواضع من الأرض .

ذكر دانيال عليه السّلام

(172)

ق : فأمّا دانيال فهو الذي عبّر رؤيا بخت نصر ، فنزل منه بأحسن المنازل ، وكان قبره بناحية السوس ووجده أبو موسى الأشعري فأخرجه وكفّنه وصلّى عليه ثم قبّره . وقال في أخبار الفرس إنّ دانيال كان بين نوح وإبراهيم وثبت هذه المقالة وقال : وهو الذي استخرج العلم وما يحدث في الأزمان إلى أن تنقضي الأرض ومن عليها وعلوم ملوك العالم وما يحدث في السنين والشهور

من الحوادث ودلائل ذلك في الآفاق . وفي مدينة بابل الخربة التي كانت مملكة الفرس جبّ يعرف بجبّ دانيال الذي تقصده النصارى يوم عيدهم واليهود في أعيادهم . قال أبو عبّاد في كتاب الأقوال : لمّا فتحوا السّوس وأميرهم أبو موسَى الأشعري وجدوا دانيال في جرن [1] وإلَى جنبه مال موضوع من شاء اقترض [2] منه إلَى أجل ، فإن أتَى به إلَى ذلك الأجل وإلاّ برص . والترمه أبو موسَى وقبّله وقال : دانيال وربّ الكعبة . وكتب في شأنه إلَى عُمَر ، فكتب عمر إليه : كفّنه وحنّطه وصلّ عليه وادفنه كما دفنت الأنبياء واجعل ماله في بيت مال المسلمين . قال : فكفّنه في قباط بيض وصلّى عليه ودفنه . قال : حدّثنا بذلك حسّان بن عبد الله عن السدّي بن يحي عن قتادة .

ذكـــر عزيـــر

(173)

فأمّا عزير فأقام لبني إسرائيل التوراة بعد ما أحرقت حين عاد إلَى الشام . فقالت طائفة منهم : هو ابن الله وهو الذي أكثر المناجاة في القدر ، فمحا الله اسمه من الأنبياء فلا يذكر فيهم ، وهو رسول .

وبقي إرميا بأرض مصر حتّى أوحَى الله إليه أن اخرج فالحق بإيليا ، فلتكن بلادك حتّى يبلغ الكتاب أجله . فخرج إرميا مذعورا فركب حماره وانطلق حتّى رفع له شخص بيت المقدس ، فرأى خرابا عظيما لا يوصف . قال : أنّى يُحيي هٰذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ، الآية [1] . ق : فبعث الله ملكا من ملوك الفرس [2] يقال له كوش [3] فعمّر بيت المقدس .

---

172 1) ن : برن (؟) ، ل : ابرن (؟) ـ 2) ل : .ستقرض

173 1) سورة البقرة 259/2 ـ 2) ل : الفارس ـ 3) ل ن : كوشك .

(174)

وملك لهراسيف [1] مائة وعشرين سنة ، وملك بعده يستاسف [2] ابنه فبلغه خراب بلاد الشام وأنه ليس بها أحد من الانس ، فأذن لبني إسرائيل أن يرجعوا إلى الشام ونودي في الناس بذلك . وملّك رجلاً من آل داود عليهم فعمّروها ، وذلك بعد سبعين سنة ، فإنّما فعل ذلك الملك الفارسي لأنه كان استخلص جارية من سبي بني إسرائيل فسألته ذلك . قال : والذي ملك عليهم روبابيل ، وأقام فيهم ستّا وأربعين سنة . وقيل إنّ رجوعهم كان في أيام كورش الفارسي الملك ، وكان دانيال حلّ هذا الملك . ثم أحيا الله سبحانه وتعالَى إرميا عليه السلام .

ذكر زرادشت الذي تدّعي بنبوّته المجوس

(175)

وفي زمان يستاسف [1] صاحب بابل ظهر زرادشت بن اسبيمان [2] الذي تدّعي المجوس أنه نبيهم . وكان من علماء أهل فلسطين خادما لإرميا ، فخانه فدعا الله عليه فبرص ولحق ببلاد آذربيجان وشرع فيها دين المجوسية وقصد الناس علَى الدخول فيه وقتل في ذلك وعذّب حتّى دانوا به . وأتى زرادشت بالمعجزة الباهرة وأخبر عن الكائنات من الكلّيات والجزئيات ، وأتى بكتاب يدور علَى ستّين حرفا من المعجم ، وهي لغة يعجز عن إيرادها ولا يدرك كنه مرادها . وكتب هذا الكتاب في اثني عشر ألف مجلّد بالذهب فيه وعد ووعيد ، وأمر ونهي ، وغير ذلك من العبادات ، واسم هذا الكتاب بستاه [3] ، وأوّل سورة منه سورة حيرفت فيها ذكر مبتدأ الخليقة وأصول

---

174 1) الطبري 540/1 : لهراسب ــ 2) الطبري : بشتاسب .

175 1) ل ن : يستأنف ــ 2) ل ن : استيان ، والتصحيح عن المسعودي 547 ــ 3) عن المسعودي 549 ، ل ن : لستاه .

الطبائع وأمزاجها . وعمل له زرادشت تفسيرا سمّاه بازند وهو كتاب يعجز عن حفظه ، وأكثر ما يحفظونه أسباعا إذا انتهَى الحافظ للسبع ابتدأ الحافظ للسبع الثاني . وكانت نبوّة زرادشت فيهم خمسا وثلاثين سنة ، وهلك وهو ابن سبع وسبعين سنة .

(176)

وممّا تحمل الفرس عنه أن القديم تعالَى طالت وحدته فطالت فكرته ، فلمّا طالت فكرته اشتدّت وحشته ، فلمّا اشتدّت وحشته تولّد الهرمند فصار مضادًّا للنّور الأكبر - والهرمند هو الشيطان . وأن الله عزّ وجلّ لو كان قادرا علَى إفناء الهرمند لما ضرب له أجلاً ولا أخّره أمدا يغوي عباده ويفسد بلاده . وهذا هو المحال عينه والناقص نفسه ، تعالَى الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرا . ولم تزل الفرس تتدارس نواميس هذا الكتاب جيلاً فجيلاً حتّى ظهر فيهم خاهشت الغلام ، فشرح لهم تأويلاً وأحدث لهم قرابين في مذاهبهم اعتمدوا عليها واتّخذوا بيوت النيران وقرّبوا لها القرابين ورتّبوا لها السدنة ووضعوا لها أيضًا الهرابذة - أحدهم هربذ - وتأويله فقيه الدّين . ووضعوا مرزبانا [1] تأويله قاضي القضاة ، وهو بالفارسية الدّين ، وهو حافظ الدّين . وكانت لهم صلوات وزمزمة وقرابين يقرّبونها في بيوت النيران ، وجملة اعتقادهم محصورة في الكتاب الذي جاءهم به زرادشت .

(177)

وكان ملك يستاسف [1] مائة سنة واثنتي عشرة سنة . وبخت نصر رجل من العجم عاش دهرا طويلاً جاوز ثلاثمائة سنة وخدم عدّة من ملوكهم آخرهم

---

176 1) ل ن : مزبـران .

177 1) ل ن : يستاشف .

بهمن ، وهو ابن يستاسف [1] ـ وبهمن أبو داراي [وهو أبو] دارا الذي قتل في عهد الإسكندر . ودارا الأكبر هو الذي عقد له أبوه بهمن التاج وهو في بطن أمّه حنانا ابنته . فلمّا رأى ذلك ساسان بن بهمن وكان يتصنّع للملك لا يشكّ فيه ـ وهو رجل كامل ـ لحق بإصطخر وتزهّد وخرج من خليته وتعبّد واتّخذ غنمًا وكان يتولّى ماشيته بنفسه واستساغت [2] العامّة ذلك عنه ونطقت به . فمن ساسان الساسانية ، وهم الفرس الثانية أوّلهم أردشير بن بابك بن ساسان أبو أربعة إلى ساسان بن بهمن .

عيسَى وزكريا عليهما الصّلاة والسّلام

(178)

كان زكريا ابن آذن وعمران بن ماثان بن أليعقيم [1] من ولد سليمان بن داود من سبط يهودا ، وكانا في زمان واحد . فتزوّج زكريا أشياع ابنة عمران أخت مريم واسم أمّها حنّة . وكان يحيَى وعيسَى ابني خالة ، وكان زكريا نجّارا . وأشاعت اليهود أنه ركب من مريم الفاحشة ففرّ منهم ، فلمّا أحسّ بهم دعا الله عزّ وجلّ أن يفتح له جوف شجرة ، فدخل فيها ودلّهم إبليس عليه وبقي هدب ردائه ظاهرًا ، فنشروا الشجرة ونشروه معها . ولذلك تتّخذ أهل الكتاب الهدب في أرديتها .

ذكر يحيَى بن زكريا عليهما السّلام

(179)

وأمّا يحيَى فكان مولده قبل عيسَى بستّة أشهر ، فنبّأه الله واستظهر به عيسَى ، وبعثه الله في اثني عشر من الحواريّين يعلّمون الناس ، فكان ما نهوا

---

177 2) ل ن : واستشاعت .

178 1) ل ن : يغائيم .

عنه بني إسرائيل نكاح ابنة الأخ . وكانت لملكهم ابنة أخ تعجبه ، أراد أن يتروجها ، فبلغ نبيهم أمّها فحقدت علَى يحيَى حين نهى أن يتزوّج الملك ابنتها ، وأمرت ابنتها أن تتلطّف للملك وتسقيه وتعرض له ، فإن أرادها علَى نفسها أبت حتّى يعطيها ما سألته ، فإن أعطاها ذلك سألت أن يؤتَى برأس يحيَى . ففعل الملك ما سألته ، وهو أحب وامرأته أزبيل ، وقد تقدّم ذكرها . قال : فلمّا وضع رأس يحيَى بين يديه جعل يتكلّم ويقول : لا تحلّ لك . واستمرّ غليان دمه ، فأمر بتراب فألقي عليه فما ازداد إلاّ انبعاثا . فبعث الله عليهم ملكًا من ناحية الشرق يقال له خردوش ، فقتل منهم علَى دم يحيَى بن زكريا سبعين ألفًا إلَى أن سكن دمه . وذُكر أن الذي فعل ذلك بخت نصر ، وهذا لا يُستفهم لأنه من خراب بيت المقدس علَى يد بخت نصر إلَى مولد عيسَى عليه السّلام خمسمائة سنة وسبعون سنة تعدّ ملكًا ملكًا ، كما أنه لا يستفهم أن يكون أحب هو الذي قتل يحيَى وهو الذي بُعث إليه إلياس بن ياسين ، وبين يحيَى وإلياس مثل هذه المدّة . قال : ووُلد في أيام ملوك الطوائف(1) لمضي ثلاثمائة سنة وثلاث وستّين سنة من وقت غلبة الإسكندر علَى بابل ، وهذا هو الصحيح . وقال وهب بن منبّه إنّ الإسكندر كان في الفترة بعد عيسَى ، وهذا وهْم لأن ملوك الطوائف (1) إنّما كانت بعد الإسكندر .

(180)

ويقال إنه لمّا وُلد عيسَى لم يبق علَى وجه الأرض صنم يُعبد إلاّ سقط علَى وجهه . ففزعت الشياطين وجاؤوا إبليس فأخبروه ، فقال : إنّ لهذا شأنًا . وذهب يطوف الأرض حتّى مرّ بالمكان الذي ولد فيه عيسَى عليه السّلام ببيت لحم يهودا ، فرأى الملائكة محدقين به ، فأراد أن يأتيه فمنعته الملائكة ورجع إلَى أصحابه فأخبرهم ، وفرّت بعيسَى أمّه إلَى أرض مصر خوفًا من

---

179 (1) ن : الطائف .

هذا وخوفًا من هرادش ، فذلك قوله عزّ وجلّ : وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ [1] . ثمّ ردّته إلَى الشام بعد اثنتي عشرة سنة من عمره .

(181)

وجاءه الوحي بعد ثلاثين سنة وكانت نبوّته ثلاث سنين ، وأتاه الله الآيات التي نصّ عليها وأنزل الله عليه المائدة سفرة حمراء مغطّاة بمنديل بين غمامتين . س : ومرّ عيسَى ببحيرة طبرية وعليها ناس ، فدعاهم إلَى دين الله ، فاتّبعه ثلاثة من الصيادين واثنا عشر من القصّارين ، فهم الحواريّون . وذكر أنّ أحد الحواريّين دلّ اليهود علَى عيسَى حين [1] همّوا به ، ثم ندم علَى ما فعل فاختنق وقتل نفسه . وقد كان عيسَى عليه السّلام ذكر لهم ذلك . قال : ثمّ لقيه الحواريّون بعدما رُفع ليزيل ما في نفوسهم ، فسألهم عنه فقالوا : قتل نفسه . فقال : لو تاب تاب الله عليه .

(182)

وذكر ابن خرداذ به [1] أن الذي صُلب مكانه أيشوع بن قيدار ، وأنه كان بين هبوط آدم إلَى الأرض ورفع المسيح خمسة آلاف وخمسمائة وثمان وثلاثون سنة . قال القوطي : وكان بين انقضاء أمر المسيح وكفر اليهود وتفرّق جماعتهم وتمام اللعنة عليهم إلَى يوم القيامة وإخراجهم من ديارهم علَى يدي قيصر طيطوش تسع وثلاثون سنة . قال القوطي وغيره : وكان انقضاء أمر المسيح زلزلة عظيمة عمّت الدنيا شرقًا وغربًا وانهدمت [2] لها الجبال وتصدّعت الصخور [3] وتهوّرت المدن دليلها وشاهدها الكور التي وضع عنها

---

180 1) سورة المؤمنين 50/23 .

181 1) ل ن : حتّى .

182 1) ل ن : ابن قرداذبه ـ 2) ل : انهدت ـ 3) ل ن : الصخر ـ

الخراج من أجل انهدامها ، وذلك موجود في الدواوين . وكسفت الشمس ذلك اليوم من الساعة السادسة إلَى آخر النهار حتّى صار ذلك النهار ليلاً .
وفي ذلك قال شاعر اليونانيّين ترجمناه عربيًّا [كامل] :

فزعت له الدنيا وظنّت أنّه ليل عليها ما يزال مؤبّدا
لمّا رأى الناس الكسوف علَى خلاف سبيله ظنّوه ليلاً سرمدا

لأنها كسفت في انتصاف الشهر والشمس لا تعرف كسوفها [4] إلاّ في انقضاء الشهر وعند اجتماع النيّرين .

ذكر من كان بين موسَى وعيسَى

(183)

وقد كان من الأنبياء قبل عيسَى يونس بن متّى عليهما الصّلاة والسّلام ، كان من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فكان من أمره وأمر قومه ما نصّه الله سبحانه وتعالَى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ الآية [1] .

(184)

وممّن كان بين موسَى وعيسَى عليهما السّلام بنو حضور بن عدي ، وكانوا أمّة عظيمة ذوي بطشة زعموا أنّه من ولد يافث ، وقيل من العرب الدائرة ، بعث الله عزّ وجلّ إليهم شعيب بن ذي مِهْرم بن حَضور نبيًّا ، فكذّبوه وقتلوه . وهذا غير شعيب صاحب مدين بينهما مئون من السنين ، وقد كان بين موسَى وعيسَى ألف نبيّ . فسلّط الله علَى بني حضور جبّارا يقال له بخت

---

182 4) سقطت من ل .
183 1) سورة يونس 98/10 .

نصر ، فصار إليهم بجنوده وغشّى ديارهم وصاح بهم صائح من الهواء وقد استعدّوا لحربه ، فعمّ الصوت أسماعهم [طويل] :

سيُغلَب قوم غالبوا الله جهرة وإن كايدوه كان أقوى وأكيدا
كذلك يُضّل الله مَن كان قلبه (1) مريضا ومَن والَى النفاق وألحدا

فعلموا أن الأمر نازل بهم فانفضّت جموعهم وحصَدهم السيف أجمعين . يقول الله عزّ وجلّ فيهم : فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (2) .

[ذكر من كان بين عيسَى ومحمّد صلعم]

(185)

وممّن كان في الفترة بين عيسَى ومحمّد صلعم جرجس ، وهو من أهل فلسطين ، وبعث إلَى ملك الموصل يدعوه إلَى الإسلام ، فقتله بالعذاب مرّات وأحياه الله عزّ وجل آية لهم وعبرة ، ونشره قطعا ورماه إلَى الأُسد الضارية فخضعت الأسد برؤوسها وظلّ يومه كذلك . فلمّا أدركه الليل جمع أوصاله وردّ روحه ، ثمّ أقبل عليهم اليوم الثاني يعظهم ويغلّظ عليهم ، فلمّا استمرّوا في عتوّهم وكفرهم بعث الله عليهم نارا فأحرقتهم عن آخرهم .

(186)

وممّن كان في الفترة الذين حكَى الله عزّ وجلّ عنهم في قوله : وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ الآية (1) . وأسماؤهم صادق وصدوق والثالث شلوم ـ الثالث بطرس بالرومية وبالسريانية شمعون وبالعربية سمعان . وقد سمّي الاثنين أيضا بالرومية فقيل بطرس وبولس ، وقيل يرما

---

184 1) ن : قبله ـ 2) سورة الأنبياء 12/21 .
186 1) سورة يٓس 13/36 ـ

ومؤمن . بعثهم الله إلَى فرعون من الفراعنة كان بمدينة أنطاكية - أصل هذا الاسم بالرومية أنطجين وهو لقب للملك الذي بناها ، وتفسيره محوّط الحيطان ، فلمّا افتتحها المسلمون حرفت الأحرف إلاّ الألف والنون والطاء . ويقال إنّهم من الحواريّين ولم يكونوا من الأنبياء ، والذي جاء يسعَى رجل اسمه حبيب كان يعمل الحرير [2] . فلمّا قال لهم : يَا قَوْمِ ٱتَّبِعُوا ٱلْمُرْسَلِينَ الآية [3] وطئوه بأرجلهم حتّى خرج قضيبه علَى دبره ، فأدخله الله الجنّة حيًّا يرزق فيها . فذلك قوله تعالَى : يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ [4] . قال : وصلب الكافر لعنه الله المرسلين منكوسين ، فأهلكهم الله أجمعين ، فذلك قوله عزّ وجلّ : إنْ كانَت إلاّ صَيْحَةً واحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُون [5] . فلمّا ظهر دين النصرانية جعل المرسلين [6] في أخزنة من البلّور وهم في كنيسة هناك بمدينة رومية ولها بناء عظيم .

(187)

وممّن كان في الفترة أصحاب الأخدود ، فإنّهم كانوا بنجران من اليمن . وبلغ ذا نواس أنّ قومًا بنجران علَى دين المسيح ، وكان هو يهوديًّا ، فنهض إليهم بنفسه وحفر لهم الأخاديد وأضرمها نارًا ، ثمّ دعاهم إلَى اليهودية ، (فمن أجاب نجا ومن لم يجب) [1] قذفه في الأخاديد [2] . فأوتي بامرأة معها طفل من سبعة أشهر ، فأبت أن ترجع عن دينها ، فأدنيت من النار فجزعت فأنطق الله الطفل وقال : امضي علَى دينك فلا نار بعدها . فألقيت في النار . فسلّط الله عليهم الحبشة وغلبوهم علَى أرض اليمن إلَى أن كان من أمر ذي يزن واستنجاده أنوشروان ما كان .

---

186 2) ل ن : الحديد ـ 3) سورة يس 20/36 ـ 4) سورة يس 26/36ـ27 ـ 5) سورة يس 29/36 ـ 6) ن : النصرانية .

187 1) ل : فمن أبي ـ 2) ن : في التاريد .

جملة من القول في جزيرة العرب
وذكر شيء من أخبارها

(188)

قال جعفر بن محمّد : سألت المغيرة بن عبد الرجيان عن جزيرة العرب فقال : مكّة والمدينة واليمامة واليمن . قال يعقوب : والقرح أوّل تهامة . قال أبو عبد الله : جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسَى إلَى أقصَى اليمن في [1] الطول ، وأمّا العرض فما [2] بين يبرين إلَى منقطع السماوة ، وحفر أبي موسَى علَى خمس مراحل من البصرة . قال الأصمعي : جزيرة العرب [من أقصَى] [3] عدن أبين إلَى ريف العراق في الطول ، وأمّا العرض فمن جدّة وما والاها من ساحل البحر إلَى أطوار الشّام . وقال أبو يوسف يعقوب بن شيبة الخرساني المحدّث : قال شرقي بن القطامي وغيره : كانت أرض الجزيرة خاوية ليس في تهامتها ونجدها وحجازها وعروضها كثير [4] أحد لإخلاء بخت نصر إيّاها وإخلائها من أهلها إلاّ من اعتصم بروؤس الجبال وأشعابها .

(189)

وبلاد العرب علَى خمسة أقسام في جزيرة بطبعه ، وهي التي صارت في قسم من أنطق الله عزّ وجلّ باللّسان العربي حين تبلبلت الألسن ببابل في زمان نمرود . فقسم فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح الأرض بين ولده . وإنّما سمّتها العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها ، وصاروا منها في مثل الجزيرة . وذلك أن الفرات أقبل من ناحية بلاد الروم فظهر بناحية قنّسرين ، ثم انحطّ [1] علَى أطراف الجزيرة وسواد العراق حتّى

---

188 1) ل ن : من ـ 2) ل ن : فمن ـ 3) من الحميري 163 ـ 4) ل ن : كبير .

189 1) ن : انحطّ ـ

وقع في البحر [2] من ناحية البصرة والأبلّة، وامتدّ البحر من ذلك الموضع لمطيفها منقطعا عليها، فأتى منها علَى سفوان وكاظمة ونفذ إلَى القطيف [3] وبنجد وأسواق عمان والشحر [4]، ومال منه عنق إلَى حضرموت وناحية أبين وعدن ودهلك، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن ببلاد برسان وجاور والحكم والأشعرين وعكّ [5]، ومضَى إلَى جدّة ساحل مكّة والجار [6] ساحل المدينة، ثمّ إلَى ساحل الطور وتيماء وخليج أيلة حتّى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها. وأقبل النيل في غربي هذا العنق من أعلَى بلاد السودان مستطيلا معارضًا للبحر حتّى وقع في بحر مصر والشّام، ثمّ أقبل ذلك البحر من مصر حتّى بلغ بلاد فلسطين، فمرّ بعسقلان وسواحلها وأتى علَى صور [7] ساحل الأردنّ وبيروت [8] وذواتها من ساحل دمشق، ثم نفذ إلَى ساحل حمص [9] وسواحل [10] قنّسرين والجزيرة إلَى سواد العراق.

(190)

وقال أبو النصر سعيد بن غالب الجيهاني: حدّ جزيرة العرب ممّا يلي الشمال في الخطّ الذي يخرج من ساحل أيلة فيمرّ مستقبل الشّرق في أرض مدين إلَى تبوك ودومة الجندل إلَى البلقاء وتيماء ومأرب، وهي كلّها من الشّام، ويمضي في وادي شيبان وبكر وتغلب، ويصل بالكوفة والنجف والقادسية والحيرة ونجران السّواد، وهي علَى يسار الكوفة. وعن يمين هذا الخطّ ممّا يلي الجنوب أرض الحجر ووادي القرى - واسمها وحّ في القديم - وهي أرض ثمود وما دونها إلَى الأغوار والتهائم والنجود، إلَى أن يصل [إلَى] ساحل حضرموت، كلّ ذلك من أرض العرب، وممّا يلي الشّمال من هذا الخطّ فمن بلاد الأردنّ الشّمالي. وحدّ جزيرة العرب ممّا يلي الشّرق وهو مهب الصباء بطائع البصرة حتّى ينتهي إلَى الجزيرة، ثمّ فيض [1] البصرة، وهو نهرها

---

189 2) ل ن : البحرين ـ 3) ن : القطيفة ـ 4) ن : الشجر ـ 5) ل ن : وعكة ـ 6) ل ن : احار
7) ل ن : سور ـ 8) ل ن : بهروت ـ 9) ل ن : مصر ـ 10) ن : وساحل.

190 1) ن : قيض ـ

الذي البصرة عليه ، وكان زياد بن سمية حفره إِلَى الأبلّة [2] ، ثمّ استوى [3] إِلَى سفوان وكاظمة وقطيف وأسياف والبحرين وعُمان ، ثمّ يمرّ منحدرا من الشّمال علَى ساحل البحر حتّى يأتي غبّ عدن ، والغبّ ينزوي فيه الماء شبه الخليج فينعطف عنق من البحر ويأخذ مع الصباء منعطفًا علَى جزيرة العرب ويستمرّ نحو [4] الهند علَى الشّمال . والبحر مع دجلة البصرة في هذا الموضع غربيّه يُسمّى أرض العرب وشرقيّه يسمّى شاطئ [5] فارس . وما وراء ذلك من شرقيّ البحر عند منقطع أرض فارس فهو من بلاد الهند ، ويتّسع البحر ويصير جزائر . وحدّ جزيرة العرب ممّا يلي الجنوب ساحل هذا العنق من الصباء ، وهذا العنق علَى يمين الذاهب منه ، جزيرة العرب إِلَى ضفّة البحر وعلَى يساره بلاد الزنج . وفي ساحل هذا العنق يُصاب العنبر . ويمضي ذلك العنق حتّى يمرّ بساحل حضرموت وأبين وينتهي إِلَى عدن ، وعدن مُنتهى هذا العنق ، ثمّ ينعطف هذا العنق من عدن مع الجنوب فيمرّ منعطفًا علَى جزيرة العرب مستقبل الشّمال ، فعن يمين الذاهب منه جزيرة العرب وعن يساره بلاد السُّودان والحبشة وغيرهم . ثمّ يمرّ ذلك العنق ببلاد العرب علَى سواحلها دهلك وبلاد برسان وحكم والأشعرين وعكّ وغيرها حتّى يصل إِلَى جدّة وهو ساحل مكّة ، ثمّ يصير إِلَى الجار وهو ساحل المدينة ، ثمّ يمضي إِلَى الحوراء وهو ساحل وادي القرى ، ثمّ إِلَى خليج الأيلة ، ثمّ إِلَى ساحل الطور وساحل راية حتّى ينتهي إِلَى القلزم ويقارب [6] بلاد مصر ، ثم ينقطع ذلك العنق ويقف [7] .

(191)

قال ابن شيبة [و] الجيهاني معًا : فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة علَى خمسة أقسام : تهامة والغور والحجاز والعروض واليمن . وذلك أنّ جبل

---

190 2) ل ن : الأيلة ـ 3) سقطت من ل ـ 4) ل ن : بحر ـ 5) سقطت من ن ـ
6) ل ن : ويقال ـ 7) ل ن : ويصف .

السراة ـ وهو أعظم جبال العرب ـ أقبل من أرض اليمن حتّى بلغ أطراف بوادي الشّام ، فسمّته العرب حجازا لأنه حجز بين الغور ـ وهو هابط ـ وبين نجد ـ وهو ظاهر ـ فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيّه إلَى أسياف البحر [1] من بلاد الأشعرين وعكّ [2] وكنانة ـ ولم يذكر الجيهاني كنانة ـ وغيرها إلَى ذات عرق والجحفة وما طابقها وغار من أرضها . قال الجيهاني : وما صار فيها وغار من أرضها الغور ـ غور تهامة ـ وتهامة تجمع ذلك كلّه . وصار ما دون ذلك الجبل في شرقيّه من الصحاري النجد إلَى أرض العراق والسّماوة وما يليها ، ونجد يجمع ذلك كلّه . وصار الجبل نفسه سراته ، وهو الحجاز وما انحجز في شرقيّه من الجبال وانحاز ناحيته ، فمرّ والجبلين إلَى المدينة ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها إلَى ناحية فيد حجازًا ، والعرب تُسمّيه نجدًا وجلسا وحجازًا ، والحجاز يجمع ذلك كلّه . حدّ الحجاز السُّويداء والمدينة أربعة وأربعون ميلاً .

(192)

قالا : وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما العروض وما فيها نجد وغور أقربها من البحر والانخفاض ومواضع فيها مسائل وأودية ، والعروض يجمع ذلك كلّه . وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلَى صنعاء وما والاها من البلاد إلَى حضرموت والشّحر وعُمان اليمن ، وفيها التّهائم والنجود ، واليمن يجمع ذلك كلّه . انتهَى قولها .

(193)

وقال الجيهاني دون يعقوب : (وهذا الجبل الذي يسمّى السراة مَبْدؤه من بلاد اليمن فيمتدّ حتّى يبلغ الشّام فتقطعه الأودية) [1] ، فإذا انتهَى إلَى ناحية

---

191 1) ل ن : البحرين ـ 2) ن : وعلن .

193 1) سقطت من ن ـ

نخلة كان منها (خيطَى ويسوم) [2] ، وهما جبلان بنخلة . وكان يطلع منها إلَى جبل العرفج وجبل العرس ، والأشعر والأجرد جبلان من جبال جهينة ، ولها أودية وشعاب كثيرة . وذُكر عن عُمر بن الخطّاب انّه قال لعتبة بن غزوان حين بعثه إلَى البصرة : إذا قطعتَ أقصَى أرض العرب وبلغت إلَى أرض العجم فأنزل . وكان مناخه بباب البيضاء .

(194)

وطول جزيرة العرب من آخر حدود الشّام وأوّل حدود الحجاز إلَى عدن اثنان وخمسون مرحلة بسير الإبل ، وذلك ألف وخمسمائة ميل ، وعرضها من بحر جدّة إلَى بحر الأبلّة علَى الاستقامة ثلاثون مرحلة بسير الإبل ، وذلك ثلاثمائة [1] ميل . وفي مواضع منها يختلف هذا الطول والعرض علَى حسب دخول البحر في أرضها [2] وخروجها عنه ونزحه منها . واسم هذه الجزيرة في كتب الأوائل مقدّس ، وذلك بإبيان منها وهبوب الرياح إليها ، وتسمّيها اليونانيّون ... [3] ، وتسمّيها العرب السّعيدة .

ذكر شيء من أخبار العرب العاربة والأمم الدّاثرة ومذاهبهم ودياناتهم وسيرهم واعتقادهم

(195)

أمّا طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح وجديس بن عابر بن إرم ابن سام فإنّهم ساروا ونزلوا البحرين واليمامة . واسم اليمامة جوف ، إنّما سُمّيت اليمامة بامرأة . فمكثوا كذلك برهة وبلادهم أفضل بلاد وأكثرها خيرا ، حدائق ملتفّة

---

193 2) ل ن : حصن وسوم ، والتصحيح عن المقدّسي 8/1 .

194 1) كذا في النسخ ، وربّما الصواب تسعمائة ـ 2) ن : موضعها ، ل : نجفها ـ 3) سقطت كلمة من النسخ .

وقصور مصطفّة إلَى أن غمطوا [1] النعمة وانتهكوا الحرمة ، فملكهم رجل من طسم يقال له عملوق ، فظلم وغشم لا ينهاه شيء عن هواه . فاختصمت إليه امرأة من جديس يقال لها هُزيلة بنت مازن مع زوج قد فارقها في ابن لها أراد أخذه منها ، فتشاجرا في ذلك ، وأمر الملك أن يؤخذ الولد منهما فيُجعل في غلمانه ، فقالت هُزيلة في ذلك [طويل] :

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا فأبرم أمرًا في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكّمتَ لا مُتورّعا ولا فَهِما عند الحكومة عالما
ندمت فلم أقدر علَى متزحزح وأصبح زوجي حائر الرأي نادما

فبلغ عملوق قول المرأة فغضب وأمر ألاّ تتزوّج امرأة من جديس فتُهدى إلَى زوجها حتّى تحمل إليه فيفتضّها موجدة علَى النّساء . فلقوا في ذلك ذُلاّ عظيمًا طويلاً حتّى تزوّجت الشّموس بنت غفار ، وقيل : اسمها غُفيرة أخت الأسود بن غفار ، وكان الأسود سيّدًا في جديس . فلمّا كانت ليلة إهدائها حُملت إلَى عملوق ليطأها ، ومعها القيان يغنّين ويقلن [رجز] :

ابدي بعملوق وقومي فاركَبي وبادري الصُّبح بأمرٍ مُعجبِ
[فسوف تلقَين الذي لم تطلبي] [2] فما لِبكْر (عنده من مهرب) [3]

(196)

فلمّا افتضّ عملوق غفيرة خرجت علَى قومها في دمها شاقّة جيبها [1] عن قُبُلها ودُبرها وهي تقول [رجز] :

لا أحد أذلّ من جديس أهكذا يُفعل بالعروس ؟

وأبت أن تمضي إلَى زوجها وقالت تُحرّض قومها [طويل] :

أيصلُح ما يُؤتَى إلَى فتياتكم وأنتم رجال فيكمُو عَدَد النّمل

---

195 1) ل ن : غمضوا ـ 2) عن المسعودي 1152 ـ 3) ل ن : بعدكم من مذهب ، والتصحيح عن كتاب الأغاني .

196 1) ل ن : عن جيبها ـ

فإن أنتم لم تغضبوا[2] بعد هذه فكونوا نساء لا تفرّوا من الفحل[3]
ودونكم طيب العروس وإنّما خُلقتم لأثواب العروسة والكحل[4]
فلو أننا كنّا الرجال وكنتمو نساء لكنّا لا نُقرّ علَى الذلّ

(197)

فلمّا سمعت جديس ذلك أنفت وغضبت واجتمعت إلَى الأسود بن غفار ، فأجمعوا أن يصنع الأسود لعملوق وأصحابه طعاما فيدعوهم إليه ، فإذا جاؤوا متفضّلين في الحُلل والنعال نهضوا إليهم بأسيافهم فأتوا عليهم . فقالت غفيرة لأخيها : الغدر عار وعاقبته بوار ، صبّحوا القوم في ديارهم تظفروا بهم أو[1] تموتوا كرامًا . فقالوا : الغدر أمكن من نواصيهم . فانقاد لمذهبهم واصطنعوا طعامًا واخترطوا سيوفهم ودفنوها في الرمل . فلمّا توافَى القوم إلَى المائدة واستكملوا في المُدعاة أتوا عليهم أجمعين ، وهرب من طسم رجل من مُرّة وهو رياح بن مُرّة ، فأتَى حسّان بن تبّع فأعلمه غدر جديس بقومه واستعدائه عليهم ، وكان من إيقاعه ما كان . وشهر[2] وسبَى نساءهم وصبيانهم ، وهرب الأسود بن غفار حتّى نزل بديار طي ، فأجاروه ونسله اليوم في طي .

(198)

وسار[1] وبار بن أُميم بن لاوذ بن إرم بن سام إلَى رمل عالج ، وهي الأرض المعروفة بأرض وبار ، فأهلكهم الله لِمَا كان من بغيهم في الأرض

---

196 2) ن : تغطبوا ، ب : تغبطوا ـ 3) المسعودي 1153 : لا يُعْقَنَ عن الكحل ـ
4) المسعودي : العروس وللغسل .
197 1) ل ن : و ـ 2) ل ن : وشهد .
198 1) ل ن : وصارت ـ

فانقرضوا . وسار [1] داسم [2] بن عمليق بن لاوذ بن سام - وهم من العماليق - إلى أرض السماوة ، وهي بين العراق والشّام ، فأهلكهم الله بالريح السّوداء لإفسادهم ، فلم يبق منهم باقية . وكانت بلاد داسم الجولان وبلاد حوران [3] والبثنيّة ، وذلك بين دمشق وطبرية ، وانقرضوا وأبادهم الله جميعهم . وكذلك بنو طخم بن إرم نزلوا الطائف فدثروا ببعض غوائل الدهر ، وهم أول من وضع حروف المعجم .

(199)

فجميع العرب من أقطار الأرض من ولد عدنان بن قحطان ، والعرب تزعم أنّ ديار وبار سكنتها الجنّ وحمتها من كلّ مَن أرادها ، وكانت أخصب بلاد الله عزّ وجلّ وأكثرها شجرًا وأطيبها ثمرًا ، وإذا دنا أحد من تلك البلاد ساهيًا أو متعمدًا سفت الجنّ عليه سوافي الرمل وأثارت عليه الزوابع ، فخبلوه وربّما قتلوه . وقال الشّاعر في ذلك [طويل] :

دعا جهلا [1] لا يهتدى بعقيله ... من اللؤم حتّى يهتدي لوبار

فيزعمون أنه [2] ليس بهذه الأرض إلاّ الجنّ والجمال الوحشية ، وهذا عند كثير من ذوي الحجاز باطل .

(200)

والعرب تعتقد أن نفس الإنسان دمه والروح هو المحرّك له ، ولذلك سمّوا المرأة نُفساء لما يخرج منها من الدم . واختلف الفقهاء فيما له نفس سائلة إذا سقط في الماء ، وقال تأبّط [شرًّا] لخاله الشنفرى وقد سأله [عن قتيل قتله كيف كانت قصّته فقال] [1] : ألحمتُه عضبًا فسالت نفسه سكبا . واحتجّوا

---

198 2) ب : واسم ـ 3) ل ن : جرجان .

199 1) المسعودي 1811 : جُعْلا ـ 2) ل ن : أن .

200 1) عن المسعودي 1190 ـ.

أنّ الميّت لا ينبعث منه دم إلاّ ما كان محقونا قبل موته . وقد زعم بعضهم أنّ النفس هي الهامة الطائر الذي يصدح علَى القبر ، ولذلك قال بعض الشعراء في أصحاب الفيل [خفيف] :

سُلّط الطيرُ والمَنونُ عليهم فلهم [2] في صدى المقابر هامُ

ويزعمون أنّها تعلّم الميّت بما يكون من شأنه بعده . قال أميّة [كامل] :

هامي تخبّرني بما تستشعروا فتجنّبوا الشّنعاء والمكروها

وقال توبة ، وينسب إلَى غيره [طويل] :

لسلّمتُ تسليم البشَاشَة أو زقا إليها صدًى من جانب القبر صائح

فدلّ أنّ الصدى والهام تنزل إلَى قبورهم وتصعد حتّى قال رسول الله صلعم : لا هام ولا صدى .

ذكــــر الغــــول

(201)

فأمّا الغول فثابت عندهم ، وقد ذكر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنّه شاهدها في بعض أسفاره وضربها بسَيفه ، وذلك قبل الإسلام . وقد زعم بعض المتفلسفين أنّه حيوان مُشوّه لم تُحكمه الطبيعة ، فلمّا خرج منفردًا في هيئته ونفسه توحّش في مسكنه ، وهو بين الإنسان والحيوان البهيمي . وقد ذكر أهل الهند أنّ ذلك إنّما يظهر من فعل (ما كان) [1] عاثيا من الكواكب عند طلوعها ، فيُحدث رأس الغول عند طلوعه تماثيل وأشخاصا تظهر في الصحراء ، فسُمّيت غولاً باسم الطالع وهي ثمانية وأربعون كوكبًا . ويحدث طلوع الكلب وهو الشّعرى العبور داء في الكلاب ، وسهيل في الجمال حتّى قيل إنّه لا يقع عليه عين جمل إلاّ أهلكه .

---

200 2) ل ن : فلم .

201 1) عن المسعودي 1200 ، ل ن : من .

(202)

قال تأبّط شرّا في الغول [متقارب] :

وأدْهَم قد جُبتُ جِلْبابه   كما جابت الكاعبُ الخيْعلا
علَى إثر نار يَنُورُ بها [1]   فبتّ لها مدبرا مقبلا
فأصبحتُ والغول لي [2] جارة   فيا جارتي [3] أنت ما أهولا
وطالبتُها بضعَها فالتَوت   بوجهٍ تغوّل فاستغولا
فمن كان يسأل عن جارتي   فإنّ لها باللوى منزلا

(203)

وقد زعموا أنّ رجليها رجلا عير ، والعرب ترتجز في الفَيافي وتقول [رجز] :

يا رجلَ عيرٍ انهقي نَهيقا   لم نترك السّبسب والطّريقا

وذلك أنها تترأى لهم بالليل وأوقات الخلوة وتُناديهم فيتوهّمون [1] أنها إنسان فيتبعونها فتضلّهم. قال الشاعر [بسيط] :

وحافر عير في ساقٍ خدلّجة

(204)

وقد ذكر المصنّفون وهب بن منبّه وابن إسحاق وغيرهما أنّ الله عزّ وجلّ خلق الجان من نار السّموم وخلق منه زوجته كما خلق حوّاء من آدم فغشيها فحملت وباضت إحدى وثلاثين بيضة ، فمنها القطاربة وهي أمثال الهِرّة [1] ، والأباليس من بيضة زعيمهم الحارث أبو [2] مرّة ومسكنهم البحور ، والمردة من بيضة أخرى ومسكنهم الجزائر ، والغيلان من بيضة أخرى ومسكنهم

---

202 1) ل ن : تنورتها ــ 2) ل ن : في ــ 3) المسعودي 1196 : جارتا .

203 1) عن المسعودي 1198 ، ل ن : فيتّهمون .

204 1) ل ن : الهُدرة ، والتصحيح عن المسعودي 1204 ــ 2) ل ن : ابن .

الفلوات ، والسّعالي من بيضة أخرى ومسكنهم الجبال ، والنهاريس من بيضة أخرى ومسكنهم الحمّامات ، والسّباطات والهوام من بيضة أخرى ومسكنهم الهواء في صور من الحيّات ذوات أجنحة .

ذكـــر النسنـــاس

(205)

فأمّا النّسناس فيزعمون أنّه ببلاد حضرموت وأنّه كمثل نصف الإنسان بيدٍ واحدة ورجل واحدة يثب وثبًا ويعدو عدوًا شديدًا ، وأنّه يغتذي بجميع النبات ويصبر علَى العطش . ويروون خبرا عن شيب بن شيبة بن الحارث التيمي قال : قدمتُ الشّحر فنزلت علَى زعيمها فتذاكروا النّسناس فقال : استعدّوا فإنّا خارجون في قنصهم . فلمّا خرجنا ألظّ كلبان منهم بواحد وله وجه كوجه الإنسان وشعرات في ذقنه ورجلاه كرجلي الإنسان . قال : فجعل يعدو وهو يقول [رجز] :

الويلُ لي ممّا به دهاني دهري من الهموم والأحزان
قفا قليلا أيّها الكلبان إليكما حتّى تُحارباني
ألفيتماني حاضرًا عناني لو بي شباب ما ملكتماني
لكن قضاء المَلِك الرحمان يُذِلّ ذا العزّة والسُّلطان[1]

فالتقيا به فأخذاه فعمدوا به إلَى موضع فيه شجر فذبحوه . فقال قائل منهم من شجرة : سبحان الله ما أشدَّ حمرة دمه . فقالوا : نسناس خذوه . فأخذوه ، فأجاب آخر من شجرة أخرى قال : لأنه كان يأكل السُّمّاق . قالوا : خذوه . فأخذوه ، فقال آخر : لو سكت لم يُعلم مكانه . فقالوا : خذوه . فأخذوه ، فقال آخر : أنا صامت . فقالوا : خذوه . فأخذوه ، فقال

---

205 1) راجع المسعودي 1341 .

آخر : يا إنسان احفظ رأسك . فقالوا : خذوه . قال س : ورأيتُ أهل الشِّحْر وحضرموت يستطرفون أخبار النسناس ويتوهّمون أنّه ببعض البلاد ، وهذا يدلّ علَى عدم كونه وأنّه مِن هَوَس العامّة كما وقع لهم خبر عنقاء مغرب .

ذكـر عنقـــاء مغـرب

(206)

وأمّا عنقاء مغرب فرووا فيه حديث عروة عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما أنّه طائر فضّل به بنو إسرائيل ذَكر وأنثَى . فانتقل نسله بعد يوشع بن نون وانتشر إلَى بلاد قيس عيلان بحدود الحجاز ، فأذى الصبيان والولدان ، فشكوا ذلك إلَى خالد بن سنان ، وكان بين عيسَى ومحمّد صلعم . فدعا الله أن يقطع نسل العنقاء فقطع الله نسلها وبقيت صورتها تصوّر في البُسط . وكان من أجمل طائر خلقه الله تعالَى وأعظمها وكان وجهه علَى هيئة وجوه الناس . وقد ذهب ناس من أهل الروايات أنّ قولهم عنقاء مغرب إنّما هو للأمر العجيب والعَنَق السّرعة . وقد ذكر أنّ حُنين [1] بن إسحاق حمل النسناس إلَى المتوكّل ، وكان أمره وغيره من الحكماء أن يوردوا عليه ما يأتي لهم من مثل هذا . قال : والخبر عن النسناس كالخبر عن الصبيني [2] وغيره . والصحيح أنّ النسناس السّفلة من الناس والأرذال .

ذكـــر الهـــواتف

(207)

فأمّا الهواتف فقد كانت كثرت في العرب واتّصلت بديارهم لا سيّما بين يدي مولد النبي صلعم ، وهي أصوات مسموعة من غير رؤية متصوّت . وقد ذكر

---

206 1) ل ن : جبير - 2) لم نهتد إلى تحقيق هذه الكلمة .

جماعة أنّ ذلك من قبل التوحّد في القفار والتفرّد في الديار . والإنسان إذا توحّد توحّش ، وإذا توحّش فكّر ، وإذا فكّر وجل فداخلته الظنون الكاذبة والهموم السودانية الفاسدة ، فوهّمته المُحال [1] من الأصوات والأشخاص .

والعرب لا تختلف أنّ علقمة بن صفوان بن أميّة بن حجر الكندي جدّ مروان بن الحكم لأمّه قتلته الجنّ وأنّ شقّ اعترض له ، فقال علقمة [رجز] :

شقّ ما لي ولك ∴ اغمِد عنّي مُنْصلك ∴ تقتل مَن لا يقتلك

فقال شقّ [رجز] :

عننت أو عننت لك ∴ كيما أبيح مقتلك ∴ فاصبر لأمر حمّ لك [2]

فضرب كلّ واحد منهما صاحبه فخرّا ميّتين . وممّن قتلته الجنّ حرب ابن أميّة وربته (؟) الجنّ وقتلت مرداس بن أبي عامر والد العبّاس ابن مرداس وقتلت الغريض لشعر غنّاه كانت نهته عنه ، وهذا متعارف عندهم مشهور .

(208)

وقد ذكر أبو عبيدة عن منصور بن يزيد الطائي أنّ قبر حاتم طيّ حوله قدور حجارة عظيمة من بقايا قدوره التي كان يطعم فيها مكفأة في نواحيه . وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعن شماله مثلهنّ محتجرات على قبره كالنائحات لم ير مثل بياض أجسامهنّ وجمال حسنهنّ ، وربّما رآهنّ الرائي فيفتتن بهنّ ويميل إليهنّ ، فإذا دنا منهنّ رأى حجارة . وهم يزعمون أنّها من عمل الجنّ ، فهنّ بالنهار كما وصفوه ، وإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجنّ بالنياحة عليه . قالوا : ونحن في منازلنا نسمع ذلك إلى طلوع الفجر .

---

207 1) ل ن : المحال ـ 2) المسعودي 1209 :

عَبيتَ لي عَبيتُ لك ∴ كيما أتيح مقتلك ∴ فاصبرْ لما قد حُمّ لك

وكان رجل يكنّى أبا الخيبري مرّ في نفر من أصحابه بقبر حاتم فجعل يناديه : أبا الجعد اقْرِنا [1] . فقالوا له : تنادي رمّة بالية . فقال : إنّ طيّئًا تزعم أنه لم ينزل به أحد إلاّ قراه . فنزلوا فانتبه أبو الخيبري مذعورًا ينادي : وَاراحِلَتاه [2] . فقال له أصحابه : ما بالك ؟ قال : خرج حاتم من قبره بالسّيف وأنا أنظر حتّى نحر راحلتي . فنظروا فإذا بها منجدلة لا تنبعث ، فقالوا : قد والله قراك . وظلّوا يأكلون لحمها شِواءً [3] وطبيخًا ، ثمّ أردفوه [4] وانطلقوا سائرين ، فإذا راكب بعير يقود آخر قد لحقهم وقال : أيّكم أبو الخيبري ؟ قال الرجل : أنا . قال الراكب : أنا عديّ بن حاتم وإنّ حاتمًا جاءني الليلة فذكر أنّك استقريته واستبطيته وهو ينشدك [متقارب] :

أبا الخيبري وأنت امرُؤٌ ظلوم العشيرة شتّامها
أتيتَ بصَحْبك تبغي القرى لِذي حفرة صدحت [5] هامها
أتبغي لي الضيم عند المبيت وحولك طيٌّ وأنعامها
فإنّا سنُشبع [6] أضيافنا ونأتي المطيَّ فنعتامها

وقال الشاعر في عديّ بن حاتم [طويل] :

أبوك أبو [7] سباقة الخير لم يزل لدن شبّ حتّى مات في الخير راغبا
قَرى قبرُه الأضيافَ إذ نزلوا به ولم يقرِ قبرٌ قبله الدهرَ راكبا

ذكـر القيافـة والـزجر

(209)

والقيافة والزجر من خواصّ العرب فضلت بهما دون سائر الأمم . فأمّا ما يوجد من الزجر في الإفرنجة فإنّما أخذوه ممّن جاورهم من العرب في سالف الدهور ، ويمكن أن يكونوا أخذوه ممّن جاورهم من العرب ببلاد الأندلس بعد ظهور

---

208 1) ل ن : افدنا ـ 2) ن ب : وارحلتاه ـ 3) ن ب : لحمًا شويًا ، ل : لحمها سويًا ، والتصحيح عن المسعودي 1214 ـ 4) ل ن : ارقدموه ـ 5) ل ن : صرخت ـ 6) ن ب : نستشبع ـ 7) ل ن : أب ;

الإسلام ، ولعلّ الله قد خصّ بالزجر أمّة غير العرب ، والأوّل أشهر . والقيافة من القفو وهو تتبّع [1] الأثر والبحث عليه والتنقير . وأصل ذلك أنّ الأشكال انفصلت في الصور (فتشكّلت وخصّت) [2] الأجناس ، ثمّ خصّت الطبيعة في كلّ نوع من الجنس بفصل [3] أبانته من أغياره وكالطول في أزد شنُوءة . فكذلك أيضًا خصّت آحاد الأشخاص المنفصلة في الهيئة عن أقفارها ، فالقائف [يقارب بين] [4] الهيئات فيحكم للأقرب صورة . وكان نظر القائف إلَى القدم لأنها نهاية الشكل وغاية الهيئة ، والولد لو خالف أباه في سائر شكله لوافقه في القدم . وقد صدّق رسول الله صلعم مجززًا المُدْلِجي وقال بالقيافة أكثر فقهاء الأمصار [5] ، وأنكر جماعة منهم الحكم بها وحجّج الأوّلين خبر الملاعنة لمّا أتت به علَى النعت المكروه وخبر بن وليد زمعه (؟) وغير ذلك . واحتجّ الآخرون بإلحاق النبي صلعم الصبي بأبيه الذي شكّ فيه لمّا ولد أسود حين قال : ولعلّ عرقًا نزعه علَى ما سنورده .

(210)

والكهانة في اليمن خصوصًا والقيافة والزجر في نزار ورثوها عن آبائهم علَى ما سنورده . ثمّ خصّت بنو أسد بالزجر وبنو مدلج بالقيافة ، وقد قفت القافة بقُريش أثر رسول الله صلعم وأبي بكر علَى الحجر الصلد والجبل الجرد وحيث لا تكنس الأقدام في رمل ولا تراب حتّى انتهوا إلَى باب الغار ، فحجبهم الله عزّ وجلّ عنهم بما كان من نسج العنكبوت وبما [1] سفَت عليه الرياح [2] . وبلاد الجفار بين مصر والشّام بها [3] أناس من العرب يتّخذونهم الولاة يقصّون آثار الناس فيخبرونهم بالآثار أيّ ناس هم ممّن طرق [4] تلك البلاد ، وهم إنّما عاينوا الآثار لا القدم ، وهذا حسّ دقيق ومعنًى لطيف .

---

209 1) ن : يتبع ، ب : بتبع ــ 2) ل ن : فتشكّل فخصّ ــ 3) ل ن : بفضل ــ 4) عن المسعودي 1220 ــ 5) ن ب : الأنصار .

210 1) ن ب : وربّما ــ 2) ن ب : الريح ــ 3) في النسخ : بلاد ــ 4) ن ب : طرد .

ولمّا حضرت نزار الوفاة قال لإياد : هذه الجارية ـ لجارية له شمطاء ـ وما أشبهها لك . ودعا أنمار وهو في مجلس له فأعطاه بدرة وقال : هذه البدرة والمجلس لك وما أشبهها لك . ودعا ربيعة فأعطاه خباء له أسود من شعر فقال : هذا وما أشبهه لك . وأعطَى مضرًا قبّة حمراء فقال له : هذه وما أشبهها لك . ثمّ قال : وإن أشكل عليكم شيء فأتوا الأفعَى الجرهمي ، وكان ملك نجران . فلمّا مات ركبوا رواحلهم يريدون الأفعَى ، فلمّا كانوا من نجران علَى يوم إذا [1] هم بأثر بعير . قال إياد : هذا أثر بعير أعور . قال أنمار : وإنّه لأبتر . قال ربيعة : وإنّه لأزور . قال مضر : وهو شرود لا يستقرّ . فلم يلبثوا أن رفع لهم راكب ، فلمّا غشيهم قال لهم : هل رأيتم من بعير ضالّ ؟ فوصفوه له . قال : إنّ هذه لصفته عينا ، فأين بعيري ؟ قالوا : ما رأيناه . قال : أنتم أصحاب بعيري وما أخطأتم من نعته شيئًا . فلمّا أناخوا بباب الأفعَى واستأذنوا عليه فأذن لهم صاح الرجل بالباب فدعا به الأفعَى فقال له : ما تقول ؟ قال : أيّها الملك ذهب هؤلاء ببعيري . فسألهم الأفعَى عن شأنه فأخبروه . فقال لإياد ما يدريك أنّه أعور ؟ قال : قد رأيته قد لحس الكلأ من شقّ والشقّ الآخر وافر ، (فعلمتُ أنّه أعور) [2] . وقال أنمار : رأيته يرمي ببعره مجتمعًا ، ولو كان أهلب لمصع به ، فعلمت أنه أبتر . وقال ربيعة : إحدى رجليه ثابتة والأخرى فاسدة ، فعلمت أنّه أزور . قال مضر : رأيته يرعَى الشقّة من الأرض ثمّ يتعدّاها فيمرّ بالكلأ الغضّ فلا ينهش منه شيئا ، فعلمت أنّه شرود . فقال الأفعَى : صدقتم وليسوا بأصحابك ، التمس بعيرك . ثمّ سألهم الأفعَى عن نسبهم فأعلموه فرحّب بهم وحيّاهم ، ثم قصّوا عليه قصّة أبيهم فقال : فكيف تحتاجون إليّ وأنتم علَى ما أرى ؟ قالوا : ما أمرنا بذلك أبونا . فأمر خادم دار الضيافة [3] أن يحسن إليهم ويكرمهم وأمر وصيفا له أن يلزمهم وينتقد كلامهم . فأتاهم القهرمان بشهد فأكلوا وقالوا :

---

211 1) ن : فإذا ـ 2) سقطت من ل ـ 3) ل : ضيافته .

ما رأينا شهدًا أعذب ولا أحسن منه . قال إياد : صدقتم لولا أنّ نحله صنعته في هامة جبّار . ثم جاءهم بشاة مشوية فأكلوا واستطابوها فقال أنمار : صدقتم لولا أنّها غذيت بلبن كلبة . ثم جاءهم الشراب فاستحسنوه فقال ربيعة : صدقتم لولا أنّ كرمه نبت علَى قبر . ثم قالوا : ما رأينا منزلا أكرم قرى ولا أخصب رحلاً من هذا الملك . قال مضر : صدقتم لولا أنّه لغير أبيه .

(212)

فذهب الغلام إلَى الأفعَى فأعلمه . فدخل الأفعَى علَى أمّه فقال : أقسمتُ عليك إلاّ أخبرتني من أبي . فقالت : أي بُنيَّ أنت ابن الأفعَى الأعظم . قال : حقًا لتصدّقيني . فلمّا ألحّ عليها قالت : أي بُنيَّ إنّ الأفعَى كان شيخا كبيرا قد أثقل فخشيت أن يخرج هذا الأمر عنّا أهل البيت ، وكان عندنا شابٌّ من أبناء الملوك اشتملت عليك منه . ثمّ بعث إلَى القهرمان فقال : أخبرني عن الشهد الذي قدمته إلَى هؤلاء النفر ما خطبه . قال : جزنا بدير في طيف فيه عظام نخرة ، وإذا النحل قد عسلت في جمجمة من تلك العظام ، فأمرت باستزياده فأتوا بعسل لم يُر مثله قطّ ، فقدّمته إليهم لجودته . ثمّ بعث إلَى صاحب مائدته فقال : ما هذه الشاة التي أطعمتها هؤلاء النفر؟ فقال : إنّي بعثت إلَى الراعي أن يبعث إليّ بأسمن ما عنده فبعث بها ، فسألته عنها فقال : إنّها أول ما ولدت من غنمي ، فماتت أمّها وأنست السّخلة بجراء كلبة ترضع معهم ، فلم أجد في غنمي مثلها فبعثت بها إليك . ثمّ بعث إلَى صاحب الشّراب فسأله عن شأن الخمر فقال : هي كرمة غرستها علَى قبر أبيك ، فليس في بلاد العرب مثل شرابها . فعجب الأفعَى من القوم وقال : ما هم إلاّ شياطين . ثمّ أحضرهم فسألهم عن وصية أبيهم ، فقال إياد : جعل لي جارية شمطاء وما أشبهها من ماله . فقال الأفعَى : إنّه إن ترك غنما برشاء فهي لك ورعاتها مع الخادم . فقال أنمار : جعل لي بدرة ومجلسه وما أشبهها من ماله . فقال الأفعَى : لك ما ترك أبوك من الرقّة والأرض . وقال ربيعة : جعل لي بيتا أسود وما أشبهه . فقال الأفعَى : إن ترك أبوك خيلاً دَهْماء وسلاحًا فهي

لك وما فيها من عبيد . فقيل ربيعة الفرس . وقال مضر : جعل لي قبّة حمراء وما أشبهها . فقال : إنّ أباك ترك إبلاً حمراء ، فهي لك وما أشبهها . فقيل مضر الأحمر . فكانوا كذلك زمانًا إلى أن أصابتهم سنة فأهلكت الشاء وعامّة الإبل وذهبت بالرقّة والمتاع ، فكان ربيعة يغزو علَى خيله وبعيره ويعول إخوته .

(213)

وكان سبب تحوّل أنمار إلَى اليمن أنّه تعرّق عظمًا في جنح الليل ، ثمّ رمَى به وهو لا يبصر ، فانغرز في عين مضر ففقأها ، وصاح مضر وتشاغل إخوته به وجرّد أنمار بعيرًا من كرائم إبله فلحق بأرض اليمن .

(214)

ومن عجيب الزمان خبر عُبيد الراعي لمّا خرج في ركب من قومه يريدون رئيس بني أسد ، فسنحت لهم ظباء سنوحًا منكرًا ، ثم اعترضت [1] الركب مقصّرة في حضرها واقفة عن شأوها ، فأنكر ذلك عبيد فلم يأبه أصحابه لما كان السّانح عندهم محمودًا ، فقال عبيد [طويل] :

ألم تدر ما قال الظباء السّوانح أطَفْنَ [2] أما الركب والركب رائح
فكبّر [3] من لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي أنّهن نوائح

---

214 1) ن : أعرضت ـ 2) المسعودي 1224 : عطفن ـ 3) المسعودي : فكّر .

ذكــر الكهــانـة

(215)

أمّا الكهانة فلم تخل [1] أمّة إلاّ قد كانت فيها كهانة ، وهي من الأمور المثبوتة غير المرفوعة في جميع الأمم . فزعم اليونانيّون أنّ النفس إذا صفت اطّلعت علَى أسرار الطبيعة وما تريد [2] أن يكون منها ، لأنّ ظهور الأشياء عندهم في النفس الكلّيّة ، ولذلك كان فيتاغورس [3] يعلم علومًا من الغيب وضروبًا من الوحي ، وهم يعرفون هذه الطائفة بالروحانية . وهذه علّة النبوّة عند الصّابئة ، ولذلك كان عندهم هرمس وأورياسيس [4] وغيرهما أنبياء . وذهبت طائفة [إلَى] أنّ سبب الكهانة الوحي الفلكي وأنّ ذلك في المولد عند ثبوت عطارد علَى شرفه . وكان سائر الدراري في عقود [5] مُتساوية وأرباع [6] مُتكافية ومناظر متوازية [7] ، فيجب حينئذ لصاحب المولد التكهّن . وذهب كثير إلَى أنّ كون ذلك في القرانات الكبار ولِعِلَل ذكروها ، وادّعَى قوم أنّ الأرواح المنفردة [8] من الجنّ تخبرهم بالأشياء قبل كونها وأنّ أرواحهم لمّا صفت صارت لتلك الأرواح من الجنّ موافقة . وقول الشرعيّين إنّ الشياطين تسترق السّمع وتلقيه علَى ألسنة الكهّان . وزعم كثير ممّن تقدّم أنّ النفس إذا هي قويت وزادت قهرت الطبيعة وغلب القسم النفسي القسم الجسدي ، فأباحت للإنسان كلّ سرّ لطيف وخبّرته بكلّ معنًى شريف .

(216)

ولذلك وجد الكهّان من نقصان الجسم وتشويه الخلق ما يوجدون عليه كشقّ

---

215 1) ن : تحل ـ 2) ل ن : يريد ـ 3) ن : فيناغورس ـ 4) راجع المسعودي 1234 ـ 5) ل ن : عقد ـ 6) عن المسعودي 1236 ، ل ن : الدفاع ـ 7) ن : متزاوية ـ 8) ل ن : المعورة .

الأنماري وسطيح الغسّاني واسمه ربيع بن ربيعة وسملقة وزوْبعة [1] الكاهنين وعمران أخي عمرو بن عامر مُزَيقيا وحارثة جُهَيْنة وكاهنة باهلة . وقد كان سطيح يدرّج جسده كما يدرّج الثوب [2] خلا جمجمة رأسه ، (وكانت جمجمته) [3] .إذا لمست باليد أثرت فيها للين عظمها . وشقّ هذا الأنماري هو غير شقّ الأوّل ، وشقّ الأوّل هو[ابن] حويل بن إرم بن سام بن نوح ، وهو أوّل كاهن كان في العرب . وإرم أبو الجبابرة من عاد وثمود وجديس وطسم وغيرهم ، ويقال إنّه كانت له عين واحدة في جبهته . ويقال إنّ الدجّال من ولده ، ويقال : بل هو الدجّال بعينه أنظره الله إلى الوقت المعلوم وهو محبوس في بعض الجزائر ، ويقال إنّ الشياطين تأتيه بما يأكله ، ويقال إنّه لا يحتاج إلى غذاء ، وقيل إنّ أمّه امرأة من الجنّ تعشّقت أباه حويل فتزوّجها وأولدها الدجّال . واسمه خوص بن حويل ، وهو مشوّه مبذول ، وكان إبليس يعمل له العجائب . فلمّا كان وقت سليمان بن داود عليهما السّلام دعاه فلم يُجبه فحبسه في جزيرة في البحر . ويقال إنّه كان له أخ فاستهوته الجنّ لما كانت أمّه منهم ، وإنّه ملك بوار التي غلبت عليها [4] الجنّ وهي من مدائن العرب ، وإنّ الجنّ في طاعته . وقيل إنّ مجلسه كان في قبّة بوادي برهوت في اليمن فكانوا يحجّون إليه ، وإنّه لم ينم قطّ وكانوا يرون بين عينيه نارًا بيضاء ، وموضعه الذي هو فيه مسجون أنّه يعلو مكانه بالنهار دخان وبالليل نار مضيئة .

(217)

ومذهبهم أنّ النفس لا يحويها البدن ، وإذا بطلت أفعالها من البدن لم تبطل هي في ذاتها . والروح يحويه البدن ، فإذا فارق البدن بطل . وفي هذا تنازُع كثير واختلاف ، وليس هذا موضع استقصائه . وسبب صدق الرؤيا عندهم من هذا لأنّ النفس تخلص في المنام من شوائب الأجسام فتشاهد

---

216 1) ل ن : وزوبعة ـ 2) ن : الثب ؟ ـ 3) سقطت من ن ـ 4) ل ن : عليه .

الأشخاص [1] بالقوّة الروحانية لا بالقوّة الجسمانية ، فمن كانت نفسه صافية لم تكن رؤياه تكذب ، ثمّ تكون الرؤيا وسائط بقدر مراتب النفس من الصفاء والكذب .

ذكـــر العـــرّاف

(218)

فأمّا العرّاف فهو دون الكاهن مثل الأبلق الأسدي والأجلح الزهري ورياح بن كملة [1] عرّاف اليمامة الذي يقول [2] فيه الشاعر [طويل] :

فقلتُ لعرّاف اليمامة داوني   فإنّك إن داويتني لطبيب

وكان أوّل مَن [3] تكهّن سطيح الغسّاني بأمر سيل العرم وأنذر به قومه . ولم تزل أرض سبأ من أخصب أرض وأهلها في أرغد عيش ، وكانت مسيرة شهر للمجدّ الراكب في مثل ذلك ، وكان المارّ يسير (في تلك الجنان) [4] من أوّلها إلى آخرها لا تواجهه الشمس ولا يفارقه الظلّ مع تدفّق الماء وصفاء الهواء واتّساع الفضاء . فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يعاندهم [5] ملك إلاّ قصموه ولا يعارضهم جبّار إلاّ كسروه ، وكانت سمة الذي يتملّك هذا البلد مأرب واشتهر البلد باسمه . قال الشاعر [مُنسرح] :

من سبأ الحاضرين مأرب إذ   يبنون من دون سيْله العَرِما

وقيل إنّ مأرب سمة لقصر ذلك الملك في صدر الزمان . قال أبو الطمحان [طويل] :

ألم تروا مأربًا ما كان أحْصَنَه   وما حَوالَيْه من سور وبُنيان

217	1) ن ب : العزلان .

218	1) راجع المسعودي 1240 ـ 2) ن : قال ـ 3) ل ن : ما ـ 4) عن المسعودي 1252 ، ل : فيها ظلالا ، ن : فيها جلالا ـ 5) ن : يعارضهم .

(219)

وكانت أرض سبأ في بدء الزمان عامرة (تركبها السّيول) [1] وتغمّها الوحول ، فجمع ملك من ملوك حمير الحكماء وأحضر البصراء وشاورهم في دفع ذلك الماء وحصره وإزالة ما كان من أمره . فأجمعوا علَى حفر مصارف له إلَى جدار تؤدّيه إلَى البحر ، فحشد الملك أهل مملكته حتّى صرف الماء واتّخذ له سدًّا في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل إلَى الجبل ، وذلك نحو فرسخ ، رصفه بالبنيان والحجارة والحديد وجعل فيه ثلاثين مخراقا للماء في استدارة الذراع علَى أصحّ هندسة وأكمل تقدير يجتذبون [2] منها مقدارا من الماء معلومًا وشربًا للأرض مقسومًا .

(220)

قال ابن وهب : بعث الله اثني عشر نبيًّا ، وكان مَن بعث عليه سيل العرم منهم يعبدون الشمس ، فأرسل الله عزّ وجلّ إليهم رسلاً يدعونهم إلَى الحقّ ويزجرونهم عن الباطل ويذكّرونهم آلاء [1] الله تعالَى ، فأنكروا نعمة الله وقالوا : إن كنتم صادقين فادعوا الله أن يسلبنا ذلك حتّى قالت امرأة منهم [رجز] :

إن كان ما نصبح في ظلاله من ربكم فلينطلق بماله
إليه عنّا وإلَى عياله

فدعت عليهم الرسل ، فأرسل الله عزّ وجلّ عليهم سيل العرم بفأرة خرقت ذلك السدّ المحكم والصخر المنضمّ ليكون أثبت في العبرة وأبين في الحجّة ، وأباد الله حضرهم [2] وأذهب أموالهم ومزّقهم كلّ ممزّق وباعد بين أسفارهم . ففي ذلك يقول الأعشَى [متقارب] :

---

219 1) ن : تركبوه لسيول ـ 2) ل : ويجتزيون ، ن : ويجتريون .

220 1) ن :إلى ـ 2) ل : حضراهم ، ن : عضراهم ـ

فَفي ذاك للمؤتَسي أُسوة ومأرب عفّى عليه العِرِم
رُخامٌ بَنَتْه لهم [3] حِمْيَر إذا جاء ماؤهم لم يَرِم
فَأَرْوَى الحروث وأعنابها علَى سعة ماؤها قد قُسِم
فكانوا كذلك في خفية فمال بهم جارفٌ مُنْهدم
فصاروا أَبادِيد ما يقدرو ن منه علَى شرب طفل فُطِم

(221)

وكان سطيح وعمران بن عامر أخوا مزيقيا وطريفة الكاهنة ينذرون مزيقيا بذلك ، وطريفة امرأة من أهل ردمان . فكان عمرو مزيقيا يقول لطريفة : وما آية ذلك ؟ فتقول : إذا رأيت جرذًا يكثر بيديه في السّدّ الحفر ويقلّب برجليه الصخر فاعلم أنّه قد اقترب الأمر . فيقول : وما هذا الأمر؟ فتقول [1] : وعد من الله نزل ونكال بنا نكل ، فبغيرك [2] يا عمرو فليكن الثكل . وكان عمرو يحرس السّدّ حتّى رأى به يوما جرذًا يقلّب بيديه صخرة ما يقلّبها خمسون رجلاً ، فرجع وهو يقول [رجز] :
أبصرت أمرًا هاج لي برح السقم من جرذ كفحل خنزير أجم
له مخاليب وأنياب قطم يسحب فهرًا من جلاميد العرِم
ما فاته سجلاً من الصخر قصم كأنّما تقرض قطعًا [3] من أرِم

(222)

فأجمع عمرو علَى الخروج من سبأ وبيع ماله بها وأعمل الحيلة في أن لا ينكر الناس ذلك منه ، فقال لابنه : إنّي صانع طعامًا وادْعُ إليه أهل مأرب فاجلس عندي ونازعني الحديث واردُدْ عليّ مثل ما أقول لك . ففعل ذلك وتشاتما [1] وصاح عمرو : وأذلاّه يوم ينجد [2] عمرو وصبي . وحلف لا

---

220 3) سقطت من ن .

221 1) ل ن : فيقول ـ 2) ـ ل ن : ويعيدك ـ 3) ن : نطعًا .

222 1) ن : شايقًا ـ 2) لم نهتد إلى تحقيق هذه الكلمة ، ل : ينجيه ـ

يقيم ببلد صُنع به ذلك فيه ، فجعل يبيع أمواله ، فقال بعضهم لبعض : اغتنموا غضبة عمرو واشتروا منه [3] قبل أن يرضَى . فلمّا اجتمع لعمرو أمواله أخبر الناس بسيل العرم ، فأجمعوا علَى الجلاء ، فقال لهم عمران الكاهن أخو مزيقيا : سأصف لكم البلدان فاختاروا أيّها شئتم ، من كان منكم ذا همّ بعيد وجمل غير شديد فليلحق بالشعب من كرود [4] . فلحق به همدان ووداعة دخلت فيهم . قال : ومن كان منكم ذا سياسة وصبر علَى أزمات الدهر فليلحق ببطن مرّ . فلحقت به خزاعة وهم بنو عمرو بن يحيى انخزعت هناك من إخوتها . ولذلك يقول حسّان [طويل] :

ولمّا هبطْنا بطْنَ مرّ تَخزَّعت   خُزاعة منّا في حُلول كَراكِرِ

وهم ملك وملكان بنو أفصَى [5] بن حارثة بن عمرو مزيقيا . قال : ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل . فنزلها الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو . وقال : ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والديباج والحرير والأمر والتأمير فليلحق ببصرى وجمير - وهي من أرض الشّام . فنزلها غسّان . وقال الزبير بن بكّار إنّه قال : من كان يريد خمرًا وخميرًا وبرًّا وشعيرًا وذهبًا وحريرًا فلينزل بصرى وسريرا . وزاد أنّه قال : من كان ذا جمل رفق وهو راض بدقّ فليلحق بأرض شقّ . فلحق عمران ابن عامر بعمّان ، وبها يومئذ شقّ غسّان وهم جفنة والحارث وعوف وكعب وملك والنعمان بنو عمرو بن عامر ، ومعهم عمرو بن عامر أبوهم وبنو مازن والأزد ، وسمّوا غسّان لأنهم نزلوا علَى ماء بين الأشعرين وعمك يقال له غسّان فنُسبوا إليه . قال شاعرهم [بسيط] :

أما سألت فإنّا معشر نجب   الأزْدُ نِسبتُنا [6] والماء غسّان

قال الكاهن : ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيول العتاق والذهب والأرزاق فليلحق بالعراق . فلحق بها بكر بن مالك بن فهم الأزدي وهم من كان بالحيرة من غسّان .

---

 3) ن : منها – 4) ل ن : كود – 5) ل ن : أقصى – 6) ل ن : نسبها .

القول في مذاهب العرب وغيرها

(223)

قال أبو عبيد : فأمّا مذاهب العرب وغيرها في عبادة الأصنام علَى صور الملائكة ، فعبدوها وقرّبوا إليها القرابين. وذهبت فرقة إلَى أنّ الكواكب أقرب الأجسام في المرتبة إلَى الله وأنّها حيّة ناطقة [1] وأنّ الملائكة تختلف فيما بين الله عزّ وجلّ وبينها ، وأنّ كلّ ما يحدث في العالم فإنّه علَى قدر ما تجري به الكواكب ، وقرّبوا لها القرابين لتنفعهم . فلمّا رأوها تخفَى بالنهار وفي بعض أوقات الليل وبعض الأزمان جعلوا لها أصناما وتماثيل علَى صورها ، وبنوا لذلك البيوت والهياكل وسمّوها بأسماء الكواكب إلَى أنّهم إذا عظموا من ذلك شيئا تحرّكت لهم [2] الأجسام العلوية بكلّ ما يريدون . فيقول الله عزّ وجلّ حكاية عنهم : مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلَى اللّهِ زُلْفَى ، إنَّ اللّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ الآية [3] .

ذكر معبودات العرب وعلّة عبادتهم للأصنام

(224)

قال : وذكر أنّ ابتداء عبادة العرب الأصنام هو أنّ عمرو بن لُحَي [1] خرج من مكّة إلَى الشّام ، فلمّا قدم مآرب من أرض البلقاء ، وبها يومئذ العماليق ، رآهم يعبدون الأصنام ، فسألهم فأعلموه أنّهم يستمطرون بها ويستنصرون بها فتنصرهم [2] . فسألهم إيّاها فأعطوه هُبَل صنم ، فقدم به مكّة فنصبه وأمر بعبادته . وقيل : أوّل ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل لأنّ الرجل

---

223 1) ل ن : قاطعة ــ 2) ل ن : له ــ 3) سورة الزمر 3/39 .

224 1) ل ن : يحيى ــ 2) ن : تنصرهم .

منهم كان إذا ظعن من مكّة حمل مع نفسه حجرًا من حجارة الحرم تعظيمًا للحرم ، فحيثما نزل طاف به كالعكعبة حتّى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه وصاروا يعبدون ما استحسنوه من الحجارة ، فعبدوا الأوثان وصاروا إلَى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالة .

(225)

فقد كانت لقوم نوح أصنام يعكفون عليها كما قال الله عزّ وجلّ . وقيل : علّة ذلك أنّ إسافا ونائلة كانا رجلا [1] وامرأة من جرهم ، فجرا في الكعبة فمسخهما الله . وذكرت علّة رابعة : أنّ أوّل صنم عُبد من دون الله ودّ ، وذلك أنّ ودًّا رجل مسلم من أهل بابل ، وكان محبّبًا في قومه . فلمّا مات عسكروا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه . فلمّا رآى إبليس جزعهم عليه تشبّه في صورة إنسان وقال : أرى جزعكم علَى هذا الرجل ، فهل لكم في أن أصوّر لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا : نعم . فصنع لهم تمثالا جعلوا يقبلون عليه ويذكرونه حتّى اتّخذ كلّ واحد منهم تمثالا مثله في منزله يعظّمه ويتبرّك به ، ثمّ تناسلوا علَى ذلك .

القول في البيوت المعظّمة في الجاهلية

(226)

وقد ذهب قوم إلَى أنّ البيت الحرام هو بيت زُحَلْ ، ولذلك طال مقامه معظّمًا علَى مرور الدهور لأنّ زحل من شأنه البقاء والثبوت . وذكروا أمورًا أعرضنا عن ذكرها منها استعمال التفَث والشّعَث عند حجّه وغير ذلك .

---

225 (1 ن : رجلين .

(227)

والبيت الثاني من السّبعة بيت علَى رأس جبل إصبهان علَى ثلاثة فراسخ منها يقال له [1] ماربين [2] وكانت فيه أصنام ، فجعله يستاسف بيت النار لمّا تمجّس وهو معظّم عند المجوس إلَى هذه الغاية .

(228)

والبيت الثالث من السّبعة ببلاد الهند يدعَى مندوسان [1] فيه من القوى الدافعة والجاذبة والمنفّرة أوصاف لا يسع ذكرها ، وهو بيت مشهور ، ومَن أراد البحث عليه [2] فليبحث .

(229)

والبيت الرابع من السّبعة هو النّوبَهار الذي بناه منُوشَهْر الهندي بمدينة [1] بلخ من خراسان بُنيت [2] علَى اسم القمر ، وكان من يلي سدانته يعظّمه الملوك وتنقاد إليه وتُحمل إليه الأموال . واسم الذي يلي سدانته برمك وبه سُمّيت البرامكة لأنّ خالدًا كان من ولد مَن ولي هذا البيت . وكان بنيانه من أعلَى المباني تشييدا ينصب في أعلاه شقائق الخزّ الأخضر طول الشقّة مائة ذراع لتدفع عنه قوّة الريح ، فخطف الريح يومًا بعض تلك الشّقائق فرمت به علَى مسافة خمسين فرسخًا ، وهذا يدلّ علَى ذهابه في الجوّ . وعلَى باب النوبهار كتاب بالفارسية فيه : قال بوداسف [3] : أبواب الملوك تحتاج إلَى خصال ثلاث : عقل وصبر ومال . وتحت هذه الكتابة مكتوب بالعربية : كذب

---

227 1) ل ن : لها ـ 2) ل ن : مارس .

228 1) ل ن : مندراس ـ 2) سقطت من ن ، ل : عليها .

229 1) ل ن : وبمدينة ـ 2) ن : بيتً ـ 3) ل ن : أبو يوسف ـ

بوداسف [4] ، الواجب علَى الحرّ إذا كانت [5] معه واحدة من هذه الخصال ألاّ يلزم باب السّلطان .

(230)

والبيت الخامس بيت غُمدان الذي بمدينة صنعاء ، وكان الضحّاك بناه علَى اسم الزُّهَرة وخربه عثمان ، فهو في وقتنا هذا خراب وقد صار تلاًّ عظيمًا وجبلاً ضخمًا . وكان الوزير علي بن عيسَى ابن الجرّاح لمّا نُفي إلَى اليمن احتفر فيه بئرا وبنَى عليه سقاية . ويزعم أهل اليمن أنّه سيُبنَى علَى يد غلام يخرج من بلاد سبأ يؤثر في هذا العالم تأثيرًا عظيمًا . وقال الجاحظ : كان (أربع عشرة طبقة) [1] بعضها فوق بعض . وقيل إنّ ملوك اليمن كانوا إذا قعدوا علَى هذا البنيان بالليل واشتعلت [2] السّرج رُؤي ذلك علَى [مسيرة] [3] أيام كثيرة .

(231)

والبيت السّادس كاوُسان بناه كاوس الملك ولهدمه خبر طريف [1] ذُكر في كتاب أخبار الزمان ، وكان الملك كاوس [2] بناه علَى اسم المُدبّر الأعظم ـ وهو الشمس ـ بمدينة فرغانة من مدن خراسان ، خربه المعتصم .

(232)

والبيت السّابع من البيوت بأعلَى [1] بلاد الصين بناه ولد عامور بن سويَل [2] بن يافث بن نوح علَى سبعة أبيات في كلّ بيت منها سبع كُوى

---

229 4) ل ن : أبو مراسف ـ 5) ن : كان .

230 1) ل ن : أربعة عشر طبقًا ـ 2) ن : أشعلت ـ 3) عن المسعودي 1378 .

231 1) ن : ظريف ـ 2) ل ن : كاوسان .

232 1) ل ن : أعلا ـ 2) ل ن : سويل ـ

تُقابل كلّ كوّة صورة كوكب من الخمسة والنيّران من أنواع الجوهر المضاف إلَى تأثير ذلك الكوكب ، ولهم فيه أسرار بزعمهم في اتّصال الأجسام السّمائية بعالم الكون وتأثيرها . وقد قرّب ذلك إلَى عقولهم بأن جعل لهم مثالا من الشّاهد يدلّ علَى ما غاب عنهم .

والذي بنته اليونانيّة من البيوت والهياكل [3] ثلاثة :

(233)

بيت [1] أنطاكية من أرض الشّام علَى جبل داخل مدينتها علَى يسرة الجامع اليوم . وكانت فيه تماثيل [من] الفضّة والذهب وأنواع الجواهر ، بناه سلاقيوس [2] وخربه المسلمون . وقد كان ثابت بن قرّة بن كرايا [3] الصابي الحرّاني حين وافَى المعتضد بالله في سنة تسع وثمانين ومائتين [4] آتَى هذا الهيكل وعظّمه .
وبيت ثان الهرم [5] الذي يُرى علَى أميال من الفسطاط .
وبيت المقدس ، والشّرعيّون يذكرون أنّ داود بناه وأتمّه سليمان عليهما السلام ، وقد قيل غير ذلك .

(234)

وأمّا بعل الصنم الذي ذُكر في التنزيل فكانت اليونانية اختارت له جبل لبنان فاتّخذوا له هنالك هيكلاً فيه نقوش عجيبة في الحجر لا يتأتّى حفر مثلها في الخشب .

---

232 3) ل : والهياكل المشهورة في العالم .

233 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : سفابيوس ـ 3) ل ن : زكريا ـ 4) ل ن : ومائتي سنة ـ 5) ن : انهدم .

(235)

وللصقالبة [1] بيوت ثلاثة فيها مخاريق مصنوعة (يُسمع فيها أصوات قد اجتذبت قلوبهم واسترقت عقولهم ، وفي بيت منها جواهر موضوعة) [2] وآثار مرسومة تدلّهم علَى الكائنات والحوادث قبل وقوعها . وهذا البيت علَى الجبل الذي ذكرت الفلاسفة أنّه أحد جبال العالم . وعلَى الجبل الأسود البيت الثاني تحيط به مياه عجيبة وأشجار ذوات طعوم مختلفة وفيه صنم عظيم علَى صورة رجل ، هيئته شيخ بيده عصًا يحرّك بها عظام الموتَى وتحت رجله اليُمنَى صور لأنواع النمل وتحت رجله اليُسرى غرابيب سود مصوّرة من صور الغُداف وغيرها . والبيت الثالث يحيط به خليج من [3] البحر مبنيٌّ بأحجار المرجان [4] الأحمر والزمرّد الأخضر في وسطه قبّة عظيمة فيها صنم أعضاؤه من جواهر أربعة زَبَرْجَد [أخضر] [5] وياقوت أحمر و [عقيق] [5] أصفر وبلّور أبيض رأسه من الذهب الأحمر ، وبإزائه صنم علَى صورة جارية .

[ذكـر بيـوت الصّابئـة]

(236)

وكانت للصّابئة هياكل ، منها هيكل العلّة [1] الأولَى وهيكل العقل وهيكل الصورة [2] وهيكل النفس ، مستديرات الأشكال ، وهياكل الكواكب والنّيرين علَى أشكال مختلفة من التسديس والتربيع والتثليث ، وكانت لهم فيها دخن وقرابين يطول وصفها . والذي بقي من هياكلهم المعظّمة الآن : بحرّان بيت في باب الرقّة يُعرف بمغليتيا [3] وهو هيكل آزر أبي إبراهيم ، ولهم

---

235 1) ن : وللصقالب ـ 2) سقطت من ن ـ 3) ل ن : في ـ 4) ن : المرجام ـ 5) عن المسعودي 1388 .

236 1) ل ن : العزة ؟ ـ 2) كذا في النسخ ، وربّما الصواب : الضرورة ـ 3) ل ن : بعلنيتا ـ

في آزر وابنه كلام كثير. وتحته سراديب أربعة لأنواع صور الأصنام التي علَى صور الأشخاص السمائية وما ارتفع عن ذلك من الأجسام [4] العلويّة وما يظهر من أنواع أصواتها وفنون لغاتها بحيل قد اتّخذت ومنافخ قد عُملت ومخاريق قد وصلت، تقف السّدنة من وراء الجدار وتتكلّم بأنواع الكلام فتجري الأصوات في تلك المنافخ والمخاريق إلَى تلك الصور [5] المجوّفة، فيظهر منها نطق علَى حسب ما دبّر في قديم الزمان علَى هيئة [6] كيفيّة هندسته. والصّابئة حشوية الفلاسفة وإنّما يضافون إلَى الفلسفة إضافة وليس كلّ يوناني حكيمًا.

(237)

وعلَى باب مدينة حرّان مكتوب بالسّريانية قول أفلاطون وهو: من عرف ذاته تألّه. وهذا يُشبه قوله: الإنسان نبات سماوي. ولأفلاطون كلام في النفس كثير: هل النفس في البدن أو البدن في النفس؟ كالشّمس: هل هي في الدار أو الدار في الشمس؟ وكيف انتقالها من جسد إلَى جسد بالتدبير وبطلان ذلك الشّخص الذي تنتقل عنه وهي في ذاتها لا تفسد ولا يستحيل جوهرها؟

(238)

والصّابئة من الحرّانيّين يقرّبون [1] في بعض قرابينهم في وقت ما [2] ثورًا أسود تسدّ عيناه ثمّ يُضرب وجهه بالملح ثمّ يُذبح ويراعَى كلّ عضو من أعضائه، وما يظهر من الاختلاج والحركات فيكون ذلك دليلاً علَى أحوال السّنة. ولهم في قرابينهم أسرار ومخبآت.

---

236 (4 ل ن : الاحرام ـ 5) ل ن : الصورة ـ 6) سقطت من ل.

238 (1 ل ن : يفرّقون ـ 2) سقطت من ن.

(239)

وفي أقاصي أرض الصين هيكل مدوّر له سبعة أبواب في داخله قبّة مسبّعة عظيمة الشأن في أعلاها جوهرة أكبر من رأس العجل يضيءُ منها جميع أقطار ذلك الهيكل . وقد أراد جماعة من الملوك أخذها فلم يَدْنُ منها أحد علَى عشرة أذرع إلاّ مات ، وإن رام أخذها بشيء من الآلات الطوال إذا بلغ ذلك المقدار انعكس . (فليس شيء من الحيل يتأتّى به)[1] تناولها بوجه ولا بسبب . وإن تعرّض أحد لهدم شيء من الهيكل مات مكانه،قوّة دافعة منفّرة قد عُملت من أنواع الأحجار المغنيطيسية . وفي هذا الهيكل بئر (وعلَى رأس البئر)[2] شبه الطوق مكتوب عليه بكتاب قديم بقلم المسند[3] : هذه البئر تؤدّي إلَى مخزن الكتب الأولَى وتاريخ الدنيا وعلوم السّماء وما كان فيما مضَى وما يكون فيما يأتي ، وتؤدّي هذه البئر إلَى خزائن غرائب[4] هذا العالم لا يصل إلَى الدخول إليها والاقتباس ممّا فيها إلاّ مَن وازنت قدرتُه قدرتنا وساوَى علمُه علمَنا . وإن وقع البصر علَى هذا الهيكل وقع في قلب الرائي له جزع منه وحنين إليه مُختلطان . وهو علَى جبل شامخ [من] حجر صلد لا يتأتّى فيه حفر البتّة .

ذكـــر بيـــوت النّيـــران

(240)

فأمـا بيوت النيران واتّخاذهـا فأوّل من رأى ذلك أفريـدون ، وقيل غيره قبله . وذلك أنّـه وجد نارًا يعظّمها أهلها ويعتكفون علَى عبادتها ، فسألهم عن خبرها ووجه الحكمة منهم في عبـــــادتها ، فـأخبروه بـأشيـــــاء اجتـــــذبت نفـــــسه إلَى

239 1) عن المسعودي 1398 ، ل ن : فليس يتأتى ـ 2) ل : وعلى البئر ـ 3) ل ن : السندهند ـ 4) ل ن : رغائب .

عبادتها وأنّها واسطة بين الله وبين خلقه] [1] لأنّها [من] جنس الآلهة النّورية ، وأنّ بالنور صلاح هذا العالم . والنورية تجذب الحيوان كالفراش الطائر والوحش والغزلان ، ومن الطير ما يصاد بالسّرج ليلاً وكما يصاد السّمك من الماء ببلاد البصرة ليلاً في الزواريق المسرّجة من جهتها ، فيظهر السّمك من الماء حتّى يقع في جوف الزورق . والنور عندهم أصل لكلّ حي ومبدأ لكلّ نام [2] ، ولهم فيه كلام يكثر عن إيراد مجمله فكيف مفصله ؟ فاتّخذ بيتًا للنّار بطوس وبيتا بمدينة بخارا ، ثمّ اتّخذ الملوك بعده بيوت النّار في المماليك .

(241)

ومن البيوت الباقية لها المعظّمة عند أهلها بيت مدينة دَارَابْجِرْد من أرض فارس كان زرادشت قد أمر يستاسف الملك أن يطلب نارًا كان يعظّمها [جمّ] [1] ، فطُلبت فوجدت في مدينة خوارزم ، فنقلها يستاسف إلى دارابجرد ، وهي تسمّى آذُرجُوي ، وتفسيره نار النهر ، [وذلك أنّ] [1] آذر أحد أسماء النّار [2] وجوي من أسماء النهر [3] ، وهذا بالفارسية الأولَى . والمجوس تعظّم هذه النار الآن أشدّ تعظيم [4] وهي أعظم نيرانهم .

(242)

وكان لهم بيت نار بإصطخر من أرض [1] فارس يعظّمونه ، وهو الآن لا نار فيه ، والنّاس يذكرون أنّه مسجد سليمان . قال س : قد دخلته [وهو] علَى نحو فرسخ من مدينة إصْطَخر ، فرأيت بنيانا عجيبًا وهيكلاً عظيمًا ، وفي

---

240 1) عن المسعودي 1399 ـ 2) ل ن : تمام ، والتصحيح عن المسعودي 1399 .

241 1) عن المسعودي 1402 ـ 2) ل ن : النهر ـ 3) ل ن : النار ـ 4) ل ن : تعظيمًا .

242 1) ن : بأرض ـ

أعلاه صور من الصخر مُحكمة عظيمة المقدار من الخيل وسائر الحيوان يحيط بذلك كلّه سور عظيم ممتنع من الحجر فيه صور الأشخاص قد شُكلت وأُثبتت وأُتقنت ، يزعم مَن جاور هذا الموضع أنّها صور الأنبياء عليهم السّلام . وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار لها هبوب وخفوق ، يذكر مَن هناك من المسلمين أنّ سليمان حبس [2] الرّيح فيه وأنّه كان يتغدّى ببَعْلَبَكّ من أرض الشّام ويقيّل بمدينة تدمر في الملعب المتّخذ فيها ، وهي في البرّية بين العراق ودمشق وبينها [3] وبين أرض الشّام ستّة أيّام ، ثم يتعشّى بهذا المسجد . وبتدمر خلق من العرب من قحطان وبمدينة جور التي [4] يضاف إليها الماء ورد [5] بيت للنّار بناه أرْدَشير له يوم عيد ، وهو على عين هناك عجيبة وإليه متنزّهاتهم . وفي وسط جور بنيان كانت تعظّمه الفرس يُعرف بالطربال [6] خربه المسلمون . وإنّما فُضل ماء وردهم لصحّة التّربة وصفاء الهواء . قالوا إنّ سكّانها في غاية الحسن من اعتدال [7] الـ..رة والبياض . وبين جو.. وشيراز [8] ـ وهي قَصَبة فارس ـ عشرون فرس..

---

242 2) ن : جسّر ــ 3) ن : وبينها ــ 4) ن : الذي ــ 5) ن : وذوا ؟ ــ 6) ن : الطربال ــ 7) ن : الاعتدال ــ 8) ن : مسران ، ل : ؟

القول في الأرضين والأنهار والبحار

(243)

قال) [1] أبو عبيد : واتّفقوا أنّ طول عمران الأرض من الأميال التي الميل منها أربعة آلاف ذراع بالذراع الذي وضعه المأمون لذرع الثياب ومساحات البناء وهو أربعة وعشرون إصبعًا ، قال الدّولابي : وهو ذراع الأسود [2] وذلك ألفان وثلاثمائة وثلاثون خطوة ، وهو بالذراع الهاشمي ثلاثة آلاف ذراع - ثلاثة عشر ألفًا وخمسمائة [ميل] [3] ، وذلك من أقصى جزائر أُقيانس [4] الستّ - وأقيانس [4] البحر المحيط الذي لا يُدرى ما وراءه - غربًا إلى أقصى عمران الصّين شرقًا . والشمس إذا غابت في أقصى الصّين طلعت على الجزائر وبالضدّ .

(244)

فأمّا الأقاليم السّبعة فالأوّل أرض بابل ، منها خراسان وفارس والأهواز والموصل وأرض الجبل له من البروج الحمل ومن النجوم المُشتري . والثاني السّند والهند والسّودان له الجدْي وزُحَلْ . والثالث مكّة والمدينة واليمن والحجاز وما والاها له العَقرَب والزُّهرة . والرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس له الجوزاء وعُطارِد . والخامس الشّام والرُّوم والجزيرة له الدّلو والقمر . والسّادس التّرك والخزر والدّيلم والصّقالبة له السّرطان [1] والمرّيخ . والسّابع الدّيبُل والصّين له الميزان والشمس .

---

243 1) سقطت من ن - 2) ل ن : السّواد - 3) عن المسعودي 187 - 4) ل ن : اقنابس .

244 1) ل ن : الصرطان .

(245)

وذكر [حسين المنجّم] [1] صاحب كتاب الزِّيج عن خالد بن عبد الله المروزي أنّه رصد [2] الشمس للمأمون ببريّة ديار ربيعة بريّة سنجار [3] فوجد [مقدار] [1] درجة من الفلك ستّة وخمسين ميلا من الأرض ، فضرب العدد في ثلاثمائة وستّين [4] ، فانتهاء ذلك عشرون ألفًا ومائة وستّون ميلا (فهو دور كرة) [5] الأرض المحيطة بالبرّ والبحر . فقطرها علَى هذا ستّة آلاف وأربعمائة وأربعة وعشرون ميلا ونصف [ميل ونصف] [1] عشر بتقريب . والمعمور نصف هذا المحيط [6] [في الطول ، فأمّا في العرض فهو] [1] من خطّ الاستواء إلَى الشّمال ومُنتهَى العمران في الشّمال جزيرة ثولي [7] في برطانية .

(وذكر الفيلسوف في الكتاب المعروف بجغرافيا) [8] أنّ عدد مدن [9] الأرض المعمورة أربعة آلاف مدينة [10] وخمسمائة وثلاثون مدينة وأنّ عدد البحار المحيطة بالأرض خمسة وجميع العيون الكبار مائتان وثلاثون عينًا والأنهار الكبار الجارية مائتان وتسعون [11] . وذكر أنّ طول كلّ إقليم من الأقاليم السّبعة تسعمائة فرسخ في مثلها .

(246)

وقد زعم [بَطليموس صاحب] [1] المجِسْطي أنّ دور كرة [2] الأرض أربعة وعشرون ألفًا وثلاثون ميلا وأنّ قطرها - [وهو] [1] عُمقها - سبعة آلاف وستّمائة وستّة [3] وثلاثون ميلا - قال ط : تسعة آلاف - وأنّهم أدركوا ذلك

---

245 1) عن المسعودي 190 _ 2) ن : وصف _ 3) ن : سيحان _ 4) ل ن : ستّين ميلاً _ 5) ل : فهو دور كورة ، ن : فهي كورة كورة _ 6) ل ن : القطر _ 7) ل ن : نول _ 8) عن المسعودي 191 ، ل ن : وذكر جغرافيا _ 9) ل ن : هذه _ 10) ل ن : عشرة آلاف ميل _ 11) عن المسعودي ، ل ن : وسبعون .

246 1) عن المسعودي 200 _ 2) ل ن : كورة _ 3) ل : وتسعة _

بأنّهم أخذوا ارتفاع القطب الشمالي في مدينتَين [4] علَى خطّ واحد ، أعني أنْ تكونا [5] جميعًا واقعتَين تحت خطّ نصف النّهار فتتّفقان [6] في الطول وتختلفان في العرض مثل الاتّفاق الذي وقع بين تَدْمُر في برية العراق والرّقّة. فوجدوا ارتفاع القطب الشمالي في الرّقّة (خمسة وثلاثين وثلثا وفي مدينة تدمر أربعة وثلاثين) [7]. ثمّ مسحوا مسافة ما بينهما فوجدوه (تسعة وثمانين) [8] ميلا ، فوجب أن يكون مقدار الدرجة من الفلك في الأرض ستّة وستّين [9] ميلا وثلثي ميل للتقريب. ثمّ ضربوا ذلك في ثلاثمائة وستّين وإذا قُسم دور الأرض علَى ثلاثة وسبع كان ممّا يخرج مقدار [قطر] الأرض وذلك إذا ضربوا القطر في الدّور كان ممّا يجتمع مسافة جميع الأرض مكسورا [10]

(247)

ولذلك قال مرحبان الفيلسوف إنّ دور جميع الأرض علَى ما امتحنه اردستانس [1] الحكيم مائتان وخمسون إلف استاديو [2] بالرومية ، والإستاديو (ثمن ميل) [3] ، وذلك أحد وثلاثون ألفا ومائتان وخمسون ميلا ، وحقيقة الإستاديو [4] عندهم أربعمائة باع والربوة عشرة آلاف غلوة. قال : والأرض كلّها مسيرة خمسمائة عام عندهم ، ثلث عمران وثلث بحار وثلث قفار غير مسكونة.

وذكر في السِّفر الثاني أنّ استدارة [5] الأرض (ستّ وثلاثون) [6] درجة والدرجة خمسة وعشرون [7] فرسخًا والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع اثنان وأربعون إصبعًا والإصبع ستّ حبّات وتسعان مصفوفة بعضها إلَى

---

246 4) من هامش ل ، ن : مدّتين ـ 5) ل : يكونا ، ن : يكون ـ 6) ل ن : فيتفقان
7) ل ن : خمسة وثلاثين وفي مدينة تدمر أربعة وثلاثين وثلث ـ 8) عن المسعودي ، ل ن : سبعة وستّين ـ 9) ن : وثلاثين ـ 10 كذا في النسخ.

247 1) ل ن : أردوستاقس ـ 2) ل : استديوا ، ن : استّريوا ـ 3) ل ن : ميل ـ 4) ن : الاصباديوا ـ
5) ل ن : استدار ـ 6) كذا ، والصواب : ثلاثمائة وستّون ـ 7) ل ن : وثلاثون ـ

بعض ، فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ ، وهذا غير ما تقدّم في كثرة العدد وكبر الذراع . ثمّ قال : وإنّما ننقل في كلّ موضع من هذا الكتاب ما يسنح [8] لنا وعندنا كتب الناس ، فننقل ذلك عنهم علَى حسب ما نجده لأنّا نقطع [9] علَى صحّته .

(248)

وقد مسح جماعة ممّن أتى بعد بطليموس مقدار الدرجة من درج الفلك فيما بين مدينة الرّقة وتدمر علَى ما ذكرناه ، ووجد حساب الدرجة الواحدة خمسة وعشرين فرسخًا ، فوجب علَى هذا أن تكون مساحة أعظم دائرة تقع علَى كرة الأرض تسعة آلاف فرسخ إلاّ أنّ بطليموس وتيتوس [1] صاحب تركيب كتاب الأفلاك أنكر أن تكون مساحة الدرجة الواحدة تنتهي [إلَى] أكثر من ستّة وستّين ميلا وثلثي ميل .

وذكروا أنّ المعمور من الأرض أقلّ من الثلث وأكثر من الربع . وطول الجزء المعمور من الأرض مبدؤه من الجزائر الخالدات التي هي أقصى بلاد المغرب إلَى مدينة شيراز إلَى أقصَى بلاد الصّين ، وذلك علَى الخطّ الموازي لدائرة معدل [2] النهار ، فرأس هذا الخطّ الذي مبدؤه الجزائر الخالدات هو نظير درجة الشّمس بالسّواء ، إذا كانت الشمس برأس الحمل . وطول هذا الخطّ مائة وثمانون جزءا من أجزاء الفلك . فأمّا بدء عرض البلاد فإنّه من ناحية مجرى سُهَيْل من أرض الحبشة عن مسافة عشرين ليلة في سمت مهبّ الجنوب من عدن إلَى ثولي [3] الجزيرة الواقعة تحت الخطّ الذي يجري لمنتهَى الشّمال [4] وهي بعد بلاد الصّقالبة والخزر ، وثولي [3] هذه الجزيرة هي الواقعة تحت منتهَى الخطّ الشمالي .

---

247 8) عن المسعودي 1327 ، ل : تسيخ ، ن : نستنسخ ـ 9) ن : نقع .

248 1) ل : تينوس ، ن : تنيوس ـ 2) ن : تعدل ـ 3) ل ن : نول ـ 4) ل : الخط الشمالي .

جملة جمعتُها من كتب فلاسفة اليونانيّين في الأقاليم السبعة

(249)

جعل طول الأقاليم جميعها من المشرق إلَى المغرب ، وهي مسافة اثنتي عشرة ساعة من دورة الفلك ، وبين عرض كلّ إقليم والذي يليه نصف ساعة معتدلة من النهار الأطول . فالإقليم الأوّل يميل وسطه علَى الموضع الذي يكون طول نهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة ، والسّابع يمرّ وسطه علَى المواضع التي يكون طول نهارها الأطول ستّ عشرة ساعة .

(250)

فالإقليم الأوّل من حيث يكون طول نهاره الأطول اثنتي عشرة ساعة وربُع ساعة إلَى حيث يكون طوله ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومن حيث يرتفع القطب من الأفق ستّة عشر جزءًا وثلثَيْ جزء إلَى حيث يكون ارتفاعه عشرين جزءًا ونصف جزء ، وذلك مسافة أربعمائة وأربعين ميلاً من أقاصي بلاد الصّين ، وفيه مدينة ملكها اسمه وَاسْكَرا وهي مرسَى الصّين ، ثمّ يمرّ علَى [1] سواحل البحر في جنوب بلاد السّند ، ثمّ يمرّ في البحر علَى جزيرة الكوك ويقطع البحر إلَى جزيرة العرب وأرض اليمن ، ففيه من البلاد المشهورة بلاد ظفار وعُمان وحضرموت وعدن وصنعاء وما وراء ثبالة وجرش ومهرة [وسبأ ، ثمّ يقطع الإقليم بحر قلزم فيمرّ علَى بلاد الحبشة ويقطع نيل مصر وفيه هناك مدينة ملك] [2] الحبشة تسمّى جرم دنقلة ، ثمّ يمرّ الإقليم في بلاد المغرب [3] إلَى أن ينتهي إلَى بحر المغرب .

---

250 1) عن ابن رسته 96 ، ل ن : إلى – 2) عن ابن رسته – 3) ل ن : العرب .

(251)

والإقليم الثاني من حيث يكون طول النهار الأطول ثلاث عشرة ساعة وثلاثة [1] أرباع ساعة ومن حيث يكون ارتفاع القطب أربعة وعشرين جزءا وعُشْر جزء إلَى حيث يكون سبعة وعشرين جزءا ونصفا ، وهو مسافة أربعمائة ميل ، يبتدئ من المشرق فيمرّ علَى بلاد الصّين.[2] ثمّ علَى بلاد الهند ثمّ علَى بلاد السّند ، وفيه المنصورة والبيرون ، ثمّ يمرّ (بملتقَى البحر) [3] الأخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وأرض تهامة ، وفيه من المدن المشهورة هناك اليمامة والبحرين وهجر ومدينة يثرب والجار [4] ومكّة والطّائف وجدّة ، ثمّ يقطع عرض القلزم ويمرّ في أرض المغرب علَى بلاد إفريقية إلَى بحر المغرب .

(252)

الإقليم الثالث وسطه من حيث يكون طول النهار الأطول أربع عشرة ساعة إلَى حيث يكون طوله أربع عشرة ساعة وربع ساعة ومن حيث يكون ارتفاع القطب ثلاثين جزءا وثلاثة أخماس ونصف خمس إلَى حيث يكون أربعة وثلاثين جزءا ، وذلك مسافة ثلاثمائة ميل وخمسين ميلاً ، وهو يبتدئ من المشرق فيمرّ علَى شمال [1] بلاد الصّين ، ثمّ يمرّ علَى بلاد الهند وفيه مدينة القنْدَهار [2] ، ثمّ يمرّ علَى شمال بلاد السّند [3] علَى كابل وكرمان وسجستان [4] وجيرفت والسّيرجَان [5] وعلَى سواحل بحر البصرة ، وفيه من المدن هناك مدينة إصطخر (وجور وفسا) [6] وسابور وسيراف وجنّابا [7]

---

251 1) ل ن : ثلثا ــ 2) عن ابن رسته ، ل ن : اليمن ــ 3) ل ن : فيما يفضي من البحر ــ 4) ل ن : الحجاز .

252 1) ل ن : مثال ــ 2) ل ن : القيدهار ــ 3) ن : الهند ــ 4) ل ن : وسجستاني ــ 5) ل ن : وسيدار ــ 6) عن ابن رسته ، ل ن : وحروسا ــ 7) ن : وخبابا ــ

وسينيز [8] ومهروبان ، ويمرّ بكور الأهواز والعراق والبصرة وواسط وبغداد والكوفة والأنبار [9] وهيت حتّى يمرّ علَى بلاد الشّام ، وفيه من المدن هناك خيار وسلمية وحمص ودمشق وصور وعكّة وطبرية وقَيْسارية [10] وبيت المقدس والرملة وعسقلان وغزّة والمدائن والقلزم ، ثمّ يقطع أسفل أرض مصر وفيه هناك الفَرَما وتنّيس ودمياط وفُسطاط مصر والفيّوم ، ثمّ يقطع الإسكندرية ، ثمّ يمرّ علَى بلاد برقة وإفريقية وفيه مدينة اطرابلس والقَيْروان ومدينة فاس وينتهي إلَى بحر المغرب .

(253)

الإقليم الرّابع وسطه من حيث يكون النهار الأطول أربع عشرة ساعة ونصف إلَى حيث يكون أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة وارتفاع القطب سبعة وثلاثين جزءًا، وذلك مسافة ثلاثمائة ميل ، ويبتدئ من المشرق فيمرّ ببلاد التّبت إلَى خراسان ، فيكون فيه من المدن فرغانة وخجندة [1] وأسروشنة [2] وسَمَرْقَند وبُخارا [3] وبلخ وآمد وهراة ومَرْوَرُوذ وسَرخس وطوس ونيسابور وجرجان [4] والرّي وإصبهان ونهاوند والدّينَور وحلوان وشَهْرَزُور [5] وسرّ من رأى والموصل ونصيبين وآمد ورأس العين وقالَي قلا [6] وشمْشاط [7] وحرّان والرقّة وقَرقيسيا [8] ، ويمرّ علَى شمال الشّام وفيه من المدن هناك بالس ومَنْبج [9] وملطية وزبطرة [10] وحلب وقِنّسْرين وأنطاكية واطرابلس الشّام والمصيصة والكنيسة [11] السّوداء وأذنه وطرسوس وعمورية واللاّذقية ، ويمرّ في بحر الشّام علَى جزيرة قبرس ورُودس [12] ، ثمّ يمرّ في أرض المغرب علَى بلاد طنجة وينتهي إلَى بحر المغرب ، وفي هذا الإقليم تقع قرطبة وما يليها لأنّ طول نهارها في تناهيه أربع

---

252 8) ل ن : وسبقين ــ 9) ل ن : والدينار ــ 10) ل ن : وساوية .

253 1) ل ن : وحجيدة ــ 2) ل ن : وأستوسنة ــ 3) ل ن : ويجرى ــ 4) ل ن : وجريان ــ 5) ل ن : وسهلر ــ 6) ل ن : وقال قلا ــ 7) ل ن : وشمطاة ــ 8) ل ن . وقرسيا ــ 9) ل ن : ومشلغ ــ 10) ل ن : ورقنطرة ــ 11) ل ن : والمنّسية ــ 12) ل ن : والروس .

عشرة ساعة وثلثا ساعة فبينها وبين الإقليم الرّابع نصف سدس ساعة وذلك خمسة وعشرون ميلاً سواء .

(254)

الإقليم الخامس وسطه من حيث يكون طول النهار الأطول خمس عشرة ساعة وربع ساعة ومن حيث يكون ارتفاع القطب واحداً وأربعين جزءاً ونصف جزء ، وذلك مسافة مائتي ميل وخمسة وخمسين ميلاً ، وهذا الإقليم يبتدئ من المشرق من بلاد ياجوج وماجوج ، ثمّ يمرّ علَى بلاد خراسان وفيه من المدن هنالك الطراز ، وهي مدينة التجّار ، ونوكث [1] واسبيجاب [2] ، ثمّ يمرّ في بلاد الرّوم علَى خرشنة [3] ، ثمّ يمرّ بسواحل الشّام ممّا يلي الشمال [4] ، ثمّ يمرّ علَى بلاد الأندلس لأنّ طول نهارها في تناهيه خمس عشرة ساعة فعلَيْها يمرّ وسط الإقليم الخامس بالسّواء .

(255)

الإقليم السّادس من حيث يكون طول النهار الأطول [1] خمس عشرة ساعة ونصف ساعة إلى حيث يكون خمس عشرة ساعة وثلاثة أرباع ساعة وارتفاع القطب واحد وأربعون جزءاً وخُمس جزء إلَى سبعة وأربعين جزءاً ورُبع جزء ، وذلك مسافة مائتي ميل وعشرة أميال . وهذا الإقليم يبتدئ من المشرق ويمرّ علَى بلاد الخزر فيقطع وسطه بحر طبرستان إلى بلاد الرّوم ، فيمرّ علَى جُرّزان وأماسيا [2] وخَلْقيذون [3] والقسطنْطينية وبلاد برجان وينتهي إلَى بحر المغرب ، وفي هذا الإقليم تقع لبيناردرية (؟) وأواخر بلاد إفرنجة وبلاد شاخسش (؟) .

---

254 1) ل ن : وبوكث ـ 2) ل ن : واستنجاب ـ 3) ل ن : حرنية ـ 4) ل ن : الشام .

255 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : وأماسيان ـ 3) ل ن : وجاهندور .

(256)

الإقليم السابع وسطه حيث يكون طول النهار [الأطول] ستّ عشرة ساعة إلَى حيث يكون ستّ عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب ثمانية وأربعون جزءاً وسدس جزء إلَى حيث يكون خمسين جزءاً ونصف جزء ، وذلك مسافة مائة وخمسون ميلاً ، وقيل خمسة وثمانون ميلاً . وهذا الإقليم يبتدئ من المشرق ومن شمال ياجوج ، ثمّ يمرّ علَى بلاد الترك ثمّ علَى سواحل بحر طبرستان ممّا يلي الشمال ، ثمّ يمرّ ببلاد برجان والصّقالبة وينتهي إلَى أوائل جزائر المتاشبيتش (؟) .

(257)

فأمّا ما وراء هذا الإقليم إلَى آخر المعمور فإنّه [1] يبدأ من المشرق من بلاد التغر علَى أرض الترك علَى بلاد اللاّن ، ثمّ يمرّ علَى برجان [2] ثمّ علَى الصّقالبة وينتهي إلَى بحر المغرب . وهذا الإقليم خارج عن الأقاليم السبعة وطول نهارهم زائد علَى ستّ عشرة ساعة ونصف إلَى نحو سبع عشرة ساعة . وقيل إنّ المعمور يبلغ إلَى طول ما يكون أطول النهار وأطول الليل عندهم ثماني عشرة ساعة ، كما أنّ قبل الإقليم الأوّل إلَى خطّ الاستواء ببلاد السودان الذين يأكلون الناس .

(258)

أخبرني د قال : ذكر لي رجل من أهل الحذق والمعرفة بالهندسة قال : دخلتُ بلاد غياروا من وراء بلاد غانة وأطول نهارهم من اثنتي عشرة ساعة ونصف . وذكر أنّه لا ظلّ لنصف نهارهم من شهر مايه ـ وهو حزيران ـ ثمّ يكون ظلّهم

---

257 1) ل : فلأنّه ـ 2) ل ن : جرجان .

من ناحية الجنوب إلَى نصف شهر شتنبر [1] بلا ظلّ أيضًا نصفَ نهارهم ينعكس بعد ذلك فيكون من ناحية الشمال . و [أهل] هذا الموضع أشدّ سوادًا وشعورهم أشدّ تفلفلاً وخلقهم أشدّ تشويهًا من سائر السّودان وطبائعهم وحشية ونفوسهم سبعية وكثير منهم يثبون علَى الناس كالكلاب الكلبة .

فأمّا الذي لا يُعمر من الأرض ولا يكون فيه حيوان ولا نبات فهو ما كان من الجنوب عرضه عن خطّ الاستواء تسع عشرة درجة لأنّ الشّمس إذا صارت في السّنبلة في حدّ ثلاث درجات إلَى أن تبلغ خمس درجات من الحوت قربت منه وثبتت عليه فأحرقت كلّ شيء هنالك . وكذلك ما كان من الشمال بعده عن مدار رأس السّرطان تسعين درجة لأنّ الشّمس إذا سارت إلَى البروج الجنوبية لا تطلع عليه ستّة أشهر فتنعقد البخارات ولا ترتفع فلا يكون حيوان ولا نبات . وفي نهاية العمران من خلف خطّ معدل النّهار في الجنوب المُسمّى يمين معدل النّهار علَى المواضع المتساوية الأبعاد تكون الحيوانات الشّاذّة الخلق القبيحة التّركيب كالفيلة وعظام الطير . د . وقد يحمل بعض تجّار البحر الذين وردوا بلاد الكوشانيّين ـ أعني الزّنج ـ بيضًا تُشبه بيض النعام ، ونسبة بيض النعام منه كنسبة بيض الإوز من بيض النعام .

(259)

وأخبرني العذري قال : أخبرني رجل من قريش أنّه كان علَى حافّة [1] البحر المحيط بحر المغرب ، فأصبح علَى أحد بيوت ذلك الموضع طائر قد وقع علَى البيت وانهدم البيت من وقوعه ودخلت في حوصلته خشبة من خشب البيت فألقي ميتًا ، وزعم أنّه من طرف جناحه إلَى الطرف الثاني ثمانون شبرًا ، ولم نر أحدًا ذكر أنّه عاين شيئًا من هذا الحيوان دون خطّ معدل النّهار إلاّ الفيلة ، فإنّها تُجلب من هناك وتعيش فيما ولدت بها من الأقاليم ولكنّها لا تتوالد .

---

258 1) ل ن : ستنبين .

259 1) ل ن : حفة .

(260)

وذكر بطليموس أنّ مدن الأرض في عهده أربعة آلاف ومائتان . وقد بيّن أهل العلم بالهندسة بغير وجه من البراهين أنّ الأرض ثابتة في وسط العالم قائمة في مركزه لا حركة لها في ذاتها وأنّها مُستديرة الشّكل وأنّ جميع الأثقال تميل وترجع [1] إليها بالطبع وأنّ كلّ جزء من أجزائها البعيدة عن المركز بدور الارتفاع والانخفاض مطيعة إلَى مركزها وأنّ الفلك المستقيم يدور عليها بجميع ما يحيط به من الأفلاك والكواكب السيّارة والثّابتة دورة واحدة في كلّ أربع وعشرين ساعة مستوية التي هي جملة النهار والليل من آخر النهار . وركّب الله عزّ وجلّ علَى الأرض جرم الشمس لعِلْمِه بالحكمة التي ينبغي أن يكون عليها تركيب العالم في فلكٍ أخرج مركزه عن مركز الأرض بدرجتَيْن ونصف من درج فلك البروج ، فلذلك ما اختلفت حركة الشمس علَى الأرض فحمي مزاج جوهر الهواء المحيط بالناحية الجنوبية ، وكان الجزء المعمور من الأرض في الناحية الشّمالية إذ كان كلّ حيوان بطبعه أحمل للبرد منه للحرّ . ألا ترى أنّه يتولّد في الماء من الحيوان ما لا يُحصَى كثرة وكذلك من النبات ؟ ولا يتكوّن في النّار منه شيء إلاّ الشاذّ النّادر إن صحّ ذلك فيه كما زعموا أنّه يتكوّن في أفران الزجّاجين ضرب من سامّ أبرص حمر الألوان ، فإذا خرجت عن النار هلكت . فوجب لهذه العلّة أن يكون رسم الأقاليم السّبعة وبحُدودها في الجزء الشمالي من الأرض كما ترى .

(261)

وأهل القطب الشمالي يرون بنات نعش ولا يرون كواكب القطب الجنوبي كسُهيل ، فإنّه لا يُرى بخراسان ويرى بالعراق في السّنة أيّامًا ، ولا يقع عليه

---

260 1) ل ن : يرجعـن .

عين جمل من الجمال إلاّ هلك ، فهذه خاصّة في هذا النوع من الحيوان ، وسُهيل يظهر في البلدان الجنوبية السّنة [1] كلّها .

(262)

والأرض كلّها نصف عشر ثمن جزء من الشمس ، فهي أعظم منها مائة وستّين مرّة ، وقطب الشمس اثنان وأربعون ألفا ، وسائر الكواكب العلوية أعظم من الأرض بدون هذه النّسبة ، وما تحت الشّمس منها أقلّ من الأرض ، فأمّا القمر فإنّه أعظم من الأرض سبعًا وثلاثين مرّة وأقرب بُعْد القمر من الأرض مائة ألف وثمانية وعشرون ألف ميل ، وبعد زُحَل من الأرض سبعة وسبعون ألف ميل إلاّ شيئًا .

القــول في البحـــار

(263)

زعم كثير من الفلاسفة وأهل العلم بالهندسة أنّ البحر الأعظم محيط بالأرض من جميع جهاتها لأسباب [1] ذكروها ليس هذا موضع ذكرها وأنّ الشّكل الذي ينسب إلَى العنصر المائي السّيّال الجوهر هو شكل ذو ثماني قواعد مثلّثات ، وذلك جسم يحيط به ثمانية سطوح مثلّثات متساوية الأضلاع قائمة الزوايا يُسمّى كعبًا ، وهو شكل الأرض علَى رأي أفلاطون وكثير من القدماء .

وجميع بحار الأرض فروع من هذا البحر وهي متّصلة الأجزاء مُلتقية المياه ، وقد نقل بعض المؤرّخين أنّ أحد ملوك الأرض أراد أن يعلم صحّة ذلك فأنشأ

---

261 1) سقطت من ن .

263 1) ل ن : الأسرار ـ

سُفناً ضخمة حصينة وشحنّها بالرّجال والأزواد والمال وأرسلها نحو المشرق والمغرب والشّمال والجنوب ، فأصابوا جميع أجزاء البحر يتّصل بعضها ببعض وألفوها كلّها تتشعّب من البحر الأعظم المحيط . وقال أهل العلم بهيئة الأرض والبحار إنّ الأمّهات الكبار المتفرّعة من البحر المحيط أوّلها البحر الأعظم الآخذ من المغرب إلَى الجنوب وكذلك عُرف بالبحر الجنوبي ، وهو يأخذ من الغرب إلَى الجنوب وكذلك عُرف بالبحر الجنوبي ، وهو يأخذ من المغرب إلَى القلزم ويمرّ بوادي القرى إلَى الجار (2) وجدّة وأيلة وعدن أبين (3) والشحر وعُمان وعبادان إلَى أرض السُّودان ويمرّ بصنف (4) ببلاد العود إلَى أكثر الهند إلَى واق واق ، وله جناحان أحدهما يأخذ إلَى جزيرة العرب ويمرّ باليمامة وعمان ومهرة والشحر والجناح الآخر يأخذ إلَى بلاد فارس ، وعليه يقع سيراف (5) وماوه (؟) والديبل ، وبهذَين البحرين سُمّي البلد بالبحرين .

(264)

وأمّا البحر الثاني الذي يتلو البحر الجنوبي في العظم فهو البحر الشّمالي الآخذ من الشّمال إلَى ناحية الجنوب ، وابتداؤه من طول واحد ويمتدّ (1) إلَى طول سبعة عشر علَى صورة الطيلسان إلَى أن يأتي شكله شكل قطعة دائرة ، ثمّ يمرّ علَى أحد يداب (2) إلَى أن يأتي شكله شكل الثابورة (؟) ، وليس علَى هذا البحر من المدن إلاّ مدينة واحدة يقال لها مولية ، ولا يركبه أحد لغلظ جوهر مائه وظلمته وتكاثف الهواء عليه ، وإنّما يدخل منه الموضع الموازي لسمت المغرب فإنّه يركب من هناك إلَى الجزائر الّتي من أقاصي بلاد المغرب .

---

263 — 2) ل ن : اتجار ـ 3) ل ن : أبيض ـ 4) ل ن : بالنصف ـ 5) ل ن : شيراز .

264 — 1) ل ن : ويمدّ ـ 2) كذا في النسخ .

(265)

وأمّا البحر الثالث فهو البحر الرومي السّدّ ، وهو يأخذ من أنطاكية إلى أقصَى بلاد المغرب وهو يلتقي البحر المظلم ويخرج الى الجزائر الخالدات، ويخرج من هذا البحر الرومي خليج كبير يمرّ بجزيرة الأندلس ، ثم يمرّ هذا البحر ذاهبًا إلَى السّوس الأقصَى من بلاد فارس والأهواز ، ثمّ يأخذ هذا البحر الثالث من أنطاكية فيصير بحرًا رابعًا [1] إلَى القسطنطينيّة ثمّ ينعطف إلَى ناحية المغرب آخذًا إلَى الأبواب من ناحية بلاد الخزر ، وعلَى هذا البحر المنعطف تقع المدن الخمس التي يأخذ الخزر عليها في ممّرهم إلَى القسطنطينيّة منها المدينة البيضاء . وعلَى ساحل هذا البحر تقع طرسوس [2] والمصيصة والإسكندرية وأنطاكية واللاذقية وعرقة [3] واطرابلس الشّام وسائر ما يتلو هذه البلاد ، ثمّ يدور إلى بلخ مدينة الخزر الموضوعة ومن هناك يأخذ إلى باب الأبواب .

بحـــر الهنـــد

(266)

وهو البحر الحبشي وهو بحر الصّين والهند والسّند والزّنج والبصرة والأبلّة [1] وفارس ، وكما زعموا وعمان والبحرين والشحر واليمن وأيلة والقلزم ، وليس في المعمور أعظم منه ، طوله من المشرق إلَى المغرب ثمانية آلاف ميل وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وعرضه في موضع آخر ألف وتسعمائة ميل ، وقد اختُلف في ذلك وهذا أصحّ . وهذا البحر وإن كان واحدًا فهو ستّة أبحُر متخرّقة بعضها إلَى بعض ، والأدلاّء يعرفون فصل ما بينها [2] لأنّ لكلّ بحر لونًا وريحًا وسمكًا ونسيمًا ليس للآخر . فمنها بحر لارَوي وعليه بلاد صَيْمور وسُوبارة [3] وتانة

---

265 1) ل ن : أربعًا ـ 2) ل ن : طوس ـ 3) غرته ، ل : غزة .

266 1) ل ن : الأيلة ـ 2) ل ن : بينهما ـ 3) عن المسعودي 361 ، ل ن : وسابور ـ

وسَنْدان [4] وكنباية [5] وغيرها من بلاد الهند ، ثمّ بحر هَرْكَند [6] ، ثمّ بحر كلاّبار وهو بحر كَلَه والجزائر ، ثمّ بحر كَنْدُرنج [7] ، ثمّ بحر الصُّنف الذي يضاف إليه العود ، ثمّ بحر الصّين وهو بحر صَنْجَي [8] لا يُحدّ ما وراءه .

(267)

وفي هذه البحار جزائر لا تُحصَى وأمم لا [1] تكتب عدًّا ، وأكثر غذائهم النارجيل ، وبين بحر لاروي وهركند [2] جزائر المَلِكة التي ذكرناها [3] قبل هذا ، وأموالها الوَدَع . وذكر أنّ ورق النارجيل يطرح علي البحر نحو ضفّته فيتراكب عليه حيوان ثمّ يؤخذ ويُلقَى في الهواء فتحرقه السّموم ويكون ودعًا فيملأ من ذلك بيوت الأموال . وذكر بطليموس أنّ مراقي بحر هركند وهي جزائر هذه الملكة ألف وتسعمائة جزيرة عامرة سوى الغامرة . وبجزائر هذه الملكة يكون العنبر الجيّد ، وربّما انتهى منها القطعة بقدر البيت ، وسنذكر أين يكون العنبر وأصله عند ذكر البحر الأخضر وفيه إن شاء الله .

(268)

وفي جزائر بحر الصّنف مملكة المَهَراج ولا يستطيع أن يطوف بجزائره بأسرع المراكب في سنين كثيرة . وفي جزائره أنواع الطيب والأفاويه . وليس لأحد بالهند من ذلك ما له . وجزيرة الملك المهراج التي هي قراره مفرطة الكبر متّصلة العمارة كثيرة الخصب . ذكر بعض التجّار الذين دخلوها الموثوق بنقلهم أنّ الديكة إذا رقّت بما في الأشجار [1] تجاوبت لمائة فرسخ لاتّصال عمارتها

---

266 4) ل ن : وسيدان ـ 5) ل ن : وكنبانة ـ 6) ل ن : هرنكد ـ 7) عن المسعودي 361 ، ل ن : كوبدج ـ 8) ل ن : صاحا .

267 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : وهو عند ـ 3) ل ن : ذكرنا .

268 1) كذا ـ

وانتظام مساكنها لا مفازة فيها ولا خراب ، وأنّ المسافر يُسافر في أقطار تلك الجزيرة بلا زاد ويحلّ على الطعام وخصب العيش حيث أراد . وتتّصل جزائره بجبال شوامخ في أعنان السّماء تظهر منها بالليل نار حمراء تقذف بأشدّ ما يكون من صوت الرعد والصّواعق ، وربّما سُمع منها صوت مهول مفظع خارق للعادة ينذر بموت مَلِكهم . وتليها الجزيرة التي يُسمع منها على دوام الأيّام أصوات الطّبول والسّرنايات [2] والعيدان وسائر أنواع الملاهي وأنواع الرقص والتصفيق يفهم ويميّز بعض ذلك من بعض ، ويزعمون أنّ الدجّال بتلك الجزيرة . وفي جزائر المهراج هذه جزيرة من أربعمائة فرسخ ، والله أعلم .

(269)

فأمّا بحر الصّين فإنّ من عجائبه أنّ فيه نوعًا من السّراطين يخرج منها كالذراع والشّبر ، فإذا بان عن الماء وصار إلى البرّ عاد حجرًا وانقلب عن الحيوانية ، وهو يدخل في أكحال العين .

(270)

وليس في ممالك [1] السّند والهند من بعد المسلمين مملكة مثل البلّهَرى وهم تطول أعمارهم بخلاف المعلوم من غيرهم ويقولون بسنّة العدل . وتليه مملكة الطّاقَى [2] ولهم جمال والتجّار يتنافسون في شراء نسائهم . (ثمّ يلي هذا الملك مملكة دَهَرَم ، وهذه سمة لملكهم) [3] وهو ذو مملكة عظيمة وهو يحارب البلّهري ، ويقال إنّ عدد الغسّالين [4] والصّنّاع بعسكره خمسة عشر ألفا وماله الودع . وفي بلادهم من الذهب والفضّة ومعادنها ما لا يُحصى كثرة ، وفي بلده الحيوان المعروف بالبشان [5] وهو الكركدنّ [6] ، وقد يكون بالهند

---

268 2) عن المسعودي 378 ، ل ن : والرايات .

270 1) ن : مملكة ـ 2) عن المسعودي 427 ، ل ن : الطائف ـ 3) عن المسعودي 428 ، ل ن : وملكهم سمته ـ 4) ل : العمالين ، ن : العمايق ـ 5) ل ن : النشان ـ 6) ل ن : الكركند ـ

(إلاّ أنّ الذي هنا أجلد) [7] وقرنه أنقَى . والفيل يرهبه وهو أشدّ خلق الله عزّ وجلّ ، وهو دون الفيل في الخلق ، وهم يأكلون لحمه كلحوم الجواميس،في قرونها صور جميع الحيوان ، فأحكم ما يكون سوادًا في بياض ، وربّما كان بياض في سواد وهو قليل تصنع منه المناطق بالألف .

(271)

وأكثر ملوك الهند لا يرون حبس الرّيح في الجوف وكذلك حكماؤها لا يستحيون في إظهارها في كلّ أحوالها ويزعمون أنّ حبسها أصل الأذى، ويرون أنّ الجشاء والسّعال أقبح منها ، ويزعمون أنّ صوت الضرطة دبغها والمُذهب لريحها . وقد ذُكر ذلك في القصيدة المعروفة بذات الحُلَل [رجز] :

قد قال ذو العلم النصيح الهندي مقالةً أنصح فيها عندي
لا تحبس الضرطة إمّا حضرت [1] وخلّها وافتحْ لها ما افتتحت
فإنّ ذا الدّاء في إمساكها والرّوح والرّاحة في فِكاكها
والقبح في السُّعال والمُخاط والشؤم في العُطاس [2] لا الضراط
أمّا الجشاء فقساء صاعد ونتنه على الفساء زائد

(272)

ومن مذاهبهم أنّ ما ينالهم [1] من النعيم في المستقبل مؤجّلاً هو بقدر ما تعذّب [2] به أنفسهم في هذه الدّار معجّلاً . قال : ولقد رأيتُ منهم رجلاً

---

270 7) ن : إلّا أنه يكون هذا الذي هنا أجلد .

271 1) ل ن : حقنت ــ 2) عن المسعودي 438 ، ل ن : دينك .

272 1) ل ن : ينافيهم ــ 2) ل ن : تقرّب ــ

ببلاد صَيْمور وبها من المسلمين نحو من عشرة آلاف وذلك سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وهو يطوف في أسواقهم ومعه جماعة من أهله وقد ظهرت له الناس وقد وضع على رأسه الجمر والكبريت ، فيسير وهامته تحترق وروائح دماغه تتضوّع . فلمّا دنا من النار أخذ خنجرًا [3] فوضعه على فؤاده فشقّه ثمّ أدخل يده الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلّم فقطعها بالخنجر ودفعها إلى بعض إخوانه تهاونًا بالموت ولذّة بالنقلة ، ثمّ هوى بنفسه في النار .

زعموا أنّ جزيرة الصنف بينها وبين قمار التي يُجلب منها العود القماري مسيرة شهر وبين قمار [4] ونبومة ـ وهي الجزيرة التي يكون بها العود الهندي ـ خمسة أيام . وذكروا أنّ شجرة العود الطيب تكون بقدر شجر الرّمان إلاّ أنّ ورقها مثل ورق الريحان ، فما كان منها بين الحجارة فهو العود الطيب يكون رطبا وسائره يكون أجناسا عشرة كلّ جنس لا يُشبه الآخر ، فمنه ما يكون ورقه مثل ورق الكمثرى والخوخ وذلك في جبل الصنف وتساير في جبل الصنف هذا إذا جئت في البحر بالريح الطيّبة نحو خمسة عشر يومًا ، وأكثر شجرها عود ومنه عامّة ما يخرج إلى البلاد . واللّكّ فيه كثير أيضًا . ومن حيوان هذا الجبل الفيل والكركدنّ [5] .

(273)

ويخرج من هذا بحر الهند خليج يتّصل بأرض الحبشة والزّنج يُسمّى البربري طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل ، وليس في البحار أهول من هذا الخليج وموجه أعمَى لا ينكسر ولا يظهر منه زبد ككسر أمواج سائر البحار ، يرتفع موجه ارتفاع الجبال الشواهق ثمّ ينخفض كأخفض ما يكون من الأودية ، وفيه يكون السّمك المعروف بالأوال طول السّمكة أربعمائة ذراع إلى الخمسمائة ذراع بالذراع العُمري وهو ذراع أهل ذلك البحر ، وربّما ظهر منه طرف كالشّراع العظيم وينفخ الصعداء بالماء فيذهب الماء في الجوّ أكثر من علوّ سهم

---

272 3) ل ن : حجرًا ـ 4) ن : قماري ـ 5) ن : الكركند .

ويحشر بذنبه وأجنحته السَّمك إلى فيه ، وهو قد فغر فاه فهوي إلى فيه جريًا .
فإذا بغتْ هذه السَّمكة بعث الله لها سمكة نحو الذراع تُدعَى اللَّشْك فتلتصق بأصل ذنبها فلا يكون لها منها خلاص فتخترق البحار وتضرب بنفسها حتّى تموت وتطفو [1] فوق الماء فتكون كالجبل العظيم .

وكذلك التمساح آفته من دُويبة في ساحل [2] النيل ، وهو أنّ التمساح لا دبر له وما يأكل يتكوّن في بطنه دودًا ، فإذا آذاه ذلك خرج إلى البرّ فاستلقَى على قفاه فاغرًا فاه ، فينقضّ إليه طير الماء من أنواع كثيرة فتأكل ما يظهر في جوفه قد اعتادت ذلك منه ، وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل فتثب [3] إلى حلقه وتلجّ جوفه ثمّ تخرق جوفه وتخرج ، وربّما قتل نفسه قبل أن تنقر جوفه وهي دويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوائم شتّى ومخالب .

(274)

وبين بحر هركند ولاروي [1] من هذه البحار التي ذكرناها [2] جزائر نحو ألف ، وبين كلّ جزيرة الفرسخ ونحوه تملكها امرأة ، كذلك كانوا على قديم الزمان ، وهذه الجزائر تُعرف بالدّيبجات ، ولا تُحصَى جيوشها لكثرتهم .
وآخر هذه الجزائر جزيرة سرَنْديب ، وتتّصل بهذه الجزائر [3] جزائر مختلفة لا تُحصَى جيوشًا .

(275)

وهذه البحار المذكورة كلّها تُذيب الحديد وتمحق مسامير السُّفُن فلا تزال تندقّ ، وإنّما يتّخذ أهلها سفنهم من السَّاج مخيّطة بليف النارجيل بدلاً من المسامير .

---

273 1) ن : وتطف ـ 2) ن : ساحل بحر ـ 3) ن : فتثبت .

274 1) ل ن : هرنكد ولاوي ـ 2) ل ن : ذكرنا ـ 3) ل ن : الجزيرة .

وبجزيرة سرنديب هيكل عظيم من ذهب يُفرطون في مبلغ [1] زينته وقيمة الجوهر الذي عليه ، وإليه تجتمع أهلها فيتدارسون سير آبائهم وقصص ملوكهم ، ويقال إنّ جزيرة سرنديب ثمانون فرسخًا في مثلها . ح . وبسرنديب جبل منيف ذاهب في السّماء يراه مَن في البحر على مسيرة الأيّام وهو الذي ذُكر أنّه أهبط عليه آدم عليه السّلام ، وقد ذكرت البراهمة أنّ عليه قَدَم آدم مغموسة في الجبل نحو خمسين ذراعًا . وعلى هذا الجبل تلألأ نور يُشبه البرق أبدًا . وعلى هذا الجبل وحوله أنواع الياقوت الأحمر والأصفر والأكحل ، والأحمر أشرفها وأنفسها ، وذلك أنّه إذا بقي عليه النار ازداد حمرةً وحسنًا ، وإن كانت عليه نكتة شديدة الحمرة ونفخت عليه النار انبسطت في الحجر تلك الحمرة فحسّنته ولوّنته ، (قالوا إنّ مبارد) [2] الحديد لا تؤثر في ألوان الياقوت ، وقد زعم أرسطاطاليس أنّ مَن تقلّد حجرًا أو تختّم به من هذه الأصناف الثلاثة التي ذكرناها [3] من الياقوت وكان في بلد قد وقع فيه الطاعون مُنع منه أن يُصيبه ما أصاب أهل ذلك البلد . وقال ح . إنّ سرنديب ليس في مملكة هذه المرأة كما قال س ، وإنّما هي للملك البهل [4] ، وهو يَشرب الخمر تُحمل إليه من بلاد العرب فيشربها ، وليس في ملوك الهند مَن يشربها غيره ، وأنّه يشربها ويحلّلها لأهل مملكته .

... ومماليك هذه الملكة تُسمّى برّان وهي تُدعَى البرانية وهي شديدة المملكة ، وإنّ ملك البهل في جيشه وعظيم مملكته يعجز عنها ، وبلادها وبيّة من سكنها من غير أهلها فكان آجالهم تتفق فيها . ولفيلتهم من العظم ما ليس في سائر الممالك .

---

276 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : فألوان مبارد ـ 3) ل ن : ذكرنا ـ 4) عن ابن رسته 132 ، ل ن : السهل .

(277)

وملوك الهند يشترون كلّ ذراع يزيد على خمسة أذرع في ارتفاع الفيل بألف دينار إلى سبعة أذرع وبحساب ذلك فيما نقص عن ذراع ، ولا يوجد عندهم ما يزيد على سبعة أذرع إلاّ فيلة عند البرانية ، فإنّها تنتهي [إلى] عشرة أذرع ، وليس في فيلة ملوك الهند أجرى على القتال من فيلة الصّيلمان (1) ملك من ملوكهم ، وإنّما يختبرون جرأتها بأن يوقدوا لها نارًا عظيمة ثمّ يحملونها عليها فما اجترأ عليها منها فانّه جَريّ ، وما حام عنه أو جبُن عن اقتحامها فإنّه يصلح لنقل المتاع وحمل الأثقال .

(278)

ويمتدّ من البحر خليج آخر ينتهي إلى القلزم وبينها وبين فسطاط مصر ثلاثة أيّام ، وعليه مدينة أيلة والحجاز وجدّة واليمن ، وطوله ألف وأربعمائة ميل ، وما ذكرنا من البلاد على شرقيّه وعلى غربيّه صعيد مصر وما والاه وأرض البجاة وما اتّصل بها ، ثمّ بلاد الأحابيش والسّودان إلى أن يتّصل بأقاصي أرض الزّنج ، وهناك بلاد سفالة أرضهم (1) .

(279)

وقد كان بعض ملك من ملوك اليمن حفر بين القلزم وبين البحر الرومي حفيرًا ليوصل (1) بينهما فلم يتأتّ له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الرّوم ، والله عزّ وجلّ قد جعل بينهما حاجزًا كما قال في كتابه العزيز (2) . والنهر الذي حُفر

---

277   1) ل ن : الصيلان ، والتصحيح عن ابن رسته 134 .

278   1) كـذا .

279   1) ل ن : ليصل ـ 2) سورة النمل 61/27 ـ

ببحر القلزم يُعرف بذنب التِّمْساح على ميل من مدينة القلزم عليه قنطرة عظيمة يجتازها حاج [3] مصر. فلمّا لم يتأتّ له هذا احتفر خليجاً آخر من بحر الرّوم ممّا يلي بلاد تنّيس ودمياط ويُعرف هذا الخليج بالزَّبَر والحبية [4]، فاستمرّ الماء في هذا الخليج من بحر الرّوم إلى موضع يُعرف بنَعْنَعان [5]، فكانت المراكب تدخل من بحر الروم إلى هذه القرية وتدخل من بحر القلزم إلى آخر ذنب التّمساح فيقرب حمل ما في كلّ بحر إلى الآخر، ثمّ ارتدم ذلك على طول الدّهر. وآثار الحفر في هذا الموضع بيّنة.

وقد همّ الرّشيد أن يوصل [6] ما بين هذين البحرين من أعلى مصبّ النيل من نحو بلاد الحبشة وأقاصي صعيد مصر، فلم يتأتّ له قسمة ماء النيل، فرام ذلك ممّا يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنّيس، فقال له يحيَى بن خالد: إن تمّ هذا اختطف [الرُّوم] الناس من المسجد الحرام ومكّة، فامتنع من ذلك. وقد أراد عمرو بن العاص رضي الله عنه محاولة هذا عند تَوَلّيه أمر مصر فمنعه عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه.

(280)

(ويتشعّب من هذا البحر) [1] خليج ثالث وهو بحر فارس، وطوله ألف وأربعمائة ميل وعرضه في الأصل خمسمائة ميل، وينتهي إلى بلاد الأبلّة [2] والخشبات وعبادان من أرض البصرة. وخشبات البصرة سُمّي الموضع بذلك لأنّها علامات من خشب منصوبة في البحر للمراكب إلى عُمان. وهذا أوّل حدّ فارس، وهذا الخليج مثلّث الشّكل تنتهي زاويته بلاد أبلّة، وعليه ممّا يلي الشّرق ساحل فارس وساحل سيراف وساحل كِرْمان وبلاد مكْران، وهي أرض الخوارج، وهذه كلّها أرض نخل [3]، ثمّ ساحل الهند وفيه مصبّ

---

279 3) ل ن : حاج نيل ـ 4) كذا المسعودي 1426، ل ن : الحنية ـ 5) ل ن : بقيعان ـ 6) ل ن : يصل.

280 1) عن المسعودي 251، ل ن : ويشعّب من هذا الخليج ـ 2) ل ن : الأبلة ـ 3) عن المسعودي، ل ن : نجد ـ

مِهْران وهو نهر السِّند ، ثمّ يتّصل إلى أرض الصّين ساحل واحد عامر .
ويقابل ما ذكرنا ممّا يلي الغرب (جزائر قَطَر) [4] وشطّ بني جَذيمة وبلاد عُمان ، وهي تقابل بلاد كِرمان ، ثمّ أرض الشّحر والأحقاف وحضرموت .

(281)

وأهل الشحر ناس من قضاعة ويُدعَى مَن سكن هذه البلاد من العرب المَهرة ، وهم يجعلون الشّين بدَلاً من الكاف ، وعندهم أجْود العنبر [وهو] المدوّر الأزرق النّادر ، ولهم نُجُب يركبونها على السّاحل ، فإذا أحسّت بالعنبر بركت عليه ، قد رُيِّضت لذلك واعتادته ، وبهذا السّاحل يكون الكندر ومنه يُحمل . وأجود العنبر أيضًا بجزائر الزّنج ، وهو شيء يتكوّن في قعور البحار فيكون كأنواع الفطر والكمأة ، وربّما بلغ منها شيئًا الحوت المعروف بالأوال فيقتله فيطفو ، وله ناس يرصدونه من الزّنج فيطرحون فيه الكلاليب والحبال ويشقّون عن بطنه فيُخرجون العنبر منها ، ويعرف [1] ذلك العنبر العطّارون بالعراق وبالهند . وبساحل بحر الأندلس عنبر جيّد بموضع يقال له (شَنْتَرِين وشَذُونة) [2] .

(282)

وفي هذا الخليج جزائر كثيرة مثل جزيرة خارَك ، وفيها مغاص اللؤلؤ وهو المعروف بالخاركي ، وجزيرة أوال فيها بنو مَعن وخلائق كثيرة من العرب ، وفي هذا البحر الجبال المعروفة بكُسَيْر وعُوَيْر وثالث ليس فيه خير ، وهي جبال سود ذاهبة في الهواء [1] لا نبات لها ولا حيوان فيها ، يحيط بها موج من

---

280 4) ل ن : جزائر وقطر .

281 1) ل ن : ويعرفون — 2) عن المسعودي 406 ، ل ن : شنترة وبشأونة .

282 1) ل ن : أهوا —

البحر متلاطم تجزع منه النفوس ولا بدّ للمراكب من الدخول في وسطها والاجتياز عليها فتخطئ وتُصيب . وهي في طريق مَن قطع من عمان إلى سيراف ، وبين هذا الخليج وخليج القلزم المذكور من المسافة في البرّ ألف وخمسمائة ميل ، وهذه المسافة داخلة [من البرّ] [2] في البحر ، (والبحر محيط بها) [3] من أكثر جهاتها .

(283)

وهذه البحار كلّها واحد : بحر الصّين والهند وفارس واليمن ، وتختلف في ارتجاجها وتضادّ ، فأوّل ما تبتدئ صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة إلى أن تصير إلى برج الحوت ، وبحر الهند بالضدّ ، فهما شبيهان بطبيعة المدّتين اللّتين يهيجان في وقتها ، فأمّا بحر فارس فإنّه يركب سائر السّنة .

(284)

وليس فيما ذكرنا من خلجان هذا البحر أنتن ريحًا ولا أقلّ خيرًا في بطنه وظهره من بحر القلزم ، وهو على يمين بحر الهند ، ولا أوحش منه ولا أكبر جبالاً ، والمراكب لا تسير فيه إلاّ نهارًا ، فإذا جنّ اللّيل أرست في مواضع معروفة كالمراحل . وهو حدّ بحر الهند والسّند الذي في قعره اللؤلؤ والعنبر ، وفي جباله الجوهر ومعادن الذهب والفضّة ، ومن معادنه الأبنوس والخيزران والعود وأشجار الكافور والقرنفل والصّندل وأنواع الطّيب .

(285)

ومغاص اللؤلؤ في بلاد خارَك وقَطَر وعُمان وسرَنديب وغيرها من هذه البحار خاصّة ، وغيره من البحار لا لؤلؤ فيه . والغاصّة لا يتناولون شيئًا من اللّحمان

282 2) عن المسعودي 255 ـ 3) ل ن : محيطة بها ، والتصويب عن المسعودي .

إلاّ السَّمك ، ولا بدّ من شقّ أصول آذانهم لخروج النفس لأنهم يجعلون على أنوفهم [1] الذَّبل ، وهو ظهور السَّلاحف ، ويجعلون [2] في آذانهم قطنًا فيه دهن [3] يعصرون من ذلك الدهن في قَعر البحر فيضيءُ ضياءً نيّرًا ، ويطلون سوقهم وأيديهم بالسَّواد خوفًا من بلع دوابّ البحر لهم ، فتنفر من السَّواد ، ويتصايحون صياح الكلاب في قعر البحر فينفرها أيضًا ، وربّما خرق الصوت البحر فيسمع ، والغوص إنّما يكون من أوّل نيسان إلى آخر أيلول .

[البحـــر الأخضـــر]

(286)

فأمّا البحر الرُّومي وهو بحر الشَّام ومصر والأندلس فإنّه خليج [1] بحر أقيانس ، طوله خمسة آلاف ميل ، وقال السَّرخسي عن الكندي : ستّة آلاف ، وعرضه يختلف فيه ثمانمائة ميل وعشرة أميال ، وقيل : اثنا عشر ميلاً ، وهو ما بين ساحل سبتة وطنجة وساحل الأندلس ، وهو الموضع المعروف بالزُّقاق . وسنذكر [2] في أخبار مصر إن شاء الله القنطرة التي كانت بين هذين السَّاحلَين وما ركبها من ماء هذا البحر . وعلى المدّ الذي يخرج من هذا الخليج من بحر أقيانس منار النحاس الذي بناه هِرْقِل [3] الملك الجبَّار عليه الكتابة والتماثيل مشيرة بأيديها : لا طريق ورائي ولا مَسْلك في ذلك البحر ، ولا تجري فيه جارية ولا حيوان فيه ولا تُدرك له غاية ولا يُحاط بمقداره وهو بحر الظُّلمات والأخضر والمحيط .

---

285 1) ن : أفواههم ـ 2) ل ن : ويجعل ـ 3) ل ن : دهن ماء .

286 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : وسنذكره ـ 3) ل ن : هرقيل .

(287)

وقد خاطَر بنفسه فتًى من أهل الأندلس اسمه خَشْخاش ، وكان من فتيان [1] قرطبة ، في جماعة من أحداثها ، فركبوا مراكب استعدّوها ودخلوا هذا البحر وغابوا مدّة ، ثمّ أتى بغنائم واسعة وأخبار مشهورة .

(288)

وإنّما يركب من هذا البحر ممّا يلي المغرب والشمال ، فذلك من أقاصي بلاد السُّودان إلى برطانية الجزيرة العُظمى التي في أقصى الشمال ، وفيه ستّ جزائر تقابل بلاد السّودان تُسمّى الخالدات . وفيه بقرب جزيرة برطانية إحدى عشرة جزيرة وجزيرة تُسمّى غديرة [1] تقابل الأندلس ، فسَمْت الخليج المعروف بالزّقاق ، ثمّ لا يعرف أحد ما بعده .

[بحـــر الـــرُّوم]

(289)

وهذا الخليج هو بحر الرّوم وطرطوس والمصيصة وأنطاكية واللاّذقية وأطرابُلسُ وصور وغير ذلك من سواحل الشّام ومصر والاسكندرية . وفي هذا البحر جزائر كثيرة نحو جزيرة قُبرُس يحيط بها البحر مائتي ميل ، وجزيرة إقريطش يحيط بها البحر ثمانمائة ميل ، وجزيرة صقلية يحيط بها البحر خمسمائة ميل ، وجزيرة سردانية [1] يحيط بها البحر ثلاثمائة ميل ، وغيرها .

---

287 1) ل ن : قيان .

288 1) ل ن : عذيرة .

289 1) عن ابن رسته 85 ، ل ن : شرخانية .

(290)

ومن بحر إفريقية وصقلية يخرج المرجان ، وهذا المضيق الذي قدّمنا ذكره وهو الخليج الذي عليه طنجة متّصل ببلاد المغرب وإفريقية والسُّوس وأطرابُلس المغرب والقيروان وساحل برقة والرّمادة إلى بلاد الإسكندرية إلى تنّيس ودمياط وساحل الشّام ثمّ ساحل الرُّوم إلى بلاد رومة إلى أن يصل إلى ساحل الأندلس راجعًا إلى الخليج الضيّق الذي بدأنا بذكره . ويخرج (منه خليج) [1] إلى ناحية الشمال قرب رومة يكون طوله خمسمائة ميل يُسمّى أدرِيَس ، وهو الذي تعرفه الرّوم بماء ريجينه [2] ، ويخرج منه خليج [آخر] [3] إلى أرض نربونة [4] يكون طوله مائتي ميل .

[بحـــر نيطـــش]

(291)

وبحر نيطش يمرّ على بلاد لاذقة [1] إلى القسطنطينية أيضًا ، وطوله ألف ومائة ميل وعرضه ثلاثمائة ميل . وهذا البحر بحر نيطش وهو بحر أمم من التّرك والبرغر والرّوس وغيرهم ، وهو يمتدّ من الشمال من ناحية المدينة التي تُدعَى لاذقة [1] ثلاثمائة ميل ، وهي من وراء القسطنطينية . ويتّصل هذا البحر من بعض جهاته ببحر الخزر المذكور من خُلج وأنهار عظام هناك ، ولذلك غلط بعض مُصَنّفي الكتب فزعموا أنّ بحر نيطش وبحيرة مانيطش وبحر الخزر هو واحد . وأمّا بحر مانيطش فمنه ينفجر خليج القسطنطينية الذي يصبّ إلى بحر الرّوم ، وهو البحر الشّامي ، وطول هذا الخليج ثلاثمائة وستّون ميلاً وعليه [2] من الجانب الغربي القسطنطينية ، وينعطف أيضا عليه من جهة الشمال ثمّ يتّصل

---

290 1) ل ن : من هذا الخليج ـ 2) كذا ـ 3) عن ابن رسته 85 ـ 4) ل ن : يرمونه .

291 1) ل ن : اللاذقية ، والتصحيح عن المسعودي وابن رسته ـ 2) ل ن : وعليها .

ببلاد رومة والأندلس وغيرهم . وعرض هذا الخليج من موضع انبعاثه عشرة أميال ، وقيل ستّة أميال ، وعليه هناك مدينة تُسمّى مسنّاه (؟) ، ثمّ يضيق الخليج عندها ويضيق عند القسطنطينية فيرجع إلى أربعة أميال .

(292)

وفي بحر مانيطش يصبّ النهر العظيم المعروف بطنائس [1] ، ومَبْدأه من الشمال وعليه بعض ولد يافث ، يكون مقدار جريانه على الأرض ثلاثمائة فرسخ عمائر متّصلة ، وهو نهر عظيم فيه أنواع من الأحجار والحشائش والعقاقير ، ويشقّ هذا النهر بحر مانيطش حتّى يصبّ إلى بحر نيطش . قال د : (إنّ مانيطش) [2] بحيرة في الشمال وهو بحر ضخم وإن كانت تُسمّى بحيرة ، طولها من المشرق إلى المغرب ثلاثمائة ميل وعرضها مائة ميل ، ويخرج منها عند القسطنطينية خليج يجري كهيئة النهر ويصبّ في بحر الشّام وعرضه عند القسطنطينية ثلاثة أميال . البحر العظيم هو نيطش والبحيرة هي مانيطش .

[بحـر بـاب الأبـواب]

(293)

فأمّا بحر باب الأبواب ، وهو بحر الخزر والجيل [1] والدّيلم وجرجان وطبرستان وأنواع من التّرك ، فينتهي من إحدى جهاته نحو بلاد الخوارزم من بلاد خراسان ، ويُعرف أيضًا بالبحر الخراساني ، وطوله نحو ثمانمائة ميل وعرضه ستّمائة ميل ، وهو مدوّر الشّكل إلى الطول ، وهذا هو بحر الأعاجم معمور من جميع جهاته . وهذا البحر كثير التّنانين وكذلك بحر الشّام .

---

292 1) ن : قنطناقش ــ 2) ل ن : إنّما نيطش .

293 1) ن : والختل .

(294)

وقد اختلف النّاس في التنّين ، فمنهم من رأى أنّه ريح سوداء تكون في قعر البحر فتظهر إلَى الجوّ فتلحق بالسّحاب كالزّوبعة إذا ثارت من الأرض واستدارت وأثارت معها الغبار وهشيم الأرض والنّبات ثمّ ذهبت في الجوّ صعداء ، فيتوهّم الناس أنّها حيّات سوداء لسواد السّحاب وذهاب الضّوء وترادُف الرّياح . ومنهم من رأى أنّها دوابّ تكون في قعر البحر فتعظم وترعَى دوابَّ البحر ، فيبعث الله عليها ملائكة وسحبًا فتُخرجها منه ، وهي علَى صورة الحيّة السّوداء لها بريق ولمعان ، لا يمرّ ذنبه بشيء إلاّ أتَى عليه من بناء أو شجر أو جبال ، وربّما تنفّس فأحرق الأشجار الكثيرة ، فتُلقيه السحب في بلاد ياجوج وماجوج . يروي عن ابن عبّاس . وقال قوم إنّها حيّة البرّ تلقيها السّيول في البحر فتعظم وتطول أعمارها فيبقَى عمر الواحدة خمسمائة عام . والفرس تزعم أنّ له رؤوسًا سبعة وتُسمّيه الأجدهاق . وهذا من الأخبار التي رواها حشوية أصحاب الحديث أنّ قبّة في وسط البحر الأخضر علَى أربعة أركان من الياقوت الأحمر والأخضر والأصفر والأزرق ينحدر من كلّ ركن من هذه الأركان نهر ينقسم إلَى جهات أربع في ذلك البحر غير مخالط ولا ممايع (1) حتّى ينتهي إلَى سواحل البرّ ، أحدها النّيل والثاني سَيْحان والثالث جَيحان والرّابع الفرات .

(295)

ومنها [أنّ] الملَك الموكَّل بالبحر يضع عقبه [في] أقاصي بحر الصّين فيفور البحر ويكون المدّ ، ثمّ يشيل عقبه فيرجع الماء إلَى مركزه . وإن كان كلّ ما ذكرنا عنه ممكنًا فإنّه من طريق الأفراد ولم يَجِيء مجيْ التواتر الموجب للعلم والعمل ، فإذا صحّت هذه الآثار وجب التسليم والانقياد . وسيأتي ذكر بناء الباب إن شاء الله .

---

294   1) كـذا .

(296)

وعلَى هذا البحر ممّا يلي الباب والأبواب الموضع المسمّى باغة ، وهي النفّاطة من هنا يحمل النفط [1] الأبيض ، وهناك آطام وهي عيون النيران تظهر من الأرض وترى في الليل علَى مسافات كأطمة صقليّة وأطمة وادي برهوت من بلاد الشحر وحضرموت وأطمة أشلك بين بلاد فارس والأهواز ترى بالليل من مسيرة أربعين فرسخًا ، والأطمة العظيمة التي في مملكة المهراج ملك جزائر الزابج ، والمهراج سمة لكلّ من ملكها ، يلحق [2] لهب هذه الأطمة بأعنان السّماء لذهابها في الجوّ ويسمع منها كالذي يُسمع من أصوات الرعد والصواعق ، وربّما ظهر منها صوت عجيب مُفزع يُسمع من البلاد النائية فيُنذر بموت بعض ملوكهم ، وربّما كان أخفض من ذلك ينذر بموت بعض رُؤسائهم ، قد عرفوا ذلك بطول التجارب والعادات علَى قديم الزمان ، وإنّ ذلك غير مختلف من التنبيه .

(297)

فهذه البحار الخمسة [1] : البحر الأعظم بحر أقيانس والبحر الحبشي [والبحر] الرومي والبحر الخزري وبحر مانيطش فيها إلاّ أنّه صغير عنها ، وليس شيء من هذه البحار يتّصل بالبحر الحبشي ، وأمّا سائرها فمتّصلة وهي من بحر واحد إلاّ أنّ بحر الخزر قد اختُلف فيه هل يتّصل ببحر أقيانس أو لا . والصّحيح عندنا أنّه لا يتّصل بشيء من هذه البحار . قال : وقد زعموا أنّ خليج القسطنطينية الآخذ من مانيطش متّصل ببحر أيضًا ، وذلك لا يصحّ .

---

296 1) ن : النفس ــ 2) ل ن : إلّا يلحق .

297 1) ل ن : السّتة .

(298)

وحدّ بحر فارس ممّا يلي المشرق من فوهة [1] دجلة العَوْراء وينتهي آخره إلَى جزيرة يقال لها تيز مُكْران وهي حدّ أوّل السّند . وحدّ بحر فارس من الغرب من فوهة [2] دجلة العوراء إلَى أن ينتهي إلَى غبّ عدن . وفي شرقيّه من المدن بلاد فارس ومكران وكرمان ، وفي غربيّه بلاد العرب وهي البحرين وعمان ومسقط [3] وسُقُطرة إلَى أن يبلغ غبّ عدن وهي آخر جزيرة العرب ، وهناك الموضع الذي يقال له الدّوارع ، وهو طريق في البحر يؤخذ منه إلَى بحر جدّة . وممّا يلي من البحر الفارسي شاطئ الفرات يؤخذ فيه حبّ اللؤلؤ القَطَري [4] الجيّد .

(299)

وحدّ بحر الهند ممّا يلي المشرق جزيرة تيز مكران وآخر بلاد الصين ، وحدّه ممّا يلي المغرب أوّل غبّ عدن وآخره بلاد الزّنج . فإذا قطع الراكب [1] البحر هنا من غبّ مدينة عدن فإنّ أوّل أرضٍ يصل إليها جزيرة يُقال لها بَرْبَر [2] وفيها جنس من الزنج يتّصلون ببلاد السّودان . وفي تلك الناحية العربية بلاد الزّنج والزّابج وأمم كثيرة كلّهم يمطرون في الصيف ما خلا أعلَى بلادهم التي بعدت من البحر كبلاد التّبت وكابل وغيرهما .

(300)

ولم يحدّ لنا شمال هذَيْن البحرَيْن ولا جنوبهما ولا من سكن تلك النّاحيتَيْن ، ومن أراد الصّين والهند من ركّاب بحر الهند فإنّما يميل إلَى شرقيّه ويدور عليه

---

298 1) ن : فوه ــ 2) ل ن : موجة ــ 3) ل ن : وسقط ــ 4) ل ن : والقطر .

299 1) ل ن : الركب ــ 2) ل ن : تزيد ، والتصويب عن ابن رسته 88 .

حتّى يصير في غربيّه لأنّهم إذا قطعوه موسّطه يبقون في ظلمات [1] لا تنفرج إلاّ [2] أقلّ من ستّ ساعات في كلّ يوم .

(301)

وأمّا بحر الشّام ، وهو البحر الرّومي ، فإنّه لا تجري فيه جارية ولا يُستطاع ركوبه منذ تسير الشمس في أوّل العقرب الى أن تصل إلى الحوت وذلك أربعة أشهر، لأنّ الشمس تتباعد وتحدث فيه الرياح العواصف والأهوية المهلكة وبخاصّة الناحية الشمالية منه .

ذكر علّة المدّ والجزر

(302)

فأمّا علّة المدّ والجزر فمختلف فيها ، فقد قيل : علّة ذلك القمر علَى ما بيّن أبو معشر . وقال قوم : هي الأبخرة التي تتولّد في باطن الأرض ، فإنّها إذا كثفت [1] دفعت حينئذ ماء هذا البحر فلا يزال علَى ذلك حتّى تنقص موادّها فيتراجع الماء حينئذ إلَى قعور البحار فكان الجزر ، فهذا يدلّ عليه كونه في كلّ أوان وفي غيبة القمر وطلوعه . وقال آخرون إنّ هَيجان البحر كهيجان بعض الطبائع بالإنسان ثمّ تسكن . وقال آخرون إنّ الهواء المطلّ علَى البحر يستحيل دائمًا [2] ، فإذا استحال عظم ماء البحر ، ثمّ يعاقب ذلك استحالة ماء البحر فيتنفّس ويعود البحر إلَى ما كان عليه ، وإنّ الماء [3] يستحيل هواء والهواء يستحيل [4] ماءً . وقال الشرعيّون : كلّ حال لا يُعلم له في الطبيعة مجرى فهو فعل إلاهيّ لا يدخله قياس ولا يُدرك بحسّ .

---

300 1) ل ن : ظلما ـ 2) ل ن : إلى .

302 1) ل ن : كشفت ـ 2) ل ن : دائما ماء ـ 3) ل ن : وإنما ـ 4) ل ن : لا يستحيل .

(303)

قال س : وقد زعم قوم من نواتية البحر الفارسي أنّ المدّ والجزر لا يكون فيه إلاّ مرّتين في العام ، فإذا كان الصيف كان الماء في مشارق البحر بالصين وما والاه وفي الشّتاء بالضدّ .

قال س : رأيتُ بمدينة كنبّاية [1] من أرض الهند ، وهي مملكة البلّهَرى ، وكانت علَى خليج من البحر أعرض [2] من النيل ، فيجزر الماء في هذا الخليج حتّى يبدو الرّمل وقعر الخليج ويبقَى فيه اليسير من الماء . فرأيتُ الكلب علَى هذا الرّمل الذي نضب ماؤه وصار كالصحراء ، وقد أقبل المدّ وأحسّ به الكلب فأقبل يشتدّ ليفوت الماء ، فلحق الماء بشدّة دفعت الكلب فغرّقته .

وأمّا علّة ما لا يظهر فيه مدّ ولا جزر من البحار فهي التي تبعُد عن مدار القمر ومسافته بُعداً كبيراً ، وقيل إنّها التي يكون الغالب علَى أرضها التخلْخُل فينفذ الماء منها إلَى غيرها من البحار وتُنفس الرّياح الكائنة في أرضها . وسنورد من أخبار هذه البحار مع ذكر اسمها وممالكها ما فيه شفاء إن شاء الله عزّ وجلّ ، والله أعلم .

ذكر البحر المحيط وعجائبه وجمل من عجائب سائر البحار المتقدّم ذكرها سواء ما ذكرناه من ذلك مستخرجاً من كتاب عجائب البلدان

(304)

زعموا أنّ في البحر الأخضر عرش إبليس تشبّه بالباري سبحانه وتقدّست قدرته ، حوله نفر من الأبالسة والعفاريت العظام وسائر أصناف الجنّ .

---

303 1) عن المسعودي 269 ، ل ن : كيسان ـ 2) ل ن : العريض .

فنهم مَن لا يفارقه من حجّابه وخدمه ، ومنهم من يتصرّف بأمره في فتنة الناس وكيدهم وتضليلهم . وله جزيرة اتّخذها سجنًا لمَن خالف أمره من الجنّ ، وفي تلك الجزيرة هيكل سليمان بن داود عليه الصّلاة والسّلام ، وفيه جسده ، وهو قصر عجيب البناء واسع الفناء . وفي هذا البحر جزائر لا تزال علَى مرّ الزمان تقذف نارًا تعلو مائة ذراع وأكثر . وفيه سمك طول السّمكة مسيرة الأيّام المختلفة وهي مختلفة الأشكال مشوّهة الخلق ، وفيه مدائن تطفو [1] علَى الماء آهلة بغير الأنس .

(305)

وفي هذا البحر الأصنام التي عملها أبرهة ذو المنار قائمة علَى الماء ، أحدها أصفر يومئ بيده كأنّه يخاطب مَن ركب ذلك البحر يأمره بالرجوع ، والثاني أخضر رافع يديه باسط لها كأنّه يريد إلَى أين تذهب ، والثالث أسود يومئ بإصبعه إلَى البحر : مَن جاز هذا المكان غرق ، مكتوب علَى صدره بالسّند : هذا ما صنع أبرهة ذو المنار الحِمْيري لسيّدته الشّمس تقرّبًا إليها . ويختلف عمق هذا البحر ، فمنه ما لا يلحق له قعر ولا يُعرف له مقدار غوره ، ومنه ما يكون عمقه سبعة آلاف باع أو أكثر .

(306)

وأمّا البحر الأسود الزفتي وهو متّصل به وهو شديد النتن وليس فيه غير قلعة الفضّة يقال إنّها معمولة وقيل إنّها خلقة ، ومن هذا البحر يخرج بحر الصين وأوّله بحر فارس ، وقد تقدّم ذكره . وفيه اثنا عشر ألف جزيرة ، وفيه الدّردور موضع يدور فيه الماء ، فإذا وقع فيه مركب لم يزل يدور فيه حتّى يتلف . وفيه كُسَير وعُوَير ، وقد تقدّم ذكرهما . وفيه عجائب كثيرة من الحيوان ، وفيه

---

304 1) ل ن : لا تطفو .

سمك طول السمكة منها مائتا ذراع وأكثر وأقلّ . وفيه جزائر تنبت الذهبَ ، وفيه مغاوص اللؤلؤ الجيِّد . وفي هذا البحر قصر من البلّور منيف رفيع علَى قلعة تنير برج داخلها لا تطفأ ، وأراد النزول به الإسكندر فمنعه بهرام فيلسوف الهند وعرّفه أنّه مَن نزل به وقع بقلبه السّبات ، وظهر قوم قصار زعر لباسهم ورق الشجر ، فسأل الإسكندر بهرام عن صبرهم علَى المقام هناك ، قال : عندهم شجرة إذا أكلوا منه زال عنهم ذلك .

(307)

وبعد هذا بحر لا يدرك قعره ولا يضبط غوره ، تقطعه المراكب بالرِّيح الطيِّبة في شهرين ، وليس في جميع البحار الخارجة من البحر المحيط أكبر منه ولا أشدّ حولاً . وفي عرضه بلاد واق واق ، وهنّ جوار تحمل بها شجر معلّقة بشعورها ولها ثدي وفروج كفروج النّساء وأبدان حسان ولا يزلن يصحن واق واق ، فإذا قطعت عن الأشجار الّتي تحملها أقامت يومًا وبعض يوم آخر ثمّ تهلك . وربّما نكحهنّ الناس في أطيب رائحة وألذّ مباضعة . وبلاد الواق واق (1) لا يسكنها بشر ، إنّما يسقط إليها أهل المراكب في الندرة ، وهي أكثر الأرض طيبًا وبها ثمر وفواكه لا تعرف في غيرها لا يعلم ما هي ألذّ مأكولاً وأطيب مشمومًا (2) .

(308)

وتليهم أمّة بجزيرة علَى شبيه النّساء سبط الشعور نواهد الصّدور يقال لهنّ بنات الماء ، لهنّ قهقهة وضحكة وكلام لا يُفهم . وقد أولد بعض البحريِّين منهنّ واحدة غلامًا وهو مُستَوثِق بها ، ثمّ ظنّ بعد ولادتها أنّها ستألف ابنها ولا

---

307 1) ن : واق الواق ـ 2) ل ن : ماكول مشموم .

تفارقه ، فأرسلها من وثاقها [1] ، فتغفّلته وتردّت في البحر وذهبت سابحة ثمّ ظهرت له بعد يوم وألقت له صدفًا فيه درّ نفيس ، ثم [illegible] ذاهبة . فكان ذلك الغلام يُعرف بابن البحرية .

(309)

وفي هذا البحر المذكور أسماك [1] طيّارة تطير ليلاً فترتعي في البراري ، فإذا أزف طلوع الشمس عادت إلَى البحر ، وفيه سمكة خضراء شهباء مَن أكل منها اعتصم من الطعام أيامًا كثيرة وتجزّأ بها عنه فلم يرده ولم يجد [2] لفقده مَساءة . وفيه سمكة ربّما نبت علَى ظهرها الحشيش [3] والصدف ، وربّما أرسَى عليها أصحاب المراكب فيظنّون أنّها جزيرة ، وإذا رفعت إحدى جناحيها كانت مثل الشراع العظيم ، وإذا رفعت رأسها من الماء كان كالجبل الضخم ، وإن نفخ الماء من فيه كان كالصومعة الجليلة ، وإذا سكن البحر جذب السمك بذنبه ثمّ فغر فاه فغاصت فيه كأنّها غاصت في بئر ، ويقال له القيدور ، وأهل المراكب يحذرونه علَى سفنهم ثمّ يضربون بالنواقيس طول ليلتهم . وهذه السّمكة أيضًا تكون في بحر هركند [4] .

(310)

وفي بحر هركند حيّات عظام تخرج إلَى البرّ فتبتلع الفيلة وتكتف الصّخور في البرّ فتكسّر عظامها في أجوافها ويُسمع لذلك صوت هائل ، وقليل ما تظهر وربّما احتال بعض الملوك لها ـ أعني ملوك الهند والزنج ـ فيصيدونها ويطبخونها ويستخرجون دهنها فيدهنون به فتزيد في قوّتهم ونشاطهم وهيبتهم ، ويستعملون من جلودها فرشًا . وهي جلود مُوَشّاة ملمّعة ألين من الحرير ، إذا جلس عليها صاحب السّلّ أمن السلّ أن يُصيبه أبدًا .

---

308 1) ن : وثقا .

309 1) ن : سمك ــ 2) ل ن : يوجد ــ 3) ل : الحشائش ــ 4) ل ن : هرنكد ، وهكذا دائمًا .

(311)

وزعم صاحب كتاب العجائب أنّ بحر هركند يليه بحر يقال له ذانجد [1] وبينهما ألف وسبعمائة جزيرة . قال : [وفي] هذه الجزائر يكون العنبر الرفيع الدّسم تكون القطعة منه مثل البيت . وفي كتاب الطيب الذي ألّفه إبراهيم بن الهنيري [2] ، أنّ أحمد بن حفص العطّار قال : كنت جالسًا في مجلس أبي إسحاق وهو يصفّي [3] عنبرًا قد أذابه وأخرج ما كان فيه من الحشيش الذي حلّقه مناقير الطير ، فسألني فقلت : هذه مناقير الطير التي تأكل العنبر إذا راثته دوابّه . فضحك أبو إسحاق وقال : هذا قول تقوله العامّة ، ما خلق الله دابّة تروث العنبر وما العنبر إلاّ شيء يكون في قعر البحر . ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر وأصله وأمر حمّاد الزُّبيري بالمسألة عنه ، فكتب إليه أنّ جماعة من عدن أعلموه أنّه يخرج من عيون في قعر البحر تقتلعه الرّياح بالأمواج الصعبة فيطفو على الماء وتقذفه الموج بالسّاحل كما أنّ بأرض هيت عيون تسيل بالقار وبأرض الروم عين الزفت الرّومي .

قال : وآخر هذه الجزائر [4] سرنديب ، وقد تقدّم ذكر ما فيها .

(312)

قال : وهذا البحر ربّما أظلّته السّحاب ثلاثين يومًا لا تَصْحَى ولا يسكن وابلها ، فلا يظهر فيه حيوان ويلوذ بقعر البحر . قال : ويُخرج من هذا البحر إلى بحر الصّنف الذي في جزائره مملكة المَهراج ، وهناك يكون العود النفيس ، وهي جزائر لا يُحصَى ما فيها من العجائب ولا يُحاط بها لكثرتها . وفيها يكون جميع أفاويه [1] الطّيب والعطر . ويقال إنّ في هذا البحر قصرا

---

311 1) كذا في النسخ ، وابن وصيف شاه 45 : دوانجد ـ 2) ابن وصيف شاه : المهدي ـ 3) ل ن : يصف ـ 4) ن : الجزيرة .

312 1) ل : أفاوه ، ن : أفواوه .

أبيض يسير علَى الماء ويتراءى لأهل المراكب فيستبشرون به إذا هم أبصروه ويكون لهم دليل السّلام .

(313)

وفي هذا البحر جزيرة قرطايل الّتي يُسمع فيها اللّيل والنّهار المعازف والطبول ، ويقال إنّ فيها الدجّال (1) ، وقد مضَى ذكرها . وفيها أشجار القرنفل وتشتريه التجّار من قوم لا يرونهم ، إنّما يضعونه أكوامًا علَى السّاحل فتأخذه التجّار وتترك هناك العوض . وقيل إنّ التجّار يتركون البضائع علَى السّاحل ويعودون إلَى مراكبهم ، فإذا أصبح من غد ذلك اليوم جاؤوا فوجدوا إلَى جانب كلّ بضاعة كومًا من القرنفل ، فإن رضيه أخذه وترك البضاعة ، وإلاّ أخذ بضاعته وترك القرنفل ، وإن أخذهما معًا لم تقدر مراكبهم علَى السّير حتّى يردّوا القرنفل . وربّما طلب أحدهم الزيادة فيترك البضاعة والقرنفل فيزاد فيه . وشجر القرنفل علَى نهر هناك يعرف بنهر القرنفل لم يدخل إليه قطّ أحد ولم يذكر أنّه رأى شجرة . وقد ذكر بعضهم أنّ الجنّ يبيعونه من التجّار . وذكر بعضهم أنّه دخل الجزيرة وأمعن فيها ، فرأى قومًا في زيّ النّساء مُرّد بغير لحاء وذوي شعور مرسلة ، فغابوا عنه ، وأنّ التجّار أقاموا بعد ذلك مدّة يخرجون إلَى ساحل البحر فلا يجدون شيئًا من القرنفل ، فعلموا أنّ ذلك من أجل مَن نظر إليهم ، ثمّ عادوا بعد ذلك بسنين إلَى ما كانوا عليه . ويقال إنّه إذا كان رطبًا كان حلو المطعم يأكلون منه فلا يمرضون ولا يهرمون .

(314)

وليس لهذا البحر حدّ يعرف ورأسه يخرج من الظلمة الشّمالية ويمرّ علَى بلاد الواق واق . وفي هذا البحر - بحر الصنف - جزيرة فيها مساكن ظاهرة وقباب

---

313 (1) ن : الأجبال .

بيض لائحة ، كلّما همّ بالوصول إليها أحد وقرب منها تباعدت عنه فلا يزال كذلك حتّى ييئس وينصرف عنها ، يقال لها جزيرة الصّريف ، وهم يرون فيها شخوصًا وشجرًا وعمارة ودوابًّا ولا يُعلم أحد وصل إليها . وفيه البرّاقة ، وهي مدينة لطيفة من حجر أبيض برّاق يُسمع بها صياح وضوضوّة ولا يُرى بها ساكن ، ولمّا نزل بها البحريّون فأخذوا من مائها وجدوه حلوًا زلالاً فيه روائح الكافور . وبعرض بحر الصنف هذا الجبال التي تتوقّد ليلاً ونهارًا يُسمع منها مثل صوت الرعد القاصف والأصوات الهائلة التي تدلّ على هلاك ملكهم ، وقد مضى ذكرها .

(315)

وبعد بحر الصنف بحر الصين ، وهو بحر خبيث بارد ، ريحه من قعره كغليان الماء على مَجامر [1] النّار ، ويخبر الثقات من ركّابه أنّه بحر مسكون ، له أهل في باطن الماء وأنّهم يرونهم إذا هاج البحر ليلاً كهيئة الزنج ويطلعون إلى المراكب . وفي بحر الصين سمكة مثل الحرّاقة يرمي بها الموج إلى السّاحل ، فإذا جزر الماء بقيت على الطّين ولا تزال تضطرب حتّى تنسلخ في اضطرابها من أهابها [2] ، فيكون لها جنحان [3] تستقلّ بهما فتطير .

وفي هذا البحر يكون اللخيم سمكة تلتقم الناس ، وربّما مات الرجل من ركّاب البحر فيُرمَى به في البحر ، فلا ينحطّ إلاّ وهو في قاع اللخيم كأنّه كان له مرصدًا . وفي هذا البحر يُرى وجه عظيم على صورة الإنسان إلاّ أنّه مفرط الكبر مُستدير يُشبه لونه لون القمر يَسدّ ثنية بين جبلين .

---

315 1) ل ن : جماجم – 2) كذا – 3) ل ن : جناح .

(316)

وفي البحر الرّومي بإزاء مدينة نُقالة [1] - وهي القسطنطينية الأولَى - كنيسة في جوف البحر ينحسر البحر عنها يومًا في السّنة فيحجّون إليها ذلك اليوم ويقيمون عليها ويتقرّبون ويهدون إليها ، فإذا كان العصر أخذ الماء في الزيادة وتبادر الناس بالانصراف ، فلا يزال كذلك حتّى يغمرها الماء فلا يظهر منها شيء ، وتبقَى كذلك إلَى رأس السّنة .

(317)

وذكر بطليموس أنّ في البحر الأخضر سبعة وعشرين ألف جزيرة عامرة وغامرة ، منها جزيرة فيها أمّة من بقايا النّسناس ، ولهم شجر يقال له اللّوف يأكلون ثمره ويلتحفون بورقه . ومنها جزيرة المرجان في ضحضاح ماء بين الملوحة والعذوبة الذي يتجهّز اليوم به إلَى البلاد في بحر الأندلس خاصّة ، ينبت في قعر [1] البحر القريب منه مثل الشجر فينزل إليه الغوّاصون ويشدّون فيه الحبال ثمّ يقتلعونه ، [وهو] أنفس وأنفق شيء في الهند والصين .

(318)

ومن جزائر البحر الأخضر جزيرة في وسطها كالهرم العظيم من حجر عظيم أسود برّاق لا يُدرى ما داخله وحوله موتَى وعظام كثيرة ورمم بالية . وقد كان بعض الملوك سار إليها ، فلمّا نزلها وقع علَى أصحابه النعاس وخدر الأجساد وضعف النفوس ، فلم يقتدروا علَى الحراك ، فتبادر ذو الشدّة منهم إلَى المراكب وهلك أكثرهم هناك . وفي هذا البحر جزيرة فيها أمّة رؤوسهم كرؤوس

---

316 1) كذا في النسخ ، ابن وصيف شاه 48 : بقمولية .

317 1) سقطت من ن .

الكلاب العظام بادية أنيابهم يخرج من أفواههم مثل لهب النّار ، ولمّا مرّ بهم ذو القرنين خرجوا إليه فحاربوه وحاربهم حتّى تخلّص منهم . وفيه جزيرة بيضاء واسعة كثيرة الأشجار والأنهار فيها قوم شقر وجوههم في صدورهم ، للواحد منهم فرجان - فرج امرأة وفرج رجل - يتكلّمون بمثل كلام الطير وطعامهم نبت يشبه الفُطْر والكمأة .

(319)

وفيها جزيرة التّنّين كان بها تنّين قد نال أهلها بكلّ مكروه ، فلمّا دخلها الإسكندر استغاثوا به وذكروا له أنّ التنّين أتلف مواشيهم حتّى جعلوا له ثورَيْن كلّ يوم ضريبة ينصبونهما في موضعه ، فيخرج فيبتلع الثورين ، ثمّ يعود إلَى مكانه . قال : أروني موضعه ، فنصبوا له الثورين وأقبل كأنّه السحابة السوداء وعيناه كالبرق اللاّمع والنار تلهب من فيه ، فابتلع الثورين وعاد إلَى موضعه . فأمر الإسكندر بثورين عظيمين فسُلخا وحشي جلودهما زفتًا وكبريتًا وكلسًا وزرْنيخًا ، وجعل مع تلك الأخلاط كلاليب حديد كثيرة وجعلها في ذلك [المكان] . وخرج التنين علَى عادته فالتقمها وانصرف ، فانضربت تلك الأخلاط في جوفه ، فلمّا أحسّ بثقلها ذهب ليلقيها ، فتشبّثت تلك الكلاليب في حلقه فخرج وفغر فاه يستروح . فأمر الإسكندر بقطع الحديد ، فحميت وحملت علَى ألواح من حديد وقذفت في حلقه فمات . فكان ذلك فتحًا عظيمًا لأهل تلك الجزيرة ، فألطفوا الإسكندر وحملوا إليه من طرائف [1] ما عندهم . فكان من ذلك دابّة في خلق الأرنب شعره أصفر يبرق كما يبرق الحديد أو الذهب ، وفي رأسه قرن واحد يسمّونه نفواج [2] ، وهوامّ الأرض إذا رأته والأسد والوحش كلّها والطير هربت [3] منه .

---

319 1) ن : ظرائف - 2) كذا في ل ، ن : معراج - 3) ل ن : قربت .

(320)

وبهذا البحر جزيرة تظهر ستّة أشهر وتغيب ستّة أشهر بمَن فيها ، وهي جزيرة مدوّرة . وبه جزيرة ملكان ، وهي دابّة عظيمة بحرية قد استوطنت تلك الجزيرة وعرفت بها ، ولهذه الدابّة رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة . وقيل إنّها مركب لبعض ملوك البحر لأنّ لها جناحين إذا أقامتْهما وجمعت بينهما صار كأنّه رفّ عظيم منكس يظلّ من الشمس . وقد ذكرتْها الأوائل وهي مثل الجبل العظيم الضخم .

(321)

ومنها جزيرة صيدُون ، وهي مسيرة شهر في مثله . وصيدون هذا مَلِك . وكانت فيها عجائب كثيرة ومصانع رفيعة وأنهار وأشجار . وكان صيدون ساحرًا وكانت الجنّ تطوف به وتعمل له العجائب ، وكان له في وسط الجزيرة مجلس من ذهب علَى عمد من رفيع الجوهر يُشرف علَى جميع الجزيرة . فدلّ بعض الجنّ سليمان علية فغزاه وخرب الجزيرة وقتله وقتل أكثر أهلها لأنّهم كانوا يعبدونه ، وأسر منهم خلقًا فآمنوا . وأسر ابنة صيدون ولم يكن علَى وجه الأرض أجمل وجهًا منها ولا أكمل جمالاً وظرفًا ، واصطفاها لنفسه وتزوّجها . فكانت تديم البكاء لمفارقتْها أباها وأنس مملكته . فقال لها سليمان : ما لي أن أراك كئيبة وأنا خير لك من أبيك ومُلكي أجلّ من ملكه . قالت : أجل ، ولكن إذا ذكرتُ كوني مع أبي وأنسي به هاج لي ذلك حزنًا ووجدًا ، فلو أمرتَ الشياطين أن يصوّروا لي صورته ، لأني إذا رأيْتها سلوت عنه . فأمر الشياطين فعملوا لها صورة أبيها في مجلس مثل المجلس الذي كان فيه ، وكان المتولّي لذلك شيطانًا يصحب أباها وهو الذي أشار عليها بذلك . فكان ذلك المجلس والصورة في مقاصيرها التي صنع لها سليمان ، وقد غرس لها فيها بدائع الأشجار وفجر فيها الأنهار في فناء ذهب وفضّة مطوّقة بأصناف الجوهر . فعمدت إلَى الصورة فألبستْها أصناف الحرير من الثياب المنسوجة بالذهب

وجعلت علَى رأسه إكليلاً من الجوهر النفيس وألبسته تاجًا منظوما بالجوهر الفاخر الملّون ، وجعلت حوله مساند الديباج المذهّب ونثرت عليه سحيق المسك وأوقدت بين يديه دخن العنبر وضروب الطيب ، وفرشت بحذائه علَى بعد منه أصناف الأفاويه والرَّياحين . فكانت تدخل إليه بكرة وعشية فتسجد له مع جميع وصائفها وخدمها كما كانت تصنع لأبيها . وكان قد دخل في هذا الصنم شيطان يخاطبها بلسان أبيها فيقول : قد أحسنتِ فيما فعلت ، وما فقدت بك شيئا .

فاتّصل أمرها بآصف بن بَرْخيا ، وكان كاتب سليمان ومن أهله ، وهو الذي كان عنده عِلم من الكتاب ، وهو الذي أحضر عرش بلقيس . وكان علِم موضع المرأة من قلب سليمان وحبّه لها ، فلم يدر كيف يتوصّل إلَى تعريفه بما أحدثت عنده إلَى أن اتّجه له وجه ذلك . فقال : يا نبيّ الله إنّي قد كبرت ولا آمن الموت ، وقد أردت أن أقوم مقاما أذكر فيه الأنبياء وأثني عليهم ، فتأمر بإحضار الناس ووجوه بني إسرائيل فيجلسون في مراتبهم . فأجابه سليمان إلَى ذلك فقام آصف بن برخيا علَى المنبر فخطب فحمد الله وأثنَى عليه واستغفره وأقبل يذكر الأنبياء نبيًّا نبيًّا ويثني عليهم في صغرهم وكبرهم ومدّة أيّامهم ، الى أن بلغ إلَى داود فأثنَى عليه واستغفر له ، [ثمّ] ذكر سليمان فأثنَى عليه في صغره خاصّة ولم يذكره في كبره ولا ذكر شيئا من أيّامه بخير ولا بشرّ . فاستحفظ ذلك سليمان فاستدعاه خاليًا ووقفه علَى ذلك فقال : ذكرتُ ما علمتُ . فلمّا ألحّ عليه قال له : وبمَ استحققت أن أثني عليك في أيّامك وغيرُ الله يُعبد في دارك منذ أربعين يومًا ؟ وما هذا جزاء نعمته عليك ولا شكر تمليكه لك . قال : فارتاع سليمان لذلك وقام فعاقب المرأة وكسّر الصنم ، فهرب شيطانه فظفر به بعد ذلك وسجنه . وفتن لذلك سليمان وأخذت الجنّ خاتمه وخرج من ملكه ، وكان يطوف في بني إسرائيل فينكرونه . فردّ الله عزّ وجلّ ملكه وخاتمه ، وذلك بعد أربعين يومًا وهي عدّة الأيّام التي سجدت المرأة فيها للصنم . ثمّ إنّ المرأة تابت وصحّ إسلامها . وكان ولد سليمان عليه السلام منها . وذكر المؤرّخون أنّ اسمها جرادة .

(322)

ومنها جزيرة الزود [1] ، وهم خلق ذوو أجنحة وشعور وخراطيم يمشون علَى رجل واحدة كما يمشي الناس وعلَى أربع كالبهائم ، ويطيرون في الهواء مع الطير . ومنها جزيرة القابس [2] ، وهي دابّة عظيمة مُلَمْلَمة مثل الكرة تصيح صياحًا شديدًا ولا يُدرى من أين يخرج صياحها ولا يعرف ما هو ولا ما غذاؤه .

(323)

ومنها جزيرة مرّ بها قوم وقد هاج البحر وعظم ، فنظروا فإذا شيخ أبيض الرأس واللحية وعليه ثياب خضر مستلق [1] علَى الماء وهو يقول : سبحان من دبّر الأمور ، وعلم ما في ضمائر الصدور ، وألجم بقدرته البحور ، وسيّروا بين الشمال والشّرق حتّى تنتهوا إلَى جبل الطروق وأوسطه فاسلكوا تنجوا بحول الله وتسلموا . فركبوا السّمت الذي حدّ لهم حتّى انتهوا إلَى جزيرة يقال لها سندروسة ، فيها أمّة طوال الوجوه ومعهم قضبان الذهب المخلوقة يعتمدون عليها ويحاربون بها ، علَى رؤوسهم الذهب وثيابهم منسوجة بالذهب وطعامهم الموز والقطر . فأقاموا عندهم شهرًا وأخذوا من قضبان الذهب الّتي عندهم ما استطاعوا حمله ، ثمّ ساروا علَى السّمت فخلصوا . وكان الذي أرشدهم الخضر عليه السّلام ، وتلك الجزيرة مكان قراره وهي وسط البحر الأعظم .

---

322 1) ابن وصيف شاه 56 : الرود ــ 2) ابن وصيف شاه : القاس .

323 1) ل ن : مستقـل .

(324)

وهناك جزيرة الفيروح [1] بها صنم بزجاج أخضر يجري من عينيه دمع لا يزال يسير علَى مرّ الأيام ، وزعموا أنّه باكٍ علَى قومه الذين كانوا يعبدونه فغزاهم بعض الملوك واستباحهم وقتلهم وأراد كسر الصنم ، فكانوا إذا ضربوه بشيء لم يؤثّر فيه وعاد الضرب علَى ضاربه ، فتركوه وإذا دخلت الريح في أذنيه صفّر تصفيرًا عجيبًا .

(325)

وفي البحر الأخضر جزيرة تُرى علَى بعد ، فإذا قرب منها القاصد غابت عنه ، وإذا رجع إلَى الموضع الذي رآها منه ونظر إليها [رآها] بادية بيّنة . وقيل إنّ فيها شجرة تطلع بطلوع الشمس فلا تزال تطلع إلَى نصف النهار ثمّ تعود إلَى الانحطاط حتّى تغيب [مع] مغيب الشمس . ويقول البحريّون إنّ في ذلك البحر سمكة صغيرة يقال لها النشاكل [1] ، إذا حملها الإنسان معه أبصر تلك الجزيرة ودخلها ، وهذا شيء عجيب طريف .

وفيه جزيرة طاوران ، وطاوران اسم ملكهم وله أربعة آلاف امرأة ، ومَن لم يكن منهم مثل ذلك فليس بملك . ويتفاخرون بكثرة الأموال والأولاد ، وعندهم أشجار إذا أكلوا منها قووا علَى الباه قوّة عجيبة .

(326)

وفي مملكة هذا الملك الجزيرة السيّارة ، والبحريّون مجتمعون علَى تثبيتها ومنهم من يزعم أنّه رآها مرارًا كثيرة لا يشكّون فيها . (وهي جزيرة فيها) [1] جبال

---

324 1) كذا في ل ، ن : الفيروج .

325 1) كذا ل ، ن : الشاكل .

326 1) ل ن : وجزيرة فيها وهي .

وشجر وعمارة ، فإذا هبّت الريح من المغرب صارت إلَى المشرق ، وإذا هبّت الريح من المشرق صارت إلَى المغرب ، هذا دأبها . ويذكرون أنّ حجارتها هفافة خفيفة جدًّا تكون زنة الحجر الضخم الذي يقدّر مثله بقنطار عشرة أرطال وأقلّ ، ويحمل الإنسان القطعة الكبيرة من جبالها علَى عاتقه .

(327)

وفي تخوم بحر الصّين جزيرة النّساء لا [1] يسكنها إلاّ النساء ، وهنّ يلقحن من الريح ويلدن النّساء . وقيل إنّهنّ يلقحن من شجر عندهنّ [2] يأكلن منه . ويذكر أنّ الذهب عندهنّ عروق مثل الخيزران وأنّه وقع إليهنّ رجل فهممن بقتله ، فرحمته امرأة منهنّ وحملته علَى خشبة فأدارته الأمواج حتّى أتت به بعض بلاد الصين ، فوصل إلَى ملك الصين وعرّفه حال الجزيرة ، فجهّز إليها المراكب ، فأقاموا معه يطوفون في البحر ثلاثة أعوام يطلبونها فلم يقعوا لها علَى أثر .

(328)

وفي خبر ذي القرنين أنّه وقع إلَى جزيرة بيضاء ممرّعة [1] خصبة ذات أنهار وأشجار ، وفيها أمّة علَى خلق الناس في الانتصاب ، رؤوسهم رؤوس السّباع ، فلمّا دنا أهل المراكب منهم غابوا عنهم . وفي وسط الجزيرة نهر شديد البياض عليه شجرة عظيمة فيها من كلّ ثمرة طيّبة المطعم ورقها كالحلل المنثرة (؟) حسنًا ولينًا ، والشجرة تطلع بطلوع الشمس فتتباهى بطلوعها إلَى وقت الزّوال ، ثمّ لا تزال تنقص حتّى تغيب بمغيب الشّمس ، وثمرها أحلَى من العسل وألين من الزبد ، وورقها أطيب ريحًا من المسك . فحمل من

327 1) ل ن : ليس ــ 2) ن : عندهم .

328 1) سقطت من ن ــ

ثمرها وورقها إلَى الإسكندر ، فضُرب حاملو ذلك ووقعت عليهم آثار السّياط ولا يرون مَن يضربهم وصيح بهم : ردّوا ما أخذتمْ من هذه الشجرة ولا تقرضوها فتهلكوا . فأقرّوا ذلك وركبوا مركبهم ذاهبين .

ودخل الإسكندر جزيرة العبادة فوجدها قفارًا لا تنبت شيئًا غير الحشيش ، وفيها غدران ماء ، ووجدوا قومًا قد نهكتهم العبادة وصاروا كالحمم [2] سوادًا . فوقف بهم فسلّم عليهم [3] فردّوا عليه فقال : ما عيشتكم في فَلاتكم هذه ؟ قالوا : ما يأتينا من رزق ربّنا من سماك البحر وأصول النبت وشرب ماء هذه الغدران . قال : أفلا أنقلكم إلَى موضع أخصب من هذا ؟ فقالوا : وما نصنع به ؟ إنّ عندنا في جزيرتنا هذه ما نغني [عن] جميع العالم . وانطلقوا به إلَى بلاد تتلألأ بأنواع الجواهر واليواقيت فوق ما تتوهّمه النفوس ويجري علَى الأفكار ، وأخرجوه من ذلك إلَى أرض عريضة وبساتين عجيبة فيها من أصناف الثمار والفواكه ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان وقالوا له : أتصل أنت إلَى مثل هذا ؟ قال : لا والله . قالوا : هذا بين أيدينا وفي تمليك الله عزّ وجلّ لنا ، ما نلتفت إلَى شيء منه ، وإنّا لنؤثر الحشيش علَى هذه الفواكه . فذهب من كان مع الإسكندر ليأخذ من ذلك الجوهر فنعهم وودّع أهل الجزيرة وانصرف إلَى مراكبه مُمتلئًا عجبًا فيهم .

[ذكر الأخبار عن انتقال البحار]

(329)

ذكر صاحب المنّطِق أنّ موضع البرّ قد يكون بحرًا وموضع البحر قد يكون برًا . قال : وليس مواضع الأرض الرطبة أبدًا رطبة ولا اليابِسة أبدًا يابسة . قال : وللمواضع شباب وهرم وحياة كما في الحيوان .

---

328 2) كالجحم ـ 3) ل ن : بهم .

(330)

قال س : وقد كان البحر فيما سلف في الموضع المعروف بالنجف ـ وهو بالحيرة [1] ـ وكانت ترسَى هناك سفن الهند والصين ترِد علَى ملوك الحيرة . فصار بين الحيرة وبين البحر الآن مسيرة أيّام كثيرة ، ومن رأى النجف وأشرف عليه تبيّن له ما وصفنا . ولمّا أقبل خالد بن الوليد في سلطان أبي بكر رضي الله عنه بعد فتح اليمامة وقتل كذّابها يريد الحيرة تحصّن منه أهلها في الحصن الأبيض ، وفيه كان إياس بن قبيصة ، وقصر القادسية وقصر بني نُفيلة [2] وقصر بني مازن . قال : وهذه قصور الحيرة . قال : وهي في وقتنا هذا سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة [3] خراب ، وبين هذه القصور وقصر القادسية ثلاثة أميال .

(331)

وسُمّيت القادسية لأنّ الأعاجم جعلوا قساء من قادس خراسان ، وقادس يومئذ أسفل منها [اليوم] ، ممّا يلي عين الشمال . وذكر الحكماء أنّ رستم لمّا أراد العبور أمر بسكر العتيق [1] بحيال قادس ، فباتوا ليلتهم يسكرونه [2] بالتراب والقصب والبراذع حتّى جعلوه طريقًا ، فاستتمّ بعد ما ارتفع النهار من الغد . وذلك عند عبوره للقاء سعد بن أبي وقّاص .

(332)

فنزل خالد بالنجف وبعث إليهم أن ابعثوا رجلاً من عقلائكم . فبعثوا إليه عبد

---

330 1) ل ن : بالجيزة ، وكذا في بقية الفقرة ـ 2) المسعودي 230 : ثعلبة ـ 3) كذا ، والصواب : ثلاثمائة .

331 1) ل ن : العقيق ـ 2) ل ن : يكسرونه .

المسيح بن عمرو بن قَيْس بن حيّان بن بقيلة [1] الغسّاني . وبقيلة هو الذي بنَى القصر الأبيض ، ودُعي بُقيلة لأنّه خرج يومًا وعليه [ثياب] خضر فقال قومه : ما هذا إلاّ بقيلة . وعبد المسيح هو الذي أتَى سطيحًا يسأله عن رؤيا الموبذان وارتجاج الإيوان وما كان من ملك بني [2] ساسان ، فأتَى عبد المسيح خالدًا ـ وله يومئذ ثلاثمائة سنة وخمسون سنة ـ وأحبّ أن يُريه من نفسه ما يعرف به عقله . قال له خالد : من أين أقصَى أثرك ؟ قال : من صلب أبي . قال : فمن أين جئت ؟ قال : من بطن أمّي . قال : فعلَى ما أنت وَيْحك ؟ قال : علَى الأرض . قال : أتعقل ؟ قال : أي والله وأقيد [3] . قال : ابن كم أنت ؟ قال : ابن رجل واحد . قال : اللّهمّ اخزِهم [4] من أهل بلدة فما يزيدوننا إلاّ غمًّا ، أسأله عن شيء فيُجيبني عن غيره . قال : لا والله ما أجبتُك إلاّ عن سؤالك ، فسلْ عمّا بدا لك . قال : أعرب أنتم أم نبط ؟ قال : نبط استعربنا وعرب استنبطنا . قال : فحرْب أم سِلْم ؟ قال : بل سلم . قال : فما هذه الحصون ؟ قال : بنَيْناها للسّفيه نمنعه حتّى يأتي الحكيم [5] فينهاه . قال : كم من سنة أتت عليك ؟ قال : خمسون وثلاثمائة . قال : فما أدركت ؟ قال : أدركتُ سفن البحر ترقَى إلينا من هذه النجف بمتاع الهند والصين وأمواج البحر تضرب ما تحتك ، ورأيتُ المرأة من أهل الحيرة تأخذ مكتلها فتضعه علَى رأسها لا تتزوّد إلاّ رغيفًا ، فلا تزال في قُرى عامرة وعمائر متّصلة وأشجار مثمرة ومياه عذبة غَدِقة حتّى ترِد الشّام ، وتراها اليوم قد أصبحت فياقًا [6] ، كذلك دأب الله في البلاد والعباد .

قال : فوجم خالد لما سمعه وعرف مَن هو ، وكان مشهورًا في العرب بصحّة العقل وطول العمر . قال : ومعه سُمّ ساعة يقلّبه في يديه . فقال له خالد : ما هذا معك ؟ قال : سمّ ساعة ، فإن يك عندك ما يسرّ به ويُوافق أهل بلدتي قبلتُه وحمدت الله عليه ، وإن يكن الأخرى لم أكن أوّل مَن ساق إلَى بلده ذلاًّ ، فآكل السمّ وأستريح . قال له خالد : هاته . وأخذه ووضعه في راحتَيه

---

1) ل ن : نفيلة ـ 2) سقطت من ن ـ 3) عن المسعودي 231 ، ل ن : وأقبل ـ 4) ن : خنهم ـ 332
5) ل ن : الحلم ـ 6) ل : بياثا ، ن : يباتا ـ

ثمّ قال : بسم الله وبالله بسم الله ربّ الأرض وربّ السّماء ، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السّماء ، وهو السّميع العليم . ثمّ اشترطه فلحقته غشية ، ثمّ سري عنه وأفاق كأنّما نشط من عقال .

فانصرف العِبادي إلَى قومه ـ والعِباديّون هم النّسطورية [7] من النّصارى ـ فأخبرهم بما رأى وقال : يا قوم صالحوه فإنّ القوم مصنوع لهم وأمرهم مُقْبل وأمر بني ساسان مُدْبر ، وسيكون لهذه الأمّة شأن . ثمّ تحدّث بها هنات وهنات . فصالحوه ، وقال عبد المسيح [وافر] :

أَبَعْدَ المُنْذرين أرى سَوامًا [8] تَروّحُ بالخَوَرْنَق [9] والسّدير
فصِرْنا بَعْد هلك [10] أبي قُبَيس كَمِثْل الشّاة في اليَوْم المَطير
تَقسَّمنا القَبائل من مَعَدّ علانِيةً كأيْسار الجَزور
كذاك الدّهْرُ دَوْلته سجال فيَوْم من مَساةٍ أو سُرور [11]

(333)

ونحو هذا ما حدث في الجانب الآخر الشّرقي ببغداد من المواضع المعروفة برقّة [1] الشّماسية وما نقل إليها من الجانب الغربي من الضياع التي كانت بين قُطْرَبُّل ومدينة السّلام ، فإنّ ذلك عدد من ضياع قطربّل . وقد كان لأهلها مطالبات مع أهل الجانب الشّرقي ممن يملك رقة الشماسية بحضرة الوزير علي بن عيسَى وما أجاب في ذلك .

(334)

قال : وذكر جماعة أنّ السّنة التي بعث فيها رسول الله صلعم إلَى كِسرى

---

332 7) ل ن : التسطورة ـ 8) عن المسعودي 233 ، ل ن : سواها ـ 9) ل ن : بالخويرق ـ 10) ل ن : ملك ـ 11) عن المسعودي ، ل ن : فيوم مساة أو من سور .

333 1) ل ن : بالرقة .

ـ وذلك سنة سبع ـ زاد الفرات والدجلة زيادة لم يُر مثلها واتّسعت بثوق [1] عظيمة حملت السّكور [2] والمسنّيات ، وطلب الماء الوِهاد ، وجهد أبْرويز [3] أن يردّ مسنّياتها ويقيم شادَرْواناتِها ، فغلبه الماء وطَمَا علَى العمارات فغرق الكور والسّطوح ، وشُغلت الأعاجم بحرْب العرب . فلمّا [ولّي مُعاوية] [4] ولّى عبد الله بن درّاج مولاه خراج العراق ، فغلب الماء المسنّيات والسُّكور واستخرج له من الأرض ما بلغت غلّته خمسة عشر ألف ألف . واستخرج الحجّاج أيّام الوليد من البطيحة نحو خمسين فرسخًا في مثلها .

ذكر الأنهار والعيون

(335)

اختلف النّاس في الأنهار ، فقالوا إنّها في الأرض كالعروق في البدن . وقال آخرون : حقّ الماء أن يكون علَى سطح ، فلمّا اختلفت الأرض فكان منها العالي والهابط انحاز الماء إلَى أعماق الأرض ، فلمّا انحصرت [المياه] في الأعماق طلبت التنفّس لضغط الأرض من أسفل فتنبثق حينئذ عيونًا وأنهارًا .

(336)

فأمّا النيل فإنّ مبعثه من تحت جبل القمر وراء خطّ الاستواء بسبع درجات ونصف من اثنتي عشرة عينًا ، فيجتمع في بُحَيرتَيْن كالبطائح . قال : وهاتان البُحيرتان هنا في البلاد المحترقة الجنوبية التي لا يكون فيها نبات ولا حيوان ، ثمّ يتشعّب من كلّ بطيحة ثلاثة أنهار تجتمع مع جميعها إلَى بطيحة في الإقليم الأوّل ، فيخرج من هذه البطيحة نيل مصر . ثمّ ينبعث بين جبال ورمل ، ثمّ

---

334 1) ل ن : بوثق ـ 2) ل ن : السكون ـ 3) ل ن : أبروبدان ـ 4) عن المسعودي 238 .

يَخترق أرض السُّودان ممّا يلي بلاد الزنج ويطيف بأرض النُّوبة ، فيتشعّب منه خليج يصبّ إلَى بحر الزنج ، وهو بحر جزيرة قَنبلو [1] ، وسنذكرها إن شاء الله . فيخرق البحر أكثر من ميل عذبًا حلوًا يتكدّر إبّان زيادة النيل وفيه السُّوسمار [2] - وهو التمساح الكائن في نيل مصر - ويُسمّى الوَرَل أيضًا . وذكر أنّ النيل يجري علَى وجه الأرض تسعمائة فرسخ - ويقال ألف - بين عامر وغامر . وقال غيره إنّ مسافة جريانه من لدن منبعه إلَى مصبّه في البحر خمسة آلاف وتسعمائة وثلاثون ميلاً ، ويقال إنّه يجري في الخراب غير العمران مسيرة أربعة أشهر ، في بلاد المسلمين مسيرة شهر وفي بلاد السُّودان مسيرة شهرين . قال الجاحظ [3] : وكلّ نهر في الأرض مخالف للنّيل وهو مستقبل الشّمال . قال الشّاعر [رجز] :

مصر ومصر شأنها عجيب وماؤها يجري به الجنوب .

(337)

وبالنّيل السّمك الرعاد ، مَن صاد منها سمكة لم تزل يده ترعد مادام في شبكته أو شصّه . وجبل آمد [1] يراه أهله ، مَن انتضَى سيفه ثمّ أولجه فيه وقبض علَى قائمه بجميع يديه اضطرب السّيف في يديه وارتعد هو ولو كان أشدّ الناس [2] . وإذا أحدّ بحجارة ذلك الجبل سكين أو سيف وحمل عليه الحديد لم يؤثّر فيه ويجذب الإبر والمسالّ أشدّ جذب من جبال المغنطيس ، ولا يبطل الثوم عمله كما يبطل المغنطيس ، بل تبقَى تلك القوّة في ذلك الحديد علَى مرّ الأيّام . وحجر الجبل نفسه لا يجذب الحديد فإن أحدّ عليه سيف أو سكين جذب الحديد ، وهذه عدّة أعاجيب .

---

336 1) عن المسعودي 215 ، ل ن : فتعلوا — 2) عن المسعودي 216 ، ل ن : السندسار — 3) ن : الحافظ .

337 1) ل ن : آخر — 2) ن : أشد الناس بأسًا .

(338)

وإلَى بلاد أسوان من صعيد مصر تصعد المراكب من فسطاط مصر . وعلَى أميال من أسوان جبال وأحجار يجري النيل في وسطها ، وهذا الموضع فارز [1] بين سفن الحبشة في النيل وسفن المسلمين . فيقطع النيل الصعيد ثمّ يمرّ بالفسطاط ثمّ بأرض الفيوم ثمّ يمرّ هابطًا فينقسم خلجاناً إلَى أرض تنّيس ودمياط والإسكندرية كلّ يصبّ إلَى البحر الرومي ، وقد أحدث بُحيرات في هذا الموضع .

(339)

د : إذا انتهَى إلَى دمياط يصبّ في بُحيرة كبيرة فيها جزائر ، منها تنّيس . فماء تنّيس وجزائر تلك البحيرة عذب إذا هبّت الجنوب ، وهم عند ذلك يطرقون بها إلَى مصانع صنعوها لذلك ، فإذا هبّت الشمال ملح ماء البحيرة . وقد كان النيل إذ بنَى الإسكندر هذه المدينة يتّصل بأسواقها ويمرّ في سككها ، وقد بلّطت مجاريها بالمرمر ، ثمّ صار الآن النيل منهم علَى نحو يوم وصار شربهم من الآبار ، وهذا ممّا قدّمناه . قال د : والنيل يتشعّب دون الفسطاط شعبتَين ، فتصير شعبة إلَى الرشيد بقرب الاسكندرية وتصير شعبة أخرى إلَى دمياط .

(340)

فأمّا خليج النيل الذي يتشعّب إلَى بحر الزنج [فهو فارز بين بلاد الزنج وبين أقاصي بلاد] [1] أصناف الأحابيش ، ولو لا هذا الخليج [2] ومفاوز ورمال تليه لم يكن للحبشة مُقام في بلادها مع الزنج لكثرة الزنج وبطشها [3] .

---

338 1) عن المسعودي 219 ، ل ن : بارز .

340 1) عن المسعودي 222 ـ 2) ل ن : البحر ـ 3) ل ن : ويصبّ في هذا البحر الرومي .

(341)

وأمّا نهر [1] بلخ الذي يُسمّى جَيْحون ـ وهو جيحان ـ وقد جعلها اثنين [2] وهو صحيح . قال : وجيحان منبعه من [بلاد] الرّوم ويجتاز بين المصيصة وكَفَربيًّا [3] ويصبّ في بحر الشّام ، ولم يزد علَى هذا . وقد ذكر س نحو هذا في جيحون ووفّقه أحمد علَى ذلك فقال : هما نهران ، وذكره عن الجيهاني . قال : منبعث نهر جيحون من بلاد التّبّت يُقبل من الشرق مع الصبا فيمرّ ببلاد وخّان [4] ويسمّى هناك وخّاب [5] ، ثمّ يصير إلَى أعلَى حدود بلخ ممّا يلي المشرق ، ثمّ ينعطف إلَى ناحية الشّمال مع الجنوب إلَى أن يصير إلَى التِرْمِذ ، ثمّ يقبل منها إلَى زمّ ثمّ إلَى خوارزم ، فيمرّ بمدينتها ، فإذا جاوزها [6] تشعّبت منه أنهار وخلجان ذات اليمين وذات الشمال ، فصارت منه [بطائح] [7] وآجام ومروج أسفل من مدينة خوارزم بنحو أربعة فراسخ ، ثمّ يمرّ مستقبل الشمال [8] بين الجرجانية ـ أسفل من المدينة بأربعة وعشرين فرسخًا ـ وبين دور المزداخكان [9] من الشاطئ الشرقيّ ، وبه يُدعَى السّمك هو وابك [10] . فإذا انحدر من هذه المواضع تشعّب منه شعب ذات اليسار إلَى وَرْغدة [11] ، وهي المسمّاة بساكرة ، وهي أسفل من الجرجانية بأربعة فراسخ ، فتصير منه [12] هناك بطائح تسمّى الخلجان ، وهو الموضع الذي يصاد فيه السّمك المجلوب من خوارزم إلَى النواحي . ويجري بقية النهر إلَى البُحيرة المذكورة .

(342)

قال الجيهاني : ودور هذه البحيرة نحو مائة فرسخ ، بين التّنبيه : مستقبلها

---

341 1) ن : بحر ـ 2) ل ن : أيين ـ 3) ل ن : كفرقنا ـ والتصويب عن ابن رسته 91 ـ 4) ل ن : وجان ـ 5) عن ابن رسته ، ل ن : خارب ود ـ 6) ل ن : جازها ـ 7) عن ابن رسته ـ 8) ل ن : الشام ـ 9) ل ن : المرجاحكان ـ 10) كذا في ل ن ، ابن رسته : قرية تسمّى هرواز ـ 11) ل ن : عوده ـ 12) ل ن : منها .

مسافتها نحو من أربعين يومًا في مثلها . ج : وماؤها ملح وليس لها مغيض ظاهر ، ويقع فيها نهر جَيحون ونهر الشاش وأنهار غيرهما [1] كثيرة ، فلا يعذب ماؤها ولا يزيد فيها . ويشبه ـ والله أعلم ـ أن يكون بينها وبين بحر [2] الخزر خرق يتّصل بمائها ، وبين البحرين نحو عشرين مرحلة علَى السّمت . وأضيق أعبار جيحون علَى رباط بلخ عرضه نحو ميلَين . هذا كلّه من التنبيه .

(343)

فأمّا نهر بلخ الذي يُسمّى جَيحون ـ وهو نهر المصيصة ـ فإنّه يجري من أعين فيمرّ ببلاد الترمذ واسفرائين من بلاد خراسان حتّى يأتي بلاد خوارزم ، فيفترق في مواضع هناك ويمضي باقيه فيصبّ في بُحيرة الجرجانية أسفل خوارزم . وليس في العُمران بُحيرة أعظم منها لأنّ طولها مسيرة شهر في نحو ذلك من العرض ودورها أربعمائة فرسخ ، وإليها يصبّ نهر فرغانة والشاش وعليها مدينة للترك يقال لها الجديدة فيها المسلمون . والسُفن تجري في هذه البحيرة .

(344)

وقد زعم قوم من أهل الخبرة [1] أنّ مبتدأ نهر جَيحون يستمرّ خارجًا إلَى بَلْخ ، ثمّ يصبّ في البحر ، وهو يصبّ في ساحل المصيصة من البحر الرّومي . ومقدار جريه علَى الأرض مائة وخمسون فرسخًا ، وقيل أربعمائة . وقد زعم قوم أنّه يصبّ في مهران [2] السّند . [وذكر الجاحظ أن مهران السّند] [3] من نيل مصر واستدلّ بوجود التّمساح فيه . ذكر ذلك في كتاب

---

342 1) ل ن : غيرها ـ 2) سقطت من ن .

344 1) عن المسعودي 225 ، ل ن : البحيرة ـ 2) ل ن : نهران ـ 3) من «كتاب التنبيه والإشراف» ص 49 .

الأمصار . ونهر مهران السّند يخرج من أعين مشهورة في أعلَى بلاد السّند من أرض فتح من مملكة بوروة .

(345)

الفرات : مبدؤه من بلاد قالَى قلا من ثغور أرمينية من جبل هناك يُدعَى أفردخش علَى نحو يوم من قالَى قلا ، ثمّ يجري في بلاد الروم إلَى أن يأتي [1] ملطية ، وإذا توسّط بلاد الروم تجلّبت إليه مياه كثيرة وأنهار ، ثمّ ينتهي إلَى جسر منّبج [2] ثمّ إلَى بالس ، ويمرّ بصِفّين في موضع حرب أهل العراق وأهل الشّام ، وينتهي إلَى الرقّة والرَّحْبة [3] وهيت والأنبار . وتأخذ منه هناك أنهار مثل نهر عيسَى الذي ينتهي إلَى مدينة السّلام فيصبّ في دجلة ، وغيرها . ثمّ يأخذ الفرات إلَى بلاد سورا [4] وقصر ابن هُبيرة والكوفة والجامعَين والنّرس والطُّفوف [5] ، إلَى البحيرة الّتي بين البصرة وواسط .

(346)

د : وهو يقبل من الشّمال فيكون مقدار جريانه علَى وجه الأرض نحو خمسمائة فرسخ ، وقيل ستّمائة فرسخ . وقد كان الفرات ينتهي إلَى بلاد الحيرة [1] ونهرها بيّن إلَى هذا الوقت ، فيُعرف بالعتيق [2] ، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رُستم ، وهي وقعة القادسية ، فيصبّ في البحر الحبشي ، وكان البحر يومئذ في الموضع المعروف بالنّجف ، وقد تقدّم ذكر هذا . ويقع في الفرات في أرض الجزيرة نهر الخابور بموضع يسمّى قرقيسيا .

---

345 1) ن : يلي ـ 2) عن المسعودي 228 ، ل ن : بسبج ـ 3) ل ن : الجيزة ـ 4) عن المسعودي 229 ، ل ن : صوارب ـ 5) عن المسعودي ، ل ن : الطنوف .

346 1) ل ن : الجيزة ـ 2) ل ن : بالعقيق ـ

وبالبطائح تجتمع هذه المياه وهي ثلاثون فرسخًا في ثلاثين ، حدّ منها جزيرة العرب وحدّ أرض ميّسان وحدّ دجلة بغداد وحدّ مصبّ الفرات والنّهروان . وهذه البطائح هي مزارعهم وأشجارهم . وقد أخرجت من هذه البطائح أنهار منها نهر مرّة ـ ونهر مرة منسوب إلَى مرة بن أبي عثمان مولَى عبد الله بن أبي بكر ، (وهو عبد الرحمان بن أبي بكر) [3] الصدّيق كتبت عائشة بالوصاة به إلَى زياد فأقطعه ذلك النهر ، وفيض البصرة يقع في نهر الأبلّة [4] حتّى يخرج إلَى دجلة العوراء ، ثمّ يقع في بحر الهند ، وفيض البصرة هو نهرها الذي البصرة عليه .

(347)

وأمّا الدجلة فإنّها تخرج من الإقليم الخامس من بلاد آمد من ديار بكر ، موضع يعرف بحصن ذي القرنين ، وتصبّ إليها أنهار سرّبَط وساتيدَما [1] الخارجة من بلاد أرزن وميّافارقين ، وتمرّ بالموصل ويصبّ فيها نهر الخابور الخارج من بلاد أرمينية ، والتقاؤه بدجلة [بين مدينة باسورين وقبر سابور] [2] من بلاد قَردى ـ وقال : تلك من بلاد الموصل . وهذه الدّيار ديار بني حَمْدان وفيها يقول الشّاعر [طويل] :

بقَرْدى [وبازَبْدى] [2] مَصِيف ومَرْبَع وعَذْب يُحاكي السَّلْسَبيل برُود
وبَغْدادُ ما بغداد أمّا تُرابها فجمرٌ وأمّا حرّها فشديد

وليس هذا نهر الخابور الذي يجري من مدينة رأس العين ويصبّ في الفرات . ثمّ (تمرّ دجلة) [3] فيصبّ فيها أسفل من الموصل [نهر الزّاب] [2] بين الموصل وجرد والحديثة علَى فراسخ من الحديثة من الجانب الشرقي ، فهذا

346 3) سقطت من ن ـ 4) ل ن : الأبلة .

347 1) عن المسعودي 239 ، ل ن : ساتيمومه ـ 2) عن المسعودي 239 ـ 3) ل ن : يمرّ بالدجلة ـ

الزاب الأكبر والأصغر الواردان من بلاد أرمينية وآذَرْبيجان . ثمّ تنتهي [4] إلَى تكريت وسامرّا وبغداد ، فيصبّ فيها نهر عيسَى وغيره التي ذكرنا أنّها تتشعّب من الفرات . ثمّ تخرج دجلة عن بغداد فتصبّ فيها أنهار كثيرة مثل النهر المعروف بنهر بين ونهر روان [5] ممّا يلي (جرجرايا والسّيب ونيل النّعمانية) [6] . وإذا خرجت الدجلة عن مدينة واسط [7] تفرّقت أنهارا آخذة إلى بطيحة البصرة مثل سردود وسابس [8] والمصبّ [9] الذي ينتهي إلَى القطر وفيه تجري أكثر سفن البصرة من بغداد وواسط . ومقدار جريان دجلة ثلاثمائة فرسخ ، وقيل أربعمائة .

(348)

وقال أحمد بن عُمر : أمّا دجلة التي تُدعَى اليوم بالعوراء فإنّها كانت قبل الإسلام تستقيم (من عند المذار) [1] ، وهي اليوم منقطعة فتمرّ ما بين المذار وعَبْدسَى [2] من كور دَسْت مَيْسان حتّى تخرج عند الخَيْزُرانة فوق فم الصّلح بحضرة واسط ، .فتمرّ حتّى تأتي المدائن ، فكانت سفن البحر تجري من بلاد الهند فتدخل في دجلة البصرة حتّى تأتي المدائن . فتمرّ حتّى تخرج فوق فم الصّلح فتصير إلَى دجلة بغداد فتأتي المدائن . ثمّ إنّها خرقت الأرض حتّى مرّت بين يدي واسط حتّى صبّت ماءها في هذه البطائح ، والبطائح يومئذ أرض تُزرع متّصلة بأرض العرب ومن قبائلها يَشْكُر وباهلة وبنو عبس متّصلة بناحية مَيْسان وأرضها . فغلب الماء علَى ما كان من تلك الأرضين منخفضا ، فتلك المواضع معروفة بالبطائح تُسمّى سرطغان وطستخان [3] قد يُرى أثرها في الأرض - أعني أرض البطائح - تحت الماء عند ركود الماء وصفائه فيُعلم أنّها

---

347 4) ل ن : تنتهي إلى الدجلة - 5) ل ن : ونهروان - 6) ل ن : جرجايا والسيب وتل النعمانية ، والتصحيح عن المسعودي - 7) ل ن : مدينة السّلام - 8) ل ن : الشام - 9) ل ن : والبصرة ، والتصحيح عن المسعودي .

348 1) ل ن : عند الميزان ، والتصحيح عن ابن رسته 94 - 2) ل ن : وعبرس - 3) عن ابن رسته ، ل ن : طيسحان -

كانت أرضين . وصارت البطائح الأولَى وما والاها صحاري ومفاوز ، ويصيب المارّة فيها في الصّيف سموم شديد . فلم يبق اليوم من دجلة العوراء إلاّ من المذار [4] إلَى بحر الهند ، وذلك مقدار ثلاثين فرسخاً ، وهي دجلة البصرة وإليها ينتهي مدّ البحر وجزره .

وكان كسْرى أبرويز قد سكر [5] دجلة عند الخيزرانة وإنّه أراد أن يعيد [6] الماء إلَى دجلة العوراء وأنفق عليها مالاً عظيماً ، فأعياه ذلك وجرت [7] في موضعها الذي هي اليوم فيه بين يدي واسط . ورام بعد ذلك خالد بن عبد الله أن يسكرها [8] وأنفق الأموال في ذلك ، فصفت [9] دجلة ذلك البنيان وخرقته ، وآثار [10] ذلك البناء تُرى إذا قلّ [11] الماء في دجلة من آجرّ وصاروج ، وربّما عطبت فيه السُّفن المارّة .

(349)

وأمّا سيحان فهو في الثغر الشّامي ، وهو نهر أذنة ومخرجه من نحو ثلاثة أميال من مدينة ملطية ، ويجري في بلاد الرُّوم وليس عليه للمُسْلمين إلاّ مدينة أذنة بين مدينة طرْسوس والمصيصة ، ويصبّ في البحر الرومي من الثغر الشّامي .

ومن أنهار الأرض المشهورة

(350)

نهر كَنْك ببلاد الهند ، ونهر مِهْران وهو نهر السِّند ، يخرج من جبال شقنان [1] ، ويقال إنّه يخرج من جبل يخرج منه بعض أنهار جَيْحون ، وتمدّه

---

348 4) عن ابن رسته ، ل ن : المار ـ 5) ل ن : كسر ـ 6) ل ن : ليعيد ـ
7) ل ن : وخرقت ـ 8) ل ن : يكسرها ـ 9) ل : فشفت ، ن : فشققت ـ 10) ل ن : وأثارت ـ 11) ل ن : مرّ .

350 1) عن ابن رسته 89 ، ل ن : سبقيان ـ

أنهار كثيرة وعيون غزيرة ، فيقطع [2] أرض الهند والسّند ويظهر علَى نوافره بناحية المُلْتان ، ثمّ يمرّ علَى المَنْصورة حتّى يقع في البحر شرقيّ [3] الدّبيل . وهو نهر كبير عذب يقال إنّ فيه تماسيح كتماسيح النيل ، وهو مثله في الكبر وجريه بالأمطار الصّيفية ، وينتشر علَى وجه الأرض ثمّ ينضب فيزرع عليه حسب ما يزرع بأرض مصر .

نهر الرسّ : وهو نهر أرمينية يمرّ برستاق [4] بناحية الفرس وشرقيّه ، ثمّ يمرّ بدَبيل وبأرّان [5] ، فيقع فيه من جبال أرمينية وجبال أرّان أنهار ، ثم يمرّ بوَرْثان إلَى مرويح (؟) ، فإذا جاوزها انصبّ في بحر طبرستان .

النهروان : وإنّ منبعثه من جبال أرمينية ويمرّ بباب صلوى [6] ، ويُسمّى هناك ثامرًّا ، ويستمدّ من القراطيل ، فإذا صار بباب كسرى يسمّى النهروان ، وينصّب في دجلة أسفل جبُّل .

نهر الخابور : منبعثه من رأس العين من أعلَى أرض الجزيرة ويمتدّ من الهرماس [7] ، وهو نهر ينصبّ في الفرات بموضع يسمّى قرقيسيا .

[نهر بَرَدى : نهر دمشق] [8] فينبعث من جبالها فيجتازها فيسقيها [9] ويسقي [10] غوطة دمشق وينصبّ في بُحيرة [11] دمشق .

نهر قُوَيق : نهر حلب ينبعث من قرية تدعى سُنياب [12] على سبعة أميال من دابق ، ثمّ يمرّ الى حلب ثمانية عشر ميلا ، ثم يفيض في الأجمة .

---

350 2) ل ن : فينقطع ـ 3) ل ن : الشرقي ـ 4) ل ن : برستان ـ 5) ل ن : بالمدائن ، والتصحيح عن ابن رسته 89 ـ 6) ل ن : صكوى ـ 7) عن ابن رسته 90 ، ل ن : المرمسان ـ 8) من ابن رسته 91 ـ 9) ل ن : فيقسمها ـ 10) ل ن : ويشقّ ـ 11) ل ن : بحر ـ 12) عن ابن رسته ، ل : سيباب ، ن : سيبان .

ومن الأنهار المنصبّة في جَيْحون

(351)

وَخشاب : وهو أعظمها يقبل من أعلَى بلاد التّرك فيصير إلَى بلاد قامر [1] ثمّ إلَى بلاد الرَّاست ثمّ إلَى بلاد الكميذ [2] ، ثمّ يمرّ بين الجبلين فيما بين حدود الواسجرد ورستاق من أرض الخُتَّل ، فيستقبل جريه بلاد الختّل ذات يمينه وبلاد الواسْجرد ذات يساره ، ثمّ يجري حتّى إذا صار في أرض الختّل صبّ في جَيْحون بموضع يعرف بميلة [3] فوق مدينة [4] التّرمذ .

ونهر وَخَاب يكشف بلاد الختّل من الشقّ الآخر ، وهو الذي يخرج من بلاد التّبت وهو أصل جَيْحون علَى ما قدّمناه . وفي أعلَى هذا النهر موضع يخرج منه الذهب قطع صغار مثل رؤوس الإبر .

ذكر بعض الأنهار الخارجة [5]
من صحراء [6] المغـرب

(352)

من جبل درن ، وهذا الجبل معترض في الصحراء وهو فاصل بين الصحراء والساحل ، ومنه ينفجر كلّ نهر هناك ، وهم يختلفون في تسمية هذا الجبل ، فأهل فاس وسجلْماسة يسمّونه درن ، والمصامِدة ونول يُسمّونه بشكوا ، وهوارة تُسمّيه أوراس [1] . فممّا ينفجر منه نهر نفيس ووادي أغمات ونهر موقوا ، وهو يقع في وادي وانسيقين ، وهو يجري إلَى (بلاد برغواطة) [2] .

---

351 1) ل ن : قامر ، والتصحيح عن ابن رسته 92 ـ 2) عن ابن رسته ، ل ن : الكيمك ـ 3) ل ن : بمثله ـ 4) ل ن : مرتبة ـ 5) ل ن : الحراجة ـ 6) ل ن : صخر .

352 1) ل ن : أول اس ؟ 2) ل ن : عما غواطة .

ومنها وادي وارزين وهو يقع في وانسقين ، ومنها وادي أقديم وهو وادي سلا . ويخرج من هذا الجبل في القبلة إلى الصحراء نهر درعة ، وهو نهر عظيم ينصبّ في بحر نول في البحر المحيط . ومن هذا الجبل ينبعث وادي غريس ، وهو [نهر] سجلماسة الذي يعرف بوادي زيز ، وينصبّ في هذا الوادي عدّة أودية تنبعث كلّها من ذلك الجبل واجتماعها كلّها في موضع يقال له قاكنسا ، وهذا الوادي يقع في البحر وراء درعة بعد مسافة بعيدة .

(353)

ومن الأنهار المشهورة ببلاد الأندلس

نهر قرطبة ، ويعرف بنهر بيطي [1] ، مخرجه من ناحية ريمية وبين منبعثه إلى موقعه في البحر بغربي اشبيلية ثلاثمائة ميل وعشرة أميال . ويقع فيه سنجيل ، وهو ينبعث من الثلج من جبال ألبيرة وعليه مدينة استجة [2] ؛ ونهر بينش يقع فيه يجتمع النهران في فحص ألبيرة . وتقع فيه عيون لوشة ، وتقع فيه عين وادي سوس ومخرجه من جبال باغة ، ويقع فيه الوادي الأحمر ومخرجه من جبال النشكة . وبأقلّ جدْول من هذا النهر يستحيل ماء نهر قرطبة وتعلوه حمرة وكدرة . وينصبّ فيه بلون وأنهار كثيرة : نهر ترميد . ومخرجه بقرب من مخرج نهر قرطبة من ناحية كشكه وجريه إلى الشرق وانصبابه في البحر الشامي ، وهذا نهر تضغطه الجبال بموضع يعرف برقوط على ثمانية عشر ميلاً من مرسية حتّى يتوعه الرجل ؛ ولو لا هذا الجبل لغرق السّيل مرسية .

ونهر آنة ، ومنبعثه بين شمال الأندلس وشرقها فيما بين الجبل المسمّى البويرة وبين مدينة روقول ، وهي فوق مدينة ريمية ، ومصبّه في البحر المحيط باشكونية ، ومسافة طوله ثلاثمائة وعشرون ميلاً . ونهر آنة هذا يغيض بين لابردة وبطليوس فيجري متواريًا حتّى يبدو بموضع يعرف بفجّ العروس من فحص الفجّ . ثمّ يغيض فيخرج بقرية من قرى قلعة رباح يقال لها آنة .

نهر تاجه ، منبعثه من جبال بناحية نطلية [3] من عين في موضع يعرف بالبيضة

353 1) ل ن : نبطي – 2) ل ن : اسجة 3) كذا ، وربّما الصواب : تطيلة أو طليطلة –

لكثرة صنوبره ، ومصبّه في البحر المحيط بين مدينة قلموية ومدينة برتقال [4] . ومسافة جريه تسعمائة ميل وثمانون ميلاً ، وتقع فيه نحو عشرة أنهار .

ونهر أبره يخرج من عين يقال لها قونت أبير ، وهي فوق أرض القلاع ، ومجراه من الجوف إلى القبلة ، ومصبّه في البحر الشّامي بناحية طرطوشة ، ومسافة جريه مائتا ميل وأربعة أميال ، وهو مخصوص بالحوت المعروف بالطرنجة ، وهو حوت عظيم وليس له إلاّ شوكة واحدة ، وتقع فيه عدّة أنهار .

نهر جلّق ، وهو يقع في نهر أبره ومخرجه من جبال الشّيرطانين .

ومن أنهار بلاد الإفرنجة وجلّيقية المشهورة

(354)

نهر مينية ، مخرجه من جبال ألتبه ويشقّ بلاد جلّيقية من شرق إلى غرب ويقع في البحر المحيط بناحية حائط جلّيقية ، وعدد أمياله ثلاثمائة ميل وثلاثة أميال .

نهر رودية ـ وهو بلد غاليش ـ ومخرجه من فحص بلد غاليش . ونهر آخر يعرف بقرنيش ، وهو الذي تدعوه الصّقالبة وادي رين [1] ، وعليه حضورهم عند خروجهم من بلدهم ، وعليه مدينة الإفرنج العُظمَى الّتي تُدعَى مغنج . وعلى هذا النّهر جسر ممدود من مراكب قد ضمّ بعضها إلى بعض وسُمّرت بمسامير الخشب وعقد بعضها إلى بعض ، والأرحال منصوبة عليها . فإذا كثر ماء النّهر ارتفعت بارتفاعه وانخفضت بانخفاضه ، وهي تطحن مستمرّ .وجزء منه يصبّ في البحر المتوسّط وجزء في البحر المحيط ، ومسافة جريه مائتان وخمسون .

ومن الأنهار العظام نهر بدوينة . والله أعلم بغيبه وأحكم .

---

353 4) ل ن : مرتبة برتقال .

354 1) ل ن : ريق .

ابتـــداء الممـــالك
مملكـــة الهنـــد

(355)

وهي [1] عند جميع ملوك الكفّار بإجماع منهم مملكة الحِكْمة . والحكمة من الهند بدؤها . وزعموا أنّهم أوّل من ضمّ المملكة ونصب لها ملكًا . فأوّلهم البَرْهَمن الأكبر ، وهو الذي أظهر المملكة والحكمة وابتدعها [2] وصنع السّيوف وآلات الحرب وشيّد الهياكل ورصّعها بالجواهر وصوّر الأفلاك والبُروج والكواكب وجعل ذلك كتابة قريبة إلى العقول وأثبته في الأفهام وأشار إلى المبدأ الأوّل المُعطي لسائر الموجودات [وجودها] ، وذلك الكتاب كتاب السّند هند أي دهر الدُّهور ، ومنه تفرّعت الكُتب : كتاب المَجِسْطي والأَرْجَبْهَد [3] وغيرهما . وكان اعتقاد البرهمن أنّ الخالق نور لا كالأنوار التي تراها [4] بالأعين لأنّه (نور عليم) [5] سميع بصير . وتزعم الرُّوم وغيرها أنّهم إنّما يعبدون أسماء لا يعرفون معناها . وهو أوّل من تكلّم في أوْج الشمس وأنّه يقيم في كلّ برج ثلاثة آلاف سنة وأنّه إذا انتقل الأوج إلى البروج الجنوبية انتقلت العمارة فصار العامر غامرًا والغامر عامرًا . وقد زعموا أنّ في كلّ ستّة وثلاثين ألف سنة يُفنَى العالم وينشأ عالم آخر . وذلك مدّة قطع الكواكب الثابتة أوج الشمس . وإذا أنشأ الله عالمًا آخر ألهمهم إلى المنافع والمضارّ [6] وما يعمرون به الأرض ، وهذا مذكور في كتاب السّند هند .

---

355 1) ل ن : وهو ـ 2) ن : وابتدعها ـ 3) ل ن : الأزجهير ، والتصحيح عن المسعودي 153 ـ
4) ل ن : ترايا ـ 5) ن : عظيم ـ 6) ل ن : والضار .

(356)

وقد كان البرهمن جمع سبعة من حكمائهم فقالوا : تعالوا ننظر من [1] العالم [ما سرّه] [2] ومن أين أقبلنا وإلى أين نمرّ وهل إخراجنا من عدم إلى وجود حكمة أم [ضدّ ذلك و] [3] هل خالقنا ومخترعنا يجتلب منفعة أم هل يدفع بفنائنا مضرّة . وما وجه إبلائه إيّانا وإفنائه [3] لنا بعد إيجادنا . فقال الحكيم الأوّل : أترى أحدًا من الناس أدرك الأشياء الحاضرة والغائبة على حقيقة [4] الإدراك فظفر بالبغية واستراح بالثقة ؟ وقال الحكيم الثاني : لو تناهت [5] حكمة الخالق في حدّ العقول لكان ذلك نقصًا في حكمته وكان الغرض غير مدرك والتقصير مانعًا من الإدراك . قال الحكيم الثالث : الواجب أن نبتدئ بمعرفة أنفسنا التي هي أقرب الأشياء إلينا قبل أن نتفرّغ إلى علم ما بعُد عنّا . وقال الحكيم الرّابع : لقد ساء موقع من وقع موقعًا احتاج فيه إلى معرفة نفسه . وقال الحكيم الخامس : من ها هنا وجب الاتّصال بالعلماء المُمدّين [6] بالحكمة . وقال الحكيم السّادس : يجب على المرء المحبّ لنفسه أن (لا يغفل عن ذلك) [7] لا سيّما إذا كان المُقام في هذه الدّار ممتنعًا . وقال الحكيم السّابع : ما أدري ما تقولون غير أنّي خرجت إلى الدنيا مضطرًّا وعشت فيها حائرًا وأخرج منها كارهًا .

(357)

واختلف الهند ممّن خلف وسلف في آراء هؤلاء السّبعة وأقوالهم وتنازعوا في مذاهبهم ، فافترقوا على سبعين فِرقة . منهم من يثبت الخالق والرسل عليهم الصّلاة من الله والسّلام . ومنهم النّافي للرّسل ، ومنهم النافي لكلّ ذلك . وقد زعموا أنّ البرهمن هو آدم والأكثر منهم على أنّه ملك الهند . والهند تزعم

356 1) ل ن : سن ـ 2) عن المسعودي 158 ـ 3) ل ن : وفناته ـ 4) ن : حقيقية ـ 5) ل : شاهت ، ن : شاهدت ، والتصحيح عن المسعودي 158 ـ 6) ل ن : المهديين ـ 7) ل : أن لا يفعل ذلك .

أنّ آدم سابع سبعة من الأدميّين وأنّ كلّ أدمي منهم كان مدّة ولده ونسله سبعة آلاف سنة ، ولا [1] يجعلون للدهر ابتداء ولا انتهاء ، ويقول إنّ الله أوّل لا ابتداء له ودائم لا نفاذ له ولا غاية ؛ يخلق عالمًا بعد عالم وجيلاً بعد جيل وينشئ أمّة بعد أمّة ، فكما لا تعقل أوّليته ولا غايته فكذلك لا يحيط عباده بمعرفة حكمته ولطف قدرته . والهند تزعم أنّهم يدركون بالرُّقي والوهم ما أرادوا به وأنّهم يحلّون ويعقدون بزعمهم .

(358)

وكان تملّك البرهمن ثلاثمائة سنة وستّين سنة وولده يُعرفون بالبراهمة إلى وقتنا هذا والهند تعظّمهم ؛ وهم على مرّ السنين لا يغتذون بشيء من الحيوان ولا يشربون الخمر ولا الأنبذة ، وفي رقاب الرجال والنساء منهم خيوط صفر متقلّدين بها كحمائل السّيوف فرقًا بينهم وبين غيرهم من أنواع الهند .

ثم ملك بعده الباهيود ابنه فسلك مسلك أبيه . وفي أيّامه عُملت النّرد مثالاً للمكاسب وإنّها لا تزال بالكيس . وملك مائة سنة . وقد قيل إنّ أردشير وضع النرد وجعلها اثني عشر شكلاً عدد الشّهور والكلاب ثلاثين عدد أيام الشهر والفُصّين مثالاً للقدَر وتقلّبه .

ثمّ ملك دينام ـ وقيل اسمه دبشلم [1] ـ وهو واضع كتاب كليلة ودمنة (الذي نقله ابن المقفّع وصنّف سهْل بن هارون للمأمون كتابًا سمّاه ثَعْله وعَفْره [2] عارض به كليلة ودمنة) [3] . وكان ملكه مائة وعشرين سنة .

ثمّ ملك بَلْهِيت وصُنعت في أيّامه الشّطْرنج بيّن فيه الظفر الذي يناله الحازم والنكبة التي تلحق الجاهل .

---

357 1) ل ن : وليس .

358 1) ن : ديلسم ـ 2) ل : وعُفيرة ـ 3) سقطت من ن .

وللهند في الشطرنج سرّ يسرّونه في تضاعيف حسابها ويتغلغلون بذلك إلى ما علا من الأفلاك ويجعلونه متصلا بالأجسام السمائية . ولم تزل كلّ طائفة تستعمل عليها فنون الملح والنوادر المضحكة المدهشة . ويزعمون أنّ ذلك ممّا يبعث على لعبها وانصباب الموادّ وصحيح الأفكار ، وهو بمنزلة الارتجاز للمقاتل والحدّ للمغنّي . وقال بعض الشعراء [سريع] :

نوادر الشطرنج في وقتنا أحرّ من ملتهب الجمر
كم من ضعيف اللعب كانت له عونًا على مستحسن القمر [1]

وذكر بعض أهل النظر من الإسلاميّين أنّ واضع الشّطرنج كان عدليًا مستطيعا فيما يفعل وأنّ واضع النرد كان مجبْرًا . فبيّن باللعب بها أنّه لا استطاعة له بل تصرّفه في أمره على حسب ما يوجبه القدَر . ولذلك قال الشّاعر الكاتب المعروف بكشاجم [بسيط] :

لا خير في النرد لا يغني ممارسها فضلُ الذكاء إذا ما كان محروما
تزيل أفعال فصّيها بحكمها [2] ضدّين في الأمر ميمونًا ومشؤوما [3]
فما تكاد [ترى] [4] أخا أدب يفوته القَمْر إلاّ كان مظلوما

وقال أبو نواس [طويل] :

ومأمورة بالأمر تأتي بغيره ولم تتبع في ذاك غيًّا ولا رُشدا
إذا قلتُ لم تفعل وليست مُطيعة وأفعل ما قالت فصرتُ لها عَبْدا

وقال اليعفيلي : لم تنته الملوك والسّادة وأهل المروّة والشّرف بشيء أحسن من الشطرنج وإنّها حكمة وأدب وتدبير ونظر ، ولم تضعها الحكماء لتكون لعبًا ولا لهوًا ولا هزلاً ، وإنّما وضعتها للبيان يتبيّن بها صحّة النظر في ابتداء الأمور وعواقبها ، ولا يكون إقدام المقدم إلاّ بعد رُؤية ولا تأخير المتأخّر إلاّ بعد هزم [5] . وقد لعب بها التابعون ورخص فيها . وحدّثنا سليمان بن داود عن

---

359 1) ل ن : القهر ـ 2) عن المسعودي 3478 ، ل ن : بحكمها ـ 3) ل : وميشوما ، ن : وميشوما ـ 4) عن المسعودي ـ 5) ل : حزم ـ

ابن معاوية الضرير عن الزُّبير بن عدي قال : رأيت الشعبي يلعب بالشطرنج وإِلَى جانبه قطيفة ، فإِذا مرّ به جماعة أدخل رأسه فيها ، وكان يجيز [6] شهادة اللاعب بها ما لم يكن قمارًا ولم يؤخّر بسببها صلاة . وكان الرشيد حبس موسَى بن جعفر بن محمّد في دار السّندي بن شاهك ، فربّما خرج عليهم من الموضع الذي هو فيه فيراهم يلعبون بها فيقومون عنها فيقول لهم : ارجعوا فإنّه أحسن ما تشاغل به الناس ما لم يكن فيه [7] قمار .

(360)

وملك بلهيت ثمانين سنة ، ثمّ ملك كورث ، وهو الذي عُمِل له الكتاب الأعظم [1] في الأدواء والعِلَل وعلاجها وشكّلت الحشائش وصُوِّرت . وبعد ملكه تحزّبت أحزاب الهند وتفرّقت آراؤها ومملكتها ، فتملّك أرض السِّند ملِك وأرض القنّوج [ملك] [2] ـ وهو بروزة سمة لهم ولا بحر له ـ وأرض القشْمير ملك [3] والمانِكير ملك ـ وهي الحوزة الكبرى ـ فسمّي البلّهَرى فصارت سمة لِمن طرأ من الملوك في هذه الحوزة إِلَى وقتنا هذا . وبلاد البلّهَرى يقال لها الكمكم [4] ومنها يجلب السّاج وبها يكون [5] ... وهي مملكة واسعة ، وقد ذكرنا أنّ من حوله من الملوك يصلون إليه .

وينضاف الَى مملكة الهند مُلك الزّابج وهي مملكة المَهْراج ملك الجزائر ، وهذه المملكة فَرق ما بين الهند والصّين . ومعنَى المهراج عندهم ملك الملوك . قال : وليس له مملكة غير الجزائر وليس في ملوك الهند أكثر خيرًا منه ولا أقوى دخلاً ، ويقال إنّ دخل قمار الدّيوك خاصّة يبلغ كلّ يوم في مملكته خمسين منًّا من ذهب . ويكون بطواران من جزائره كافور ومعدنه جزيرة رامنا .

---

359 6) ن : يجيز ـ 7) ل : فيها .

360 1) ن : الأكبر ـ 2) عن المسعودي 168 ـ 3) ل ن : تلك ـ 4) عن ابن رسته 134 ، ل ن : الككا ـ 5) ربّما سقطت بعض الكلمات من النسخ .

(361)

ومن كبار ملوكهم ملك قمار والبرانية ملكة الجزائر . وملك قمار قليل المملكة تكون في مملكته مسيرة أربعة أشهر ؛ ويركب له خمسون ألفًا إلاّ أنّه أحسن الملوك مُكافأة يكافئ علَى الجزء بمائة جزء ، وهو أشبههم سيرة بالمسلمين .

(362)

ومنهم ملك يقال له الفارفطي و [ملك يقال له] [1] الصَّيلمان وينتهي جنده إلَى سبعين ألفًا إلاّ أنّ فيلته قليلة وهي أجرأ فيلة الهند . ومنهم ملك يقال له نجانة وهو شريف منهم وهم السّلوقيّون ، ولا يتزوّجون [2] إلاّ فيهم لشرفهم . والكلاب السّلوقية إنّما وقعت من بلادهم ، فأمّا الصندل الأحمر إنّما يكون في بلاد نجانة . ويليه ملك يقال له الجرر [3] ، العدل في مملكته مستفيض [4] ولو أنّ رجلاً نشر ذهبًا ولؤلؤًا يمينًا وشمالاً في سبل مملكته وطرقات جهاته لما رزأ أحد منهم شيئًا . والعرب تدخل إلَى بلاده بالتجارات كثيرا ، فإن سألوه عند انصرافهم خفرًا قال لهم : إن حدث بأموالكم حادث فارجعوا بذلك عليّ فأنا الضامن . له ثقة بأمن بلاده وانتشار العدل في رعيّته ، وهو شجاع وذو مكيدة في الحرب وإن لم يقاوم جيشه حبس كُبراءهم .

(363)

وملك يقال له دَهْرَم . قال الجَيْهاني : إنّي سمعت مَن أثق به يقول : ربّما خرج في معسكره بثلاثمائة ألف فصاعدًا . ومن بلاده يجلب العود الهندي وليس من

---

362 1) عن ابن رسته 134 ـ 2) ل ن : يتزوّج ـ 3) كـذا ـ 4) ل ن : مستيقض .

شجر بلاده ، إنّما هو يقع هناك من بلاد ملك يقال له القامُرُوب [1] وليس لأحد عود هندي إلاّ للملك القامَروب [1] ، وهو ملك قليل الجيش ومملكته تصل ببلاد الصين ، وهؤلاء الملوك كلّهم مُخرَّمو الآذان .

قال ح : وأهل مملكته يُسمّونه ملك الحولا وله في مملكته مدينة يقال لها هذكيرة سوقها نحو من فرسخ وبلاده تشرع علَى بحر الأغباب ـ وهو بحر خبيث ـ ومن مدائن مملكته (مياسر وسمندر وهركر) [2] . ويُعمل بمياسر حصر من الخيزُران لا يشاركهم فيها أحد . والذي يجلب إلَى بلادهم الشّنك [3] ، وهو أنفق شيء في بلادهم ، والودع وهو النون الذي تتّخذ منه الأبواق ، فإنّهم يتّخذون منه الحلي لِنسائهم ويخترقونهم بدلاً من الذهب والفضّة وهم يتبايعون بالودع ويسمّونه الكنج ، وهو أعزّ عندهم من الذهب ، وربّما آشتريت جارية بالودع وأخرى بالذهب ، فتفخر التي اشتريت بالودع وتقول : أنا اشتريتُ بالكنج .

(364)

وملك يقال له الطرسول [1] ، وهم بيض الألوان يلبَسُون القمص السّحولية ولهم شعور يُدلونها ، وهو بلد واسع المملكة . ويليه ملك يقال له المُوجَه [2] ، والمسك عندهم كثير ومدينتهم حصينة جدًا . وملك يقال له المابُد . وبلاده متّصلة ببلاد الصين . ويقال إنّ هؤلاء الثلاثة الطرسول والموجه والمابد يقاتلون ملوك الصين . فأوّل بلادهم علَى البحر متّصلة ببلاد الصين مسيرة سنتيْن . وملوكهم يلبسون الحلي والجوهر الفاخر والأسْورة والقلائد والوشائح مثل النِّساء .

---

363 1) راجع «أخبار الصين والهند» 29 ، ل ن : القايلمون ـ 2) راجع «حدود العالم» ص 241 ـ 3) عن «حدود العالم» 242 ، ل ن : الشبك .

364 1) راجع طاهر المروزي ص 49 ـ 2) ل ن : الموسه ، والتصحيح عن «أخبار الصين والهند» 31 ـ

قال : وبين البَلَّهَرى ونجانة ملك يقال له الطاقَى [3] ـ هذه عبارة سمته ـ وهو ضيّق المملكة كثير المال عامر البلاد وأهل مملكته لهم بياض وجمال ليس يشركهم في ذلك غيرهم .

(365)

وملك سرنديب والصوليان ـ غير الصيلان التي تقدّم ذكرها ـ يسكن مَلِكها مدينة بيحور يحيط بها سوران ولها أربعة أبواب : باب من جهة الجنوب يقال له [1] باب البلادج ، [والبلادج] عندهم الصُّهْرِيج الذي يجتمع فيه الماء من المطر ، [وباب] يعرف بباب هوسته ، وهذا الباب الذي يخرج منه النصارى بصلبانهم في معايشهم ، والثالث يقال له باب الفصيل وهو الذي يدخل منه الملك وحرمه ، والباب الرابع يقال له باب العشور وهو الذي يعشر فيه أمْتعة التجّار . وفيها أديان شتّى من المسلمين واليهودية والنصارى والمجوسية والثنوية ، وأقربهم من الملك رئيس الثنوية فإنّه بنَى له بجانب قصره دارًا وأنزله فيها . وسيوفهم وحرابهم وجميع ما يصنعون من حديدهم لا يقاربه شيء في المضاء والحدّة .

(366)

أخبرني العُذري قال : حدّثني ابن الحسن البخاري التَّاجر أنّه قدم علَى ملك سرنديب وهو صاحب مطية وأدخل عليه مع أصحاب المطايا . قال : ورأينا في يده ياقوتتَيْن حمراوين تتّقدان كالجمرتين زنة كلّ واحدة منها خمسون مثقالاً ، وهو يلعب بهما من يد إلَى يد . وأخبرنا الملك أنّه ممّا يتوارثه ملوك ذلك البلد في قديم الدهر وأنّه لا يوجد مثلها في جميع بلاد الدُّنيا . ورأينا في

---

364 3) عن المسعودي 427 ، ل ن : الظافور .

365 1) ل ن : لها .

عنقه سلك جوهر فيه ثلاثون حبّة مثل بيض الحجل زنة كلّ حبّة منها عشرة مثاقيل كأنّها قد خرطت خرطًا مع تصدّع بياضها وجودة فريدها ، إلاّ أنّ في بعضها حبّتين متّصلتين غير منفصلتين . قال : وأمر الملك فوزنت بين يديه ونحن شهود .

(367)

والهند متّصلون بخراسان ممّا يلي الجبال والسّند متّصلة بأرض التّبت . والهند في سياستهم وعقولهم بخلاف سائر السّودان من الزنج والأحابيش وغيرهم . وقد ذكر جالينوس : في الأسود عشر خصال لا توجد في غيره : تفلفل الشعر وخفّة الحاجبين وانتشار المنخرين وغلظ الشفتين وتحديد الأسنان ونتن الجلد وسواد الحلق (1) وتشقّق الأطراف وطول الذكَر وكثرة الطرَب . وكثرة طربه لفساد دماغه وضعف عقله ولحَمْو (2) موضعه ومنّشته جذبت الرّطوبات إلى أعلاه وأهدلت (3) شفتيه وقصرت أنفه وعظّمته وأشالت (4) رأسه ، فخالف بذلك مزاج دماغه عن الاعتدال ، فلم تقدر النفس على إظهار فعلها فيه كاملاً . وقد كان طاوس لا يأكل ذبيح الزنج ويقول : هو مشوّه الخلق . وكان [أبو] (5) العبّاس الراضي بالله ابن المقتدر لا يتناول شيئًا من يد الأسود .

والهند لا تُملّك المَلِك حتّى يبلغ أربعين سنة ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامّهم إلاّ في بُرهة من الدهر معروفة لأنّ في نظر العوامّ إليها دائمًا (6) عندها خرقًا لهَيبتها واستخفافًا لحقّها ، ورئاستهم وسياستهم صحيحة . هم يمنعون من شرب المسكر ويعيبون شاربَه ، وإذا صحّ عندهم ذلك من ملك من ملوكهم استحقّ عندهم الخلع .

---

367 1) ن : الشعر ـ 2) ل ن : ولاحمي ـ 3) عن المسعودي 171 ، ل ن : وأهزلت ـ 4) ل ن : وأشاله ـ 5) عن المسعودي ـ 6) ل ن : دأبا .

(368)

قال الجيهاني : ولا يشربه من ملوكهم إلاّ ملك المهل [1] وهو صاحب جزيرة سرنديب ، فإنّه يحمل إليه من بلاد العرب ، وأشدّهم فيه ملك قمار فإنّه يعاقب في السّكر والزنا بالقتل . والزنا عند سائر ملوكهم مباح إلاّ في المحصنين ، وملك قمار أشدّهم غيرة . قال الكندي : قال أبو عبد الله : وقد رأيت تجّار الهند لا يشربون الشراب قليله ولا كثيره ويعافون الخلّ لذلك فيُحمضون ماء الأرزّ ويستعملونه .

(369)

والمُلك مقصور [1] في أهل البيت وكذلك القضاء والوزراء وسائر المراتب لا تغيّر ولا تبدّل .

(370)

ومن اعتقاد الهند وأحكامهم قالوا إنّ أصل كتب الهند وسنّتهم من قمار [1] وحكمهم أنّ مَن ذبح بقرة ذبح بها ، وعبّاد قمار لا يقربون المسلمين ويقولون لهم : إنكم أنجاس لأنكم تأكلون لحم البقر . وذكر بعض مَن لابَسهم من المسلمين أنّه سمع رجلاً من كبار عبّادهم يقول : كشامر شون ، قال : ففهمتُه عنه ومعناه بالهندية : يا مَن ليس كمثله شيء . قال : فعجبتُ من ذلك فقلت له : أتعرف ما تقول ؟ قال : واعجباه وتعرفون أنتم ما تقولون ؟ قلت له : فلِمَ تعبدون الأصنام من دونه ؟ قال : هذه قبلتنا يا جاهل .

---

368 1) ل ن : السهل .

369 1) ل ن : مقطور .

370 1) عن ابن رسته ، ل ن : كبار .

(371)

ومن عقوبة ملك قمار علَى شرب الخمر أن تُحمَى مائة حلقة من حديد بالنار ، ثمّ توضع علَى بدن الرجل فربّما أتلفت نفسه . ومَن رأوه من المسلمين يشرب فهو عندهم خسيس لا يعتنون به ويقولون : هذا رجل ليس له قدر في بلاده . وأصل العُباد في بلد قمار ويقولون إنّ فيها مائة ألف عابد ، وهم أصحاب تَسْبيح ومعهم سُبَح لا تفارقهم . وللملك قمار ثمانون قاضيًا ، ولو ورد عليهم ولد الملك لأنصفوا منه وأقعدوه مقعد الخصم ، ووجهوا عليه صريح الحكم .

وأهل قمار ليس عندهم صنم وإنّما يتقرّبون إلَى شيء يُسمّونه اللّنج [1] من حجارة يكون في ارتفاع قامة الإنسان في صورة إحليل الرجل ، وظهر لهم بجبل قمار في شجر عود الطيب ، وهو جبل عريض طويل علَى صورة هذا اللنج [1] الذي من حجارة ، فعمل عليه سقف من ذهب وعبدوه أيضًا .

ولفراش ملك قمار أربعة آلاف امرأة .

(372)

ومن عجيب حكم المهراج في بلاد قنْصور [1] ، وهم قوم يتحالفون بالنار ، إذا خاصم الرجل لصاحبه في دين أو زناء بمحصنة أو سرقة يأمر السلْطان فتؤخذ قطعة حديد قدر رطل أو أكثر فيحمونه بالنار ، ثمّ يعمدون إلَى ورق هناك يُشبه ورق الغار في الغلظ والمتانة وتوضع منها سبع ورقات في كفّه ، ثمّ تؤخذ تلك الحديدة بالكُلاّب فتوضع علَى تلك الأوراق ، فيمرّ بها ذاهبًا وراجعًا مقدار ما يخطر الماشي مائة خطوة ، فإن احترقت يده والورق جميعًا ألزم الذنب ، فإن كان عليه القتل قُتل ، وإن كان عليه الغرم أُغرم ، وإن لم يكن

---

371 (1) ن : اللبـج .

372 (1) عن ابن رسته 138 ، ل ن : قيصور .

له مال كان عبداً للسلطان يبيعه ، وإن لم تحرقه النار قيل للمدّعي : إنّك مبطل . وحكم آخر : يغلى الماء في قدر يحبس يوماً إلى الليل حتّى يصير لو قطرت منه قطرة في يد إنسان لأحرقته، ثمّ يطرح فيه خاتم حديد ويقال للمدّعَى عليه : أدخل يدك فتناول الخاتم الذي هو في هذا الماء ، فيدخل يده فيه فيتناوله ، فإن كان بريًّا أخرج يده سالمة ، وإن كان مقارفًا للذنب نضجت يده . وليس في بلاد الصين من هذه الأحكام شيء . ولهم بدائع من الملاهي لا توجد عند غيرهم .

(373)

ومن طريف أخبارهم أنّ ملكًا من ملوك قمار ولي [1] هذا الصقع الذي يضاف العود القماري إليه ـ وهو شاطئ بحر وجبال لا جزيرة له ، وهم يجتنبون كثيرًا من القاذورات مثل الزناء وغيره ويتشبّهون كثيرا من خلق الإسلام ، وهذه المملكة موازية لمملكة المهراج صاحب الجزائر ، وبين موضع ملك صاحب قمار والبحر مسيرة يوم ـ فتذوكر عنده يومًا عظم مملكة المهراج وجلالها . فقال لوزيره : في نفسي شهوة أحبّ بلوغها ، وكان حدثًا متسرّعًا . فقال : ما هي ؟ فقال : كنت أحبّ أن أرى رأس المهراج بين يديّ . فعلم [2] الوزير أنّ الحسد أثار ذلك الفكر في نفسه ، فأنكر الوزير ما سمع منه وقال : إنّه لم يتقدّم منّا ومنهم خلاف ولا ترة ولا رأى فريق منّا ومنهم سوءًا من الآخر ، وينبغي أن لا يعيد الملك هذا القول ولا يأخذ فيه مع أحد . وبين موضع مملكة المهراج ومملكة قمار نحو عشرة أيّام في البحر . فلم يسمع منه وأذاع ذلك في قوّاده حتّى اتّصل بصاحب المهراج وكان جزلاً محنّكا . فأمر بإعداد ألف مركب بآلتها وتجهيزها بأكمل السّلاح وأهل العناء [3] والنجدة بما تحمله كلّ مركب فيها ، وأشاع أنّه يريد التنزّه في جزائر مملكته وكتب إلى ملوك الجزائر بما عزم عليه من زيارتهم وأمر بتلقّيه محتفلين ليرهب من والاه .

---

373 1) ل ن : والا ـ 2) ل ن : فقال ـ 3) ل ن : الغناء .

فلمّا استتمّت أموره دخل المراكب فعمد إلَى قمار واتّصل بدار مملكة صاحبها ، وله نهر يصبّ في البحر ، فصيّر فيه رجاله فأتوه علَى حال غرّة وأحدقوا به ، فاحتوى علَى مملكته وأمر مناديًا أن ينادي بالأمان في الناس ، وقعد علَى سرير المملكة وقد أخذ صاحب السّرير أسيرًا . فأحضره وأحضر وزيره وقرّره علَى تَمنّيه ، فلم يجد جوابًا . فقال له المهراج : أمّا إنّك لو تمنّيت [مع ما تمنّيته من إباحة أرضي وملكها لاستعملتُ ذلك فيك ، لكنّك تمنّيت شيئًا بعيّنه فأنا فاعله بك] [1] لتكون عظةً لمن بعدك . وضرب عنقه وجعله في طست بين يديه وقال للوزير : جُزيت من وزير خيرًا ، فانظر مَن يصلح للمُلك بعد هذا الجاهل فأقِمْه مقامَه . وانصرف راجعًا إلَى بلاده من غير أن يمدّ هو أو أحد من أصحابه [يده] إلَى شيء ممّا كان في بلاده وحمل الرأس معه . فلمّا قعد في مملكته وعلَى سريره علَى غدير لَبِن الذهب وضع الرأس بين يديه في طست ودعا وجوه أهل مملكته وأخبرهم خبره . ثمّ أمر بالرأس فغُسل وطُيّب ووجّه به إلَى الملك القائم بمدينة قمار وكتب إليه : إنّما حملَنا علَى ما فعلنا بصاحبك بغيُه علينا ، وقد بلغنا منه ما أردنا ورأينا ردّ رأسه إليك إذ لا درك لنا في حبسه والسّلام . واتّصل الخبر بالملوك فعظم المهراج في أعينهم ، وصارت بعد ذلك ملوك قمار تقوم بوجوهها كلّ صباح [نحو] [1] بلاد الزّابج فتسجُد تعظيمًا للمهراج .

قال س : وأعظم ملوك الهند الآن البلّهَرى وأكثر ملوك الهند تتوجّه في صلاتها نحوه . وبين دار مملكة البلّهرى والبحر ثمانون فرسخًا سِنْدية ـ الفرسخ من ثمانية أميال .

374 1) عن المسعودي 181 .

(375)

ومن مدن الهند المشهورة قامهل ، وهي أوّل حدود الهند (إلى موضعها) [1] إلى صيمور ، وهي مدينة كبيرة أيضًا ، وكنبايه [2] وسوباره [3] وأساول وجداول [4] وسندان والجندرور والسّنداوذ . فمن كنبايه إلى صيمور بلد البلّهرى ، ويُعرف الملك باسم الناحية . والغالب على هذا البلد الكُفْر وفيهم مسلمون لا يلي عليهم في زماننا من قبل بلّهرى إلاّ مسلم يستخلفه عليهم ، وكذلك في كثير من البلدان التي في أطراف المسلمين ، فيغلب عليها ملك الكفر كالخزر واللاّن وغيرهم لا يقبل المسلمون هناك مضي حكم الكافر ولا يقيم عليهم شهادة إلاّ المسلمون وإن قلّوا . وزيّ المسلمين هناك واحد في اللّبسة وإرسال الشّعور .

وبين المنصورة وقامهل ثماني مراحل ، وبين قامهل وكنبايه أربع مراحل . وكنبايه على نحو فرسخ من البحر . وبين سوباره وسندان نحو خمس مراحل ، وهي أيضًا على نصف فرسخ من البحر . وبين سندان وصيمور خمس مراحل ، وبين صيمور وسرنديب خمس عشرة مرحلة .

(376)

وأعظم أنهارهم نهر مهران ، وقد تقدّم ذكره فيما سلف من هذا الكتاب ، ونهر سندروذ [1] ، وهو يصبّ في مهران بين بسمد [2] والمُلتان ، ونهر جندرور ، وهو نهر كبير من أعذب المياه وهو في نواحي المنصورة . وزعموا أيضًا أنّ الهند اسم نهر هناك وبه سُمّيت الهند .

---

375 1) كذا في النسخ ـ 2) ل ن : كنبانه ، صحّحنا الأسماء الآتية عن ابن حوقل ـ 3) ل ن : سوجارة ـ 4) ل ن : عساول .

376 1) ل ن : جندرور ـ 2) ل ن : سمينـد .

ذكـر ملـوك الصـين والتـرك

(377)

من ولد عامور بن سويل بن يافث بن نوح عليه السّلام. مدينة الملك بالصين هي أنمو بينها وبين ساحل البحر الحبشي - بحر الصين - مسيرة ثلاثة أشهر.

(378)

قال ح : إنّ مدينة الصين العُظمَى الّتي ينزلها ملوكها تُسمّي خمدان ، وحوالي هذه المدينة مائة وعشرون قرية في كلّ قرية ألف رجل مُرتّبة (1) لحراستها. والمدينة مقسومة نصفين : نصف يكون فيه أهل بيت الملك وخاصّته وعمّاله (2) ، ونصف يكون فيه عامّتهم وأشرافهم. وللملك ثلاثمائة وستّون مدينة يُحمل إليه كلّ يوم من كلّ مدينة خراجها للباسه ولكلّ جارية من جواريه. وفي قصر الملك بخمدان ثلاثمائة وثمانون كوسًا منكّسة ، فإذا كان قبيل المغرب مع غروب الشمس قرع بها قرعة واحدة فيتبادر الناس للانصراف إلَى منازلهم ، فلا يبقَى أحد خارجًا عن داره ، حتّى يخترق عسكر الملك السّكك والطرق بسيوف منتضلة ، فمَن وجدوه خارجًا عن داره ضُرب عنقه كائنًا من كان واحتزّ رأسه وألقِي في موضع قد أعدّ لذلك وكتب علَى ظهر المقتول : من رأى هذا فلا يتعدّا أمر الملك.

قال : وسكك هذه المدينة مظلّلة بخشب السّاج وتكنس في كلّ يوم ثلاث مرّات. ودورهم واسعة مبخّرة المجالس كثيرة التماثيل. وللملك أربعمائة ألف مرتزق ، وهو لا يكاد يبرز لأحد ولا يراه أحد إلاّ وزيره أو حاجبه أو رسول ملك يرد إليه أو وجوه أصحابه يَصلون إليه في كلّ أسبوع ، فإن تعذّر ذلك أكثر من هذه المدّة ضجّوا وسألوا الوصول إليه كي لا يكون قد مات وأخفي

---

378 1) كذا - 2) ن : وعامته.

ذلك عنهم ، وإذا أراد الملك [أن] يركب ضرب بجرس فيدخل الناس منازلهم ويخلون الطرقات .

(379)

وإنّما سمّيت الصين لأنّ أوّل من نزلها صائن بن عامور بن سويل بن يافث ، فأثار معادن الذهب وعمل الحكم ودقائق الصناعات وملكهم مائتي سنة . فلمّا هلك جعلوا جسده في تمثال ذهب وأجلس علَى سرير من ذهب مرصّع بالجوهر وبنوا له هيكلاً يكون فيه فيسجدون له . واتّخذ لهم بعض ملوكهم سياسة شرعية وفرائض عقلية وجعلها رباطًا ورتب لهم قصاصًا وحدودًا ومستحلاّت للمناكح وصلوات تقرّبهم إلَى معبودهم ، إنّما لا سجود فيها ، وأمرهم بقرابين للهياكل ودخن ، واتّخذه أيضًا للكواكب . فهم باقون علَى ذلك إلاّ أنّه دخل فيهم اعتقاد المانية والدهرية والثنوية فتناظروا واختلفوا في الاعتقاد وأصلهم في شرعهم لا يختلف .

ولهم مدينة عظيمة ممّا يلي مغرب الشمس يقال لها مدو [1] تتّصل ببلاد التبّت من الأتراك ، والحرب بينهم سجال . وملّة الصين تُدعَى الشمنية .

(380)

ولهم أفخاذ وقبائل كقبائل العرب يرفع الرجل [منهم] [1] نسبَه إلَى خمسين أبًا ، وأكثرهم يعدّ إلَى عامور . ولا يتزوّج منهم فخذ إلاّ في فخذ آخر ، ويزعمون أنّ في ذلك صحّة النسل وقوام البنية [2] .

---

379   1) ل ن : مد ، والتصحيح عن المسعودي 324 .

380   1) عن المسعودي ــ 2) عن المسعودي ، ل ن : النسبة .

(381)

ولم تزل أمور [1] الصين مستقيمة الأحوال إلَى سنة أربع وستّين ومائتين [2] ، فإنّه ظهر فيهم رجل من غير بيت المملكة يُسمّى يانشو ، فاجتمع إليه أهل الدعارة [3] والشرّ ، فافتتح مدينة خانفو ، وهي من كبار مدائنها وفيها أخاليط الناس من كلّ ملّة ، فاستباحها بما فيها ، وكان مذهبه الإفساد لأنّه لم يكن من بيت المملكة فيطمع فيها . فانتهَى من قتل فيها مائتا ألف [4] ، وإنّما حصي ذلك لأنّ ملوك [5] الصين تحصي مَن في مملكتها من الأمم وتتعاهد ذلك وتضمّه في دواوين لها ، وعلَى ذلك قوم مرتّبون لا يشتغلون بسواه . ولم يزل أمره ظاهرًا حتّى استولَى علَى دار المملكة بعد أن هزم الملك مرارًا . ونجا الملك إلَى مدينة خانفو - وهي مدينته استباحها يانشو القائم علَى الملك أوّلاً - فالتقَى الفريقان ، فكانت الحرب بينهما سجالاً نحوًا من سنة ، ثمّ فُقد يانشو ، ويقال إنّه أحرق ، ثمّ رجع الملك إلَى دار مملكته .

(382)

وهم يسمّونه بَغْبور [1] وتفسير ذلك ابن السّماء ، أي إنّما أنزل من السّماء فولينا ، والعرب تُسمّيه المغبون مكان تسمّيه أولائك ببغبور [1] ، وربّما تقارب اللّفظان أي المغبون في دينه . وتغلّب رأس كلّ ناحية من بلاد الصين علَى ناحيته كتغلّب ملوك الطوائف حين قتل الإسكندر [دارا ملك الفرس] [2] وكنحو [3] ما نحن بسبيله . فرضي ملك الصين منهم بالطاعة ، وأغار كلّ فريق منهم علَى مَن يليه ، فعدم انتظام ملكهم إلَى الآن .

---

381 1) عن المسعودي 329 ، ل ن : ملوك - 2) ل ن : مائتي سنة - 3) ن : الزعار - 4) عن المسعودي 330 ، ل ن : ألف ألف ومائتا ألف ألف - 5) ل ن : مماليك .

382 1) عن المسعودي ، ل ن : سغور - 2) عن المسعودي 335 - 3) ل ن : رفحوا .

(383)

ومن سيرهم أنّ المرأة إذا لم تكن محصنة وأرادت الفجور رفعت رقعة [1] إلَى الملك فجاء لها وما ذهبت إليه ، فيبعث إليها حلقًا من نحاس فتجعلها في عنقها ولبست المصبّغات وعملت ما شاءت علانية . فإذا ولدت الذكور خصوا [2] واستعملهم الملك في داره وأعماله ، وإن كانت التي ولدت أنثَى كانت علَى رسم أمّها . ومن سنّتهم أن يورثوا الأناث أكثر من الذكور ، ومن سنّتهم أنّ لهم عند حلول الشمس الحمل عيدًا مُعظّمًا عندهم يأكلون فيه ويشربون سبعة أيّام .

(384)

... وجزيرة كله يقال لها المنصف - وهي بين أرض الصين وأرض العرب - وتكسيرها ثمانون فرسخًا ، ولكنّها مجتمع الأمتعة والتجّار من الصّينيّين والمسلمين وإليها يتجهّز من عمان في وقتنا هذا فتجلب منها أصناف الطيب كلّه [1] والرصاص القلعي والأبنوس والبقم وغير ذلك .
وقد كانت لهم سياسات وعدل وحكمة .

(385)

ومن طريف أخبارهم أنّ رجلاً من قريش من ولد هبّار بن الأسود خرج من البصرة إذ كان من خبر صاحب الزّنج ما كان وصار بسيراف ، ثمّ لم يزل يخترق أرض ممالك [1] الهند إلَى أن انتهى إلَى بلاد الصين ، فصار بمدينة

---

383 1) ل ن : دفعت دفعة ـ 2) ل ن : خطوا .

384 1) سقطت من ن .

385 1) ن : مالك ـ

خانفو ـ وبينها وبين البحر مسيرة الأيّام اليسيرة . ثمّ دعته همّته إلَى حضور مجلس الملك ، فلم يزل حتّى وصل إليه بعد أن أعلم الملك أنّه من أهل بيت النبوّة . فأمر بإحضاره والبحث عن قوله ونسبه ، فلمّا تحقّق أمرُ ذلك أوصله الَى نفسه فقال للترجمان : سَلْه عن منزلة الملوك عندهم ، فلم يدر ما يجيب في ذلك فقال الملك : إنّا نجد الملوك خمسة : فرأس الملك وأوسعها ملك الملك الذي يملك العراق وما والاها لأنّه في وسط الدنيا والملوك مُحدِقة به ، ونجد اسمه عندنا (ملك الملوك) [2] . وبعده ملكنا ونجد اسمه ملك الناس لأنّه لا أحد أسْوس للرعيّة منّا ولا أطْوع للملوك من رعيّتنا ، فنحن ملوك الناس . ثمّ ملك السّباع ، وهو ملك الترك الذي يلينا وهم سباع الإنس . ثمّ ملك الفيلة ، وهو ملك الهند ، ونجده عندنا ملك الحكمة . وبعده ملك الروم ، وهو عندنا ملك الرجال لأنّه ليس في الأرض أتمّ [3] خلقًا من رجاله . فهؤلاء أعيان الملوك والباقون دونهم .

ثمّ قال للترجمان : قلْ له : أتعرف صاحبك إن رأيتَه ؟ يعني النبي صلعم . قال : فقلتُ : فكيف لي برؤيته ؟ قال : فأمر بسَفَط فأخرج ووضع بين يديه ، وتناول منه درجًا ، فأراني صورة عامّة الأنبياء عليهم السّلام . فلمّا رأيتهم حرّكتُ شفتيَّ بالصلاة عليهم ، فقال للترجمان : سَلْه عن تحريك شفتيْه ، فأخبرته . فرأيت نوحًا في السفينة ينجو بمن معه وعيسَى علَى حماره والحواريّين معه . قال : وفوق كلّ صورة كتابة طويلة بأخبارهم وأعمارهم وبلادهم وأسمائهم ، ثمّ كذلك سائر الأنبياء عليهم السّلام . قال : حتّى رأيت صورة نبيّنا محمّد صلعم علَى جمل وأصحابه محدقين به وفي أرجلهم نعال عربية وفي أوساطهم حبال اللّيف قد علّقوا المساويك منها . قال : فبكيْت فسألني عن بكائي فقلت : إنّي ذكرت أمر نبيّنا محمّد صلعم بهذه الصورة . ثمّ سألني عن عمر الدنيا فأخبرته بما أتَى في ذلك ، فضحك ضحكًا كثيرًا إنكارًا لذلك ، ثمّ قال : مَن قال هذا ؟ فقلت : نبيّنا محمد صلعم .

---

385 2) عن المسعودي 344 ، ل ن : ملكا ـ 3) ل ن : لهم .

فقال : ما أظنّ نبيّكم قال هذا . وأمر له بجائزة وحمله علَى البريد إلَى خانفو وكتب إلَى صاحبها بالوصية به .

(386)

والثمار كلّها موجودة بالصين إلاّ النخل .

(387)

وهم من أحذق خلق الله كفًّا وصناعة ، وممّا أعانهم علَى ذلك أنّ الملك إذا أوتي بمعجز من الصناعات والرقوم والنقوش وضعه علَى باب دار مملكته حولاً كاملاً ، فإن ذكر أحد فيه عيبًا وصل وحرم الصّانع ، وإلاّ أجزلت صلة الصّانع .

(388)

وإنّ رجلاً منهم صوّر سنّبلة عليها عصفور في ثوب [حرير] [1] لا يشكّ [الناظر إليها] [1] أنّها سنبلة عليها عصفور . فبقي الثوب مدّة حتّى اجتاز به رجل أحدب فعابها ، فأدخل للملك وحضر صانعها ، فسئل عن العيب فقال : المتعارف أنّه لا يقع عصفور علَى سنبلة إلاّ أمالها وهذه مستقيمة . فصدّق ولم يثب الصانع بشيء . وقصدهم في هذا وشبهه الرياضة .

388 1) عن المسعودي 354 .

(389)

فأمّا التّرك فهم من ولد عامور أيضًا ومعظم مملكتهم من الصين وبلاد خراسان ، وأشدّم شوكة الطغزّغز [1] ، وهم أصحاب مدينة كُوشان وما والاها ، وملكهم أيغُرخان [2] ، ومذاهبهم مذاهب المانية وممالكهم كثيرة : الشّاش وفرغانة والختّل ـ وهم سكّان الختّلان ـ وروسان والصغد ـ وهم بين بخارا وسَمَرّقند ـ وأهل بيت المملكة منهم بفرغانة ، وفيهم كان الملك ، وهو [3] خاقان الخواقين وكان يجمع ملكهم . فلمّا مات انتشرت مملكتهم وتسمّى بهذا الاسم فريق ببلاد التبّت وكان ممّن ينقاد إلَى خاقان . فلمّا انحلّ عقد نظامهم تسمّى بذلك تشبيهًا به .

(390)

قال س في السِّفر الثاني : وقد زعم قوم أنّ التّرك من ولد طوح ابن أفريدون ، وهذا غلط لأنّ أفريدون قد ولّي علَى التّرك الولاة كما ولّي علَى الروم وغيرها .

(391)

وأخذ قوم من ولد عامور يُسرة المشرق علَى سَمْت الشمال فصاروا عدّة ممالك : الدّيْلم والجيل [1] والطيْلَسان والبرقار والتبر والخزر وكشك وأهل جبال الكبخ [2] وسائر تلك الأمم ، وانتشرت هناك إلَى بحر مانيطش ونيطش وبحر الخزر إلَى البرغر وما اتّصل بهم من الأمم .

---

389 1) عن المسعودي 312 ، ل ن : البرغر ــ 2) ل ن : أفرخان ــ 3) ل ن : وهي .

391 1) ل ن : والختل ــ 2) كذا ، والمسعودي 311 : القبق .

(392)

وجبل الكبخ خاصّة يحتوي علَى اثنين وسبعين أمّة لكلّ أمّة ملك ولغة ، وهو جبل شنيع طوله مسيرة شهرين أو أكثر ، وهو من أخشن الجبال وفيه أمم [1] لا يعرف بعضهم بعضًا لخشونته وكثرة غياضه وأشجاره وعظم صخوره وتسلْسل مياهه ، وله أنهار [وهو] ذو شعاب وأودية .

(393)

ومدينة الباب والأبواب علَى شعب من شعابه . وهذا البناء بناه كِسْرى أنوشِرْوان وجعله حاجزًا بين بلاده وهذه الأمّة لما كان من إفسادهم فجعل هذا السُّور [1] في وسط البحر علَى مقدار ميل مادًّا في البحر ، بناه بالصخر والحديد والرصاص المفرّغ علَى أزقاق البقر المنفوخة ، فكلّما ارتفع البناء نزلت تلك الأزقاق إلَى أن استقرّت في قعر البحر وقد ارتفع السور ، فغاصت الرجال حينئذ بالخناجر علَى تلك الأزقاق فنقبتها وتمكّن السُّور علَى الأرض في قعر البحر ، وهو باقٍ إلَى الآن في وقتنا هذا . ثمّ مدّ [2] السُّور في البرّ [3] ما بين جبل الكبخ والبحر مادًّا في أعالي الأرض ومنخفضاتها نحوا من أربعين فرسخًا إلَى أن انتهَى ذلك إلَى قلعة يقال لها طَبَرِسْتان ، وجعل علَى كلّ ثلاثة أميال من هذا السُّور بابًا من حديد ، وأسكن من داخله أمّة تراعيه وتحرس ما يليه ، وجعل لكلّ أمّة ملكًا ، وحول هذا السُّور أمم لا يحصيهم إلاّ خالقهم . ولم يبنِه أنوشِرْوان إلاّ عن استيلاء عليهم ، وحينئذ أذعنت له ملوك الآفاق وهادته وراسلته .

وصاحب الباب والأبواب الآن مسلم اسمه محمّد بن يزيد [4] من ولد بَهْرام [5] جوبين ، وسمة محمّد هذا ومن ولي بموضعه شِرْوان شاه ، ومملكته

---

392 1) ل ن : آمــة .

393 1) ل ن : الصور ، وكذلك في بقية الفقرة ــ 2) ل ن : مرّ ــ 3) ل ن : البحر ــ 4) ل ن : زيد ــ 5) ل ن : برهام .

نحوٍ من شهر . وإنّما أسلم أهلها من يوم دخلها مَسْلمة بن عبد الملك . وقد غلب محمّد هذا علَى كثير من ممالك الكبخ . ويلي ملك محمّد هذا المعروف بشِروان ملك طبرستان ، وهو لرجل مسلم من الأنصار .

(394)

ويلي الباب والأبواب مملكة الخزر ، وكان موضع مملكتهم مدينة يقال لها سَمَنْدَر [1] ، وهي علَى ثمانية أيام من الباب ، وملكهم الآن بمدينة آتل وبينها وبين الأوّل سبعة أيام ، وفيها من كلّ ملّة . وإنّما انتقل ملكهم إليها لأنّ سمندر افتتحت في أوّل الإسلام ثمّ رجعت إليهم . ودين الخزر اليهودية تهوّد ملكهم زمن الرشيد فبقوا علَى ذلك . وكان سبب ذلك إكراه ملك الروم من كان في ملكه من اليهود علَى النصرانية فتهارب خلق من اليهود إلَى بلاد الخزر فتهوّدوا . وأكثر جيوش الخزر مسلمون وهم ناقلة من الخوارزم لجدب [2] وقع في بلادهم صدر الإسلام أجلاهم إلَى الخزر ، وظهر منهم في الحرب بأس وشدّة ، فأقاموا علَى الإكرام والإحسان وإظهار الإسلام ، ووزير الملك منهم . وإذا كانت للملك حروب مع المسلمين وقف المسلمون من جنده حرزة لا يقاتلون . وصومعة المسلمين في جامعهم الأعظم تشرف علَى دار الملك .

(395)

وتتّصل بهذه المملكة مملكة البرغر وملكها الآن مُسلم أسلم بعد العشر وثلاثمائة برؤيا رآها ، وذلك آيام المقتدر . وكان هذا الملك يغزو بلاد القسطنطينية في نحو من خمسين ألف فارس ويشنّ الغارات إلَى بلاد رومة والجلالقة والإفرنجة ومنه إلَى القسطنطينية نحو من شهرين . وهم أمّة شداد لا تطاق ، والفارس منهم يقاتل أمّة من الروم ولا يمتنعون منهم إلاّ بالجدران . والليل عند

---

394   1) عن المسعودي 447 ، ل ن : سمند ـ 2) ل ن : لحرب .

البرغر في نهاية القِصَر سائر السَّنة يزعم أحدهم أنّه لا يقدر أن يطبخ قِدره حتّى يصبح .

(396)

وقد يتّصل بهؤلاء الروس ، وهم أجناس كثيرة وهم أهل جزائر ومراكب وقوّة علَى البحر وتصرّف كثير فيه ، متّصلون ببحر نيطش المتقدّم ذكره . وهذه أمّة مجوسية وهي تطرأ إلَى الأندلس في المائتين من السنين وتتّصل إليه من خليج بحر أقيانس بالخليج الذي عليه منار النحاس ، وهو خليج يتّصل ببحر مانيطش ونيطش .

(397)

وممّن يتّصل بمملكة الباب والأبواب مملكة خيذان [1] وهم شرّ الناس عليهم ، وملكهم الآن مُسلم ليس فيهم مسلم غيره وأهل بيته (يعرف بسَليفان) [2] سمة لمن ولّي هذه المملكة . وبينهم وبين الباب والأبواب أمّة من المسلمين عرب علَى نحو ثلاثة أيّام من مدينة الباب ، وهم يتمتّعون هناك بأنهار وأشجار وغياض وهي أمّة طرأت [3] من بوادي العرب منذ افتتح ذلك الصقع ، فبقيت علَى أعربيّتها ولغاتها .

(398)

وتلي مملكة خيذان مملكة يقال لها زريكران [1] ، وتفسير ذلك عمّال الزرد لأنّهم صنّاع بالزرد والسّيوف وغير ذلك من الآلات ، وبلدهم بلد خشن قد امتنعوا بخشونته عن مَن جاورهم .

---

397 1) عن المسعودي 476 ، ل ن : خيدان _ 2) ل ن : يعرفوا بسيفلان _ 3) ل ن : طردت

398 1) عن المسعودي 477 ، ل ن : زيركان .

(399)

ويليه ملك السّرير ويدعَى فيلان شاه ، وهو من ولد بهرام جوبين ويدين بالنصرانية . وكان يَزْدَجَرْد ـ وهو آخر ملوك ساسان ـ حين ولّي هذا الصقع قدّم سرير الذهب وخزائنه وأمواله مع رجل من ولد بهرام جوبين وأمره أن يسير بها إلَى هذه المملكة ويحرزها هناك إلَى وقت موافاته ، فمضَى يزدجرد إلَى خراسان فقُتل هناك في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فبقّي الرجل علَى حاله .

(400)

ويلي هذه المملكة مملكة اللاّن ، وهي مملكة واسعة يركب لها ثلاثون ألف فارس ، وبين [ملك] اللاّن وصاحب السّرير مصاهرة ، وبين مملكة اللاّن وجبل الكبخ قلعة عظيمة وقنطرة علَى واد عظيم بنّتها الفرس الأولَى لتمنعهم عن جبل الكبخ لا طريق لهم إليه إلاّ عليها . وهذه القلعة علَى صخرة صمّاء لا وصول إليها إلاّ بإذن ، وفي أعلاها عين ثرّة ، وهي إحدى قلاع العالم الموصوفة [بالمنعة] [1] وقد ذكرتها الفرس في أشعارها ، ولو أنّ رجلاً واحداً في هذه القلعة منع سائر ملوك الكفّار أن يجتازوا بهذا الموضع . وكان مَسلمة قد أسكنها قوماً من المسلمين فهُم فيها إلَى الآن .

(401)

وتلي مملكة اللاّن أمّة يقال لها كَشَك ، وهم بين جبل الكبخ وبحر الروم ، وهي منقادة إلَى دين المجوسية ، ومعنَى هذا الاسم التيه والصلف ، وليس في الأمم أنقَى أبشارًا ولا أصفَى ألوانًا ولا أصبح نِسَاءً ولا أقْوَم قدودًا ولا أرقّ أخصارا ولا أعْدل أكفالاً من هذه الأمّة ، ونساؤهم مع ذلك موصوفات بلذّة

400 (1) عن المسعودي 479 .

الخلوات ، ولباسهنّ الصقلاطون والديباج ، وعندهم أنواع من الثياب تصنع من القنب منها ما هو أرقّ من الدبيقي وأبقَى علَى الكدّ يباع الثوب منه بعشرة دنانير . واللاّن ظاهرة علَى هذه الأمّة إلاّ أنّهم يمتنعون بقلاع لهم وحصون منيعة .

(402)

وتليه أمّة يقال لها السّبع بُلْدان . وتليهم أمّة عظيمة بينها وبين بلاد كشك نهر عظيم كالفرات يصبّ إلَى بحر الروم ، يقال لهذه الأمّة إرَم ، ذات خلق عجيب وآراؤها جاهلية . وتأتيهم في كلّ سنة من هذا النهر سمكة عظيمة ، فيتناولون منها ثمّ تعود في ذلك الوقت عامًا ثانيًا وقد عاد اللحم الذي أخذوه ، يعرفون ذلك لا يشكّون فيه .

(403)

ويتّصل بهذه الأمّة علَى البحر آجام وغياض ومواضع ممتنعة فيها نوع من القرود منتصبة القامات علَى قدود الناس مستديرات الوجوه كصور الناس ذات شعور ، وربّما وقع في النادر القرد منها إذا احتيل لاصطياده ، فيهادى به الملوك فيكون في نهاية الفهم ، وتعلّمها الملوك القيام علَى رأسها بالمذابّ ، ولا يأكل الملك طعامًا حتّى يقدّمه إليه لما في القرود من الخاصية بمعرفة السّموم ، فيلقَى إليه من الطعام شيء ، فإن أكله أكل الملك . ويجانسها في الفهم قرود اليمن وهي ببلاد مأرب بين صنعاء وكَحْلان . وكحلان قلعة من مخاليف اليمن فيها أسعد بن يَعْفُر ملك اليمن في هذا الوقت مُحْتجب عن الناس إلاّ عن خواصّه ، وهم بقية من ملوك حِمْير وحوله من الجنود نحو خمسين ألفًا ، وكانت له مع القرامطة بعد عام مائتين حروب معروفة . وهذا من خواصّ البلدان .

(404)

قال س : والعَرْبد هو نوع كالحيّات [1] بأرض اليمامة لا يوجد في غيرها ، وقد جهز حُنين بن إسحاق أن يجلب إلَى سرّ مَن رأى إلَى المتوكّل حين كلّفه مثل هذا من الأعاجيب ، وذلك أنّه إذا خرج عن اليمامة إلَى موضع معروف المسافة عُدم [2] من الوعاء . وأهل اليمامة ينتفعون به لمنع الحيّات والعقارب وسائر الهوامّ كانتفاع أهل سِجِسْتان بالقنافِذ . وفي عهد أهل سِجِسْتان في القديم ألاّ يُقتل قنفد ببلدهم ، وذلك أنّ بلدهم كثير الرمال بناه ذو القرنين في مطافه وهو كثير الأفاعي والحيّات ، ولو لا كثْرة القنافذ لتلف من هنالك . وقد جلب حُنين إلَى المتوكّل اثنين من النِسْناس إلَى سائر المستغربات ولم يقدر علَى العَرْبد [3] .

(405)

ويتّصل بهذه المملكة ممالك شتّى لأمم مختلفة ، ولو لا هذا السُّور بالباب والأبواب لكانت هذه الأمم تخترق بلاد بَرْذَعة والرّان والبَيْلَقان وآذَرْبيْجان وقزْوين وهَمذان والدّيْنَوَر ونهاوَنْد وغيرها ولوصلت الكوفة والبصرة لا سيّما مع ضَعف الإسلام الآن .

[ذكـر ملـوك السُّريانيّيـن]

(406)

اختلف الناس فيهم وقيل إنّهم نبط وقيل إخوان النبط ، وكان ملكهم ممّا يلي السِّند والهند [1] ، وأمّا النبط ـ وهم ملوك بابل ـ فقد زعموا أنّهم أوّل ملوك العالم وأنّ الفرس أخذت عنهم الملك كما أخذت الروم عن اليونانيّين .

---

404 1) عن المسعودي 491 ، ل ن : كالحفات ـ 2) ل ن : عدل ـ 3) ل ن : الحفات .

406 1) كذا ، فراجع المسعودي 510 .

(407)

وأوّل ملوك النبط نَمْرود ، وهم الذين شيّدوا البنيان ومدّنوا المدن وكوّروا الكور وشقّوا الأنهار ورتّبوا الجيوش وجعلوا الألوية والأعلام ورتّبوا العلامات في أقسام الجيش علَى ألوان توافق كلّ قسم وصوّروا فيها من الصور ما يُجانسه ، مثل أن يجعلوا في الميمنة والميسرة صور الطير لأنّها أجنحة الجيوش (1) ، وفي القلب صورة الأسد والفيل وما عظم وأرهب من الحيوان وثقلت وطأته ، وفي الكُمناء صور الحيّات وما خفي من الهوامّ ، وتغلغلوا في ألوانها إلَى ما علا من الأجسام السمائية .

(408)

ومملكة الموصل ونينوى للنبط أيضًا ، ونينوى من قَرْدى وبازَبْدى وبينها وبين الموصل نهر دجلة . وإلَى أهل نينوى بُعث يونس عليه السّلام ، وهي الآن خراب فيها قُرى ومزارع وآثارها بيّنة ، وفيها أصنام من حجارة مكتوبة علَى وجوهها (1) . [وظاهرَ المدينة تلّ عليه مَسْجد] (2) وهناك عين تُعرف بعين يونس ، ويأوي إلَى المسجد النسّاك . وأوّل من بنَى هذه المدينة ملك عظيم يقال له نينوس (3) ، وملكه من شاطئ دجلة إلَى أرمينية وإلَى بلاد آذربيجان إلَى حدّ الجزيرة والجودي إلَى بلاد الزَّوْزان (4) . والنبط سريانيّون وإنّما بان النبط عنهم في أحرف يسيرة . وكان ملك الموصل مُماريًا ومُحاربًا لملك نينوى ، ثمّ غلب ملك الموصل علَى نينوى ورجعت هذه الممالك إلَى ملوك فارس حتّى أتَى الله بالإسلام .

• • •

---

407 1) ن : الجيش .

408 1) ن : وجهها ـ 2) عن المسعودي 520 ـ 3) ل ن : آقسوس ـ 4) ل ن : الدوران .

(409)

ومن بلاد الصُّغْد الذي ذكرناه بين بخارا وسَمَرْقَنْد يؤتَى بالنُّوشاذِر ، وهي جبال ، (فإذا كان في الصيف رؤيت في الليل نيران قد ارتفعت من تلك الجبال من نحو مائة فرسخ.) [1] . وقد يسلك عليها من جبال خراسان إلَى بلاد الصين وذلك إذا نزل الثلج وخمد ذلك اللهب ولا يسلك علَى ظهر. وهناك قوم يرغَب إليهم في الآجرة ويحملون الأمتعة علَى ظهورهم ، فيوصل إلَى الصين من خراسان في أربعين يومًا ، ومسافة ما بينهما أربعة أشهر [في غير هذا الطريق] [2] في غامر وعامر ، يركب في القوافل في خفارة أنواع من الأتراك .

وخراسان تتّصل بالسِّند والهند ممّا يلي المنصورة والمُلْتان .

[ذكــر بــلاد الـتبُّت]

(410)

فأمّا التبُّت فمملكة متميّزة عن مملكة الصين وصاحبها حِميَري وهو من بيت المملكة فيهم ، وبواديهم أتراك لا يُقام لهم . ولا تُحصَى عجائب أنواع ثمار التُّبت ولا زهره ولا أنهاره . وهو بلد تَقْوى فيه طبيعة الدم علَى الحيوان ، ولا يزال الإنسان بها ضاحكًا فرحًا مسرورًا لا يعرض لهم حزن ، وذلك عامّ في الشّيوخ والكهول والشّبّان . وفي أهله رقّة طبع وأريحية تبعث علَى استعمال المعاقرة ؛ وإذا مات الميّت فيهم لا يكاد يدخل أهله كثير [من] الحزن . وهذا البلد سمّي بمن ثبت فيه من رجال حِميَر لثبوتهم ، وقد افتخر بذلك دِعْبِل فقال في مفاخرة الكُمَيت [وافر] :

---

409 1) ل ن : من نحو مائة فرسخ فيها نيران . والتصويب عن المسعودي 383 ـ 2) عن المسعودي 385 .

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتبينا
وهم سمّوا سَمَرْقند بشمْر[1] وهم غرسوا هناكَ التُّبّتينا
وإنّما رتّب حِمْير هناك بعض التبابعة وهم يسمّون ملكهم الآن تُبّعًا .

(411)

وأفضل المسك [من] التبّت ولا يكون إلاّ بها وبالصين ، وإنّما فضّل مسك التبّت لأنّ ظِباءه ترعَى سنبل الطيب وأنواع الأفاويه ، وظباء الصين ترعَى الحشيش ، وأيضًا فإنّ أهل الصين يخرجون المسك ويدخله الغشّ ، وأهل التبّت يتركونه مَحْضًا . ولا فرق بين غزلاننا وغزلان المسك في الصورة وإنّما تباينها بنابيْن لها أبيضَيْن كأنياب الفيل كلّ ناب منها نحو الشبر . وأطيب المسك ما نضج في نوافجها فتفزع حينئذ إلَى الأحجار الحارّة فتحتكّ بها ملتذّة فيسيل علَى تلك الأحجار فيودع كانفجار الخُراج ، فيوجد ذلك قد جفّ علَى الأحجار فيودع نوافج عندهم قد اتّخذوها من غزلان اصطادوها . والنفاجة اسم فارسي معناه السرّة . فأمّا ما يصطاد من الظباء فتقطع نوافجها عنها فإنّه يكون فيها سهوكة[1] فتبقَى زمانًا حتّى تزول عنها تلك الرائحة ، وإنّما ذلك كالتمر إذا لم ينضج .

[ذكـر بـلاد السّنـد]

(412)

ومن ملوك السّند قَشْمير ومملكته نحو من ستّين ألفًا بين مدينة وقرية ، وهي قد أحاط بها جبال شوامخ لا يتسلّق منها الوحش ولا شيء من الدوابّ ، ولا

---

410 1) ل ن : وسمّوا بسمر سمرقند .

411 1) ل ن : زهومـة .

يوصل إلَى مملكته إلاّ علَى موضع واحد ، وهو يغلق علَى جميعها باباً واحداً، وذلك أحد عجائب الدنيا وهو مشهور معروف .

(413)

ومملكة بورة التي قدّمنا ذكرها ـ وهو ملك القنّوج [1] ـ مملكته نحو مائة وعشرين فرسخًا سندية ، الفرسخ منها من ثمانية أميال . وله جيوش أربعة كلّ جيش من أربعمائة ألف وعلَى مهابّ الرياح الأربع ، يحارب بالشمال صاحب المُلتان وبالجنوب البَلْهرى وبالغربي والشرقي من يليه أيضًا . ولهذا الملك ألفا فيل مقاتلة ، وإذا كان الفيل ممارسًا شجاعًا وراكبه كذلك وكان في خرطومه القَرْطَل ـ وهو نوع من السيوف شنيع المنظر ـ وكان خرطومه مُغشّى بالزرد وعليه تجافيف من القرن والحديد قد أحاطت به ومن خلفه خمسمائة راجل أنجاد كرّ علَى خمسة آلاف فارس وقام بهم ودخل وخرج وجال عليهم .

(414)

قال : ورأيت لصاحب المنصورة فيلَين عظيمين كانا موصوفين [1] عند أهل الهند والسِّند لهما أخبار عجيبة ، وكانت لهما في فلّ الجيوش سوابق وتقدّم ، وكان أحدهما يسمّى حَيْدَرة ، ومات بعض سوّاسه فبقي لا يطعم ولا يشرب يُبدي الحنين ويُظهر الأنين وتسيل دموعه لا يتماسك . وخرج ذات يوم من داره ـ وهي دار الفيلة ـ وهو يقدّم ثمانين فيلاً ، فاستقبل امرأة . فلمّا رأته غشي عليها فسقطت وانشكفت ثيابها ، ، فاعترض في الطريق مانعًا لما وراءه من الفيلة وجعل يؤمي إليها ويُشير لها بخرطومه بالقيام ويلاطفها ويجمع عليها ثيابها حتّى قامت وخلا سبيل الفيلة .
وقال : إنّ السّند ممّا يلي الإسلام ثمّ [2] الهند ، ولغتهم غير لغة الهند .

---

413 1) ل ن : القنج .

414 1) ل ن : موقوفين ـ 2) ل ن : هم . قراجع المسعودي 423 .

(415)

وصاحب المُلتان الذي ذكرناه من ولد سامة بن لُؤي ، وهو ذو جيوش ومنعة ، وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار ، وأكثر أمواله من الصنم المعروف بالملتان يقصده الهند والسِّند من أقصى بلادهم ينذرون الأموال وأنواع الجواهر والطيب ويحجّ إليه الألوف ويحمل إليه من العود القماري الذي يؤثّر فيه الخَتْم كما يؤثّر في الشمع ، يبلغ المنّ منه مائتي دينار . وهو إذا عجز عن غارة مَن ناوأه منهم هدّده بكسر الصنم فيكفّ عنه . فكان دخولي الملتان والملك أبو اللّهاب [1] منبّه بن أسد القرشي .

حدّ بلاد السِّند

(416)

حدّها من شرقها مُكْران وطوران والبدهة وشيء من بلاد الهند وبحر فارس في شرقي ذلك كلّه ، وحدّها في غربيّها كرمان ومفازة سِجِسْتان وأعمالها ، وفي الشمال منها بلاد الهند ، وفي الجنوب مفازة ما بين مُكْران والقُفص ومن ورائها بحر فارس . وإنّما وصلها بحر فارس بشرقي هذه البلاد وهو محيط بشرقيّها وجنوبها من وراء هذه المفازة من أجل أنّ البحر يمتدّ من صَيْمور علَى الشرق إلَى تيز مكران ، ثمّ ينعطف علَى هذه المفازة إلَى أن يتقوّس علَى بلاد كرمان [1] وفارس .

---

415 1) عن المسعودي 417 ، ل ن : أبو الدلهاث .

416 1) ل ن : مكسران .

(417)

وسمّيت المنصورة باسم منصور بن جمهور عامل بني أميّة وأصحابها الآن من ولد هبّار بن الأسود ، وبها من ولد علَي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق كثير ، ومملكته تصاقب مملكة الملتان ومسافة ما بينهما - أعني مواضع مملكتهما - خمسة وسبعون فرسخًا سندية . وللمنصورة من القرى ثلاثمائة ألف قرية . وهو محارب للسّند وله فيلة كثيرة .

(418)

قال : وتجري الأنهار في العالم من الشمال إلَى الجنوب [1] إلاّ النيل ومهْران السّند وأنهار بساحل بحر الأرزن ، فإنّها تجري بالضدّ من الجنوب إلَى الشمال [2] .

ملوك الفرس الأولَى وأنسابهم

(419)

وأجمع الناس علَى أنّ الفرس الأولَى من ولد سام بن نوح إلاّ ما سنذكره من زعم بعضهم ولا نلتفت إليه . واختلفوا في رفع نسبهم إلَى سام ، فالذي عليه الجمهور أنّهم من ولد أميم بن لاوذ بن سام بن نوح ، ومنهم من قال إنّهم من ولد فارس بن ياسور [1] بن سام بن نوح وفارس أخو نبيط أبي النبط . وقيل : هم من ولد بوّان بن إيران [بن ياسور] [2] بن سام بن نوح ، وبوّان هو الذي ينسب إليه شِعْب بوّان من بلاد فارس وهو أحد المواضع المشهورة

---

418 1) ل ن : من الجنوب إلى الشمال – 2) ل ن : من الشمال إلى الجنوب .

419 1) ل ن : سابور ، والتصحيح عن المسعودي 563 – 2) عن المسعودي .

في العالم بالحسن . ومنهم من يقول إنّ أبا الفرس إيران بن أفريدون ويعرفون إيران ويقولون إيرج . ومن لم يقل إنّهم من ولد فارس يقول : سمّوا فرسًا بالفروسية ، وفي ذلك يقول خطّاب بن المعلّى الفارسي [خفيف] :

وبنا سُمّي الفوارسُ فرسا نًا ومنّا مناجبُ الفتيان

والأوّل أصحّ أنّهم من ولد أميم بن لاوذ بن إرم بن سام . وقد قال قوم إنّهم من ولد جابر بن يافث ، وزعم آخرون أنّهم من ولد أفريدون الملك .

(420)

وأجمعوا أنّ أوّل ملوكهم جيُومَرْت ، فمنهم من زعم - وهم الأقلّون عددًا - أنّه ينبوع النسل [1] ويقول إنّه نبات من نبات الأرض وهو الدحناس ، وكذلك زوجته . ومنهم من زعم أنّه آدم ويقول إنّه جيومرت كلسا ، أي ملك الطير ، وقال الأكثرون إنّه أوّل من حلّ فارس ونزل اصطخر ، وهو أوّل من ملك ووضع التاج علَى رأسه ، ولهم في التاج أسرار يذكرونها ، وذكروا أنّه جيومرت وهو أوّل من أمر بالسكون علَى الطعام لتأخذ الطبيعة بقسطها فيأخذ البدن ممّا يَرِد عليه وتسكن النفس عند ذلك ، فيأخذ كلّ عضو من الأعضاء تدبيرًا بما فيه صلاحه من أخذ صفو الطعام . وإنّ الإنسان متَى شُغل عن طعامه بضرب من الضروب انصرف قسط [2] من التدبير وجزء من التقدير إلَى ذلك ووقع الاشتراك [3] ، فأضرّ ذلك بالنفس الحيوانية والقُوى الإنسانية ، وإذا كان ذلك أدّى إلَى مفارقة النفس الناطقة لهذا الجسد المردي [4] . ولهم في هذا أسرار لطاف .

---

420 1) ن : النيل - 2) ل ن : يسقط - 3) عن المسعودي 533 ، ل ن : الماء تشراي - 4) عن المسعودي ، ل ن : المري .

(421)

ثمّ ملك بعده أُوشَهَنْج ملك الأقاليم السّبعة ، وهم يزعمون أنّه مهلائيل . ثمّ ملك طَهْمُورَث [1] بن وِيجهان بن حواد بن أوشَهَنْج . والفرس تزعم أنّ طهمورث هو نوح عليه السّلام . وفي ملك طهمورث منهم ظهر رجل يقال له بُودَاسْف [2] أحدث مذهب الصابئة ، وهو مبني علَى الأفلاك والأجسام العلوية ، و [قال] إنّ ذلك هو المدبّر ، والمدبّر هو الله ، تعالَى الله عن قولهم علوّا كبيرًا . قال : وديار هؤلاء الصابئة ومواضعهم في ناحية واسط والبصرة من أرض العراق .

(422)

ثمّ ملك أخو طهمورث جم [1] بن ويجهان ، وفي أيّامه أحدث النّيروز وادّعَى الإلاهية ، ويزعمون أنّه طالع إلَى الفلك ، وملك ثلاثماثة سنة وستّين سنة . ثمّ ملك بعده بِيوَراسْب [2] ، وهو الذي ادّعَى النبوّة ، فكان ذا نواميس ومُلك ، ويزعمون أنّه الضحّاك الحِميْري وأسره أفريدون وغلّه وقيّده في جبال دُنْباوَند [3] ، وقد تقدّم شيء من خبره عند ذكر نوح عليه السّلام .

(423)

ثمّ ملك بعده أفريدون ، وكانت دار مملكته بابل وهي علَى شاطئ نهر من أنهار الفرات بأرض العراق ، وهو نهر النّرس [1] وإليه تضاف الثياب النرسية [2] . وهذه المدينة خراب وإذا أشرف الإنسان عليها تبيّن منها آثار عظيمة . وذهب الناس إلَى أنّ فيها هاروت وماروت ، وفيها جبّ يعرف بجبّ دانيال الذي تقصده النصارى واليهود في أعيادهم .

---

421 1) ل ن : طمهورث ـ 2) ل ن : بوخاسف .

422 1) ل ن : جمر ـ 2) ل ن : أبو راسف ـ 3) ل ن : دياوند .

423 1) ل : المرنس ، ن : المتدد ـ 2) ل ن : المرنسية .

(424)

وملَك أفريدون وقسم الأرض بين ولده ولم يزل الأمر في ولده إلَى أن ولّى فَراسياب [1] ، وهو من ولده إلاّ أنّه (ولد بأرض) [2] الترك ، فلذلك غلط مَن غلط من أصحاب التواريخ فزعم أنّه تركي .

ط : هو من الترك وتملّك الفرس بعد هلاك منوشهر الملك . فكثر فساده في مملكة فارس إلَى أن ظهر زاب بن طهماسف ، فطرد فراسياب من مملكة أرض فارس حتّى ردّه إلَى الترك بعد حروب يطول ذكرها ، واتّخذ العجم ذلك اليوم عيدًا . وأحسن زاب السيورة ووضع الخراج وبنَى مدينة الزاب بالسواد ، وهو المستخرج نهرها وهو أوّل من اتّخذ ألوان الطبخ وأصناف الأطعمة .

(425)

ولم يزل الحرب بين ملوك فارس وفراسياب بعد ذلك سجالاً إلَى أن قتله كيخسرو القائم بالملك بعد جدّه كيقاوس ، وكان مظفرًا وهو القائم ، وإنّ الشياطين سُخّرت له بعد سليمان عليه السّلام ، وكان في زمنه ، وإنّه كان يأكل ويشرب ولم يحدث . وأعطاه الله عزّ وجلّ قوّة يرتفع بها إلَى السّحاب حتّى حدّثته نفسه أنّه يطيق الصعود إلَى السّماء ويطالع ما فيها ، فسلبه الله جميع ذلك ، ومزّق ملكه وأسرّه أبرهة ذو الأذعار ملك اليمن واستباح ملكه . وكان كيقاوس قد غزا بلاد اليمن واستباح ذو الأذعار عسكره وحبسه في بئر وأطبق عليه . فخرج رستم من سِجستان مع من وثق به من الناس حتّى أتى بلاد اليمن فاستخرج كيقاوس من البئر ، فملّكه كيقاوس من بلاد سجستان ، فلم تزل بيد رستم دهرًا طويلاً ، ثمّ لم يزل الأمر في ولد أفريدون [1] .

---

424   1) ل ن : فريساب ـ 2) ن : ـسـن .

425   1) ل ن : أفريـك .

(426)

[ولم يكن لكَيخُسْرو عقب ، فجعل الملك في لُهْراسف ، وهؤلاء القوم كانوا يسكنون بلخ] [1] ، ويُدعَى نهر جَيْحون ـ وهو نهر بلخ ـ كالِف ، وكذلك يُسمّيه أهل خراسان . و [لُهْراسف] [1] هو الذي أُخرج بخت نصر مَرْزُبانه [2] إِلَى أهل الشَّام ، فكان من أمر بيت المقدس ما قد تقدّم ذكره [3] . وكثير من الناس يجعل بخت نصر ملكًا برأسه وإنّما كان مرزبانًا . وقد ارّخ بطليموس كتابه المجسطي منذ [4] عهد بخت نصر مرزبان المغرب ، ونسبه يأتي بعد .

ثمّ ملك بعده ابنه يَستاسف ، وفي زمانه ظهر زرادشت علَى ما تقدّم في خبر إرميا عليه السّلام ، وكان ملكه تسعين سنة .

(427)

ثمّ لم يزل الملك فيهم إلَى داراميوس ، وهو دارا بن دارا الذي قتله الإسكندر ، وهو دارا بن دارا بن بَهْمَن بن إسفنديار [1] بن يستاسف بن لهراسف [2] كلّهم ملوك ، وقد تقدّم لمن خبرهم ما يتمّم هنا إن شاء الله تعالَى . كان بَهْمَن أحسن الناس سيرة وهو الّذي بُعث ببخت (يرسَى وهو بخت) [3] نصر إلَى بني إسرائيل لمّا بلغه أنّ بناحية المغرب بأرض الشام [4] قومًا أحدثوا دينًا ، وأمره بقتلهم وسبَى ذراريهم ، ففعل ذلك ونفاهم عن بيت المقدس وفرّقهم في البلاد .

---

426 1) عن المسعودي 543 ـ 2) ل ن : من زبانه ـ 3) سقطت من ل ـ 4) ل ن : هند .

427 1) ل ن : اسبندار ـ 2) ل ن : فهراسف ـ 3) سقطت من ن . ـ 4) ل : وهم سلم .

(428)

وقيل إنّ بخت نصر هو ابن بدمين رجل من أهل كورة أرمنت من كور مصر . وكان بدمين من أهل العلم بالنجوم ، فنظر في علمه فرأى أنّه يخرج من صلبه رجل يخرب مصر فأعطاه الله عزّ وجلّ عهدًا أنّه لا ينكح امرأة أبدًا . فخرج إلَى فارس فمرّ بقرية منها ، وكانت لصاحب تلك القرية ابنة بها لِمَم ، فوصف له المصري ليداويها ، فأدخله عليها فجرت بينهما أسباب إلَى أن حملت منه بخت نصر ، فجرى خراب الدّنيا علَى يديه .

(429)

وهلك بهمن [1] بن إسفنديار [2] وخلّف ابنه دارا وأمّه حامل به علَى ما تقدّم ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، وقيل ثماني عشرة سنة ، فعقد له التاج وهو في بطن أمّه . وقيل إنّ أمّه كان اسمها حمانا ، وقيل غير ذلك . فملّكوا حمانا شكرًا لإحسان أبيها مع كمال عقلها . وقال من زعم أنّها أمّ دارا : ملكت بمكان حملها ، ودارا هذا هو الأكبر وهو الّذي ابتنَى دارابجرد ، فولد له ولد سُمّي باسمه حبًّا له وإعجابا به ، ثمّ ملك وكان ملكه اثنتي عشرة سنة .

(430)

ثمّ ملك دارا الأصغر ، وكان فظًّا غليظًا جبّارًا ، فقتله الإسكندر بخذلان فارس له . وتزوّج الإسكندر ابنته روشنك ابنة دارا ، وكان ملكه أربع عشرة سنة . ونذكر نسب ذي القرنين وخبره عند انقضاء نسب فارس إن شاء الله تعالَى . وقد زعم مؤرّخو العجم أنّ الّذي ملك بعد دارا الأكبر من الفرس شخشار وكانت له جيوش عظيمة لم يسمع لملك مثلها . ثمّ ملك بعده أريش

---

429 1) ل ن : همان ــ 2) ل ن : اسبندار .

خشار ، وفي زمانه جدّد عُزير كتاب التوراة . قالوا : وفي زمانه بَنى فهنايس مقدّم اليهود أسوار بيت المقدس ورجع بنو إسرائيل إلَى بيت المقدس . وفي زمانه كان بقراط الفيلسوف وسقراط وسغريط وحينئذ عظم ذكرهم ، وملك أربعين سنة .

(431)

ثمّ ملك بعده دارترطر ، وفي زمانه كانت حروب آخر طرفها في جزيرة صقلية . وفي زمانه كان أفلاطون ، وملك سبع عشرة سنة .
ثمّ ملك بعده أرشخشا ولوقش ، وفي زمانه كان أرسطاطاليس الفيلسوف ومات أفلاطون ، وكانت ولايته ستًّا وعشرين سنة .
ثمّ ملك بعده دارا الّذي غلبه الإسكندر ، وكانت له معه معارك قُتل فيها من الفرس خلقٌ كثير ، وبقي يقسم ما وجد في عسكره ثلاثين يومًا ، ثمّ علم أنّه جريح لما به ، فعني باتّباعه في ستّة آلاف من أهل عسكره حتّى ألقاه في بعض المنازل طفيًا من تلك الجراحات ، فلم يلبث أن هلك وأظهر الإسكندر الحزن عليه ودفنه في مقابر الملوك ، وكانت ولايته ستّ سنين .

(432)

وكتب الإسكندر إلَى معلّمه أرسطاطاليس يشاوره في قتل من بقي من الفرس فكتب إليه : لا تفعل ولكن ولِّ كلّ رئيس منهم ناحية فإنّهم يتنافسون الرياسة فلا يجمعهم ملك أبدًا . فلمّا قدم أردشير واجتمعوا عليه بعد الجهد العظيم قال : إنّ كلمة فرّقت الفرس أربعمائة سنة لمومة ، يعني كلمة أرسطاطاليس . فكان بين الفرس الأولَى والثانية خمسمائة سنة وسبع عشرة سنة ، وهي مدّة ملوك الطوائف ، وذَكر ق غير ذلك .

ولغة الفرس الأولَى الفهلوية [1] ، وهي من اللغات الدارسة الّتي لم يبق لها مترجم .

---

432 1) ل ن : الفلهوية .

(433)

أوّلهم أردشير بن بابك بن ساسان بن نهاوند بن دارا بن ساسان بن بهمن الّذي تقدّم ذكره ، وهو من ولد إيرج بن أفريدون . وقد زعم قوم أنّهم من ولد ويرك [1] ، وويرك هو إسحاق بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، وأنّه تزوّج امرأة من الفرس الأولَى يقال لها كودك ، فولدت له منوشهر الملك وكثر ولْده وملكوا الماليك ، ودثرت الفرس الأولَى كدثور الأمم الماضية والعرب العاربة . وهذا لا ينقاد إليه كثير من الفرس . وفيما ذكرناه يقول إسحاق بن يزيد العَدَوي وكان من العرب من قريش [طويل] :

إذا فخرتْ قَحْطانُ يومًا بسُؤددِ   أتى فخرُنا أعلَى عليها وأسْوَدَا
ملكناهُم طرًّا بإسحاق عمِّنا   وصاروا لنا عونًا علَى الدهر أعْبُدَا
فإن كان منهم تُبّع وابن تبّعٍ   فأملاكُهم كانوا لِأملاكِنا يَداَ

وفي ذلك يقول جرير بن الخَطَفَى [طويل] :

وأبناءُ إسْحاقَ اللُّيوثُ إذا ٱرتَدَوا   حمائل سيف لابسين السَّنُورَا
إذا ٱفتَخَروا عدّوا الصبهبذ [2] منهمو   وكِسرى وعدّوا الهُرمُزان وقَيصرًا

ولذلك يقول بَشّار بن بُرْد [متقارب] :

نَمَتْني [3] الكِرامُ بنو فارِس   قُرَيْش وقوْمي قُرَيْش العَجم

---

433   1) ل ن : وترك ـ 2) عن المسعودي 568 ، ل ن : الصبهلة ـ 3) ل ن : فنَا .

(434)

(وأمّ ساسان الأكبر فإنّها من سبايا بني إسرائيل) [1] باتّفاق منهم ، وهي ابنة شابال ، ولم يلك الفرس الثانية إلاّ ولد أردشير بن بابك بن ساسان ، وساسان هو الّذي يرجعون إليه كرجوع المروانية إلى مروان بن الحكم .

(435)

وقد كان ملك الفرس يحجّ البيت من سائر [1] ملوك الأعاجم . فكان ساسان هذا إذا طاف بالبيت زمزم على بئر إسماعيل ، وإنّما سمّي زمزم لزمزمته وغيره من فارس ، وهذا يدلّ على ترادف الفعل منهم . وفي ذلك يقول الشّاعر [سريع] :

زَمْزَمَتِ الفُرْسُ عَلَى زَمْزَمِ   وذاكَ في سالِفِها الأقْدَمِ

وقد أهدى ساسان هذا غزالّين من ذهب وجواهر وسيوفًا إلى الكعبة وهي التي دفنت بزمزم ، وسنذكر ذلك في خبر عبد المُطّلب وزمزم إن شاء الله . وكانت هذه الملوك من عهد أردشير تحتجب عن الندماء [2] ، فكان يكون بين الملك والطبقة الأولى عشرون ذراعًا والستارة في نصف هذه المسافة ، وصاحب الستارة رجل من أصحاب أولاد الأساورة ويقال لمن ولّي ذلك منهم خُرّم باش ومعناه : كُنْ فَرِحًا . فإذا جلس الملك أمر خُرّم باش رجلاً ، فارتفع في أعلى موضع في دار الملك ونادى بصوت جهير ليسمع الحاضرين : يا لسان احفظ رأسك ، فإنّك تجالس الملك . فتأخذ الندماء مراتبها خافتة أصواتها غير مُشيرة بشيء من أعضائها . وقد كانت الأوائل من بني أميّة لا

---

434   1) ل ن : وأمّا ساسان الأكبر فإنّه من سريا : ب إسرائيل .

435   1) سقطت من ن ــ 2) ل ن : الملما .

تظهر للندماء وكذلك الأوائل من بني العبّاس وكذلك الأوائل من بني ساسان .

(436)

وأردشير هو الّذي فتح الحضر - وقيل إنّه سابور وهو أثبت . وبنى أردشير مدينة جور بفارس وكهمن أردشير - وهي فرات البصرة - وبنى أستراباد وبنى كرخ ميسان - وهي من كور دجلة - وبنَى مدينة صور بالأهواز ومدينة أبلّة وغير ذلك .

(437)

ثمّ ملك بعده ابنه سابور . وكان أردشير قد قتَل الأشكانية الّذين كان منهم ملوك الطوائف بعد جدّه ساسان إلاّ جارية وجدها أردشير في دار المملكة ، فأعجبته فسألها عن نسبها فقالت : أنا خادم . فاستخلصها لنفسه فحملت منه ، فلمّا حملت أعلَمَتْه أنّها حبلَى وعرّفته نسبها ، فنفر طبعه عنها ودعا شيخًا مُسنًّا وسلّمها إليه وقال : أودعها بطن الأرض . فأودَعها سربًا من الأرض ، ثمّ عَمد إلَى مذاكره فقطعها وودعها في حقّ وختم عَليه ورجع إلَى الملك وقال : فقد أودعتها بطن الأرض ، ودفع إليه الحقّ وقال : إنّ فيه وديعة ، ورغب إليه ووصاه أن يحفظ بها . وأقامت الجارية حتّى وضعت غلامًا وسمّاه الشيخ شاه بورًا ، ولد الملك .

(438)

ولم يكن لأردشير ولد ، فرآه الشيخ يومًا حزينًا لذلك وكان حاصًّا به ، فقال : مالك أيها الملك أراك حزينًا كئيبًا ؟ قال : لأنّي كبرتُ وليس لي ولد أورثه ملكي وأجعله الخليفة بعدي فيبقَى ذكري . فقال الشيخ : سرّك الله أيّها

الملك وعمّرك ، لك عندي ولد . قال له : وكيف ذلك ؟ قال له : ادع بالحقّ الّذي استودعتك . فأمر بإحضاره وفضّ خاتمه ، فإذا فيه مذاكر الشيخ وفيه كتاب : إنّا لمّا أخذنا ابنة آشك الّتي أمر الملك بقتلها أعلمتْنا أنّها حامل من الملك ، فلم نستحلّ أن نبطل زرع الملك الطّيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ، وتبرّأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد عائب إلَى عيبنا سبيلاً . قال : فسرّ أردشير سرورًا شديدًا وأمر عند ذلك الشيخ أن يجعله بين مائة غلام في الهيئة ، ثمّ يدخلهم عليه . ففعل فعرفه أردشير من بينهم وقبلته نفسه . ثمّ أمرهم أن يلعبوا في حجرة الإيوان بالصوالج فدخلت الكرة الإيوان ، فأحجم الغلمان عند دخولهم وأقدم سابور من بينهم فدخل . فأمر أردشير بعقد التاج له .

(439)

ط : وسابور هو الّذي افتتح الحَضْر من بلاد الموصل بخلاف ما قال ق . وكان صاحب الحَضْر يُسمّى الضيزن بن معاوية ويعرف باسم أمّه جَيْهَلة [1] ، وكان من تنوخ من قضاعة . وكان ملك الحضر قبل السّاطِرون ، وهو ملك السريانيّين . قال أبو دُؤاد [2] [خفيف] :

وأَرَى الموتَ قد تَدلَّى من الحضر علَى ربِّ أهلِهِ السّاطِرونِ
ولقد كان آمِنًا لِلدّواهي ذا ثراءٍ وجَوْهَرٍ مكْنُونِ

ويقال إنَّ السّاطرون أبو نصر جدّ عمرو بن عدي بن نصر الّذي كان [3] ملوك الحيرة من ولده .

(440)

وكان الضيزن قد ملك الجزيرة [1] وما يليها إلَى الشام ، وأقام سابور علَى حصنه أربع سنين ، وقيل سنتَيْن . قال الأعشَى [متقارب] :

---

439 1) ل ن : جميلة ، والتصحيح عن الطبري 47/2 ـ 2) ل ن : أبو حذاق ـ 3) ل ن : كانوا .

440 1) ل ن : الحيرة ـ

أقام به (2) شاهبور الجنو دِ حَوْلَيْنِ يَضْرِبُ فِيهِ (3) القُدُم

– جمع قَدَم – حتّى عَرَكت (4) ابنته النضيرة فأخرجها إلَى بعض الأرباض ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم ، وكانت من أجمل الناس ، فتعشّقت سابور وتعشّقها ، فأرسلت إليه وقالت له : اكتب بدم جارية بكر زرقاء علَى رجل حمامة ورقاء مطوّقة كتابة ذكرتها وأرسلها فإنّها تقع علَى حائط المدينة فيتداعَى وكان طلسم المدينة .

(441)

س : وقيل إنّها قالت له : إئْتِ الثرثار [وهو نهر] (1) انثر فيه تبنًا ، ثمّ اتبعه فانظرْ أين يدخل التبن فأَدْخِلِ الرجال فيه ، فإنّ ذلك المكان يفضي إلَى الحصن . ففعل ذلك سابور وفتح الحصن عَنوة وأباد قضاعَة . فقال في ذلك بعض شعرائهم [وافر] :

أَلَم يَحْزُنْكَ (2) والأنباءُ تَنْمَى بِما لاقَتْ سَراةُ بَني العَبِيدِ
ومَصْرَعُ ضَيْزَن وبَني أَبِيه وأَحلاش الكَتائِبِ من تَرِيدِ
أَتاهُم بالفُيول مُجَلَّلاتٍ وبالأَبْطالِ سابُورُ الجُنُودِ
فهَدَّمَ مِن أُساسِ الحِصْنِ صَخْرًا كأنَّ ثِقالَه زُبُرُ الحَدِيدِ

واحتمل النضيرة فعرّس بها بعين التمر ، فلم تزل ليلتها تضور (3) وفرشها الحرير محشوًّا بالقزّ . فالتمس سابور ما كان يؤذيها فإذا ورقة آس ملصّقة بين عكنتيها (4) ، وكان ينظر إلَى مخّها من صفاء بشرتها فقال لها : أيّ شيء كان يغذّيك أبوك ؟ فقالت : بالزبد والمخّ وشهد فراخ النحل وصفو الخمر . فقال : وأبيك لأنا أحدث بك عهدًا . فأمر رجلاً فركب فرسًا جموحًا ، ثمّ

---

440 2) ل ن : بها – 3) ل ن : فيها – 4) عن الطبري ، ل ن : تحركت .

441 1) عن المسعودي 1409 – 2) عن الطبري 49/2 ، ل ن : يأتيك – 3) ل ن : تتضور – 4) ل ن : كعبها .

عَصب ذوايبها بذيله ، ثمّ هزّ الفرس فقطعها قطعًا . فقال الشاعر [خفيف] :

أقفَرَ الحِصْن مِن نَضِيرةَ فالمِرْ باعُ مِنْها بجانِبِ الثَّرْثارِ

(442)

وسابور هو الذي حاصر نصيبين حتّى أخذها ، وكان فيها عُدَد كثيرة لقيصر ، ثمّ دخل أرض الروم فافتتح من الشام مدائن ، ثمّ انصرف إلَى مملكته وفرّق ما كان معه من السبي في ثلاث مدائن : في جُنْدَي سابور وسابور الّتي بفارس وتُستَر الّتي بالأهواز .

(443)

ذو الأكتاف : خلّفه أبوه أيضًا وأمّه حامل به ، فعقد له التاج في بطن أمّه .
قال س : هو الّذي بنَى له الايوان ، وهو بالجانب الشرقي من المدائن علَى دجلة .

(444)

ونزل الرشيد مرّة علَى قرب منه ، فسمع بعض الخدم يقول من وراء السّرادِق : هذا الّذي بنَى هذا البناء أراد أن يصعد إلَى السماء . فأمر الرشيد بعض الأساتيذ أن يضربه مائة عصًا وقال لمن حضره : إنّ المُلك نسبة بين الملوك ، هُم به إخوة . وإنّ الغيرة بعثتني علَى ضربه لصيانة الملك وما يلحق للملوك .
وذُكر أنّ الرشيد بعث إلَى يحيَى بن خالد ، وهو في اعتقاله ، يشاوره في هدم الايوان ، فبعث إليه : لا تفعل . فقال الرشيد لمن حضره : إنّ المجوسية في نفسه والحسد عليها والمنع من إزالة آثارها . فشرع في هدمه ، فإذا به يلزمه في هدمه مال عظيم لا تضبط كثرتُه ، فأمسك عن ذلك ، وكتب إلَى يحيَى بن

خالد يُعلمه بذلك . [فأجابه بـ] أنّ[1] ينفق علَى هدمه ما بلغ من الأموال ويحرّض علَى مَحو أثره . فتعجّب الرشيد من تخالف كلامه فبعث إليه يسأله ما معنَى تخالف قوله . فقال : أمّا الكلام الأوّل فإنّي أردتُ به بقاء الذكر لأمّة الإسلام ، وأن يكون مَن يَرِد (في الأعصار ويطرأ من الأمم في الأزمان) [2] يرى مثل هذا الأثر العظيم فيقول : إنّ أمّة قهرت قومًا هذا بُنيانُهم واحتوت علَى ملكهم لأمّة عظيمة الشدّة ، وأمّا قولي الثاني فأخبرتُ أنّه شرع في بعضه هدم فأردت نفي العجز عن أمّة محمّد وأن لا يقول قائل : إنّ هذه أمّة ضعيفة عجزت عن هدم ما بنته فارس . فلمّا أعلم بذلك الرشيد قال : قاتله الله ، فما سمعتُ له قطّ قولاً إلاّ صدق فيه . وأعرض عن هدمه .

(445)

وسابور هذا بنَى نيسابور ومدينة بالسوس سمّاها فيروز سابور ، وبنَى مدينة بالسند وأخرى بخراسان ، وقيل بسجستان .

(446)

ولمّا بنَى أنوشروان سور الباب والأبواب علَى ما تقدّم وفدت عليه رسل الملوك بالهدايا ، وكان في جملتهم رسول قيصر ، فنظر إلَى الإيوان وحُسن بنائه وإعجاز صنعته ورأى بموضع منه اعْوِجاجًا ، فسأل عن معنَى ذلك فقيل [1] له : إنّ عجوزًا لها منزل في جانب الاعوجاج وإنّ الملك أرادها علَى بيعه ورغّبها ، فأبت فلم يُكْرِهْها . فقال الرومي : هذا الاعوجاج الآن أحسن من الاستواء . وزوّجه خاقان ملك الترك بابنته فاقُم وابنة أخيه وهادنته ملوك السند والهند والشمال والجنوب وكتب إليه ملك الصين : من ملك

---

444 1) عن المسعودي 610 ـ 2) عن المسعودي ، ل ن : في الإسلام .

446 1) ن : فقال ـ

الصين صاحب قصور الدُّرّ والجوهر الّذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته علَى فرسخَيْن ، والّذي تحته ابنة ألف ملك وتخدمه بنات ألف ملك ، والّذي في مربطه ألف فيل أبيض ، إلَى أخيه كِسْرى أنُوشِرْوان . وأهدى إليه فارسًا علَى فرس من ذهب مُنَضَّدًا بالجوهر عينا الفارس والفَرَس ياقوت أحمر وقائم سيفه من زَبَرْجَد ، وثوب حرير صيني عَسْجَدي [2] فيه صورة الملك الفارسي جالسًا في إيوانه [3] وعليه حليته وتاجه علَى رأسه والخدم علَى رأسه بأيديهم المذابّ ، والصورة [4] منسوجة بالذهب ، وأرض الثوب لازَوَرْد ، في سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالاً .

وكتب إليه ملك الهند : من ملك الهند وعَظيم المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت إلَى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية . وأهدى إليه ألف رطل من عود هندي يذوب في النار كالشمع ويختم عليه كما يختم علَى الشمع ، وجاما من الياقوت الأحمر فسحته [5] شبر مملوءا دُرًّا ، وعشرة أمنان [6] كافور كالفستق وأكبر من ذلك ، وجارية طولها سبعة أذرع كأنّ بين أجفانها لمع البرق لها ضفائر تجرّها ، وفرشًا من جلود الحيّات ألين من الحرير وأحسن من الوشْي . وكان كتابه علَى لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الأحمر ، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين ، لحاؤه أرقّ من [الورق] الصيني ذو لونَيْن عجيبين لازَوَرْدي ورائحته عجيبة ، فكانت تكتب فيه ملوكهم .

وكتب إليه ملك التُّبَّت : من خاقان ملك التبّت ومشارق الأرض إلَى أخيه المحمود السيرة ، ملك المملكة المتوسطة للأقاليم السبعة . وأهدى إليه أنواعًا من العجائب ، منها مائة جوشن تبتيّة ومائة تجفاف وأربعة آلاف منٌ مِن المسك الحزائني في نوافجه .

---

446 2) عن المسعودي 622 ، ل ن : عشري ـ 3) ل ن : أبوابه ـ 4) ل ن : المصورة ـ
5) ل ن : فتحه . 6) ل ن : منًا .

(447)

وممّا افتتح أنوشروان بالشام حلب وقِنّسرِين وحِمْص وأنطاكية ـ وكانت فيها جنود قيصر ـ وسَلُوقية [1] مدينة عظيمة عجيبة البنيان ، فهي الآن خراب ، وهذه كلّها كانت للقياصرة . وانتقل من الشام الرخام والأحجار والفُسيّفِساء إلَى العراق ، فبنَى ما استحسن ، وافتتح هرقلة والإسكندرية وبنَى رومة بناحية المدائن علَى صورة أنطاكية .

(448)

... وصار نحوهم وقتل أخْشُنْواز [1] ملك الهَياطِلة بجدّه فيروز وغلب علَى مملكته وأدخل إليه من الهند كتاب كليلة ودِمْنة ، والخِضاب الأسود المعروف بالهندي ، وهو الّذي يلمع سواده فيما يصل من الشّعر فيريه أسود ، فلا ينصل منه شيء . قال : رأيت من أنوشروان خصلتيْن متباينتين . جلس يومًا للناس فدخل رجل من خاصّة الملك فتعدّى مرتبته ، فأمر أن يُحجب سنةً ، ثمّ رأيته يومًا ونحن عنده في سرّ من تدبير المملكة وخدمه خلف سرير ملكه يتحدّثون ، فارتفعت أصواتهم حتّى شغلونا عن بعض ما كنّا فيه ، فقلتُ له في ذلك وسألته وأخبرته بتفاوت الحالتين ، فقال لي : لا تعجب فنحن ملوك علَى رعيّتنا وخَدَمُنا ملوك علينا ينالون [2] منّا في خلواتنا ما لا حيلة لنا [3] في التحرُّز معهم .

(449)

وولد رسول الله صلعم لاثنتين وأربعين سنة من ملكه . ط : لمّا كانت الليلة الّتي ولد فيها رسول الله صلعم ارتجّ إيوان كِسرى وسقطت منه أربع عشرة

---

447 1) ن : سلوقة .

448 1) ن : احشنوا ـ 2) لـ ن : يلوا ـ 3) ن : لاحيلنا .

شرّافة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة [1] ، ورأى الموبذان ـ وهو القائم بأمر الدّين عندهم ـ إبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا حتّى قطعت دجلة . فأفزع ذلك كسرى وقصّ عليه الموبذان ما رأى ، فزاده ذلك ذعرًا ، فكتب أنوشروان إلَى النّعمان بن المُنذِر ، وهو ولاّه أمر العرب ، أن يوجّه إليه رجلاً من مشاهير العرب يسأله عمّا يريده . فبعث إليه عبد المسيح بن عمرو بن حيّان بن بقيلة [2] الغسّاني . فلمّا قدم عليه أخبره بما رأى ، فقال له : أيها الملك لا علم لي بذلك ، ولكن جهّز لي إلَى خال لي بالشام يقال له سطيح . فقال : جهّزوه . فأتاه وقد أشفَى [علَى الموت] [3] ، فسلّم عليه وحيّاه ، فلم يستطع سطيح جوابا ، فقال له عبد المسيح [وافر] :

أَصَمٌّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ اليَمَنْ ... يا فاضِلَ الخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ ومَنْ
أتاكَ شَيْخُ الحَيِّ مِنْ آلِ يزن ... أَبْيَضُ فَضْفاضِ الرِّداءِ والبَدَنِ [4]
رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يسري للوسن [5] ... لا يَرْهَبُ الموتَ ولا صرفَ الزَّمَن

فلمّا سمع سطيح قوله رفع إليه رأسه فقال: عبد المسيح علَى جمل يسيح جاء إلَى سطيح ، وقد أشفَى علَى الضريح ، بعثك ملك بني ساسان ، لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعابًا ، تقود خيلاً عرابًا ، حتّى اقتحمت [5] في الواد ، وانتشرت في البلاد . عبد المسيح إذا ظهرت التلاوة ، وبعث صاحب الهراوة ، وغاض وادي السماوة ، فليست الشام للسطيح شأمًا ، وسيملك منهم ملوك وملكات ، علَى عدد الشرّافات ، وكلّ ما هو آت آت . ثم قضَى سطيح نحبه ، وقدم عبد المسيح علَى كسرى فأخبره فقال : إلَى أن يملك منّا أربعة عشر ملكا تكون .

---

449 1) عن الطبري 166/2 ، ل ن : السّماوة ـ 2) ل ن : بن حسان بن نقيلة ـ 3) عن الطبري ـ 4) ل ن : السدن ـ 5) ل ن : يهوي للوثن ـ 6) ل ن : اقتحت .

(450)

ثمّ ملك بعد أنوشروان ابنه هُرْمُزْ ، وأمّه فاقُم ابنة خاقان ، وكان متحاملاً علَى خواصّ النَّاس مائلاً إلَى [1] عوامّهم ، وقتل في مدينته مدّة ملكه من خواصّ فارس ثلاثة عشر ألفًا مذكورين ، وأزال أحكام الموبذان فخرم بذلك الشريعة وأزال الرسوم ، فغزاه الملوك وطمعوا فيه ، فغزاه عظيم من الترك في أربع مائة ألف ، فنزل بلاد هراة من أرض خراسان . فندب لحربه بهرام جوبين ابن الريان ، فظفر بهرام بالتركي واستباح عسكره واستولَى علَى خزائنه وأمواله . فأعجب بذلك هرمز وعظم بهرام جوبين في عينه ، فحسده وزيره وكان من الخزر ، فجعل يعرّض بخيانته لهرمز واستبداده بأكثر الأموال وأغراه به ، فعصاه بهرام وخلع يده عن طاعته ، ثمّ احتال بدراهم ضرب عليها اسم أبْروِيز بن هرمز ودسّ أناسًا من التجّار وأنفقوها ، فعلم بها هرمز فلم يشكّ أنّ ابنه ضربها طلبًا للملك فهمّ به . فهرب أبرويز من أبيه لتغيّره عليه ولحق ببلاد آذربيجان وأرمينية والرَّان والبَيْلقان . فحبس هرمز خالَيْ ابنه بِسْطام وبِنْدَوَيْه [2] ، فأعملا الحيلة وخرجا من حبسهما وانضاف إليهما بشر ، فدخلا علَى هرمز وسملا عينيه . فلمّا نمَى ذلك إلَى أبرويز رجع إلَى أبيه وأعلمه أنّه لا ذنب له فيما اتّهمه به وأنّه هرب خوفًا ، فصدّقه أبوه ، وعقد له التاج وسلّم المُلك إليه . ثمّ خرج أبرويز إلَى بهرام جوبين ، وقد مال مع بهرام جموع الناس ، وقدم وتحته فرسه المعروف بشَبْداز [3] ، وهو المصوَّر في الجبل ببلاد قَرْماسين من أعمال الدِّينَوَر من ماه الكوفة ، وعليه أبرويز وغير ذلك من الصُّوَر [4] ، وهذا الموضع أحد عجائب العالم لغرائب ما فيه من الصوَر . والعرب تذكر هذا الفرس في أشعارها . وكان أبرويز ركبه يومًا وانقطع عِنانه ، فأراد ضرب عنق صاحب سروجه ولجمه ، لمّا لم يتعاهد عنانه قال : أيّها الملك ما بقِي شيء يجتذبه ملك الإنس وملك الخيل ، فخلّى سبيله .

---

450 1) ل ن : علی ـ 2) عن المسعودي 635 ، ل ن : بيوربه ـ 3) ل ن : نشبراز ـ 4) ل ن : الطول .

(451)

فلمّا بلح هذا الفرس تحت أبرويز وقصّر طلب للنعمان في المعركة أن يمنّ عليه بفرسه النجوم فأبَى ونجا عليه بنفسه . ونظر حسّان بن حنظلة الطائي إلَى أبرويز قد خانته الرجال وأشرف علَى الهلاك ، فأعطاه فرسه المعروف بالضُّبَيّب وقال له : أيّها الملك أنج علَى فرسي ، فإنّ حياتك للناس خير من حياتي . فنجا عليه وكافأ حسّان وعرف له صنيعته . فأشار علَى أبرويز أبوه أن يلحق بقيصر ويستنجده علَى ما دهمهم من بهرام جوبين ، فخرج أبرويز وخلّف خاليه وختقا هرمز فقتلاه ، ثمّ لحقا به فأعلماه ، فعظم ذلك علَى أبرويز وقال لهما : ما حملكما علَى هذا ؟ فقالا : لم نأمن أن يدخل بهرام إلَى أبيك في مغيبك فيضع تاج الملك علَى رأسه ويصير الفرمدان ـ وتفسيره أمير الأمراء والروم تُسمّي صاحب [1] هذه المرتبة الدُّمُسْتُق ـ ويكتب أبوك إلَى قيصر : إنّ ابني وجماعة [انضافوا] إليه وثبوا علَيّ [2] وسملوا عينيّ ، فاحملهم إليّ .

(452)

فلمّا بلغ بهرام خبر هرمز وقتله أسرع إلَى المدائن [1] فاحتوى علَى الملك ، ونزل أبرويز الرّها وكاتب قيصر موريق وبعث بكتابه مع خاله بسطام وجماعة من خاصّته يسأله النصرة [2] وأن يشترط عليه ما شاء ، وأهدى إليه أبرويز مائة غلام من أبناء الترك في غاية الحسن ، في آذانهم القرط بالدرّ والياقوت ، ومائدة عنبر فسحتها [3] ثلاث أذرع علَى ثلاث قوائم من الذهب مفصلة [4] بأنواع الجوهر ، والقائمة الأولَى [5] ساعد أسد وكفّه ، والثانية ساق وَعلٍ وظِلفه ، والثالثة كفّ عقاب بمخلبه ، وجام [6] جَزَع يماني [7] فسحته [8]

---

451 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : إليّ .

452 1) ل ن : المدينة ـ 2) ل ن : النصر ـ 3) ل ن : فتحها ـ 4) عن المسعودي 639 ، ل ن : مفضضة ـ 5) ل ن : الواحدة ـ 6) ل ن : وجامه ـ 7) ل ن : يمانية ـ 8) ـ 8) ل ن : فتحه .

شبر مملوّ ياقوتـا أحمر ، وسفط من ذهب فيه مائة درّة وزن كلّ درّة مثقال ، أرفع ما يكون .

(453)

فبعث إليه قيصر مائة ألف فارس وهدايا وزوّجه ابنته مارية وحملها إليه ، فاشترط عليه أن ينزل عن الشّام ومصر وما تغلّب عليه أنُوشِرْوان من بلاد القياصرة . وكانت ملوك الفرس تتزوّج إلَى سائر من جاورها ولا تزوّجها . ثمّ صار أبرويز إلَى بلاد آذَرْبيْجان ، فاجتمع إليه هناك من كان بها من العساكر ، فالتقَيا ببهرام فتوجّهت علَى بهرام ، فصار إلَى نحو بلاد خراسان وكانت للملوك التّرك ، فاحتوى أبرويز علَى المملكة وأمر لجنود قيصر بالأموال والمراكب والكساء ، وحمل إلَى قيصر ألفَيْ ألف دينار وقرن [1] ذلك بهدايا كثيرة من آلات الذهب والفضّة ، ووفَى له بما شرط عليه . واحتال أبرويز في قتل بهرام بأرض التّرك ، فقُتل غيلةً فسيق برأسه [2] فنصب علَى باب أبرويز .

(454)

ط : ولم يزل أبرويز يصانع أخت خاقان ويبذل لها نفيس الهدايا حتّى دسّت إلَى بهرام من قتله .

(455)

وكانت لبهرام أخت يقال لها كُرْدِيَّة ، كانت في الشجاعة والفروسية مثل أخيها ، (فخرجت من بلاد التّرك ومن كان معها من رجال أخيها) [1] وكان

---

453 1) ل ن : ووزن ـ 2) عن المسعودي 643 ، ل ن : فرسه .

لهم عدد وجلد ، فكاتبها أبرويز في قتل خاله بِسْطام ، وكان مَرْزبان الدَّيْلم بخراسان ، علَى أن يتزوّجها ، فقتلته ، وقتل أبرويز خاله الآخر بأبيه وتزوّج كردية . وكان وزير أبرويز والغالب عليه حكيم من حكماء الفرس يقال له بُزُرْجُمِهْر ، وكان أبرويز لمّا تخلّى عن ملكه باشتغاله بحرب بهرام ، وذلك ثلاث عشرة سنة ، اتّهم بزرجمهر بالميل إلَى مذاهب اليونانية - وهو مذهب ماني - فأمر بحبسه وكتب إليه أبرويز : كان من ثمرة علمك ونتيجة عقلك ما صرتَ به أهلاً للقتل وموضعًا للعقوبة . فكتب إليه بزرجمهر : أمّا (إذ كان معي) [2] الجد فقد كنت أنتفع بثمرة عقلي ، والآن إذ لا جدّ أنتفع بثمرة صبري ، وإن فقدتُ كثيرًا من الخير فقد استرحتُ من كثير من الشرّ . ثمّ لم يزل يغري به حتّى قتله . وبزرجمهر أكثر الفرس مواعظَ وحكمًا .

(456)

وفي ملك أبرويز كانت وقعة ذي قار بين بكر بن وائل والهامَرْز صاحب أبرويز لأربعين سنة لمولد النبي صلعم . وقال رسول الله صلعم : هذا أوّل يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا ، وفي رواية أخرى أنّها كانت بعد بَدْر بأشْهُر .

(457)

وكان علَى مربط أبرويز خمسون ألف دابّة وألف فيل ، منها ما ارتفاعه من الأرض اثنتا عشرة ذراعًا ، واكثر ما يكون من ارتفاع الفيل من الثمانية إلَى العشرة . قال : وقد يكون بأرض الزنج ما هو أعلَى سمكًا من اثنَي عشرة ذراعًا ، وقد يحمل الناس من أنيابها ما زنة الناب مائتا منّ ، والمنّ رطلان بالبغدادي . وخرج أبرويز في بعض أعياد وقد صفّت له الجيوش والعدد

455 1) سقطت من ن ــ 2) ن : إذا كان معنى .

والسِّلاح والمراكب وألف فيل في جملة ذلك ، وقد أحدقت به مائة ألف فارس دون الرجالة . فلمّا أبصرته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسها وبسطت خراطيمها حتّى رفعت بالمحاجن وراطنها الفيّالون بالهندية ، فأعجب أبرويز لذلك وقال : ليتّها [1] لم تكن هندية وكانت فارسية ، انظروا إلَى أدبها من بين سائر الدوابّ .

وكانت مدّة أبرويز ثمانيًا وثلاثين سنة ، وقام ابنه ـ واسمه قُباذ ـ القابض عليه ، وهو المعروف بشيرَوَيْه .

(458)

قال ط : وتفسير أبرويز المظفّر . قال ط : ولم يزل أبرويز ملطّفًا بموريق إلَى أن قتلته الروم وأبادوا ذرّيته خلا ابنًا له صغيرًا هرب به إلَى أبرويز ، فحافظ أبرويز موريق في ولده . وغزا الروم هرقل ، فهزم قوّاد أبرويز وقتل رجاله وتحصّن أبرويز بالمدائن . وقيل في قول الله سبحانه وتعالَى : آلم ، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ [1] إنّـها في أبرويز ملك فارس وهرقل . ثمّ هزم الله عزّ وجلّ ملكهم بالإسلام . قال ط : وفي آخر سنة من ملكه هاجر رسول الله صلعم .

* * *

(459)

ولمّا بلغ يزدجرد وقعة القادسية وقتل رستم عَلِم أنّ مدّتهم قد انصرمت ، فصار إلَى حلوان ثمّ تحوّل إلَى إصبهان وقال للموبذ : قد ظهر هؤلاء القوم فلا

---

457 1) ل ن : لأنّها .

458 1) سورة الروم 30/1ـ2 .

يلقوا لنا جمعًا إلاّ فلّوه ، ولا ينزلون بمعقل إلاّ افتتحوه ، فما الرأي ؟ قال : رأيي [1] أن تنزل إصطخر وتضمّ إليك خزائنك وتوجّه منها الجنود . ففعل ومضَى إلَى إصطخر ، فلم يزل أبو موسَى وعثمان بن أبي العاص يغزونه فيها فلم يقدروا علَى فتحها . فقدم ابن عامر سنة تسع وعشرين ولم يكن بكور فارس [2] شيء إلاّ وقد فتحه المسلمون حاشَى إصطخر ... وقتلوا عامل ابن عامر فرجع إليهم ابن عامر فهرب يزدجرد إلَى كرمان وأتبعه ابن عامر مجاشع بن مسعود السلمي . فنزل مجاشع بن مسعود قرية من دارابجرد فقالوا له : إنّ لنا عيدًا اللّيلة ، فإن رأيت أن تخلي لنا القرية . قال نعم ، فنزل منها خارجًا بالفسطاط والأخبية ، فلمّا كان في آخر اللّيل أصاب [3] أهل القرية رجفة ، فهلكوا عن آخرهم ، فنبش قوم منازلهم ممّن كان بينهم من العجم ، فأصابوا ألفي ألف وسبعمائة ألف فأتوا بها مجاشعًا ، وانصرف مجاشع إلَى ابن عامر وقد فاته يزدجرد ، وقد عرض في جيشه ما عرض .

(460)

ومضَى يزدجرد إلَى سجستان ، ثمّ توجّه إلَى خراسان . فلمّا قرب من مرو خرج إليه ماهويه بن (ماقناه بن فيد) [1] مرزبان مرو وترجّل وصار بين يديه ماشيًا فقال له الموبذ : أيها الملك لو أمرت ماهويه أن يركب . فأمره فركب . فلمّا دخلوا مرو فأقاموا أيامًا قال خرزاذ مهر ليزدجرد : لو أذنت لي أيها الملك لرجعت [2] إلَى فارس ، فأذن له فقال خرزاذ مهر لماهويه : يا أهل خراسان إنكم قتلة الملوك ، قتلتم فيروز ، فاكتبوا لي كتابًا بأنّي قدمت بالملك بلاد مرو سالمًا ومعه ابنه فيروز وثقله وحشمه . فكتب علَى ماهويه كتابًا ورجع منصرفًا إلَى فارس . فلمّا صار إلَى فارس اعتقد من عبد الله بن عامر ذمّة . فلمّا سار ابن عامر إلَى خراسان رجع خرزاذ مهر إلَى مرو ، فأقام مع الأساورة الّذين

---

459 1) ل ن : رأيك ـ 2) ل ن : مصر ـ 3) ل ن : صاب .

460 1) ل ن : ماهيد ، والتصحيح عن الطبري 297/4 ـ 2) ن : لو أمرت .

كانوا معه مع يزدجرد . واستمدّ نيزك طرخان صاحب الترك وخرج من مرو ونزل وزق ، وهي علَى تسعة فراسخ من مرو . فأقبل نيزك ، فلمّا قرب من وزق ركب يزدجرد لينظر إلَى عددهم فتلقّاهم ، فلمّا تراءيا نزل نيزك حتّى دنا من يزدجرد فقبّل رجله ، ثمّ ركب فسايره حتّى أتَى منزله ، وأمر لنيزك بمنزل وبعث إليه ما يصلح به ، وكساء الأتراك الديباج ومناطق الذهب . وأقام نيزك شهرًا وكتب إلَى يزدجرد يخطب إليه ابنته ، فغضب يزدجرد وكتب إليه : إنّما أنت من عبيدي ، فما أجراك أن تخطب إليّ ؟ .

(461)

وأمر يزدجرد بمحاسبة ماهويه وسأله الأموال فخافه فأتَى نيزك فقال : إنّ هذا أتَى مغلوبًا مغلولاً ، فنصرته فخطبت إليه ، فبلغ من جهله ما علمت ، وقد أمر بمحاسبتي وطلبني بالمال . وإن عاد هذا إلَى ملكه قتلني وقتلك ، فحاربه وأنا أعينك عليه . فخرج نيزك ونزل الجبانة محاربًا ، فسار إليه يزدجرد ومعه ماهويه ، فقاتلهم فأثخن فيهم ، فخاف ماهويه أن يهزمهم فتحوّل إليه في أساورة مرو ، فتفرّق عن يزدجرد أساورته فقاتلهم وصبر بعقدته ، ثمّ رأى أن يتحوّل ويرجع إلَى مرو .

(462)

وكان ماهويه قد خلف ابنه بمرو وقال له : إن رجع يزدجرد منهزمًا فامنعه .فأتَى يزدجرد وقد أغلقوا أبوابها ومع يزدجرد زادَوَيْه ، فناداهم زادويه : افتحوا . وأشرف ابن ماهويه فنادى : افتحوا للملك . فأهوى إلَى منطقته فشدّها أي : لا تفتحوا . ففطن زادويه وقال : لعنكم الله يا قتلة الملوك . وترك يزدجرد ومضَى ، فرجع يزدجرد وحده فأتَى وزق فنزل عن دابّته ومشَى حتّى دخل بيت طحّان علَى شاطئ المرغاب ، فمكث ليلتين ويومًا فخفي عن الناس خبره . فلمّا رآه الطحّان عظّمه وقال : مَن أنت ؟ أجنّي أنت أم إنسيّ ؟

قال : إنسي ، فهل عندك طعام ؟ قال : نعم . فأتاه بطعام فقال : إنّي مزمزم فجئني بما أزمزم به . فأتى الطحّان رجلاً من الأساورة فسأله ما يزمزم به فقال : عندي ضيف لا أعرفه ولا أعرف مسألته ، سألني ما يزمزم به . فأدخله الأسواري علَى ماهويه فأخبره ، فقال ماهويه : صِفه . فوصفه فقال ماهويه : هذا يزدجرد ، انطلقوا فاخنقوه حتّى تقتلوه . قال الموبذ : ليس لك أن تقتله لأنّ الملك والدين مقرونان لا قوام لأحدهما إلاّ بالآخر ، وإنّك إن قتلتَه انتهكت الحرمة الّتي ليس لك بعدها شيء . فأعان القوم الموبذ فصدّقوه ، فشتمهم ماهويه وقال للأساورة : من تكلّم ؟ فاقتلوه فكفّوا . ومضَى قوم مع الطحّان فقتل يزدجرد . وأعطَى ماهويه نيزك مالاً عظيمًا فرجع إلَى بلاده .

(463)

واختلفوا في قتل يزدجرد وكيفيّته وكيف قُتل ، فقال قوم : دخلوا عليه وهو نائم ، فكرهوا قتله فقالوا للطحّان : اقتله . فشدخ رأسه بحجرة ، فرجعوا إلَى ماهويه ومعهم الطحّان ، فأمر ماهويه بقتله وقال : لا ينبغي لقاتل الملك أن يحيا بعده . فقال قوم : نذر يزدجرد برسل ماهويه قبل أن يدخلوا عليه فهرب ونزل الماء وعليه ثيابه ، فضربوا الطحّان وقالوا : دلّنا عليه ، فقال : ههنا خلّفته . وخرجوا يطوفون في طلبه ، فرآه رجل يجول في الماء وعليه الديباج فأخذه فقال له : خلّ عنّي وغمّ عليّ وأعطيك خاتمي ومنطقتي . فقال : أعطني أربعة دراهم . فقال : الّذي أعطيك أعظم من الآلاف . قال : إنّما أريد أربعة دراهم . فضحك يزدجرد فقال : لقد قيل لي : إنّك تحتاج إلَى أربعة دراهم فلا تجدها . فهجموا عليه فقال لهم يزدجرد : لا تقتلوني ، فإنّه مَن احتوى علَى قتل الملوك عاقبه اللّه في الدنيا بالحرب وفي الآخرة بالنار ، فاحملوني إلَى ملك العرب فإنّهم لا يستحيون قتلي ، فأصالحه عليكم فتأمنون . فأبوا وأعطوا الطحّان وترًا ، فدنا منه وكأنّه يكلّمه ورمَى بالوتر في عنقه فخنقه حتّى مات ، وأخذوا ثيابه فصرّوها في جراب وختموا الجراب ،

وقتلوا الطحّان وألقوا يزدجرد في الماء وانصرفوا . وقال قوم إنّ يزدجرد لمّا أتى إلَى منزل الطحّان قتله الطحّان فأخذ ما كان عنده ، فأخذوه به فأنكر أن يكون رآه ، فضربوه فأقرّ لهم بقتله وأخرج متاعه فقتلوه به وأهل بيته معه . وأخرج الأسقف يزدجرد من النهر وصيّره في تابوت وحمله إلَى إصطخر أوّل سنة إحدى وثلاثين . وكان قتله في وزق ، وهي علَى سبعة فراسخ من مرو .

(464)

س : فملوك الفرس الأولَى سبعة عشر ملكًا ، ملك منهم امرأة واحدة ، والأخرى اثنان وثلاثون ملكًا ، ملك منهم امرأتان .

الإسكنــــدر

(465)

هو ابن فيلقيوش ، وقال قوم : ابن قيلقوس ، قوطي . ط : ابن مطريوس [1] بن هرمس بن هردس [2] بن ميطون بن ليطَى بن يونان بن يافث من ولد الأصفر بن أليفز [3] بن عيصو بن إسحاق عليه السلام . ويقال إنّ ذا القرنين هو هرمس ، ويقال : هو ذبين بن قيطون بن رومي بن لمطي بن كشلوخين بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ، وورومي بن لمطي هو أبو الروم .

(466)

وقال الزبير : حدّثني مَن يسوق الحديث عن العجم أنّه رجل من أهل مصر اسمه الرّيان بن موريد اليوناني وقال : هو رجل من أهل أينة قرية من كور

---

465 (1) عن الطبري 577/1 ، ل ن : مرطيوش ـ (2) ل ن : هودليس ـ (3) ل ن : المنفز .

مصر الغربية، وقال أيضا : وهي متّصلة بالإسكندريّة، وقيل : بل هو رجل من حِمْيَر. قال تُبّع [طويل] :

قد كان ذُو القَرْنَيْن جدّي مُسْلِمًا   مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ المُلُوك وتَحْشد
بَلَغَ المَشارِقَ والمَغارِبَ يَبْتَغي   أَسْبَابَ عِلْمٍ مِنْ حكيمٍ مُرْشِدِ

وقال مَن أبَى ذلك : إنّما قال تبّع قد كان ذو القرنين قَبْلي مُسْلِمًا . ويُروى أنّ عُمر بن الخطّاب سمع رجلاً ينادي آخر : يا ذا القرنين . فقال : أللهمّ غفرًا أما رضيتم أن تتسمّوا بالأنبياء حتّى تسمّيتم بالملائكة ؟ ومن أغرب ما ورد في ذلك أنّه إنّما سُمّي ذا القرنين أنّه كان عبدًا صالحًا بعثه الله عزّ وجلّ إلَى قومه ، فضربوه علَى قرنه فمات ، فأحياه الله ثمّ بعثه مرّة أخرى إلَى قومه ، فضربوه علَى قرنه فمات فسمّي ذا القرنين .

(467)

ومن غريب ما قيل في نسبه ما قال ط : وذلك أنّه ذكر أنّه ولد دارا الأكبر أبي دارا الّذي غلب علَى ملكه الإسكندر ، وذلك أنّ دارا كان تزوّج ابنة ملك الزنج هلابا ، فلمّا حملت إليه استخبث ريحها ، فأمر أن يحتال لذلك ، فغسلت بماء السندروس وأذهب ذلك كثيرًا من الذفر ، ثمّ عافها فردّها إلَى أهلها وقد علقت منه ، فلهذا قيل الإسكندر .

(468)

قال القوطي : وكانت له مع دارا ثلاث ملاحم هلك فيها من الفرس أكثر من عشرة آلاف . وكان عدد الفرس في أوّل التقائهما ستّمائة ألف مقاتل وعدد عسكر الإسكندر أربعة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل ، وكان أخذه لدارا وهو جريح ، فلم يبق عنده إلاّ يسيرا حتّى هلك ، فأظهر الإسكندر الحزن عليه وأمر بدفنه كما تُدفن الملوك . قال ط : وثب علَى دارا رجال من أصحابه

فقتلوه وتقرّبوا برأسه إلَى الإسكندر فقتلهم وقال : هذا جزاء من اجتّرم علَى ملكه .

ولمّا مات الإسكندر قال الحكيم : ما كنتُ أحسب أنّ قاتل دارا يموت .

(469)

وتوفّي الإسكندر بناحية السواد في موضع يقال له شهرزور بعد أن غزا الهند حتّى انتهَى إلَى البحر المحيط ، فهال ذلك ملوك المغرب فوفدت عليه رسلها بالانقياد والطاعة .

(470)

وعلَى عهد الإسكندر كانت دولة النساء ومملكتهنّ الخالية من الرجال ، وزعموا أنّ امرأتين منهنّ من ملكاتهنّ وفدَتا علَى الإسكندر فطلبن منه النسل ، فجامعهنّ بما يجوز من النكاح . وكان من خبرهنّ أنّ أميرين خرجا من سبطية مدينة بأقصَى الجوف ، فاحتلاّ بلاد فيروجية فأغارا علَى من جاورهما ، فنصبوا لهما الكمائن حتّى قتلوهما ومَن معهما من الجنود فاستأصلوهم . فلمّا انفردت النساء هناك اجتمعن علَى من بقي معهنّ من الرجال فقتلنهم ، ثمّ جيّشن وخرجن علَى الّذين قتلوا رجالهنّ ، فأخذن بثأرهنّ منهم وعدن يمينًا وشمالاً وعظم أمرهنّ وهابهنّ من يليهنّ من الأمم ، فكنّ يعاهدن الرجال الّذين وراء النهر منهنّ ، فيعبرنه إليهم فيحملن منهم ، فإذا ولدن ذكرًا قتلنه وإذا ولدن أنثَى حرقن مواضع ثدييها لئلاّ تضرّ بها في حمل السلاح . فلكن علَى هذا الحال مائة سنة حتّى قتلهن هرقل [1] الملك الظاهر الإغريقي صاحب صنم قادس بالأندلس . وفي شمال الأرض علَى البحر المحيط مملكة النساء باقية إلَى اليوم علَى ما يأتي ذكره بعد هذا إن شاء الله تعالَى .

---

470 1) ل ن : هرقش .

(471)

وقال القوطي : سمّه بعض خدمه بأرض بابل . قال ط : فحمل إلَى الإسكندرية في تابوت من ذهب وكانت مملكته اثنتي عشرة سنة . ط : أربع عشرة سنة . وقيل ثلاث عشرة سنة ، عاش منها بعد قتل دارا خمس سنين ، القوطي . قال ط : ويزعمون أنّ قتل دارا كان في السنة الثالثة من ملكه ، فقد عاش علَى هذا بعده عشر سنين ، وكان عمره ستًّا وثلاثين سنة باتّفاق . وقيل إنّه قتله بعد سبع سنين من ملكه وعاش بعد ذلك خمس سنين .

(472)

قال ط : وعرض الإسكندر جنده بعد أن تغلّب علَى ممالك الفرس فوجدهم ألف ألف وأربعمائة ألف مقاتل . قال ط : ودخل الإسكندر الظلمات ممّا يلي القطب الشمالي والشمس في الجنوب في أربعمائة رجل من أصحابه يطلب عين الحياة ، فسار فيها ثمانية عشر يومًا . وبنَى اثنتي عشرة مدينة سمّاها كلّها إسكندرية ، منها هراة ومدينة مرو ومدينة سَمَرْقَنْد ومدينة بإصبهان يقال لها جيّ بُنيت علَى مثال الجنّة . وقيل إنّه تزوّج ابنة دارا .

(473)

ولمّا مات الإسكندر عرض المُلك بعده علَى ابنه ، فأبَى واختار النسك والعبادة . قال ط : واجتمع بالإسكندر ملك الروم وكان قبله مفترقًا ، وافترق به ملك فارس وكان قبل مجتمعًا ، والله أعلم .

(474)

فاستوسق (بالإسكندر ملك اليونانيّين)[1] بالشام ومصر ، وهي مقدونية وإليها ينسب الإسكندر المقدوني ، ونواحي المغرب من الأندلس وغيرها ، وكانت دار مملكتهم الإسكندرية .

(475)

فولّي بعده خليفته بَطْلِيمُوس بن لاوي ، وهذا الاسم يخصّ ملوك الإسكندرية من اليونانيّين ؛ وكان مُلْكه أربعين سنة ، وهو أوّل من اقتنَى البزاة ولعب بها . واللّذارقة (وهم ملوك الأندلس) [1] وغيرهم أوّل من لعب بالشواهين . وملك بعده بَطْلِيمُوس بن هيفلوس ثمانيًا وثلاثين سنة ، وهو الّذي بنَى مدينة أنطاكية ، وهي أحد عجائب العالم ، مسافة سورها اثنا عشر ميلاً ، وعدد شرافاتها أربعة وعشرون ألفًا ، وأبراجها مائة وستّة وثلاثون برجًا ، وأسكن كلّ بُرج بِطْرِيقًا برجاله وخيله ، فرابط الخيل في أسفله وأعلاه طبقات يسكنها الرجال . وكلّ برج منها كالحصن عليه أبواب الحديد ، وأنبط فيها عيونًا وأجرى المياه في شوارعها ، وماؤها [يستحجر] في مجاريه فلا يؤثّر فيه الحديد ولا يغيّره ولا يكسّره . وهذا الماء يحدث في الأجواف الرياح القولنجية . وقد أراد الرشيد سُكنَى أنطاكية فقيل له ما ذكرناه (من ترادف الصّداء علَى سلاحها) [2] وذهاب ريح الطيب بها ، فامتنع من سكناها . وهو الّذي أطلق اليهود المأسورين بمصر وهو الّذي انتخب سبعين مترجمًا فترجموا التوراة

---

474 1) ن : بالإسكندرية اليونانيّـين .

475 1) عن المسعودي 701 ، ل ن : ملك ملك الأندلس ـ 2) ل ن : ويترادف الدرا على ساحلها ، والتصحيح عن المسعودي 705 ـ

من العبرانية إلَى الإغريقية [3] . وفي أيّامه كانت الحرب بين أهل رومة وقرطاجنة ، وهي الحرب الّتي قيل لها حرب إفريقية . وبُنيت مدينة قرطاجنة قبل رومة باثنتين وسبعين سنة . (وكانت ولايته أربعين سنة) [4] .

(476)

ثمّ ملك بعده بَطْلِيموس اقْرِيطش ستًّا وعشرين سنة ، وكانت له حروب مع صاحب أنطاكية وصاحبها الإسكندروس ، وهو الّذي قتل من اليهود نحو ستّين ألفًا ، وفي زمانه قام الرومانيّون وهدموا مدينة قرطاجنة .

(477)

ثمّ ملك بَطْلِيموس صاحب علم عِلَل الفلك والنجوم وواضِع كتاب المجسطي أربعًا وعشرين سنة ، وفي زمانه ظهرت جزيرة البركان في البحر بصقلّية .

(478)

ثمّ ملك بَطْلِيموس (محبّ الأمّ) [1] بلاد نظرة أي مزكّية الحجر خمسًا وثلاثين سنة ، وهو الّذي غلبه أنيسول [2] .

(479)

ثمّ ملك بعده بَطْلِيموس أقْرِيطش ، وهو الّذي غلب في زمانه الرومانيّون علَى الأندلس .

---

475 3) ل ن : من العبراني إلى الإغريقي ــ 4) سقطت من ن .

478 1) ل ن : صحب الأمراء ــ 2) كذا في النسخ .

(480)

ثمّ ملك بعده بَطْليموس شوطان ، وفي زمانه أقبل بروطَى الروماني إلَى الأندلس فقتل من الجلالقة نحو خمسين ألفًا ، وهرب بعضهم فلالاً وكانت ولايته [1] ...

(481)

ثمّ ملك بعده بطليموس الإسكندراني [1] ، وفي زمانه كان أوفالوس الشّاعر الّذي مات عشقًا ، وملك عشرة أعوام .

(482)

ثمّ أفضَى الأمر إلَى قلابطرة [1] ابنة بَطْليموس ، وهي آخر ملوك اليونانيّين ، وكان يشاركها في ملكها زوجها أنطونيوس [2] . وكانت هذه المَلكة حكيمة متفلسفة مقرّبة للعلماء ، ولها كتب مُصنَّفة في الطبّ وغير ذلك من الحكمة معروفة عند أهل العلم بذلك ، وبذهاب ملكها ذهبت علوم اليونانيّين وامتحتْ آثارهم إلاّ النبذ ممّا بقي في أيدي حكمائهم .

وسار إليها الثاني من ملوك الروم وهو أغشطش ، وهو أوّل من سُمّي قيصر لما سنذكره ، وكانت له حروب بالشّام ومصر ومصارع مع هذه الملكة إلَى أن قُتل زوجها ، ومنزلهم مصر . فلم يكن لقلابطرة في دفع قيصر عن مصر حيلة . وكان مذهب قيصر أخذها لِعلْمه بحِكْمتها وأنّها بقيّة من حكماء اليونانيّين ليأخذ منها ما شاء ، ثمّ يعذّبها ويقتلها . فراسلها خادعًا لها وعلمتْ مُراده

---

480 1) بياض في المخطوطات .

481 1) ل ن : الإسكندر .

482 1) ل ن : بلا نطرة – 2) ل ن : نطوفنوس –

نفسها ، وطلبت الحية التي تكون بين الحجاز والشام ، وهي حيه تبيريه وتُدعَى أيضًا الفِتْرِيّة ، ذات رأسين تكون في جوف الرمل ، فإذا أحسّت بالإنسان أو غيره من الحيوان وثبَتْ من موضعها أذرُعًا كثيرة فضربته بإحدى رأسيْها في أيّ موضع لحقته منه ، فيعدم من ساعته الحياة ويعلّقه ضدّها لِحينه .

فاحتُمِل لها منها حيّة ، فلمّا علمت باليوم الّذي يدخل فيه أغشطش قصر ملكها جلست علَى سرير ملكها ووضعت تاجها علَى رأسها وتزيّنت بأحسن الزينة ونظّرت وسط مجلسها بأنواع الرياحين والفواكه والطّيب ، وأكثرت ممّا بمصر من عجيب الرياحين وعهدت [3] جميع ما احتاجت إليه من أمرها وفرقت الحشم من حولها ودعت بعض جواريها ممّن اختارت الموت قبْلها لتختبر أمر الحيّة ، فأدنت يدها من فمّ القارورة الّتي كانت فيها الحيّة ، فتفلت علَى يدها فجمدت مكانها وعدمت الحياة من فورها . ثمّ أدنت الملكة منها يدها ففارقت الحياة لحينها وهي علَى هيئتها ، وانسلّت الحيّة واستترت بالرياحين . فدخل قيصر فنظر إليها فلم يشكّ أنّها تنطق ، فدنا منها فتبيّن أنّها ميّتة ، فأُعجب بتلك الرياحين ، فأمر يده علَى كلّ نوع منها وهو متأسّف علَى ما فاته من المَلكة ، فبينما هو كذلك إذ قفزت عليه تلك الحيّة فتفلت عليه من سمّها ، فيبس شقّه الأيمن من ساعته وذهبت عينه وسمْعُه ، فعجب من فعلها بنفسها ثمّ من احتيالها عليه ، وقال في ذلك شعرًا بالرومية مأثور عندهم ، وأقام بعد ذلك يومًا فهلك . ولو لا ما كانت أفرغت من سُمّها علَى الجارية والملكة لهلك أغشطش من ساعته .

(483)

وكان السبب الّذي أهاج الحرب بينهما أنّ قوّاد قيصر وقوّاد بَطْليموس كانوا يقترعون كلّ عام من يخرج منهم إلَى الغرب ومن يخرج منهم إلَى الشرق ،

482 3) ن : وعمرت .

فخرجت في بعض الأعوام قرعة قيصر إلَى الغرب ، فغزا الأندلس فوجد أهلها قد تحصّنوا في معاقلهم ، فلم يظفر منهم بشيء فرجع مخفّفًا . وخرج في ذلك قائد اليونانيّين يتناول إلَى ناحية المشرق فسبَى سبيًا كثيرًا وفتح الحصون وأقبل بنحو من ثلاثين أسيرًا من أمراء الشرق ، فنفّس ذلك قيصر وحسده ، ووقعت الحرب بينهم فكانت الغلبة لقيصر.

(484)

فجميع ملوك اليونانية أربعة عشر ملكًا ، ومدّتهم ثلاثمائة سنة لما قدمناه في نسب الإسكندر ، ثمّ غلب هذا الاسم علَى بني عيصو لمّا ولّوا ملكهم . وقيل إنّ الروم اسم الأصفر بن المقر بن عيصو والأصفر لقب له ، واللّه أعلم .

ذكــر ملــوك الــروم

(485)

إنّما سُمّي أغشطش قيصر لأنّ أمّه ماتت وهي حاملٌ به فشُقّ بطنها عنه ، ومعنَى قيصر بُقر [1] ، وكان هذا الملك يفتخر أنّ النّساء لم تلده ، وكذلك كان ولده يفتخرون بذلك فجرى عليهم هذا الاسم . وحقيقة هذا اللفظ بالأعجمية جيشر لأن المشقوق يقولون له جاشر، وقد زعم قوم[2] أنه سمّي جيشر لأنّه ولد بشعر تامّ يبلغ عينيه ، واسم الشعر بالاعجميّة الفصيحة جشارية [3] ، فحرّف [4] فقيل قيصر . وكان ملكه ستًّا وخمسين سنة . ولاثنتين وأربعين سنة خلت من ملكه ولد المسيح ، هذا الصحيح ، وقد قيل غيره علَى ما سنورده إن شاء اللّه .

---

485 1) ل،ن : بعيد ، والنّ حيح عن المسعودي 717 ـ 2) سقطت من ن ـ 3) ن : جنشارية ـ 4) ل : فعرب ، ن : فعرف .

قال : ورأيت في مدينة أنطاكية في بعض كنائسها أنّه كان بين ملك الإسكندر ومولد المسيح عليه السلام ثلاثمائة وتسع وستّون سنة .

(486)

ثمّ ملك بعده طِبارِيُوس ، فكانت مدّة ملكه اثنتين وعشرين سنة ، ولثلاث سنين بقيت منه رفع المسيح .

(487)

ثمّ اختلفت [1] بعد ملكه الرّوم وتحزّبت وأقاموا علَى اختلاف الكلمة والتنازع في المملكة مائتي سنة وثمانيًا وتسعين سنة ، وهم في ذلك لا يعرفون غير عبادة الأصنام . ثمّ ملّكوا علَى أنفسهم بعد تلك المدّة ملكًا يقال له غايوس [2] ، فملك أربع عشرة سنة وهو قاتل بطرس [3] الحواري وبولس [4] المذكورَيْن في سورة يَسٓ ، وقد ذكرنا خبرهما . وكان بطرس [3] قد سار إلَى مدينة رومة داعيًا إلَى اللّه عزّ وجلّ وإلَى الإيمان بالمسيح . ولم يزل غايوس [2] قاتلاً للنصارى وأتباع المسيح وكان أكفر ممّن مضَى قبله وأجمع لخصال [5] الشرّ . وفي زمانه تفرّق أصحاب عيسَى الاثنا عشر في البلاد وتلاميذه الاثنان وسبعون ، وقبور الاثني عشر مشهورة في الآفاق . وأكثر القول إنّ الّذين ذُكروا في سورة يس منهم .

487 1) ل ن : اختلفوا – 2) ل ن : قاروش – 3) ل ن : باطوش – 4) ل ن : يولش – 5) ل ن : لخلال .

(488)

ثمّ أفضَى الملك بعد ملك ثان منهم إلَى بشبشيان [1] ، وهو أبو طيطش ، فبعث [2] ابنه طيطش إلَى حرب بني إسرائيل بالشّام ، فكانت لهم حروب عظيمة انتهَى القتل فيها من بني إسرائيل [إلَى] ثلاث مائة ألف ، وتفرّقت بنو إسرائيل في البلاد وخرب طيطش بيت المقدس وحرثه بالبقر ومحا أثره وعفا رسمه . ط : غضبًا للمسيح . فكان [من] أوّل بنائه إلَى خرابه ألف سنة وستّون سنة .

(489)

س : وعاقب اللّه الرّوم من يوم تخريبهم لبيت المقدس بأن جعلهم يسبَى كلّ يوم منهم سبي إلَى من أطاف ببلادهم من الأمم ، فلا يوم من أيّام العالم إلاّ والسبي فيهم ، قلّ ذلك أو كثر . وفعل ذلك ببيت المقدس لتمام أربعين سنة من رفع عيسَى عليه السّلام . وبشبشيان هو الّذي تغلّب علَى مدينة رومة ودخلها وأشطيش علَى رخّ واحد ، وهلك ملك الرومانيّين علَى أيديهما وانقادت لهما جميع البلاد ، وكانت ولاية بشبشيان عشرة أعوام .

(490)

ثمّ ملك بعده ابنه طيطش ، فكان أحكم [1] ملوك أهل المجوسية باللسان الإغريقي ، وأكثرهم تفنّنًا في العلوم ، وكان ملتزمًا بخصال [2] الخير وخصال [2] المكارم ، وكان اليوم الّذي لا يفكّ فيه أسيرًا أو يغني فقيرًا أو يغيث ملهوفًا لا يراه من ملكه ولا يؤرّخه ، وكانت ولايته عامين فعظم علَى

---

488 1) ل ن : بشبشاس ـ 2) ل ن : ففضب .

490 1) ل ن : أحلم ـ 2) ل ن : بخلال ـ

الناس فقده . ثمّ ملك بعده أخوه دومطيانس [3] ، فكانت دولته جامعة لكلّ شرّ [4] ونفَى يحيَى الحواري إلَى بعض الجزائر .

(491)

ثمّ ملك بعده قيصر أنطونيش فومي [1] ، فأصلح ما أفسده الّذي قبله وأمر بإخراج يحيَى الحواري من الجزيرة ، وصرف النظر إلَى كورهم وكان الّذي قبله أنفاهم . وأوصَى بعده إلَى وطريان ـ وكان أندلسيًا ـ وقيصر وطريان الأندلسي ، وكان مظفّرًا ، ذلّ أجناسًا كثيرة وعبر الفرات وغلب علَى كور كثيرة . وفي سنة ثلاث عشرة من دولته كوّر كور أرمينية وكور مورقة وكور الكوفة ، وولّى بطشة(؟) .

(492)

وولّي بعده قيصر أنطونيش ، وهو الملقّب بالرحيم لما كان عليه من حسن السيرة والرأفة بجميع المسلمين ، وأسقط المغارم عن جميع أهل مملكته ، وفي زمانه عظم أمر جالينوس الطبيب بمدينة رومة ، ومولده في برغنة ، وولي أنطونيش اثنَي عشرة سنة .

(493)

وولّي بعده ثلاثة ملوك منهم نحو خمسين عامًا . ثمّ كان أنطونيش الأصغر ، وفي زمانه كان تنعش المترجم وبرجوس الأسقف في بيت المقدس وظهرت علَى يديه عجائب ، وكان إذ ذاك أوريان العالم . وولّي أنطونيش الأصغر سبع سنين ثمّ ولّي قيصر مقرن أربعة أعوام وكان فاسدًا مفسدًا . ثمّ قيصر

---

490 3) عن المسعودي 727 ، ل ن : بشيشيانس ـ 4) ل ن : شيء .

491 1) كـذا .

الإسكندر ، وكانت أمّه نصرانيّة ، وهو الّذي قتل مَلك الفرس ، وولّي ثلاثة أعوام . ثمّ قيصر فيلبس ، وزعم بعضهم أنه أوّل من تنصّر دين ملوك الرومانيّين . وفي السّنة الثّانية من ولايته تمّ لرومة ألف سنة ، فعيّد عيدًا عظيمًا علَى ملك النصرانية . وولّي سبعة أعوام .

(494)

وأفضَى الأمر بعده إلَى عدّة ملوك ، منهم إلَى دقيوس [1] ، فملك ستّين سنة ، وكان ممعنًا في قتل النصرانية ومنه هرب أصحاب الكهف وهم أصحاب الرقيم . وقال جماعة : أصحاب الكهف غير [2] أصحاب الرقيم وكلا موضعيهم ببلاد الروم . وذكر أحمد بن موسَى المنجّم حين أنفذه الواثق بالله إلَى بلاد الروم أنّه أشرف علَى أصحاب الرقيم بحارمَى [3] في بلاد الروم . ولم تزل الأمم كذلك وهي عبدة الأوثان إلاّ [4] ما ذكر بعضهم عن فيلبس إلَى أن تولّى الأمر قسطنطين المتنصّر المؤمن بعيسَى .

(495)

فعدد ملوك الروم إلَى قسطنطين [تسعة وأربعون ملكًا] [1] ومدّة مملكتهم [أربعمائة سنة وسبع وثلاثون سنة] [1] . وبنيت مدينة رومة قبل ملكهم بأربعمائة سنة . والّذي ذكرنا قبل هذا أصحّ .
وهو الّذي (أمضَى أنيا يولش) [2] الحواري بالأندلس ومدينة ماردة وإشبيلية وقرمونة في ذلك العصر ، وهو الّذي يُحكَى عنه في الإنجيل أنّه ملك أكثر الأرض وخضعت له ملوكها كخضوعها للإسكندر ، وهو الّذي أقبل

---

494 1) ل ن : دقيانوس ـ 2) ل ن : عند ـ 3) عن المسعودي ، ل ن : بحارس ـ 4) ل ن : إلى .
495 1ـ1) عن المسعودي 733 ـ 2) كذا .

إلَى الأندلس فسلّمها وأخذ جلّ خيارها فقطع أيديهم وأرجلهم ، وهو الّذي بلّط نهر رومة بالصفر فأرخت منه الأعاجم .

(496)

وملك قسطنطين بن هلانى [1] فدخل دين النّصرانية ، وخرج من رومة لِسَنة خلت من ملكه ، وهو أوّل ملك خرج منهم من رومة ، وكان ذلك لخوف داخله من بعض آل ساسان ، فبنَى القسطنطينية وسمّاها باسمه. ولسبع [سنين خلت] [2] من ملكه خرجت أمّه هلانى [1] إلَى الشّام وبنَت البيع والكنائس وطلبت الخَشَبَة الّتي صُلب عليها عيسَى بن مريم عليه السّلام بزعمهم ، وعذّبت عليها اليهود حتّى خبّرها شيخ منهم عنها أنّها [في] سباطة هناك . فاستخرجتها وحلّتها بالذهب والفضّة واتّخذت لوجودها عيدًا عظيمًا ، وذلك عيد الصليب ، وذلك لأربع عشرة ليلة من أيلول . وفي هذا اليوم تُفتّح الخلجان للنّيل ببلاد مصر . واستخرجت هلاني الكنوز والأموال من بلاد مصر والشّام وذخائر الملوك فصرّفتها إلَى بناء الكنائس وتشييد دين النصرانية ، فكلّ كنيسة بالشام ومصر وبلاد الروم فمن بنائها ، وهي الّتي بنت كنيسة حمص تحملها أربعة أركان ، وهي من عجائب العالم . وليس للروم (في حروفهم هاء) [3] وأحرف هلاني خمسة ، فالأوّل الهاء ، وهي بحساب الجُمّل خمسة ، وهو إلَى آخره مائة .

(497)

ولسبع عشرة سنة خلت من ملك قسطنطين اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر أُسقفًا وأقاموا دين النصرانية ، وهذا أوّل الاجتماعات السّتّة الّتي تذكرها الروم وهو أعظمها .

---

496 1) ل ن : هلهني ـ 2) عن المسعودي ـ 3) ل ن : في حروبهم كفاه ، والتصحيح عن المسعودي 735 .

(498)

وكان أوّل دخول قسطنطين في النصرانية لرؤيا رآها ، وذلك أنّ ملك برجان كان مظفّرًا عليه ، فرأى في منامه أنّه يرفع الصلبان عليه في رماحه [1] فيظفر به ، ففعل ذلك وصحّت رؤياه . وقيل إنّه إنّما تنصّر لأنّه كان ظهر به جذام فأبرأه أسقف رومة بالدّعاء دون دواء بعد أن أعياه علاجه . فلم يقدر أن يظهر النصرانية برومة ، فبنَى القسطنطينية علَى حسب ما بيّناه في كتاب الممالك .

(499)

وفي زمان قسطنطين هذا كان أريش الخارجي ، وفي زمانه كان اجتماع الأساقفة علَى لعن أريش . وملك نيّفًا وثلاثين سنة ، وقيل خمسًا وعشرين سنة .

(500)

وملك بعد قسطنطين الأكبر لليانش ، فرجع إلَى عبادة الأوثان وكان يريد الاحتيال في قطع دين النصرانية إلاّ أنّه كان لا يجاهر بذلك لأنّ أمرها كان قد قوي ، وأمر بإخراج أهل دين النصرانية من الديوان . وغزا بلاد الفرس في ملك سابور بن أردشير ، وجعل لأوثانه نذرًا إن جاء ظافرًا أن يقتل النصارى ، وأتاه سهم غرّب فذبحه .

(501)

ثمّ رجع أمرهم إلَى النصرانية والملك منهم في هذا البيت . ثمّ ملك بعد لليانش بنتنيان ، وفي زمانه قدمت القوط علَى أنفسهم أدريمـز أخـاه

---

498 1) ن : زمانـه .

فاستمرّ قيصر لسنين (؟) ورغب في طاعته فأيّده حتّى ظفر بأخيه ، فرغب حين ذلك في دين النصرانية ، فبعث إليه قيصر قومًا يعلّمونه النصرانية علَى نارحة آريش ، وهو كان مذهب بنتنيان . ثمّ ظهرت أنقلش إثر ذلك علَى القوط وضيّقوا عليهم حتّى أخرجوهم من بلدهم ، فاستغاثوا قيصر ، فتوسّع لهم في بلد طراخية فسكنوه علَى الطوع منهم . فلمّا أفرط عمّال قيصر عليهم باللوازم أشهروا نفاقهم ، فغزاهم قيصر فقتلوه . وكانت ولايته ...

(502)

ثمّ ملك بعده قيصر طدوش الأندلسي ، وكان من أهل الفضل والتقى ، فنصّره اللّه وأعانه علَى الرومانيّين بالريح ، فهزم في قليل من أصحابه عددًا عظيمًا منهم . في ذلك قال شاعرهم :

من ذَا يُحاربُه والرِّيح تنصرُه

هكذا ذكروا في كتبهم ، وغزا القوط فقتلهم ، قتل منهم عددًا كثيرًا ، وضيّق علَى الرومانيّين حتّى أتاه اللُّذَريق ملكهم خاضعًا نازعًا عمّا كان عليه ، فقبل خضوعه فتوسّع لهم وانصرف عن حربهم . ومات طدوش بقسطنطينية إلَى ستّة عشر يومًا من وصوله إليها ، وكانت مملكة طدوش أحد عشر عامًا . وبعد عشرين عامًا غلب أدريق علَى رومة ، وهي بعد ثغر من ثغور قيصر ، وانتهبها ثلاثة آيام ثمّ خرج عنها .

(503)

وقلّد في مملكته قيصر أنورش وعليه طدوش الأصغر ، وهو الّذي ملك بعد أنورش علَى أنطاكية ، فخرج عنها أدريق إلَى غالش .

(504)

وأوّل من ملك من القوط بالأندلس حدريفش وكانت داره ماردة ، فحشد القوط من أخبرهم بماردة وأقبل لمحاربة [1] قرطبة ، فلمّا التحمت الحرب قتل ولده وذهب أكثر رجاله . ثمّ ملك القوط بعده ركديد وكانت داره طليطلة . وركديد هو الّذي رجع عن خارجية القوط إلى جماعة النصرانية .

(505)

قال المؤرّخون من العلماء : لم يزل الأمر في أهل بيت قسطنطين بن هلانى إلَى أن ولي أمرهم بندقسوس ، ويقال بنداسيس الأكبر ، ولم يكن من أهل بيت المملكة . وفي زمانه استيقظ أهل الكهف ، وكان من الأشبان . وقال الواقدي وابن خرداذبه : هم ناقلة من إصبهان . ومن هؤلاء اللّذارِقة ملوك الأندلس ، وكان الملك منهم يترساسيس الأصغر .

(506)

وفي زمانه افترقت مذاهب النصارى ، فتفرّق النصارى النسطورية علَى مذهب نسطارس ، وهم المشارقة [1] من النصارى ، وهو الّذي تكلّم في اتّحاد اللاهوت القديم بالناسوت المُحْدَث ، واليعاقبة بمصر وأنطاكية والشّام وتكريت ، والملكية وهم بقسطنطينية والروم . ويعقوب كان من أهل أنطاكية برذعي يصنع البراذع .

---

504 1) ل ن : ليحاربه .

506 1) ل ن : المسافة .

(507)

ثمّ اختلفت ملوكهم في اعتقاد هذه المذاهب بعد ذلك ، ولم يزالوا يتوارثون الملك إلَى أن أفضَى الملك إلى هِرَقل . ولسبع سنين من ملكه كانت هجرة النبي صلعم ، وهو الّذي ضرب الدنانير الهِرَقْلِيّة وإليه انتهت [1] الهرقلية . وملك خمس عشرة سنة ، وهو هرقل بن يوسطين [2] وكان أبوه ملكًا أيضًا . وفي كتاب السِّيَر أيضًا أنّ رسول الله صلعم هاجر وملك الروم قيصر بن فوق . وبقِي هرقل حياة رسول الله صلعم وخلافة أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما . ثمّ ملك بعده موريق ، وقيل إنّ هرقل بقِي الى آخر أيّام عمر علَى ما ذكرناه ، وقيل إنّه هرقل آخر . ولا شكّ أنّ المملكة كانت في هرقل إذا استفتحت الشّام هذا أو غيره ، فبقِي إلَى أيّام عمر ، فكان موريق زمان عثمان رضه .

(508)

ثمّ ملك بعده ابنه جبرون بن وافاوى إلَى خلافة عُمر بن عبد العزيز . فلمّا كان من أمر مَسْلَمة ما كان اضطربت مملكة الروم وانحرفت ووليّهم من غير أهل بيت المملكة ، ولم تزل كذلك إلَى أن وليهم قسطنطين بن أليون ، وهو من ملوكهم الأخيرة المختلف في نسبهم ، وذلك أيّام المنصور . ثمّ ابنه أليون أيّام المهدي والهادي ، ثمّ قسطنطين بن أليون وأمّه كانت ملَكة مشاركة له لصِغَره ، وسُملت عيناه فبقِي ملكًا بعض أيّام الرشيد .

(509)

ثمّ نِقْفور [1] بن استبراق باقي زمان الرشيد وغزاه ، فكانت بينهما حروب

---

507 1) ل ن : انتهى – 2) ل ن : يوسطيس .

509 1) عن المسعودي 758 ، ل ن : يعفور –

وانقاد له . ثمّ نقض وكَتَم [عن] الرشيد ذلك لعلّة كانت به . فلمّا استقلّ دخل شاعر عليه فقال [كامل] :

نَقَض الّذي أعْطاكَه نِقْفُور [1] وعَلَيْهِ دائِرةُ البَوار تَدُور
أبْشِرْ أميرَ المُؤمِنينَ فَإنَّهُ فتحٌ أتاكَ بِهِ الإلاهُ كَبير
فلَقَدْ تَباشَرت الرَّعيّة إذْ أتَى بالغَدْر عَنْهُ وافدٌ وبَشير

فقال الرشيد : أوَقد فعل [2] . فغزاه واستفتح في غزوته تلك هرقلة ، وفي ذلك يقول أبو العتاهية [وافر] :

ألاَ نَادَتْ هِرَقْلة بالخَرابِ مِنَ المَلِكِ المُوَفَّقِ للصَّوابِ
أميرَ المُؤْمِنينَ ظَفِرْتَ فاسْلَمْ وابشِرْ بالغَنِيمةِ والإيابِ

وانقاد نِقْفور [3] بعد ذلك ، وكان استفتاح الرشيد لهرقلة سنة تسعين ومائة بعد حصار وقصّة طويلة .

(510)

قال أبو العبّاس : أخبرني شِبل الترجمان قال : كنت مع الرشيد حين نزل علَى هرقلة ، فلمّا افتتحها رأيت حجرًا منصوبًا مكتوبًا عليه باليونانية ، فجعلت أترجمه وأمير المؤمنين ينظر إلَي وأنا لا أعلم ، فإذا تأريخه زائد علَى ألفي سنة من ذلك اليوم وهو : باسم الله الرحمان الرحيم ، يا ابن آدم غافص الفرصة عند إمكانها ، وكل الأمور إلَى وليّها ، ولا يحملك إفراط السرور علَى المأثم ولا تحمل علَى نفسك همّ يومٍ لم يأت ، فإنّه إن يك من أجَلك يأتي الله فيه برزقك ، ولا تكن مغرورًا بجمع المال ، فكم قد رأينا جامعًا لبعل خليلته ومقتّرًا علَى نفسه توفيرًا لغيره . وكانت للرشيد بعد هذا مع نقفور أخبار كثيرة .

---

509 2) ل ن : بعد ـ 3) ل : تمفور ، ن : يمفور .

(511)

ثمّ ملك بعده ابنه استبراق ، ثمّ ابن ابنه نقفور إلَى أن تغلّب علَى الملك قسطنطين بن فُكُنط [1] زمان المأمون . ثمّ تَوْفِيل زمان المعتصم ، وهو الّذي فتح زِبَطْرة [2] ، وفي مملكته فتح المعتصم عمّورية . وكان الملك في ذرّيته إلَى أن تغلّب بسيل الصِّقْلِي ولم يكن من أهل بيت المملكة ، وذلك زمان المهتدي [3] والمعتمد .

قال س : وبقِي الأمر في ولده إلَى وقتنا هذا ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة [4] . وقال المؤلف لهذا الكتاب : كان آخرهم قسطنطين بن أليون بن لاوى بن بسيل .

(512)

وولّي بعده ابنه صغيرًا ، فغلب عليه رومانوس بطريق البحر وزوّجه ابنته ، وبقِي الروم كذلك أيّام المقتدر والقاهر والراضي والمتّقي . فلمّا كانت سنة اثنتين وخمسين توفّي رومانوس المتغلّب علَى ملك الروم . وكان نقفور [1] الدمستق في حين موته غائبا بالجيوش الّتي أخرجه رومانوس بها ، فتغلّب علَى أكثرها ، ففي خروجه إلَى القسطنطينية ملّكته الروم أمرهم ، وتزوّج امرأة رومانوس ، ولم يبلغ إلينا من أيّ بيت هو وكانت ولايته لسبع مضين من رجب من العام المذكور .

(513)

وفي شعبان تغلّبوا علَى طرسوس وما والاها ، وأخليت ثغور الشام إلاّ ممّن [1] رضي بالجزية أن يؤدّيها من المسلمين ، وعمّرت طرطوس وما والاها

---

511 1) ل ن : فلفط ـ 2) ل ن : حضرة ـ 3) ل : المهدي ـ 4) كذا ، والصواب : ثلاثمائة .

512 1) ل ن : تحفور .

513 1) ل ن : من .

بالروم . فلمّا كانت سنة ستّ وخمسين وثلاثمائة زحف ابن نوح صاحب خراسان بعساكر جرّارة إلَى طرسوس وأوقع بالروم وهزمهم ، وجاوز الدرب إلَى أرض الشام إلَى القسطنطينية ، فلقي المشركين بجيوشهم وعليهم ابن الشمشكي بطريق نقفور ، فمنح اللّه المسلمين النصر عليهم فلم ينج ابن الشمشكي إلاّ وحده . ثمّ جيّش نقفور جيشًا احتفل فيه لنصر ابن الشمشكي ، وتوخّوا أن يلتقوا بالمسلمين يوم غمام لما رجوه من الظفر عليهم ، فكان خلاف ما أملوه فصاروا من الضرب والطعن والمجالدة بالسيوف إلى المعانقة والمقابضة بالأيدي والتقابض بالشعور . فما حجز بينهم إلاّ الليل وثبت المسلمون في مصافّهم وباتوا علَى ظهر دوابّهم وناجزوهم بجدّ وحدّ وعزم وحزم ، فإذا الأرض قد غصّت بجيفتهم ولا أثر لمن بقي منهم ولا عين . قد تفرّقوا في جنح الليل ، وافتتح ابن نوح قلاعًا كثيرة ممّا كان تغلّب عليها الطاغية منها مرعش وبلولة وغيرهما .

(514)

وفي سنة ثمان وخمسين تغلّب العدوّ علَى أنطاكية وخيّر أهلها بين المقام علَى أداء الجزية أو الخروج إلَى أرض الشام ، فرضي بالجزية خلق كثير . ولمّا جاء البشير إلَى نقفور بذلك عاقبه وغمّه ذلك لأنّه كان يرى في علم الحدثان [أنّ] الّذي تُفتح أنطاكية علَى يديه يهلك سريعًا . فقتله اللّه سنة تسع وخمسين ، فقُتل في قصره وعلَى سرير ملكه ، عملت في قتله امرأته الّتي كانت قبله لرومانوس علَى يدي قائده ابن الشمشكي ، فقتلوه ليلاً . وكان سبب ذلك أنّ ابنها من رومانوس واسمه بسيل لمّا أدرك أراد نقفور أن يخصّيه ويلزمه الكنيسة العظمَى لينفرد هو بالملك ويخرج عقب رومانوس منه ، فلمّا علمت عزمه علَى ذلك سعت في قتله ، فتمّ لها ذلك وولّي الأمر ابن الشمشكي ودانت له النصرانية. ثمّ ملك بعده بسيل بن رومانوس ، وهو الملك الملقّب بالرحيم ، فكان ملكه أربعًا وأربعين سنة ، وكان أكره الناس لإراقة الدّماء ، وزعموا أنّه كان ممّن لا يرون إراقة دماء الحيوان ولا أكله .

(515)

ثمّ ملك بعده أخوه قسطنطين يسيرًا ، ثمّ رومانوس بن باسيلى أربع [سنين] ، ثمّ أخته بودرة ابنة باسيلى أربع عشرة سنة ، ثمّ أختها دونة سبع سنين ، ثمّ سالحونة إحدى عشرة سنة ، ثمّ قيانوس . ثمّ ذوقرش ، وهو باق إلَى اليوم وهو سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

(516)

فصل : وكان صاحب صقلية وإفريقية قبل ظهور الإسلام يدعَى جرّجِير [1] ، وصاحب الأندلس لُذَرِيق [2] ، وكانا من الأشبان ، وأهل الأندلس يقولون إنّ لذريق كان من الجَلالِقة .

(517)

وأرض السودان من أرض الحبشة إلَى آخر بلاد إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي من أرض المغرب ، وهي بلاد تِلِمْسان وتاهرت .

(518)

وزعموا أنّ بلاد السودان مسيرة سبع سنين وأنّ أرض [مصر] كلّها جزء واحد من ستّين جزءا منها . ويتّصل بالسّوس الأقصَى وبينه وبين السّوس الأدنَى عشرون يومًا رمال ومفاوز فيها المدينة المعروفة بمدينة النُّحاس وقباب الرّصاص الّتي صار إليها موسَى بن نُصَيْر في مدّة الوليد بن عبد الملك وما رأى

---

516 1) ل ن : حريز - 2) ل ن : بذريق .

فيها من العجائب . وفيها قوم من الأشبان عمّروا تلك الديار . والوصول إليها ممتنع ، بل لا سبيل إليها . واللّه أعلم .

ذكـر ممالـك السـودان

(519)

صار ولد كوش بن كنّعان نحو المغرب حتّى قطعوا نيل مصر ، ثمّ افترقوا فصارت منهم طائفة إلَى المشرق وطائفة إلَى المغرب ، فمن المشرق النوبة والبُجاة والزّنج والحبشة ، فمن المغرب الزّغاوة والمفافوا [1] ومركة [2] وكوكو وغانة [3] وغيرهم من أنواع الأحابيش والزنج ، أصناف منهم مكير [4] وبربر ، وهم غير البربر [الّذين في بلاد المغرب] [5] والمشكر [6] وغيرهم . وبحر السودان والزنج والأحابيش وغيرهم وهو عن يمين الهند .

(520)

وقطعت الزنج دون الأحابيش الخليج المنفصل من أعلَى النّيل الّذي يصبّ إلَى بحر الزنج ، فسكنت في ذلك الصقع واتّصلت مساكنهم [إلَى بلاد سُفالة واتّخذها الزنج] [1] دار مملكة ، وسمة ملكهم وَفليمي ، وهو ملك ملوك سائر الزنوج ومعناه ابن الربّ ، تعالَى الربّ عن قولهم علوًّا كبيرًا ، ومعناه أنّه آختاره للكهم والعدل فيهم ، فمتَى جار الملك عندهم أو حاد عن الحقّ قتلوه وحرموا عقبه الملك . ويزعمون أنّه إذا فعل ذلك مَلك فقد بطل أن يكون ابن الربّ الّذي هو ملك السماء والأرض . ويركب وَفليمي في ثلاثمائة

---

519 1) كذا ، المسعودي 844 : كانم ـ 2) عن المسعودي ، ل ن : مرتك ـ 3) ن : وأنه ـ 4) ل ن : ممكس ـ 5) عن المسعودي ـ 6) ل ن : المشكوا .

520 1) عن المسعودي 847 .

ألف فارس دوابّهم البقر ، وليس في أرضهم خيل ولا بغال ولا حمير ولا إبل ، ولا يعرفون شيئًا منها .

(521)

والزنج أطيب الأمم أفواهًا لرطوبة أفواههم وكثرة الريق فيها ، ومن دخل بلاد الزنج فلا بدّ له أن [يجرب] [1] .

(522)

ومن أرضهم يُحْمَل الذبل من ظهور سلاحفهم ، وفي بلادهم تكون الزُّرافة وهي من الدوابّ الّتي تألف وتتودّد إليها ، ومنها تحمل وتهدى إلَى الملوك . وعندهم جلود النمور الحمر وهي لباسهم . وبلادهم أكثر بلاد الّله فيلة ؛ إلّا أنّها وحشية لا تنقاد ولا يستعملونها وهم يقتلونها بشجر يطرحونه في مشاربها يسكرها ، فتقع ولا مفاصل لها ، فيخرجون إليها بأعظم ما يكون من الحِراب فيقتلونها لأخذ أنيابها . فمن أرضهم تُجَهَّز أنياب الفيلة إلَى الآفاق ، وأكثر ما يجهّز به إلَى بلاد عُمان وإلَى سائر البلدان ، وأكثر ما يستعمل العاج بأرض الصين لأنّهم يتّخذون منه الأعمدة فبها يدخلون علَى ملوكهم ، ولا يدخل [1] عليهم أحد من حشمهم وقوّادهم بحديد ، ويستعملونه أيضًا في دخن بيوت أصنامهم وأبخرة هياكلهم . وأهل الصين لا يتّخذون الفيلة في الحروب كاتّخاذ الهند ويتطيّرون بذلك لخبر كان لهم في قديم الزمان في بعض حروبهم . ويستعمل من أنيابها كثير البلاد ـ بلاد الهند ـ الشطرنج والنرد ، وصور الشطرنج عندهم لا يصرفها اللاّعب بها إلا قائمًا لكبرها . ولاستعمال الفيلة في سائر مواضعها من الممالك لحاجتهم إليها لا يقتلونها قال : ولعب أهل

---

521 1) عن ابن رسته 83 .

522 1) ل ن : يدخلون .

الهند بالنرد والشطرنج قمار ، وإذا أنفذ ما مع اللاّعب لعب علَى قطع أعضاء جسمه إصبعًا إصبعًا حتّى ربّما أتى علَى الزند والذراع ، ولهم دهن أحمر مركّب يغلَى ويغمس فيه موضع القطع فيمسك الدم ويدمل لحينه ويعود صاحب القطع إلَى لعبه ولا يكترث .
ويُعمَّر الفيل بأرض الزنج نحوًا من أربعمائة عام ولا ينتهي عمره في سائر مواضعه [إلَى] هذا . وحدّثني غير واحد عن أبي ذرّ عن ابن أحمد بن محمود شختكين صاحب غزنه وما والاها من البلاد أنّه أصاب في تصيّده ...

(523)

.... أوسع مملكة من الآخر وأهله أصفَى ألوانًا وأحسن زيًّا ، وملوكهم يزعمون أنّهم من حمير ، قاله المسعودي في أخبار مصر ، وسمة ملوكهم ... وهم نصارى يعقوبيّة ويقرأون الإنجيل بلسان الروم الملكانيّة ، وهم لا يطأون في الحيضة ويغتسلون من الجنابة ، وملوكهم يتّخذون الخيل العتاق ، (وركوب عوامّهم) [1] البراذين ، ولهم النخل والكرم والذُّرة والحنطة والموز والأترج عندهم كثير . وغربي بلادهم يسقيها النيل وهناك غياض كثيرة ، وحوالي هذه معادن الذهب والفضّة .

(524)

وتسير من دُنقُلة في شعاب وجبال حتّى تنتهي إلَى سوبة [1] وهي آخر بلادهم ، وهي مدينة كبيرة علَى شاطئ النيل . والزّرافات في بلاد النوبة كثيرة ويتّخذون من جلودها للنعل يلبسونها فلا تكاد تنقطع إلاّ في الدهر الطويل . وبين بلادهم وأسوان قردة صغار في مقدار الهرّة يُسمّونها النسناس ، والإبل

---

523 1) سقطت من ن .

524 1) عن المسعودي 873 ، ل ن : صورا -

في بلادهم صغيرة الخلق قصيرة القوام ، والتمر عندهم عظيمة الخلق بخلاف ما عهد منهم . وهم يتكاتبون في ورق الموز . وقيل إنّ في بلادهم نهر يُسمّى نوبة وبه سُمّوا . وقال الأكثرون إنّهم من ولد نوب بن قوطي بن مصر [2] بن نيصر بن حام . وجميع من سكن علَى النيل محارب للمسلمين إلاّ القبط والنوبة .

(525)

وقال يزيد بن أبي حبيب إنّ النوبة ليس بينهم وبين المسلمين عهد ولا ميثاق ، وإنّما هو أمان لبعضهم من بعض علَى أن يُؤدّوا كذا وكذا رأسًا ، وذكر بعض المصريّين أنّه قرأ في بعض الدّواوين بالفسطاط قبل أن تحرق عهودهم علَى ما يُؤدّونه الآن .

(526)

وبدء اتّصال مملكتهم بأرض أسوان موضع يعرف بمَرِيس ، ولمّا افتتحت مصر أمر عُمر أن تُغزى النوبة ، فوجدهم المسلمون يرمون الحدق ، فذهبوا إلَى المصالحة فأبَى عمرو بن العاص من مصالحتهم حتّى صُرف عن مصر ووليها عبد اللّه بن أبي سرح سنة إحدى وثلاثين ، فقاتلوه [1] قتالاً شديدًا فأُصِيبت عين معاوية بن حُديج وعين أبي شَمِر بن أبرهة وأعين جماعة من المسلمين ، فحينئذ سُمّوا رُماة الحَدق . وقال الشاعر : [رجز] :

لم تَرَ عَيْني مِثْلَ يَوْمِ دُنْقُلَة ... والخَيْلُ تَعْدُو بالدُّرُوعِ مُثْقَلَة

ومنهم تعلّم الرمي أهل الحجاز واليمن ، فصالحهم عبد اللّه بن أبي سرح علَى رؤوس من السبي معلومة ممّا يسبيه هذا الملك المُجاور للمسلمين من غيرها

524 2) ل ن : نصـر .

526 1) ل ن : فقتلـوه .

من الممالك المجاورة له ، وعدد ذلك ثلاثمائة وخمسة وستّون رأسًا ، وإنّما أرادوا عدد أيّام السنة ، وهي جارية إلَى الآن ، وللأمير بمصر عدد ولعامله بأسوان عدد وللحاكم بها عدد يبلغ نحو الثمانين رأسًا .

(527)

بلد أسوان أهله العرب من قَحْطان ورَبيعة ومُضَر وقُريش ناقلة من الحجاز ، وهو بلد خصيب كثير النخل ، توضع النَّواة في تربته فتنبت نخلة تثمر لسنتين تمرًا ، وبلاد البصرة وغيرها لا تغرس النخل فيها إلاّ في الفسيل وما يخرج من النواة فليس يثمر . ولأهل أسوان في بلاد مريس من أرض النوبة ضياع كثيرة ابتاعوها منهم في زمن بني أميّة يؤدّون خراجها إلَى ملك النوبة .

(528)

وقال مجاهد : كان لقمان عبدًا أسود ذا مشافر . ومن النوبة النساء المعروفات بالمقوّرات لا يقدر أحد علَى افتضاض أبكارهنّ ولا مباشرتهنّ حتّى تفتق القوابل عن قبلهنّ بقدر ما يحتاج الوطء ، وهنّ أطيب النساء خلوة ، فإذا حملت المرأة منهنّ وقرب الوضع زادت القوابل (في شقّ) [1] ذلك المكان ، فإذا وضعت عادت [2] تلك الزيادة بالأدوية حتّى تلتئم . أخبرني بذلك جماعة من الثقات عن جماعة من النساء المجاورات لمكّة ، أنّهنّ رأين ذلك وشاهدنه . ومملكة الزغاوة تحاذي مملكة النوبة علَى ضفّة النيل الثانية .

(529)

وأمّا البُجاة فإنّها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعّبوا فِرَقًا وملّكوا عليهم ملوكًا ، وتتّصل سراياهم علَى النجب [1] ببلاد النوبة فيُغيرون ويسبون ،

---

528 1) سقطت من ن ـ 2) ل : عانت .

529 1) ل ن : البخت .

وبين بلادهم وبين بلاد النوبة جبال منيعة جدًّا . وقد كانت النوبة أشدّ منهم إلى أن ساكن البجاة جماعة من المسلمين لمعادن الذهب الّتي عندهم ، واستوطنها خلق من العرب من ربيعة وتزوّجوا في البجاة ، فاشتدّت شوكتهم بهم . وصاحب المعادن في وقتنا هذا من المسلمين أبو مروان بِشْر بن إسحاق من ربيعة يركب في ثلاثة آلاف فارس من ربيعة وأحلافها . وببلاد البجاة تتّصل معدن الزمرّد ، وهو موضع يعرف بالخرْبة ، مفاوز وجبال تحميه البجاة ، وهو متّصل بالصّعيد الأعلَى من أعلَى مدينة قفط ، وإنّ البجاة تؤدّي الخفارات مَن يرد لحفر الزمرّد ، وبين موضع معدنه والنّيل أكثر من عشرين مرحلة .

(530)

وبين هذا الموضع والعمران مسيرة سبعة أيّام ، وهي مدينة قفط ، والخراب عليها أكثر [1] من العمارة ، والجبل الّذي فيه هذه المعادن الّتي يوجد فيها الزمرّد متّصل بجبل المُقطَّم الّذي علَى مصر . ولا يعرف معدن الزمرّد سواه إلاّ ببلاد البلّهَرى من أرض الهند ولا يلحق بهذا ، والهندي [2] يُعرف بالمكّي لأنّه يُحمل إلَى عدن ويُؤتَى به مكّة ، فاشتهر بهذا الاسم .

والزمرّد الّذي يُقلع من الخربة يتنوّع أربعة أنواع ، فأعلاها الّذي يُعرف بالمرّ ، وهو كثير المائية تشبه خضرته بأخضر ما يكون من السلق لا يميل إلَى شيء من السواد . واللّون الثّاني البحري ، وهو في نوع ورق الآس ، وإنّما غلب عليه هذا الاسم لأنّ ملوك البحر من الهند والسند والصين ترغب فيه . والنّوع الثّالث يعرف بالمغربي لأنّ ملوك الغرب من الإفرنجة والأندلس والجلالقة والبَشْكَنش والصقالبة والرُّوس يتنافسون فيه . والنّوع الرّابع يسمّى بالأصمّ ، وهو أدناها وأقلّها ثمنًا لقلّة مائه وخضرته ولكدرته . وأكثر حجارة الزمرّد الخالص (إذا رأته الحيّات) [3] سالت أحداقها ، وإنّ الملسوع إذا سُقي منه

---

530 1) ل : أعلى ـ 2) ل ن : المدني ـ 3) سقطت من ل ـ

وزن دانَق أو دانَقَين أمن علَى نفسه . وقد كانت ملوك اليونانيّين أرباب الحكمة تُفضّله علَى سائر الأحجار طرًّا [4] وأهل العلم يقولون إنّ شعاعه النُّوري وخضرته تقوى بزيادة القمر وامتلائه .

(531)

والبجاة جنس من الحبش ، لهم قلاع كثيرة واسم مدينة ملكهم هجر ، وهم أصحاب إبل ولهم حراب يحاربون بها علَى إبلهم ، وهم عبدة أوثان ، ولهم صنم من حجارة في صورة الصبي يسجدون له ، وأحكامهم أحكام التوراة . ولم يكن للبجاة عهد ولا صلح ، وأوّل من صالَحَهم عُبيد اللّه بن الجبهات [1] ، ويزعم بعض الشيوخ أنّه قرأ في كتاب ابن الجبهات [1] فإذا فيه ثلاثمائة بِكْر كلّ عام حين ينزلون الرّيف مجتازين تجّارًا غير مقيمين علَى أن لا يقتلوا مسلمًا ولا ذِمّيًا ، وإن قتلوا فلا عَهْدَ لهم ، ولا يؤْوا عَبيد المسلمين وأن يردّوا أُباقهم . واسم بلاد البجاة بغلال ، وأوّل ممالك البجاة من حدّ أسوان ومدينتهم يقال لها هجر .

(532)

وأمّا الحبشة فاسم دار مملكتهم كعبر وسمة ملكهم النّجاشي ، وفيها كان الّذي آمن برسول اللّه صلعم ، وهم من ولد حبش بن كوشن بن حام ، وللحبشة مدن كثيرة وعمائر واسعة تتّصل بالبحر الحبشي ، ومن مدائنهم المشهورة مدينة تُسمّى علوة . وساحل الحبشة مقابل لبلاد اليمن ، وهم علَى شاطئ البحر الغربي وأقرب عرض البحر هناك ثلاثة أيّام ، وهو علَى ساحل زَبيد من أرض اليمن ، ومن هذا المكان عبرت الحبشة البحر إلَى اليمن في أيّام ذي نواس ، وهو صاحب الأخدود .

---

530 4) ن : ظفرًا .

531 1) في «فتوح مصر» 189 : الحبحاب .

(533)

وبين هذين الساحلين جزيرة العقل فيها ماء يُعرف بماء العقل يستقي منها أهل المراكب ويفعل في القرائح فعلاً عظيماً ، وذكرت الفلاسفة خواصّ هذا الماء وتأثيره . وقد غلب ابن زياد علَى هذه الجزيرة وله فيها رجال مرتّبون . وفي هذا البحر ممّا يلي بلاد عَدَن جزيرة سُقُطْرة ، وإليها يضاف الصّبر لا يوجد في غيرها ، وقد كتب أرسطاطاليس إلَى الإسكندر يوصيه بهذه الجزيرة ، وأن يبعث إليها جماعة من اليونانيّين يُسكنهم فيها لئلاّ يغلبوا عليها في سائر الأعصر مراعاة للصّبر ، ففعل الإسكندر ذلك فليس في الدّنيا - والله أعلم - موضع فيه قوم من اليونانيّين يحفظون أنسابهم ، لم يداخلهم فيها رومي ولا غيره إلاّ أهل هذه الجزيرة وهم نصارى . ولهذه الجزيرة أخبار عجيبة من خواصّ النبات .

(534)

وبلاد الحبشة واسعة جدًّا ، ويتجهّز إليهم التجّار بالأمتعة من مصر واليمن وما يجاورها من بلاد الزّيْلَع وباضِع وسواكن ودَهْلك . وفي هذه المدائن والجزائر المسلمون والمساجد والحكّام ، ومراكب صاحب زَبيد وعلائقه من ساحل اليمن تختلف إلَى ساحل الحبشة وإلَى بلاد النوبة ، وبينهم وبين الحبشة مهادنة ، ومن بلاد الحبشة إلَى بلاد النوبة مسيرة شهر .

(535)

وللحبشة حذق ومعرفة يتباينون بها من سائر قبائل السُّودان ، وهم أجمل السودان ولهم القناء والكحل والشعور المسترسلة ، وليس فيهم من ذفَر السودان شيء ، وأكثرهم نصارى ، وهم يكوون جباههم ومنهم من يكوي وجهه وعفنونه .

(536)

وفي أقاصي بلاد الحبشة قوم يمشون علَى أربع كالدوابّ ، لا تطول أعمارهم . ومخاطبات الحبشة وجميع ما عندهم من الكتب في فنون العلم إنّما هو في ورق الموز . أخبرني من رأى تواريخها ممّا نُفذ إلَى بلاد الإسلام منها ما يدلّ علَى بقائها وقلّة تغيُّرها .

(537)

وأمّا غير هؤلاء من الحبشة المقدّمين مثل الزّغاوة والكَوْكَو وغيرهم فلهم ممالك هناك قد أتي علَى ذكرها في غير هذا الكتاب .

ذكــــر البــــربر

(538)

وأمّا البربر فإنّ ديارهم كانت فلسطين من بلاد الشّام وكان ملكهم جالوت ، وهذا الاسم سِمة لسائر ملوكهم إلَى أن قتل داود جالوت ، فساروا إلَى بلاد المغرب إلَى موضع يعرف بالونية [1] ومَراقية ، وهما كورتان من كور مصر الغربية ممّا يشرب من ماء السّماء لا ينالها النيل ، فانتشرت هناك فنزلت منهم زناتة ومغيلة وضريسة الجبال من تلك الديار ، ونزلت لواتة أرض برقة وهي بالرومية أنطاليس [2] ، ونزلت هوارة بلاد أطرابلس المغرب وهي مدينة إياس ، ونزلت نفوسة مدينة صبرة . وكانت هذه الديار للإفرنجة فاحتلّتها البربر عنها إلَى جزائر صقلّية وغيرها ، وتفرّقت البرابر في بلاد إفريقية وطنجة إلَى أقاصي بلاد المغرب ، وانتهت إلَى موضع يعرف بقبوسة علَى أكثر من ألفي ميل

538 1) المسعودي 1106 : بالوبية ـ 2) كذا في المخطوطات ـ

من بلاد القيروان . ثمّ تراجعت الإفرنج إلَى مدنهم وعمائرهم علَى موادعة وصلح من البربر ، وآختارت البربر سكنَى [3] الجبال والأودية والرمال وأطراف البراري والقفار وصارت المدائن رومية حتّى افتتحها المسلمون .

(539)

والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمّة : هوّارة وزَناتة وضريسة ونفزة وكتامة ولواتة وغمارة ومَصْمودة ومُزاتة وصدينة ويَصْدُريان [1] ووَرْتَجن [2] وصَنْهاجة وبجكسة وواكلان وغيرهم .

(540)

وقد [اختُلف] في نسبهم ، فزعم بعضهم أنّهم من ولد كنعان بن حام ، وقيل إنّهم أوزاع من اليمن تفرّقوا عندما كان من سيل العَرِم ما كان ، وقيل إنّ أبرهة ذا المنار خلّفهم بالمغرب ، ومنهم من رأى أنّهم من قَيس عيلان ، والله أعلم بحقيقة ذلك . قال الكندي إنّهم من ولد بربر بن قيس بن عيلان ، وقال قوم إنّهم من ولد نيصر ، وقال آخرون من ولد نبيط (بن حام ، فلمّا نزل إخوتهم بمصر خرج بربر بن نبيط) [1] إلَى ناحية المغرب فسكنوا ما وراء عمل مصر ، وهو ما وراء برقة إلَى البحر الأخضر إلَى منقطع الرمل متّصلين بالسُّودان . وقال آخرون إنّهم من ولد لخم وجذام ، وكانت منازلهم فلسطين فأخرجهم منها بعض ملوك فارس ، فلمّا وصلوا إلَى مصر منعتهم ملوك مصر النزول ، فعبروا النيل وانتشروا في البلاد .

---

538 3) ن : سكن .

539 1) عن المسعودي 1104 ، ل ن : يصدران ــ 2) ل ن : وزرجين .

540 1) سقطت من ن .

ذكـــر الواحـــات

(541)

وبلاد الواحات بين مصر والإسكندرية وصعيد مصر وأرض الأحابيش [1] من النوبة وغيرهم ، وصاحبها سنة ثلاثمائة واثنتين وثلاثين رجل اسمه عبد الملك بن مروان ، رجل من لَواتة مرواني المذهب ، ويركب في ألوف من النّاس خيلاً ونجبًا ، وبينه وبين عمائر الحبش ستّة أيّام .
وهو بلد قائم بنفسه غير متّصل بغيره ولا مفتقر إلَى سواه ، وهذه الأرض أرض خصبة راخية ولها عيون حامضة الطعم تستعمل كما يستعمل الخلّ ، وعيون مختلفة الطعوم : المرّ والقابض والحرّيف والملح ، ولكلّ نوع منها منفعة وخاصّية .

ذكـــر الصقـــالب

(542)

الصقالب من ولد ماذاي [1] بن يافث ، ومساكنهم من الشّمال إلَى أن تتّصل بالمغرب . وقال إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي : بلاد الصقالب متّصلة من البحر الشّامي إلَى البحر المحيط إلَى الشمال ، فتغلّب قبائل الجوف علَى بعضها وسكنوا حتّى الآن فيما بينهم ، وهم أجناس كثيرة مختلفة . وقد كانوا فيما سلف يجمعهم ملك سمته ماخا ، وكان من جنس منهم يُدعَى وَلِيتابا [2] وهذا الجنس معظّم فيهم ، ثمّ اختلفت كلمتهم فزال نظامهم وتحزّبت أجناسهم وملّك كلّ جنس منهم ملك . وملوكهم الآن أربعة : ملك البلغارين [3]

---

541 1) ن : الحبشة .

542 1) ل ن : مازان ، والتصحيح عن المسعودي 905 ـ 2) ل ن : وليتيابا ـ 3) ل : البلغاوين ، ن : البلقاوين ـ

وبويصلاو ملك فراغة وبوعة وكراكو [4] ، ومَشْقُه ملك الجوف ، وناقون في آخر المغرب .

(543)

وجاور بلد ناقون في المغرب سكسن [1] وبعض مرمان ، وبلده رخيص الأسعار كثير الخيل ومنها يخرج إلَى غيرها ، ولهم سلاح شاكّ من الدروع والبيضات والسيوف .

(544)

فمن برغ [1] إلَى ما يليه عشرة أميال ، ثمّ إلَى الجسر خمسون ميلاً ، وهو جسر من خشب في طوله ميل ، ومن الجسر إلَى حصن ناقون نحو أربعين ميلاً ، ويسمّى غراد [2] وترجمته الحصن الكبير ، وفي قبل غراد حصن مبني في بحيرة عذبة الماء . وكذلك تبني الصقالبة أكثر حصونهم ، تعمد إلَى المروج الكثيرة المياه والآجام ، فتخطّ فيه خطًا مستديرًا أو مربّعًا قدر ما تريد من شكل الحصن وسعة ساحته ، وتحفر حواليه وتردم بالتّراب المحفور ، وقد أوثق بالألواح والخشب علَى مثال الطوابي حتّى يبلغ السور إلَى الغاية الّتي تريد وتذرع له بابًا من أيّ شقّ شاء ، وتختلف إليه علَى جسر من خشب . ومن حصن غراد إلَى البحر المحيط أحد عشر ميلاً ، ولا تنفذ العساكر في بلاد ناقون إلاّ بالجهد الشّديد ، لأنّ بلده كلّه متمرّج وآجام وحمأة .

---

542 4) ل ن : طركوا ، والتصحيح عن ابن يعقوب ص 12 .

543 1) عن ابن يعقوب ، ل ن : سكنون .

544 1) عن ابن يعقوب 14 ، ل ن : فرغ ـ 2) ل ن : عزان .

(545)

وأمّا بلد بويصلاو فطوله (1) من مدينة فراغة إلَى مدينة كراكو مسيرة ثلاث جمعات ، وهو مجاور في الطول لبلاد الأتراك . ومدينة فراغة مبنية علَى [نهر هناك] (2) بالحجر والجير ، وهي أكثر البلاد متاجر تأتيها من مدينة كراكو الروس والصقالبة بالمتاجر (3) ، ويأتيهم من بلاد الأتراك والإسلام اليهود والترك بالمتاجر أيضًا والمثاقيل (4) المرقّطية ، فيحملون من عندهم الرقيق والقزدير وضروب الأوبار (5) . وبلادهم أطيب بلاد أهل الجوف وأزكاها معيشة يباع القمح عندهم بقنشار ما يكتفي (6) به المرء أشهرًا ، ويباع عندهم الشعير بقنشار علف أربعين ليلة لدابّة ، ويباع عندهم عشر دجاجات بقنشار . وبمدينة فراغة تصنع السُروج واللّجم والدرق المستعملة (7) والمتّخذة في بلادهم .

(546)

وتصنع في بلاد بُويمة (1) مُنيدلات خفاف مهلّلة النسج علَى هيئة الشبكة لا تصلح لشيء ، وثمنها عندهم في كلّ زمان عشرة مناديل بقنشار بها يتبايعون ويتعاملون يملكون منها الأوعية ، وهي عندهم مال وأثمن الأشياء يبتاع بها : الحنطة والرقيق والخيل والذهب والفضّة وجميع الأشياء . ومن العجيب أنّ أهل بويمة سمر سود الشعور ، والشقرة فيهم قليلة .

---

545 1) ل ن : بطوله ـ 2) عن الحميري 86 ـ 3) ن : بالتاجر ـ 4) ل ن : المثاقل ـ 5) ن : الأبار ـ 6) ل ن : يكفي ـ 7) ل ن : المستعجلة .

546 1) ن : ثويمة ، ل : نويمة .

(547)

والطريق من ماذي برغ [1] إلَى بلاد بويصلاو : منه إلَى حصن قليوى عشرة أميال ، ومنه إلَى نوب غراد [2] ميلان ، وهو حصن مبني بالحجارة والصاروج وهو علَى نهر صلاوة ، وفيه يقع نهر بوده [3] ، ومن حصن نوب غراد إلَى ملاّحة اليهود ، وهيَ على نهر صلاوة أيضًا ، ثلاثون ميلاً ، ومنها إلَى حصن بورجين [4] ، وهو علَى نهر ملداوة [5] ، ومنه إلَى طرف الشعراء خمسة وعشرون ميلاً ، ومن أوّلها إلَى آخرها أربعون ميلاً في جبال وأوعار ، ومنها [إلَى] جسر من خشب علَى حمأة نحو الميلين ، ومن آخر الشعراء يدخل مدينة فراغة .

(548)

فأمّا بلد مَشقُّه فهو أوسع بلادهم ، وهو كثير الطعام واللحم والعسل والحرث وجبايته المثاقيل المرقّطية ، وهي أرزاق رجاله في كلّ شهر لكلّ [1] واحد عدد معروف منها ، وله ثلاثة آلاف دارع [2] ، وهم أنجاد [3] تعدل المائة منهم عشر مائة من غيرهم ، ويعطي الرجال الملابس والخيل والسلاح وجميع ما يحتاجون إليه ، وإذا ولد لأحدهم ولد أمر بإجراء الرزق عليه ساعة يولد ، ذكرًا كان أو أنثَى ، فإذا بلغ إن كان ذكرًا زوّجه ودفع عنه النحلة [إلَى] والد الجارية ، وإن كانت أنثَى أنكحها ودفع النحلة إلَى أبيها . والنحلة عند الصقالب عظيمة ومذهبهم فيها كمذهب البربر ، وإذا ولد للمرء ابنتان أو ثلاث فهنّ سبب غنائه ، وإن ولد له ولدان فهو سبب فقره .

---

547 1) عن ابن يعقوب 25 ، ل ن : مازن فرع ـ 2) ل : نرب عذاب ، ن : يرب عذاب ـ 3) ل ن : نوده ـ 4) ل : نورغين ، ن : نورنحين ، والتصحيح عن ابن يعقوب 27 ـ 5) ل ن : ملواوة .

548 1) ل ن : كلّ ـ 2) ل ن : ذراع ـ 3) ن : أجناد .

(549)

ويجاور مَشقُّه في الشرق الروس وفي الجوف بروس ، وسكنى بروس علَى البحر المحيط ولهم لسان علَى حدّة لا يعرفون ألسنة المجاورين لهم ، وهم مشهورون في شجاعتهم ، إذا أتاهم جيش لا يتوارى أحدهم حتّى يلحق به صاحبه ، إنّما يخرج لا يلوي علَى أحد فيضرب بسيفه حتّى يموت . ويعبر عليهم الروس في المراكب من المغرب .

(550)

وفي المغرب من الروس مدينة النساء ولها بسائط ومماليك ، وهنّ يحملن من عبيدهنّ ، فإذا وضعت المرأة ذكرًا قتلته . ويركبن الخيل ويباشرن الحرب ، ولهنّ بأس وبسالة . قال إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي : وخبر هذه المدينة حقّ ، أخبرني بذلك هوته ملك الروم .

(551)

وفي الغرب من هذه المدينة قبيلة من الصقالبة يقال لها أمّة أوبابه ، وهي في غياض من بلاد مشقه ممّا يلي المغرب وبعض الجوف ، ولهم مدينة عظيمة علَى البحر المحيط ، لها اثنا عشر بابًا ولها مرسَى ، وهم يستعملون له شطورًا حرلا [1] . وهم يحاربون مَشقه وشوكتهم شديدة ، وليس لهم ملك ولا ينقادون لأحد ، وإنّما الحكّام فيهم أشياخهم .

(552)

فأمّا ملك البلقارين فقال إبراهيم بن يعقوب : لم أدخل بلده ولكنّي رأيت رسله بمدينة ماذي برغ حين وفدوا علَى هوته الملك ، يلبسون ملابس ضيّقة

---

551 1) كـذا .

ويتمنطقون بأحزمة طوال قد ركّب عليها ترامس الذهب والفضّة ، وملكهم عظيم القدر يضع علَى رأسه التاج وله الكتّاب والأزمّة وأصحاب الخطط وأمر ونهي علَى نظم وترتيب كالمعهود للملوك الأكابر ، ولهم معرفة بالألسن ويترجمون الإنجيل باللسان الصقلبي [1] وهم نصارى .

(553)

قال إبراهيم بن يعقوب : وإنّما تنصّر [ملك] البلقارين [لمّا أغار] علَى بلاد الروم حين حاصر مدينة القسطنطينية حتّى داراه ملكها وأرضاه بجزيل العطاء[1] ، وكان ممّا استرضاه به أن زوّجه ابنته فحملته علَى التنصّر. قال المؤلّف : فيدلّ قول إبراهيم أنّ تنصّره كان بعد ثلاثمائة من الهجرة ، وقال غيره : إنّما تنصّر منهم مَن تنصّر علَى عهد بسيليوس [2] الملك ، وبقوا علَى نصرانيّتهم إلَى اليوم .

(554)

قال إبراهيم : والقسطنطينية من بلقارين في القبلة وتجاورهم أيضًا في الشرق والجوف البجاناكية [1] ، وفي الغرب منها بحيرة بناجية ، وهو خليج يخرج من البحر الشامي بين الأرض الكبيرة والقسطنطينية ، فيحيط بالأرض الكبيرة سواحل رومة وسواحل لنقبردية [2] وينقطع بالفرلانة [3] ، فتصير هذه المواضع كلّها جزيرة واحدة قد أحاط بها البحر الشامي من القبلة ، وذراع بناجية [4] من جهة المشرق والجوف وبقي منها فتح من جهة الغرب .

---

552 1) ل ن : الصقلبي .

553 1) ن : العطايا ـ 2) ل ن : بسبوس .

554 1) ل ن : الجاناكية ـ 2) عن ابن يعقوب 35 ، ل ن : البرقرية ـ 3) عن ابن يعقوب ـ 4) ل ن : بناحيته .

(555)

ويسكن حافّتي [1] هذا الخليج من مخرجه في المشرق [2] من البحر الشامي الصقالبة ، في الشرق منهم البلقارين وفي الغرب غيرهم من الصقالبة ، وهؤلاء الّذين يسكنون في الغرب منه أشدّ بأسًا ، وأهل تلك الناحية يستأمنونهم ويتّقون شدّتهم ، وبلادهم جبال شامخة وعرّة المسالك .

(556)

وبالجملة فإنّ الصقالبة ذوو صولة وبطش ، ولولا اختلافهم بكثرة تفرّع أعراقهم [1] وتفرّق أفخاذهم ما قامت لهم في الشدّة أمّة من الأمم . وسكنوا من البلدان أجزلها ريعًا [2] وأكثرها أقواتًا وهم يجتهدون في الفلاحة وطلب الأرزاق ويفوقون [3] في ذلك جميع أمم الجوف ، وتختلف بتجارتهم في البرّ والبحر إلى الروس والقسطنطينية . وجُلّ قبائل الجوف يتكلّمون بالصقلبيّة لاختلاطهم بهم منهم قبائل الطدشكين والأنقليّين والبجاناكية والروس والخزر .

(557)

وليس يكون الجوع في بلدان الجوف كلّها من القحط وتوالي الجدب ، إنّما يكون من كثرة الغيث وتوالي الجمّة ، ولا يكون المحل عندهم مهلكًا لأنّه لا يتّقيه من أصابه [1] لرطوبة بلادهم وشدّة بردها . وهم يزرعون في فصلين من العام في القيظ والربيع ويرفعون رفعين ، وأكثر زرعهم الدُّخن .

---

555 1) ل ن : حفتي ــ 2) ل ن : المغرب .

556 1) ل ن : أعرافهم ــ 2) ل ن : ربقًا ــ 3) ل ن : ويحوقون .

557 1) ن : إصابة .

(558)

والبرد فيهم سليم وإن تفاقم والحرّ مهلك ، وهم لا يقدمون [1] علَى السفر إلَى بلاد لنقبردية [2] لحرّها لأنّ الحرّ يطغي عندهم فيهلكون ، والسّلامة عندهم إنّما تكون فيما يكون فيه المزاج جامدًا ، فإذا انذاب وفار ذَوَى الجسد ، جاءه [3] الموت من قبل ذلك . وتعمّهم علّتان لا يكاد أحدهم يسلم من إحداهما [4] وهما ريحان : الحمرة والنواصير .

(559)

وهم يجتنبون أكل الفراريج فإنّها تصرعهم بزعمهم وتقوّي عليهم ريح الحمرة ، ويأكلون لحم البقر والإوَزّ فيلائمهم . وهم يلبسون الثّياب الواسعة إلاّ أنّ أردان أكمامهم ضيّقة . ويحجب ملوكهم نساءهم ولهنّ غيرة شديدة عليهم ، ويكون للرجل منهم عشرون زوجة فصاعدًا .
وأكثر أشجار شعابهم [1] التفاح والإجاص والفرشك . وفيها طائر غريب تعلوه خضرة يحكي كلّ ما يسمعه من أصوات الناس والدوابّ وقد يوجد ... فيصيدونه ويسمّى بالصقلبية شبك [2] . وفيها دجاج بريّة تُسمّى أيضًا بالصقلبية تترا ، وهي طيّبة اللحم وتسمع أصواتها من أعالي الشجر علَى فرسخ ، وأكثرها [3] صنفان : سوداء [4] وموشّاة أجمل من الطواويس .

---

558   1) ن : يقدرون ـ 2) ل ن : لنعربدية ـ 3) ل ن : جاءت ـ 4) ل ن : أحدهما .

559   1) ل : شعرائهم ـ 2) عن ابن يعقوب 42 ، ل ن : سبا ـ 3) ل ن : وأكثرهم ـ 4) ل ن : سود .

(560)

ولهم ضروب من المزاهر والمزامير ، ولهم مزمار طوله أكثر من ذراعيّن ، وعودهم [1] عليه من الأوتار ثمانية أوتار ، وباطنه مسطّح لا مقبّب [2] . وأشربتهم وأنبذتهم العسل .

(561)

قال س : والصقالبة أجناس كثيرة فمن أجناسهم أصطُرّانة [1] ودولابة [2] ونامجين ، وهذا الجنس أشجعهم وأفرسهم ، وجنس يقال له سربين [3] وهو عندهم مهيب ، وجنس يقال له مُراوة [4] وخرّواتين [5] وصاصبين وحَشيابين . ومن هذه الأجناس مَن هو ينقاد إلَى دين النصرانيّة علَى مذهب اليعقوبيّة منهم ، ومنهم من لا كتاب له ولا ينقاد إلَى شريعة وهم جاهلية ، وجنس الملك من هؤلاء . والجنس الّذي ذكرنا أنّه يدعَى سربين يحرقون أنفسهم بالنّار إذا مات رئيسهم ويحرقون دوابّهم ، ولهم أفعال مثل أفعال الهند ، وهم يتّصلون بالشرق ويبعدون من الغرب . وهم يطربون ويفرحون عند حرق الميّت ويزعمون أنّ سرورهم وأطرابهم لرحمة ربّه إيّاه .

(562)

ونساء الميّت يقطعن أيديهنّ ووجوههنّ بالسكاكين ، وإذا زعمت واحدة منهنّ أنّها محبّة له علّقت حبلاً وارتقت إليه علَى كرسي ، فتشتدّ به في عنقها ، ثمّ يجذب الكرسي من تحتها فتبقَى مقامة تضطرب حتّى تموت ، ثمّ تحرق وتلحق بزوجها .

---

560 1) ل ن : ومزهر ، والتصحيح عن ابن رسته 144 ـ 2) ل ن : مغيب .

561 1) عن المسعودي 906 ، ل ن : الصبرابة ـ 2) ل ن : الدولانة ـ 3) ل ن : سرنين ـ 4) ل ن : مزازة ـ 5) ل ن : حيرواس .

(563)

ونساؤهم إذا نكحن لم يفجرن إلاّ أنّ البكر إذا أحبّت رجلاً صارت إليه وأقامت عنده شهوتها ، فإذا تزوّجها الزّوج فوجدها عذراء قال لها : لو كان فيك خير لرغب فيك الرّجال ولاخترت لنفسك من يأخذ عذرتك ، فيرسلها ويبرأ منها .

(564)

وبلاد الصّقالبة أشدّ البلاد[1] بردًا ، وأقوى ما يكون ذلك عندهم إذا أقمرت الليالي وأصحت الأيّام ، فحينئذ يشتدّ البرد ويقوى الجمد[2] فتتحجّر الأرض فتجمد[3] الأشربة كلّها وتعرمدت (؟) البئر والفيض[4] حتّى تأتي كالحجارة ، وإذا استثر النّاس علَى لحاهم صفائح الجمد تكون كالزجاج فيعسر[1] تكسّره حتّى يصطلي أو يدخل كنًا . وإذا كان الليل مظلمًا والنّهار مغيّمًا فحينئذ ينجلي الضريب ويفتر البرد ، وفي هذا الوقت تتكسر السُّفن ويهلك من فيها لأنّه يواجهها من جليد أنهار هذه البلاد قطع كالجبال الرواسي ، وربّما ظفر من تلك القطعة الشابّ والجلد من الرجال فيسلم عليها .

(565)

وليس لهم حمّامات ، وإنّما يتّخذون بيوتًا من خشب ويسدّ خَصاصه بشيء يتكوّن علَى أشجارهم يشبه الطُحْلُب يسمّونه عجّ[1] ، وهو مقام الزفت لسفنهم[2] ويبنون كانونًا من حجارة في إحدى زواياه[3] ويفتحون في أعلاه زوزنة تلقاءه لخروج دخانه ، فإذا سخن سدّوا تلك الزوزنة وأغلقوا باب البيت ، وفيه غاصب[4] الماء وصبّوا من ذلك الماء علَى الكانون المحتمي

---

564 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : الجهد ـ 3) ل ن : فتحسن ـ 4) ل ن : البيض .

565 1) كذا ـ 2) ن : لسفيهم ـ 3) ل ن : زاوية ـ 4) كذا ، وربما الصواب : مناصب .

وترتفع أبخرته . ويكون بيد كلّ واحد منهم ضغث من حشيش يحرّك به الهواء ويجذبه إلَى نفسه ، فتنفتح مسامّهم ويخرج فضول أجسامهم فتجري منهم السيول . ولا يكون علَى أحدهم أثر جرب ولا قرح ، وهم يسمّون هذا البيت الأطبا .

(566)

وملوكهم يسافرون بالعجل العظام العالية الجارية علَى أربعة أفلاك وقوائم ، في زواياها أربعة أعمدة وثيقة ، وعلّق منها هودج بسلاسل حصينة وكسي بالديباجِ ، فلا يتقلقل الجالس فيه تقلقل العجلة ، يعدّونه للمرضَى والجرحَى . والصقالبة تحارب الروم والإفرنج والنوكبرد وغيرهم من الأمم ، والحرب بينهم سجال .

ذكـــر الإفـــرنجة

(567)

الإفرنجة مِن ولد يافث هم والجلالقة والصقالبة والنُّوكُبَرْد والأَشْبان والترك والخزر وبُرجان واللاَّن وياجوج وماجوج . والإفرنجة تدين بدين النصرانية برأي الملكية منهم ، ودار مملكتهم الآن بريزة (1) ، وهي مدينة عظيمة ، ولهم من المدائن نحو من خمسين ومائة مدينة . وقد كانت مملكتهم قبل ظهور الإسلام بإفريقية وجزيرة صقلّية وجزيرة إقريطش ، وهي للمسلمين الآن . وأوّل ملوكهم قلّوديه ، وهو أوّل من تنصّر ، وكان مجوسيًّا نصّرته امرأته واسمها غُرْطِلْد (2) . وملكهم الآن سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة لُذْويق (3) بن قارله (4) ، وهذان اسمان يتكرّران في ملوكهم .

---

567 1) ل ن : بويرة ، والتصحيح عن المسعودي 911 ـ 2) ل ن : غرطلة ـ 3) عن المسعودي 916 ، ل ن : موريق ـ 4) ل ن : قاربة .

(568)

وهم حرب للإفرنجة إلاّ أنّ الجلالقة أشدّ منهم بأسًا وهم أشدّ علَى الأندلس من جميع الأمم . ورأيهم رأي الملكية أيضًا ، ومن ملوكهم ألفونش ثمّ أردون [1] ثمّ رُذْمِير الّذي كان زمن عبد الرحمان بن محمّد .

(569)

ولمّا قتل عبد الرحمان وزيره أحمد بن إسحاق ـ وهو من ولد أبيه ـ [1] لأمر استحقّ عليه بالشريعة القتل عصَى أخوه أميّة بن إسحاق بن محمّد بن عبد الرحمان ، وكان صاحب شنّترين ، وصار في حيّز رُذْمير يدلّه [2] علَى عورات المسلمين . فخرج أميّة متصيّدًا ، فغلب علَى المدينة بعض غلمانه ومنعه من الدخول ، وكاتب عبد الرحمان ولحق أميّة برُذْمير واستوزره ورفعه . وغزا عبد الرحمان بعض سَمُّورة دار مملكة الجلالقة ، وسنذكرهما مع الأمصار إن شاء الله . وكان عبد الرحمان في مائة ألف وأزيَد ، فكان التقاؤه مع ردمير في شوال سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعد الكسوف الّذي كان في هذا الشهر بثلاثة أيام ، فكانت للمسلمين عليهم ، ثمّ ثابوا بعد أن حوصروا ، فقتلوا من المسلمين نحو خمسين ألفًا . وقيل إنّ الّذي منع ردمير من طلب مَن نجا من المسلمين أميّة وحذّره الكمين ورغبه في انتهاب ما في العسكر من العدد والأموال والخزائن ، ولولا ذلك لأتى علَى المسلمين .

---

568 1) ل ن : أردوي .

569 1) ل ن : أخيه ـ 2) ن : يدخله .

(570)

ثمّ إنّ أميّة استأمن عبد الرحمان [بعد ذلك وتخلّص من ردمير ، فتقبّله عبد الرحمان] [1]. أحسن قبول . وقد كانت لعبد الرحمان بعد هذه النوبة وقائع كثيرة في الجلالقة قتل منهم فيها أضعاف [ما قتل من] [1] المسلمين ، وهي للمسلمين عليهم إلى وقت التأريخ .

وتليهم أمّة عظيمة يقال لها وشكنش .

ذكـــر النُّوكُبَـــرْد [1]

(571)

بلادهم متّصلة بالمغرب ، واسم ملوكهم في سائر الأعصار أداكيس [2] ، ومدينتهم العظمَى ودار مملكتهم بنبنّت [3] ويخرقها نهر عظيم يقال له سانيط ، وهو أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب .

وكان ممّن جاورهم من المسلمين من بلاد (الأندلس والمغرب) [4] وغيرهم غلبوهم علَى مدن كثيرة مثل مدينة باري [5] [ومدينة طارنطو] [6] ومدينة سردانية [7] وغيرها من مدنهم الكبار ، سكنها المسلمون مدّة من الزمان ، ثمّ غلب النوكبرد عليها ، فهي بأيديهم الآن . ولهم جزائر كثيرة ، وهم ذوو بأس وشدّة .

---

570 1) عن المسعودي 919 .

571 1) ل ن : النوكبر ـ 2) عن المسعودي 920 ، ل ن : نكيش ـ 3) ل ن : ثبت ـ 4) ل ن : المسلمين ـ 5) ل ن : ثاري ـ 6) عن المسعودي ـ 7) ل ن : سيدنية .

(572)

فأمّا الكرد فقد تنازع الناس فيهم ، فمنهم من رأى أنّهم من ربيعة ، ومنهم من رأى أنّهم من مُضر من ولد كُرد بن مَرد [1] بن صَعْصَعة بن هَوازِن ، انفردوا في قديم الزمان لوقائع كانت بينهم وبين غسّان وانضافوا إلَى الجبال وجاوروا مَن هناك من الأعاجم فخالفوا عن لسانهم وصارت لغتهم أعجمية . ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود حين سلب ملكه ووقع الشيطان المعروف بالجسد علَى إمائه المنافقات ، لأنّ اللّه عزّ وجلّ عصم منه المؤمنات . فلمّا ردّ اللّه عزّ وجلّ علَى سليمان مُلكه أخرج الإماء الحوامل من الشيطان فقال : اكردوهنّ في الجبال . فوضعن هناك وتناسلوا ، فذلك بدء الأكراد . ومنهم من رأى أنّ الضحّاك ذا الأفواه المقدّم ذكره كان يقتل كلّ يوم رجلين يطعم أدمغتهما للحيّتَين اللّتين كانتا في كتفيه علَى ما تقدّم ذكره ، فكان وزيره يذبح رجلاً وكبشاً كلّ يوم ويخلط أدمغتهما ويستحيي رجلاً ويطرد من يخلص منهما إلَى الجبال ، فهم الأكراد .

(573)

ق : يزعم أنّ الأكراد فضل طعام بيوراسف لأنّه كان يذبح كلّ يوم إنسانين ويتّخذ من لحومهما طعامه ، وكان وزيره يُدعَى أرمائيل ، فكان يذبح واحداً ويستحيي واحداً يبعث به إلَى جبال فارس ، فتوالدوا هناك .

---

572 1) ل ن : مرة ، والتصحيح عن المسعودي 1113 .

(574)

س : ومن أجناس الأكراد : الشُوهَجان [1] والماجُردان والماذَنْجان والكيكان والبارسان [2] والمُستَاكان [3] وغيرهم ، وهم بأرض الدينَوَر وهمدان وبلاد آذَرْبَيْجان وبلاد الشام وبأرض الموصل إلَى جبل الجُودي ، وهؤلاء نصارى علَى رأي اليعقوبيّة .
ومن الكرد خوارج علَى رأي البراءة عن عثمان وعلي رضي اللّه عنهما .

(575)

وموضع الكرد الّذي فيه أوّلهم ما بين أرض يهودا من أرض الشّام وما بين جزيرة العرب ، وقد ذكره أبو نصر الجيهاني وغيره .

ذكـــر ملـوك اليمـــن

(576)

س : تنازع الناس في اليمن بما سمّي ، فقيل لأنّه عن يمين الكعبة ، والشّام لأنّه شمالها ، والحجاز لأنّه حاجز بينهما ، والعراق لمصبّ الأنهار إليه دجلة والفرات وغيرهما ، مأخوذًا من عراقي [1] الدّلو وعراقي [1] القربة .
وقيل : سُمّي اليمن ليمنه والشّام لشُؤمه [2] ، وقيل سمّي شامًا لشامات في أرضه بيض وسود ، وذلك في التّراب والبقاع ، وهذا قول الكلبي . وقال الشرقي : سمّي بسام بن نوح لأنّه أوّل مَن نزله ، فلمّا نزلته العرب تطيّرت [3] من أن تقول سام ـ والسام هو الموت ـ فقالت شام .

---

574 1) ن : الشوبجان ـ 2) ل ن : المارسان ـ 3) عن المسعودي 1118 ، ل ن : المسكان .

576 1) ل ن : عراق ـ 2) ن : لشامة ـ 3) ل ن : تطايرت .

(577)

وقد اختلف الناس في أنساب اليمن ، وهم يثبتون لا يختلفون أنّهم من قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح . س : شالخ بن قينان [1] بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح علَى ما تقدّم . قال س : وهذا ينقله الباقي عن الماضي . وقد زعم هيثم أنّ قحطان هو جُرهُم وتأوّل قول النبي صلعم للأنصار : ارموا يا بني إسماعيل أنّه نسبهم إليه من جهة الأمّهات وما نالهم من الولادات . والكلبي وشرقي بن قطامي يذهبان إلَى أنّه قحطان بن الهَمَيْسَع بن نبت ، وهو نابت بن إسماعيل ، وولد قحطان تأبى هذا .

(578)

س : وأوّل من ملك من ملوك اليمن سَبَأ بن يشجب ، واسمه عبد شمس وسُمّي سبأ لسبيه سبيًا ، وسئل رسول اللّه صلعم عن سبأ هذا رجل هو أم امرأة أو مكان فقال : رجل وُلِدَ له عشرة فتشاءم أربعة : لَخْم وجُذام [وعامِلة] [1] وغَسّان ، وتيامن ستّة : حِمْيَر والأزْد [2] ومَذْحِج والأشْعرون وكِنْدة [وأنمار] [1] ، وهم بجيلة وخَثْعم .

فملك سبأ أربعمائة وثمانين سنة ، ثمّ ملك ولده حِمْيَر ، وكان أشجع الناس وأجملهم ، وهو أوّل من صنع التّاج من ملوك اليمن ، وملك خمسين سنة .

(579)

ثمّ ملك بعده أخوه كهلان بن سبأ ، ثمّ عاد المُلك إلَى ولَد حِمْيَر فلم يزل فيهم .

---

577 1) ل ن : قيلان .

578 1) عن المسعودي 998 ــ 2) ل ن : والأسد .

(580)

فملك بعد كهلان الحارث الرائش بن [شداد ، ثمّ ملك جبّار بن غالب بن يزيد بن كهلان ، ثمّ ملك بعده الحارث بن] [1] مالك بن إفريقش بن صيفيّ بن يشجب ، ثمّ توالت مملكتهم علَى ما ذكرنا إلَى أن انتهت إلَى ذي نواس .

(581)

فجازت إليه الحبشة بساحل زبيد من أرض الغمر وصاحبهم أرياط [1] عظيم من عظمائهم ، وكان في عهد ملك الحبشة إليه : إذا دخلتَ اليمن فاقتل ثُلث رجالها وخرب ثُلث بلادها وابعثْ بثُلث نسائها . فلمّا تلاحق الحبشة قام أرياط في جنده خطيبًا فقال : يا معشر الحبشة قد علمتم أنّكم لن ترجعوا إلَى بلادكم أبدًا ، هذا البحر بين أيديكم ، إن دخلتموه غرقتم وإن سلكتم البرّ هلكتم ، وليس لكم إلاّ الصبر حتّى تموتوا أو تظفروا بعدوّكم . فجمع ذو نواس جمعًا كثيرًا ثمّ صار إليه فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فكانت الدائرة للحبشة فظفر أرياط فقتل أصحاب ذي نواس وانهزم في كلّ وجه . فلمّا خشي ذو نواس أن يؤسّر ركض فرسه في البحر ، فكان آخر العهد به .

(582)

ودخل أرياط اليمن فقتل ثُلث رجالها وبعث ثلث السبي إلَى ملك الحبشة وخرّب ثلثها وهدّم حصونها ، وكانت تلك الحصون بنتها الشياطين في عهد بلقيس ، واسمها ملقة ، وكان ممّا خرّب منها بينون [1] وغمْدان وسِلحين ،

---

580 1) عن المسعودي 1001 .

581 1) ن : أبرياط .

582 1) ل ن : بلنون ، والتصحيح عن الطبري 125/2 .

حصون لم يُر مثلها . فقال الحميري أبياتًا يذكر ما دخل علَى حمير من الذلّ [بسيط] :

بدَمعِها لَنْ تَرُدَّ العَيْنِ مَا فاتا   لا تَبْكِيَنّ أَسَفًا فِي أثرِ مَن ماتا
أَبَعْدَ سِلْحِين لا عَيْنٌ ولا أَثَرٌ   وبَعْدَ بَيْنُون يَبْنِي النَّاسُ أَبْيَاتا

وكان علَى الحبشة أرياط بن أصحم ، فبقي والي اليمن عشرين سنة إلَى أن وثب عليه أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، وهو من الحبشة ، وكان له كالوزير .

(583)

قال أبو الفرج : فلمّا ظفر أرياط أخذ الأموال وأظهر العطايا في قومه أهل الشرف والغَناء ، فغضب له الحبشة من ترك أهل الفقر وأذلّهم وأجاعهم وأتعبهم في العمل وكلّفهم ما لا يطيقون ، وشكا بعضهم إلَى بعض . قال لهم عند ذلك أبرهة : لو أنّ رجلاً غضب لكم لأسلمتموه حتّى يذبح كما تذبح الشاة . قالوا [1] : لا والمسيح ما كنّا لنسلمه أبدًا . فواثقوه بالإنجيل لا يسلموه حتّى يموتوا عن آخرهم . فنادى مناديه فيهم فخرجوا معه بالسلاح الّتي كانوا يعملون بها ويهدمون [بها] [2] المدن [3] والمعاول والكرازين والمساحي ، ثمّ صفّوا صفًّا بالمعاول وصفًّا آخر بالمساحي بإزائه .

وأُخبر أرياط بما صنع أبرهة ، فركب في الملوك ومن يتبعه من أشياعهم ، فلبسوا السلاح وجاؤوا بالفيلة حتّى إذا دنا بعضهم من بعض برز أبرهه فنادى بأعلَى صوته : يا معشر الحبشة اللّه ربّنا والإنجيل كتابنا وعيسَى نبيّنا والنجاشي ملكنا ، علامّ نقتل بعضنا بعضًا ؟ هذا رجل وأنا رجل ، فخلّوا بيننا وبينه ، فإن قتلني كان الملك وإن قتلته عملت فيكم بالإنصاف ما بقيت . فقال الملوك : قد أنصفك يا أرياط . وكان أرياط قد عُرف بالشجاعة والنجدة

---

583   1) ن : قال ـ 2) عن كتاب الأغاني 73/16 ـ 3) ن : البدن ـ

وكان جميلاً ، وكان أبرهة قصيرًا ذميمًا منكر الفؤاد ، فاستحيَى أرياط من الملوك أن يجبن ، فبرز بين الصفّين ومشَى كلّ واحد منهما إلَى صاحبه ، فحمل أرياط علَى أبرهة فضربه ضربة وقع منها حاجبه وعامّة أنفه ، فعمد أبرهة إلَى عمامته فشدّ بها وجهه وسكن الدم ، وأخذ عودًا وجعله في فيه وقال : أيها الملك أنا شاة فاصنع ما بدا لك فقد أبصرت أمري . ففرح أرياط ، فلمّا رأى أبرهة أرياط قد انكسر عنه وهو ينظر يمينًا وشمالاً لأن تراه ملوك الحبشة شدّ عليه . وكان أبرهة قد أبطن فخذه خنجرًا كأنّه [خافية نسر] [4] ، فطعنه طعنة من فرج الدرع أثبته فخرّ علَى قفاه ، وقعد أبرهة علَى صدره فأجهز عليه . فسمّي أبرهة الأشرم من ذلك اليوم من تلك الضربة الّتي ضربت وجهه .

(584)

وملك اليمن أبرهة ، فلمّا بلغ ذلك النجاشي حلف بالمسيح أن يجزّ ناصيته ويريق دمه ويطأ تربته ، يعني أرض اليمن . فبلغ ذلك أبرهة فجزّ ناصيته وجعلها في حُقّ وجعل من دمه في قارورة وجعل من تراب اليمن في جراب [1] وضمّ ذلك في هدايا كثيرة وألطاف جمّة ، وكتب إليه يعترف بالعبودية ورغّب إليه أن يبرّ قسمه بما بعث إليه ، فيجزّ ناصيته بيده ويريق دمه ويطأ تربته ، فصفح عنه النجاشي . وكان ذلك في زمان قُباذ ملك الفرس .

(585)

وسار أبرهة إلَى مكّة لخراب الكعبة لأربعين سنة خلت من ملك أنوشروان وبعث معه ثقيف بأبي رِغال ليدلّه علَى أسهل الطريق ، فقُتل أبو رِغال في

---

583 4) عن كتاب الأغاني .

584 1) ل ن : تراب .

طريقه ذلك في موضع يقال له المُغَمَّس بين الطائف ومكّة ، فلم يزل قبره يُرجم إِلَى يوم القيامة . قال جرير [وافر] :

إِذَا ماتَ الفَرَزْدَق فَارْجُمُوه كما تَرْمون قَبْرَ أَبِي رِغَال

(586)

وقد قيل في أبي رغال إنّ ثقيفًا قتلته شنيعة ، ولذلك سمّي قسيًا [1] ، وذلك أنّ صالحًا النبي صلعم بعثه مصدّقًا ، فأساء السيرة وحنف ، ولذلك يقول [أميّة بن أبي الصلت الثقفي] [2] [وافر] :

نَفَوْا عَنْ أَرْضِهِمْ عَدْنَانَ طُرًّا وكانُوا لِلْقَبائِلِ قَاهِرِينا
وَهُمْ قَتَلُوا الرَّئِيسَ أَبَا رِغَال بِمكّة إذْ يَسُوقُ بِها الوَضِينا

(587)

س : وفي طريق العراق إِلَى مكّة بين الثعلبية [1] والهبير قبر ترجمه المارّة كما يرجم قبر أبي رِغال ، فيعرف بقبر العِبادي وله حديث طويل . وكان قدوم أصحاب الفيل لسبع عشرة ليلة خلت من المحرّم سنة ثمانمائة واثنتين وثلاثين للإسكندر . وأهلك اللّه أبرهة ، فكان ملكه إِلَى أن رجع من الحرم - وسقطت أنامله وتقطّعت أوصاله - ثلاثًا وعشرين [2] سنة .

(588)

ثمّ ملك ابنه مسروق بن أبرهة ، فزاد علَى الناس في الأذى والمكروه . قال أبو الفرج : وأمّه ريحانة امرأة ذي يزن أمّ سيف بن ذي يزن . قال أبو الفرج :

---

586 1) ن : قيسًا - 2) عن المسعودي 1012 .

587 1) ل ن : التغلبية - 2) المسعودي 1014 : ثلاثًا وأربعين .

ولمّا طال البلاء علَى أهل اليمن مشوا إلَى سيف بن ذي يزن الحميري فقالوا له : نجد خبرًا عن سطيح أنّ هذا البلاء يفرج علَى يدي رجل من أهل بيت ذي يزن ، وقد رجونا أن تدرك بثأرنا . فأنعم لهم بالخروج ، فخرج إلَى قيصر ملك الروم وكلّمه أن ينصره علَى الحبشة ، فأبَى وقال : هم علَى ديني وأنتم علَى دين يهود . فخرج من عنده مؤيّسًا من نصرته وسار إلَى كسرى . فانتهَى الَى النعمان بن المنذر بالحيرة فدخل عليه فأخبره بما لقي قومه من الحبشة ، فقال له : أقم فإنّ لي من كسرى أذنًا في كلّ سنة ، وقد حان ذلك . فخرج وأخرج معه سيف بن ذي يزن فأدخله علَى كسرى ، فشكا إليه الحبشة فقال : غلبونا علَى بلادنا واستعبدنا السودان . فقال له كسرى : بلادك بعيدة ولا أرسل معك جيشًا في غير منفعة ، فأيأسه [1] من النصرة وأمر له بعشرة آلاف [درهم] [2] وكساه كساء . فلمّا خرج بها من باب كسرى نثرها بين العبيد والخدم ، فبلغ ذلك كسرى فأمر بصرفه إليه وقال : ما حملك أن تصنع بجائزة الملك ما صنعت ؟ فقال سيف : جبال أرضي [3] ذهب وفضّة ، وإنّما جئت إلَى الملك ليمنعني من الضيم ولم آته ليعطيني الدراهم ، ولو أردت المال كان ذلك عندي كثيرًا . فقال كسرى : أنظر في أمرك .

(589)

قال المسعودي : فتشاغل عنه . قال المؤلّف شغل عنه بحرب الروم وغيرها إلَى أن هلك سيف ، فأتَى معدي كرب بن سيف يستنجز منه عِدَتَه لأبيه . هذا قول أبي الحسن المسعودي ، والجمهور علَى خلافه من أنّ سيف بن ذي يزن هو الّذي أباد الحبشة وتملّك اليمن . قال : فوجّه معه كسرى وَهْرِز الديلمي ، وكان راميًا شجاعًا ، مع ما كان في بلاده من أهل السجون ، وقال : إن هلكوا فلنا وإن فتحوا فلنا . فحملوا في السفن في [1] دجلة ومعهم خيولهم

588 1) ل ن : فأيسوه ـ 2) عن كتاب الأغاني ـ 3) ن : الأرض .

589 1) ل ن : من ، انظر المسعودي 1016 ـ

وعددهم ، حتّى نزلوا أُبلّة البصرة ـ ولا بصرة هناك ولا كوفة إذ ذاك لأنّها إسلامية ـ فركبوا من هناك البحر إلَى ساحل حضرموت فنزلوا موضعًا يقال له مَثّوب (2) ، فأمر وَهْرِز بتحريق السفن لئلاّ يؤمّلوا المفرّ . وفي ذلك يقول رجل من حضرموت [رجز] :

أصبح في مَثّوبَ ألفٌ في الجُنَن (3) ... مِنْ رَهْطِ ساسان ورَهطِ مِهْرَسَن (4)
لِيُخْرِجوا (5) السُّودانَ مِنْ أرْضِ اليَمن ... دَلَّهُم قَصْدَ السَّبيل ذُو يَزَن

(590)

قال أبو الفرج : وقال وهرز لسيف : ما عندك فقد جئنا بلادك . فقال : ما شئت من قوس ورجل عربي ، ثمّ أجعل رجلي مع رجلك حتّى نظفر جميعًا أو نموت جميعًا . فقال : أنصفت .

(591)

وجعل سيف يستجيش اليمامة ونمَى خبرهم إلَى مسروق بن أبرهة ، فأتاهم بمائة ألف من الحبشة وأوباش اليمن ، فتصافّ الناس ومسروق علَى فيل عظيم ، ثمّ نزل عنه إلَى فرس استصغارًا لهم ، ثمّ نزل عنه وركب حمارًا ، فقال وَهْرِز : ذهب ملكه تنقل من كبير إلَى صغير . وكان بين عينيه ياقوتة حمراء معلّقة من تاجه تتّقد كالنار ، فرماه وهرز ورمَى القوم .

---

589 2) عن المسعودي ، ل ن : منوف ـ 3) ل ن : الجبن ـ 4) ل ن : وهرزن ـ
5) ل ن : ليخرجن .

(592)

قال أبو الفرج : وتّر وهرز قوسه ، وكان لا يوتّرها أحد غيره ، (وأخذ النُّشّابة وجعل فوقها في الوتر ، ثمّ نزع فيها حتّى ملأها) [1] ، فظلّ السهم يهوي حتّى صكّ الياقوتة الّتي كانت معلّقة بين عيني مسروق فتغلغلت النُّشّابة في رأسه حتّى خرجت من قفاه .

(593)

قال أبو الحسن : قال وَهْرِز : قد رميته ، فإن كان أصحابه يجتمعون إليه ولا يتفرّقون عنه فهو حيّ ، وإن يجتمعون إليه ويتفرّقون عنه فهو ميّت . فقال : احملوا عليهم واصدقوهم القتال . ففعلوا فانكشفت الحبشة فقُتل منهم نحو ثلاثين ألفًا . ورُفع رأس مسروق ورؤوس [1] خواصّه علَى أطراف الرماح . وألبس وهرز مَعْدي كرِب تاجًا بعثه معه أنُوشِرْوان ، وكان أنوشروان قد شرط علَى معدي كرب تاجًا فبعثه إليه مع شروط منها أن يتزوّج فيهم الفرس ولا يتزوّج إليهن في الفرس .

(594)

قال أبو الفرج : فلمّا قُتل مسروق أقبل وَهْرِز يريد صنعاء ، وكان التقاؤهم خارجها . وكان اسم صنعاء قبل الحبشة إيال [1] ، وكانت الحبشة لمّا بنتْها وأحكمتها قالت العرب صنعة [2] ، فسمّيت صنعاء . فلمّا دنا وهرز من باب المدينة قال : لا تدخل [3] رايتي منكوسة أبدًا ، اهدموا الباب ، ودخل

---

592 1) عن كتاب الأغاني ، ل ن : ثمّ نزع منها أبدًا .

593 1) ل ن : رأس .

594 1) عن كتاب الأغاني ، ل ن : أثال ـ 2) ن : صنعا ـ 3)ن : تدخلوا .

برايته قائمة فقال سيف : ذهب ملك حمير إلَى آخر الدهر لا يرجع إليهم أبدا .

(595)

فكانت مدّة ملك الأحابيش باليمن اثنتين وسبعين سنة ، وكان هذا الفتح لخمس وأربعين عامًا من ملك أنوشروان . وفي نصر فارس اليمن علَى الحبشة يقول (بعض أولاد فارس) [1] [خفيف] :

نَحْنُ خضنا البِحارَ حتّى فككْنا حِميْرًا مِنْ بَلِيّةِ السُّودان
فقتلْنا مَسْرُوقا إذْ تاهَ لمّا [2] إذ تَداعَتْ قَبائلُ الحُبْشان
وفلّقنا ياقُوتَةَ بيْنَ عيْنَيْهِ بنُشّابةِ الفتَى السّاسَاني

(596)

فأقبلت وفود العرب تُهنّي معدي كرب فيهم عبد المُطّلب بن هاشم وأميّة بن عبد شمس و [خويلد بن] [1] أسد بن عبد العزّى و [أبو زمعة جدّ أميّة بن] [2] أبي الصلت الثقفي ، فدخلوا عليه وهو في أعلَى قصره المعروف بغُمْدان بمدينة صنعاء ، وعن يمينه ويَسَاره الملوك وأبناؤهم . فتكلّمت الخطباء ، وكان أوّلهم عبد المطّلب ، فأحسن فقال معدي كرب : مَن المتكلّم ؟ فقيل : عبد المطّلب بن هاشم . فقال : ابن أختنا ؟ قال : نعم . فأدناه وقرّبه وقال : مرحبًا وأهلاً وناقة ورحلاً ومستناخًا سهلاً وملكًا رِبْحَلا يعطَى عطاءً جزلاً . ثمّ قال : قد سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم ، فلكم الكرامة ما أقمتم والحبا إذا ظعنتم . ثمّ أنشده أبو الصلت ،

---

595 1) سقطت من ن ـ 2) عن المسعودي 1020 ، ل ن : عجبًا .

596 1) عن المسعودي 1022 ـ

وقيل أبو زُمعة جدّ أُميّة [بسيط] :

لِيَطْلُب الوتْر أمثالَ ابن ذِي يَزَن   يلجّ[2] في البَحْرِ أحْوَالاً وأحْوالا [3]

أرْسَلْتَ أُسدًا علَى سُود الكِلاب فقد   أمْسَى شَرِيدُهم في الأرض فُلّالا

فاشرب هَنيئًا عليك التَّاج مُرْتَفعًا   في رأس غُمْدان دارًا منك[4] مِحْلالا

(597)

قال أبو الفرج : وإنّما قال أبو الصلت « اشرب هنيئًا » لأنه كان آلى ألاّ يشرب خمرًا ولا يمسّ امرأة ولا طيبًا حتّى يدرك ثأره من الحبشة . فجعلت له حلّتان واستعان فأتّزر بواحدة وارتدى بالأخرى وتطيّب وجلس علَى رأس غمدان يشرب وبرّت قسمته . وخرج بعد ذلك يتصيّد (فلقيته وقتلته)[1] الحبشة . ولمَعْدي كرِب مع عبد المطّلب كلام كثير في أمر النبي صلعم حين بشّر[2] به معدي كرب وخبّره عمّا يكون من أمره .

(598)

فكان ملك معدي كرب إلَى أن قتلته الحبشة أربع سنين ، وهو آخر من ملك اليمن من قحطان ، فعدد ملوكهم [سبعة وثلاثون][1] ملكًا ومدّة ملكهم [ثلاثة آلاف سِتة ومائة وتسعون][1] سنة ، وقيل أقلّ من ذلك. فلمّا قتل معدي كرب بعث أنوشروان وهرز في أربعة آلاف فارس لإصلاح أمر اليمن وأن لا يبقَى بها أحد من بقايا الحبشة ، فلم يترك بها أحدًا من السودان . وبقي وهرز بصنعاء إلَى أن هلك .

---

596 2) ل ن : لجج ـ 3) ل ن : للأعداء ـ 4) ل ن : دار أمّك .

597 1) سقطت من ن ـ 2) ل ن : بشره .

598 1) عن المسعودي 1026 .

(599)

ثمّ تداولت اليمن عمّال الأكاسرة إلَى أن أتى اللّه بالإسلام ، فهؤلاء ملوك اليمن من العرب والحبشة والفرس ، وكان أكثر نزول ملوك حِمْير من اليمن ظفار ، وعلَى باب ظفار مكتوب بالقلم الأوّل علَى حجر أسود [خفيف] :

يومِ شيدت ظفار قيل لمن أنتِ قالت لحمير الأخيار
ثمّ سيلت من بعد ذلك فقالت إنّ ملكي للأحبش الأشرار
ثمّ سيلت من بعد ذلك فقالت إنّ ملكي لفارس الأحرار
ثمّ سيلت من بعد ذلك فقالت إنّ ملكي لحمير سحّار
وقليلاً ما يلبث القومُ فيها غير تشييدها لجاف البوار
من أسود يلقيهم البحر فيها تشعل النار في أعالي الجدار

(600)

وعند أهل اليمن أنّ ديارهم تتغلّب عليها الأحابيش آخر الزمان من بعد هنات وإنات وكوائن وأحداث .

(601)

وحدّ اليمن في العرض ممّا يلي مكّة بطيخة الملك إلَى عدن ، وهي آخر عمله ، ست عشرة مرحلة ، والطول من (وادي وَحا) (1) إلَى مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة ، والمرحلة ستّة فراسخ .

---

601 1) ل ن : من حكا وحكم ، والتصحيح عن المسعودي 1034 .

(602)

أقام جَذِيمة ملكًا أزمان ملوك الطوائف [1] خمسًا وتسعين سنة وفي ملك السَّاسانيّة ثلاثًا وعشرين سنة ، وكان سكنه بالمَضِيق [2] بين بلاد الحانوقة وقرقسية [3] وكان يُكنّى بأبي مالك ، وفيه يقول سُوَيْد [4] بن أبي كاهل [رمل] :

إن أذُق حَتني فقبْلي ذاقَه طَسمُ عاد وجَديسٍ ذُو الشَّنَع [5]
وأبُو مالِك الكهل [6] الّذي قتلته بنت عَمْرو بالخُدَع

يعني الزَّبّاء ابنة عمرو من بني سُمَيْدَع بن هوبر ، وكان ملكًا على مشارق الشام من قبل قيصر. قال : وكان على الحيرة ثمّ ملكته بعد أبيها .

(603)

وأمّا تزويجه لأخته من عدي بن نصر بن ربيعة بن مالك بن خثعم بن نُمارة بن لَخْم ، ويقال عمرو بن عدي بن نصر بن السّاطرون بن أُسيطرون [1] ملوك الحضر ، ثمّ النصريين [2] ، صحّ من السفْر الثاني ، فإنّ أخته رَقاش تعشّقته فقالت له : يا عدي إذا سَقيتَ القومَ فامزج لهم وصرّح لأخي [3] ، فإذا انتشَى فاخطبْني إليه ، ففعل ذلك وزوّجه ، فأشهد عليه وانصرف الغلام [إليها فأنبأها] [4] فقالت له : عرّس بأهلك ، ففعل . فلمّا أصبح غدا جَذيمة ، وهو مضمّخ بالخلوق ، فقال له جذيمة : ما هذه الآثار يا عدي ؟

---

602 1) ن : الطائف ـ 2) عن المسعودي 1036 ،ل،ن : بالصين ـ 3) ل،ن : القرطيسا ـ 4) ل،ن : زيد ـ 5) ل،ن : الشيع ـ 6) ل،ن : الملك .

603 1) ل،ن : استطرون ـ 2) ل،ن : النصرانيين ـ 3) ن : لهم ـ 4) عن المسعودي 1039 ـ

قال : آثار عرس . قال : وأيّ عرس ؟ قال : عرس رَقاش . فنخر [5] جذيمة وأكبّ علَى الأرض ورفع عدي [6] جراميزه وأسرع الفرار ، وجدّ جذيمة في طلبه ولم يقع له علَى خبر. وقيل إنّه ظفر به فقتله وبعث جذيمة إلَى رَقاش فقال لها [خفيف] :

خبرِيني رَقاش لا تكْذِبيني   أبحرٌّ زَنَيْتِ أمْ بِهَجِين
أمْ بِعَبْدٍ فأنْتِ أهْلٌ لِعبدٍ   أمْ بِدُونٍ فأنْتِ أهْلٌ لدون

قال : فكتبت إليه رقاش [خفيف] :

أنْتَ زَوَّجْتَنِي وما كُنْتُ أدْرِي   وأتانِي النِّساء للتّزيينِ
ذاكَ مِنْ شُرْبِك المُدامة صِرْفًا   وتماديك في الصِّبَى والمُجونِ

فنقلها جذيمة إليه وحصنها في قصره ، فاشتملت علَى حمل وأتت بولد سُمّي عمرًا ، فأعجب به جذيمة فأُلقيت عليه منه محبّة [7] . وقد خرج مع خاله جذيمة في سنة قد أكمأت [الأرض] وبُسط له في روضة وعمرو في غلمة يجتنون الكمأة فكانوا إذا أصابوا كمأة طيّبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو أقبل يسعَى بها إلَى خاله وهو يرتجز ويقول [رجز] :

هذَا جنَايَ وَخِيَاره فِيه   إذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إلَى فِيه

ثمّ إنّ الجنّ استطارته ، فضرب له جذيمة في الآفاق زمانا فلم يسمع له خبرًا إلَى أن وجده نديماه مالك وعَقيل ابنا فالِج .

(604)

ثمّ كان من قتل الزَّبَّاء لجذيمة ما قد تكرّر نقله وكثر ذكره ، وهي الّتي قالت له وقد كشفت عن كَعْثبها وقد عقدت شعرة بإسْتها : أشَوار عَروس ترى يا

---

603   5) ل ن : فأخر ـ 6) ل ن : علي ـ 7) ورد في النسخ : وهو القائل .

جذيمة ؟ فقال جذيمة : لا والله بل أرى شَوار أمة كمكا [1] غير ذات حفير . قالت : أمّا والله ما ذلك لعدم مواس ولا لقلّة أواس ولكن شيمة ما أناس . ثمّ كان الأمر فيهم (بعده لعمرو) [2] بن عدي بن نصر لا يعدو ذرّيته ، وعمرو هو أوّل من نزل الحيرة واتّخذها دار مملكته . وقال شيبان عن قتادة : ذُكر لنا أنّ تُبّعًا كان رجلاً من حِمْير صار بالجنود حتّى حيّر الحيرة ، ثمّ أتى سمرقند فهدمها .

(605)

والحيرة أرض باردة في الشتاء وهي مفرطة الحرّ في الصيف حتّى أنّهم لينتزعون ستور بيوتهم مخافة من إحراق السمائم لها ، ولا يشربون الماء إلاّ بالسكنجبين والجلاب ممزوج به ؛ لأنّ الماء لا يبلغ أعماق أبدانهم صرفًا .

(606)

وبنو عمرو بن عدي بن نصر هم النصرية ، ولم يزل الملك في ذرّية ابن عدي إلى النعمان بن المنذر ، وهو آخر ملوكهم ، وهو الّذي قتله كسرى . وكان النعمان لمّا أراد إتيان كسرى بعد هربه (مرّ ببني) [1] شيبان أودع سلاحه وعياله عند هانئ بن مسعود ، فلمّا أتى كسرى النعمان (بعث إلى هانئ يطالبه بتركته ، فأبى أن يخفر الذمّة ، فكان ذلك السبب الّذي أهاج حرب ذي قار) [2] .

---

604 1) كذا ، والمسعودي : بظراء ـ 2) ل ن : بعد عمرو .

606 1) عن المسعودي 1070 ، ل ن : من بني ـ 2) سقطت من ن .

(607)

وقد كانت حُرَقة بنت النعمان إذا خرجت إلَى بيعتها يُفرش لها طريقها بالحرير والديباج . فلمّا هلك النعمان نكبها الزمان ، وقدم سعد بن أبي وَقّاص رضه القادسية أميرًا عليها ، وقد هزم الفرس وقتل رُستُم ، فأتته حُرَقة بنت النعمان في إماءٍ من نسائها وعليهنّ المسوح والمقطّعات السود مترهّبات يطلبن صلته . فلمّا وقفن بين يديه قال : أيتكنّ حُرَقة ؟ قالت : ها أنا ذه . قال : أنت حرقة ؟ قالت : نعم فما تكرارك[1] في استفهامي ؟ إنّ الدنيا دارُ دول وزوال ولا تدوم علَى حال ولا تبقِي علَى أحد ، تنتقل بأهلها انتقالاً وتعقبهم بعد حال حالاً ، كنّا ملوك هذا المصر يُجبَى إلينا خراجه ويطيعنا أهله . فلمّا أدبر الأمر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا وشتت ملأنا ، وكذلك الدهر يا سعد ليس من قوم كانوا في حبرة إلاّ والدهر يعقبهم عبرة . ثمّ أنشأت تقول : [طويل]

فَبينَا نَسُوس النَّاس[2] والأَمْرُ أَمْرنا ... إذا نحن فيهم سُوقة نَتَنصَّف
فَأُفٍّ لِدُنْيَا لاَ يَدُومُ نَعِيمُها ... تقلّب تَاراتٍ بِنا وَتصرَّف

فأكرمها سعد وأحسن جائزتها ، فلمّا أرادت فراقه قالت : لا نزع اللّه من عبد صالح نعمة إلاّ جعلك سبب ردّها إليه .

(608)

وروي أنّ إسحاق بن طلحة بن عبيد اللّه دخل علَى حُرَقة بنت النعمان بن المنذر بالحيرة في بيعتها وهي في نسوة راهبات قال : فما رأيتُ مثل وجوههنّ نسوة ، فقال لها : كيف رأيت غمرات الملك يا حرقة ؟ قالت : هذا خير ممّا كنّا فيه ، إنّا نجد في الكتب أنّه ليس من بيت يُمتلأ حبرةً إلاّ امتلأ عبرة ، وأنّ

---

607 1) ن : تذكـارك ــ 2) ل ن : الأمـر .

الدهر لم يأت قطّ علَى قوم بيوم يحبّونه إلاّ أتى عليهم بيوم يكرهونه ، وأنّ علَى أبواب السلطان كأشباه الحذر من الفتن وأنّ أحدًا لم يصب منهم شيئًا إلاّ أصابوا من دينه مثيله . قال : فقلت : فكيف صبرك ؟ قال : فأقبلت عليّ بوجهها ثمّ قالت : يا سبحان اللّه تسألني عن الصبر ؟ ما ميّز أحد بين الصبر والجزع إلاّ أصاب بينهما التقارب [1] في حالتيهما . أمّا الصبر فحسن العلانية محمود العاقبة ، وأمّا الجزع فغير معوّض عوضًا مع مأثمه [2] ، ولو كان رجلان [3] في صورتهما لكان الصبر أولاهما بالغلبة في حسن صورته ، وكرم طبيعته في عاجلة من الدنيا وآجلة من الثواب ، وكفَى ما وعدنا اللّه أن ألهمناه . قال : قلت : إنّا لم نزلْ نسمع أنّ الجزع للنساء فلا [يجز عن] رجل بعدك في مصيبة ، فقد كرم صبرك . فقالت : أما سمعتَ الشّاعر وهو يقول [كامل] :

واصبر علَى القدر المجلوب وآرضَ به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرئ عيش يسرّ به ... إلاّ سيتبع يومًا صفوه الكدر

(609)

ولم يزل عمران الحيرة يتناقص مُذ بُنيت الكوفة إلَى أيّام المعتضد باللّه ، فإنّه استولَى الخراب عليها ، وكانت فيها ديارات كثيرة ورهبان لحقوا بغيرها من البلاد لاستيلاء الخراب عليها ، وأقفرت من الأنيس في هذا الوقت إلاّ الصدى والبوم ، وأهل الدراية بما يحدث يزعمون (أنّ سعدها سيعود بالعمران) [1] . وقد كان جماعة من خلفاء بني العبّاس ينزلونها لطيب هوائها وصفاء جوّها وقرب الخَوَرْنَق والنّجف منها .

وكانت مدّة هذه الحيرة من أوّل وقت عمارتها إلى وقت خرابها [عند بناء] [2] الكوفة خمسمائة سنة وبضعًا وثلاثين سنة .

---

608 1) ل ن : التفاوت ــ 2) ن : إثمه ــ 3) ل ن : كانا رجلين .

609 1) عن المسعودي ، ل ن : أن سيعود العمران ــ 2) عن المسعودي 1073 .

(610)

فأمّا ملوك غسّان بالشّام فقد أوتي علَى ذكرهم . ق : وكانت ديار ممالكهم اليرموك والجولان من غوطة دمشق ، ومنهم من نزل الأردنّ . وأمّا ديار ملوك الشّام قبل سيل العرم فإنّها كانت بلاد مأرب من أرض البلقاء ، وعدد مَن مَلَك الشّام من غسّان أحد عشر ملكًا . واللّه عزّ وجلّ أعلم .

ذكر ما خصّت به جزيرة العرب

(611)

من ذلك اللؤلؤ الجيّد القطري يكون بناحية الشحر لا يوجد مثله ، وقد وُجد في جزيرة [1] ... لؤلوة لا يعلم أنّه وُجد في مغاصّ اللؤلؤ مثلها في كبرها وصفائها واستواء خلقها وأجزائها ، وتسمّى اليوم عند الملوك باليتيمة لانفرادها عن النظائر ، والزبرجد وهو يوجد في جزيرة بين العونيد والحورا ، وتسمّى تلك الجزيرة زبرجدة .

والعتيق يكون ببلاد العرب مدوّمة وأجوده الصيني . والجزّع أجوده اليماني ، ويؤتَى به أيضا من الصين ، وليس مثله . واليَشْب لا يعدل باليماني منه شيء ، وهو من عجائب العالم لأنّه ماء يسيل علَى جبل فيجمد قبل أن يصل إلَى سفحه ، فيكون منه هذا اليَشْب اليماني . الكَهْرباء البحرية من بلاد اليمن . حجارة المِسَنّ من بلاد الحجاز ، أكثرما يكون بناحيةِ خيبر بقرب من مدينة النّبي صلعم وفرش حمّامات مكّة منه .

(612)

اللوبان لا يكون إلاّ باليمن في بلاد الشحر وحضرموت ، ومنها يتجهّز به إلَى بلاد الهند والصين وإلَى خراسان وإلَى جميع الأقطار ، وأشجارها مثل

---

611 1) بياض في النسـخ .

أشجار التوت إلاّ أنها لا تورق بل تحمل أغصانها كلّها . الكُنْدُر واللُّكّ أيضًا يكون في الشجر وحمله كذلك كحمل اللّوبان ، ولكّ الهند والصَّمْغ العربي ، وهو من شجر الطَّلْح والمقل لا يكون إلاّ باليمن ومن هناك يحمل إلَى جميع البلاد . والسنان شجر الحُمر ، وهو التمر الهندي ، وهو في أرض اليمن من حضرموت وغيرها ، ومن هناك يتجهّز به في الآفاق . واللُّك لا يكون إلاّ في بلاد اليمن ويحمل إلَى مصر في عيدانه ويحمل منه إلَى سائر البلاد . والصَّبِر يكون في بلاد اليمن وأجوده صبر سقطرى . والقلقلان [1] والقَسْطَلّ الحلو والوَرْس هذه كلّها من بلاد اليمن ومنها تُحمل إلَى أقطار البلاد . والخيار شَنْبَر يكون ببلاد اليمن . شجر البان كثير بالحجاز من هناك يجلب إلَى الآفاق . سكر العُشر باليمامة وهو أجوده يتّخذ من نواره ، وهو نبات حسن كأنّها نقش نقشًا . والسَّنا الحرمي بمكّة ومن هناك يجلب إلَى الآفاق .

(613)

وممّا خصّت به الخراب الّتي تصنع بصنعاء من القطر لا يقدر في غيرها علَى اتّخاذ مثلها ، ومنها تحمل إلَى البلاد . وكذلك الأردية والعمائم العدنية والثياب السحولية والأُدُم الطائفي لا يصنع في قطر من الأقطار مثله . والبقر المتلمّعة ، وهي في مِخْلاف بني مجيد ، يباع النعل من جلودها بدنانير فيها تلميع من بياض وصفرة كأحسن الوشي .

(614)

وصنعاء لا تمطر في حزيران وتَمُّوز وآب وبعض أيْلُول ، ولا يمطرون إلاّ بعد الزّوال ، في أغلب الأمر يَلْقَى الرجل الرجل في نصف النهار والسماء مصحيّة ليس فيها طخوية فيقول : اعجلْ قبل أن تصيبنا السماء ، لأنّهم قد علموا أنّه لا بدّ من المطر في ذلك الوقت .

---

612 1) ل ن : قلقلتان .

(615)

وذكر إسحاق بن العبّاس بن محمّد الهاشمي عن أبيه أنّه تصيّد فأصابه مطر ، فال إلَى أحوية أعراب فمكث عندهم يومه وليلته والغيث سحم لا ينجم . فلمّا أصبح قال : لقد أنزل اللّه البارحة خيرًا كثيرًا . فقام ربّ المنزل إلَى كساء نسج بين أربع خشبات كما يفعل أهل البوادي ، فلمسه بيده فقال : ما أنزل اللّه البارحة خيرًا . ثمّ ليلة أخرى كذلك . فلمّا كان في اليوم الثّالث قال : قد أنزل اللّه اللّيلة خيرًا كثيرًا . فسأله عن ذلك ، فأتاه بكفّ من البذور قد تناولها من فوق ذلك الكساء فقال : إنّ حبّ البقل والعشب إنّما ينزل من السّماء فينبتها اللّه عزّ وجلّ كيف يشاء .

ذكر مدن اليمن المشهورة

المشهورة من مدن اليمن والغريب من مساكنه .

(616)

الطريق من صنعاء إلَى ذمار ـ وهما مرحلتان ـ يخرج علَى طريق فلش ـ وهو جبل هناك ، إلَى قرية تُدعَى [1] جردان [2] ، وعلَى هذه الطريق واد (له ذكر) [3] في كتاب اللّه عزّ وجلّ معروف عندهم [4] ، وأكثر أشجاره الأثل والطّلح . وفي هذه الناحية صنم كان يُعبد قبل ظهور الإسلام . ودون ذمار مساجد لأصحاب النّبي صلعم منها مسجد مُعاذ بن جبل ، وأهل اليمن يعظّمونه ويأتونه .

---

616 1) تدعي : من ق ، ـ 2) ق : حزران ـ 3) ق : قد ذُكر ـ 4) من ق ـ

ولها طريق آخر : من صنعاء علَى قرى متّصلة وأشجار وبساتين غير منفصلة وهواء معتدل إلَى قرية تدعَى خولان ، وهي منزل سيّدهم ، وهي باردة الهواء حسنة البناء فيها حمّامات وحوانيت [5] وفواكه ، ثمّ يدخل منها بين جبلين [6] وأنهار وأرض خصبة وقرى لقبّس ، فتفضي إلَى ذمار .

(617)

وذمار مدينة كبيرة إلاّ أنّها دون صنعاء ، وهي من أعمالها ، ولها سور محكم البناء ، وهي كلّها قصور مضيئة الأبواب كثيرة البساتين والمزارع والقرار والدّساكر ، رخيصة الأسعار كثيرة الخيرات . (دراهمهم يمانيّة) [1] ودنانيرهم مطرقة ومياههم عيون جارية وآبارهم قريبة الأرشية [2] . ولمُعاذ بن جبل رضه فيها مساجد وآثار كثيرة . (والله أعلم) [2] .

(618)

الطريق من ذمار إلَى زبيد .
تخرج [1] في قرى متّصلة حتّى تأتي مدينة بسام ، وهي المنزل ، مدينة طيّبة بها بيوت منقورة في صخرة صمّاء [2] ثلاثمائة ذراع في مثلها ، ثمّ إلَى واد يقال له الربيح أشجاره الدوس ، ثمّ تسير في صعود وهبوط حتّى تأتي إلَى واد يقال له علاّن [3] تقطعه حتّى تصير إلَى مدينة الجند كبيرة خصيبة كثيرة الخيرات بها جامع بناه معاذ بن جبل رحمه الله ، وهو الّذي يذكر أنّ ناقته بركت في موضعه فقال : خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة . فأمر ببناء المسجد في ذلك الموضع ، ثمّ بركت في صنعاء أيضًا فبنَى المسجد بها . وأهل الجند شيعة

---

616 5) ق : خانات _ 6) ق : جبال .

617 1) ق : دراهمهم ثمانية في الدرهم _ 2) سقطت من ق .

618 1) ن : يخرج _ 2) ق : صخرة طويلة _ 3) ق : عيلان _

كلّهم . ومن الجند تجلب إلَى مكّة وغيرها ملاحف القطن المنسوبة إلَى سحول ، وهو واد بقرب الجند . ومن الجند تسير في صحار فيها أشجار الجوز والنّبق حتّى تنتهي إلَى معاثر ، وهي مدينة صبر ، وصبر جبل فيه ألف قبّة [4] ، والمرتقَى إليه مسيرة يوم [5] ، وفي أعلاه الأنهار والطواحين ، وعرض هذا الجبل أربعة وعشرون فرسخًا . ثمّ تسير في صحاري ورمال حتّى تنتهي إلَى زبيد . وليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد ولا أغنَى أهلاً ولا أكثر خيرًا ، واسعة البساتين كثيرة المياه والفواكه من الموز وغيره . زنة دينارهم أربعة دراهم ودراهمهم اثنا عشر (ممّا في الدينار) [6] .

(619)

الطريق من زبيد إلَى مهرة :
من زبيد إلَى عدن (عشر مراحل علَى السّاحل في برّية) [1] لا عمارة فيها لا يركبها إلاّ الصيّادون والسابلة ، لها منازل وآبار . ثمّ إلَى خولان ، ثمّ إلَى مهرة .

(620)

الطريق من ذمار إلَى منكث : من ذمار إلَى والان ، مدينة صغيرة بنيانها جيّد [1] صخر لا سور لها وبها جامع ، وبين ذمار وبينها أربعة فراسخ ، فمن شاء نزلها ومن شاء طواها .

---

618 4) ق : قرية _ 5) ل ن : شهر_ 6) ق : منها في الدرهم .

619 1) ق : على الساحل عشرة مراحل برّية .

620 1) من ل ن .

(621)

الطريق من صنعاء إِلَى حضرموت : من صنعاء في أرض مستوية ، وهي الرحبة ، وهي الّتي ذكرها اللّه عزّ وجلّ فقال : أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا (1) . تسير في هذه الصحراء إِلَى قرية يقال لها عقاب كثيرة الأنهار والبساتين منها يُحمل العنب إِلَى صنعاء ، ثمّ إِلَى عقبة تعرف بنقيل في شعاب وأودية إِلَى واد فيه نخل يعرف بالعراقيد . ثمّ تسير في شعب إِلَى قرية يقال لها الضياع فيها نخل وهي لمراد ، ثمّ تخرج فتمرّ علَى وسط السدّ (الّذي كان في الجاهلية) (2) ، وهو بين جبلين وهما يسمّيان المادين ، ثمّ تمرّ بموضع كان يقسم عليه ماء هذا السدّ في الجاهلية ، ثمّ في صحراء ورمال ، وهي الّتي تسمى جنة اليسرى ، وهي الّتي قال اللّه عزّ وجلّ : لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ الآية (3) . ثمّ تمرّ حتّى تنتهي إِلَى مأرب ، وفيه معدن الملح الّذي أقطعه النّبي صلعم لأبيض بن جمّال المأربي ، فجعله أبيض صدقة للمساكين وعوّضه النّبي صلعم حائطًا يعرف بالجدران علَى باب مأرب ، لا يخلو من ثمرة صيفًا ولا شتاء وربيعًا وخريفًا لأنّ النبي صلعم دعا له بالبركة .

(622)

وهي مدينة لسبأ وبها عرش بلقيس ، وكان العرش مبنيًّا علَى أساطين من حجارة وعلاءكلّ أسطوانة منها فوق الأرض عشرين ذراعًا ، فاحتُمل العرش وبقيت الأساطين (1) علَى حالها . ويقال إنّ تحت الأرض من تلك الأساطين مثل ما فوقها ، وغلظ كلّ أسطوانة منها لا يحضنه أربعة نفر ، وفيها سوق ومسجد والمنزل بها . ثمّ يخرج منها ويقطع عرض الوادي فيدخل جنّة اليُمنَى

---

621 1)سورة الكهف 41/18 ـ 2) سقطت من ق ـ 3) سورة سبأ 15/34 .

622 1) ل ن : الأسطوانة ـ

الّتي ذكرها اللّه عزّ وجلّ ليس فيها من الأشجار إلاّ الإثل والأراك ، وتبذر فيها الذرّة . ثمّ إلَى سويقة يقال لها نمرة يباع فيها الملح والذرّة ، ثمّ في صحار ورمال إلَى ماء يقال له سنجار ، وهو وادي النخل . ثمّ تسير في رمال ومواضع مخوّفة يقطع فيها بنو الحارث بن كعب حتّى تنتهي إلَى مدينة شنوة ، وهي أوّل مدائن حضرموت يباع فيها حمل تمر بدرهم . ثمّ تسير في قرى متّصلة حتّى تأتي الجريمة ، وهي (أكثر مدائن حضرموت خيرًا و)[2] فيها بساتين ومياههم سبخ ، ثمّ تسير ثلاث مراحل في رمال يسكنها قوم من مهرة ، وإليهم تنسب الإبل المهرية ، حتّى تصل إلَى مدينة يقال لها الأشفاء ، وهي من مدائن الشحر حدّ عمان ، وهي علَى ساحل البحر . ثمّ إلَى موضع يقال له رسوب ، وهو جبل الأحقاف ، وهو متّصل بأرض الأحقاف ، وهو بلد واسع غلبت عليه الرمال بسوافي الرّياح فعفا أثره ، وهو الّذي ذكره اللّه عزّ وجلّ . والبحر يضرب بسفح هذا الجبل ويركب منه في البحر إلَى جزيرتين ينزلها قوم من مهرة بأغنامهم (طولها وعرضها اثنا عشر فرسخًا)[3] ، الواحدة سقطيرة والأخرى المضيرة ، فيها مِغاصّ اللؤلؤ ومياه عذبة . ثمّ يركب منها البحر إلَى سوق علَى ساحل البحر يقال له طيرى ، ثمّ يركب منها البحر إلَى مسقط ، وهو مجتمع المراكب الّتي تخرج من صحار ، وصحار سوق عُمان .

ذكـر مدينـة ظفـار

(623)

وهي قصبة اليمن وقاعدة ملوك حمير [في الزمن الأقدم ، وبها كان نزولهم ، وهي الآن خراب قد تهدّم بناؤها وقلّ مساكنها ، وإنّما بها الآن بقايا من أهلها . ومن كلام بعض ملوكهم مَن دخلَ ظفار حمّر . وسبب ذلك أنّ ذا جدن الحِميَري خرج يطوف في أحياء العرب ، فنزل في بني تميم فضرب

---

2) ق : أكبر مداين حضرموت ــ 3) سقطت من ق . 622

فسطاط ، فجاءه زرّارة بن عدس مصعداً إليه وكان علَى قارة مرتفعة ، فقال له الملك : ثب أي أقعد بلُغته . فقال زرّارة : ليعلمنّ الملك أنّي سامع مطيع . فوثب إلَى الأرض فتقطع أعضاؤه ، فقال الملك : ما شأنه ؟ فقيل له : أبيتَ اللعن ، إنّ الوثب بلغته القفز . فقال : ليس عربيّتنا كعربيّتكم . من دخل ظفار فليحمّر أي ، فليتكلّم بلغة حِمْيَر] [1] .

ولم يزل اليمن في الدولتين من أرفع الولايات في جلالتها وسعتها وبعد صيتها ، وإنّها منازل العرب العاربة ودار الملوك العظام من التبابعة والأقيال والمياطلة [2] والعياهلة ، وإنّها أشرف البلدان سيوفًا وثيابًا من القصب والسّعيدي والوشي والمغمر والبرود والحيد [3] والأردية العَدَنية والصنعانية والعنبر والجزع والعتيق والرقيق والنجب [4] والإبل المهرية والخيل العراب والنضار وغير ذلك من أصناف الأمتعة والتجارات .

الطـريق من عُمـان إلَى ناحيـة اليمـن

(624)

من عُمان إلَى مسقط علَى الساحل ، ثمّ منه إلَى سُقُطرى ، وبه الصبر السقطري الّذي لا يعدل به والحضض [1] . ثمّ من هذه الجزيرة إلَى موضع يقال له معثب به مَغاص اللؤلؤ والغوّاصون عليه أُجراء لليهود والنصارى ، أُجرة الغوّاص من قيراط إلَى نصف [1] درهم ، يغوصون (من بكرة) [1] إلَى نصف النهار ، ثمّ يأخذون في شقّ الصدف إلَى آخر ذلك النهار ، وعملهم في الأصداف إنّما هو علَى طعامهم من السّويق والتمر والسّمن وغير ذلك . وإذا أراد الغوّاص أن يغوص عمد إلَى آلة ذات شعبتين قد اتّخذت من القرون دقيقة جدًّا تعمّ [2] المنخرَيْن فتمنع الماء منها ويشدّ في إحدى

---

623 1) عن الحميري 403ـ404 ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ن : الجند ـ 4) في النسخ : البخت .

624 [illegible] 1) سقطت من ق ـ 2) ق : تضمّ ـ

رجليه صخرة (منقورة فيها) [1] مقدار عشرين منًّا ويشدّ معها وعاء قد اتّخذ من شماريخ النخل يسمّى الرجيس [3] يحمل فيه ما وصل إليه من الصدف ، فإذا ملأه حرّك الحبل فيجذبونه . وحدّث أبو الحسن البخاري أنّ رجلاً عُمانيًا قدم مكّة بلؤلؤتَيْن لم يُرَ مثلهما ، فباعهما في سوق ابن يزيد بألفي دينار ذهبًا من رجل سمرقندي وخرج من مكّة من يومه ذلك . فلمّا كان بعد عدّة أيّام أقبل من عند صاحب عُمان رجل يطلب الّذي باع اللؤلؤتَيْن ويذكر أنّهما سرقتا من قصره ، فطلب المشتري فعمّي أثره وخفي خبره ، ووصل بهما إلَى مدينة دمشق ، فأهدى إحداهما إلَى صاحبها - وصاحبها المديوني - فأعطاه بها عشرة آلاف دينار ، ثمّ سار إلَى سمرقند فأهدى الثّانية إلَى صاحبها ، فكافأه بخمسة عشر ألف دينار ، فهتان اللؤلؤتان من مغاوص عُمان وما والاها من المواضع .

ذكـــر بـــلاد عمـــان

(625)

وهي ثمانون فرسخًا بما والاها البحر منها سهول ورمال ، وما تباعد عنه حُزون وجبال ، ولها عدّة مدن منها مدينة عمان علَى ساحل البحر حصينة ، ومن الجانب الآخر جبل فيه مياه سائحة قد أُجريت إلَى المدينة ، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه ، وطعامهم الحنطة والشّعير والأرزّ والجاورس . وكان الّذي أجرى الماء من الجبل إلَى المدينة رجل مجوسي يقال لهُ أبو الفرج كان له من المال الصامت ثمانمائة كيلجة [1] دنانير ذهبًا ، كلّ كيلجة فيها تسعة ومائة منٍّ .

---

624 3) ق : الرجين ؟

625 1) في جميع المخطوطات : كنجلة ، والتصحيح عن هامش ل .

(626)

ومنها مدينة صحار ، وهي مدينة كبيرة علَى ساحل البحر مقدارها فرسخ في فرسخ ومياهها من الآبار . ومدينة ترون [1] ، وهي أعظم منها ، وهي في الجبل . ومدينة ضخم ، وهي أيضًا في الجبل ، ماؤها من العيون بها نخل كثير وقصب السكر ، وبها أشجار يقال لها طلوق [2] تشبه شجر المقل ، تقطع منها عروق ثمّ توضع في الماء فيسيل منها شراب يسكر من ساعته . وعامّتهم أصحاب شعور جمّة [3] .

(627)

ومن عمان يتجر . وبها قُتل عيسَى بن جعفر الهاشمي . وخراج عمل عمان علَى المقاطعة ثمانون ألف دينار . وفي الأمثال : من تعذّر عليه الرزق فعليه بعمان . وقد أهدى صاحب عمان إلَى الكعبة بعد العشرين وأربعمائة محاريب منبت زنة المحراب أزيد من القنطار ، وقناديل منبت في نهاية الإحكام ، وسمّرت المحاريب في جوف الكعبة ممّا يقابل بابها ، (وذلك إثر) [1] أخذ أمير مكّة أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني بحلَى الكعبة من المحاريب وغيرها .

ذكر البحرين وأعمالها

(628)

وهي بلاد واسعة شرقيها ساحل البحر وغربيها متّصل باليمامة وشمالها متّصل بالبصرة وجنوبها متّصل ببلاد عمان . وهي بلاد سهلة كثيرة الأنهار من العيون

---

626 1) ل ن : تزون ــ 2) ق : الأطراق ــ 3) ق : وجهم .

627 1) ل ن : ومن ذلك .

عذبة الماء ، ينبطون الماء علَى القامة والقامتين ، والحِنّاء والقطن علَى شطوط أنهارها بمنزلة السّوسن ، وهي كثيرة النخل والفواكه ، ولهم تمر يسمّى المانجي إذا نبذ وشرب أصفرّت الثياب من عرقه ، وبساتينهم علَى نحو ميل منها لا يأتونها إلاّ غدوًّا ورواحًا لإفراط حرّ الرمضَى ، وإنّ حوافر الدوابّ تسقط فيها إذا احتدمت . وهي مخصوصة بعظم الطحال ، ولذلك قال بعض الشعراء : [طويل]

ومَن يَسكُنُ البَحْرَيْن يَعْظُم طِحالُه ويُغْبَط بما في بَطْنِه وهو جائِع

ولها سبع مدن وعلَى ساحلها منها : القطيف والزرادة [1] والعقيد وأوال ، وهي جزيرة بينها وبين الساحل مجرى يوم ، وهي كثيرة النخل والموز والجوز [2] والأترج والزرع [2] والأشجار والأنهار . وممّا يلي أوال جبل في البحر أسود يسمّى الحازم يقيم به الغوّاصون الأشهر .

(629)

وأوال جزيرة طويلة مسيرة ستّة عشر يومًا ، وكانت هذه الجزيرة حبسًا لكسرى [1] ، وأكثر أهلها من أهل اليمامة ، (وإليها نجا مَن أفلت من أهل هجر عند مِحنتهم مع القرمطي لعنه الله ، وإليها فرّ منه) [1] أهل اليمامة والبحرين . وبينها وبين الهجر اثنا عشر فرسخًا في البرّ وعشر فراسخ في البحر . ولها [2] متباعدة عن الساحل إلَى ناحية اليمامة دبلة والأحساء وحوارين بينها وبين الساحل مسيرة يوم وأكثر .

وبلاد البحرين منها [3] الكُثْبان ، جارية الرمال حتّى يسكرونه بسعف النخل ، وربّما غلب عليهم في منازلهم ، فإذا أعياهم حملوا النقوض وتحوّلوا . وفي البحر جزائر علَى مسيرة يوم ويومين وثلاثة فيها آثار وخرائب ، وبها جزيرة

---

628 1) ل ن : الورادة ـ 2) في ق فقط .

629 1) سقطت من ق ـ 2) ل ن : وهي ـ 3) في المخطوطات : منها له .

خارك وهي علَى أربعة فراسخ من جنّابا في البحر ، وليس بها الآن من البناء إلاّ صومعة راهب ، وبها جذر عظيم يقطع بالقدوم لغلظه . وميرة البحرين يجلب إليها من فارس ويجلب إلَى فارس منها التمر والدبس .

(630)

وفي القطيف من بلاد البحرين قام القرمطي بدعوته (وهناك دعا الناس إلَى علمه) [1] . وكان ابتداء أمر [1] القرامطة [2] أنّ رجلاً قدم من سواد الكوفة من ناحية خوزستان ، فأقام بموضع يعرف بالنهرين يظهر الزهد والتقشّف ويأكل من كسبه ويكثر الصلاة ، وكان يبتاع كلّ ليلة من بقّال (رطل تمر) [3] من عمل يده فيفطر عليه . وكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدّين وزهّده في الدنيا (ورغبه في الآخرة) [1] وأعلمه أنّ المفروض علَى الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة حتّى فشا ذلك ، وأعلمهم أنّه يدعو إلَى إمام [4] عادل من أهل بيت الرّسول صلعم . فلم يزل علَى ذلك ، فقصده الجماعة بعد الجماعة والفوج من الناس بعد الفوج ، فيخبرهم بما تعلّق في قلوبهم .

(631)

وإنّما غلب عليه اسم القرمطي لأنّه اعتلّ [1] عند ذلك البقّال الّذي كان يبتاع منه [2] (الأرطال من) [3] التمر . فكان في القرية رجل يحمل للناس علَى أثوار له يقال له ذو العينين ، وكان أهل القرية يسمّونه كرميتة [4] معناه بالنبطية ذو العينين ، فكلّم البقّال كرميتة في حمل العليل إلَى منزله ، فحمله

---

630 1) سقطت من ق ـ 2) ل ن : القرمطي ـ 3) ل ن : أرطال من تمر ـ 4) ن : أيام .
631 1) ق : مرض ـ 2) ل ن : له ـ 3) سقطت من ق ـ 4) عن الطبري ، ل ن : كريونه ، ق : كرمينة ـ

علَى أثواره وأقام عنده فرّضه حتّى برأ . فلمّا خاف علَى نفسه علَى حسب ما نورده وصار إلَى الشّام تَسمّى باسم كرميتة الّذي كان عنده ، فخفّفه الناس فقيل [5] له قرمط ، فلذلك عُرفوا بالقرامطة .
فلم يزل علَى ما كان عليه إلَى أن جاءته أكثر أهل تلك الناحية وما والاها ، واتّخذ منهم اثني عشر نقيبًا أمرهم أن يدعوا الناس إلَى دينه وقال : أنتم كحواريّي عيسَى . فاشتغل أكثر أهل ذلك الصقع عن أعمالهم (بما رسم لهم به) [6] من الصلوات الخمسين . وكانت للهيْصَم في تلك الناحية ضياع أنكر تقصير الأكرة في عمارتها ، فسأل عن ذلك فأخبر الرجل وبما شغلهم من الصلاة عن أعمالهم ، فوجّه الهيصم في طلبه فأُتي به فسأله عن أمره فأخبره بمذهبه . (فعزم علَى قتله ثمّ أمر بحبسه في بيت من بيوت داره) [7] ووضع المفتاح تحت وسادته فتشاغل بشراب . وكانت جارية من جواريه سمعت يمينه لقتله فرقّت له ، فلمّا نام الهيصم أخذت المفتاح ففتحت عنه القفل وأرسلته ، ثمّ (سدّت الباب كما كان فجعلت) [8] المفتاح تحت الوسادة . فلمّا أصبح الهيصم أخذ المفتاح ففتح الباب فلم يجد أحدًا ، فشاع أمر القرمطي وازداد أهل تلك الناحية به فتنة وزعموا أنّه رُفع ، وظهر في مكان آخر ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم وزعم أنّ أحدًا لا يقدر عليه بسوء ، فعظم ذلك في أعينهم . ثمّ خاف علَى نفسه فخرج إلَى الشّام وتَسمّى كرميتة علَى ما قدّمناه .

(632)

وقال أحمد بن أبي الطاهر : كان ابتداء أمر القرامطة أنّ رجلاً كان يُعرف بيحيَى بن المعلّى صدر من ناحية الكوفة إلَى القطيف ، فنزل علَى رجل يعرف بعلي بن المعلّى بن حمدان وكان يترفّض ، وأظهر يحيَى أنّه رسول المهدي المنتظر ، وذلك سنة إحدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنّه خرج بتبع شيعته في

---

631 5) ق : فقالوا ـ 6)ق : بما رسمه ـ 7) ق : فأتى ليقتله وحبسه في بيت من بيوت داره فأقفل عليه ـ 8) ق : صرفت .

البلاد ويدعوهم إلى المشارعة إلى أمره وأنّ خروجه قد قُرب ، وأظهر في ذلك كتابًا زعم أنّه من المهدي . فجمع علي ابن المعلّى مَن علم أنّه يترفّض [1] من أهل القطيف ، وأقرأهم ذلك الكتاب فأجابوه ، وأرسل إلَى من يترفّض من قرى البحرين فأجابوه ، وكانوا نحوًا من الثمانمائة . وكان ممّن أجابه أبو سعيد الجنّابي من جزيرة جنّابا كان يبيع الطعام بالزرادة ويحسب لهم حسابهم ولا يعرف من كتاب الله ولا من سنّة رسوله صلعم ولا من العُلوم شيئًا ، وكان قبيحًا قميئًا .

(633)

ثمّ غاب يحيَى مدّة ورجع (ومعه كتاب) [1] من المهدي إلَى شيعته (يذكر فيه) [2] : قد عرّفني رسولي بمشارعتكم إلَى أمري ، فإذا وصلكم كتابي هذا فيدفع إليه [3] كلّ رجل منكم ستّة دنانير وثُلثي دينار . فسارعوا إلَى ذلك فأخذها وغاب مدّة ، ورجع ومعه كتاب آخر يذكر فيه : إنّ رسولي عرّفني بمشارعتكم ووصّل إلّي المال ، والّذي يجب عليكم في أموالكم الخمس لأنّها غنائم ، والله عزّ وجلّ (قد قال في القرآن) [4] : وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ [5] الآية . فدفعوا إليه الخمس من أموالهم ، ثمّ غاب مدّة طويلة (ورجع ومعه كتاب آخر يذكر فيه) [5] : إنّي قد عزمت علَى الخروج ، فادفعوا لصاحبي ما يستعين به علَى قتال [2] الفسّاق . وأمرهم يحيَى بالخروج من أموالهم ، فأخذوا في بيع عقارهم فباعوا ما يساوي ألف دينار ومائة دينار .

---

632 1) ل ن : يترفض أنه .

633 1) ق : كتاب عنوانه ـ 2) سقطت من ق ـ 3) سقطت من ن ـ 4) ق : يقول ـ 5) سورة الأنفال 41/8 ـ 6) ق : ثمّ رجع بكتاب معه .

(634)

وكان بالزرادة رجل يعرف بإبراهيم الصّائغ ، وكان داعية لهم وجّهوه غير ما مرّة إلَى ناحية [1] فارس والأهواز لدعاء [2] الناس . قال ابن أبي الطاهر : فجاءني يومًا وقال لي : اعلم أنّ هؤلاء القوم علَى ضلال ، كنت أمس مع أبي سعيد الجنّابي [3] وقد قدم عليه رجل من أهل جنّابا يقال له يحيَى بن علي ، فأكلنا عنده ، فلمّا فرغ قام فأخرج امرأته ، ثمّ أدخلها مع يحيَى في بيت وقال لها : إنْ أرادك الولي فلا تمنعيه نفسك ، فإنّه أحقّ بك منّي .

(635)

قال أبو علي عريب بن سعد في تاريخه : ذكر محمّد بن داود بن الجرّاح أنّ قرمط رجل من سواد الكوفة كان يحمل غلاّت السّواد علَى أثوار له يسمّى حمدان ويلقّب بالقرمطي . قال : وذكر أنّ القرامطة جاؤوا بكتاب فيه : باسم اللّه الرحمان الرحيم ، يقول الفرج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة داعية المسيح ، وهو المهدي ، وهو الكلمة ، وهو (أحمد بن) [1] محمّد بن الحنفية وهو جبريل . وقد ذكر أنّ المسيح تصوّر له في جسم إنسان [2] وقال له : إنّك الداعية وإنّك الحجّة وإنّك روح القُدس وإنّك يحيَى بن زكريا . وعرّفه [1] أنّ الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأثبت في الآذان : وأشهدُ أنّ موسَى رسول اللّه وأشهد أنّ عيسَى رسول اللّه وأشهد أنّ محمّدًا رسول اللّه وأشهد أنّ [أحمد بن] [3] محمّد بن الحنفيّة رسول اللّه ، وأن يقرأ في كلّ ركعة بسورة الاستفتاح ، وهي من السور المنزّلة بزعمهم علَى أحمد بن محمّد ، وهي :

---

634 1) من ق ـ 2) ل ن : إلى دعاء ـ 3) ل ن : الجيهاني .

635 1) من ق ـ 2) ل ن : الإنسان ـ 3) عن الطبري ـ

الحمد لله بكلمته المستحمد إلَى أوليائه اتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْباب ، أنا الّذي لا أُسأل عن ما أفعل وأنا العليم الحكيم في كلام كثير ووعد ووعيد . ومن شرائعه أنّ يوم الاثنين ويوم الجمعة لا يُعمل فيه عمل وأنّ الصوم يومان في السنة : يوم المهرجان ويوم النيروز ، وأنّ النبيذ حرام وأنّ الخمر [4] حلال ، وأنّ الغُسل من الجنابة بوضوء كوضوء الصلاة ، وأن لا يؤكل كلّ ذي ناب (من السباع) [5] ولا كلّ ذي مخلب .

(636)

قال أبو علي عريب : وقيام القرامطة كان سنة سبع وثمانين ومائتين ، وفي يوم الجمعة في النصف من شعبان سنة تسعين ومائتين قتل يحيَى بن زِكَرَوَيْه القرمطي الملقّب بالشَّيْخ [1] ، قتله المصريّون [2] علَى باب دمشق . وكان يركب جملاً لم يركبه قطّ غيره ، وكان يأمر أصحابه ألاّ يقاتلوا حتّى ينبعث الجمل من قبل نفسه وأنّهم إذا فعلوا ذلك لم يهزموا . وزعموا أنّه كان إذا أشار بيده إلَى ناحية من تلك النواحي الّتي فيها محاربوه انهزمت أهل [3] تلك الناحية واستغوى بذلك الأعراب ، وكان يتعمّم عمامة أعرابية ويلبس ثيابًا واسعة .

(637)

وكان القرمطي صاحب الشّامة يكتب إلَى أجناده وعمّاله : باسم اللّه الرحمان الرحيم ، من عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه المهدي المنصور باللّه الناصر لدين اللّه القائم بأمر اللّه الحاكم بحكم اللّه (الدّاعي إلَى كتاب اللّه) [1] الذابّ عن

---

635 4) ل ن : والحلّ ـ 5) سقطت من ق .

636 1) ل ن : بالمسيح ـ 2) ل ن : المغربيّون ـ 3) سقطت من ل ن .

637 1) عن ق ـ

حرم اللّه المختار من ولد رسول اللّه ، أمير المؤمنين وإمام المسلمين ومذلّ المُنافقين (2) ، وخليفة ربّ العالمين وحاصر الظالمين وقامع المعتدين وسراج المستبصرين وضياء المستضيئين ، صلّى اللّه عليه وعلَى آله الطيّبين كثيرًا . إلَى فلان سلام عليك (3) ، فإنّي أحمد اللّه الّذي لا إله إلاّ هو وأسأله أن يصلّي علَى محمّد جدّي (4) رسول اللّه . أمّا بعد ، ثمّ يختم : إن شاء اللّه سبحانك اللّهمّ وبحمدك (5) ، وتحيّتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم إنّ الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى اللّه علَى محمّد (6) جدّي ، رسول اللّه وسلّم .

(638)

قال عبد اللّه بن أبي الطاهر : ورد الخبر في سنة سبع وثمانين ومائتين بدخول أبي سعيد القرمطي هجر ، وذلك بعد حصار (1) أربع سنين ، فوصلوا إلَى قوم هلكوا جوعًا وهزلاً وبعد أن كان الوباء قد نزل (2) فيهم ، فمات منهم خلق كثير . فقتل منهم القرمطي ثلاثمائة ألف وطرحهم أحياء في النار ، فنجا منهم خلق قليل (3) إلَى جزيرة أوال . قال : وبلغني أنّه لم يبق من أهل هجر يومئذ إلاّ عشرون رجلاً . فسار جماعة من أصحاب الجنّابي إلَى حصن يقال له الفلج بينه وبين هجر ستّة أيّام ، وبين هذا الحصن وبين مكّة تسعة أيّام . وقال قتادة إنّ أصحاب الرّسّ الّذين ذكرهم اللّه عزّ وجلّ في كتابه (4) كانوا أهل فلج .

(639)

فأمّا الطّريق من البحرين إلَى عُمان فقد كان في البرّ ، ثمّ ركبه الرمل ، فالطريق بينهما اليوم في البحر بين جبلين يسمّيان كسير وعوير ، وهو موضع

---

637 2) عن الطبري ، ق : المارقين ، ل ن : الفارقين والمارقين ـ 3) ل ن : عليكم ـ 4) في النسخ : حبيبي ، والتصحيح عن الطبري ـ 5) سقطت من ق ـ 6) سقطت من ل ن .

638 1) سقطت من ل ن ـ 2) ق : وقع ـ 3) ل ن : كثير ـ 4) راجع سورة الفرقان 38/25 وسورة ق 12/50 .

كثيرًا ما تعطّب فيه السفن ، حتّى تنتهي إلَى موضع من البحر يسمّى دردور ، ثمّ إلَى موضع يقال له حرثان من ساحل عمان .

الطـريق من مكّـة إلَى عُمـان

(640)

يخرج من مكّة نحوًا من عشرين يومًا في [1] طريق معتدل الهواء بري ذي رمل وحصى ينبط فيه كلّه المياه بأدنَى شيء وبالبحث عليه [2] باليد ، ومراحل الناس في (المنازل الّتي بها) [3] الغنم والبقر حتّى يفضي إلَى مدينة نجران ، وهي من بلاد همدان . (ثمّ تسير في بلاد همدان) [4] بين قرى ومدائن وعمائر (حتّى تفضي إلَى قرى صنعاء ، وهذا الطريق أبعد الطرق إلاّ أنّها أعدلها هواء وأقلّها وباء) [5] .

(641)

وطريق آخر يعرف بطريق تهامة ، (وهو رساتيق متّصلة ومخاليف غير منفصلة ، وهو أحرّ هواء من الأوّل وأكثر وباءً) [1] . تخرج من مكّة فتسير أربعة [2] فراسخ في أرض ذات حصًى ، وعن يمين السّاحل جبال متّصلة حتّى تأتي منزلاً ذات نخل وبساتين ، ويحيط بهذه المنزلة [3] جبل أسود كالحلْقة ، ثمّ ترتحل فترقى ذلك الجبل و (تفضي إلَى أرض ذات حصباء وغور وبحر ، ثمّ) [4] تفضي إلَى أرض شجرها الأراك وكلاؤها الأدخر وماؤها في خفائر قريبة المتناول وبها المنزل . ثمّ تسير في قرية مثل الأولَى

---

640 1) ل ن : إلى ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : منازل رعاة الإبل ـ 4) سقطت من ل ن ـ 5) ل ن : وماء .

641 1) عن ق ـ 2) ق : سبعة ـ 3) ق : المرحلة ـ 4) سقطت من ق .

حصباء وجبال وأودية نحو ثلاثة فراسخ إلَى يَلَمْلَم ، وهي قرية من قرى مكّة ، وهي منهل أهل اليمن ماؤها آبار عذبة (1) وعيون . ومن أحبّ أخذ منها في بريّة رمليّة شجرها الآراك وكلاؤها الأذخر وفيها سوائم المال وورعاته . ويفضي الثالث إلَى مدينة السرّين ، وهي مدينة عظيمة فيها أسواق ومسجد جامع علَى ساحل البحر ، وسورها في البحر وأكثر بنائها من الخشب والحشيش (1) ، فلا يستعمل فيها وقود بل يسخن الماء خارجًا منها ويغتسل به داخلها ، وسقيها ومشاربها (4) من ماء السماء . وهي من عمل مكّة ، وفيها مزارع وأكثر زروعهم الذرّة والسمسم والميرة تجلب إليها من غزّ وجردة ، وغزّ منها علَى مسيرة عشرة أيّام بسير الرّاكب ، وجردة من ثغور الحبشة وهي منهم علَى مسيرة خمسة عشر يومًا .

(642)

فمن أراد منها صنعاء (علَى البحر ركبه) (1) إلَى جردة ، وهي من تهامة ، ومن أراد أن يركب البرّية إلَى صنعاء فإنّه يسير من السرّين في قرى لبني كنانة نحو ستّة فراسخ ، وفي تلك الناحية مدينة جلي ، وهي مدينة كانت من عمل أبي المغيرة الّذي حارب الحاجّ أيّام الموسم واقتلع الذهب من باب البيت . وقد كانت هذه المدينة فيما سلف من عمل مكّة وأقام فيها سنةَ اثنتي عشرة وأربعمائة رجل من بني جذام وخالف صاحب اليمن ودعا إلَى نفسه ، فحشد إليه أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني صاحب مكّة قبائل العرب ، فحاربه وأخذها وجلب الجذامي مع نفسه (2) وتملّك جلي ، ثمّ ردّها إلَى صاحب صنعاء . وهي مدينة ضخمة رملية بناؤها من الخشب والحشيش ذات قرى ومساكن (3) ودساكر ، وماؤهم من الآبار والأمطار .

---

642 1) ل ن : ركب البحر – 2) عن ق – 3) عن ل ن .

ذكـــر اليمـــامة

(643)

هي منزل الأمير ، وهي والحجر منازل بني حنيفة وبعض مضر ، وهي عن حجر علَى يوم وليلة ، وبها بنو سحيم وبنو تمامة وبنو عامر وبنو عجل . والعروض من وادي يمامة من أعلاها إلَى أسفلها قرى تنزلها بنو حنيفة ، وأسفلها الكوش قرية تنزلها بنو عدي بن حنيفة .

الطـريق من البصـرة إلَى اليمـامة

(644)

من البصرة إلَى كاظمة مرحلتان ، ومنها إلَى الفرعا ثلاث مراحل ، ومنه إلَى طحفة مرحلة ، وكذلك إلَى الصماوة ، ثمّ خمس مراحل إلَى جبّ التراب وثلاث مراحل إلَى سنيحة ثمّ إلَى الرمال ثمّ إلَى سليخة اليمامة ، فذلك خمس عشرة مرحلة ، (وكذلك بين اليمامة ومكّة خمس عشرة مرحلة) [1] . واسم اليمامة جوّ ، وسُمّيت بالمرأة اليمامة وحديثها معروف ، وقيل غير ذلك . ذكر أنّ طسمًا نزل الجوف مع من اتّبعه من بنيه وقومه واسمها يومئذ جوّ ، وإنّما سمّاها اليمامة تُبّع الأخر حين خرج بجيش عظيم ، فعطش الجيش وعدموا الماء ، فحفر كلّ واحد منهم قبره من شدّة العطش ، فمرّت بهم يمامة ، فقال لهم : اتّبعوها فإنّها إنّما ترد الماء . فاتّبعوها (فأصابوا نهرًا) [2] وهو الفرات ، فشربوا وسقوا واستقوا .

---

644 1) عن ق ـ 2) ق : فأصابوها على نهر .

الطريق من البصرة إلَى مكّة

(645)

من البصرة إلَى السحابية [1] ثمانية أميال ، إلَى الحفيرة عشرة أميال ، إلَى الرحيل ثمانية وعشرون ميلاً ، إلَى السنجلك ستّة وعشرون ميلاً ، (إلَى الروحا ثلاثة وثلاثون ميلاً ، إلَى حفر أبي موسَى ستّة وعشرون ميلاً) [2] ، إلَى ماوية اثنان وثلاثون ميلاً ، إلَى السرعة ثلاثة وعشرون ميلاً ، إلَى السمية تسعة وعشرون ميلاً ، إلَى السّاج ثلاثة وعشرون ميلاً ، إلَى العوسجة سبعة وعشرون ميلاً ، إلَى القريتين اثنان وعشرون ميلاً ، إلَى حويلة اثنان وثلاثون ميلاً ، إلَى ملحة خمسة وثلاثون ميلاً ، إلَى وجرة أربعون ميلاً ، إلَى أوطاس أربعة وعشرون ميلاً ، إلَى السكّة ... ومن السكّة إلَى مدان ثلاثة أميال ، ومن وجرة إلَى ذات عرق ، وهي ميقات أهل العراق ، سبعة وعشرون ميلاً . ومسجد رسول اللّه صلعم دون ذات عرق بميلين ونصف ، وهو ميقات أهل العراق ، والمسجد الّذي في ذات عرق الكبير الّذي فيه المنبر مسجد النّبي صلعم .

ذكر البيت الحرام وبناؤه والمشهور من أخباره

[قال وهب بن مُنَبّه : لمّا أهبط اللّه تعالَى آدم عليه السّلام إلَى الأرض حزن واشتدّ بكاؤه علَى الجنّة ، فعزّاه اللّه تعالَى بخيمة من خيام الجنّة ، فوضعها له بمكّة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة . وكانت الخيمة ياقوتة حمراء من

---

645 1) في النسخ : السجشانية ــ 2) سقطت من ق .

ياقوت الجنّة فيها قناديل من ذهب ، ونزل معها الركن وهو ياقوتة بيضاء ، وكان كرسيًا لآدم عليه السّلام يجلس عليه . فلمّا كان الغرق زمن نوح عليه السّلام رُفع ومكثت الكعبة خرابًا ألفي سنة حتّى أمر اللّه إبراهيم عليه السّلام أن يبني بيته . فبنَى هو وإسماعيل عليهما السّلام البيت ولم يجعلا له سقفًا ، وحرس اللّه تعالَى البيت بالملائكة ، والحرم مقام الملائكة يومئذ . وهو آوّل بيت وُضع للنّاس] [1] .

(646)

فولي البيت بعد إبراهيم ابنه إسماعيل ، ثمّ ولي بعده ابنه [2] نابت بن إسماعيل ، (هكذا قال) [3] ابن إسحاق . وقال (ابن الزبير) [4] وابن الكلبي : نابت بن إسماعيل وأمّه جُرْهُمية . فوليه ما شاء اللّه ، ثمّ مات نابت فوليه جدّه مضاض بن عمرو بن غالب الجرهمي . وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو بن الحارث [طويل] :

وكُنّا وُلاةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نابِت   نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ والخَيْرُ ظاهِر

وجُرْهُم وقطورا [5] يومئذ أهل مكّة وهم أخوان ، ورئيس قطورا السُّميدع ورئيس جرهم مضاض ، ومنزل جرهم أعلَى مكّة قعيقعان [فحاز ذلك] [6] ، ومنزل قطورا أسفل مكّة بأجياد (فما حاز ذلك) [2] . فكان السّميدع يعشّر من دخل مكّة من أسفلها ومضاض يعشّر من دخلها من أعلاها . ثمّ إنّهما بغَى بعضهما علَى بعض وتنافسا الملك ، ومع مضاض بنو إسماعيل وإليه ولاية البيت دون السميدع [7] . فخرج مضاض في كتيبة من

646 1) عن الحميري 94 ـ 2) سقطت من ل ن ـ 3) ق : هذا قول ـ 4) ل ن : الزبير ـ 5) ق : وقطاري ـ 6) عن الأزرقي ص40 ، وفي النسخ : فما جاز ـ 7) ق : إسماعيل ـ

قعيقعان سائرًا إلَى السميدع ، فسمّي قعيقعان بقعقعة السلاح ، وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال ، فيقال إنّه ما سمّي أجيادًا إلاّ لخروج الخيل الجياد مع السّميدع منه . فالتقوا بفاضح [8] فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فقتل السميدع وفضحت قطورا . فقيل : ما سُمّي فاضح [1] فاضحًا إلاّ لذلك . ثمّ إنّ القوم تداعوا إلَى الصلح فساروا حتّى نزلوا المطابخ بأعلَى مكّة ، وهو شعب بني عامر ، فاصطلحوا هناك وسلّموا الأمر إلَى مضاض ، فنحر لهم [9] وأطعمهم ، فيقال : ما سمّيت المطابخ مطابخ [2] إلاّ لذلك . وبعض أهل العلم يزعم : إنّما سمّيت المطابخ لأنّ طعام تبّع [10] كان يطبخ بها ، وكذلك قالوا في أجياد إنّه كان موضع جياده .

(647)

فبقيت [1] جرهم ولاة البيت نحو ثلاثمائة سنة ، ثمّ إنّهم بغوا بمكّة واستحلّوا (محارمها وظلموا من دخلها وأكلوا مال الكعبة الّذي يُهدى إليها ولم يتناهوا حتّى جعل الرجل إذا) [2] لم يجد مكانًا يزني فيه دخل الكعبة فزنَى فيها . فزعموا أنّ إسافًا ونائلة فجرا في جوف الكعبة فمُسِخا حجَرَيْن ، وهو إساف بن سهيل ونائلة بنت عمرو بن ذويب .

(648)

وتفرّق أولاد عمرو بن عامر من اليمن ، فانخزع منهم بنو حارثة بن عمرو فأوطنوا تهامة ، فسمّيت خزاعة . وبعث اللّه علَى جرهم [1] الرُّعاف والنّمل وأفناهم واجتمعت خزاعة ليخلوا من بقّي بمكّة ، ورئيس خزاعة عمرو بن

---

646 8) ن : بواضح ـ 9) ق : للناس ـ 10) ق : حين قدم مكّة .

647 1) ق : فدامت ـ 2) سقطت من ق .

648 1) ل ن : خزاعة ـ

ربيعة ، وهو لُحَيّ [2] بن حارثة بن عمرو بن عامر وأمّه فُهَيْرة بنت عمرو بن الحارث بن مضاض (الجرهمي ، وليس بابن مضاض) [3] الأكبر . فلمّا أحسّ عمرو بن الحارث بن مضاض - وهو رئيس جرهم - بخزاعة [4] والهزيمة خرج بعدُ إلَى الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة وهو يقول في ذلك [رجز] :

لا همّ إنّ جرهمًا عبادك الناس طرف وهمو تلادك
وهم قديمًا عمّروا بلادك

(فلم تُقبل توبته) [4] ، فألقَى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم ، ثمّ دفنها وخرج فيمن بقي من جرهم إلَى أرض جُهَيْنة ، فجاءهم سَيْل فذهب بهم . فقال أميّة بن أبي الصَّلْت [منسرح] :

جُرْهُمُ دمنوا [5] تِهامَةَ في الدهـ ـر فسالَتْ بِجرهم إضَمْ

(649)

وكان ماء زمزم قد نضب لمّا أحرقت جرهم بمكّة حتّى امتحَى مكان البئر ودُرِس ، فأتَى مضاض بن عمرو وبعض ولده في ليلة مظلمة ، فحفروا في موضع زمزم وأعمق ودفن هناك غزالي الكعبة وحجر الركن وأسيافًا قلعية ، وانطلق هو ومن معه إلَى اليمن . وروى الزبير عن رجاله عن ابن شهاب أنّه قال : لم يبق من جرهم غير حيّ في مكان من كنانة وهم قليل ، وآخرون في حكم ابن الهون .

---

648 2) ل ن : يحيى - 3) سقطت من ل ن - 4) سقطت من ق - 5) ل ن : دهوا .

(650)

فولي البيت عمرو (بن ربيعة ، وهو لُحَيّ ، وقال ابن قصي : بل وليّه عمرو)[1] بن الحارث بن عمرو . أحد[2] بني غسّان بن سليم من بني ملكان بن قصي بن حارثة بن عمرو بن عامر ، وهم كلّهم من خزاعة . قالوا : وهو الّذي يقول [طويل] :

وَنَحْنُ وَلِينا البَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرْهُمِ   لِنَمْنَعَهُ مِنْ كُلِّ باغٍ ومُلْحِدِ

وقال أيضًا[3] [رجز] :

واد حرام طيره ووحشه   نحن وُلاتُه فلا نغشه
وابن مضاض قائم يهشه   يأخذ ما يهدى له يفشّه[4]

(651)

وقد كان بنو إسماعيل اعتزلوا حرب [جُرهم] وخزاعة ، فجاؤوا خزاعة فسألوهم السكنَى معهم ، فأذنوا لهم ، وقال عمرو بن لُحيّ : من وجد منكم جرهميًّا قد قارب الحرم فدمه هدر . فنزعت إبل لمضاض بن عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو من قنونا[1] تريد مكّة ، فخرج في تبعها ، فوجدها[2] قد دخلت مكّة ، فمضَى علَى الجبال من نواحيها حتّى صار علَى جبل[3] أبي قبيس يتبصّر الإبل في وادي مكّة ، فأبصرها تنحر وتؤكل ولا سبيل له إليها ، وخاف إن يهبط إلَى الوادي أن يُقتل ، فولّى منصرفًا ، ثمّ أنشأ يقول [طويل] :

كَأَنْ لم يكن بين الحجون إلَى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

---

650   1) سقطت من ق ـ 2) في النسخ : وأخذ ـ 3) ق : أحد ـ 4) راجع الأزرقي ص55 .

651   1) عن الأزرقي 51 ، وفي النسخ : فنوي ـ 2) ق : حتّى وجد أثرها ـ 3) سقطت من ل ن ـ

نعم نحن كنّا أهلها فأزالنا (4) صروف الليالي والجدود العواثر
وكنّا لإسماعيل صهرًا وجيرة ولما (5) تدر يومًا علينا الدوائر
وكنّا ولاة البيت من بعد نابت نطوف بذاك البيت والخير ظاهر (6)
وصاهرنا من أكرم الناس والدًا فأبناؤه منّا ونحن الأصاهر
وأخرجنا منه المليك بقدرة كذلك يا للناس تجري المقادر
وأبدلنا ربّي بها (7) دار غربة بها الذئب يعوي والعدو المحاصر
أقول إذا نام الخلي ولم أنم أذا العرش لا يبعد سليم وعامر
وبدلت منها أوجهًا لا أحبّها قبائل منها حمير ويحابر (8)
وصرنا أحاديثا وكنّا بغبطة بذلك عضتنا السنون الغوامر
فسحّت دموع العيون تبكي لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
فبطن منى أمسى كأن لم يكن به مضاض ومن حيّ عدي عمائر (9)
فهل فرج آت (تمنّي وجوده) (10) وهل فزع (11) ينجيك ممّا تحاذر

قال (ابن الزبير) (12) [بسيط] :

يا أيها الناس سيروا إنّ قصدكمو أن تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
كنّا أناس كما كنتم فغيّرنا دهر فأنتم كما كنّا تكونونا
حثّوا المطي وأرخوا من أزمّتها قبل الممات وقضّوا ما تقضونا
أحكموا أمر دنياكم فإنّكم كما يموت الأولى أنتم تموتونا (13)
قد مال دهر علينا ثمّ أهلكنا بالبغي منه فقد صرنا آفانينا
كنّا زمانًا ملوك الناس (14) قبلكم وفي بلاد حرام كان يأوينا

---

651 4) ق : فأبادنا ـ 5) ن : ولم ـ 6) هذا البيت غير موجود في ل ن ـ 7) سقطت من ق ـ 8) ل ن : وتحامر ـ 9) ل ن : بن غادر ـ 10) ق : بشيء أحبّه ـ 11) ق : جزع ـ 12) ل ن : الزبير ـ 13) سقط هذا البيت من ق ـ 14) ل ن : كنّا ملوك زمان الناس ، والتصحيح عن الأزرقي 53.

فغيّر [1] عمرو بن لُحيّ دينه ودين إبراهيم وبدّله وحثّ العرب علَى عبادة التماثيل كما بيّنّا فيما سلف من هذا الكتاب . وفي هذا يقول رجل من جرهم كان علَى الحنيفيّة [كامل] :

يا عمرو لا تظلم بمكّة إنّها بَلَدٌ حرام
سائل بعادٍ أين هم وكذلك تخترم الأنام [2]
وبني العماليق الّذين لهم بها كان السوام

ولمّا أكثر عمرو بن لحيّ من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب علَى العرب عبادتها وامتحت [3] الحنيفية فيها إلاّ لمعا قال شحنة بن خلف الجرهمي [بسيط] :

يَا عَمْرو إنَّكَ قَدْ أحْدَثْتَ آلِهَةً شتّى بِمكَّةَ حَوْلَ البَيْتِ أنْصابا
وكانَ للبَيْتِ رَبٌّ واحِدٌ أبَدًا فَقَدْ جَعَلْتَ لَهُ في النَّاسِ أرْبابا
لَتَعْرِفَنَّ بِأنَّ اللَّهَ في مَهَلٍ سَيَصْطَفي دُونكم للبَيْتِ حُجَّابا

وعمّر عمرو بن لُحيّ [4] ثلاثمائة سنة وخمسًا وأربعين سنة ، وكان له من الولد وولد الولد ألف . ثمّ وليت البيت غبشان من خزاعة دون بني بكر بن عبد مناة ، وكان الّذي وليه منهم عمرو بن الحارث الغبشاني ، وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوت متفرّقة في قومهم من بني كنانة . واستمرّت ولاية خزاعة البيت كابرًا عن كابر حتّى كان آخرهم حليل بن حبشيّة بن كعب بن عمرو الخزاعي ، وكانت ابنته زوجة قصّي بن كلاب .

652 1) من هنا بعض ورقات ناقصة في ق ، راجع الفقرة 688 ـ 2) ل ن : يخترم الأيام ، والتصحيح عن المسعودي 962 ـ 3) ل ن : وأضحت ـ 4) ل ن : يحيى .

ذكر انهدام البيت الحرام بعد إبراهيم عليه السّلام وبنيان العمالقة وغيرهم إيّاه

(653)

وانهدم البيت بعد بناء إبراهيم له فبنته العمالقة ، ثمّ انهدم فبنته جرهم ، ثمّ انهدم فبناه قصّي بن كلاب أو هدمه هو وبناه بناء لم يبن أحد ممّن بناه مثله .
قال الزبير : وجعل قصّي يبني الكعبة ويقول [بسيط] :

أبني ونبني ونبيّ اللّه يرفعها   أبني ونبني اللّه أرفعها
بنيانها وبناؤها وحجابها   بيد الإله وليس بالعبد

قال : فبناها وسقّفها بخشب الرُّوم الجيّد وبجريد النخل وبناها علَى خمس وعشرين ذراعًا .

(654)

قالوا : وممّا رحت به قريش أنّ اللّه قد رضي عمّا كانوا أجمعوا عليه من هدم الكعبة أنّ حيّة كانت في بئر الكعبة الّتي كان يطرح فيها ما كان يهدى إليها ، فتخرج كلّ يوم تشرف علَى جدار الكعبة فلا يدنو منها أحد إلاّ احزألّت وكشرت وفغرت فاها ، فكانت ممّا يهابون . فبينا هي تشرف علَى جدار الكعبة كما كانت تفعل إذ بعث اللّه إليها طائرًا فاختطفها وذهب بها . وفي ذلك يقول الزبير بن عبد المطّلب [وافر] :

عَجِبْتُ لدى تصويب العُقاب   إلَى الثُّعْبان وهي لها اضطرابُ
وقد كانت يكون لها كشيش   وأحيانًا يكون لها وِثاب [1]
فلمّا أن خشينا الرجز جاءت   عقاب لها من الجوّ انْصِباب
فضمّتها إليها ثمّ خلّت   لنا البنيان ليس له حِجاب

---

654 1) ن : أوثاب .

فقمنا حاشدين إلَى بناء أساسه لنا منه القواعد والتُّراب [2]
غداة نرفع التأسيس منه وليس علَى مسوسنا ثِياب
وقد حشرت هناك بنو عدي ومـرّة تـقـدّمـهـا كِلاب
أعزّ بها المليك بني لؤيّ فليس لأصلهم منها ذَهاب
وبرّاك الإله لذاك مجدًا وعند اللّه يلتمس الثّواب

ذكـر حـرق الكعبـة

(655)

فلمّا احترقت الكعبة واحترق الركن الأسود [فتصدّع] [1] حتّى شدّه ابن الزبير بالفضّة علَى ما نورده بعد هذا إن شاء اللّه تعالَى ضعفت جدران الكعبة حتّى إنّ الحمام يقع عليها فتتنثر حجارتها وهي مجرّدة متوهّنة من كلّ جانب ، ففزع لذلك أهل مكّة وأهل الشّام جميعًا والحصين بن نمير مقيم يحاصرها . فأرسل إليهم ابن الزبير رجالاً من أهل مكّة من قريش وغيرهم فيهم عبد اللّه بن خالد بن أسيد إلَى الحصين ، فكلّموه وعظّموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا : إنّكم رميتموها بالنفط ، فأنكر ذلك ، فقالوا له : قد توفّي يزيد بن معاوية فعلَى من تقاتل ؟ ارجع إلى الشّام حتّى تنظر هل يجتمع النّاس علَى صاحبك ، يعنون معاوية بن يزيد . فلم يزالوا به حتّى لان لهم وخرج إلَى الشّام ، وكان خروجه من مكّة لخمس ليالٍ خلون من شهر ربيع الأوّل من سنة أربع وستّين .

---

654 2) ل ن : الثواب ، والتصحيح عن ابن هشام .

655 1) عن الأزرقي 132 .

ذكـر هـدم الحَجّـاج للكعبـة

(656)

ودخل الحجّاج مكّة فكتب إليه عبد الملك بن مروان : إنّ ابن الزبير كان قد زاد في بيت اللّه عزّ وجلّ ما ليس فيه . فكتب إليه الحجّاج يستأذنه في أن يردّه علَى ما كان عليه ، فأمره بذلك . فهدّم الحجّاج منه ستّ أذرع وشبرًا ممّا يلي الحجر وبناها علَى أساس قريش وسدّ الباب الّذي في ظهرها وترك سائرها لم يحرّك منه شيئًا ، (وكبّسها بما) [1] هدّم . فكلّ شيء منها اليوم بناء ابن الزبير إلاّ الجدار الّذي في الحجر فإنّه بناه الحجّاج . والمرتقَى إلَى الباب الشرقي الّذي يدخل منه اليوم أربع أذرع وشبر ، والدرجة الّتي في جوف الكعبة اليوم والبابان اللّذان عليها من عمل الحجّاج أيضًا .

وذكر بنيان عُمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه درج المسجد الحرام الّذي في جوفه الكعبة [2]

(657)

قال ابن جريج من كتاب الأزرقي : ولم يكن علَى المسجد الحرام الّذي في جوفه الكعبة جدران محيطة ، إنّما كانت الدور مُحدقة به من كلّ جانب ، غير أنّ بين الدور أبوابًا يدخل منها من جميع نواحيه فضاق علَى الناس ، فاشترى عمر بن الخطّاب رضه [دورًا] [1] فهدّمها ، وأبى بعضهم أن يأخذ الثمن وتمنّع من البيع ، فوضعت أثمانها في خزانة الكعبة حتّى أخذوها بعد ذلك . ثمّ أحاط عليها جدارًا قصيرًا وقال لهم : إنّما نزلتم علَى الكعبة وهو فناؤها ولم

---

656 1) عن الأزرقي 137 ، ل ن : وكتبنا ما ـ 2) زيادة عن السياق .

657 1) عن الأزرقي 54/2 .

تنزل الكعبة عليكم . ثمّ كثر الناس في زمان عثمان بن عفّان ، فوسّع المسجد واشترى دورًا من قوم ، وأبى آخرون أن يبيعوا فهدّم عليهم فصاحوا به فقال لهم : إنّما أحملكم عليّ حلمي عنكم .

ذكـر زيـادة ابن الزبيـر في المسجـد

(658)

وزاد ابن الزبير أيضًا في المسجد واشترى دورًا من الناس وأدخلها في المسجد وسقّف المسجد ولم يكن مسقّفًا ، إنّما كان محدقًا بجدار قصير ، وكانوا يجلسون إليه بالغداة والعشي يتبعون الأفياء ، فإذا قلص الظلّ قامت المجالس . ثمّ رفع عبد الملك جدارات الكعبة وسقّفه بالسّاج ، ثمّ أحكم الوليد بن عبد الملك عمل المسجد ونقل إليه أساطين الرُّخام وسقّفه بالسّاج المزخرف وجعل علَى رؤوس الأساطين الذهب وجعل للمسجد شرفات .

ذرع المسـجد والكعبـة والحجـر

(659)

ذرع المسجد طولاً من باب بني جمح إلَى باب بني هاشم الّذي عند العلم الأخضر ومقابل [1] دار العبّاس بن عبد المطّلب [أربعمائة ذراع وأربع أذرع مع جَدرَيْه يمرّ في بطن الحجر لاصقًا بجدر الكعبة . وعرضه من باب دار الندوة إلَى الجدار الّذي يلي الوادي عند باب الصفا لاصقًا بوجه الكعبة ثلاثمائة ذراع وأربع أذرع . وذرع عرض المسجد الحرام من المنارة الّتي عند

659 1) ل ن : يقابل -

المسعَى إلَى المنارة الّتي عند باب بني شيبة الكبير مائتا ذراع وثمان وسبعون ذراعًا . وذرع عرض المسجد الحرام من منارة باب أجياد إلَى منارة بني سهم مائتان وثمان وسبعون ذراعًا . أمّا الكعبة فطولها في السّماء سبع وعشرون ذراعًا] وذرع [طولها من] وجهها من الركن الأسود إلى الشامي [خمس وعشرون ذراعًا] ومن الركن الأسود إلَى [الركن] اليماني [عشرون ذراعًا ، وذرع دبرها من الركن اليماني] إلَى الغربي [خمس وعشرون ذراعا] ، ومن [الركن] الشامي إلَى الغربي [إحدى وعشرون ذراعا] ، وغلظ جدرانها [ذراعان] ومكسّر جميعها [أربع مائة ذراع وثمان عشرة ذراعًا] [2] .
وطول الحجر الأسود من الجدار ذراع وشبر وعرضه كذا إصبعًا [3] .

ذكر أبواب المسجد الحرام وأساطينه

(660)

وهي ثلاثة وعشرون بابًا فيها ثلاث وأربعون طاقًا ، من ذلك في الشقّ [1] الّذي يلي المسعَى ، (وهو الشرقي) [2] ، خمسة أبواب : الباب الأوّل وهو الباب الكبير الّذي يقال له باب بني شيبة ، وهو باب بني عبد شمس بن عبد مناف وبهم كان يُعرف في الجاهلية والإسلام عند أهل مكّة ، وهو ثلاث طاقات علَى أسطوانتين ، وما بين جدرانه أربع وعشرون ذراعًا . والباب الثاني باب [دار] [3] القوارير طاق واحد ، وعرضه سبع أذرع وارتفاعه عشرة . والباب الثالث وهو باب النبي صلعم كان يخرج منه ويدخل (فيه من) [4] منزله الّذي في زقاق العطّارين ، فيقال له الآن مسجد خديجة . والباب الرابع وهو باب العبّاس بن عبد المطّلب ، ثلاث طاقات علَى

---

659 2) نقلنا ما بين المعقفين عن الأزرقي 65/1 و 195/2 ـ 3) كذا .

660 1) ل ن : الصف ، والتصحيح عن الأزرقي 69/2 ـ 2) ل ن : وهو أكثر من ـ 3) عن الأزرقي ـ 4) ل ن : إلى .

أسطوانتين ، وما بين جداريْ الباب إحدى وعشرون ذراعًا . والباب الخامس وهو باب بني هاشم وهو مستقبل الوادي وهو ثلاث طاقات على أسطوانتين ، وما بين جداراته إحدى وعشرون ذراعًا .
ومنها في الشقّ الّذي يلي الوادي ـ وهو الشقّ اليماني ـ سبعة أبواب .

ذكـــر الحجـــر

(661)

صفة الحجر كنصف دائرة مفروش الصّحن بالرخام ، وهو من الركن الشّامي إلَى الركن الغربي ، وله باب ممّا يلي الركن الشّامي وباب ممّا يلي الركن الغربي ، وعرضه من جدار الكعبة الّذي تحت الميزاب إلَى جدار الحجر سبع عشرة ذراعًا وثمانية أصابع ، وذرع ما بين بابيْه عشرون ذراعًا (1) ، وعرضه [اثنتان وعشرون ذراعًا] (2) ، وتدويره من داخله ثمان وثلاثون ذراعًا ومن خارجه أربعون ذراعًا ، وارتفاع جداره ذراع واحد وعرضه ذراعان إلاّ إصبعين .

ذكــر مقــام إبراهيــم عليــه السّــلام

(662)

المقام مربّع مستطيل له ثمانية وجوه ، فذرع رأسه أربعة عشر إصبعًا في مثلها ، عرض طوله أحد وعشرون إصبعًا ، وهو مطوّق بالذهب ، وأثر القدم في أحد وجوهه الطّوال .

---

661 1) الأزرقي 217/1 : إحدى وعشرون ـ 2) عن الأزرقي .

(663)

قال الأزرقي : وكانت السيول تدخل المسجد الحرام من الباب المنسوب إلَى بني شيبة قبل أن يردم عُمر بن الخطّاب الردم الأعلَى ، وكان يقال لهذا الباب باب السيول .

ذكـر الملتـزم والحطيـم وزمـزم

(664)

[الملتزم ما بين الركن والباب] [1] .
غور زمزم ستّون ذراعًا ، وهو شرقي الكعبة ، وفي قعرها ثلاث عيون [2] .
قال رسول الله صلعم : ماء زمزم لما شرب له . وقال أيضًا : ماء زمزم لنا شرف .
فأمّا الحطيم فهو ما بين الكعبة وزمزم والمقام . قال الأزرقي : ما بين حجرة زمزم إلَى جدار الحوض الّذي قدام السقاية ، سقاية العبّاس بن عبد المطّلب ، وهي الّتي عليها القبّة ، إحدى وعشرون ذراعًا ونصف ، وذرع بطن الحوض اثنتا عشرة ذراعًا ونصف إصبع .

(665)

وروي أنّ علي بن أبي طالب حدث بحديث زمزم فقال : قال عبد المطّلب : إنّي نائم في الحجر إذا أتاني آت فقال : احفر طيّبة . قال : قلت : وما الطيّبة ؟ قال : ثمّ [1] ذهب عنّي ، فلمّا كان من الغد رجعت إلَى موضعي [فنمت فيه فجاءني] [2] فقال : احفر مظنونة . قال : قلت : وما المظنونة ؟

---

664 1) عن الأزرقي ـ 2) ل ن : ثلاثون عينًا .

665 1) سقطت من ل ن ـ 2) عن الأزرقي 34/2 ـ

قال : ثمّ ذهب عنّي ، فلمّا كان من الغد رجعت إلَى موضعي فنمت فيه فجاءني فقال : احفر برّة . قال : قلت : وما برّة ؟ قال : ثمّ ذهب عنّي ، فلمّا كان من الغد رجعت إلَى مضجعي فنمت فجاءني فقال : احفر زمزم . قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا [3] تنزف أبدًا ولا تدم تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم عند نقر الغراب الأعصم [4] عند قرية النمل . قال : فلمّا بيّن له شأنها ودلّ علَى موضعها [وعرف أنّه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطّلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر ، فلمّا بدا لعبد المطّلب الطّمي كبّر فعرفت قريش حاجته فقاموا إليه] [5] فقالوا : يا عبد المطّلب [6] إنّها بئر إسماعيل إنّ لنا فيها حقًّا ، فأشركنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعل ، إنّ هذا الأمر خصصت به دونكم . فقالوا : إنّا غير تاركيك [حتّى] نخاصمك فيها . قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم [أحاكمكم إليه] [5] . قالوا : كاهنة بني سعد بن هذيم . قال : نعم . وكانت بأشراف الشام .

(666)

فركب عبد المطّلب ومعه أشراف بني أميّة وبني عبد مناف وركب من كلّ قبيلة من قريش نفر ، والأرض إذ ذاك مفاوز . قال : فخرجوا حتّى إذا كانوا في بعض الطريق في تلك المفاوز بين الحجاز والشام ، فنَي ماء عبد المطّلب وأصحابه وظمئوا حتّى أيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش ، فضنّوا عنهم وأبوا من سقيهم وقالوا : إنّا بمفازة ونحن نخشَى علَى أنفسنا مثل ما أصابكم . فلمّا رأى عبد المطّلب ما صنع القوم قال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : ما رأينا إلاّ تبع لرأيك ، فمرنا بأمرك . قال : فإنّي أرى أن يحفر كلّ رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوّة ، فكلّما مات رجل دفنه أصحابه وواروه حتّى يكون آخركم رجلاً

---

665 3) ل ن : لن ـ 4) ل ن : الأعظم ـ 5) عن الأزرقي 35/2 ـ 6) ل ن : يا عبدالله .

[واحداً] ، فضيعة رجل واحد منكم أيسر من ضيعة ركب جميعًا . قالوا : نعم ما أمرت به . فقام كلّ واحد منهم وحفر حفرة ، ثمّ قعدوا ينتظرون الموت عطشًا .

ثمّ إنّ عبد المطّلب قال لأصحابه : ما إقامتنا هكذا للموت ألا نضرب في الأرض ونبتغي لأنفسنا مخرجًا ، فعسى اللّه أن يرزقنا ماء . وارتحلوا وقبائل قريش تنظر إليهم ما هم فاعلون ، حتّى إذا تقدّم عبد المطّلب إلَى راحلته ، فلمّا انبعثت به انفجرت من تحت خفّها عين ماء عذب . فكبّر عبد المطّلب وكبّر أصحابه ، ثمّ نزل وشرب وشربوا واستقوا حتّى ملّوا أسقيتهم ، ثمّ دعا القبائل من قريش فقال : هلمّوا إلَى الماء ، فقد سقانا اللّه ، فاشربوا واستقوا . فجاؤوا وشربوا واستقوا فقالوا : قد واللّه قضى [اللّه] لك علينا ، واللّه لا نخاصمك في زمزم أبدًا ، فارجع إلَى سقايتك راشدًا . فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلَى الكاهنة وخلّوا بينه وبين زمزم .

ذكر المنبر الّذي اتّخذه معاوية

(667)

وقد كان مَن مضَى يخطبون النّاس يوم الجمعة بمكّة علَى أرجلهم قيامًا حتّى اتّخذ معاوية منبرًا صغيرًا علَى ثلاث درجات قدم به من الشام سنة حجّ . ثمّ صنع الخلفاء بعده [منبرًا] أحكمت صناعته مفصّلاً قطعًا ، وكان في خزانة المسجد ، فإذا كان عيد أو جمعة أخرج المنبر أعوادًا مفرّقة ونصب ما بين باب البيت والركن الشامي فيما يقابل المقام وأسند إلَى جدار البيت ، فيصعد الإمام يخطب عليه . وكذلك إذا ورد علَى صاحب مكّة كتاب من الخليفة نُصب وقُرئ عليه الكتاب .
فلمّا كانت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة تكسّر ذلك المنبر في المسجد الحرام ، وكان سبب كسره أنّ صاحب مصر الملقّب بالحاكم الحسن بن نزار بن معد أرسل إلَى صاحب مكّة أبي الفتوح الحسَن بن جعفر الحسني ـ قال القاضي

الموسوي : وهو يومئذ قاضي مكّة وما والاها - بكتاب فيه شتم بعض الصحابة - رضوان اللّه عليهم - وبعض أزواجه صلعم ، وأمر بقراءته علَى الناس . فلمّا فشا ذلك عند الناس من المجاورين والقاطنين بمكّة والمنتجعين وغيرهم من البلاد من قبائل العرب المجاورة ، هذيل ورواحة وغيرهم ، رجعوا إلَى المسجد غضبًا للّه ولنبيّه ولأصحابه رضي اللّه عنهم . فلمّا بلغ ذلك القاضي تثاقل عن الخروج وتبطّأ وطال انتظار النّاس له حتّى قال قائل : قد صعد المنبر. فرماه الناس بالحجارة وزحفوا إليه فلم يجدوه عليه ، فتكسّر المنبر وصار رضاضًا . وكان يومًا عظيمًا ومشهدًا مهيبًا ولم يقدم أحد بعد ذلك أن يعلّق بذلك المذهب .

ذكــر الصفــا والمــروة

(668)

ذرع ما بين (الركن الأسود والصفا) [1] مائتان واثنتان وستّون ذراعًا وثمانية عشر إصبعًا ، وذرع ما بين المقام [إلَى باب المسجد الّذي يخرج منه إلَى الصفا مائة ذراع وأربع وستّون ذراعًا ونصف ، وذرع ما بين باب المسجد الّذي يخرج منه إلَى الصفا إلَى وسط] [2] الصفا مائة واثنتا عشرة ذراعًا ونصف ، ومن وسط الصفا إلَى علم المسعَى الّذي في حدّ المنارة [3] مائة واثنتان وأربعون ذراعًا ، وذرع ما بين العلم الّذي في حدّ المنارة إلَى العلم الأخضر الّذي علَى باب المسجد - وهو المسعَى - مائة واثنتا عشرة ذراعًا . وعلَى الصفا اثنتا عشرة درجة من حجارة ، وعلَى المسعَى الّذي في حدّ المنارة بناء ارتفاعه أربع أذرع [4] عليه أسطوانة طولها ثلاث أذرع ونصف ملبّسة ، وفوقها لوح

---

668 1) ل ن : الركن إلى الصفا ـ 2) عن الأزرقي 95/2 ـ 3) ل ن : منارة المسجد ـ 4) سقطت من النسخ ـ

رخام طوله ذراع وثمانية عشر إصبعًا في عرض ذراع مكتوب فيه بالذهب وفوقه طاق ساج .

وطول العلم الأخضر الّذي علَى باب المسجد عشر أذرع وأربعة عشر إصبعًا منها أسطوانة بيضاء طولها ستّ أذرع وفوقها أسطوانة طولها ذراعان وعشرون إصبعًا وفوقها لوح طوله ذراع وثمانية عشر إصبعًا .

والصفا من أصل جبل أبي قبيس والمروة في أصل قعيقعان . وهذه الدرجات المذكورة مراق في سنديهما ، ويرقَى منهما الطائف للدعاء . والحجّون الجبل المشرف علَى مسجد الجنّ [5] بأعلَى مكّة ، علَى يمين [6] المصعد إلَى منَى ، وهو مشرف أيضًا علَى (شعب الجزّارين) [7] .

ذكـــر القبلـــة

(669)

قبلة أهل الكوفة وبغداد الركن الّذي بين الباب والحجر ، وهو إلَى الباب أقرب قليلاً . وقبلة أهل الجزيرة عن يمين هذا الركن ممّا يلي الحجر منحرفًا إلَى الحجر . وقبلة أهل الشام ميزاب الكعبة . وقبلة أهل اليمن الركن اليماني . وقبلة أهل اليمامة الركن الّذي فيه الحجر الأسود . وقبلة أهل البصرة باب البيت . وقبلة أهل جدّة وما جاورها [1] من أسوان والصعيد وما وراء البحر ممّا بين الركن الغربي واليماني .

---

668 5) الأزرقي : الحرس ــ 6) ل ن : يمينه ــ 7) ل ن : سقف الحدّادين .

669 1) ل : جاوها ، ن : حواها .

ذكر أرزاق السَّدَنة والحَجَبة في المسجد الحرام

(670)

ثمن الزيت لسرجها أربعة آلاف دينار وثلاثمائة دينار كلّ عام ، والنفقة لطيب الكعبة ثلاثة آلاف دينار وستّمائة دينار وسبعون دينارًا ، وما يحمل للمجاورين بها من العين خمسة آلاف وثلاثمائة ، ومن الورق أحد وعشرون ألفًا .

ذكر شعاب مكّة وسائر مناسكها

(671)

مقابر أهل مكّة الإسلامية الّتي يتدافنون فيها منذ قام الإسلام خمس عشرة مقبرة . فأوّلها وأفضلها الّتي بأعلَى مكّة وهي المقبرة الّتي جاء فيها الخبر عن رسول الله صلعم قال : نعم المقبرة مقبرة أهل مكّة . وهي الّتي في الشعب الّذي يقال له شعب عمرو . ويقال إنّه ليس بمكّة شعب يستقبل الكعبة بأجمعه وكلّيته إلاّ هذا الشعب ، وأهل مكّة يؤثرون التدافن فيه علَى سائر المقابر .

شعب الجودي ، سُمّيَ بذلك لأنّ نافع بن الجودي مولَى نافع بن عبد الحارث الخزاعي نزله ، وكان أوّل من بنَى فيه فسمّي به . شعب بني عبد المطّلب ، وفيه ولد رسول الله صلعم وموضع مولده معروف إلَى اليوم ، قد بُني فيه مسجد وحدّ فيه موضع وجعلت عليه مكبّة . شعب أجياد ، وهو غربي جبل أبي قُبيس . رُوي عن النّبي صلعم أنّه قال : بئس الشعب أجياد تخرج منها الدّابة . شعب فاضح ، شعب الصفَى ، وهو الّذي يقال له شعب الشباب سُمّي بذلك لأنّ قريشًا كانت إذا أرادت أن تشتدّ خرجت إليه ،

ولمعاوية فيه حائط يسمّى بحائط الصفَى ، وذلك الحائط اليوم قد ذهب ، كذا وكذا بالفتح والضم وهو الفلق الذي في الجبل على المحصب ، وهو الموضع الّذي بركت فيه ناقة رسول الله صلعم قبل الفتح وهي القصوى ، فقالوا : حلّت القصوى . فقال : ما حلّت القصوى وما هو لها بخلول ، ولكن حبسها حابس الفيل . وكذلك بالضمّ في طريق التنعيم في عقبة بني شافع .

منـــى

(672)

من المسجد الحرام إلَى الجمرة الثانية أربعة أميال ، ومن جمرة العقبة ـ وهي أوّل الجمار ممّا يلي مكّة ـ إلَى الجمرة الوسطَى أربعمائة ذراع وسبع وثمانون ذراعًا واثنا عشر إصبعًا . ومن الجمرة الّتي تلي مسجد منًى ـ وهي آخرها ـ إلَى أوسط [1] أبواب مسجد منًى ألف ذراع وثلاثمائة ذراع . فأمّا الجمرة الوسطَى فليس بينها وبين الّتي تلي [مسجد] منًى إلاّ مسافة يسيرة جداً . وعرض منًى من مؤخّر المسجد الّذي يلي الجبل [إلَى الجبل الّذي] [2] بحذائه ألف ذراع [وثلاثمائة ذراع] [2] ، وطولها من جمرة العقبة [3] إلَى وادي محسّر (سبعة آلاف ومائتا ذراع) [4] . ووادي محسّر خمسمائة ذراع وخمس وأربعون ذراعا . ومن مسجد منًى [إلَى] قرين الثعالب ألف وخمسمائة وثلاثون ذراعا . (وعرض مأزمي منًى من الجبل إلَى الجبل خمسون ذراعًا) [5] ، وعرض الطريق الأعظم إلَى العقبة المدرّجة [ستّ وثلاثون ذراعًا] [6] ، وعرض [طريق] شعب علي ـ وهو حيال جمرة العقبة ـ (ستّ وعشرون ذراعًا) [7] . واسم الجبل الذي مسجد الخيف بأصله ـ وهو مسجد بني صالح ـ واسم الجبل الذي يواجهه القابل عليه [8] .

---

672 1) ل ن : وسط ـ 2) عن الأزرقي 150/2 ـ 3) ل ن : العقيق ـ 4) ل ن : سبعمائة ذراع ، والتصحيح عن الأزرقي ـ 5) ل ن : وعرض مازم من الجبل الجبل ـ 6) عن الأزرقي ـ 7) ل ن : اثنين وعشرين ـ 8) كـذا .

(673)

وذرع مسجد المزدلفة تسعة وخمسون ذراعًا وشبر في مثله . وذرع ما بين مسجد المزدلفة ومسجد عرفة ثلاثة أميال وثلاثة آلاف وتسع عشرة ذراعًا ، ومن مسجد عرفة إلَى موقف الإمام غشية عرفة ميل . والله أعلم .

ذكـر جبـــال مكّــة

(674)

جبل أبي قُبيس ، وهو الجبل الّذي يُشرف علَى الصَّفا إلَى السُّويداء إلَى الخندمة ، وكان يُسمّى في الجاهلية الأمين . قال الزبير بن بكّار : وإنّما سُمّي الأمين لأنّ الركن [الأسود] [1] كان مستودعًا فيه من الطوفان ، فلمّا بنَى إبراهيم وإسماعيل عليهما الصَّلاة والسَّلام البيت ناداهما أنّ الركن في موضع كذا وكذا . وسُمّي أبا قُبيس لأنّ أوّل من نهض للبناء فيه رجل من مذحج ـ ويقال من إياد ـ يقال له أبو قبيس ، ويقال لأنّ الركن اقتبس منه . وفي هذا الجبل موضع يقال له الجر والميزاب ، وهما موضعان يسكبان الماء إذا كان المطر يصبّ أحدهما علَى الآخر ، لأنّ الأعلَى منهما الجر والميزاب هو الأسفل . وعلَى رأسه حجارة مشرّفة يقال لها الكبش .

(675)

الجبل الأحمر ، كان يسمّى في الجاهلية الأعرف ، وهو الجبل المُشرف وجهه

---

674 1) عن الأزرقي 215/2 .

علَى قعيقعان علَى دور عبد الله بن الزبير . وكان رجلاً من قريش يبري نبلا ، فقالت له امرأته : لِمَ تبري هذا النبل ؟ قال : بلغني أنّ محمّدًا يريد أن يغزو مكّة ، فلئن جاء لأخدِمَنّك خادمًا (من بعض من نستأسر) [1] . وكانت قد أسلمت سرًّا ، فقالت : والله لكأنّي بك قد جئتَ تطلب مخبأ تحمي فيه ، لو رأيت خيل محمّد . فلمّا دخل رسول الله صلعم يوم الفتح أقبل إليها وقال : ويحك هل من مخبأ ؟ فقالت له : فأين الخادم ؟ فقال : دعيني عنك وجعل يقول [كامل] :

إنّكِ لوْ أبْصَرْتِ يوم الخندمة إذ فرَّ صفوان وفرّ عكرمة
وضربوا بالسيف هام المسلمة يقطعن كلّ ساعد وجمجمة
طرًّا فلا تسمع إلاّ غمغمة لهم نهيب خلفنا وهمهمة
لم تنطقي في اللّوم أدنَى كلمة

(676)

الجبل الأبيض هو الجبل المشرف علَى حقّ أبي لهب ، وهو مشرف (علَى فلق ابن الزبير ، وكان يسمّى في الجاهلية المستنذر .
جبل الأعرج في حقّ آل عبد الله بن عامر ، مشرف) [1] علَى شعب أبي زياد وشعب ابن عامر ، والأعرج مولًى لأبي بكر رضه كان بنَى فيه فنسب إليه . وشعب ابن عامر كلّه يقال له المطابخ .
الحزورة كانت بفناء دار أمّ هاني بنت أبي طالب الّتي كانت عند الحنّاطين [2] ، فدخلت في المسجد الحرام وكانت في أصل المنارة الّتي إلَى الحثمة [3] ، والحزورة موضع سوق . مسجد الجنّ : يقال إنّه موضع الخطّ الّذي خطّه رسول الله صلعم لابن مسعود ليلة استمع إليه الجنّ ، وهو يسمّى مسجد البيعة ويقال إنّ الجنّ بايعوا رسول الله صلعم فيه .

---

675 1) ل ن : من بعض نساء يثرب .

676 1) سقطت من ن ـ 2) ن : الخيّاطين ـ 3) كذا الأزرقي 238/2 ، ل ن : الخيمة .

(677)

جبل حراء : وهو الّذي كان يتحنّث فيه رسول الله صلعم قبل الوحي ، وفيه نزل عليه جبريل أوّل ما أوحي إليه وفيه بشّره بالنبوّة . وبينه وبين مكّة ميل ونصف ، وهو جبل منفرد علَى طريق حُنين من مكّة ، وهو منيف صعب المرتقَى لا يصعد إلَى أعلاه إلاّ من موضع واحد في صفاة ملساء :والموضع الّذي نزل فيه جبريل عليه السّلام في أعلاه من مؤخّره .

جبل ثبير : وهو أعلَى جبالها وأعظمها ، يكون ارتفاعه علوًا ميل ونصف . قال امرؤ القيس [طويل] :

كأنّ ثبيرًا في عرانين ودقه   كبير أناس في بجادٍ مزمّل

وهو من الناحية المتّصلة بمنَى . وهذان الجبلان - ثبير وحراء - ما بين المشرق والشمال [من مكّة] ، وكذلك حنين من هذين الجبلين ما بين المشرق والشمال . ومن مكّة إلَى حُنين اثنا عشر ميلاً .

[أعلام الحرم]

(678)

قال الزبير : أوّل من نصب أعلام الحرم عدنان بن آد لمّا خاف أن يدرس الحرم ، وأعلام الحرم محيطة بمكّة قد نُصبت في البقاع والتّلال والغيطان والقيعان . فحدّ الحرم من ناحية التنعيم علَى طريق يثرب إلَى مرّ الظهران خمسة [أميال] ، ومن طريق جدّة عشرة [أميال] ، ومن طريق اليمن ستّة [أميال] ، ومن طريق الطائف سبعة [أميال] ، ومن طريق العراق كذلك .

رتبة قيام رمضان بمكّة

(679)

قال سفيان بن عيينة : أوّل من أدار الصُّفوف حول الكعبة عند قيام رمضان خالد بن عبد الله القسري ، وكان الناس يقومون في أعلَى المسجد ، فلمّا ولي خالد مكّة لعبد الملك وحضر شهر رمضان أمر خالد الأئمّة أن يتقدّموا ويصلّوا خلف المقام وأدار الصفوف حول الكعبة . وكان عطا بن أبي رباح وعمرو بن دينار وغيرهم من العلماء يحضرون لذلك فلا ينكرونه . ولا تكاد تتقضّى صلاتهم حتّى يطلع الفجر ، وعلَى جبل أبي قبيس رتبة ترقّب طلوعه للمتسحّرين ، فإذا بان لهم نادوا : امسكوا امسكوا رحمكم الله .

ذكر دخول القرامطة ـ لعنهم الله ـ مكّة بالسيف وقتل الحاجّ منها

(680)

وقال إبراهيم بن فارس وأبو بكر محمّد بن علي بن القاسم في تأريخه وغيرهما إنّ أبا الطّاهر سليمان بن الحسن القرمطي ـ لعنه الله ـ صاحب البحرين لمّا دخل مكّة بالسيف ، وهو في تسعمائة رجل ، وذلك يوم الاثنين لسبع خلون من ذي الحجّة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، قتل في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنساء وهم متعلّقون [1] بأستار الكعبة ، ورحم [2] منهم زمزم وفرش المسجد وما يليه ، وقلع الحجر الأسود وأخذ أستار الكعبة وهتك حرمتها . قال محمّد بن علي الذهبي : وحضرته يوم قلع يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة خلت من ذي الحجّة من العام المؤرّخ ، قلعه بيده جعفر

---

680 1) ن : مشتغلون متعلقون ـ 2) كذا ـ

بن أبي علاج البنّا المكّي بأمر القرمطي ـ لعنه الله ـ وحمل الحجر إلَى بلاده . قال أصحاب التواريخ : فرمَى الله عزّ وجلّ القرمطي في جسده وطال عذابه وتقطّعت أوصاله وأراه الله عزّ وجلّ في نفسه عبرة . وأُعيد الحجر في مكانه يوم النحر ، ردّه بيده حسن بن المزوّق البنّا ، فكانت غيبته (3) من يوم قُلع إلَى يوم رُدّ اثنتين وعشرين سنة إلاّ أربعة أيّام . وكان مكانه فارغًا يدخل المسلمون أيديهم فيه إلَى أن ألقَى الله في قلوب الكفرة رهبة . قال : وأخبرني أبو العبّاس قال : لمّا حضرت سنة خمس عشرة وأربعمائة الحفر بين الحجون والأوصام أثيرت (4) هناك جماجم وعظام كثيرة ، فلمّا رأوا ذلك أعادوا ما نُبش من التراب منها .

ذكــر كســر الحجــر

(681)

قال : وشهدت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة كسر الحجر الأسود ، وذلك أنّه لمّا كان ثالث يوم النحر ، وهو اليوم الّذي يتعجّل فيه الحُجّاج من منًى إلَى مكّة ، والناس في صلاة الظهر ، أتى (1) رجل من غمار الناس كان ممّن ورد في قافلة مصر زعموا أنّه من مدينة بردعة ، فانتهز الفرصة باشتغال الناس في صلاتهم فقصد قصد (2) الحجر بيده دبّوس من حديد ، فضربه ضربات أبان بها من وسطه ثلاث شظايا ، ثمّ ولّى ذاهبًا يريد باب الصفا ، فبادره الناس فقُتل مكانه وقتل لأجله من حاج أهل المغرب في شعاب مكّة وأطرافها أزيد من خمسمائة رجل . ثمّ رُدّت تلك الفلق إلَى موضعها وشدّت باللجين .

---

680 3) ل ن : بين غيبته ـ 4) ل ن : فأثيرت .

681 1) ل ن : فأتى ـ 2) سقطت من ن .

(682)

ومن عجائب مكّة أنّ الحمام وجميع الطير يهوي في طيرانه ، فإذا قارب أن يحاذي الكعبة أخذ يمينًا وشمالاً ولا يعلوها البتّة ولا يترل علَى جدرها إلاّ أن يكون مريضًا ، والطير تنزل علَى سائر جدر المسجد وقبّة زمزم وغيرها [1] .

ذكر المواضع الّتي اعتمر منها النبي صلعم

(683)

الجعرانة وبركة أمّ جعفر ، ومنها اعتمر رسول الله صلعم منصرفه من هوازن ، ثمّ قسم غنائم هوازن بعد عمرته بأوطاس ، وعمرة أخرى بنجر ممّا يلي طريق مكّة .

ذكر ما بين مكّة والمدينة من مساجد رسول الله صلعم

(684)

بين مكّة والمدينة مسجدان بذي الحُليفة : المسجد الكبير الّذي يحرم الناس منه ، والآخر مسجد المعرّس [1] علَى ميلين من العليا له في صفح الجبل [2] . وعلى سبعة أميال من السيالة مسجد يقال له مسجد (غرق الظبية)[3] ، فيه كانت مشاورة النبي في قتال أهل بدر . وعلَى ثلاثة أميال من الروحا مسجد في سند الجبل يقال له مسجد المنصرف ، وفي أوّل الرويثة [4]

---

682   1) ن : والله أعلم .

684   1) ل ن : المقوس ــ 2) كذا ــ 3) ل ن : عرق المطيب ــ 4) ن : الدونيه ــ

مسجد ، وقبل أن تأتي العرج مسجد ، وفي أوّل القرية مسجد يُعرف بمسجد الأثاية [5] ، وعلَى أربعة أميال من العرج مسجد ، وعلَى ميل من طلوب مسجد ، وعلَى خمسة أميال من الأبواء مسجد ، وعلَى ثمانية أميال من الأبواء مسجد ، وقبل المشلّل [6] خيمتا أمّ معبد ، ومن قديد إلَى عين أبي ربيع ، وهو خليص ، ثمانية أميال ، وهي عين ثرّة عليها نخل كثير وشجر وقبها مسجد ، والعقبة قبل خليص بثلاثة أميال ، وهي ثنية كعب وعندها مسجد ، ومن خليص إلَى أمج ثلاثة أميال ، وله مساجد غير ما ذكرنا .

مساجد النّبي صلعم بناحية
المدينة وما يليها

(685)

مسجد التور ومسجد العدوة ومسجد القصيح ومسجد عثمان بن عفّان ومسجد رباح ومسجد العسكر ومسجد بلال في سفح الجبل ومسجد رومان ومسجد الفتح ومسجد جبل الخندق (ومسجد الرحمة) [1] ومسجد الجماعة ومسجد العجوز ومسجد القِبْلتّين ومسجد بني زُريق ومسجد بني ساغدة ، وهو مسجد السفينة ، مسجد بني كعب .

ذكر مدينة رسول الله صلعم

(686)

أسماء المدينة : طَيّبة وطابة [1] والمجبورة والمرحومة والعذراء والمُحبّة والمحبوبة

---

684 5) ن : الإنابة ـ 6) ل ن : المشكل .

685 1) سقطت من ن .

686 1) ل ن : طابت ، والتصحيح عن ابن رسته 78 ـ

والقاصمة [2] وجابرة ، وسمّاها الله عزّ وجلّ المدينة وكذلك كان رسول الله صلعم كما قال : إنّ الله حبّب إلينا المدينة كحبّ مكّة أو أشدّ . وقال : علَى أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها من الطاعون . وقال : والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون [3] .

وروى زبير بن أسيد الساعدي قال : جاء رجل إلَى رسول الله صلعم فقال : بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ، إنّي قد رأيت موضعًا للسوق أفلا تنظر إليه ؟ قال : بلَى ، وقام معه حتّى جاء فنظر إليه وقال : هذا سوقكم ، فضرب برجله وقال : لا ينتقض ولا يضرب عليه خراج .

جبـــال المدينـــة

(687)

جبل أُحد وجبل عرايات وجبل حيش وجبل عيد وجبل سلع وجبل يحت وجبل المرعا وجبل القدوم وجبل الأصفر ، والحرّة تحيط [1] بها كلّها .

ذكر [1] مسجد رسول الله صلعم الّذي قبره ـ كرّمه الله ـ فيه

(688)

روى أبو داود عن ابن عُمر أنّ المسجد كان علَى عهد رسول الله صلعم مبنيًّا باللّبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئًا ، لكنّه

686 2) ل ن : والقاصبة ـ 3) راجع الحميري 401 .

687 1) ل ن : محيطـه .

688 1) يستأنف هنا ق ـ

تخرّب في خلافته فبناه علَى حاله (بجريد النخل) [2] ، وتخرّب في خلافة عُمر فبناه كذلك (وزاد فيه) [3] ، وتخرّب في خلافة عثمان بن عفّان فزاد فيه زيادة كثيرة وبناه بالحجارة المنقوشة والفضّة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقّفه بالسّاج .

(689) [1]

وروي أنّه قيل للنّبي صلعم : سدّه أي أصلحه . فقال عريش كعريش موسَى ، ولم يكن في عهده علَى سقفه طين ، ولو كان كذلك ما هطل الماء ، وعلَى جبهته وأنفه أثر الماء والطين . ثمّ إنّ الوليد بن عبد الملك هدّمه سنة ثمان وثمانين وزاد فيه فأتقنه . قال الواقدي والطبري : وكان قد بعث إلَى صاحب الروم يُعلمه أنّه أمر بتجديد مسجد رسول الله صلعم والتوسعة فيه ويسأله أن يبعث إليه بأهل الحرف والرفق من البناة ، فبعث إليه الطاغية بمائة ألف مثقال ومائة بنّاء وبأربعين حملاً من فُسيفساء ، وأمر الوليد بن عبد الملك عُمر بن عبد العزيز بهدم المسجد وإدخال حُجَر أزواج النّبي صلعم في المسجد ، وأمره أن يشتري ما في مؤخّره ونواحيه حتّى يكون مائتي ذراع في مثلها ، وكتب إليه أن يقدّم القِبْلة إن قدر . وعلَى ذلك مَن أبَى من بيع داره أمره بتقويمها قيمة عدل ، ثمّ دفع الأثمان فيها وهدّمها ، وقال : إنّ لك في ذلك صدق عمر وعثمان رضي الله عنهما . فأقرأ عُمر بن عبد العزيز كتاب الوليد علَى من حضره من قريش وغيرهم ، فأجابوه إلَى البيع فقبضوا ثمن ما أعطاهم إيّاه . وقد كان عبد الله بن عبد الله بن عمر أبَى من بيع بيت حفصة وقال لعمر : لو خرقت سقفه وملأته لي من ذهب ما بعتُه . فأخبر بذلك الوليد وكتب إليه الوليد : المسجد أحقّ به فخذه . وقال عبد الله عند ذلك : فدع لي طريقي . فترك له الخوخة مكان ما أخذ . ثمّ أخذ عمر في هدم البيت والسوق وقدم عليه

---

688 2) عن ق ، ل ن : فزاد فيه ــ 3) سقطت من ق ــ

689 1) هذه الفقرة غير موجودة في ل ن .

الصّنّاع والفعلة من عند الوليد ، فأسّسوا أساس المسجد . واستعمل عمر رحمه الله علَى هدمه وبنائه صالح بن كيسان بداية في صفر سنة ثمان وثمانين حتّى كمل علَى أفخم هيئة وأحسن بنية وأتمّ إتقان .

(690)

قال عبد الله بن مسلم : ثمّ وسّعه المهدي سنة ستّين ومائة ، وزاد فيه المأمون زيادة كثيرة ووسّعه . قال : وقرأت علَى موضع زيادة المأمون : أمر عبد الله عبيد الله بعمارة مسجد رسول الله صلعم سنة اثنتين ومائتين يطلب ثواب الله (وطلب كرامة الله) [1] ، فإنّ الله عنده حسن الثواب [2] وكان الله سميعًا بصيرًا . أمر عبد الله عبيد الله بتقوى الله ومراقبته وصلة الرحم والعمل بكتاب الله وسنّة رسوله [3] وتعظيم ما صغر الجبابرة من حقوق الله وإحياء لما أماتوا من العدل وتصغير ما عظّموا من العدوان والجور ، وأن يُطاع مَن أطاع الله ويعصى من عصى الله، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الله ، وأمر بالتسوية بينهم في فيئهم ووضع الأخماس مواضعها . قال غيره : وفي سنة عشرة وثلاثمائة أمر المقتدر فركبت أبواب السّاج علَى مسجد رسول الله صلعم .

(691)

قال ابن شبية : قال أبو غسّان : ذرع عرض مسجد رسول الله صلعم من مقدّمة من المشرق إلَى المغرب (مائة وخمس وستّون ذراعًا ، وذرع عرضه من مؤخّره من المشرق إلَى المغرب) [1] مائة ذراع وثلاثون ذراعًا ، (وارتفاع سمك المسجد ... ويقصر مؤخّره عن مقدّمه خمسًا وثلاثين ذراعًا) [1] . وطول المسجد من ناحية [2] اليمن (إلَى الشام) [1] مائتان وأربعون ذراعًا ،

---

690 1) سقطت من ل ن ـ 2) ق : فإنّ عنده ثواب الدنيا والآخرة ـ 3) ل ن : رسول الله ﷺ .

691 1) سقطت من ل ن ـ 2) سقطت من ق ـ

وخالص طول رحبته من اليمن إِلَى الشَّام مائة وخمسون ذراعًا (وخالص عرض رحبته من المشرق إِلَى المغرب ...) [1] . وفيه من الأساطين مائتان وستّ وتسعون ، وفي حظير القبر منها ثلاث [3] . وعن شرقيّ المنبر منها أربع [4] وعن غربيّه أربع [4] . وعدد أبواب المسجد عشرون : في الشرق ثمانية وفي الغرب ثمانية وفي الشرق الشَّامي أربعة أبواب ، وهذه الأبواب سوى خوخة آل عمر الّتي تحت المقصورة وسوى الخوخة الّتي (إِلَى دار مروان ، يخرج منها الولاة إِلَى المقصورة ، وسوى الخوخة الّتي) [1] في غربيّ المقصورة .

(692)

(وللمسجد ثلاث صوامع : اثنتان في الشرق وواحدة في الغرب ، وطول الغربية ثلاث وخمسون ذراعًا [1] ، وطول إحدى الشرقيتين خمسون ذراعًا والأخرى خمس وخمسون ذراعًا ، وتربيع كلّ واحدة منها ثماني أذرع في مثلها) [2] .

وارتفاع منبر رسول الله صلعم (دون الزيادة ذراعان وأربعة عشر إصبعًا ، وهو ثلاث أذرع بالمقعد ، والدرجتان شبران في شبر والمقعد ذراعان في مثلها . والمنبر الّذي زاده مروان فيه طوله أربع أذرع وفي عرضه) [2] ذراعان ونصف ، وعرض الرخام الّذي [3] حول المنبر ثماني عشرة ذراعًا (وطوله ...) [2] بين ستّ أساطين ، قدام المنبر منها أسطوانتان .

(693)

وذرع ما بين القبر والمنبر (ثلاث وخمسون ذراعًا وشبر ، وذرع ما بين

---

691 3) ل : مائة أذرع ، ن : ثلاثة أذرع ـ 4) ل ن : أربعة أذرع .

692 1) الأرقام غامضة في هذه الفقرة وفي التالية ، فنقلناها من ابن رسته 76 ـ 2) سقطت من ل ن ـ 3) ل ن الرخامة التي .

المنبر) [1] ومقام النبي صلعم الّذي كان يصلّي فيه حتّى توفّي رسول الله صلعم أربع عشرة ذراعًا وشبر . وذرع ما بين مصلاّه الأوّل وبين الأسطوانة المعروفة بأسطوانة التوبة تسع عشرة [ذراعًا] . وذرع ما بين جدار القبلة اليوم إلَى أسطوانة التوبة عشرون [ذراعًا] .

(وعلَى رأس محراب المسجد من خارج في الجدار مرآة مُربَّعة . وعدد قناديل المسجد مائتا قنديل وتسعون قنديلاً) [1] .

وفي صحن المسجد بيت هي خزانة المسجد ، وأمام البيت أسطوانة قد رسّمت في أعلاها بلاطة لمعرفة أوقات الظهر والعصر في جميع [2] أيّام العام .

وممّا يلي مؤخّر المسجد حائط فيه نخل كثير ، وهو الحائط الّذي كان لأبي طلحة الأنصاري المعروف ببيرحا (؟) .

(694)

فأمّا حدّ المسجد علَى عهد رسول الله صلعم فإنّ مالكًا قال : كان جدار المسجد الشرقي يمنَى القناديل الّتي (تلي خوخة آل عُمر ، يعني القناديل الّتي) [1] فوق الخوخة المواجهة للمنبر ، ومنتهَى ذلك إذا كنت واقفًا عند القبر ثلاث أساطين عن يسارك إلَى ناحية القبر ، وهو آخر المسجد الأوّل (شرقًا ، وثلاث أساطين عن يمينك أخره غربًا ، فأمّا آخر المسجد الأوّل) [1] فهو العضادة السفلَى من الباب الّذي يقال له باب عُثمان . فأمّا الجدار القبلي فإنّ حدّه معلوم بالمنبر والروضة . وكان عمر بن الخطّاب رضه قد قدّمه إلَى موضع المقصورة ، ثمّ قدّمه عثمان إلَى موضعه الّذي هو فيه الآن ، فلم يقدّم [2] بعد إلاّ ما زيد فيه يمينًا وشمالاً .

---

693 1) سقطت من ل ن ـ 2) سقطت من ق .

694 1) سقطت من ل ن ـ 2) نقص مقدار صحيفة في ق .

(695)

وصلّى الله علَى أكرم الأنبياء وخيرة الأصفياء وخاتم الأتقياء ، الّذي اختاره الله من أهل الأرض والسّماء ، محمّد بن عبد الله النبي الأمّي الهاشمي المدني المكّي ، وعلَى آله وأزواجه وذرّيته إلَى يوم الدّين ، وعلَى جميع الأنبياء والمرسلين ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين ، وسلام الله علَى سائر الصالحين .

ذكر نزول اليهود يثرب
وما حولها ومن معهم من العرب
قبل الأوس والخزرج

(696)

قد ذكرنا فيا سلف من هذا الكتاب أنّ أمّة من العماليق تُسمّى داسما نزلوا الحجاز، وكان ملكهم يقيا ويقال له الأرقم ابن أبي الأرقم، كذلك روي عن عروة بن الزّبير وغيره، فسكنوا مكّة والمدينة والحجاز كلّه وعتوا عتوًّا كبيرا. فلمّا أظهر الله عزّ وجلّ موسى على فرعون وأهلكه وجنوده وطىء الشّام وأهله وأقام بها، وبعث بعثا من بني اسرائيل إلى الحجاز وأمرهم أن لا يستبقوا منهم أحدًا . فوجدوا الأرقم بن أبي الأرقم فقتلوه وأصابوا ابنًا له شابًّا من أحسن الناس صورة ، فلم يقتلوه وقالوا : نستحييه حتّى نقدم به علَى رسول الله صلعم - يعنون موسَى - فيرى فيه رأيه . فأقبلوا ، فقبض الله عزّ وجلّ موسَى قبل قدوم الجيش . ولمّا سمع بقدومهم بنو إسرائيل خرجوا إليهم وتلقّوهم وسألوهم ، فأخبروهم بأمر الصّبي وقالوا لهم : قد خالفتم وعصيتم أمر نبيكم ، ومنعوهم دخول بلدهم وحالوا بينهم وبين الشام . وكان الحجاز إذ ذاك أكثر بلاد الله شجرًا وأظهرها ماءً . (فكان هذا أوّل سكنَى اليهود

الحجاز) [1] ، وكانوا بزمهرة ، وهي بين الشام والحرّة ، ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول ، سيل بطحان والعقيق وسيل قناة ممّا يلي زغابة [2] .

(697)

قال محمّد بن كعب القرظي : وخرجت قُريظة وإخوتهم (بنو هدل) [1] وبنو عمرو بن الخزرج بن الصريح وبنو النَّضير بن النحام بن الخزرج بن الصريح ، وهم [2] كلّهم من ولد هارون بن عمران ، فتبعوا آثار هؤلاء فنزلوا بالعالية علَى وادين يقال لهما مُذينب ومَهْزور ، نزلت بنو النَّضير علَى مُذينب واتّخذوا عليها الأموال ، (ونزلت قُريظة وهَدَل علَى مَهْزور) [1] واتّخذوا هناك الآطام والمنازل ، ونزل بعض قبائل العرب عليهم . فذكر توبة بن الحسن بن السائب بن أبي لُبابة عن أبيه عن جدّه قال : كان بالمدينة قرى وأسواق من يهود بني إسرائيل ، وكان قد نزلها عليهم أحياء [3] من العرب ، فكانوا معهم وابتنوا الآطام والمنازل قبل نزول الأوس والخزرج عليهم . وقال (شاعر بني أُنيفة) [4] [طويل] :

ولو نطقت يومًا قُباء لخبرت   بأنّا نزَلْنا قبل عادٍ وتبّع
وآطامنا عادية مشمخرة   تلوح فتبقَى من تعادي وتبع [5]

وإنّما سمّيت قُباء بالبئر الّذي في دار توبة بن الحسن بن السائب بن أبي لُبابة يقال لها قباء . (ومن آطامهم بلحان . قال الشّاعر [رجز] :

من سرّه رطب وماء بارد   فليأت أهل المجد من بلحان) [1]

---

696 1) ل ن : فكان أوّل من سكن الحجاز اليهود ، والتصحيح عن ابن رسته 60 ، هنا يستأنف ق ـ
2) ل ن : رعانه .
697 1) سقطت من ل ن ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ل ن : أجناس ـ 4) ل ن : الشاعر ـ 5) ل ن : ويضع .

(698)

ومن آطامهم أطم في المال الّذي يقال له خنافة ، وكان رجل منهم عدا علَى رجل فقطع يده فقال لهم المقطوع : أعطوني خنافة عقلاً بيدي . فأبوا وحفر الّذي قطعه [1] كُوة في جدار من جدر خنافة ، وأخرج يده من وراء الجدار وقال : أقطعوا . (فقال حين قطعت يده) [2] [رجز] :

الآن قد طابت لنا خنافة طابت فلا جوع ولا مخافة

ولهم (الأطم المرّ الّذي) [3] عند مشربة ماريا [4] أمّ إبراهيم بن النبي صلعم .

ذكر نزول الأوس والخزرج المدينة [1]

(699)

فأمّا نزول الأوس والخزرج المدينة فكان علَى ما تقدّم ذكره عند ذكر [2] سيل العرم . فلمّا نزلوا يثرب ورأوا الآطام والأموال والعدد والقوّة لليهود (سألوهم حلفًا وجوارًا ، يأمن به بعضهم من بعض ويمتنعون عمّن سواهم) [2] ، فتعاهدوا [3] وتعاقدوا وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا [2] ، فلم يزالوا علَى ذلك زمانًا [4] طويلاً . ثمّ إنّ الأوس والخزرج صارت لهم ثروة من المال والعدد وامتنع [5] جانبهم وعلا أمرهم ، فخافتهم يهود علَى ديارهم وأموالهم فقطعوا الحلف بينهم . وكانت اليهود أعدّ وأكثر وكانت العدد والشدّة منهم في الكاهنَيْن ، وهما قُريظة والنَضير ، وإيّاهما عنَى قيس بن الخطيم (بشعره حيث قال) [3] [بسيط] :

---

698 1) ل ن : قطعوه ـ 2) سقطت من ل ن ـ 3) ق : الأطم الذي ، ل ن : من الأطم المرّ الذي ـ 4) سقطت من ق .

699 1) هذا العنوان عن ق ـ 2) سقطت من ل ن ـ 3) سقطت من ق ـ 4) ق : دهرًا ـ 5) ل ن : فأمتعوا .

كنّا إذا رامنا قومٌ بمظلمة   شَدّتْ لَنا الكاهِنانِ الخَيْلَ واعْتَزَموا
نَسوا الرُّهونَ وَأَنسَوْنا بأَنْفُسِهم   بنو الصَّريخِ فَقَدْ عَفوا وقَدْ كَرُمُوا

(700)

فلمّا قطعت اليهود حلف الأوس والخزرج بقوا معهم [1] حتّى لجم فيهم مالك بن العجلان أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج وسوّده الحيّان ، فبعث إلَى مَن بالشّام من قومه يخبرهم باستذلال اليهود لهم وغلبتهم عليهم ، وكان رسوله [2] إليهم الرفق بن زيد بن إمرئ القيس أحد بني سالم بن عوف ، وكان قبيحًا ذميمًا شاعرًا بليغًا ، فقال في خروجه إلَى الشام [بسيط] :

أقسمت أطعم للمروق قطرة   حتّى يكثّر للنجاء رحيل
حتّى آلاقي معشرًا مالي لهم   حلّ ومالهم لنا مبذول
أرض (بها تدعَى) [3] قبائل سالم   ويجيب فيها ملك وبسلول
قوم أولوا عزّ وعزّي [4] عزّهم   إنّ الغريب وإن أجير ذلول

ومضَى الرفق حتّى قدم الشام علَى ملك من ملوك غسّان يقال له أبو جبيلة أحد بني جشم بن الخزرج الّذين ساروا من يثرب إلَى الشام ، (وقيل إنّه من ولد جفنة بن عمرو بن عامر ، وكان قد أصاب ملكًا بالشام وشرفًا ، فشكا إليه الرفق حالهم وغلبة اليهود لهم) [5] . فعجب من شعره وبلاغته مع قبحه وذمامته فقال : عسل طيّب في وعاء خبيث . فقال الرفق : أيها الملك إنّما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . (قال : صدقت) [6] . فلم يرج أبو جبيلة نصرهم وخرج في جمع كثير لا يعرج علَى شيء وأظهر أنّه يريد اليمن ، وعاهد الله (عزّ وجلّ) [6] لا يرجع إلَى دياره أو يخرج من يثرب يهود ويذلّلهم للأوس والخزرج .

---

700   1) ق : ذاهبين منهم ـ 2) ق : رسولهم ـ 3) ل ن : تدعى بها ـ 4) ل ن : غريب ـ 5) سقطت من ل ن ـ 6) سقطت من ق .

(701)

قال عُلماء السِّير : فلمّا قدم يثرب لقيه الأوس والخزرج ، فأعلموه أنّ القوم إن عرفوا ما يريد تحصّنوا في آطامهم فلم يقدر عليهم ، ولكن تدعوهم للقائك وتلطّف بهم حتّى يأمنوا ويطمئنّوا إليك فتستمكن منهم . فتصنّع [1] لهم طعامًا وأرسل إلَى وجوههم ورؤسائهم فلم يبق منهم أحد إلاّ أتَى إليه [2] ، وجعل الرجل منهم يأتي بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبيهم الملك . وقد كان بنَى لهم بناءً وجعل فيه قومًا وأمرهم أن يقتلوا من دخل عليهم . فلمّا فعل ذلك عزّت الأوس والخزرج وغلبت علَى ديارهم . وتفرّقت الأوس والخزرج في عالية المدينة ، فلم يبق من اليهود إلاّ أقلّهم ممّن أقام علَى الهون ورضي بالصغار .

(702)

قال داود بن سمكين الأنصاري (من ولد الحارث بن الصمد عن أشياخه) [1] كانت يثرب في الجاهلية تدعَى غلبة . غلبت اليهود عليها العمالقة ، وغلبت الأوس والخزرج عليها اليهود ، وغلب المهاجرون عليها الأوس والخزرج ، وغلبت الأعاجم عليها المهاجرين . وكانت الآطام حصون المدينة وزينتها ، روي أنّ النبي صلعم نهَى الأنصار أن يهدموها .

(703)

وذكر أنّه وجد في المدينة في حماء أمّ خالد قبر عليه مكتوب : أنا أسود بن سوادة رسول رسول الله عيسَى بن مريم إلَى أهل هذه القرية . وذكر عثمان بن

---

701 (1 ق : فصنع ـ 2) ق : أتاه .

702 (1 سقطت من ل ن .

عبد الرحمان [1] أنّه وجد قبرًا في الحماء عليه مكتوب ، فقرأه رجل من أهل اليمن فإذا فيه : أنا عبد الله رسول رسول الله سليمان بن داود إلَى أهل يثرب .

ذكـــر العقيـــق

(704)

قال هشام بن عروة : العقيق من قصر المراجل صاعدًا إلَى البقيع ، وما سفل عن ذلك فهو زغابة [1] . وقال غيره : العقيق من العرضة إلَى البقيع ، والعرضة ما بين محجّة يين [2] إلَى محجّة الشّام . وذكر أنّ تبّعًا مرّ بهذا الموضع لمّا قدم المدينة فقال : هذا عقيق الأرض ، فسمّي العقيق . ورُوي عن عامر [3] بن سعد بن أبي وقاص قال : ركب رسول الله صلعم يومًا إلَى العقيق ثمّ رجع فقال : يا عائشة جئنا من هذا العقيق ، فما ألين موطئه وأعذب ماءَه ! قالت: يا رسول الله أفلا ننتقل إليه [2] ؟ قال : وكيف ذلك وقد أتانا الناس ؟ وقال عمر ابن الخطاب رضه : حصّنوا هذا المسجد ـ يعني مسجد رسول الله صلعم ـ من هذا الواد المبارك ـ يعني العقيق[4] .

(705)

وفي الطريق من المدينة إلَى بيت المقدس قصر معاد ، وهو خالٍ وفيه حمام وعين عذبة يذكر أنّ سليمان بن عبد الملك بناه . ومنه إلَى (برج يقال له رأس ، ومنه إلَى) [1] مُؤتة الّتي (قتل فيها جعفر بن أبي طالب وأصحابه

---

703 1) ن : بن عبد الله ، ق : عمر بن عبد الرحمٰن .

704 1) ل ن : رغابة ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : ابن عامر ـ 4) ورد هنا في ق وصف مسجد رسول الله .

705 1) سقطت من ل ن ـ

رضي الله عنهم ، وهناك قرية يقال لها جيرا وفيها)[1] قبر جعفر بن أبي طالب ، وعليه مسجد كبير ، وبقربه قبر عبد الله[2] بن رواحة وعليه محاريب مبنية للصلاة ، وبقربه قبر زيد بن حارثة . وهذه القرية قريبة من جبل الشورى ، وبين جبل الشورى وأيلة مرحلة . وهذه الجبال فصل ما بين أرض الحجاز وأرض الشام ، وهي جبال منيفة وفيها قرى عامرة كثيرة[3] ووعار[4] غزيرة .

الطريق من مدينة النبي عليه السلام إلى مصر على الجادّة

(706)

من المدينة إلَى نقَى ذي خشب ، إلَى السُّويداء ، إلَى المروة ، إلَى سيق يزيد ، إلَى بدا يعقوب ، إلَى ضبا ، إلَى الشبك والصّلا ، إلَى عينونة ، إلَى مدين ، إلَى أشراف البعل ، إلَى وادي الغراب ، إلَى حقل ، إلَى مدينة أيلة[1] ، إلَى بطن نجد ، إلَى قبر أبي حميد ـ وهي القباب ، إلَى القلزم ، إلَى جبّ عميرة ، إلَى مصر .

(707)

وضبا مرسَى للسفن مأمونة[1] وفيه آبار عذبة وشجر المقل فيه كثير ، وبين ضبا ومدين جبال شامخة متكابرة[2] . وبقرب مدين البئر الّتي استسقَى منها موسَى عليه السلام قد بني عليها بيت من صخر فيه قناديل معلّقة ، وبها كهف

---

705 2) ق : عبدالملك ـ 3) سقطت من ق ـ 4) ق : وثمار .

706 1) ل ن : أثملة .

707 1) سقطت من ل ن ـ 2) ل ن : متكاثرة ـ

يسمّى كهف شُعيب ، وهو الّذي كان يؤوي إليه غنمه فيما ذكروا . وفي الجبل الّذي بين ضبا ومدين [3] بيوت منقورة في صخر قد حُفر في البيوت قبور ، وفي تلك القبور عظام نخرة كأمثال عظام الإبل كبرًا ، مقدار كلّ بيت عشرون ذراعًا أو نحوها ، ولتلك البيوت روائح خبيثة لا يدخل الداخل فيها أو يمسك بأنفه من شدّة النتن ، يقال إنّه لمّا أخذهم العذاب يوم الظلّة دخلوا فيها فهلكوا . وبقرب هذه البيوت وما يليها تلال تراب عظيمة قيل إنّها كانت مواضع عامرة فخسف بها .

(708)

ومع يهود مدين كتاب يزعمون أنّ النبي صلعم كتبه لهم وهم يُظهرونه للناس حتّى الآن ، وهو في قطعة من أدم قد أسودّت لطول الزمان إلاّ أنّ خطّها بيّن وفي آخرها : وكتب علي بن أبي طالب غيره [1] . وقيل إنّه بخطّ معاوية بن أبي سفيان .

(709)

وتستمرّ من مدين في جبال شاهقة [1] حتّى تفضي إلَى جبل شامخ عن يمين الطريق فيه كُوة منقورة [2] في الصخر [3] حيث لا يصل واصل ولا يرقى راقٍ ، وتزعم أعراب تلك الناحية أنّه كان بيتًا لساحرة كانت تأوي إليه . فلا تزال تسير والجبال عن يمينك والبحر عن يسارك حتّى تفضي إلَى فرجة كالباب تسير إلَى أيلة ، وهي قرية كبيرة فيها أسواق ومساجد وفيها كثير من يهود . (ويزعمون أنّ عندهم بُرد النبي صلعم وأنّه وجّه به إليهم أمانًا لهم ، وهم

---

707 3) ل ن : وهو الكهف .

708 1) ق : غير معرب .

709 1) هنا يبتدئ م ـ 2) ل ن م : في درة ـ 3) ل ن : الصحراء ـ

يظهرونه بردًا عدنيًا ملفوفًا بالثياب قد أبرز منه قدر [4] شبر لئلاً تدنّسه الأيدي) [5] . وروى أبو حميد الساعدي في خبر غزوة تبوك أنّ صاحب أيلة أهدى للنبي صلعم بغلة بيضاء وكساء وبردًا وكَتب لهم يخبرهم [5] بأمانهم .

(710)

ثمّ تسير من أيلة فتلقَى العقبة التي لا يصعد فيها راكب لصعوبتها ولا تقطع إلاّ في طول اليوم لطولها [1] . ثمّ تسير مرحلتين في فحص التيه الّذي تاه فيه بنو إسرائيل حتّى ترى في ساحل البحر موضعًا يقال له بحر فاران ، وهو الّذي غرق فيه فرعون . ومن هنا إلَى القلزم مرحلة ، وإنّما نسب هذا البحر إلَى فاران ، وهي مدينة من مدائن العماليق علَى تلّ بين جبلين ، وفيه ثقوب [2] كثيرة لا تحصَى مملوءة أمواتًا .

(711)

وفي صفح أحدهما بيعة للنصارى وحصن عليه سور من حجارة وشّرافات وأبواب حديد ، داخله عين ماء عذب ، وعلَى العين دَرابَزين [1] من نحاس لئلاّ يسقط فيه أحد ، وقد أجري ماؤها في قنَى رصاص إلَى ما حواليَ الدير من الكروم والأشجار . ويقال إنّ علَى هذه العين شجر العُلّيق الّذي أنس موسَى عليه السلام عنده النار . وعلَى خطوات من هذا الدير أوّل العقبة الّتي يُصعد منها إلَى رأس طور سينا ، وهي ستّة آلاف وستّمائة وستّون مرقاة قد نحتت درجات في الصخر ، فإذا قطعتَ تلك المراقي صرتَ إلَى مستو من الأرض فيه أشجار وماء عذب . وهناك كنيسة علَى اسم إيليا النبي

---

709 (4 ق : مقدار ـ 5) سقطت من ل ن .

710 (1 سقطت من ق ـ 2) ق : نقر .

711 (1 ل ن : دائر ـ

صلعم ، وهناك مغارة يزعمون أنّ إيليا استخفَى فيها من أزقيل الملك . ثمّ تستمرّ [2] في الارتقاء حتّى تنتهي إلَى قنّة [3] الجبل وهناك كنيسة متقنة البناء تُنسب إلَى موسَى عليه السلام بأساطين رخام ، وحيطانها [4] مُزخرفة بالفُسَيْفِساء وأبوابها ملبّسة بالصفر وسقفها من خشب الصنوبر ، وأعلاها أطباق رصاص قد أُحكمت غاية الإحكام ، وليس فيها إلاّ سادن واحد يقيمها (ويقوم عليها) [5] ويخدمها [6] ويسرج قناديلها ، وقد اتّخذ هذا الراهب لنفسه بيتًا صغيرًا خارجًا عن الكنيسة يأوي إليه وينام فيه ، ولا يمكن أحد أن ينام في الكنيسة ، (ولا يدخل عينيه فيها غمض . وهذه الكنيسة) [7] بُنيت بالمكان الّذي كلّم الله عزّ وجلّ فيه موسَى تكليمًا . ويزعمون أنّه كان في السالف حول دير الغور [6] هذا وحول (دير رأسه) [8] ستّة عشر ألف قلايا للرهبان والمتعبّدين ، وليس اليوم بهذه القلايات أحد إلاّ نحو [7] سبعين راهبًا .

(712)

وعلَى مقربة من القلزم جزيرة في البحر المالح يقال لها البعوق فيها قبر مالك بن الحارث النخعي الأشتر . وللقلزم جسر علَى البحر المالح مقدار علوّه ... يسلك عليه الحاج في البرّ [1] إلَى مكّة . وذكر سيف بن عمر قال : كتب عمر بن الخطّاب إلَى أمراء الأمصار يستمدّهم ويستغيثهم لأهل المدينة ومَن حولها ، فكان أوّل من قدم عليه أبو عبيدة بن الجرّاح بأربعة آلاف راجلة من طعام فولاّه قسمتها ، وجاءه كتاب عمرو بن العاص من مصر جوابَ كتابه : إنّ البحر الشامي حفر لمبعث رسول الله صلعم حفرًا يصبّ في بحر الغرب فسدّه [2] الروم والقبط ، فإن أحببت أن يكون سعر الطعام بالمدينة كسعره

---

711 2) ل ن : تسير ــ 3) ق : قلّة ــ 4) سقطت من م ــ 5) ل ن : ويقيم بها ــ 6) سقطت من ق ــ 7) سقطت من ل ن ــ 8) ل ن : دار رومه .

712 1) ق : البحر ــ 2) ل ن : فبشره ــ

بمصر حفرت لهم نهرًا أو بنيت لهم قناطر . فكتب إليه عُمر أن افعل ذلك وعجّل ذلك . فقال له أهل مصر : خراجك راخٍ [3] وأميرك راضٍ ، وإن تمّ هذا انكسر الخراج . فكتب بذلك عمرو إلَى عمر فجاوبه عمر : (اعجل فيه وعجّل إليه) [4] لخراب خراج مصر في عمران المدينة وصلاحها . فعاجله [5] عمرو وهو القلزم ، فكان سعر المدينة كسعر مصر ولم يزد بذلك مصر إلاّ صلاحًا .

(713)

والتيه مقدار أربعين فرسخًا (في مثلها) [1] وقيل إنّه تسعة فراسخ في مثلها . وأوّل حدّه ما بين قبر أبي حميد وبطن نجد ، وفيه مات موسَى وهارون عليهما السّلام .

وبطن نجد قرية ليس فيها نخل ولا شجر يسكنها نفر من الناس ، ويقال له أيضًا بطن نخل لِسَوافي تسفي علَى الناس فيه ترابًا رقيقًا كأنما نُخل بمِنْخَل [2] .

ذكـر بـلاد العـراق والمشهـور من مدنهـا [1]

(714)

حدّه [2] ما بين الحزن [3] إلَى السواد . فسواد [4] الكوفة : كسكر إلَى [3] الزاب إلى عمل حلوان إلَى القادسية ، وسواد البصرة : الأهواز وفارس ودهشتان ، وهذه كلّها من العراق . وإنّما سمّي العراق مأخوذ من عراقي الدلو وعراق [5] القربة ، والكوفة والبصرة تسمّى العراقين .

---

712 3) ل ن : وافر ـ 4) ل ن : أن افعل ذلك وعجل ـ 5) ق : فعالجه .

713 1) سقطت من ل ن ـ 2) انتهاء ل و ن .

714 ق : من أخباره ـ 2) م : حدّ ـ 3) سقطت من ق ـ 4) م : سواد ـ 5) في المخطوطات : عرق .

(715)

فطول أرض السَّواد من حدّ أرض أثور [1] - وهي الموصل - من قرية تسمّى العَلْث [2] من طسّوج بُزُرْجَسابور وقرية تعرف بحرّبا [3] من طسّوج مَسْكن بينهما عرض دجلة إلَى آخر الكورة [4] ، وهو الموضع المعروف ببَهْمَن أَرْدَشِير ، وهي من فرات [5] البصرة حتّى تبلغ جزيرة منها متّصلة بالبحر [6] تعرف بميّان رُوذان [7] ، يكون ذلك بالفراسخ مائة وخمسة وعشرين [فرسخًا] [8] . وعرضه من عقبة [9] حُلْوان إلَى العُذَيْب ممّا يلي البادية ، وذلك بالفراسخ ثمانون فرسخًا .

وقال أبو عبيدة إنّ حدّ السواد الّذي مسح [10] عثمان بن حُنَيْف هو من لدن تخوم الموصل مادًّا إلَى ساحل البحر من بلاد عبادان من شرقي دجلة طولاً [11] ، وعرضه من منقطع الجبل من أرض حُلْوان إلَى منتهَى طرف [12] القادسية ممّا يلي العُذَيب من أرض العرب . وعن الشعبي : أنّ عمر بن الخطّاب بعث عثْمان بن حُنَيْف ، فمسح السَّواد فوجده ستّة وثلاثين [13] ألف ألف جريب ، يعني موضع الغلّة منه .

(716)

وأمّا علَى تكسير الذرع الّذي ذكرناه من الطول والعرض فإنّه مائتا ألف ألف وخمسة وعشرون ألف ألف جريب يوضع منها بالتخمين آكامًا وآجامًا وسباخًا وطرقًا وصحاري وأنهارًا ، ومواضع المدن والقرى الثُّلث ، ويبقَى بعد ذلك

---

1) ق م : آقـوز ، والتصحيح عن ابن رسته 104 ـ 2) ق م : القلب ـ 3) ق م : بجري ـ 4) ق م : الكوفه ـ 5) م : قريات ـ 6) م : باليمن ـ 7) عن ابن رسته ، ق : بما الروان ، م : بعادة الزران ـ 8) عن ابن رسته ـ 9) سقطت من ق ـ 10) م : يمسح ـ 11) م : طوله ـ 12) ق م : طول ـ 13) سقطت من ق .

مائة ألف ألف [1] وخمسة وسبعون ألف ألف جريب ، يزاح منها النصف لما فيها من النخيل والكرم والشجر ، و يعمّـر النصف وذلك خمسة وسبعون ألف ألف جريب ، فيكون قيمة ما يلزم كلّ جريب من الخراج علَى التخمين درهمين ، وذلك أقلّ من العشر علَى أن يضرب ما يوجد فيها من الخراج بعضه ببعض مع خراج أهل الذمّة ، ويبلغ ذلك ورقًا مائتي [2] ألف ألف وخمسين ألف ألف درهم .

(717)

واختُلف فيما وضع عمر بن الخطّاب رضه علَى كلّ جريب فقيل : وضع عليه درهمًا واحدًا وقفيزًا ، وقيل إنّه وضع علَى جريب الحنطة نصف قفيز وعلَى جريب الشعير أربعة أقفزة وعلَى جريب الكرم والتمر أربعة . وختم علَى خمسمائة ألف إنسان للجزية على الطبقات ، فجبَى عمر السواد من الورق مائة ألف ألف درهم وثمانية وعشرين ألف ألف درهم . وجباه عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف (وأربعة وعشرين ألف درهم) [1] ، وجباه الحجّاج لظلمه وعسفه ثمانية عشر ألف ألف [2] ليس فيها مائة ألف ألف ، (وأسفلهم ألفي) [1] ألف ، فحصل له ستّة عشر ألف ألف . ومنع أهل السواد من ذبح البقر ليكثر الحرث والزرع . فقال الشاعر في ذلك [متقارب] :

شكَوْنا إلَيْه خراجَ السّواد ... فَحرَّم فِينا لُحُوم البَقَر
وَكَانَ كمَا قالَ مَنْ قبلَنا ... أُريها الشَمس وَتريني [3] القمر

---

716 1) م : مائة ألف ـ 2) ق : مائة .
717 1) سقطت من ق ـ 2) م : ثمانية وعشرين ألف ألف ـ 3) ق : وتريتا .

(718)

قال عمرو بن بحر : قال أبو الحسن وأبو عبيدة : بُصّرت البصرة سنة أربع عشرة ، وكذلك قال غيره ، وكُوّفت الكوفة سنة سبع عشرة .

والطّسوج ترجمته الأقاليم ، والأستاق ترجمته الأحواز ، والسّواد الاثنتا عشرة كورة .

(719)

قالوا : وارتحل سعد من المدائن بالناس حتّى عَسْكر بالكوفة في المحرّم سنة سبع عشرة ، وكان بين وقعة المدائن ونزول الكوفة سنة وشهران . وقيل إنّ عمر كتب إلى سعد : نَبّئني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومهم [1] . فكتب إليه : إنّ العرب غيّر ألوانها وخومة [2] المدائن ودجلة . فكتب إليه أنّ العرب لا يوافقها إلاّ ما يوافق إبلها من البلاد ، فابعث سلمان وحذيفة ـ وكانا رائدَي الجيش ـ فليرتادا منزلاً برّيًا بحريًا ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر . فبعث سعد حذيفة وسلمان حتّى أتيا الأنبار ، فسار سلمان في غربيّ الفرات لا يرضَى شيئًا حتّى أتى الكوفة ، وسار حذيفة في شرقيّه حتّى أتى الكوفة . فأتيا عليها وفيها ديارات ثلاثة : دير حرقة ودير أمّ عمرو ودير سلسلة وقصاص خلال [3] ذلك . فأعجبتهما البقعة [4] فنزلا وصلّيا وقال كلّ واحد منهما : اللهمّ ربّ السموات وما أظلّت وربّ الأرضين وما أقلّت وربّ الرياح وما أذرت وربّ النجوم وما هوت والبحار وما جرت ، بارك لنا في هذه الكوفة واجعلها منزل ثبات . ثمّ رجعا إلى سعد رضه بالخبر .

واستقرّ أيضًا بأهل البصرة منزلهم اليوم بعد ثلاث ترحيلات في المحرّم سنة سبع عشرة .

---

719 1) سقطت من ق ـ 2) ق : وحمة ـ 3) م : خلاف ـ 4) م : النفقة .

(720)

ثمّ إنّ القوم استأذنوا عُمر رضه في بنيان القصب فقال : العسكر أجدّ لحربكم وأذكَى لكم ، وما أحبّ أن أخالفكم وما القصب ؟ قالوا : العنقر إذا روى أخصب فصار قصبًا . قال : فشأنكم . فابتنَى أهل المصرين بالقصب ، ثمّ إنّ الحريق وقع بالكوفة والبصرة وكان أشدّهما حريقًا الكوفة ، احترق فيها ثمانون عريشًا [1] ولم يبق فيها قصبة . فبعث سعد إلَى عمر منهم نفرًا يستأذنونه في البناء باللبن ويخبرونه عن الحريق ، فأذن لهم وقال : ولا يزيدنّ أحدكم علَى ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان وألزموا السنّة تلزمكم الدولة . وعهد عمر إلَى الناس وتقدّم إلَى الوفد أن لا يرفعوا بنيانًا فوق القدر . قالوا : وما القدر؟ قال : ما لا يقربكم من السرف ولا يُخرجكم عن القصد . فكان علَى تنزّل الكوفة أبو الهياج بن مالك [2] وعلَى تنزّل البصرة أبو الجرباء عاصم بن الدّلف .

(721)

وكتب عمر أن يكون الطريق أربعين ذراعًا وما بين ذلك عشرين ، والأزقّة سبع أذرع وليس دون ذلك شيء ، والقطائع ستّين ذراعًا . فاجتمع أهل الرأي في التقدير [1] حتّى إذا أجمعوا علَى شيء قسم أبو الهياج عليه . فأوّل شيء خطّ بالكوفة المسجد ، فوضع في موضع التّمارين من السّوق . ثمّ قام رجل في وسطه رامٍ شديد النزع ، فرمَى عن يمينه وعن يساره وبين يديه ومن خلفه ، وأمر من شاء أن يبني وراء [2] موقع السهام وترك المسجد في مربّعة غلوتين في غلوتين وبنَى في مقدّمته (ظلّة من) [3] مائتي [4] ذراع علَى

---

720 1) قم : عروسًا ، والتصحيح عن الطبري ـ 2) م : ملك .

721 1) ق : والتقدير ـ 2) قم : دارًا ـ 3) م : ظلسن ـ 4) م : مائة .

أساطين من رخام ، وكانت للأكاسرة سماؤها كأسمية الكنائس الرومية . قال أبو عبيدة : لمّا بلغ عُمر بن الخطّاب رضه أنّ سعدًا وأصحابه قد بنوا بالمَدر قال : قد كنت أكره لكم ذلك فأمّا إذ فعلتم فعرّضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا الخشب .

وقصر سندار بظهر الكوفة ، وهو الّذي ذكره الأسود بن يعفر .

(722)

قال اليعقوبي : أهل الكوفة علَى قلّة أموالهم أهل تحمّل وتستّر وكفاف وعفاف ، ليس في أهل البلدان أشدّ عفافًا منهم ولا أشدّ تحمّلاً . وهي طيّبة الهواء عذبة المياه ، وهي دار العرب ومادّة الإسلام وهي معدن العلم وفقهاؤها الفقهاء الّذين عليهم المعتمد ، وهم أهل العلم بالعربية وفصيح اللغة ، لأنّ أهلها عرب كلّهم لم يخالطهم الأنباط ولا الفرس ولا الخزر ولا السند ولا الهند ولا تناكحوا فيهم . ومن رواتهم ساروا إلَى أهل البصرة وغيرها لأنّ أهل الحيرة كانوا أوّل من دوّن الشّعر وكتبه في أيّام آل المنذر اللّخْميّين ملوكها ، وكانت شعراء الجاهلية تفد عليهم مثل الأعشَى والنّابغة وعبيد بن الأبرص وبشر بن أبي حازم وعمرو بن كلثوم (والحارث بن حلّزة والمتلمّس) [1] وطرفة وغيرهم . وكان آل المنذر يأمرون كتّابهم من أهل الحيرة أن يكتبوا أشعارهم ، فأخذها النّاس عنهم .

(723)

وخصّت الكوفة بصنعة الوشي الرفيع الّذي يبلغ ثمنه ما لا يبلغه ثوب من ثياب الدّنيا لجودة صنعته والدقّة والإتقان وصحّة تأليف عيونه . وربّما بلغ الثوب منه عشرة آلافَ دينار ، ولا يكون فيه ذهب ولا حجارة ، فأمّا ما يُباع بألف

---

722 1) سقطت من ق .

دينار فمن لبس العوامّ . وخصّت بالأدهان الجيّدة ما لم يخصّ به بلد لا سيّما دهن البنفسج (ودهن الخيري) [1] ودهن البان الخالص الّذي يقال له دهن الغالية ، وهو الدهن الّذي لا أفاويه فيه .

الأنبـــار

(724)

بينها وبين مدينة السّلام اثنا عشر فرسخًا ، وسمّيت [بهذا الاسم تشبيهًا لها ببيت التاجر الّذي ينضد فيه متاعه وهي الأنبار . وقيل الأنبار بالفارسية الأهراء لأنّ أهراء الملك كانت فيها ومنها كان يرزق رجاله ، وفيها بويع بالخلافة لأبي جعفر المنصور يوم مات السفّاح أخوه ، وهي] ذات العيون [1] .

واســـط

(725)

سُمّيت واسط بموضع بقرب منها كان يقال له واسط القصب ، فلمّا بُنيت سُمّيت به . وقيل لتوسّطها بين المصرين البصرة والكوفة ، لأنّ منها إلى الكوفة [والبصرة] [1] خمسين فرسخًا .

---

723 1) سقطت من ق .

724 1) م : دار العيون . ما بين المعقفين عن «فتوح البلدان» 247 والحميري 36 .

725 1) زيادة عن السياق .

(726)

وقيل إنّ الحجّاج رأى راهبًا قد أقبل علَى آتان له وعبر دجلة ، فلمّا كان بموضع واسط تفاجّت الأتان وبالت ، فنزل الراهب فاحتفر (موضع ذلك البول) [1] وحمله حتّى رماه في دجلة ، وذلك بعين الحجّاج . فقال : علَيّ بالراهب . فلمّا أتاه قال : ما حملك علَى ما صنعتَ ؟ قال : إنّا نجد في كتبنا أنه يبنَى في هذا الموضع مسجد يُعبد الله فيه مادام في الأرض أحد [2] . فاختطّ الحجّاج مدينة واسط وبنَى المسجد في ذلك الموضع ، فهي علَى حافتي الدجلة .

(727)

وخراج واسط ثلاثة وثلاثون ألف درهم .
ومن الكوفة الى بغداد ثلاثون فرسخا ، ومن الأنبار الى بغداد ثلاثون فرسخا ، ومن المدائن الى بغداد ثمانية عشر فرسخا.

المـــدائـــن

(728)

والمدائن مدينة عظيمة علَى حافتي دجلة : بهرسير [1] ، وهي المدينة الدنيا [2] [وهي علَى أحد جانبيها ممّا يلي الشرق] ، وقصر كسرى وهو [3] الإيوان ، وهي المدينة القصوى ، وهو القصر الأبيض الّذي أخبر به النبي صلعم ، وبه كان مقام الأكاسرة . وتلقاء مقعد الملك من سقف الإيوان حلقة من ذهب

726 1) م : ذلك الموضع متاع البول . كذا ـ 2) سقطت من م .

728 1) ق م : بنهرشير ، وردت الكلمة دائمًا كذا ـ 2) سقطت من م ـ 3) م : وذو ـ

كان يعلّق التاج فيها بسلسلة من ذهب ، وحذاء الإيوان شجر السدر ومن الجانب الآخر بيت النّار [4] .

[الأهـــواز]

[مدينة متّصلة بالجبل فتحها حرقوص بن زهير السعدي في خلافة عمر بن الخطّاب رضه ، والأهواز هي خوزستان وهي رامهرمز ، وبين الأهواز وإصبهان خمسة وأربعون فرسخًا] [5] .

(729)

فأمّا الأهواز فإنّ من أقام بها حولاً ثمّ تفقّد عقله فإنّه يجد فيه نقصانًا بيّنًا . والأهواز [1] تقلّب كلّ من ينزلها من الأشراف إلَى طبائع أهلها ، ولا يوجد بها أحد له وجنة حمراء والحمّى بها دائمة . [وزعم الجاحظ أنّ عدّة من قوابل الأهواز أخبرنه أنّه ربّما قبلن المولود فوجدنه محمومًا ، وجمعت مع ذلك كثرة الأفاعي في جبلها المطلّ عليها وكثرة العقارب] [2] . وكان صاحب الأهواز الهرمزان ، وفتحها وما يليها حرقوص بن زُهير السعدي ، وكانت له صحبة بعث به عُتْبة بن غزوان من البصرة بأمر عُمر بن الخطّاب رضه .

ذكـــر البصـــرة

(730)

واختطّت البصرة في موضعها اليوم علَى اختلاف الناس في وقت ذلك كما

---

728 4) م : فار ــ 5) عن الحميري 61 .

729 1) ق : وقصبة الأهواز ــ 2) عن الحميري 62 .

تقدّم في ذكر الكوفة ، فبنوا بالقصب ومكثوا كذلك يسيرًا [1] حتّى أذن لهم عمر في البناء باللبن .

[وكان عمر رضه كتب إلَى سعد رضه أن : ابعث عتبة بن غزوان إلَى فرج الهند يرتاد موضعًا بمصّره وابعث معه ثمانين من أصحاب رسول الله صلعم . فخرج عتبة من المدائن في ربيع سنة ستّ عشرة من الهجرة في سبع مائة حتّى نزل علَى شاطئ دجلة بحيال جزيرة العرب ، فبنَى البصرة ولم يبدأ بأوّل من المسجد فاختطّوه حتّى رموا من حواليه كلّه بأسهم ، واختطّوا ما وراء منتهاها علَى حسب ما فعلوه بمسجد الكوفة] [2] .

وأوّل ما بُني بالبصرة سبع دساكر [منها الحربية اثنتان والزابوقة واحدة ، وفي بني سليم اثنتان وفي الأزد اثنتان ، وبُني مسجدها بالقصب ، ثمّ بناه ابن عامر] [2] باللبن [لعثمان بن عفّان رضه ، ثمّ بناه زياد بالآجر لمعاوية رضه ، وبنَى جنبتيه وأتمّه عبيد الله بن زياد . ويذكر أنّ المسجد الحرام أكبر من مسجد البصرة ببضع عشرة ذراعًا] [2] .

وكسّرت البصرة [3] أيّام خالد (بن عبد الله) [4] القسري ، فوجد طولها فرسخَين في مثلها ، والكوفة مثل ثلثي [5] البصرة .

وأوّل مولود وُلد فيها عبد الرحمان بن أبي بكرة [6] ، فنحر يومئذ جزورًا فأطعم [7] أهلها وكانوا نحو ثلاثمائة .

(731)

ولأهل البصرة ثلاثة أشياء ليس لأحد [1] من أهل البلدان أن يدّعيها عليهم ولا يُشاركهم [2] فيها وهي : النخل والشاء والحمام الهدّى . فأمّا النخل فهم أعلم قوم به وأحذقهم بتربيته وإصلاحه ، [وإصلاح عللها وأدوائها ،

---

730 1) ق : كثيرًا ـ 2) عن الحميري 107 ـ 3) ق : الأصنام ـ 4) سقطت من ق ـ 5) م : ثلثا ـ 6) ق م : بكر ـ 7) ق م : فعم .

731 1) ق : أحد ـ 2) م : يشركهم ـ

وأعرفهم بأحوالها من حين تغرس إلَى أن تكمل وتستوي ، وأبصرهم بالتمر وخرصه وتمييزه وجزره وخزنه] [3] ، وهي تجاراتهم [4] العظمَى وغلّتهم الكبرى . وفي البصرة من أنواع [5] النخل ما ليس في بلد من بلاد الدنيا . وأمّا الشاء فإنّها عندهم العبدية المنسوبة إلَى عبد القيس . وذكروا أنّ رجلاً (من وفد عبد القيس) [6] يقال له عبادة بن عمرو الشني قال للنبي صلعم عند وفادتهم عليه ودعائه لهم : يا رسول الله إنّي رجل [7] أحبّ الشاء . فدفع إليه رسول الله صلعم فحلاً فحيلاً جليلاً من المعز وقبض بيده علَى أصل (أذن ذلك الفحل حتّى استدارت أصابعه فصار في) [8] أذنه كالسمة ، فقدم به عبادة بلاده [9] فأطرقه شياهه ، فجاءت بالشاء العبدية حملها أهل البصرة من البحرين . فهم يذكرون أنّ (ما من) [10] شاة موصوفة كريمة منها إلاّ وفي أصل أذنها حلقة كالسمة ، فإذا وجدوها كذلك رغبوا فيها وغالوا فيها حتّى تبلغ الشاة منها خمسين دينارًا ، وإذا كانت في التّيس مثل ذلك تُنوفس فيه وبلغ عدّة دنانير . قال : وأخبرني يحيَى بن الفضيل أنّه رأى تيسًا بالبصرة عظيمًا قد حملت عليه مزادة ماء ، وهي الّتي تسمّيها العامّة الراوية الّتي تحملها البغال ، فبلغ بها منزل صاحبه فاشتري بأربعمائة دينار . [وللشاء عندهم أنساب معروفة] (ويستشهد علَى ذلك) [11] العدول في الصحف فتقول : شاة بني فلان أمّها الفلانة [12] [شاة آل فلان] وأبوها تيس آل فلان وجدّتها الفلانة [12] ، ويوصف [13] مقدار ما تحلب من اللبن بالغداة والعشي . فأمّا الحمام فإنّ الأمر بالبصرة (فيه جلل) [14] وتجاوز الحدّ ، وبلغت الحمام عندهم في الهداة أن جاءت من أقاصي بلاد الروم ومن مصر إلَى البصرة [15] وتنافسوا في اقتنائها ولهجوا به حتّى بلغ ثمن الطائر منها سبعمائة دينار . وهذا ما حضرته ورأيته وشهدته [16] ، وقيل إنّه بلغ بالبصرة ثمن طائر منها جاء من خليج

---

3) عن الحميري 107 ـ 4) ق : تجارهم ـ 5) ق : أصناف ـ 731
6) ق : من ولد القيس ـ 7) سقطت من م ـ 8) سقطت من م ـ 9) سقطت من م ـ 10) ق م : كل ـ 11) ق : ويشهد بذلك ـ 12) م : الفلانية ـ 13) م : ويصف ـ 14) ق م : حل فيه ـ 15) ق : أنحاء البصرة ـ 16) سقطت من ق ـ

القسطنطينية ألف دينار ، وكانت تباع البيضة من الطائر المشهور بعشرين دينارًا ، وعندهم دفاتر بأنساب الحمام كأنساب العرب .

[وكان لا يمتنع الرجل الجليل ولا الفقيه العدل من اتّخاذ الحمام والمنافسة فيها والإخبار عنها والوصف لأمرها والنعت لمشهورها حتّى وجّه أهل البصرة إلَى بكّار بن قتيبة البكراني قاضي مصر وهو منهم ، وكان في فضله وعقله ودينه وورعه علَى ما لم يكن عليه قاض ، بحمامات لهم مع قوم ثقات ، وكتبوا إليه يسألونه أن يتولّى إرسالها بنفسه ففعل. وكان الحمام عندهم متجرًا من التجارات لا يرون بذلك بأسًا] (17) .

ذكــر بغــداد (1)

(732)

قال أحمد : بعث المنصور رجالاً سنة خمس وأربعين ومائة يطلبون له موضعًا يبني فيه مدينة ، فطلبوا فلم يرضوا موضعًا حتّى جاء فنزل علَى البئر الّذي بالصراة (2) فقال : هذا موضع أرضاه تأتيه الميرة من الفرات ودجلة والصراة. [وكان أبو جعفر هذا ــ وهو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العبّاس ــ بنَى مدينة بين الكوفة والحيرة سمّاها الهاشمية ، فأقام بها مدّة إلَى أن عزم علَى توجيه ابنه محمّد المهدي لغزو الصقالبة في سنة أربعين ومائة ، فصار إلَى بغداد فوقف بها وقال : ما اسم هذا الموضع ؟ فقيل بغداد . فقال : هذه والله المدينة الّتي أعلمني أبي محمّد بن علي أنّي أبنيها وأنزلها وينزلها ولدي من بعدي ، ولقد غفلت عنها الملوك في الجاهلية والإسلام حتّى يتمّ تدبير الله تعالَى وحكمه فيّ وتصحّ الروايات وتبيّن الدلالات والعلامات ، تأتيها الميرة في دجلة والفرات من واسط والأبلّة والأهواز وفارس وعُمان واليمامة وما يتّصل بذلك ، وكذلك

---

731 17) عن الحميري 107 .

732 1) ق : ذكر بغداد وشيء من أخبارها ــ 2) ق : في الصراة ــ

ما يأتي من الموصل وديار ربيعة وآذربيجان وأرمينية والرقّة والشام والثغور ومصر والمغرب وإصفهان وكور خراسان . فالحمد لله الّذي ذخرها لي وأغفل عنها كلّ من تقدّمني ، والله لأبنينّها ثمّ أسكنها أيّام حياتي ويسكنها ولدي من بعدي ، ثمّ لتكوننّ أعْمَرَ مدينة في الدنيا ، ثمّ لأبنينّ بعدها أربع مدن لا تخرب واحدة منهنّ أبدًا . فبناها وهي : الرافقة ولم يسمّها ، وبنَى ملطية والمصيصة والمنصورة] [3] .

(733)

قال : ووجّه المنصور في حشر الصنّاع والفَعَلة من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط والبصرة وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة بالهندسة ، وكان فيمن أحضر الحجّاج بن أرطاة وأبو حنيفة ، فكان أوّل من ابتدئ ببنيانها في سنة خمس وأربعين ومائة . [ثمّ قسم الأرض أربعة أقسام وقلّد القيام بكلّ ربع رجلاً من قواده ورجلاً من مواليه ورجلاً من المهندسين] [1] .

(734)

قال أحمد بن أبي [آ] الطاهر : وحدّثني أبو محمّد عبد الله بن إسماعيل بن أبي سهل (بن يشجب) [1] عن جدّه قال : لمّا أراد المنصور بناء بغداد أمرني أن آخذ الطالع ، فنظرنا في طالعها فكان المشتري في القوس ، فأخبرته بما تدلّ [2] عليه النجوم من طول ثباتها [3] وكثرة عمارتها وانصباب [4] الدنيا إليها ، ثمّ قلت : يا أمير المؤمنين وخلة أخرى نجدها فيها [1] علَى ما تدلّ عليه النجوم : لا يموت فيها خليفة . فرأيته يبتسم وقال : الحمد لله ، ذلك فضل

---

732 3) عن الحميري 110 .

733 1) عن الحميري 110 .

734 آ) سقطت من ق – 2) م : نزل – 3) م : بناتها – 4) ق : انتصاب –

الله يؤتيه من يشاء . ولذلك قال بعض شعرائهم (وقد مدح المنصور وهنّأه حلول قصر مدينة السّلام) [5] [خفيف] :

إنَّ خيْرَ القُصُورِ قَصْرُ السَّلام إذْ بِهِ حَلَّ سائِسُ الإسْلام
مَنْزِلٌ لا يَزالُ مَنْ حَلَّ فِيه آمِنًا مِنْ حَوادِثِ الأيّام

[ولهذا قالوا : نزل بغداد سبعة خلفاء : المنصور والمهدي وموسى الهادي وهارون الرشيد ومحمّد الأمين وعبد الله المأمون والمعتصم ، ولم يمت بها واحد منهم إلاّ محمّد الأمين ، فإنّه قتل خارج باب الأنبار عند بستان طاهر ، وانتقل المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين إلى سرّ من رأى . فهذا مصداق ما دلّت عليه النجوم][6] .

(735)

(واسمها الأوّل عند النّاس الزوراء) [1] ، وكان سفيان يكره أن يُقال [2] مدينة السّلام ، وسُمّيت مدينة السّلام لأنّ دجلة كان يقال لها وادي السّلام ، فلمّا بُنيت عليه سُمّيت به .
[وقال رجل من أهل البصرة : مررت ببغداد في السحر ، فأعجبني كثرة الأذان فيها فهتف بي هاتف : ما الّذي يعجبك منها ؟ لقد فجر بها البارحة سبعون ألفًا . ورأى أبو بكر الهذلي سفيان بن عيينة ببغداد فقال : بأيّ ذنوبك دخلتها ؟][3] (وقيل لرجل : كيف رأيت بغداد ؟ قال : الأرض كلّها بادية وبغداد حاضرتها) [1] .
[وقال آخر : لو أنّ الدنيا خربت وخرج أهل بغداد لعمّروها .
وكان فراغ المنصور من بنائها ونقل الخزائن إليها والدواوين وبيوت الأموال سنة

---

734 5) سقطت من م ـ 6) عن الحميري 110 .

735 1) سقطت من ق ـ 2) ق : يقول ـ 3) عن الحميري 110 .

ستّ وأربعين ومائة ، وكان استّامه لجميع أمر المدينة سنة تسع وأربعين] [3] .

(736)

قال أحمد : قال الهيثم بن عدي (عن أبي عياش) [1] : لمّا جلس المنصور في قصره بباب الذهب أذن لرسل الملوك فدخلوا عليه ، فقال لرسول ملك الروم : هل ترى عيبًا ؟ قال : نعم [2] عيوبًا ثلاثة ، قال : ما هي ؟ قال : النفس خضراء فلا خضرة عندك ، والحياة في الماء ولا ماء عندك ، وعدوّك مخالطك ومطّلع علَى سرّك . قال : أمّا الماء فحسبي منه ما بلغ الشفة ، وأمّا الخضرة فللجدّ خُلقت لا للّعب ، وأمّا السّوق فما أبالي علم سرّي رعيّتي أو ولدي وخاصّتي . فأمسك الرُّومي عن الكلام .

(737)

ثمّ تعقّب أبو جعفر [1] الرأي ، فرأى أنّ القول ما قال فاتّخذ العبّاسية وأجرى (الماء في) [2] القناة من دجلة وأخرج السوق عن المدينة . وعن الربيع قال : لمّا نقل أبو جعفر السوق عن المدينة وجلس في قصره بالخلد فنظر إلَى التجّار من البزّازة والصيرفي والقصّاب وطبقات السوقة ، تمثّل بهذين البيتين [وافر] :

كما قال الحمار لسهم رامٍ   لقد جُمّعت من شتّى لأمر
جمعت حديدة وجمعت نصلاً   ومن عقب البعير وريش نسر

---

736   1) م : عن بن عباس ـ 2) م : لم ، سقطت من ق .

737   1) م : أبو منصور ـ 2) سقطت من م ـ

ثمّ قال : يا ربيع إنّ هذه العامّة تجمعها الكلمة وترأسها [3] السفلة ، فلا أرينّك معرضًا عنها ، فإنّ إصلاحها يسير وإصلاحها بعد فسادها عسير فاجمعها بالرهبة واملأْ قلوبها [4] بالهيبة وما استطعت من الرفق بها وإحسان إليها فافعل [5] .

ذكر خواصّ أرض فارس

(738)

منها كورة سابور برستاق يعرف بالعردحان بئر [1] بين جبلين يخرج منها دخان فيتعالَى كثيرًا ولا يمكن أحد أن يقربها ، فإذا طار عليها طائر سقط فيها ويرى [2] احتراقه قبل أن يغيب فيها . وفي بعض كور أرجان في نواحي صاهلك بئر لا قعر لها ، وبناحية كان فيروز بالقرية المعروفة بالورجان [3] كهف بين جبال شاهقة فيه جزر [4] علَى قدر العضادة (؟) الكبيرة يقطر فيه من أعلَى ذلك الكهف ماء . وزعم قوم أنّ له طلسمًا ، فإن دخل ذلك الكهف رجل أحد [5] أخرج من الماء ما يكفيه ، وإن دخله ألف رجل أو أكثر [6] أخرجوا من ذلك الجزر ما يكفيهم ، (وكان بالفارسية المعدن) [1] . وبناحية دار بن بهرام ماء عذب حسن القوام واللون (بنهر الحسين) [1] يشرب منه ويسقي الأرض [7] ، فإذا غمست فيه الثياب خضّرها .

وبكورة أردشير شيراز [5] عين ماء يشرب لتشفية الجوف (كما يشرب الدواء) [5] ، فإن شرب منه قدحًا أقام له مجلسًا ، وإن زاد فلكلّ قدح مجلس .

---

737 3) م : وتراسلها ـ 4) ق : صدرها ـ 5) وردت هنا في م ما يتعلّق بالخراج ، راجع الفقرة 838 .

738 1) سقطت من م ـ 2) قم : ورى ـ 3) ق : بالوزجان ـ 4) م : حون ـ 5) سقطت من ق ـ 6) ق : أزيد ـ 7) قم : الأرضين ـ

وبقرب برقويه [8] تلال رماد كالجبال العظام يكون في صعود التلّ وهبوطه الميل وأكثر ، وزعم قوم أنّها نار نمرود ، وهو خطأ لأنّ نمرود كنعاني ومساكنهم بابل . ومثل هذه الجبال من الرماد وأعظم منها علَى نهر الزاب الكبير الجاني من نواحي أرمينية (وبلد مراش [9] . وبناحية إصطخر تفاح يكون بعض التفاحة الواحدة صادق الحلاوة وبعضها حاز الحموضة) [5] . وبناحية كورا تين [10] أخضر كالسلق ، وفي داخله كعين النرجس سواءًا [5] .

(739)

وممّا يحمل من فارس ماء الورد الّذي بكورا وجور ، يجلب إلَى بلاد الهند والصين ومصر والمغرب واليمن وسائر البلاد ، وليس يعدل به ماء ورد في الآفاق . (ومن فارس ترتفع أنواع الثياب إلَى أقطار البلاد ، وبها ثياب الوشي الّتي ليس بسائر الآفاق كهيئتها إذا كان مذهّبا) [1] . وبقرية من قرى دارابجرد [2] الموميا الّتي تُحمل إلَى الآفاق ، وهو ملك السلطان [يوجد في] [3] غار في جبل قد وكل به مَن يحفظه ، وهو مغلق الباب والمدخل مختوم عليه [4] بعلامات كثيرة لمن يحضره عند فتحه ، يُفتح في كلّ سنة في وقت معروف ، وهو الموميا الصحيح (وما عداه فزوّر) [1] . وهذا الموضع لا يفتحه إلاّ العدول وثقات السلطان من الحكّام (وأصحاب البرد والمعدّلين) [1] ، ويرضخ للّذين حضروا بالشيء منه . وبناحية دارابجرد جبال من الملح الأبيض والأسود والأصفر والأحمر ومن جميع الألوان ، وهو صلب [1] تنحت منه الموائد [5] والعظام (؟) والآنية المستظرفة وتحمل إلَى

---

738 8) ق : أبرقرية _ 9) م : الراشن _ 10) في النسخ : طين .

739 1) سقطت من ق _ 2) ق م : جاربجرد _ 3) الزيادة عن السياق _ 4) م : معلم _ 5) نقص مقدار صحيفة في م .

سائر البلدان . وبفارس هذه كلّ شيء من الذهب والفضّة والحديد والصفر والكبريت والنفط والزئبق وغير ذلك .

ذكـــر بـــابـــل

(740)

وكانت بابل من استعظامها واستشناع أمرها لا تكاد تجعل من عمل الآدميّين ، وهي المذكورة في قوله تعالَى : وَمَا أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ بِبَابِلَ (1) ، [ويقال إنّ الضحّاك أوّل من بناها وسكنها السابئـــة ودخلها إبراهيم عليه السلام ، ويقال إنّ بها كان مولده ، وقيل : بل وُلد بالسوس من أرض الأهواز ، وقيل بكوثَى من أرض السواد . وينسب إليها السحر والخمر . ويقال إنّ بها هاروت وماروت يُعذّبان إذ اختارا عذاب الدنيا علَى عذاب الآخرة وأنّهما معلّقان في سرداب تحت الأرض كالحبلين وأنّ بعض الناس رآهما كذلك] (2) .

وزعموا أنّ نمرود الجسيم أسّسها وأنّ يسر عربال (؟) وامرأته شهرام أتمّا بنيانها . وكانت مدينة ضاحكة المنظر جميلة المنصب زاهرة البناء واسعة الفناء جمعت إلَى حسن المنظر من كلّ جانب رصانة البنيان وبهاء المنصب ، وكانت سهلة بطحاء ديمومة فيحاء مربّعة لها في كلّ تربيع حصنان عظيمان ، وسائر ذلك من سورها لا يكاد سامع خبرها يصدّق بصره لكثرة ارتفاعه وفرط إتقانه . وكان خمسين ذراعًا عرضًا في ارتفاع مائتي ذراع في دور أربعة وستّين ميلا ، مبنيًا بالآجر المرصّص ، وقد خندق حوله خندق يجري فيه الفرات ، وفيه مائة باب من نحاس ، وسعة السور في أعلاه كسعته في أسفله ، وقد بني في أعلاه مساكن للمقاتلة والحرّاس متّصلة في جميع دوره . وقد زعموا أنّ

---

740 1) سورة البقرة 102/2 ـ 2) عن الحميري 73 .

بابل أقدم بناء بُني بعد الطوفان وأنّ منها تفرّق ولد نوح عليه السلام ، وانّ الّذي هدمها كسرى الأوّل وهو الّذي سمّي ملك الفرس لمّا تغلّب علَى أرض بابل .

(741)

والجزيرة ما بين دجلة والموصل . [وقاعدة هذا العمل الموصل ، ولها كور وعمائر وقرى وبلاد واسعة وأعمال كثيرة ، وهو مشتمل علَى ديار ربيعة ومُضَر] [1] .

ذكـــر خراســـان

(742)

وخراسان تشتمل علَى كور عظام وأعمال جسام ، وكانت خراسان تسمّى في القديم بلد أشيرية ، سمّيت بأشور بن سام بن نوح ، وهو أوّل من اعتمر ذلك الصقع بعد الطوفان . وحدّها الّذي يحيط بها : من شرقها سجستان وبلد الهند الّذي ضممّها إلَى سجستان وما يتّصل بها من ظهر الغور كلّه إلَى الهند وخططنا ديار الخلج في حدود كابل ووخان علَى ظهر الختل كلّه وغير ذلك من ناحية بلد الهند ، وغربها مفازة [الغزية] [1] ونواحي جرجان ، وشمالها ما وراء النهر وشيء من بلاد الترك يسير علَى ظهر الختل ، وجنوبها مفازة فارس وقومس إلَى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وما يتّصل بها . فجعلناه كلّه إقليمًا واحدًا وضممنا الختل إلَى ما وراء النهر ، وهي أقرب إلَى بخارا منها إلَى خراسان [2] . وكور خراسان وأعمالها الّتي يتفرّق فيها الحكّام [3] وأصحاب البرد نيّف وثلاثون عملاً .

---

741 1) عن الحميري 134 .

742 1) عن الحميري 215 ـ 2) يستأنف هنا نص م ـ 3) ق م : الحكم .

ذكر ما وراء النّهر

(743)

منِ خراسان : من ذلك القُوادِيان [1] والصَّغانيان والتِّرْمِذ وكش ونَسَف وبُخارا [2] واستخر وسمرقند وخُجَنْد وأشروشنة [3] والشّاش وفرغانة وبابات وكلساوان [4] وما والاها واتّصل بها . فأمّا بلخ وطخارستان والباميان وخوارزم وما ذكرنا أنّه يتّصل بها فهي ممّا دون النهر .

(744)

وفيما وراء النهر من معادن الذهب والفضّة والزئبق ما لا يقاربه معدن في سائر البلاد كثرة ، وليس في الأقطار مثل نُشادِر عندهم ـ وبصقلّية نُشادر لا يعدل به ولا يدانيه . وإليهم يصل مسك التُّبّت ومن عندهم يرفع ، وهو يفوق كلّ مسك طيبًا ويدنَى عليه ثمنًا ، ويرفع من الصَّغانيان من السَّمُّور والسِّنْجاب [1] وسائر الأوبار ما لا يرفع من سائر البلاد . وما وراء النهر [2] أخصب الأقاليم والصلاح علَى أهله غالب والخير فيهم فاشٍ ، ولهم الغناء والثروة والوفر [3] والجدّة وليس بينهم في شيء من ذلك تنافس ولا يتحرّفون به تحرّف أهل زمانهم ، (فمن همّته دنيا ينالها ولذّة يبلغها) [1] ، بل يصرفونها إلَى قِرى الأضياف ومواساة النّاس وسبل الجهاد وعمارة الطُّرق والمنازل وتعاهُد المراحل والمناهل .

---

743 1) ق : العوادبات ، م : الفاردبات ـ 2) م : وفحا ـ 3) م : وأشبروشة ـ 4) ق : وكاساون .

744 ^ ـ 1) سقطت من ق ـ 2) م : هذا النهر ـ 3) سقطت من م .

(745)

... والصخرة في قوله تعالَى : إذْ أَوَيْنا إلَى الصَّخرَة [1] ، هي صخرة شروان والبحر بحر جيلان والقرية قرية باجروان [2] والغلام من [3] جيلان ، ومجمع البحرين فارس والروم ، قاله قتادة وعن ابن عبّاس عن أبي إفريقية . وخرق الخضر السفينة في بحر رادس والملك الجلندا ابن الجلندا وقتل الغلام بطنبدة [4] ، وهي الّتي تسمّى المحمّدية ، وأقام الحائط ببرقة ، ومن ذلك الموضع فارق موسى ...

(746)

ومن عجائب أرمينية وادٍ لا يقدر أحد أن ينظر إليه ولا يشرف عليه ولا يدرك [1] ما فيه ، وإذا وضعت القِدْر علَى شفيره غلَتْ ونضج [2] ما فيها . وبأرمينية ماء حامض يعرف بالحمض ، إذا أخذ ورفع في إناء عذب وشرب . وشروان المذكور فيها الصخرة في قصر أرمينية .

ذكـــر كرمـــان

(747)

[أرض كرمان متّصلة بأرض فارس وبأرض مكران ، قالوا : وهي ثمانون فرسخًا في مثلها] [1] . وحدّ كِرْمان في الشّرق أرض مكران ومفازة بين

---

745 1) اختلطت في م الآية 63 من سورة الكهف بالآية 50 من سورة المؤمنون ـ 2) م : ناحروان ـ
3) ق : ابن ـ 4) م : بطيرة .

746 1) ق : يدري ـ 2) في هامش م : وطبخ .

747 1) عن الحميري 491 ـ

مكران والبحر من وراء القلوص ، وفي الغرب أرض فارس ، وفي الشمال مفازة خراسان وسجستان ، وفي الجنوب بحر فارس . ولها من حدود الشيرجان دخلة [2] وهي في حدّ فارس (مثل الكم) [3] . والغالب علَى أهلها نحافة الجسم (والسمرة لغلبة الحرّ) [4] . [ومدينة كرمان الشيرجان وهي الّتي ينزلها الوالي ، وبُني سورها أيّام الرشيد ، ولها ثمانية أبواب أحدها باب بهاباد وهو باب الميدان ، ويخرج منه إلَى درب وسكك حتّى ينتهي إلَى مصلّى الحاجب إلَى باب الموضَى ثمّ إلَى الدروب المعروفة بباب سمند وهو باب المغرب . وخارج هذا الدرب قصر خراب يعرف بقصر حاجب بن صالح] [5] .

حدّ بلاد البارز

(748)

فأمّا حدّ بلاد البارز فإنّها سبعة أجبال [1] في نهاية الامتناع والخصب ، وقربها من جيرُفْت علَى خمسة فراسخ [موضع] [2] يسمّى ميزان ، فمنه يحمل الثلج والفواكه إلَى جيرفت ، وفيه الكروم وأشجار جميع الفواكه خلا النخل .

---

747 2) ق م : دجلة ـ 3) سقطت من ق ـ 4) ق : والصبر لعلّة البخر ، م : والسمرة لعلّه الحر ـ 5) عن الحميري 491 .

748 1) ق م : أجبل ـ 2) عن الاصطخري 98 .

(749)

وأمّا البجاناكية فالطريق إلَى بلادهم من الجرجانية تسير [1] اثني عشر فرسخًا إلَى جبل يقال له جبل خوارزم ، وعلَى رأسه منارة وفي سفحه مساكن قوم من الجرجانية لهم بها مزارع . وهم قوم سيّارة يتّبعون مواقع القطر والكلأ ، وطول أرضهم مسيرة ثلاثين يومًا في مثلها ، (ومنهم في الشمال) [2] بلاد جفجاخ ، وقيل قفجاق ، وفي الجنوب بلاد الخزر ، وفي المشرق بلاد الغزّية ، وفي المغرب بلاد الصقلب . وهذه الأمم جميعها دون البجاناكية ويغزونهم ، ولهم ثروة ودوابّ وسوائم وآثاث من ذهب وفضّة وسلاح ، ولهم مناطق محلاّت وأعلام وبوقات بدل الطّبول .

(750)

وبلاد البجاناكية سهول كلّها لا جبل فيها ولا معقل لهم فيلجئون [1] إليه . وحدّث جماعة ممّن أُسر بالقسطنطينية من المسلمين أنّ البجاناكية كانوا علَى دين المجوسية ، فوقع عندهم بعد أربعمائة من الهجرة أسير من المسلمين فقيه عالم عرض علَى طائفة منهم الإسلام ، فأسلموا وصحّت نيّاتهم وانتشرت دعوة الإسلام فيهم . وأنكر ذلك عليهم سائرهم ممّن لم يسلم وآل أمرهم إلَى الحرب ، فنصر الله المسلمين عليهم وكانوا في نحو اثني عشر ألفًا والكفّار في أضعاف عددهم ، فقتلوهم وأسلم باقيهم ، فجميعهم اليوم مسلمون ، وعندهم العلماء والفقهاء والقرّاء ، وهم يسمّون اليوم من وقع إليهم ممّن

---

749 1) سقطت من ق ـ 2) ق : وهم في الشمال من .

750 1) م : فيحلون ـ

استرقّ صاحب القسطنطينية أو غيرهم الخوالص ، ويخيّرونهم في البقاء عندهم علَى أن يغنوه كأحدهم ويتزوّج عندهم من شاء منهم [2] .

ذكـــر الخـــزر

(751)

وتسير [1] من بلاد البجاناكية إلى بلاد الخزر عشرة أيّام في مشاجر ومفاوز علَى غير طرق مسلوكة إلَى بلاد الخزر ، وهي بلاد عريضة ويتّصل بها من إحدى جنباتها [2] جبل عظيم يمدّ [3] إلَى بلاد تفليس ، وتفليس أوّل (حدّ أرمينية) [4] .

وأغنامهم تضع في العام مرّتين .

(752)

والخزر اسم الإقليم ومدينتهم العظمَى قطعتان علَى الشرقي والغربي من نهر (إتل ، وهو نهر) [1] يخرج إليهم من الروس ويفيض في بحر الخزر ، وهتان المدينتان تسمّى إحداهما بارغيش والأخرى خلنغ [2] والغربية أكبرهما . ويحيط بالمدينتين سور واحد ولها أربعة أبواب . ولهم حمّامات وأسواق ومساجد وأئمّة ومؤذّنون . وجملة الخزر مسلمون ونصارى وفيهم عبدة الأوثان ، وأقلّ الفِرَق منهم اليهود [3] (وملكهم علَى دين اليهودية) [4] ، ومسكنه في قصر علَى البعد من النهر . وإنّما كان سبب تهوّد ملك الخزر ـ وكان

---

750 2) ورد هنا في م : وبين ان يلحقوه بما منه .

751 1) م : ومسير ـ 2) ق : جهاتها ـ 3) ق م : ثمّ ـ 4) م : جدار مبنية .

752 1) سقطت من ق ـ 2) ق : ختلغ ـ 3) سقطت من ق ، م : وأهل الفرق منهم ، والتصويب عن الإصطخري 129 ـ 4) سقطت من م ـ

مجوسيًا - أنّه تنصّر فرأى فساد ما هو عليه ، فأخذ فيما غمّه من ذلك مع بعض مرازبته فقال له : أيّها الملك ، إنّ أصحاب الكتب ثلاث طوائف ، فارسل إليهم واستخبر أمرهم واتبع صاحب الحقّ منهم . فأرسل إلَى النصارى في أسقف ، وكان عنده رجل من اليهود ذو جدال فناظره ، فقال له : ما تقول في موسَى بن عمران والتوراة [5] المنزّلة عليه ؟ قال له : موسَى نبيّ والتوراة [5] حقّ . فقال اليهودي للملك : أيّها الملك ، قد أقرّ بحقيقة ما أنا عليه ، فسله عمّا يعتقد . فسأله الملك فقال له : أقول إنّ المسيح عيسَى بن مريم هو الكلمة ، وإنّه المبيّن عن الله عزّ وجلّ بالسرائر . فقال اليهودي للملك الخزر : إنّه يدّعي دعوى لا أعلمها وهو مقرّ (بما عندي) [6] ، فلم يكن للأسقف كبير حجّة . وأرسل إلَى المسلمين فأرسلوا [7] إليه رجلاً عالمًا عاقلاً عارفًا بالجدل ، فدسّ اليهودي عليه [8] مَن سمّه في طريقه فمات ، فاستمال اليهودي الملك إلَى [9] ملّته فتهوّد .

(753)

ولا يكون مقامهم في المدن إلاّ في الشتاء ، وفي سائر العام يكونون في المزارع والبساتين ، ولهم فواكه ونعم كثيرة .

وللخزر جمال فائق وحسن ظاهر ، والّذي يقع من رقيق الخزر هم أهل الأوثان الّذين يستجيزون بيع أولادهم واسترقاق بعضهم بعضًا . وليس لملكهم من طاعتهم إلاّ الدعوة ، ومدار أمرهم علَى إيران شاه وهو الّذي يقود جيوشهم ، ويملك طاعتهم ، وإذا خرجوا في وجهه خرجوا بأسلحة كاملة ودروع حصينة وجواشن محكمة وأعلام رفيعة ، ولا يخرج أحد من أهل عسكرهم إلاّ ومعه عدّة أوتاد طول كلّ وتد ذِرَاعان ، فإذا نزلوا غرز كلّ واحد منهم بحياله تلك الأوتاد وشدّوا إليها الأترسة فيصير حول العسكر في ساعة واحدة جدار من التراس . والغالب علَى قوتهم الأرزّ والسمك ، ولباسهم القواطن

---

752 5) ق : التورية ـ 6) ق : ما لكم ـ 7) قم : فأرسل ـ 8) سقطت من ق ـ 9) ق : على .

والأقبية] [1] . ولسان الخزر غير لسان الترك والفرس وهي لغة لا تشاركها لغة من لغات الأمم . وللملك سبعة حكّام من اليهود والنصارى والمسلمين وأهل الأوثان ، وهم ينتهون في مشتبهات أمورهم إلى عظيمهم المسمّى خاقان خزر وهو أجلّ عندهم قدرًا من الملك .

ذكـــر بـــرداس

(754)

وأمّا بلاد برداس [1] فهي ما بين الخزر وبلكار ، بينها وبين بلاد الخزر مسيرة [2] خمسة عشر يومًا ، وهم حرب لبلكار والبجاناكية ودينهم شبيه بدين الغزّية . ولهم أرض واسعة سهلة ومتاجر كثيرة ، وأرضهم مسيرة (نصف شهر) [3] في مثلها ، وينتهي عددهم نحو عشرة آلاف فارس . وأكثر أشجارهم الخلنج [4] وأكثر أموالهم العسل والوبر من الدلق [5] ، ولهم سوائم كثيرة من البقر والغنم ومزارع واسعة .
وطائفة منهم (يحرقون موتاهم) [6] وأخرى تدفنها ، وإذا أدركت الجارية عندهم [7] ولم يكن لأبيها عليها حكم تختار لنفسها مَن شاءت من الرجال .

ذكـــر بلكـــار

(755)

وبلاد بلكار متاخمة لبلاد برداس ، وبين بلاد بلكار وبلاد برداس مسيرة

---

753 1) عن الحميري 219 .

754 1) م : وداس ـ 2) سقطت من م ـ 3) م : شهر ونصف شهر ـ 4) ق : الخليج ـ 5) م : الزلق ـ 6) م : تحرق قتلاها ـ 7) سقطت من م .

ثلاثة أيام ، ومنازلهم على شاطئ نهر إثل ، وهم بين برداس والصقلب ، وهم قليل العدد نحو خمسمائة أهل بيت ، وملكهم يسمى المس [1] وهو ينتحل [2] الإسلام . والخزر تتاجرهم وتبايعهم وكذلك الروس .

ذكر بلاد المجغرية [1]

(756)

وهم بين بلاد البجاناكية وبين بلاد أسكل [2] من البلكارية ، والمجغرية (عبدة أوثان) [3] وسمة ملكهم كندة . وهم قوم ذوو قباب وخيام يتبعون مواقع القطر ومواضع العشب . وعرض بلادهم مائة فرسخ في مثلها ، وحدّ من بلادهم يتّصل ببلاد الروم ، وفي آخر حدّهم ممّا يلي المفازة جبل [3] ينزله قوم يقال لهم أبين ، ولهم كراع ومواش ومزارع . وأسفل من هذا الجبل على ساحل البحر قوم يقال لهم أوغونة وهم نصارى ، ومتاخمون لبلاد الإسلام المنسوبة إلى بلاد تفليس ، وهو أوّل حدّ أرمينية ، ويمتدّ [3] هذا الجبل إلى أن يصير إلى أرض الباب والأبواب ويتّصل ببلاد الخزر .

بلاد السرير [1]

(757)

تسير من بلاد الخزر اثني عشر يومًا [2] في الصحراء حتّى تنتهي إلى جبل شامخ ، فتصعده وتسير فيه ثلاثة أيام حتّى تنتهي قلعة ملك [3] السرير ،

---

755 1) م : المنبر ـ 2) م : متحل .

756 1) قم : المجغرية ـ 2) قم : أشكل ـ 3) سقطت من ق .

757 1) قم : السريري ، والتصويب عن ابن رسته 147 ـ 2) قم : فرسخًا ، راجع ابن رسته ـ

وهي علَى رأس جبل ويحيط بها سور . وللملك سرير من ذهب كان لملوك الفرس [4] . ولملكهم عشرون ألف شعب بها أصناف من الناس يعبدون رأسًا يابسًا .

(758)

وعلَى يسار قلعة ملك السّرير طريق يسلكه السالك في جبال ومروج حتّى يصل بعد ثلاثة أيّام إلَى بلاد ملك اللاّن ، وهم نصارى ، وعامّة أهل مملكته يعبدون الأصنام .

ذكـــر برجــــان [1]

(759)

فأمّا برجان فهم بعض ولد يونان بن يافث وهم علَى المجوسية ، ومملكتهم واسعة ، وهم يحاربون الروم والصقلب والخزر والترك ، وأشدّهم عليهم الروم لقُربهم منهم ، وإنّما بين القسطنطينية وحد بلد [2] برجان خمسة عشر يومًا . ومملكة برجان عشرون يومًا في ثلاثين يومًا ، وهم لا يركبون الدوابّ إلاّ عند الحروب، واذا صالحهم الروم أدّوا إلى الروم الخراج : جواريَ وغلمانًا من سبي الصقلب. ومن سنّتهم إذا مات لهم[3] ميّت (يجعلوه في ناووس)[4] عميق وينزلونه فيه وينزلون معه امرأته وخدمه ، فيبقون [5] هناك حتّى يموتوا ، ومنهم من يُحرق مع الميّت .

---

757 3) ق : ملك بلاد ـ 4) سقطت من ق .

759 1) في ق ورد هذا الفصل بعد ذكر ياجوج وماجوج (ص 109 ب) ـ 2) م : ملك ـ 3) م : منهم ـ 4) ق : يجعلوا له ناووسًا ـ 5) ق م : فيبقوا .

آخر الجزء الأوّل من المسالك والممالك ، تَغمَّد الله مؤلّفه برحمته ورضوانه ، ويتلوه في أوّل الجزء الثاني ذكر سدّ ياجوج وماجوج .

الحمد للّه وحده حمداً كثيرًا ، وصلّى الله علَى خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ، محمّد عبده الكريم ، ورسوله الرؤوف الرحيم ، صلاة دائمة أفضل ما صلّى علَى أحد من خلقه أجمعين ، وعلَى آله وأصحابه الطيّبين الطّاهرين .

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

قال الشيخ الإمام الحافظ الحبر أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري تغمده الله برحمته :

ذكر سدّ ياجوج وماجوج

(761)

فأمّا سدّ ياجوج وماجوج فإنّ بينه وبين آخر حدود بلاد الخزر مسيرة شهر أو أزيد . وذكر قتادة قال : قال رجل للنّبي صلعم : إنّي رأيت السّدّ . قال : كيف رأيته ؟ قال : كأنّه حبرة [1] . قال : فقد رأيته . وقال وهب بن منبّه إنّ ذا القرنين انصرف إلى ما بين الصدفين ، وهو في منقطع أرض الترك ممّا يلي الشّمال ، فذرع ما بينهما فوجد مائة فرسخ . فحفر له أسّا حتّى بلغ الماء . ثمّ جعل عرضه خمسين فرسخًا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ويصبّ عليه . ثمّ علاه على الأرض بزبر الحديد والنحاس المذاب ، وجعل خلال ذلك أعمدة [2] من نحاس أصفر ، (فصار كأنّه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد) [3] .

---

761 1) م : جرة ـ 2) ق : عمدًا ـ 3) سقطت من ق .

(762)

(وذكر ابن عفير) (1) أنّ معاوية بن أبي سفيان أرسل خمسة وعشرين رجلا إلَى سدّ ياجوج وماجوج ينظرون كيف هو وكتب إلَى ملك الخزر أن يجوّزهم إلَى من خلفه وأهدى إليهم (2) هدايا ، ففعل حتّى انتهوا إلَى الجبلين فرأوا بينهما مثل البصيص وهو بريق الصفر في الحديد وسمعوا جلَبَة من داخل السدّ ورأوا أدرَاجًا (3) يرقَى إلَى أعلاه ، فصعد فيه رجل منهم ، فلمّا بلغ وسطه تحيّر فسقط ومات ، فانصرفوا بقطعة مِسحاة وجدوها عند السدّ . فأرسل معاوية إلَى رجل خبير عالم فسأله فقال : يرسل ملك جنده إلَى السدّ فيهلك واحد منهم ويأتون بحديدة (4) فيجمعهم علَى مائدة فيها طعام ، فوافَى العالم وهم علَى تلك المائدة قد جمعهم عليها معاوية وخلطهم بغيرهم فقال : هؤلاء هم ، فعجب معاوية من ذلك .

(763)

وقال ابن خرداذبه : حدّثني سَلاّم التَرجُمان ، وكان هو الّذي يترجم كتب الترك الّتي كانت ترد علَى الواثق ، قال : ولمّا رأى الواثق في المنام كأن السدّ الّذي بناه ذو القرنين مفتوح وجّهني (1) وضمّ إلّي خمسين رجلا وقال لي : عايِنْه وجئني بخبره . ووصلني بخمسة آلاف دينار وعشرة آلاف درهم وأُعطي كلّ رجل من الخمسين ألف درهم ورزق سنة وأعطاني مائتي بغل أحمل عليها الزاد والماء ، وكتب إلَى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية وهو بتفليس في إنفاذنا فشخصنا إليه من سرّ مَن رأى ، فكتب إسحاق إلَى صاحب السرير وكتب لنا صاحب السرير إلَى ملك اللاّن وكتب ملك اللاّن إلَى فيلان شاه وهو ملك ما يلي (2) الباب والأبواب من خارج ، وكتب فيلان شاه إلَى

---

762 1) ق : وقيل – 2) ق : إليه – 3) م : درجًا – 4) ق م : جديلة .

763 1) سقطت من م – 2) ق م : ولى –

طَرْخان [3] ملك الخزر (فوجّه معنا ملك الخزر خمسة) [4] أدلاّء . وسرنا من عنده خمسة وعشرين يومًا حتّى انتهينا إلَى أرض سوداء منتنة الرائحة وكنّا قد تحمّلنا شيئًا نشمّه ونحجب به نتن ريحها عند دخولها ، فسرنا نحو عشرة أيّام حتّى أفضينا إلَى مدن خراب ، فسألنا عنها فأخبرنا أنّ ياجوج وماجوج خرّبوها ، فسرنا فيها سبعة وعشرين يومًا . ثمّ أفضينا إلَى حصن يقرب من الجبل الّذي هو أحد الصدفين تتّصل به حصون فيها قوم يتكلّمون بالعربية والفارسية ، مسلمون يقرأون القرآن ولهم مساجد ، فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم أنّا رسل أمير المؤمنين ، فجعلوا يتعجّبون ويقولون : أمير المؤمنين ؟ فنقول : نعم . فيقولون : شيخ هو أم [5] شابّ ؟ فقلنا : شابّ . فعجبوا أيضًا فقالوا : أين يكون ؟ قلنا : بالعراق في مدينة يقال لها سرّ من رأى . فيقولون : ما سمعنا بهذا قطّ .

(764)

ثمّ صرنا إلَى جبل أملس يكاد البصر ينبو عنه ، وإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعًا . وإذا عضادتان مبنيتان ممّا يلي الجبل من جنبي الوادي عرض كلّ عضادة خمس وعشرون ذراعًا في سمك خمسين ذراعًا وعتبة الباب السفلَى عشر أذرع في بسط مائة ذراع سوى ما تحت العتبتين ، والظاهر منها خمس أذرع ، وهذه الذراع بذراع السّواد . وإذا دَرْوَنْد [1] حديد طرفاه علَى العضادتين [طوله مائة وعشرون ذراعًا ، قد ركب علَى كلّ واحدة من العضادتين مقدار عشر أذرع ، وفوق الدَّرْوَنْد بناء بلبن الحديد في النحاس إلَى رأس الجبل ، وارتفاعه مدى البصر وفوقه شُرَف حديد ، في طرف كلّ شرفة قرنان تنثني كلّ واحدة منها علَى الأخرى . وللباب مصراعان معلّقان عرض كلّ مصراع خمسون ذراعًا في ثخن خمس أذرع وقائمتاها في

---

763 3) ق : فيلان ـ 4) سقطت من ق ـ 5) م : أو .

764 1) ق : درند ، م : درنول ، والتصحيح عن ابن خرداذبه ص 165 ـ

دوَّارة علَى قدر الدروند . وعلَى الباب قفل طوله سبع أذرع في غلظ باع في استدارة ، وارتفاع القفل من الأرض خمس وعشرون ذراعًا ، وفوق القفل بقدر خمس أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل ، وعلَى الغلق مفتاح معلّق طوله ذراع ونصف] [2] . وله اثنتا عشرة دَنْدَانْكة كلّ دنْدانكة منها كدَسْتَج هاوُن أعظم ما يكون من الهواوين ، معلّق في سلسلة طولها ثماني أذرع في استدارة أربعة أشبار ، والحلقة الّتي فيها السلسلة مثل حلقة المنجنيق .

(765)

ومع هذا الباب [1] حصنان عظيمان [2] يكون كلّ واحد منهما مائتي ذراع في مثلها ، بينهما عين عذبة ، وفي أحد الحصنين بقية من آلة البنيان الّتي بني بها السدّ من قدور الحديد ومغارف الحديد والديدكانات ، وعلَى كلّ ديدْكان أربعة قدور مثل قدور الصابون وهناك بقايا من لبن الحديد قد التصق بعضها ببعض من الصدأ ، واللبنة ذراع ونصف في سمك شبر .

(766)

قال : ورئيس تلك الحصون يركب في كلّ جمعة في عشرة فوارس ، مع كلّ فارس مرزبة حديد فيها خمسة أمنان [1] فيضربون القفل بتلك المرازب ثلاث مرّات ، يسمع من وراء الباب [2] الصوت ، فيعلمون أنّ هنالك حفظة ويعلم هؤلاء أنّ أولائك [3] لم يحدثوا شيئًا في الباب . فإذا ضرب (أصحاب الحصن القفل) [4] وضعوا آذانهم فيسمعون دويًا .

---

764 2) عن ابن خرداذبه 165ـ166 .

765 1) في المخطوطات جاءت هذه الفقرة بعد الفقرة التالية ـ 2) سقطت من ق .

766 1) ق : أمنة ، م : أمنا ـ 2) ق : الضرب ـ 3) سقطت من م ـ 4) م : أصحاب القفل الحصن .

(767)

وبالقرب من هذا الموضع حصن كبير عشرة فراسخ في مثلها تكسير مائة فرسخ . قال : وسألت من هناك هل رأوا أحدًا من ياجوج وماجوج ، فذكروا أنّهم رأوا مرّة عددًا منهم فوق الشرف فهبّت ريح سوداء فألقتهم إلَى جانبهم [1] . وكان مقدار الرجل منهم في رأي العين شبرًا ونصفًا .
قال : فلمّا انصرفنا أخذنا (الأدلاّء وأخرجونا) [2] إلَى ناحية خراسان حتّى وصلنا إلَى ناحية سمرقند وقد كان أصحاب الحصون زوّدونا ما كفانا . ثمّ سرنا إلَى عبد الله بن طاهر . قال سلاّم : فوصلني بمائة ألف درهم ووصل كلّ رجل معي بخمسمائة درهم وأجرى علينا حتّى وصلنا (إلَى الري فوصلنا) [3] إلَى سرّ مَن رأى لثمانية وعشرين شهرًا من يوم خرجنا منها .
قال ابن خرداذبه : فحدّثني سلاّم الترجمان بجملة هذا الخبر ، ثمّ أملاه علَي من كتاب كان كتبه إلَى الواثق وكتبناه نحن منه فوجدته موافقًا لما حدّثني به .
وفي بعض الأخبار أنّ الرجل الواحد من ياجوج وماجوج لا يموت حتّى يولد له ألف ولد .

(768)

وقد أتينا علَى ما أردنا ذكره من المالك المُصاقبة [1] لخراسان وما والاها من الأمم درجة بعد درجة وحالاً بعد حال [2] علَى حسب اتّصالها وبعض المسافات المشهورة .

---

767 1) م : جانبه ـ 2) ق : الأدلاء أخرجونا ـ 3) سقطت من م .

768 1) م : المضافة ـ 2) ق : درجة درجة وحالاً حالاً .

(769)

فلنرجع إلَى ذكر المدن والكور بالعواصم وقنّسرين المتّصلة بأرض الجزيرة . (وقد ذكرنا أنّها كانت من أرض الجزيرة) [1] حتّى جنّدها يزيد بن معاوية في تجنيد الشام ، ثمّ نصل ذلك بذكر [2] بلاد الشام إن شاء الله تعالَى [3] . فمن مدنها قنّسرين وحلب ومنبج ودلوك ورعبان [4] وقورس [5] وتيزين [6] ومعرّة النصرين ، ونصرين [7] جبل مطلّ عليها ، ومعرّة النعمان وكفر طاب والحربية وخناصرة ونقابلس ورصافة هشام والجرثومية على جبل آكام والإسكندرية وأنطاكية وبطنان حبيب .

(770)

وهي كلّها مدائن جليلة ، فأمّا معرّة النعمان فسمّيت بذلك لأنّ الجبل المطلّ عليها سمّي النعمان ، وللمدينة سبعة أبواب . وعلَى ميل منها دير سمعان وفيه قبر عمر بن عبد العزيز رضه ، ويذكر أنّ قبر شيث بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب إليه منها . وداخل مدينة المعرّة قبر يوشع بن نون [1] وله [2] يوم جعل في كلّ عام يقصد إليه من الأقطار . وظهر بالمعرّة بعد أربعمائة وثلاثين من الهجرة رجل أعمَى يكنّى أبا العلاء وهو أحمد بن سليمان بن عبد الله المعرّي ، وكان لغويًّا شاعرًا بليغًا فصيحًا تضرب إليه آباط الإبل من الآفاق ، ويزعمون أنّه منتحل لمذهب البراهمة مصرّ علَى اعتقادهم ، وفي أشعاره وأسجاعه ما يدخل القلب منه بعض الريب .

---

769 1) سقطت من ق ـ 2) سقطت من م ـ 3) ق : ولا يعلم الغيب إلّا الله ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما يشاء ـ 4) م : ورعمان ، ق : وزغنان ـ 5) م : ويورس ، ق : وبورس ـ 6) ق م : ونمرس ـ 7) سقطت من م .

770 1) م : النون ـ 2) م : ولو ـ

وبين قنّسرين والعواصم وبلاد الشام ، وهي كلّها منضافة إلَى الشام ، بلد الحولان [3] والعواء وبقرة بني أسد والبثنية [4] وجبل حوران وقرى بني هلال . وسائر حوران من بلد بني مالك ، وبصرى وإقليمها والقرية وإقليمها والسويداء وإقليمها (وأذرعات وإقليمها) [5] وسمسكين وإقليمها وذرع وإقليمها وبصرى وهو الموضع الّذي فيه قبر أليسع عليه السلام .

(771)

وهذه البلاد كلّها الّتي سمّيناها بنيانها بحجارة [1] وسقوفها حجارة [2] والأبواب الّتي تردف علَى بيوتها ودورها وطاقاتها كلّها حجارة ، (وكلّها صحاري . وعلَى الجملة) [3] فلا يحيط بوصف البلاد [3] والمدن وغير ذلك من الأمور إلاّ الله تعالَى . وإنّما ذكرنا ما ظهر لنا شهرته (وتكرّر سماعه) [3] وما لم نذكره أكثر .

ذكـــر الشّـــام

(772)

وإنّما[1] سمّيت الشام لأنّها عن شمال الكعبة ، وقيل لشامات في أرضها سود وبيض ، وقيل سمّيت بسام بن نوح لأنّه أوّل من نزلها فتطيّرت العرب لمّا سكنتها من أن تقول سام فقالت شام . وقيل إنّ أوّل من سكنها من الخلفاء سمّاها [2] بهذا الاسم وإنّها سرور لمن رآها .

---

770 3) ق : الجولان ـ 4) م : والنقية ـ 5) سقطت من م .
771 1) ق : بالحجر ـ 2) ق : بالحجارة ـ 3) سقطت من ق .
772 1) نقص مقدار ورقة في ق ـ 2) م : سمّوها .

(773)

وقسمت الأوائل الشام خمسة أقسام : الشام الأوّل فلسطين وأوّل حدود [1] فلسطين من طريق مصر أمج ، ثمّ يليها [2] غزّة ، ثمّ الرملة رملة فلسطين . والشام الثانية مدينتها العظمى الطبرية ، والغور واليرموك وبيسان فيما فلسطين والأردنّ . والشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق ومن سواحلها أطرابلس . والشام الرابعة أرض حمص . والشام الخامسة قنّسرين ومدينتها العظمى حلب ، وساحلها أنطاكية مدينة عظيمة على ساحل البحر . [وقالوا : كلّ شيء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكية ، ويقال : ليس في أرض الإسلام ولا أرض الروم مثلها . والنصارى يدعونها مدينة الله ومدينة الملك وأمّ المدائن لأنّها أوّل بلد أظهر فيه دين النصرانية وبها كرسي بطرس ويسمّى سمعون وسمعان وهو خليفة إيشوع الناصري المرأس على تلاميذه الاثني عشر والسبعين وغيرهم] [3] . وفي داخلها البساتين والمزارع ، ويقال إنّها مدينة حبيب النجّار. ومن ثغور الشام الخامسة : المصيصة وطرسوس ونهر جيحان.

(774)

ومن مدن الشام حمص ، يقال إنّها مدينة حبيب النجّار وهي من قصور الشام . ويقال إنّ أوّل من ابتدع الحساب في سالف الأزمان أهل حمص لأنّهم كانوا تجّارًا يحتاجون إلى الحساب في أرباحهم . ولا يدخل مدينة حمص حيّة ولا عقرب . وليس لها سور وفي وسطها حصن مستدير ، وأكثر حمص اليوم خراب .

---

773 1) م : حدوده ــ 2) م : إليها ــ 3) عن الحميري 38 .

(775)

وعن قتادة أنّه نزل حمص خمسمائة من أصحاب رسول الله صلعم . وعن جرير بن عثمان أنّ حمص نزلها من بني سُليم ممّن صحب النبي صلعم أربعمائة . ومدينة حماة ، وتدمر مدينة أوّلية .

(776)

وجبل لبنان بقربه [1] . ذكر الهيثم بن عدي أنّه وجد في جبلٍ لبنان غارًا (وهو في) [2] زمن الوليد بن عبد الملك فدخل ، فإذا فيه رجل مُسجّى علَى سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه بالرومية [3] : أنا سبا [4] بن نواس بن سبا ، خدمت عيصو بن إسحاق بن إبراهيم خليل الربّ الديّان الأكبر وعشت بعده دهرًا طويلاً ، ورأيت عجبًا كثيرًا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويعلم أنّه صائر إليهم لا محالة فلا يتوب . والّذي بعد الموت من حساب الديّان الأعظم وردّ حقوق [5] المظلومين يومئذ (أعظم وأقطع) [6] حقًّا . أقول : لقد حضرت غاري [7] هذا أغدو وأروح إليه [8] أبكي علَى نفسي ، وقد علمت أنّ الأجلاف الحفاة سينزلونني عن سريري هذا ويتموّلونه ويخرجونني من غاري، وهم يؤمنون بربوبية الديّان الأعظم، وذلك حين يتغيّر الزمان ويتأمّر[9] الصبيان ويكثر الحدثان. فمن أدرك ذلك الزمان عاش قليلا ومات ذليلا.

وفي لبنان البرباريس وهناك أطيب ما يكون .

---

776 1) م : بقرب . هنا يستأنف نص ق ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : بالروحانية ـ 4) ق : سب ـ 5) م : حق ـ 6) ق : أفظع وأكبر وأعظم ـ 7) ق : فاري ـ 8) سقطت من م ـ 9) ق : يأتمر .

(777)

ومن مدنها دمشق . وقيل إنّها إرم ذات العماد [1] . وقيل : هي كانت دار نوح عليه السّلام فيما ذكروا . والله أعلم . وقال قتادة في قوله عزّ وجلّ [2] : والتّين والزّيتون : (التّين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس . وقيل) [3] : التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس . وقال الضحّاك : التين والزيتون مسجدان بالشام . وقال مجاهد وعكرمة [4] : التين والزيتون هما المأكولان . (وقيل : التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا) [4] .

(778)

ومسجدها جليل فيه غرائب من الأعمال يطول وصفها ، بناه الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين ، وهو داخل المدينة مفروش بالرخام الأبيض مختّم بالأزرق [1] وحيطانه منجّدة بالفسيفساء وسقفه لا خشب فيه وهو مذهّب كلّه . وله ثلاث مناور : المنار الواحد في مؤخّر المسجد مذهّب كلّه من أعلاه إلى أسفله (ذهبًا وفسيفساء) [2] .

---

777 1) قيل هي ذات العماد ـ 2) سورة التين 1/95 . ق : وقد قيل في قوله تعالى ـ 3) سقطت من ق ـ 4) سقطت من ق .

778 1) م : بالأرض ـ 2) سقطت من ق ـ

(779)

ولها كور جليلة [1] منها : جردان [2] والسمة ومدنها بصرى وأذرعات والبلقاء وذمار وعمّان وجبال [3] وشراط ومأرب وتنوفة والغور وبعلبكّ وبيروت ، وهي قرية الأوزاعي ، وأطرابلس ووجه الحجر وأجنادين واليرموك ومرج الصفر والجابية ومرج راهط [4]

ذكر مدن فلسطين

(780)

سمّيت فلسطين لأنّ أوّل [1] من نزلها فلستين بن كيسوحين يقطن بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ، وهي مدينة بيت المقدس بينها وبين الرملة ثمانية عشر ميلاً صحاري ووهادا ، ويقال إنّ الرملة أربعة آلاف ضيعة . وبيت المقدس كان دار ملك لسليمان عليه السلام وولد سليمان بعده . ومن بيت المقدس إلى مسجد إبراهيم عليه السلام وقبره هناك ممّا يلي القبلة ثمانية عشر ميلا . وبلد يهودا بن يعقوب بن فلسطين وفي وسطه بيت إيليا ، وكان يسمّى في أوّل كنعانية باسم كنعان بن حام . وبلاد النبط ما بين يهودا وبلاد العرب .

(781)

ومن مدن فلسطين غزّة وشنشط ونابلس واللدّ :
واللدّ منزل جميل فيه ناس يعمرونه ، وفيه تنزل الرفاق الواصلة [1] من الشام

---

779 1) سقطت من م ــ 2) م : حودان ــ 3) ق : وجنال ــ 4) ق : ومرج رهاد .

780 1) هنا ينقطع نصّ م الذي سيستأنف في الفقرة 826 .

781 1) ق : الفاضلة .

إِلَى مصر والقافلة من مصر إِلَى الشام . وفيه كنيسة عظيمة محكمة البناء واسعة الفناء عليها للنصارى أوقاف كثيرة . وفي لدّ عجائب . قال رجل : قلت لأهل لدّ : هذه بنتها الشياطين . قال : أنتم إذا جلّ في صدوركم بنيان أو عمل أَضَفْتموه إِلَى الشياطين ، لقد بني هذا البنيان قبل مولد سليمان عليه السلام بمثل ما بيننا وبين سليمان . وفي الخبر المروي أنّ المسيح عليه السلام يقتل المسيح الدجّال بباب لدّ . ومدينة نابلس كثيرة اليهود وهم سامرية وهي بلد السامرية ، وكذلك سمرقند سامرية كلّهم ، ويقال إنّه يبلغ عددهم في هذين الموضعين نحو ثلاثة آلاف .

(782)

وفي الدرب الّذي يدخل من الأردنّ إِلَى أرمينية غريبة وذلك ماء ينبع من أعلَى جبل ، فإذا نزل في أسفله صار حجارة وصفائح ، فإذا أخذ منه في إناء صار مثل الدم ولم ينعقد . وفي الجبل الّذي ينبع منه الماء علم عليه كتابة بالمسند : خلف دينك وادخل .

(783)

قال : وإنّما سُمّيت الشّام شامًا لأنّها عن شمال الكعبة ، وقيل لشامات في أرضها بيضٍ وسُود ، وقيل : سمّيت بسام بن نوح لأنّه أوّل من نزلها فتطيّرت العرب لمّا سكنها من أن تقول : سام ، فقالت : شام ، وقيل إنّ مَن سكنها من الخلفاء سمّوها بهذا الاسم وإنّها سرور لمن رآها [1] .

---

783 (1) راجع الفقرة 772 .

مدينـــة إيليـــا

(784)

هي مدينة مُصّرت في مفازة من الأرض والجبال محيطة بها ، والمدينة في غربي المسجد . وماء إيليا من الأمطار ولداود عليه السلام بها حياض مصهرجة فيها مياه الأمطار للشفاء. وخارجها بساتين ومزارع وأشجار وكرم وزيتون، وليس بها من شجر النخل إلاّ واحدة ويقال إنّها المذكورة في التنزيل في شأن مريم وهي منحنية [1] ، ويقال إنّها غرست منذ زيادة علَى ألف سنة .

(785)

والأرض المقدّسة أربعون ميلاً في مثلها ، فأمّا البيت المقدّس فإنّ أوّل من بناه وأري موضعه يعقوب، وقيل داود علَى اختلاف من الناس. وكان من بناء داود عليه السلام له إلَى وقت تخريب بخت نصر إيّاه وانقطاع دولة بني إسرائيل أربعمائة سنة وأربع وخمسون سنة، فلم يزل خرابًا إلَى أن بناه ملك من ملوك طوائف الفرس يقال له كوشك ، ثمّ تغلّبت ملوك غسّان علَى الشام بتمليك ملوك الروم لهم ودخولهم في نصرانيّتهم إلَى أن جاء الله بالإسلام ، وملك الشام منهم جبلة بن الأيهم ، ففتح الله الشام علَى المسلمين زمن عُمر بن الخطّاب رضه ، وكان أبو عبيدة قد كتب إلَى بطارقة إيليا يدعوهم إلَى الإسلام أو أداء الجزية ، فالتووا عليه ، فنزل عليهم وحاصرهم حصارًا شديدًا . فلمّا رأوا ذلك سألوه الصلح علَى الجزية ، فأجابهم إلَى ذلك . قالوا : فأرسِلْ إلَى خليفتك عمر فيكون هو الّذي يعطينا العهد ويكتب لنا الأمان فإنّا لا نرضَى إلاّ به . فاستوثق منهم [أبو عبيدة بالأيمان المغلّظة إن قدم

---

784   1) راجع سورة مريم 23/19 ..

أمير المؤمنين فأعطاهم الأمان ليقبلوا ذلك منه] (1) . وخاطب عمر رضه [بما دعوا إليه وباستيثاقه منهم] . قال : ثمّ سار عمر [رضه نحو إيليا وخرج المسلمون يستقبلونه ، فخرج أبو عبيدة رضه بالناس ، وأقبل عمر رضه علَى جمل له عليه رحل ملبّس جلد كبش حولي حتّى انتهَى إلَى مخاضة ، فأقبلوا يتبادرونه حتّى نزل عن بعيره وأخذ بزمامه وهو من ليف ، ثمّ دخل بين يديه حتّى صار إلَى أصحاب أبي عبيدة رضي الله عنهما ، فإذا معهم برذون يجنبونه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين اركب هذا البرذون فإنّه أحجَى بك وأهون عليك في ركوبه ، ولا نحبّ أن يراك أهل الذمّة في مثل هذه الهيئة ، واستقبلوه بثياب بيض . فركب البرذون وترك الثياب ، فلمّا هملج به نزل عنه وقال : خذوا هذا عنّي فإنّه شيطان . فقالوا : يا أمير المؤمنين لو لبست هذه الثياب البيض وركبت هذا البرذون لكان أجمل في المروءة وأحسن في الذكر . فقال عمر رضه : ويحكم لا تعتزّوا بغير ما أعزّكم الله به فتذلّوا . ثمّ مضَى ومضَى المسلمون فيهم أبو الأعور السلمي قد لبسوا ثياب الروم من الديباج وغيره . فقال عمر رضه : احثوا في وجوهكم التراب حتّى ترجعوا إلَى هيئتنا وسنّتنا ، وأمر بذلك الديباج فخرق . فقال له يزيد بن أبي سفيان : يا أمير المؤمنين إنّ الدوابّ والسلب عندنا كثير والعيش رفيع والسعر رخيص وحال المسلمين كما تحبّ ، فلو أنّك لبست هذه الثياب البيض وركبت هذه المراكب الفره وأطعمت المسلمين من هذا الطعام الكثير لكان أبعد في الصّيت وأعظم في أعين الأعاجم . فقال له عمر رضه : يا يزيد لا والله لا أتزيّن للنّاس بما يشينني عند الله عزّ وجلّ ولا أريد أن يعظم أمري عند الناس ويصغر عند الله عزّ وجلّ . ثمّ أرخَى إلَى إيليا] (1) ، فخرج إليه [أبو الجعيد] فصالحه ، وكتب لهم عمر كتابًا أمّنهم فيه علَى أنفسهم [وذراريهم ونسائهم وأموالهم وكنائسهم واشترطوا أن لا يساكنهم اليهود فيها](1) .

---

785 1) عن الحميري 68 .

1) عن الحميري 68 .

(786)

فلمّا قبضوا كتاب الصلح فتحوا للمسلمين أبواب إيليا ، فدخل عمر رضه [والمسلمون معه : وسخر عمر رضه] أنباط أهل فلسطين في كنس بيت المقدس وكانت فيه مزبلة عظيمة . وجاء عمر ومعه كعب فقال : يا أبا إسحاق أتعرف موضع الصخرة ؟ فقال : اذرع من الحائط الّذي يلي وادي جهنّم كذا وكذا ذراعًا ثمّ احفر فإنّك تجدها . قال : وهي يومئذ مزبلة . قال : فحفروا فظهرت . فقال عمر لكعب : أين ترى أن نجعل قبلة المسجد ؟ قال : اجعلها خلف الصخرة فتجمع القبلتين قبلة موسَى وقبلة محمّد صلعم . قال : يا أبا إسحاق [ضاهيت اليهود] ، خير المساجد مقدمها . قال : فبنَى القبلة في مقدم المسجد . ثمّ بنَى عبد الملك بن مروان مسجد بيت المقدس سنة سبعين وحمل إلَى بنيانه خراج مصر لسبع سنين ، وبنَى القبّة [1] علَى الصخرة وجعل في أعلَى القبّة [1] ثمانية آلاف صفيحة من نحاس مطلية بالذهب في كلّ صفيحة سبعة مثاقيل ونصف من ذهب ، وأفرغ علَى رؤوس الأعمدة مائة ألف مثقال ذهبًا وخارج القبّة كلّها صفائح الرصاص وعليها صفيحة [2] ...

(787)

وهي ثلاث قباب متجاورة : قبّة الصخرة وقبّة المعراج وقبّة السلسلة الّتي كانت في زمن داود عليه السلام ، وفيها قال الشاعر [سريع] :

مضَى مع الوحي زمان العلَى وارتفع الجود مع السلسلة

ويقال إنّ الّذي بنَى قبّة بيت المسجد وجدّدها سعيد بن عبد الملك بن مروان ، وكان يعرف بسعيد الخير وهو الّذي حفر نهر سعيد بالفرات ، وعليه

---

786 1) ق : القبلة ــ 2) وردت هنا في ق أرقام غير مفهومة .

قرى كثيرة . وطول مسجد بيت المقدس بالذراع الملكي ويقال إنّه ذراع سليمان عليه السلام ـ وهو ثلاثة أشبار ـ [سبعمائة وخمس وخمسون ذراعًا] [1] ، وعرضه [أربعمائة وخمس وخمسون ذراعًا] [1] ، وفيه من الخشب السقف . وفيه خمسون بابًا منها باب محمّد صلعم . وفي المسجد سبعة محاريب منها محراب مريم ومحراب يعقوب ومحراب زكريا الّذي بشرته فيه الملائكة . وفيه كرسي سليمان الّذي يدعو عليه ، وفيه من الصهاريج أربعة وعشرون صهريجًا للماء ، وفيه من سلاسل النحاس للقناديل [2] ... وفيه خمسة آلاف قنديل [توقد فيه ليلة كلّ جمعة] ، وفي السلاسل ثلاثة وأربعون رطلا بالشامي ، والرطل الشامي أربعة أرطال وأربع أواق بالفلفلي .

فضائل بيت المقدس ثلاث

(788)

إنّ رسول الله صلعم قال لا تشدّ الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا ومسجد إيليا . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص في هذه الآية : فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ [1] ، قال : هو سور بيت المقدس . وعن عبد الله بن عمر قال : سمعت النبي صلعم يقول : لمّا فرغ سليمان بن داود من بنيان بيت المقدس سأل الله ثلاث خصال : سأل الله أيّما عبدًا خرج من بيته لا يعمر إلاّ الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه ، فنرجو أنّ الله قد أعطاه ذلك . وسأله حكمًا يوافق حكمَه فأعطاه ذلك . وسأله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه .

وعن كعب قال : من أتى بيت المقدس فصلّى عن يمين الصخرة وشمالها ودعا عند موضع السلسلة وتصدّق بما قلّ أو كثر استجيب دعاؤه وكشف عنه حزنه وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه .

---

787 1) عن الحميري ، وفي المخطوطة عوضت الأرقام بحروف ـ 2) بياض في المخطوطة .

788 1) سورة الحديد 13/57 .

(789)

وعن أبي العالية : إلى الأَرْضِ الَّتِي باركنا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ [1] قال : من بركتها أنّ كلّ ماء عذب إنّما يخرج من أصل صخرة بيت المقدس ، يعني عين سماميح . والله إنّ مخرجها لمن تحت صخرة بيت المقدس وهي عين في وسط البحرين .

(790)

وسئل عبادة بن الصامت ورافع بن حريج وكانا عقبتين بدرقين ، فقيل لهما : أرأيتما ما يقول الناس في هذه الصخرة ؟ أشيء له أصل فنأخذ به أم شيء إنّما يوخذ من أهل الكتاب فندعه ؟ فقال كلاهما : سبحان الله ، فمن يشكّ في أمرها ؟ إنّ الله تعالَى لمّا استوى إلَى السماء قال : بصخرة بيت المقدس هذا مقامي وموضع عرشي يوم القيامة ومحشر عبادي ، وهذا موضع جنّتي عن يمينها وهذا موضع ناري عن يسارها وأنا ديّان الدّين ، ثمّ استوى علَى العرش إلَى عليين . وفيها أخبار كثيرة يطول وصفها .

(791)

وعبد الملك بن مروان هو الّذي بنَى القبّة في أعلَى الصخرة فأبرز الأموال ووكّل علَى ذلك رجاء بن حياة ويزيد بن سلام ، وحشر لذلك الصنّاع وأمرهم أن يفرغوا عليها المال إفراغًا دون أن ينفقوه إنفاقًا . وتبقّى من المال بعد بنائها مائة ألف ، فأمر بها عبد الملك جائزة لهما فكتبا إليه : نحن أولَى أن نزيده من حلي نسائنا فضلا عن أموالنا ، فصرّفها فيما شئت . فكتب إليهما : تسبك وتفرغ علَى القبّة ، فما كان يقدر أحد أن يتأمّلها لما عليها من الذهب وكان لها

---

789 1) سورة الأنبياء 71/21 .

خفاءان خفاء من لبود وخفاء من أدم من فوقه تلبسها في الشتاء والصيف لتكنّها من الأمطار والرياح والثلوج .

طـول بيـت المقـدس

(792)

... ذراعًا [1] بذراع الملك وهو ستّ قبضات ، وعرضه ... ويسرج فيه من القناديل ... وعدد أبوابه ... وعدد ما فيه من الآباط والعمد ... وعدد العمـد الّتي في داخل الصخرة ... وقناديلها ... من نحاس وعشرة من فضّة كبار ، وكلّ واحد عمل عند النبي صلعم ، وفي وسط القبّة حبل معلّق فيه قنديل من فضّة بعضها منظومة بالجوهر . وهذه صفته : (انظر الصورة في الصفحة التالية) .

(793)

وبإيليا الكنيسة العظمَى الّتي وسطها صيهون ، وهي العتيقة وهي الّتي يتعبّد فيها داود وفي وسطها قبر المسيح بزعمهم . فإذا كان يوم عيدهم ويوم السبت الكبير يخرج الناس من موضع القبر إلَى الصخر ، وحوالي السطح درابزين من أبنوس يشرفون منه علَى موضع القبر وكلّهم يتضرّعون إلَى الله عزّ وجلّ من وقت الأولَى إلَى المغرب ، والإمام الّذي يؤمّ بالناس في المسجد الجامع قاعد مع الأمير ، فهم علَى هذا حتّى يروا نارًا بيضاء تخرج من جوف القبر ، فيفتح السلطان الباب عن القبر ويدخل وفي يده شمعة فيوقدها في تلك النار فيرفعها إلَى الإمام فيأتي الإمام بتلك الشمعة إلَى المسجد الجامع فيشعل بها

---

792 1) عوضت الأرقام في المخطوطة برموز غير مفهومة .

طول بيت المقدس ... وأشكاله

[illegible] وعرضه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من النبي صلى الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

القناديل ، فإذا تداولت تلك الشمعة ثلاث أيد اتّقدت كلّها وصارت نارًا للعالمين . ويكتب الأمير بخبر ذلك إلَى السلطان ويعلّمه أنّ النار نزلت في وقت كذا وكذا من يوم كذا ، فإذا نزلت تلك النار وقت الأولَى من ذلك [اليوم] كان دليلاً علَى أنّ السنة تكون خصيبة ، وإذا تأخّرت ونزلت وقت العصر دلّت علَى أنّ السنة [تكون] قحطة . وهذه النار تنزل في يوم فصحهم .

(794)

قال المؤلّف : هكذا نقل بعض المؤرّخين وهو أمر غير صحيح ، وإنّما كانت هذه حيلة وناموس عمل من نواميس أسقف بيت المقدس ، فكان يعمد إلَى خيط [1] إبريسم رقيق طويل فيدخله من وراء الحائط إلَى القبر ويخرج من القبر إلَى سرج الثريا وهو مدهون بالبلسان وتشتعل النار فيه من وراء الحائط بغلافين قد اتّخذهما لاصبعيه من خشب نوري ، وتسري النار في البلسان حتّى يتّقد منها السراج . ففضحه علي بن إبراهيم الوزير أيّام كونه هناك وكشف للناس وجه حيلته وضرب في عنقه فبطلت النار من ذلك الوقت .

(795)

ويتّصل بهذه الكنيسة كنيسة يقال لها كنيسة قسطيص ، وبغربيّها كنيسة يقال لها الجسمانية . وعلَى فرسخ منها ممّا يلي قبلتها في مستو من الأرض بيت لحم ، وبه ولد المسيح عليه السلام وبه النخلة الّتي ساقطت علَى مريم رطبًا جنيًّا والسري الّذي جعله الله تحتها فشربت منه وتطهّرت ، والمهد الّذي جعلت فيه المسيح ، وهو حوض أبيض غسلته فيه . وهو قريب من العين .

---

794 1) ق : حائط .

(796)

وعلَى فرسخ من مدينة الطبرية قرية يقال لها المجدل فيها كنيسة مريم ، فيها السبعة المجانين الّذين أبرأهم المسيح عليه السلام يقال لها الطابقان ، وهنالك بارك عيسَى عليه السلام علَى خمسة أرغفة وسمكتين وأطعم منها خمسة آلاف من أصحابه وفضل منها اثنا عشر زَنْبيلاً . ومنها علَى فرسخ مسجد الخضر وتحته قناة ماء يجري حتّى ينصبّ في البحيرة . ومنها علَى أربعة فراسخ مسجد بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله وتحته الجبّ الّذي ألّتي فيه يوسف عليه السلام . ومنها علَى فرسخين مدينة يقال لها بانياس ، وها هنا ينبع ماء نهر الأردنّ وعليه الأرحاء ، ويذكرون أنّها كانت تقف يوم السبت فلا تطحن ، وكان انخسف نصفها وتعلّق الناس بالمسيح أن ترفع فأبَى ورفع رجله حتّى انخسف نصف الأرحاء . وفيها أحيا المسيح بنت أدران الملك بعد عشرة أيّام ، وعمل العجائب في تلك المدينة .

ذكر بلاد الروم وجملة من أخبارهم

(797)

كانت رومة دار مملكتهم ونزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكًا ، ثمّ نزل نُقْمُودية [1] منهم ملكان ، ثمّ انتقلت مملكتهم إلَى رومة فنزلها ملكان ، ثمّ ملك بها قسطنطين الأكبر فانتقل إلَى بِزَنْطية [2] وبنَى عليها سورًا وسمّاها القسطنطينية .

ولها نحو مائة باب ، وطولها من الباب الشرقيّ إلَى الباب الغربيّ ثمانية وعشرون ميلاً ، وقيل اثنا عشر فرسخًا في مثلها ، وفرسخهم ميل ونصف . ودور قصر الملك فرسخ يُحيط به سور منيف وله ثلاثة أبواب .

---

797 1) عن ابن خرداذبه ص104 ، ق : بعمورية ـ 2) ق : قريطة .

(798)

وعلَى مقربة منه كنيسة الملك ، لها عشرة أبواب أربعة منها ذهب وستّة من فضّة ، وفي المقصورة الّتي يصلّي فيها الملك موضع أربع أذرع في أربع أذرع مرصّع بالدرّ والياقوت [1] ... والأرقنا [2] آلة من خشب مربّعة علَى هيئة المعصرة يغشّى بأدم وثيق ثمّ تجعل فيه ستّون أنبوبة قد غشيت تلك الأنابيب بالذهب فوق [3] الأدم لا يتبيّن منها إلاّ اليسير ، وهي علَى مقادير مختلفة في الطول ليست متساوية ، و[توضع] ثلاثة صلبان فوق الآلة : صليب في طرفها وصليب في وسطها وصليب علَى الطرف الثاني . وفي جانب هذه الآلة المربّعة ثقب يجعل فيه منفخ مثل كور الحدّادين ورجلان ينافخان [4] ذلك المنفخ لا يفتّران ، ويقوم الأستاذ فيحسب علَى تلك الأنابيب . وهذه الآلة من أجلّ ما عندهم ، تسمع منها أصوات غريبة مطربة ومتحدّثة وملوكهم لا يستغنون عنها في أكثر أحوالهم وهي من الغريب المتعذّر ، والله أعلم .

(799)

وإذا أراد الملك الخروج إلَى هذه الكنيسة العظمَى فرش له في طريقه من باب القصر إلَى الكنيسة حُصر وفوق الحصر ضروب الرياحين الطيّبة ، وتزيّن حيطان دور المدينة يمنة ويسرة بالديباج وضروب ثياب الحرير . ويخرج بين يديه عشرة آلاف شيخ عليهم كلّهم ديباج أبيض . ثمّ يخرج بعدهم عشرة آلاف خادم عليهم ديباج في لون السماء في أيديهم الطبرزينات [1] الملبّسة بالذهب . ثمّ يخرج بعدهم خمسة آلاف من فتيان الصقالبة أوساط عليهم ملاحم خراسانية بيض بأيديهم كلّهم صلبان الذهب ، ثمّ يخرج من بعدهم

---

798 1) راجع ابن رسته ص 121ـ123 ـ 2) عن ابن رسته 123 ، ق : والأغوره ـ 3) ق : دون ـ 4) ق : يناقيان ؟

799 1) عن ابن رسته 134 ، ق : الطربزينات ـ

عشرة آلاف غلام أتراك وخزَر عليهم أقبية مذهّبة بأيديهم رماح وأترسة ملبّسة بالذهب . ثمّ يخرج بعدهم مائة بطريق عليهم ثياب منسوجة بالذهب في يد كلّ واحد منهم قضيب من ذهب . ثمّ يخرج مائة غلام عليهم ثياب مشهّرة (2) مرصّعة باللؤلؤ يحملون تابوتًا من ذهب فيه كسوة الملك لصلاته . ثمّ يخرج رجل بين يديه يقال له الرحوم يسكت الناس . ثمّ يخرج شيخ بيده طست وإبريق من ذهب مرصّعان بالدرّ والياقوت . ثمّ يخرج الملك ماشيًا وعليه ثياب الأكسيمون (3) ، وهو ثياب من الإبريسم منسوجة بالجوهر كلّها ، وخفّه مرصّع بالدرّ والياقوت ، وفي يد الملك حُقّة من ذهب فيها تراب ، فكلّما خطا خطوة يقول له الوزير بلسانهم : من رموت نسابطر ، تفسيره : اذكر الموت والبلَى . فإذا قال له ذلك وقف الملك وفتح الحُقّ ونظر إلَى التراب وقبّله وبكَى . فيسير كذلك حتّى ينتهي إلَى باب الكنيسة ، فيقدّم الرجل الطست والإبريق فيغسل الملك يده ويقول للوزير : إنّي بريء من دماء الناس كلّهم والله لا يسألني عن دمائهم وإنّي قد جلعتها في عنقك . ويخلع ثيابه الّتي عليه علَى وزيره ويقول له : دِن بالحقّ (4) ، ويأمر فيه أن يُدار (5) به علَى أسواق القسطنطينية ويقال له : دن بالحقّ (4) كما قال لك الملك .

(800)

ويلبس الملك الثياب الّتي يدخل بها الكنيسة ويأمر بإدخال [أسارى] (1) المسلمين الكنيسة فينظرون إلَى تلك الزينة فينادون : أطال الله بقاء الملك سنين كثيرة ، ويقولون ذلك ثلاث مرّات . ويساق خلف الملك ثلاثة من الخيل تقاد ، [ويقول بعضهم إنّها] (1) لا تكون إلاّ شهباء يقال إنّها من نسل خيل كانت للإسكندر توارثها ملوك اليونانيّين ثمّ ملوك الروم لمّا غلبوا

---

799 2) ق : مشهورة ـ 3) ق : الأكسيون ، وراجع ابن رسته 134 ـ 4) ق : الحق ـ
5) سقطت من ق .

800 1) عن ابن رسته .

علَى المملكة ، عليها سروج قرابيسها من الزمرّد الأخضر والياقوت الأحمر ، وركبها وألبابها وما اتّصل بها مرصّعة من الحجارة بمثل ذلك . [وأجلّتها من الديباج المرصّع بالدرّ والياقوت ، فيدخلونها الكنيسة ولها بها لجام معلّق ، وهم يقولون إنّ دابّة منها متَى أخذت تلك اللجام في فيها ظفروا ببلاد الإسلام . فتجيءُ الدابّة منها فتشمّ اللجام ثمّ تقهقر ولا تقدم عليه . ويقال إنّها من نسل دوابّ كانت لأوقنطاب] [1] . قال أبو سعيد الفارقي : رأيتهم يحملون بين يدي الملك سيوفًا عدّة تنسب إلَى الإسكندر طول كلّ سيف منها ثمانية أشبار وهي مرصّعة كلّها بنفيس الجوهر ، فإذا انقضت نواميس شرعهم عاد الملك علَى الهيئة الأولَى إلَى قصره .

(801)

وباب الذهب منها في الجانب الجنوبي ومنه يأخذ إلَى رومية . وفيها عجائب يكاد السامع أن لا يقبلها ، وفيها من الذهب والجواهر في أبوابها وأسرّتها وجميع أمورها .

[ذكر مدينة رومة]

(802)

ومدينة رومة في سهل من الأرض تحيط بها الجبال [1] علَى بعد والمطلّ عليها منها جبل غوديه بينه وبينها ستّة أميال . ودور مدينة رومة [أربعون] ميلاً ، وقطرها اثنا عشر ميلاً يشقّها نهر يُسمّى نيبروس [2] وينقسم قسمين ، ثمّ يلتقيان آخرها . وفي وسط مدينة رومة حصن يقال له [3] منت أرقوط في صخرة مرتفعة منيعة ، ولم يطق بهذا الحصن عدوّ قطّ . وروما قد تغلّب عليها

---

802 1) سقطت من ق ـ 2) ق : نيترش ـ 3) ق : لها .

مرّات . وبين رومة والبحر الشّامي اثنا عشر ميلاً ، وكذلك بينها وبين البحر الجوفي .

(803)

وأهل مدينة رومة أجبن خلق الله . ويدبّر أمرهم برومة البابه [1] . ويجب علَى كلّ ملك من ملوك النصارى إذا اجتمع بالبابه أن ينبطح علَى الأرض بين يديه ، فلا يزال يقبّل رجل البابه ولا يرفع رأسه حتّى يأمره البابه بالقيام .

(804)

وكانت رومة القديمة تُسمّى رومة باكية أي عجوز . وكان النهر يعترضها ، فبنَى يوانش الأسقف خلف الوادي مدينة أخرى ، فلذلك صار النهر يشقّها . وفرش النهر بلبن الصفر وألصقه بالقصدير [1] والرصاص وألبست حيطانه بمثل ذلك . وفي داخل مدينة رومة كنيسة شنتا باطر وفيها صورة قارله من ذهب بلحيته وجميع هيئته وهو في خلق عبوس قد رفع عن الأرض في خشبة مصلوبًا . وفي وسط الكنيسة صورة أخرى لبعض ملوكهم من ذهب أيضًا . ولهذه الكنيسة أربعة أبواب من فضّة سبكًا واحدًا ، كلّها مسقّفة بقراميد الصفر ملصقة بالقصدير [1] وحيطانها كلّها نحاس أصفر رومي وأعمدتها وأساطينها من بيت المقدس ، وهي في غاية من الحسن والجمال . ويُزار في هذه الكنيسة مِخلبان من مخالب العنقاء ـ وهم يسمّونها الغديقة ـ طول كلّ مخلب منها اثنا عشر شبرًا . وداخل هذه الكنيسة [2] بيت بُني باسم بطرس [3] وبولس [4] الحواريّين ، وطول هذه الكنيسة ثلاثمائة ذراع وسمكها [مائتا ذراع] .

---

803 1) ق : اليابه ، وكذا في بقية الفقرة .

804 1 ، 1) ق : بالقزدير ـ 2) ق : المدينة ـ 3) ق : باطرس ـ 4) ق : بولش .

ذكر شيء من سير الروم وأخبارهم [1] ومذاهبهم

(805)

وأهل رومة أجمعون يحلقون لحاهم كلّها ويحلقون أوساط هامهم [2] ويزعمون أنّ كلّ من لم يحلق لحيته لم يكن نصرانيًا خالصًا [3] . ويقول علماؤهم إنّ سبب ذلك أنّ شمعون الصفا جاءهم والحواريّون وهم قوم مساكين ليس بيدِ كلّ واحد منهم إلاّ عصًا وجراب ، قالوا : ونحن ملوك نلبس الديباج ونقعد [4] علَى كراسي الذهب ، فدعونا إلَى النصرانية فلم نُجبهم وأخذناهم وعذبناهم [5] وحلقنا رؤوسهم ولحاهم ، فلمّا ظهر لنا صدق قولهم حلقنا لحانا كفّارة لما ركبنا من حلق لحاهم .

(806)

وإنّما صار النصارى يعظّمون يوم الأحد لأنّهم يزعمون أنّ المسيح قام في القبر ليلة الأحد وارتفع إلَى السماء ليلة الأحد بعد اجتماعه مع الحواريين . وهم لا يرون الغسل من الجَنابة ولا وُضوء عندهم للصلاة ، وإنّما عبادتهم النية ، ولا يأخذون القربان حتّى يقولوا : هذا لحمك ودمك ، يريدون المسيح ، وليس بخمر وليس بخبز . والسكر عندهم [1] حرام ، ولا يتكلّم أحد إذا أخذ القربان حتّى يغسل فمه ، وإذا تقرّبوا قبّل بعضهم بعضًا وتعانقوا [2] . ولا يتزوّج أحد منهم أكثر من امرأة واحدة ولا يتسرّى [3] عليها ، فإن زنت باعها وإن زنَى باعته ، وليس لهم طلاق . ويورثون النساء جزءين والذكور [4] جزءًا ، ومن سنّتهم ألاّ يلبس الخِفاف الحمر إلاّ ملك .

---

805 1) سقطت من ر ـ 2) ر : رؤوسهم ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ق : ونجلس .

806 1) ر : عليهم ـ 2) ق : وعانقه ـ 3) ر : يتسور ـ 4) ق : والرجال .

(807)

وهم يخفّفون في الحكم علَى الشريف ويثقلون علَى الوضيع حتّى يبلغ به البيع . ومن أحكامهم أنّ من زنَى بأمة غيره فلا شيء عليه إذا زنَى بها خارج الدار كأنّه لم يأت ريبة ، وإن زنَى بها في دار سيّدها فعليه حدّ معروف [1] ومن أولد عندهم أمة [2] فولده زنيم [3] ولا يجوز لذلك الولد عندهم رتبة القسيسية [4] ، ولا يرث أباه إذا كان له ولد من حرّة وولد الحرّة يحيط بميراثه ، وإن لم يكن له ولد غير ولد الأمة ورثه .

(808)

وهم يفطرون في صومهم (في كلّ جمعة يومين) [1] وهما يوم السبت ويوم الأحد ، وأمر الصوم عندهم خفيف ليس بالشّديد اللّزوم [2] ، وإنّما أصله عندهم الصوم الّذي صامه المسيح بزعمهم استدفاعًا لإبليس ، وكان صومه أربعين يومًا كاملاً [3] موصولة بلياليها في قولهم ، وهم لا يصومون يومًا كاملاً ولا ليلة كاملة ، ومن كان بين المسلمين منهم يؤخّر الفطر حياء منهم ، وهم في موضع مملكتهم لا يصومون إلاّ نصف النهار أو نحوه . والمواظب منهم للصلاة والجماعات من شهد الكنيسة يوم الأحد وليلته وأيّام القرابين السبعة ، ولو غاب عنها عمره كلّه ولم يطعن بذلك عليه طاعن ولا عابه بذلك عائب .

(809)

وليس يشتمل مصحف النصارى الّذي هو ديوان فقههم وكنز علمهم وعليه معوّلهم في أحكامهم واعتمادهم في شرائعهم إلاّ علَى خمسمائة وسبع وخمسين

---

807 1) في ق تغير ترتيب هذه الجملة ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : زنيم منها ـ 4) ر : رتب كرتب القسيسية .

808 1) ق : يومين من كلّ جمعة ـ 2) ر : القدوم ـ 3) سقطت من ق .

مسألة [1] ، ومن هذه المسائل علَى قلّتها مسائل موضوعة لا معنَى لها ولا حاجة بهم إلَى [2] تفسيرها ، لم يقع في سالف الزمان ولا يقع [3] في عابره . وليست سنّتهم مأخوذة من تنزيل ولا رواية عن نبي ، وإنّما جميعها عن ملوكهم . وإيمانهم الذي لا يعدونه [4] بالله الّذي لا يعبد غيره ولا يدان إلاّ له ، وإلاّ فخلع النصرانية وبرئ من المعمودية [5] وطرح علَى المذبح حيضة يهودية ، وإلاّ فلعنه البطريق الأكبر والشمامسة والديرانيون وأصحاب الصوامع ومقرّبة القربان ، وإلاّ فبرئ من الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفًا الّذين خرجوا من بيوتهم حتّى أقاموا دين النصرانية ، وإلاّ فشقّ الناقوس [6] وطبخ به [7] لحم جمل وأكله يوم الاثنين مدخل الصوم ، وإلاّ فلَقِي الله بعمل إسحاق طهربا [8] اليهودي (كمل ثلث الديوان والحمد للّه) [7] .

جزيـــرة قبـــرص

(810)

سُمّيت بذلك لمدينة هناك تسمّى قبرو . وجزيرة قبرس كانت معظّمة في القديم للوثن المسمّى فانوس وهو علَى اسم ذو الزُّهَرة . وأهل قبرس موصوفون بالغناء والجِدَة وبها معادن الصفر ، وفي جزيرة قبرس اللاّدن ولا يجمع في غيرها والّذي يجمع منه علَى الشجر خاصّة يحمل إلَى ملك القسطنطينية أفضله لأنّه يعادل [1] الأَنْجُوح القماري طيبًا ، [وسائر] ما يجمع [ممّا يسقط] علَى [وجه] الأرض [هو الّذي] [2] يستعمله الناس .

---

809 1) بياض في ق ــ 2) ر : في ــ 3) ر : وقع ــ 4) ق : بعدها ــ 5) ق : المعبودية ــ 6) ق : الناقوص ــ 7) سقطت من ق ــ 8) ق : طربى .

810 1) ق : لا يُعادل ــ 2) عن الحميري 454 .

جزيـــرة إقريطـــش

(811)

لها اثنا عشر ميلاً ، وقيل : دور إقريطش ثمانمائة ميل . سُمّيت برجل من المجوس يقال له قراطي ويسمّى أيضًا إقريطش [البتّر بلش وترجمته مائة مدينة] [1] ، وكذلك كان بها مائة مدينة .

[وبإقريطش أوّل ما استنبطت صناعة الموسيقَى . وهي كثيرة المعز وليس بها إبل ولا سبع ولا ثعلب ولا غيرها من الدوابّ الدابّة بالليل ولا فيها حيّة ، وإذا دخلت فيها ماتت في ذلك العام ... وهي كثيرة الكروم والأشجار ، ومراسيها من ناحية الشرق : مرسَى الفتوح وهو مرسًى مشتًى حسن لا نظير له في موضع ، ومراس كثيرة لا حاجة إلَى ذكرها][1] .

جزيـــرة صقلّيـــة

(812)

وجزيرة صقلّية سمّيت باسم شيقلوا أخي إيطال الّذي (به سمّيت إطالية) [1] . [وكانتٍ تعرف قبل تري قريا ، ومعناه باللسان الإغريقيّ : ثلاثة في أربعة ، وإنّما ذلك لثلاثة مواضع مشرفة فيها وهي : بلرم الّتي هي قاعدتها وباجنة وليوام . وبين صقلّية وبلد إيطالية خليج من البحر . وقال أرشيوس : عرض جزيرة صقلّية مائة وسبعة وخمسون ميلاً وطولها مائة وسبعة وسبعون ميلاً . وقال غيره : دور صقلّية الّذي يحيط بها خمسمائة ميل] [2] . وطولها من جبل بلرمه إلَى جبل بحيتة (؟) وعرضها من جبل بجيشة إلَى جبل

---

811 1) عن الحميري 51 .

812 1) ق : بنى إطالية ـ 2) عن الحميري 367 وابن الشبّاط .

اليبو (؟) [عند مرسى علي] [2] . ويذكر أنّها مثلّثة الشكل . [وقال بعضهم : لا أدري جزيرة في البحر أكثر منها بلادًا ولا عمارة أقطار . فالثلث الشرقي منها من مسينَى إلَى جزيرة الأديب مائتا ميل ، ومن جزيرة الأديب إلَى طرابنش أربعمائة ميل وخمسون ميلاً ، وهو الوجه الجنوبي ، والوجه الثالث من طرابنش إلَى الحرّاش اثنان وخمسون ميلاً] [2] . وهي كثيرة الزرع والضرع والفواكه . وبلرمه قاعدتها في شمال الجزيرة علَى سبع ليالٍ من المجاز .

(813)

وبجزيرة صقلّية البركان العظيم الّذي لا يُعلم في العالم أشنع منظرًا منه ولا أغرب جبلاً ، وهو في جزيرتين شمالاً من هذه الجزيرة ، وإذا هبّت الريح الجوفية سمع له دوي هائل كالرعد القاصف . وكان قوفوريوش الفيلسوف قد شخص من مدينة صور إلَى صقلّية لينظر إلَى البركان ويعاين فعل الطبيعة هناك ويخبر عنه وعن العاقبة بقول واضح ، فمات بها وقبره معروف ، وقبر جالينوس أيضًا هناك معلوم ، وكان قد شخص من مدينة رومة يريد الشام ليلقَى أصحاب عيسَى عليه السلام .

(814)

وبصقلّية [مياه حامضة وبها] معدن الكبريت الأصفر [الّذي لا يوجد بموضع مثله ، وهو بجزيرة البركان ، وله قطّاعون عاملون بتناول ذلك قد تمرّطت شعورهم وتصلّبت أظفارهم . ويذكرون أنّهم يجدونه في بعض الأزمنة سيّالاً متميّعًا فيجدون له في الأرض مواضع يجتمع فيها . ثمّ يجدونه في غير ذلك الأوان قد تحجر وحمض فيقطعونه بالمعاول] [1] . وبجزيرة صقلّية

---

814   1) عن الحميري 367 وابن الشبّاط ـ

آبار ثلاث عند قلعة مينا من إقليم سرقوسة يخرج منها في وقت معلوم من السنة زيت النفط ، وذلك في شهر شبّاط وشهرين بعده . [وينزل من البرّ علَى درك ويرقَى علَى درك آخر ، ويخمّر الرجل الّذي يدخل البئر رأسه ويسدّ مسامّ أنفه ، وإن تنفّس في أسفل البئر هلك من ساعته ، وما أخرج منه وضع في قصار فيعلو الدهن منه] [2]

(815)

وذكر [بعض] المؤرّخين أنّ جزيرة صقلّية كان يسكنها في قديم الدّهر أمّة مهملة تأكل الناس ، ويقال إنّه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة [1] في وسط جباههم يسمّون حقلوفس . ولم تزل صقلّية علَى قديم الدهر كثيرة الفتن والحروب ، وفي السنة الّتي بويع فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه صار قسطنطين بن هرقل في ألفي [2] مركب يريد بلاد المسلمين ، فسلّط الله تعالَى عليهم عاصفًا من الريح فأغرقهم [3] ، فنجا بنفسه [4] قسطنطين ، فلمّا أتَى صقلّية صنعوا له حمّامًا ودخله وقتلوه فيه . ولصقلّية مدن كثيرة ونهران يطردان من عين واحدة يقال لأحدهما أوطشوم وللآخر القارم .

(816)

وبصقلّية [1] جزيرتا البركان الواحدة كبيرة والأخرى صغيرة ، وفي هاتين الجزيرتين تتّقد النار أبدًا ، فيرى فيهما [2] لهب النار بالليل ودخانه بالنهار . ومن العجائب أنّ النار في إحدى الجزيرتين حديثة ولم تكن بها من قبل . وهاتان الجزيرتان وما يليهما [3] تسمّى جزائر [4] أوليا ، سمّيت باسم (أوليس بن يكيو) [5] الّذي ذكرت فلاسفة الجاهلية أنّه كان أميرًا لتلك الجزائر وكان

---

814 2) عن الحميري 368 وابن الشبّاط .

815 1) هنا يبتدئ نص ر ـ 2) ق : ألف ـ 3) ق : فغرقها ـ 4) سقط من ق .

816 1) ق ر : وبغلبية ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ر : بينهما ـ 4) ق : جزيرة ـ 5) ق : أولين بن ينتو ، ر : أولين بن ينتر .

يعلّم أهلها بما يحدث في الرياح لتجارب حفظها ، فاتّخذوه إلهًا . وبصقلّية غرائب يطول ذكرها .

(817)

وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين فزع فيمة البطريق النصراني قائد [1] صاحب صقلّية إلَى زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب ، فقرّب عليه أمر صقلّية والظفر بها ، فولّي زيادة الله أسد بن الفرات القاضي الفقيه علَى جيش إفريقية من قريش والعرب والبربر وغيرهم وأقرّه علَى القضاء مع القيادة . وخرج أسد في حفل عظيم وجمع كثير وعدّة كاملة ، وذلك في شهر ربيع الأوّل من العام المذكور ، وكان فصوله [2] من مدينة سوسة في سبعين مركبًا يوم السبت للنصف من شهر ربيع الأخر ، ووصل إلَى مرسَى مازر يوم الثلاثاء [بعده ، وكانت طريقه من المرسَى علَى قلعة بلّوط ، ثمّ علَى قرى الرّيش ، ثمّ صار إلَى قلعة الدبّ سُمّيت بذلك لأنهم أصابوا فيها دبًّا أنيسًا ، ثمّ إلَى قرية الطواويس ، وسُمّيت بذلك لأنّهم أصابوا فيها طاووسًا ، ثمّ إلَى معركة بلاطة ، وهناك ظهر لهم جمع الروم فنازلهم فانهزم المشركون وأصيب لهم كراع وسلاح ، ولذلك سمّيت معركة بلاطة ، وهو اسم ملك النصارى] [3] . ثمّ رحل [4] إلَى حصون الروم وقُراهم [5] [يغير ويسبي] ، وبثّ السرايا في جميع الجزيرة وكثرت المغانم [1] عند المسلمين وصاروا في رغد من العيش ، [وسارع الناس إلَى إمدادهم من إفريقية والأندلس] ، وحاصر أسد مدينة سرقوسة وقاتلهم برًا وبحرًا وأحرق مراكبها وقتل جماعة من أهلها .

ومات أسد بن الفرات رحمه الله سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو محاصر لسرقوسة ، ووقع الموتان [6] علَى عسكر المسلمين .

---

817 1) سقطت من ق ـ 2) ق : وصوله ـ 3) عن الحميري 366 ـ 4) ر : ووصل ـ 5) ر : وغزاهم ـ 6) ر : الموت .

(818)

وولّوا علَى أنفسهم ابن الجواري وأمدّتهم مراكب من إفريقية فيها رجل يسمّى عمروس ، فخرج إليهم قسطنطين صاحب صقلّية وهو نازل بلرمه [1] في عسكر جرّار ، فحفر لهم المسلمون حفرًا وغيّبوها بالكلأ والعشب ، ثمّ استطردوا لهم عند اللقاء [2] حتّى تساقطوا في تلك الحفر ، فكان ممّن سقط منهم [3] قسطنطين وابنه . فأسر قسطنطين وقد أثخن جراحًا ، ففُدي من المسلمين بفِداء جزيل ، فأحمله أهله فمات بالحمة ، فحملوه ودفنوه بمرسَى الطين وبنوا علَى قبره الكنيسة الّتي بالمرسَى .

وكان بعد ذلك فيها ولايات كثيرة وحروب مع الروم يطول ذكرها .

ذكــر جزيــرة مالطــة

(819)

ومن الجزائر المشهورة الّتي تلي صقلّية جزيرة مالطة في القبلة منها بينهما مجرى واحد وفيها مراس منشأة [1] للسفن ، وأشجارها الصنوبر] والعرعر والزيتون ، وطولها ثلاثون ميلاً ، وفيها مدينة من بنيان الأوّل . وكان يسكنها الروم . وغزاها خلف الخادم مولَى زيادة الله بن إبراهيم عند قيام أبي عبد الله محمّد بن أحمد ابن أخي زيادة الله علَى يد أحمد بن عمر بن عبد الله بن الأغلب ، وهو الّذي شقّي في أمرها . وخلف هذا هو المعروف ببناء المساجد والقناطر والمواجل ، فحاصرها ومات وهو محاصر لها . فكتبوا إلَى أبي عبد الله بوفاته ، فكتب إبو عبد الله إلَى عامل جزيرة صقلّية ، وهو محمّد بن خفاجة ، أن يبعث إليهم واليًا ، فبعث إليهم سوادة بن محمّد ، ففتحوا حصن مالطة

---

818 1) ق : يلزم ـ 2) ق : القائم ـ 3) ق : فيهم .

819 1) سقطت من ق ـ

وظفروا بملكها عمروس أسيرًا ، فهدموا حصنها وغنموا وسبوا ما عجزوا عن حمله ، وحمل لأحمد من كنائس مالطة ما بنَى به قصره الّذي بسوسة داخلاً في البحر ، والمسلك إليه علَى قنطرة . فبقيت بعد ذلك جزيرة مالطة خربة غير آهلة ، وإنّما كان يدخلها النشّاؤون للسفن ، فإنّ العود فيها أمكن أن يكون ، والصيّادون للحوت لكثرته في سواحلها والشائرون للعسل ، فإنّه أكثر شيء هناك .

فلمّا كان بعد الأربعين والأربعمائة من الهجرة عمّرها المسلمون وبنوا مدينتها ، ثمّ عادت أتمّ ممّا كانت عليه ، فغزاها الروم سنة خمس وأربعين وأربعمائة في مراكب كثيرة وعدد ، فحاصروا المسلمين في المدينة واشتدّ الحصار عليهم وطمعوا فيهم ، فسألهم المسلمون الأمان فأبوا إلاّ علَى النساء والأموال . فأحصَى المسلمون عدد المقاتلة من أنفسهم فوجدوهم نحو أربعمائة ، ثمّ أحصوا عبيدهم فوجدوهم أكثر عددًا منهم ، فجمعوهم وقالوا لهم : إنّكم إن ناصحتمونا في قتال عدوّنا وبلغتم من ذلك مبلغًا وانتهيتم حيث انتهينا فأنتم أحرار ، نلحقكم بأنفسنا وننكحكم بنّاتنا ونشارككم في أموالنا ، وإن أنتم توانيتم وخذلتمونا لحقكم من السباء والرق ما يلحقنا ، وكنتم أشدّ حالاً منّا ، لأنّ أحدنا قد يفاديه حميمه ويخلصه من الأسر وليه ويتألاّ علَى استنقاذه جماعته . فوعد العبيد من أنفسهم بأكثر ممّا ظنّوا بهم ، ووجدوهم إلَى مناجزة عدوّهم أسرع منهم . فلمّا أصبح القوم من اليوم الثاني غاداهم الروم علَى عادتهم ، وقد طمعوا ذلك اليوم في التغلّب عليهم وأسرهم ، والمسلمون قد استعدّوا في أكمل عدّة لِلقائهم ، وأصبحوا علَى بصيرة في مناجزتهم ، واستنصروا الله عزّ وجلّ عليهم وزحفوا وثاروا نحوهم دعسًا بالرماح وضربًا بالسيوف غير هاربين ولا معرجين ، واثقين بإحدى الحسنيين : من الظفر العاجل أو الفوز الآجل . فأمدّهم الله تعالَى بالنصر وأفرغ عليهم الصبر ، وقذف في قلوب أعدائهم الذعر ، فولّوا منهزمين لا يلوون ، واستأصل القتل أكثرهم ، واستولَى المسلمون علَى مراكبهم فما أفلتهم منها غير واحد . ولحقوا عبيدهم بأحرارهم ووفوا لهم بميعادهم . وهاب العدوّ بعد ذلك أمرهم ، فلم

يعترضهم أحد منهم إلَى حين [2]

ذكر جزيرة قوصرة

(820)

ويلي مدينة مازر من جزيرة صقلّية جزيرة قوصرة بينهما مجرى واحد [1] . [وهي في شرقي جزيرة مليطمة ، وهي من جزيرة الراهب بين جنوب وشرق ، وتوازي الشاقة ومازر وبينهما مجرى ، وكذلك من قوصرة إلَى برّ إفريقية مجرى . وجزيرة قوصرة ترى من مدينة مازر وترى أيضًا من إقليبيا من برّ إفريقية ، لأنّ هذه الجزيرة جبل مشرف عالٍ جدًّا . ولها مرسًى من جانب الشمال ، وهي مقطع للخشب الجيّد ويحمل منها إلَى صقلّية . وفيها معز برّية تُصاد هناك كثيرًا ، وهي مكمن للغزاة من المسلمين والروم ، وكانت فيها للمسلمين علَى الروم أيّام صمصام الدولة وقيعة مجحفة ومقتلة عظيمة . وهي جزيرة صغيرة حصينة فيها آبار وأشجار ، ولها من جهة الجنوب مرسًى مأمون يكنّ من رياح كثيرة] [2] .
والجزائر بتلك الناحية [3] كثيرة

ذكر مجدونية

(821)

فأمّا مجدونية فهي قاعدة الروم الإغريقيّين ، ومنها أرسطاطاليس فيلسوف

---

819 2) عن الحميري 520 .

820 1) سقطت من ق ـ 2) عن الحميري 485ـ486 ـ 3) ر : النواحي .

الروم وعالمها [وطبيبها وجهبذها وخطيبها] [1] ، وهو معلّم الإسكندر وله رسائل عجيبة .
وقد حدّدها الكندي عند ذكر ممالك صاحب القسطنطينية ، وكانت مجدونية تُسمّى في القديم ممارية مشتقّ من اسم ملكها مماريش [2] .

ذكـــر طراقيـــة

(822)

فأمّا بلد طراقية فحدّها من المشرق [1] مدينة القسطنطينية ، ومن ناحية الجوف يمتدّ إلى ناحية الأشبان [2] ، ومن ناحية القبلة معظم [3] البحر ، ومن ناحية المغرب يتّصل ببلد مجدونية ويتّصل به بلد طشالية . وزعموا أنّ أهلها أوّل من عمل اللُّجُم للخيل [4] و[أنّهم] ابتدعوا رياضة الخيل والبيطرة .

ذكـــر طشاليـــة

(823)

[أرض بين الروم والترك ، فيها عينان تجريان ويكون عنهما نهران ، إن شربت الماشية من إحداهما اسودّت ووضعت سودًا ، والأخرى إن شربت منها الماشية وضعت أولادها بُلْقًا] [1] وبطشالية استنبط ضرب الدنانير من الذهب .

---

821 1) عن الحميري 523 ـ 2) ر : ممارش .
822 1) ق : الشرق ـ 2) ر : الأصبان ـ 3) ر : يعظم ـ 4) ر : إلى الخيل .
823 1) عن الحميري 397 .

ذكر بلاد الأنقلش

(824)

وهم جنس من الأتراك نزلوا مصاقبين للصقالبة . وحدّ بلدهم في الغرب بلد بويرة وبلد بويصلاو [1] ، وفي الجوف منهم الروس ، وفي الشرق منهم البجناك وقفار لا تُسكن هي بين [2] بلد البجناك وبين بلد البلقارين من الصقالبة ، وفي القبلة بعض بلاد البلقارين ، ومسافة قفار لا تسكن .

[وهم قوم ليس لهم معبود دون الله تعالَى ، وهم يقرّون بصاحب السماء وأنّه واحد قهّار ، ويجتنبون أكل لحم الخنزير ويقرّبون قرابين . وإذا وضع بين يدي أحدهم طعام أجّج نارًا وأخذ من أفضل خبزه وطعامه فيلقيه في النار ويدعو باسم أحبّ وزرائه إليه . ويعتقدون أنّ الدخان يرقى إلَى السّماء فيكون ذخرًا للميّت بين يدي الله عزّ وجلّ ليفوز بذلك عنده .

وهم ناقلة من خراسان ، والإسلام هناك فاش ، وهؤلاء الأتراك يفادون المسلمين واليهود إذا أُسروا في جهة من الجهات التّي تليهم . ويحسنون قرى الضيفان ، وهم علَى أحوال مرضية إلاّ في إباحة نسائهم لعبيدهم وأضيافهم وكلّ من أراد الخلوة بهنّ ، وإنّهم في ذلك بمنزلة الكلاب] [3] .

ذكر الروس

(825)

وأمّا بلاد الروس فهم في جزيرة حواليها بحيرة ، وطول جزيرتهم [1] مسيرة خمسة [2] أيّام وفيها مشاجر وغياض . وملكهم يقال له خاقان [3] روس ،

---

824 1) ق : بويصلاق ـ 2) سقطت من ر ـ 3) عن الحميري 39 .

825 1) ر : وطولها ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : خاكان ، ر : حاقان ـ

وهم في نحو مائة ألف إنسان ، وهم يغزون الصقالبة في السُّفن . وبلكار [4] تبع للروس وموافقون لهم . وليس للروس مزارع ولا كسب إلاّ بسيوفهم ، وقيل : هم ثلاثة أصناف : صنف منهم ينزل ملكهم مدينة كويابة [5] وهي أقرب من بلقار [6] ، وهم أقرب الروس إلَى بلقار ، وصنف آخر يسمّون الصلاوة ، وصنف ثالث [7] يسمّون الأوثانية وملكهم مقيم بأوثان ، والتجار إليهم لا يتجاوزون كويابَة [8] . فأمّا أوثان (فلم يخبر أحد) [9] أنّه دخلها لأنّهم يقتلون كلّ من (وصل إليهم) [10] من الغُرباء . (والله أعلم) [11] .

[1] ذكـر جملـة من القـول في الأمصـار ومسـاحـات الممـالـك

(826)

ذكر أنّ عمر لمّا استفتح [2] البلاد من العراق والشام ومصر كتب إلَى بعض [3] حكماء العصر يسأله عن البلاد (وتأثير أهويتها وتربتها في سكّانها) [4] . فكتب إليه [5] : أمّا الشام فتحت ركام وثجّ غمام [6] تُصفّي الألوان وترطب الأجسام وتبلد الأفهام . وأمّا أرض مصر فهَواؤُها راكد وحرّها [7] متزايد تطوّل الأعمار وتسوّد الأبشار وتبلّد الفطن وتذكّي الإحن . وأمّا أرض اليمن فتضعف الأجسام وتهذب الأحلام ، مَغايضها خصبة وأطرافها جذبة . وأمّا الحجاز فهَواؤُه حرور وليله بهور [8] يشجّع القلوب

---

825 4) ق ر : وبلكان ـ 5) ر كويانة ، ق : كوعانية ـ 6) ق : بُلغانة ـ 7) ر : آخر ـ 8) ر : كوبانة ـ 9) ر : فلم يجد أحد يخبر ، ق : فلم يجد أحد ـ 10) ق : وطئ أرضهم ـ 11) عن ق .

826 1) ورد في ر قبل هذا العنوان : بسم الله الرحمٰن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمّد وآله وسلّم تسليمًا ـ 2) ر : افتتح ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ر : وتأثيرها في سكّانها وترتيبها على ساكنها ـ 5) ر : فكتب إليه بعض أهل العلم بها . 6) يستأنف هنا نص م ، راجع الفقرة 780 ـ 7) س ر : وخيرها ـ 8) ر : جهور ـ

وينحف الجسوم وفي أهله غدر ولهم خبّ ومكر ، ولديارهم في آخر الزمان نبأ عظيم وخطب جسيم من أمور [٥] تظهر وأحوال تبهر . وأمّا العراق فقلب الأرض ومسلك النور وقرار النظارة ولأهله أعدل الألوان وأصفَى الأذهان . وأمّا الجبال فتخشن الأجسام وتبلد الأفهام وتميت الهِمَم وتفسد الشيم . وأمّا خراسان فتعظّم الأبدان وتكبّر الهام وتلطّف الأفهام ولأهلها غوص وتفكير ورأي وتدبير .

(827)

وذكر أنّ معاوية سأل عبد الله بن الكوّا فقال : أخبرني عن أهل البصرة . فقال : يقاتلون معًا ويُدْبِرون شتّى . قال : فأخبرني عن أهل الكوفة . فقال : أنْظرَ الناس في صغيرة وأوقعهم في كبيرة . قال : أخبرني عن أهل المدينة . قال : أحْرَصُ الناس علَى فتنة وأعْجزُهم عنها . قال : فأخبرني عن أهل مصر . قال : لقمة لآكل . قال : فأخبرني عن أهل الحيرة . قال : كناسة بين حديقتين . قال : فأخبرني عن أهل الموصل . قال : قلادة وليدة فيها من كلّ خرَز . قال : فأخبرني عن أهل الشام . قال : جنّة [١] أمير المؤمنين ولا أقول فيهم شيئًا . قال : لتقولنّ . قال : أطْوعُ الناس لمخلوق وأعصاهم لخالق ، لا يحسبون للسماء ساكنًا . وروي أنّ عمرو بن العاص قال : أهل الحجاز أسرع الناس إلَى فتنة وأعجزهم عنها ، وأهل العراق أطلب الناس لعلم وأعلمهم بخلافه ، وأهل مصر أعقل الناس صغارًا وأحمقهم كبارًا ، وأهل الشام أطوع الناس لمخلوق [٢] وأعصاهم لخالق [٢] .

وقال سليمان بن موسَى : إذا كان الرجل علمه حجازي وسخاؤه عراقي واستقامته شامية فقد كمل .

وقال بعض الحكماء : أهل الحجاز أهل لهو ومعازف ومداعبة وتأنيث ، وأهل

---

826 ٥) س : أمر ، ر : عمل .

827 ١) س : جند ـ ٢) ر : للمخلوق ... للخالق ـ

اليمن أهل غفلة وخفّة ولين [3] ، وأهل العراق أهل فكرة وفطنة وغدر وخبث وحيل وكثرة كلام ، وأهل الشام أهل غفلة وسلامة صدور وعون للظلمة ، وأهل مصر أهل غفلة ولين وقلب فطن ، وأهل خراسان أهل غفلة وحرص وبخل وشجاعة ، وأهل الهند أهل حكمة [4] وشجاعة وحسن سيرة ولين ، وأهل الصين أهل طيش وخفّة وجبن .

(828)

وقال بكر [1] بن وائل عن محمّد بن مسلم يرفعه : قسم الحفظ عشرة أجزاء فتسعة في الترك وجزء في سائر الناس ، وقسم البخل [2] عشرة أجزاء فتسعة في فارس وجزء في سائر الناس ، وقسم الكبر عشرة أجزاء فتسعة في الروم وجزء في سائر الناس ، وقسم السخاء عشرة أجزاء فتسعة في السودان وجزء في سائر الناس ، وقسم الشبق عشرة أجزاء فتسعة في الهند وجزء في سائر الناس ، وقسم الحسد عشرة أجزاء فتسعة في العرب وجزء في سائر الناس . وقال أيضًا بعض الحكماء : لا ترى أمة أكمل من كوفية ولا أظرف من مدنية ولا أبرع كمالاً من رومية ولا أحسن من أندلسية ولا أسحر بعينها من حبشية ولا أحسن قوامًا من سندية ولا أنجب للولد من خوشية [3] ولا أعسر قفلاً من خزرية .

(829)

فلمّا أراد عمر رضه النهوض إلَى العراق سأل كعب الأحبار عنها فقال : يا أمير المؤمنين ، لمّا خلق الله الأشياء لحق كلّ شيء بشيء ، فقال العقل : إنّي لاحق بالعراق . فقال العلم : وأنا معك . فقال المال : فإنّي لاحق بالشام .

---

827 3) س : أهل عفلة ودعة ولين ، م : أهل غفلة ودعة ولين وخفّة ـ 4) س،ر : عفلة .

828 1) ر : أبو بكر ـ 2) س : السخا ـ 3) س : حرشية ، ر : جرشبة .

قالت الفِتَن : وإنّا معك . قال الخصب : إنّي لاحق بمصر . قال الذلّ : وأنا معك . قال الشّقاء : إنّي لاحق بالبوادي . قالت الصحّة : وأنا معك . وقال الحجاج : لمّا تبوّأت الأمور منازلها قالت الطاعة : أنزل الشام . قال الطاعون : وأنا معك . قال النفاق : وأنا أنزل العراق . قالت النعمة : وأنا معك . قالت الصحّة : أنزل البادية . قالت الشقوة : وأنا معك .

(830)

وممّا خصّ به العراق مادّة الرافدين وهما دجلة والفرات ، وكانت الأوائل تُشبهه من العالم بالقلب من [1] الجسد لتوسّطه الأرض ولأنّه من إقليم بابل الّذي سبقت الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما تكون الحكمة من القلب . وأشرف هذا الإقليم مدينة السلام ، وقالوا : العراق لا جبلية ولا بحرية ولا شتاء كشتاء أرمينية ولا صيف كصيف عمان ولا صواعق كصواعق تهامة ولا جرب كجرب اليمن ولا طاعون كطواعين الشام ولا طحال كطحال البحرين ولا حمّى كحمّى خيبر ولا زلازل كزلازل صبرة ولا دمامل كدمامل الجزيرة ولا جنون كجنون حمص ولا هواء يختلف كهواء مصر الّتي لم يجعل الله عزّ وجلّ في أرزاق أهلها وأقواتهم نصيباً من الرحمة الّتي نشرها علَى عباده بالغيث الّذي جعله عمارةً لبلاده [2]

(831)

وقال ابن الزبير : ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم . وقالت الحكماء : عمّر الله البلدان بحبّ الأوطان . وقال ابقراط : يداوى كلّ عليل بعقاقير أرضه ، فإنّ الطبيعة تتطلّع إلَى هوائها وتسرع [1] إلَى غذائها . وقال أفلاطون : غذاءالطبيعة من أنفع أدويتها .

---

830 1) ر : مع ـ 2) ر : عمارة بلاده .

831 1) ر : وتسرّع .

وزعم الفزاري أنّ عمل أمير المؤمنين من أقصَى خراسان ـ وهو فرغانة ـ إلَى طنجة بالمغرب ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ [1] (ومن الباب إلَى بغداد ثلاثمائة فرسخ) [2] ، وعمل الصين في المشرق واحد وثلاثون ألف فرسخ في أحد عشر ألف فرسخ ، وعمل الهند في المشرق أحد عشر ألف [2] فرسخ في سبعة آلاف فرسخ ، وعمل تُبّت خمسمائة فرسخ في مائتين وثلاثين فرسخ ، وعمل كابُل شاه أربعمائة فرسخ في ستّين ، وعمل الترك ألف فرسخ في خمسمائة فرسخ ، وعمل الخزر واللاّن سبعمائة في خمسمائة ، وعمل بُرجان ألف وخمسمائة في سبعمائة ، وعمل الصقالبة [3] ثلاثة آلاف وخمسمائة في أربعمائة وعشرين ، وعمل الأندلس ثلاثمائة فرسخ في مائة فرسخ ، وعمل رومة ثلاثة آلاف فرسخ في سبعمائة فرسخ ، وعمل إدريس الفاطمي ألف ومائتا فرسخ في مائة وعشرين فرسخًا ، وعمل فارس لابن المنتصر [4] أربعمائة فرسخ في ثمانين فرسخًا . عمل أنْبِية [5] ألفان وخمسمائة فرسخ في ستّمائة فرسخ ، وعمل غانة بلاد الذهب ألف فرسخ في ثمانين فرسخًا ، وعمل وَرام مائتا فرسخ في ثمانين فرسخًا ، وعمل نخلة مائة وعشرون فرسخ في ستّين فرسخًا ، وعمل واخ [6] ستّون في أربعين ، وعمل البجاة مائتا فرسخ في ثمانين ، وعمل النوبة ألف وخمسمائة فرسخ في أربعمائة ، وعمل الزنج تسعة آلاف وستّمائة فرسخ في خمسمائة فرسخ ، وعمل أسطوا لأحمد بن المنتصر [أربعمائة فرسخ في مائتين وخمسين فرسخًا] [7] ، فذلك الطول اثنان وسبعون ألف فرسخ وأربعمائة فرسخ وثلاثون فرسخًا ، والعرض خمسة وعشرون ألفًا ومائتان وخمسون فرسخًا .

---

832 1) م ر : ثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ ـ 2) سقطت من ر ـ 3) س : الصقلب ـ 4) م : وعمل احر المستنصر ـ 5) عن المسعودي 1367 ، سقط من م ، ر : نخلة أنبية ، س : أبلية ـ 6) عن ر ، س : راح ، م : فراح ـ 7) عن المسعودي .

ذكر أقسام إيرانشهر

(833)

وهو يشتمل علَى بلدان مسمّاة يضمّ [1] كلّ بلد عدّة كور . فالبلاد : خراسان وكرمان وفارس والأهواز والجبل وسجستان وأرمينية وآذربيجان والموصل والجزيرة والشام وسورستان وهي متوسّطة لهذه البلاد . فكور خراسان : الطَّبسان وقوهستان [2] ونيسابور وهراة وبُوشَنْج وباذغيس [3] وطوس ونَسا وأبيورد وسرخس ومرو الروذ والطالَقان والفريَاب [4] والجوزجان [5] والترمذ ومن وراء النّهر [6] وبخارى وسمرقند وكش ونَسَف [7] وأوّل بلاد الترك وشاش وفرغانة وأُشْرُوسَنة وخوارزم مضمومة إلَى خراسان .

وكور كرمان : أواس والسيرجان وبَرْدَسير [8] ويَمّ وجيرُفْت وهرمز .

وكور فارس : سابور وإصطخر وأرْدَشير خُرّة ودَارابْجَرْد وفسا وأَرّجان وشيراز .

وكور الأهواز : سوق الأهواز وجُنْدَيْ سابور ورامَهُرْمُز وسُرّق وبيذق وتُستَر والسُّوس .

وكور الجبل : ماسَبَذان ومِهْرِجان وقَذَق وماه الكوفة ، وهي الدينور ، وماه البصرة ، وهي نَهاوند وهمدان وقُم .

(834)

وممّا ينسب إلَى الجبل من الكور وليس منه ولا من خراسان : الرَيّ وقُومِس

---

833 1) س ر : يم ـ 2) س : وهوسان ، ر : وقوعسان ـ 3) س : وفادعيس ، ر : وبادعيس ـ 4) ر : والغربات ـ 5) ر : والجوزيان ـ 6) من وراء النهر : كذا في جميع المخطوطات ـ 7) ر : ونسيف 8) ر : ويزدشير ، م : وبوزشير .

وإصبهان وشهرزور وصامَغان [1] وداراباذ وقَزْوين وأبهر وزنجان وطبرستان وجرجان ودباوند [2] .
وكور سجستان : زَرنَج وبُسْت [3] والرُّخَّج .
وكور أرمينية : أرّان [4] وجُرْزان ونَشْوى وخِلاط ودُبِيل وسِراج وجردبيل وياخس وأُرْجيش وسيسَجان ومدينة الباب والأبواب وهي درجان .
وكور أذربيجان : أرْدَبيل ومَرَنْج وباجَران [5] ووَرْثان [6] والمراغة .
وكور الموصل : الموصل وتكْرِيت وطِيرْهان والسِنّ والحديثة والمَرْج وباجلَى وباجَرْمَى [7] .
وكور الجزيرة : أرْزَن ومَيافارِقِين وآمِد وسُمَيْساط [8] ودارا ونصيبين ورأس عين [9] وقَرْقسيا والرَّقة وسَرُوج وحرّان والرُّها وقَرْدى وبازَبْدى وبَلَد . وهذه الكور قسمان : قسم يُسمّى ديار ربيعة وقسم يُسمّى ديار مضر . فأمّا ديار مضر منها فإنّ واسطتها الرقّة ومنها البَيْضاء وحرّان والرها وسُمَيْساط [8] وسَرُوج [10] . ومنها رأس كنعان [11] وأنبية بني تميم والمارجين والمديتان وعين زربة وبازَبْدى وسلقوس .

(835)

وقد زعموا أنّ من أقام بالموصل حولاً فتفقّد (عقله وجد فيه نقصانًا ، وإن) [1] تفقّد قوّته وجد منها فضلاً . ومن كورها : مدينة الحَضْر [2] ونينوى وبادقل وحزّة وأنفاس [3] ودقوقا والبواريج وجاجمال وقامر وبازيدى [4] وأخشور ، وهي كلّها متقاربة المسافات في الفراسخ ، من سبعة [5] فراسخ إلى اثني عشر فرسخًا .

---

834 1) عن ابن رسته ص106 ، في المخطوطات : وطالقان ـ 2) س ر : ودبناوند ـ 3) ر : ويست ـ 4) في المخطوطات : اللّان ـ 5) س : وناجران ـ 6) س م ر : وأوثان ـ 7) س : وقد زعموا أنّ من أقام بالموصل حولاً ثمّ تفقد قوته وجد فيه فضلاً ـ 8) في المخطوطات : وشمساط ـ 9) ر : ورأس عيون ـ 10) س : وداری ونصيبين وسروج ـ 11) ر : رأس العين .

835 1) سقطت من م س ـ 2) م ر : الحضر عليه السّلام ـ 3) م : والفاس ، ر : والقوس ـ 4) م ر : وبابرد ـ 5) م : ستّة .

وكور الجزيرة الّتي تسمّى الثغور : مَلَطية وزِبْطَرة ومَرْعَش والحَدَث وحصن منصور .

(836)

وكور الشام : حلب وقِنَّسرين وأنطاكية وشَيْزَر وحماة وحمص وفامية [1] وبعلبك والطبرية ، وهي الأردنّ ، والرملة ، وهي فلسطين وإيلية .
وكور الشام الّتي تسمّى الثغور الشامية : أَذَنَة والمَصِّيصة وطَرَسُوس وعين زَرْبة والهاشمية والكنيسة السوداء والعواصم وأنطاكية وتيرا وقورُش ومَنْبِج ودلوك وعمان .
(وكلّ ما ذُكر من البلاد والكور يشتمل علَى قواعد جليلة وقرى شريفة لا يحيط بها إلاّ خالقها) [2] .

(837)

وجنّد عمر رضه الشام أربعة أجناد متفرّقة في أيدي عمّاله [1] وهم : خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجرّاح ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ، وبقيت علَى هذا التجنيد حتّى زاد فيها يزيد بن معاوية قنّسرين ، وكانت في أرض الجزيرة .

---

836 1) م : ورامية ــ 2) سقطت من ق .

837 1) ر : عامله .

حكم الخراج في البلاد المذكورة [1]

(838)

وانتهى الخراج بجميع ما ينضاف إليه في جميع الكور والبلاد (بعد ستين من خلافة الرشيد) [2] علَى ما ذُكر ورفعه أبو الوزير بن هاني المروزي إلَى يحيَى بن خالد بن برمك من الذهب والفضّة علَى التحميل الفضّة ذهبًا صرف ثلاثة عشر درهمًا بدينار [3] : أربعة وثلاثون ألف ألف دينار ومائة ألف دينار وأربعة آلاف وستّ مائة وستّة وأربعون دينارًا ، تكون أرطالاً : تجتمع مائة ألف وخمسة وخمسون ألف ألف ومائتان وستّة وخمسون رطلاً وتسع أواق غير ربع أوقية . (وتكون قناطير ثلاثة آلاف قنطار وخمسمائة قنطار واثنان وخمسون رطلاً وتسع أواق غير ربع أوقية) [4] . سوى حلل الأنبار واليمن وثياب الهند والسند والعود الهندي ورقيقه ونقر [5] فضّة خراسان ورقيقها وثيابها وإبريسم جرجان وطبري طبرستان وأكسية دِيناوند والروبان ورقيق جيلان ووشي أرمينية وعنبر اليمن وبسط افريقية وفتيانها ووصائفها .

---

838 1) عن م – 2) م : بعد ستين ومائة في خلافة الرشيد – 3) س : بمثقال – 4) عن ر – 5) س م : ونقار .

القــول في أخبــار المغــرب وذكــر مصــر
ونيلهــا وملوكهــا وبرابيهــا وأهرامهــا
والمشهــور من بــلاد المغــرب وجمــل من أخبــارها [1]

(839)

وصفها بعض الحكماء فقال : ثلاثة أشهر لؤلؤة [2] بيضاء وثلاثة أشهر مسكة سوداء وثلاثة أشهر زمرّدة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء ، يريد أنّها في [3] تمّوز وآب وأيلول يركبها الماء ، فترى الدنيا بيضاء وضياعها على رواب وتِلال كالكواكب [4] قد [5] أحاطت بها المياه ، فلا سبيل (لبعض منهم) [6] إلى بعض إلاّ في الزوارق ، ثمّ تكون في تشرينين [7] وكانون بعد نضب [8] الماء عنها [9] مزارع وتربة [10] ندية [11] ذات [12] روائح طيّبة تشبه ريح المسك ، ثمّ تكون في كانون الثّاني وشباط وآذار قد [13] اتّصلت خضرتها واستوسقت نضرتها ، فكانت زمرّدة خضراء ، ثمّ في نيسان وأيار [14] وحزيران يدرك الزرع ويتورّد العشب ، فتصير كسبيكة الذهب منظرًا ومنفعة .

---

839 1) س : ذكر مصر ونيلها وملوكها وجمل من أخبارها والمشهور من بلاد المغرب ، ر : ذكر مصر ونيلها وملوكها وبرابيها وأهرامها والمشهور من أخبار المغرب وجمل من غرائبها ـ 2) ر : فريدة ـ 3) س ر : في شهر ـ 4) س ر : مثل الكواكب ـ 5) سقطت من ر ـ 6) س ر : لبعضهم ـ 7) س ر : تشرين ـ 8) س : نضوب ـ 9) سقطت من م ر ـ 10) س : وبرية ـ 11) س : نوية ـ 12) م ر : ذوات ـ 13) م : وقد ـ 14) م : أذار .

(840)

والنيل (إذا زاد غاضت [1] الأنهار والعيون والآبار) [2] ، وإذا غاض زادت وزيادتها [3] من غيضه وغيضها من زيادته ، وهذا عجيب [4] . وليس في الدنيا نهر يسمّى بحرًا ويمًّا غيره . قال الله [5] تعالَى : فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ [6] . وسمّته العرب بحرًا ، وليس في الدُّنيا نهر يُزرع عليه مايُزرع علَى النيل ولا نهر يجنَى منه إلاّ جزء ممّا يجنَى من النيل . وابتداؤه بالتنفّس (في بقية) [7] حزيران ، فإذا انتهت الزيادة ستّ عشرة ذراعًا ففي ذلك تمام خراج السلطان وخصب الناس الكافي ، وكان المرعَى ناقصًا قاصرًا [8] بالبهائم ، فإذا بلغ سبع عشرة ذراعًا [9] فذلك الخصب العام والصلاح التّام ، فإن زاد إلى ثماني عشرة ذراعا استبحر من مصر الرُبع وأضرّ بالضياع وأعقب الوباء بمصر ، وقد بلغ تسع عشرة ذراعًا سنة تسع وتسعين في خلافة عمر بن عبد العزيز .

(841)

قال عبد الملك بن حبيب : خروج النيل وجريته من أوّل ما يبدأ إلَى توقّفه ورجوعه سبعة وثمانون يومًا ، أوّل ذلك لخمس بقين [1] من حزيران ـ وهو [2] بَوْنَه . وذكر أنّ الله تعالَى [3] جعل نيل مصر معادلاً لأنهار الدنيا في [4] المادّة ومياهها الجارية ، فحين يبتدئ في الزيادة تنقص كلّها وحين يبتدئ بالنقصان تزيد كلّها بمدّة لها [5] كما نقصت بجزره منها [6] .

---

840 1) س م : غاضت له ـ 2) ر : إذا غاضت الأنهار والعيون زاد ـ 3) ر : بزيادتها ـ 4) ر : عجب ـ 5) سقطت من ر ـ 6) سورة طه 39/20 ـ 7) س : في بقية من ، ر : من ـ 8) ر : قصر .

841 1) ر : يبقين ـ 2) س : وهو شهر ـ 3) س : عزّ وجلّ ـ 4) سقطت من س ر ـ 5) سقطت من م ـ 6) سقطت من ر .

(842)

ومساحة الذراع إلَى أن يبلغ اثنَي عشرة ذراعًا [1] ثمانية وعشرون إصبعًا ، وما زاد علَى الاثني عشر مساحة الذراع أربعة وعشرون إصبعًا . وإذا انصرف الماء عن ثلاث عشرة ذراعًا إلَى أربع عشرة استسقَى الناس بمصر وكان الضرر الشديد . وهم يُسمّون هذين الذراعين مُنْكِرًا ونَكِيرًا . وفي خمس عشرة ذراعًا [2] لا يُستسقَى وكان نقصًا من خراج السلطان والغلاّت .

(843)

والقياس الَّذي يُعمل عليه في وقتنا هذا هو الَّذي اتّخذه أُسامة بن زيد التَّنوخي في خلافة سليمان بن عبد الملك ، وهو أكبر المقاييس ذراعًا [1] ، وهذا [2] المقياس في الجزيرة الَّتي تُدعَى جزيرة الصناعة بين الفسطاط والجيزة ، فيعبر [3] من الفسطاط إلَى الجزيرة علَى الجسر ومن الجزيرة إلَى الجيزة علَى جسر آخر ، والفسطاط علَى شرقي الجزيرة والجيزة [4] علَى غربيّها . والعمل عند [5] ترادف الرياح وكبر الموج وكثرة الماء علَى مقياس آخر لأحمد بن طولون . وقد كان عمر بن عبد العزيز بن مروان لمّا ولّي مصر اتّخذ مقياسًا قصير الذراع بحُلْوان [6] ، وهي فوق الفسطاط [7] ، فكان العمل عليه حتّى [8] اتّخذ أسامة (بن زيد) [9] هذا . وكان العمل قبل الإسلام وصدر الإسلام بمقياس صنعه يوسف الصدّيق [10] (عليه السلام) [11] لمّا بنَى الأهرام لمعرفة زيادة النيل ، وكان بمَنْف ، (ولمّا يبن الفسطاط يومئذ) [12] . وكانت دَلُوكة المَلِكة وضعت أيضًا مقياسًا آخر بالصعيد ببلاد أخميم .

---

842 1) سقطت من س م ـ 2) سقطت من م ر .

843 1) س : ذرعًا ـ 2) س ر : وهو ـ 3) س ر : يعبر ـ 4) س : والجزيرة ـ 5) س : على ـ 6) ر : بمقدار ـ 7) س : فوق مصر ـ 8) ر : حين ـ 9) سقطت من س م ـ 10) سقطت من س ر ـ 11) س : صلى الله عليه وسلم ـ 12) سقطت من ر .

(844)

والتُّرَع الّتي في مصر أربع أمّهات : تُرْعة ذُنْب التّمساح وترعة بَلْقِينة [1] وخليج سِرْدُوس [2] وخليج ذات [3] السّاحل . وتُفتح هذه التّرع في عيد الصليب لأربع عشرة من أيلول ، وليلة الغُطاس بمصر لعشر يمضين [4] من كانون الآخر ، وهو أصفَى ما يكون النيل ، وحينئذ يتّخذ النبيذ السواري [5] بعد الغطّاس ، ويختزن الماء أهل تِنِّيس ودِمْياط (سائر قرى) [6] البُحَيْرة .

(845)

ولليلة الغُطّاس بمصر شأن عظيم . قال س : حضرتها سنة ثلاثين وثلاثمائة وأميرها الإخشيد محمّد بن طغج ، وهو في داره المعروفة بالمختارة في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل مُطيف بها . وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألفا مشعل سوى ما أسرج [1] أهل مصر من المشاعل والشمع [2] ما لا يحصَى عدده . وقد حضر النيل في تلك الليلة آلاف الآلاف من البشر [3] ، منهم في الزوارق [4] ومنهم في الدور الراكبة للنيل ومنهم [5] في [6] الشطوط [7] ، وقد أظهروا كلّ ما في إمكانهم [8] إظهاره من الملابس وآلات الذهب والفضّة والجواهر والملاهي والعزف [9] والقصف وأحضروا [10] من المآكل والمشارب [11] ما [12] اختلفوا فيه ، وهي أحسن ليلة تكون وأجلّها سرورًا ، ويغطس أكثر الناس في النيل ويزعمون أنّ ذلك أمان من المرض ونُشْرة من الدّاء .

---

844 1) س ر : بلقينية ، م : فلقتينة ، والتصويب عن المسعودي 779 ـ 2) م : روديس ، س : رودس ، ر : روداس ـ 3) سقطت من ر ـ 4) س : بقين ـ 5) المسعودي 779 : الشبراوي ـ 6) سقطت من م .

845 1) ر : أشعل ـ 2) م : الشماع ـ 3) س : الناس ـ 4) في النسخ : الزواريق ـ 5) م : من ـ 6) س : على ـ 7) ر : الشط ـ 8) ر : أمكنهم ـ 9) ر : والمعازف ـ 10) م : وأظهروا ـ 11) م : المشرب ـ 12) سقطت من م .

وكتب عمر (1) إلَى عمرو بن العاص : إنّ أرضك واسعة (2) رفيعة ، وقد أعطَى الله أهلها جَلَدًا وقوّة في (3) برّ وبحر وعالجتْها الفراعنة وعملوا فيها عملاً مُحكَمًا مع شدّة عتوّهم (4) ، فاكتب إليّ بصفة أرض (5) مصر حتّى كأنّي أنظر إليها ، والسّلام (6) . فكتب إليه : إنّ أرض مصر تربة سوداء وشجرة خضراء بين (جبل أغبر) (7) ورمل أعفر ، وخطّها مسيرة راكب شهرًا ، كأنّها بين جبلها ورملها بطن أقبّ أو ظهر أخبّ ، فيها نهر مبارك يسيل بالذهب علَى الزيادة والنقصان كمجاري الشمس والقمر تمدّه عيون الأرض وينابيعها مأمورة بذلك ، حتّى إذا طفحت (8) لُججه واعلولَى عُبابه كانت القرى ممّا أحاط بها منه لا يوصل من بعضها إلَى بعض إلاّ في السفائن (9) والمراكب ، ثمّ لا يلبث إلا قليلاً حتّى تنقص جريته وتستبين متون أرضه ، ثمّ تنتشر فيها (10) أمّة محصورة قد رزقوا علَى أرضهم جلدًا وقوّة ، فأثاروا سهل الأرض (11) وروابيها (12) ، وبذروا فيها من الحبّ ما يرجون به التمام من الشرب حتّى تبدو طوالعه وتظهر قنواته يسقيه (13) من تحته الثرى ومن فوقه الندا ، فينتفي ذبابها وتدرّ حلابها ، فبينا هي مَدَرة (14) سوداء إذا هي لجّة زرقاء ثمّ غوطة خضراء ثمّ ديباجة رقشاء ثمّ فضّة بيضاء ، فتبارك الله الفعّال لما يشاء (15) ، فالحمد للّه يا أمير المؤمنين علَى ما أنعم به عليك منها (16) والسّلام (17) .

846 1) ر : عمر بن الخطاب رضه ــ 2) س ر : أرض واسعة ــ 3) س : على ــ 4) م : شدّتهم وعتوهم ــ 5) ر : أهل ــ 6) سقطت من ر ــ 7) م : جبال غبر ــ 8) س ر : طمت ــ 9) ر : السفن ــ 10) س ر : فيه ــ 11) س : الجبال ــ 12) سقطت من م ــ 13) ر : يسقي ــ 14) ر : مدورة ــ 15) ر : يريد ــ 16) سقطت من س ــ 17) سقطت من م .

(847)

وذكر أنّ مصر مصوّرة في كتب الأوائل وسائر المدن مادّة أيديها إليها تستطعمها . وقال عمرو بن العاص : ولاية مصر تعدل الخلافة ، وجعلها الله متوسّطة للدنيا ، فهي من الإقليم الثالث والرابع ، سالمة [1] من حرّ الإقليم الأوّل والثاني ومن برد الإقليم السادس والسابع ، فطاب هواؤها وضعف حرّها وخفّ بردها ، فسلم أهلها من مَشاتي الجبال ومصائف عُمان وحرّ تهامة ودماميل الجزيرة وجرب اليمن وطواعين الشام وطحال البحرين وحمّى خيبر ، وآمنوا من غارات الترك والعرب والديلم وآمنوا قحط الأمطار . في [2] كورها طرائف وعجائب ، فصعيدها (أرض حجازية) [3] تنبت النخل والآراك والقُطر [4] والعشر ، وأسفل أرضها شامي ينبت ثمار الشام من الكرم والتين واللوز والجوز وسائر الفواكه [5] من البقول والرياحين ، ويقع بها الثلج .

(848)

وأمر الرشيد فصوّرت له مدائن الدنيا ، فما استحسن منها غير عمل أسيوط ، فإنّ مساحته ثلاثون ألف فدّان في دست واحد ، لو قطرت فيه قطرة فاضت علَى جميع جوانبه يبذر فيه جميع الحبوب . فلا يكون علَى الأرض بساط أعجب منه ، من جانبه الغربي جبل أبيض علَى صورة الطيلسان ، ويحيط به من جانبه الشرقي النيل كأنّه جدول فضّة ، لا يسمع فيه الكلام من شدّة أصناف أصوات [1] الطير . وممّا ذمّت [2] به مصر سوى ما ذكره [3] الجاحظ أنّ أهل مصر أعقل الناس صغارًا وأحمقهم كبارًا . وكان أبو دلامة دخل مصر ، فلمّا رجع إلَى العراق لقيه الحسن [4] بن هاني فسأله عن صفة

---

847 1) س م : سلمت ـ 2) سقطت من م ـ 3) س : أرض حجارة ، ر : حجارة حجازية ـ 4) س ر : القرط ـ 5) س : الفاكهة .

848 1) سقطت من م ـ 2) ر : خصّت ـ 3) س : ذكر ، ر : ذكر من قول ـ 4) من هنا نقص مقدار بعض صحف في س ، راجع 896 ـ

مصر فقال : ثُلثها كلاب وثلثها تراب وثلثها دوابّ . قال : وأين الناس ؟ قال : في الثلث الأوّل . وفي بعض الروايات أنّ الدجّال [5] يخرج من موضع يقال له قوس . والحسد في أهل مصر كثير والجهل عليهم غالب . وقال علي بن الحسن العراقي [6] : صلّى علي بن أحمد بن أبي شيخمة العيد سنة [7] اثنتين وثلاثمائة بجامع عمرو [8] ، ولم يكن يصلّي فيه العيد قبل ذلك ، فخطب خطبة العيد في فتر نظرا ، فكان ممّا قال (أو حدّثوا عنه) [9] : اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مشركون . فقال شاعرهم [سريع] :

وَقَامَ فِي العِيدِ لَنَا خاطِب   يُحَضِّضُ النَّاسَ عَلَى الكُفْر

فأمر أمير مصر بضربه ، فكلّم فيه وتشفّع [10] له حتّى تركه . وأهل مصر يشبه بعضهم بعضًا في الأبدان والأخلاق ، وكذلك الصقالبة يشبه بعضهم بعضًا .

(849)

ومن العجائب بأرض مصر : في قرية منها يقال لها بدرسانة القرى [1] كنيسة للروم [2] فيها بيت يصعد إليه الناس نيفًا وعشرين مرقاة ، وهناك سرير عليه صبي ميّت ، وتحت السرير صورة ثور عظيم من رخام وفي جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة نحاس ، (توضع فيها فتل) [3] كتّان ويصبّ عليه يسير من الزيت ويشعل ، فلا يلبث أن تمتلئ [4] الباطية وتفيض إلى جوف الثور ، فيأخذ قيّم الكنيسة ذلك الزيت فيسرج به دائمًا لا ينقطع نماؤه وزيادته ، فإن أزيل الصبي الميّت طفئت تلك النّار ولم يفض الزيت . وقد صار إلى هذا الموضع جماعة من الناس ونظروا إليه وفرغوا الباطية ، ثمّ أسرجوها بيسير من الزيت ، ففاضت وبدا منها ما ذكرنا . ويذكرون أنّ المرأة إذا اتّهمت نفسها بحمل

---

848 5) ر : الرجل ـ 6) ر : الفراقي ـ 7) م : في سنة ـ 8) ر : عمرو ابن العاص ـ 9) ر : وحدث عنه ـ 10) ر : وشفع .

849 1) العرا؟ ـ 2) ر : الروم ـ 3) ر : يوضع فيها فتيل ـ 4) م : يمتلأ .

أخذت ذلك الصبي الميّت فجعلته في حجرها ، فإن كان بها حمل تحرّك جنينها في بطنها لحينه ، وإلاّ لم يتحرّك .

(850)

وبساحل أبي علي بقرية بوصير الكتّان مسجد يسمّى مسجد برمنت [1] فيه حجر نابت يبض بيسير من الماء يوجد عليه ، فإذا شربت منه المرأة الّتي لا تحمل أقلّ شيء حملت ، لا يشكّون في ذلك . ولا ينحدر أحد في النيل من [2] الصعيد ولا يصعد أحد من مصر إلاّ أهدى لهذا المسجد ممّا [3] يحمله من الطيّب والشمع وغير ذلك . وعلَى بوصير نقب (في صخر بأعلَى الجبل) [4] يجتمع إليه في كلّ سنة في يوم بعينه منها طير [5] كثير لا يحصَى كثْرة ، فلا يزال الواحد بعد الواحد يدخل رأسه في ذلك النقب حتّى (تعلّق واحد منهم) [6] ولا يمكنه إخراج رأسه ، فإذا كان ذلك انصرف الطير كلّه وتفرّق [7] . وإنّ الناس (لم يزالوا) [8] يشاهدون ذلك .

(851)

وعلَى شاطئ النيل بعمل مصر موضع يجتمع إليه (في يوم معلوم من السنة) [1] سمك كثير يتعمّد إليه أهل ذلك الموضع فيصيدونه بأيديهم ، لا يمتنع عليهم [2] ولا ينفرّ منهم [3] ، حتّى إنّ الرجل لَيأخذ منها الألف وأكثر ، فإذا غابت الشمس من ذلك اليوم لم يقدروا منها علَى سمكة واحدة .

---

850 1) الكلمة غير واضحة في النسخ ـ 2) ر : عن ـ 3) ر : ما ـ 4) م : من حجر ـ 5) ر : طائر ـ 6) ر : يغلق منها علي واحد ـ 7) م : ويفترق ـ 8) سقطت من م .

851 1) م : في يوم ما من السنة معلوم ـ 2) ر : منهم ـ 3) سقطت من ر .

(852)

وبصفح جبل من أرض مصر كنيسة فيها عين ماء عذب ، متَى مسّه جُنُب أو حائض غار من ساعته وأنتن جميع ما قد حصل في الحوض منه حتّى يُغرف ماء الحوض ويغسل ويغرف ما بقي في العين منه [1] ، فيعود يجري علَى عادته .

(853)

وقيل : نِعْم بلاد مصر ، يغزى منها [1] بدِرْهَمَيْن ويحجّ بدِينارَيْن ، يريدون الحجّ في بحر القلزم والغزو إلَى الإسكندرية .

(854)

ولمّا أهدى المقوقس إلَى رسول الله [1] صلعم (عند كتاب رسول الله صلعم إليه أهدى إليه) [2] ما أهدى من الثياب والكراع والجاريتين القبطيّتَيْن ، كان في هديته تلك عسل ، فقال رسول الله صلعم : من أين هذا العسل ؟ قيل : من قرية مصر يقال لها بنها . فقال : اللهمّ بارك في بنها وعسلها . فعسلها إلَى يومنا هذا أحلَى عسل مصر وأكثره . قيل [3] : وصاهر [4] إلَى القبط ثلاثة من الأنبياء عليهم السلام : إبراهيم الخليل تَسرّر هاجر [5] ، ويوسف عليه السلام [2] تزوّج زليخا [6] ابنة صاحب عين شمس ، وهي الّتي نصّ [7] الله تعالَى حديثها معه ، ومحمّد صلعم تسرّر مارية القبطية [8] .

---

852 1) سقطت من م .

853 1) م : فيها .

854 1) ر : إلى النبي ـ 2) سقطت من ر ـ 3) سقطت من م ـ 4) ر : وصار ـ 5) ر : بهاجر ـ 6) ر : لزليخا ـ 7) م : قص ـ 8) سقطت من م .

(855)

وبلغ أحمد بن طولون صاحب مصر في سنة نيِّف وستّين ومائتين أنّ رجلاً من الأقباط بأرض الصعيد ـ أعالي بلاد مصر ـ له ثلاثون [1] ومائة سنة ممّن عني بالعلم من لدن حداثته والإشراف علَى الآراء والنِّحَل [2] من مذاهب المتفلسفين وغيرهم من أهل الملل ، وأنّه علاّمة بالممالك والملوك وذو معرفة بهيئات الأفلاك والنجوم ، (وكان نقراسًا علَى مذاهب) [3] اليعقوبية . فبعث ابن طولون إليه قائدًا من قوّاده فحمله في [4] النيل مكرمًا ، وكان الشيخ قد انفرد عن الناس في بنيان قد اتّخذه سكنًا [5] وسكن في أعلاه ، وقد رأى الولد الرابع عشر من (ولد ولده) [6] .

(856)

فلمّا بلغ إلَى أحمد أسكنه بعض مقاصيره ومهّد له [1] وحمل إليه لذيذ [2] المآكل والمشارب ، فأبَى الشيخ أن يتوطّأ شيئًا من ذلك وأن يتغذّى إلاّ بما حمل مع نفسه من كَعْك وسَوِيق ونحوهما [3] ، وقال : هذه بِنْيَة قَوامها ما ترون من الغذاء واللبس [4] ، فإن أنتم سُمتموني النقلة عن العادة كان ذلك سبب انحلال [5] البنية . ثمّ أحضره ابن طولون أهل الدراية وصرف همّته إليه وأخلَى له نفسه أيّامًا ولَيَالِيَ يسمع كلامه . فممّا سأله عنه بحيرة تِنّيس ودمياط المتقدّم ذكرهما فقال : كان موضع البحيرة أرضًا لم يكن أرض مثلها طِيبَ تُربة وزكاء ريْع [6] ، وكانت جنانًا متّصلة ولم تكن بمصر كورة

---

855 1) ر : ثلاثة ـ 2) ر : النحلي ـ 3) ر : وكان نصرانيًا على مذهب ـ 4) ر : على ـ 5) سقطت من ر ـ 6) في النسخ : ولده .

856 1) ر : ومهده ـ 2) ر : لذلك ـ 3) سقطت من م ـ 4) ر : والملبس ـ 5) ر : اختلال ـ 6) ر : رائعة ـ

(تشبهها ، وقيل ما يشبهها) [7] إلاّ الفيوم وحدها ، وكانت أكثر فاكهةً ورياحين من الأصناف الغريبة .

(857)

ومعنى الفيوم ألف يوم لأنّ [1] أوّل من نزلها جارية من الروم اسمها [2] ألف يوم . وكان الماء منحدرًا إلى قرى موضع [3] البحيرة صيفًا وشتاءً يسقون منه متى شاؤوا ، وفضلة الماء تصبّ في البحر في الموضع المعروف بالأُشتوم . وكان فيما بين العريش وقُبْرُس طريق مسلوكة [4] في اليبس ، وبينها وبين قبرس اليوم مسير طويل في البحر . فلمّا مضى من ملك دُقْلِطيانُس [5] مائتان وإحدى وثلاثون [6] سنة ، وذلك قبل استفتاح مصر بمائة [7] سنة ، طغَى الماء من البحر وزاد فأغرق القرى الّتي كانت في موضع [8] البحيرة ، وآثارها كان منها في البقاع باقية قد أحاط بها الماء . (والأكوام الّتي بتنّيس الّتي يسمّونها بأبي الكوم) [9] إنّما هي قبور أهل [10] تلك القرى ، وهي تلال [11] منضدة بالناس من صغير وكبير وذكر وأنثى كالجبال .

(858)

قال : وعند هذه الزيادة الّتي ذكرتها [1] من طغيان البحر علا الماء على القنطرة الّتي كانت بين الأندلس (وبين الموضع الّذي يسمّى الخضراء ، وهو قريب من فاس المغرب وطنّجة ، وهي قنطرة فاس ، وهي قنطرة مبنيّة

---

856 7) م : يقال إنها تشبهها .

857 1) م : و ـ 2) ر : واسمها ـ 3) م : بموضع ـ 4) ر : مملوكة ـ 5) م : وقدطيانس ، ر : فلسطيانس ، والتصويب عن المسعودي 790 ـ 6) ر : وعشرين ـ 7) ر : بمائتين ـ 8) سقطت من ر ـ 9) م : وأكوام التي يسمونها أكوام تنيس ـ 10) سقطت من ر ـ 11) م : بلاد .

858 1) ر : ذكرناها ـ

بالحجارة) [2] تمرّ عليها الإبل والدوابّ من ساحل المغرب إلَى الأندلس ، (وما البحر تحت تلك القنطرة) [3] خلجان ، وكان طولها نحو اثني عشر ميلاً في عرض واسع وسموّ بيّن ، وربّما بدت هذه القنطرة لأهل المراكب تحت الماء فعرفوها .

(859)

وسئل عن ممالك الأحابيش الّتي علَى النيل فقال : لقد لقيت منهم [1] ستّين ملكًا كلّ ملك منهم ينازع مَن يليه . قال : ولاستحكام الناريّة في بلادهم تغيّرت الفضّة ذهبًا لحرارة الشمس ويبسها ، وقد يطبخ الذهب المغربي بالملح والزاج والطوب فيرجع فضّة خالصة بيضاء . وسئل عن منتهَى النيل في أعلاه فقال : البحيرة الّتي لا يُدرك قعرها [1] وطولها (وعرضها و) [2] هي تحت الموضع المُسمّى بالفلك المستقيم من الأفلاك ، وهي الأرض الّتي اللّيل والنهار فيها متساويان (الدهر كلّه) [3] .

(860)

وسئل عن الأهرام فقال : إنّها قبور الملوك . كان الملك إذا مات وضع في حوض من [1] حجارة ، ثمّ يطبق عليه ويبنَى [2] له هرم علَى قدر ما يريدون ويوضع الحوض في وسط الهرم ، ويضعون باب الهرم تحت الحوض ، ثمّ يُحفر له طريق في [3] الأرض يعقدونه [4] أزجًا . فقيل له : كيف بُنيت هذه الأهرام الملّسة [5] وكيف كانوا يصعدون إليها وعلَى أيّ شيء كانوا يحملون

---

858 2) ر : وهي قنطرة خضراء فارس ، وكانت قنطرة مبنية بالحجارة ـ 3) ر : وممّا يلي البحر من تلك القنطرة .

859 1 ـ 4) سقطت من ر ـ 2) ر : وسئل عن منتهاه عرضها فقال ـ 3) سقطت من م .

860 1) سقطت من ر ـ 2) ر : ثمّ يبني ـ 3) ر : تحت ـ 4) ر : ويعقدونه ـ 5) م : الملسية ، ر : المسلسة ـ

هذه الحجارة الّتي لا يقدر [6] أهل زماننا أن يزحزحوا منها حجرًا ؟ فقال : كانوا يبنون الهرم مدرّجًا ذا مراق ، فإذا فرغوا منه نحتوه [7] ، ومع هذا كان لهم صبر وجَلَد ليس لمن بعدهم . قيل له : فما بال هذا القلم الّذي [8] علَى الأهرام والبرابي لا يفهم ؟ فقال : تداول أهل مصر الأمم بعد الأمم فدرست كتابتهم الأولَى . قيل : فمن كان أوّل من سكن مصر؟ قال : مِصْر بن بَيْصَر [9] وبه سُمِّيت ، وهو ابن حام بن نوح [10] .

(861)

وناظر هذا الشيخ القبطي (بحضرة أحمد) [1] بن طولون جماعة [2] من أهل الديانات والنحل ، فممّا قال [3] لليهود [4] : أنتم تزعمون أنّ الله خلق آدم علَى صورته وأنّ الباري تعالَى أبيض الرأس واللحية وأنّ الله تعالَى قال : أنا النار المُحْرِقة والحُمَّى الآكلة ، وفي توراتكم أنّ بنات لُوط سقينَه [5] الخمر حتّى سكر وزنَى بهنّ وحملن منه وولدن ، وأنّ موسَى ردّ علَى الله الرسالة مرّتين حتّى اشتدّ غضب الله ، وأنّ هارون صنع العِجل الّذي عبده بنو إسرائيل ، وتقولون [6] في يوم عيد الكِفُور [7] ، وهو لعشر خلون [8] من تشرين الأوّل ، إنّ الربّ الصغير ـ ويسمّونه ميططرون [9] ـ يقوم في هذا اليوم ويقول : ويلي إذا خربتُ بيتي وأيتمتُ بنيّ ، وينتف شعره ، تعالَى الله عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيرًا .

---

860 6) م : يقدرون ـ 7) ر : بخشوه ـ 8) سقطت من م ـ 9) عن المسعودي 793 ، وفي النسخ : قيصر ـ 10) ر : مصر بن قيصر بن حام بن نوح وبه سمّيت .

861 1) سقطت من م ـ 2) م : وجماعة ـ 3) ر : قاله ـ 4) ر : لليهودي ـ 5) ر : سفينه ـ 6) ر : ويقولون ـ 7) في النسخ : الكانون ، والتصحيح عن المسعودي 802 ـ 8) ر : يخلون ـ 9) ر : متططرون .

(862)

وأقام هذا القبطي عند ابن طولون نحو سنة ، فأجازه وأعطاه ، فأبَى قبول شيء من ذلك ، وردّه إلَى بلده مكرمًا .

اللهـــون والفيـــوم

(863)

وحجر اللّهون بالفيوم [1] من عجائب الدنيا ، واللهون قرية من قرى الفيوم ، وهذا الحجر شَاذَرْوان بين قبّتين مدرّج علَى ستّين درجة فيه فوّارات للماء ، يدخل الماء منها [2] إلَى الفيوم بوزن بقدر [3] ما يكفيها ، وهو من أحكم البناء [4] بالهندسة عُمل وبالفلسفة أُتقِنَ وفي السعود نُصب . وذكر كثير من الناس أنّ يوسف عمله بالوحي ولم تزل الملوك من الأمم [5] تقصد هذا الموضع وتتأمّله [6] لما قد نمَى [7] من أخباره وصار في الخليقة من عجيب إتقانه . وهو من البناء الّذي يبقَى علَى عابر الزمان ولا يتغيّر ، ويقال إنّه عمل من ثلاثة أشياء : الفضّة والنحاس والزجاج . وفي أعلَى الحجر بناء متقن ، وفي الضفّة الغربية منه مسجد يقال له مسجد يوسف ، وقد ذكرنا شيئًا من أمره عند ذكر النيل .

(864)

وليس علَى الأرض مثل أربع كور مصر ولا تحت السّماء لهنّ نظير : كورة الفيوم وهي أفضلها وكورة أتريب [1] وكورة سمنّود وكورة صا . والفيوم فيها

---

863 1) ر : والفيوم ـ 2) م : منه ـ 3) سقطت من م ـ 4) ر : البنيان ـ 5) ر : والأمم ـ 6) ر : ويتأملوا ـ 7) ر : بقى .

864 1) ر : أبريت ـ

ثلاثمائة قرية وستّون قرية علَى عدد أيّام السنة لا تقصر أبدًا عن الريّ للحكمة في شربها . فإذا نقص [2] النيل سنة من السنين مارت كلّ قرية منها مصر يومًا ، ولو ناسبوا [3] أنهار الفيوم بأنهار البصرة ودمشق لكانت أنهار الفيوم أفضل وأكثر [4] . ولقد رام جماعة من أهل العقل والفضل [5] والمعرفة إحصاء مرافقها وغلّتها وخيرها وفوائدها ، فأعجزهم ذلك (ولم يدركوه) [4] . وأنزل يوسف الفيوم من كلّ كورة من كور مصر أهل بيت ، فكانت قرى الفيوم علَى عدد كور مصر ، وصيّر لكلّ قرية من الماء ما يروي أرضها من غير زيادة ولا نقصان ، وصيّر لكل قرية شربًا في زمان ، لا ينالهم الماء إلاّ فيه ، [وصيّر] مطأطئًا [6] لمرتفع ومرتفعًا لمطاطئ [5] ، ولا بعض يأخذ دون حقّه ولا يزداد فوق قدره . وإنّما فعل ذلك لفرعون حين أراد اختبار علمه علَى ما قدمنا عند ذكره . وكانت الفيوم قبل ذلك مغايض ماء النيل ، وأمره فرعون [4] (بعمارة غامرها) [7] وإحياء مواتها لبنته ، فلمّا أظهر من الحكمة الوحية [5] العجيبة في ذلك ما أظهر ونظر إليه فرعون قال : هذا من ملكوت السّماء . وكانت أوّل قرية عمّرها بالفيوم قرية يقال لها شانة ، وهي القرية الّتي كانت تنزلها ابنة فرعون . ومن ذلك الوقت حدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك .

(865)

وقد ذكرنا لِمَ سمّيت الفيوم ، وقال عبد الملك بن حبيب (غير ذلك . قال) [1] : إنّما سمّيت الفيوم لأنها تؤدّي منها إلَى السلطان [2] كلّ يوم ألف دينار . وخليج الفيوم يسقي أعلاها ووسطها وأسفلها بماء واحد ، ولا يعدم بها [3] التمر الرطب شتاء ولا صيفًا . وإذا كان يوم سدّ حجر اللهون أتى أمير [4] الناحية وعدول الناس وأهل الهندسة يشهدون سدّه ، (فلم يكن

---

864 2) ر : انقص – 3) ر : قايسوا – 4) سقطت من ر – 5) سقطت من م – 6) ر : متطاطئا
7) م : بعمارتها .

865 1) سقطت من ر – 2) م : للسلطان – 3) م : منها – 4) م : أمراء –

لمن)[5] يدّعي نقصًا من الماء عذر. ويحضر ذلك أمير الفيوم (بالبنود والطبول)[1] ويكتب[6] بالبشارات إلَى مصر.

(866)

ويزرع[1] أهل الفيوم[2] في العام مرّتين، وذلك إذا حمل النيل أوّلا وهي تشرب من ذراع اثنتي عشرة، وليس من أرض مصر موضع يشرب من هذا الذراع غير الفيوم، لأنّ سائر أرض مصر إنّما تشرب من ستّ عشرة، وإذا زاد الماء علَى اثنتي عشرة قطع أهل الفيوم جريانه فسدّ لهم هناك عند موضع يعرف بالشجرة[3]، وهي شجرة جُمّيز[4] عظيمة، فيزدرعون والماء باقٍ في سائر الأرض. فيكون الحصاد عند أهل الفيوم وجميع من علَى أرض النيل لم يتمّ حرثه، فإذا كان أوّل حصاد أهل مصر كان ذلك أوّل السقية الثانية لأهل الفيوم، وحينئذ يسدّ[5] حجر اللهون ويزدرعون في السقية الثانية القمح والشعير والأرزّ.

(867)

والفيوم وسط بلاد مصر ومصر وسط البلاد ولا يؤتَى إليها[1] من ناحية من النواحي إلاّ من صحراء أو مفازة. وذكر ابن عفير[2] وغيره أنّ عمرو بن العاص (لمّا فتح مصر أقام المسلمون بعد ذلك سنة لم يعلموا بالفيوم ولا مكانها حتّى بعث عمرو بن العاص)[3] قيس بن الحارث إلَى الصعيد، فسار حتّى أتَى القيسيين فنزل بها وبه سمّيت، وأبطأ علَى عمرو خبره، فقال ربيعة بن حُبيش[4]: أكفيك. فركب فرسًا له أنثَى، فجاز عليها النيل من

---

865 5) ر: لئلاّ – 6) م: وخرجت الفتوح.

866 1) ر: ويزدرعون – 2) ر: مصر – 3) م: الشجر – 4) سقطت من ر – 5) ر: يسيل.

867 1) سقطت من م – 2) ر: ابن عبيدة – 3) سقطت من ر – 4) في المخطوطات: حبيب، والتصحيح عن فتوح مصر ص 169 –

ناحية الشرقية ومشَى حتّى انتهَى إلَى الفيوم ، ثمّ أتَى عمرًا بخبرها [5] وخبر قيس . ويقال إنّ عمرا بعث جرائد خيل إلَى ما حول مصر ، فأخبرهم رجل بأمر الفيوم [6] ، فسار معه في جريدة من الخيل عمرو بن ربيعة بن حُبيش بن عرفطة الصدفي . فلمّا سلكوا في المَجابة [7] لم يروا شيئًا وهمّوا بالانصراف ، فلم يسيروا إلاّ قليلاً حتّى طلع لهم سواد الفيوم .

فــرس النيــل

(868)

ومن عجائب النيل الفرس الّذي يكون فيه ، فإنّه إذا خرج من الماء وانتهَى وطؤه [1] إلَى (بعضِ المواضع) [2] عَلِم أهلُ مصر أنّ النيل يخرج إلَى ذلك الموضع بعينه غير مقصّر عنه ولا زائد عليه . وهي تضرّ بالزرع ضررًا [3] شديدًا لرعيها له [4] ، فإذا كثر ذلك منها طرح لها التّرمِس في المواضع [5] الّتي تخرج فيها [6] فتأكله ، ثمّ تعود إلَى الماء فيربو في أجوافها حتّى تنشقّ فتطفو علَى الماء ميّتة . وهي علَى صورة الفَرَس إلاّ أنّ ذنبَه وحافره [7] بخلافه وجبهته أوسع ، والموضع الّذي يكون فيه هذا الفرس لا يكاد يُرى فيه تمساح .

ملـوك مصـر بعد الطوفـان

(869)

وذكر جماعة من الشرعيّين أنّ بيْصَر بن حام (بن نوح) [1] لمّا انفصل عن أرض بابل بولْده وكثير من أهل بيته سار نحو مصر فنزل موضعًا يقال له منْف ، وكذلك يسمّى إلَى الآن ، وكان عددهم ثلاثين ، فسمّيت بهم كما سمّيت

---

867 5) م : خبرها ــ 6) ر : بالفيوم ــ 7) م : الحجابة .

868 1) م : وطره ــ 2) ر : موضع من المواضع ــ 3) ر : أضرارًا ــ 4) م : لها ــ 5) ر : الموضع ــ 6) ر : منه ــ 7) م : والحافر .

869 1) سقطت من ر ــ

مدينة ثمانين ببلاد الجزيرة والموصل ، وقد تقدّم ذكرها . وأوصَى بيصر إلَى الكبير من ولده ، (وهو مصرايم) [2] فتملّك من أسوان إلَى العريش طولاً [3] والعريش آخر أرض مصر والفرق بينها وبين الشام ، ومن أيلة ـ وهي بتخوم الحجاز ـ إلَى برقة عرضًا ، (وهي آخر أرض) [4] مصر . ويقال إنّ هذا الحدّ جزء من ستّين [5] جزءًا من أرض السودان ، وأرض السودان جزء من ستّين جزءًا من معمورة الأرض . وأوصَى مصرايم [6] إلَى الأكبر من ولده وهو قفط [7] ، ومن ولده جميع القبط . وقد دخل في أنسابهم غيرهم من ولد مصريم .

(870)

ولم يزل الملك فيهم إلَى أن ملك أمرهم النساء فدخلهم الحرم ، فسار إليهم من الشام ملك من ملوك العماليق يقال له الوليد بن دُومَع ، فغلب علَى المُلْك فانقادوا إليه . (ثمّ ملك بعده الرَّيّان ابنه وهو فرعون يوسف ، ثمّ ملك بعده دارم [1] بن الرَّيّان ، ثمّ كامس بن معدان العِملاقي) [2] ، ثمّ الوليد بن مُصْعَب ، وهو [3] فرعون موسَى . وقد تُنوزع فيه فمنهم من رأى أنّه من العماليق ، وقال بعضهم : هو من لَخْم من بلاد الشام ، ومنهم من رأى أنه من الأقباط . وقال المسعودي : سألت جماعة من أقباط مصر والصعيد عن معنَى فرعون وتفسيره فلم أجد أحدًا يعرفه [4] ، والّذي أراه [5] ـ والله أعلم ـ أنّه كان سِمَة (لملوكهم بتلك الأمصار) [6] . فلمّا هلك غرقًا ومن معه ملّك أهل مصر ممّن بقي فيها من الذراري والنساء والعبيد [7] والشيوخ والزَّمنَى امرأة ذات حزم ورأي وأصالة وعلم يقال لها دلوكة لم ينسبها أحد . قال عبد الله بن عمرو بن العاص دلوكة ابنة ريان فبنت علَى بلاد مصر

869 2) م : وهو من مصر ، ر : وهو مصرم ـ 3) سقطت من ر ـ 4) م : وهي أعراض ـ
5) ر : تسعين ـ 6) ر : مصرم ، م : بيصر ـ 7) ر : قبط .

870 1) عن المسعودي 809 ، م : أرم ـ 2) سقطت من ر ـ 3) سقطت من ر ـ 4) م : يعلمه ـ
5) م : أرى ـ 6) ر : لملوك تلك الأمصار ـ 7) م : والصبيان ـ

حائطًا يُحيط بجميع البلاد ، وجعلت عليه المحارس من الرجال متّصلة أصواتُهم ، وأثر هذا الحائط باقٍ إلَى اليوم يعرف بحائط العجوز . واتّخذت البرابي بمصر وأحكمت آلات السِّحر ، فجعلت في البرابي صور مَن يدخل من كلّ ناحية ودوابّهم إبلاً كانت أو خيلاً ، وصوّرت فيها مَن يَرِد في البحر من المراكب نحو [8] المغرب والشام ، وجعلت ذلك في أوقات حركات [9] فلكية واتّصالها بالمؤثّرات [10] العلوية . فكان إذا ورد عليهم جيش عوّرت الصور الّتي من ناحية الجيش وعلَى هيئته [11] ، فيتعوّر ما في ذلك الجيش وينقطع ناسه وحيوانه ، وكذلك لمن ورد في البحر ، فهابتها الملوك والأمم . وجمعت [12] في هذه البرابي العظيمة المشيّدة البنيان (أسرار الطبيعة) [13] وخواصّ الأحجار والنّبات والحيوان ، فمنها صور [14] إذا صوّرت في بعض الأشياء أحدثت أفعالاً علَى حسب ما رُسّمت له وصنعت من أجله ، والله أعلم بكيفيّة ذلك .

(871)

وعرض الهرم في الطول والارتفاع أربعمائة ذراع ، وهي خمسة أهرام الثلاثة منها في الجانب الغربي من النيل وترى من الفسطاط ، وهي علَى مقدار [1] واحد (أوسطها مدرج الأعلَى ، والأخريان علَى زاوية قائمة) [2] ، وهرمان منها بغربي الفسطاط .

---

870 8) في النسخ : بحر ـ 9) ر : وحركات ـ 10) م : بالمدبّرات ـ 11) ر : عينه ـ 12) ر : وأجمعت ـ 13) م : أسرار الحكمة وأخبار الطبيعة ـ 14) ر : صورة .

871 1) م : رجل ـ 2) م : أوسطها مدرج الآخر على زاوية قائمة .

(872)

والخواصّ وأسرار الطبائع في العالم موجود كثير [1] .
لا يدفع أحد أنّ في الأرض (مدنًا لا يدخلها) [2] عقرب ولا حيّة مثل حمص (ومعرّة وأنطاكية) [3] ، وقد كانت أنطاكية إذا أخرج الإنسان يده خارج السور وقع عليها [4] البق ، فإذا جذبها (إلَى الداخل) [5] لم يبق علَى يده منه [6] شيء إلَى أن كسر [7] عمود من الرخام في بعض المواضع فأصيب في أعلاه حُق من نحاس في داخله نحو كفّ من البقّ مصوّر من نحاس ، فما كان إلاّ علَى الفور من ذلك حتّى صار البقّ يعمّ دورهم . والله عزّ وجلّ قد استأثر بعلم الأشياء ، فأظهر لعباده ما شاء ، قال الله [8] عزّ وجلّ : وَلاَ يُحيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلاَّ بِمَا شَاءَ [9] .

(873)

قال المسعودي : وأخبرني غير واحد من بلاد أخميم من صعيد مصر عن ذي النّون أبي الفيْض الأخميمي الزاهد ، وكان حكيمًا ممّن امتحن كثيرًا من أخبار هذه [1] البرابي ، قال : رأيت في بعضها كتابًا تدبّرته فإذا هو : احذروا العبيد المعتقين والجند المتعبّدين والنبط المستعربين . قال : ورأيت في أخرى [2] كتابًا تدبّرته فإذا هو : المقدّر يقدّر والقضاء يضحك . وزعم أنّه رأى في أخرى [2] كتابة فإذا هي [3] [وافر] :

تُدبِّر بالنُّجُومِ ولَسْتَ تَدْرِي ... ورَبُّ النَّجْمِ يَفْعَلُ ما يَشَاء [4]

---

872 1) كذا ــ 2) م : موضعًا لا يدخله ــ 3) ر : ومعرة مصر ــ 4) م : عليه ــ 5) سقطت من م ــ 6) ر : منها ــ 7) ر : انكسر ــ 8) سقطت من ر ــ 9) سورة البقرة 255/2 .

873 1) سقطت من م ــ 2) م ر : اخره ــ 3) م : فيه ــ 4) ر : يدبر بالنجوم وليس يدري ... ما يريد .

(874)

وقد قيل إنّ (أمّة من الأوّل دلّتها) [1] أحكام النجوم أنّ طوفانًا (سيكون علَى الأرض) [2] ولم يقطعوا عليه أهو نار أو ماء أو سيف ، فخافت علَى دثور العلم وذهابه ، فبنت برابي في حجارة ورسمت فيها العلوم وبرابي طين وقالت : إن كان الطوفان ماء بقيت الحجارة ، فإن كان نارًا ستحجر الطين ، وإن كان سيفًا بقي النوعان . وهذا (علَى زعم مَن رأى) [3] أنّ بناءها كان قبل الطوفان . وقال بعض مَن زعم أنّ علّة هذه البرابي (؟) ورأى أن ذلك كان بعد الطوفان الّذي كانوا يرتقبونه ولم يعيّنوه . وقيل إنه كان سيفًا أتى علَى جميع أهل مصر من ملك غشيهم [4] . وقيل : (وباء عمّهم) [5] بتلال تنّيس ودمياط المتقدّم ذكرها منهم ، وما يوجد في بلاد مصر وصعيدها من النواويس والكهوف المملوءة رممًا والبرابي الموصوفة بربَى الصعيد وبربَى أخميم وبربَى بلاد سَمنُّود .

(875)

ثمّ تعاقب بعد دلوكة العجوز في ملك [1] مصر الفراعنة نحو ثلاثمائة سنة من ملك دلوكة إلَى استيلاء بخت نصر عليها ، منهم فرعون الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وخرّب بيت المقدس إلَى أن سار إليهم بخت نصر علَى ما قدّمناه ، فخرّب أرضها وقتل رجالها . واستولَى عليها بعد ذلك الروم ، فتنصّر أهلها إلَى أن ملك كسرى أنوشِروان ، فغلبهم وملكهم [2] نحوًا من عشر سنين . ثمّ جرت بين الروم وفارس حروب تكافؤوا فيها ، فكان أهل مصر يؤدّون عن بلادهم خراجَيْن : خراجًا إلَى الروم وخراجًا إلَى فارس . ثمّ ظهرت الروم

---

874 1) م : أمّة من آوّل دولتها ـ 2) ر : يكون يأتي في الأرض ـ 3) م : على من زعم ـ 4) م : عشيتها ـ 5) عن المسعودي 813 ، م : وخبوا علمهم ، ر : وبناه عمهم .

875 1) ر : بلد ـ 2) م : وملكها ـ

علَى مصر والشام ، فشملتْها النصرانية ، وجاء الله بالإسلام وصاحب مصر المُقَوْقس وافتتحها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطّاب رضه وبنَى الفسطاط ، وهو [3] قصبة مصر. كان المقوقس ينزل الإسكندرية في بعض الفصول وفي بعضها مَنف وفي بعضها قصر الشَّمْع ، وهو يعرف بهذا الاسم إلَى اليوم ، وهو في وسط الفسطاط .

[ذكــر بعض عجــائب مصــر]

(876)

وبمصر أخبار عجيبة من الدفائن وذخائر الملوك [1] ، فمنها ما ذكره يحيَى بن بُكَيْر قال : جاء رجل إلَى عبد العزيز بن مروان وهو أمير مصر وقال له : بالقبّة الفُلانية كنز عظيم يوصل إليه بأدنَى حفر أوّل علاماته أنواع من المرمر [2] والرخام الأبيض [3] يفضي إلَى باب صفر ، تحته عمود من الذهب علَى أعلاه ديك من [3] ذهب عيناه ياقوتتان لا تعدلها قيمة . فأمر له عبد العزيز بنَفَقة آلاف من الدنانير وشرع في الحفر ، فظهرت الدلائل ، فازداد عبد العزيز حِرصًا وأوسع له في النفقة إلَى أن فتحوا باب الصفر [4] وظهر رأس الديك ، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لشدّة نور الياقوتتين إلَى أن ظهرت جناحاه وبدت [5] براثنه ، وظهر تحت عمود الذهب قناطر مُقَنْطرة وطاقات علَى أبواب معقّدة ولاحت تحتها تماثيل وأشخاص من الذهب وأَجْرِنة [6] من الأحجار قد أُطْبِقت عليها أَغْطِيَتها . فأشرف عبد العزيز علَى الموضع حين ظهر فيه ما ظهر وجدّ في العمل وجمع إليه الناس ، فتسرّع بعضهم فوضع قَدَمَه علَى درج من النحاس ينتهي إلَى ما هنالك ، فلمّا استقرّت قدماه علَى الرابعة

---

875 3) ر : وهي .

876 1) ر : الملوك من الروم ـ 2) ر : أجر مرمر ـ 3) سقطت من ر ـ 4) م : القصر ـ 5) سقطت من م ـ 6) ر : وأخزنة ـ

ظهر سيفان عظيمان عاديّان (سيف عن يمينه وسيف عن شماله) [7] ، فالتقيا عليه [8] ، فجزّياه قِطعًا وهوى جسمه سفلاً . فلمّا مرّت ببعض الدرج منه قطعة اهتزّ العمود وصفر الدِّيك صفيرًا عجيبًا أسمع من كان بالبُعْد وحرّك جناحيه ، فظهرت من تحتها أصوات غير معهود مثلها وتهافت من كان هنالك من الرجال إلَى أسفل تلك الحفرة [9] ، وكان فيها ممّن (يحفر ويعمل) [10] نحوا من ألف رجل ، فهلكوا جميعًا . فجزع [11] عبد العزيز وقال : هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النَّيل ، نعوذ بالله منه . وأمر الناس فردّوا التّراب عليه وعلَى من (هلك فيه) [12] من القوم [13] ، وصار الموضع قبرًا لهم .

(877)

وقد كان وقع إلَى بعض مَن أغرى بحفر الحفائر وطلب الكنوز كتاب (ببعض الأقلام) [1] السالفة فيه وصف كنز ببلاد مصر علَى أذرع يسيرة من بعض الأهرام ، وأخبر الإخشيد محمّد بن طُغْج فأذن في حفره ، وذلك سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ، فحفروا حفرة عظيمة إلَى أن انتهوا إلَى آزاج [2] وأقباء وحجارة [3] مجوّفة وصخور منقورة [4] فيها تماثيل قائمة مختلفة الصور [2] ، منها علَى صور الشيوخ والشبّان والنساء والأطفال أجسامها (في نوع من) [5] الخشب ووجوهها ذهب وفضّة وعيونها من أنواع الجواهر [6] ، وكثرت في أجوافها رمم بالية وأجسام فانية [7] . والتمثال علَى صورة من وضع في جوفه علَى اختلاف أسنانهم وتباين صورهم ، وعلَى [8] جانب كلّ تمثال نوع من الآنية كالبراني [9] من الزمرّد والجواهر الغالية فيه بقية ما طُلي به ذلك الميّت من الطلاء ، دواء مسحوق وأخلاط معمولة لا رائحة لها ، فإذا وضعت

---

876 7) ر : عن يمين الدرج وشماله ـ 8) ر : على الرجل ـ 9) م : الحفير ـ 10) ر : يبصر ويحاول ـ 11) م : فخرج ـ 12) م : هنالك ـ 13) ر : الجماعات .

877 1) ر : لبعض الأمم ـ 2) سقطت من م ـ 3) ر : وأحجار ـ 4) ر : وصخر منقور ـ 5) م : من نوع ـ 6) م : الجوهر ـ 7) عن المسعودي 825 ، سقطت من م ، ر : قائمة ـ 8) م : وإلى ـ 9) ر : كالبرابي ـ

في النار تضوّعت منها أرياح [10] طيّبة مختلفة لا تُعرف في نوع من أنواع الطّيب ، وقد جُعل بإزاء كلّ تمثال من المرمر والرخام [11] علَى هيئة الصنَم علَى حسب عبادتهم للتماثيل . (وعليها أنواع من) [12] الكتابات لم يقف علَى استخراجها أحد من أهل الملل ، وزعم قوم من أهل الدراية أنّ لذلك القلم مذ فقد من أرض مصر أربعة آلاف سنة .

(878)

وكان صلحاء مصر أعظم الناس علمًا وأجلّهم بالكهانة حذقًا ، وكان حكماء اليونانيّين يصفونهم بذلك ويشهدون لهم بالتقدّم فيه [1] ، فيقولون : أخبرنا حكماء مصر بكذا واستفدنا منهم كذا . وكانوا يزعمون أنّ الكواكب هي الّتي تفيض عليهم العلوم وتخبرهم بالغيوب ، وأنّها هي الّتي علّمتهم أسرار الطبائع ودلّتهم علَى العلوم المكنونة ، فعملوا الطلسمات المشهورة والنواميس الجليلة وولدوا الولادات الناطقة والصور المتحرّكة وعجائبهم ظاهرة وحكمتهم واضحة .

(879)

وكانت مصر خمسًا وثمانين كورة ، فأسفل الأرض خمس وأربعون وبالصعيد أربعون . وكان في كلّ كورة رئيس من الكهنة وتحت يد كلّ واحد منهم عدد عظيم [1] من السحرة وأهل الحكمة ، وهؤلاء الرؤساء الّذين عنَى الله تعالَى في قصّة فرعون لمّا أشار عليه أصحابه وقالوا له : وَأَرْسِلْ فِي المَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سحَّارٍ عَلِيمٍ [2] . وكان الّذي يتعبّد منهم الكواكب السبعة المدبّرة

877 10) م : أرواح ـ 11) ر : الرخام الأحمر ـ 12) م : وعليها في نوع من أنواع .

878 1) سقطت من م .

879 1) م : عدة عظيمة ـ 2) سورة الأعراف 7/111ـ112 ـ

لكلّ كوكب سبع سنين ، فإذا بلغ هذه المنزلة سُمّي ناظرًا وكان يجلس (مع الملك في مرتبته) [3] ويصدر الملك عن رأيه ولا يعصي له أمرًا . وكان من رسمهم أن يدخل إلَى الملك كلّ يوم فيجلس إلَى جانبه ويدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصناعات ، فيقفون حذاء الناظرين . وكلّ واحد من الكهنة منفرد بكوكبه يخدمه لا يتعدّاه إلَى سواه ويسمّى عبد كوكب كذا . فيقول الناظر للكاهن : أين صاحبك ؟ فيقول : في البرج الفلاني في درجة كذا ودقيقة كذا . فإذا عرف مستقرّ الكواكب [4] من جميع خدمتها قال للملك : ينبغي أن يصنع اليوم بنيان كذا ويوجّه جيش إلَى مكان كذا ويأكل الملك في وقت كذا ، وجميع ما يراه له [5] صلاحًا في دقيق أموره وجليلها . والكاتب قائم يكتب جميع ما يقوله الناظرون ممّا يتّفقون علَى إمضائه وتصريف فعله ، ثمّ يلتفتون إلَى أصحاب الصناعات فيقولون : انقش أنت صورة كذا وكذا علَى حجر كذا ، وصوّر أنت تمثالاً كذا واغرس أنت كذا ، حتّى يأتوا علَى جميع الأعمال ، فيخرجون إلَى دار الحكمة ويضعون أيديهم في تلك الأعمال . ويستعمل الملك جميع ما يقوله الناظرون ويؤرّخ ذلك اليوم في الصحيفة [6] وتطوى وتودع خزائنه . فعلَى ذلك جرت [7] أمورهم ، وكان الملك إذا حزنه [8] أمر أو همّ (به همّ أضمره) [5] جمعهم خارج منف واصطفّ لهم الناس في الشوارع والطرقات ، ثمّ يمرّون ركبانًا يقدم بعضهم بعضًا فيدخل كلّ واحد منهم بأعجوبة ، فمنهم من يعلو وجهه نور مثل نور الشمس ولا يقدر أحد (أن ينظر إليه) [9] ، ومنهم من يدخل راكبًا أسدًا ، ومنهم من يتوشّح بثعابين عظام ، ومنهم من يكون عليه قبّة من نور ، في صنوف من العجائب كثيرة إلاّ أنّ كلّ واحد منهم إنّما يصنع ما يدلّ عليه كوكبه . فإذا دخلوا علَى الملك قالوا : أرادنا الملك لكذا والصواب فيه [5] كذا .

---

3) م : مع الملوك في مرتبتهم ـ 4) ر : الكوكب ـ 5) سقطت من م ـ 6) م : والصحيفة ـ 879
7) ر : تجرى ـ 8) جهز حلهيهمه 9) ر : على النظر إليه .

(880)

وروى ابن لهيعة قال : كان عدد السحرة الّذين حشروا لفرعون [1] اثني عشر رئيسًا ، تحت يد كلّ رئيس عشرون عريفًا ، تحت يد كلّ عريف ألف من السحرة ، وكان عدد السحرة مائة ألف وأربعين ألفًا ومائة واثنين وثلاثين [2] ، (والله أعلم) [3] .

---

880 1) ر : لموسى ـ 2) كذا في ر ، وفي م كُتب هذا العدد بحروف ـ 3) سقطت من ر .

صدر هذا الكتاب بتوصية من
وزارة الثقافة تونس

عدد الناشر : 300-62-92

كتاب المسالك والممالك

لأبي عبيد البكري

جزءان

حققه وقدّم له

أدريان فان ليوفن و أندري فيري

الدار العربية للكتاب

المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات
بيت الحكمة



الدار العربية للكتاب

المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات
بيت الحكمة

ر.د.م.ك I.S.B.N

(طبعة كاملة) 3 - 107 - 10 - 9973

الجزء الثاني : 3 - 110 - 10 - 9973

كتاب
المسالك والممالك

ذكر ملوك مصر من لدن عمارتها قبل الطوفان وبعده إلى استفتاح المسلمين لها (وغريب أخبارهم)[1]

(881)

الّذي بنَى الأهرام والبرابي واستوسقت له مملكة مصر وانقادت له الملوك سوريد[2] بن سهلون ، وبنَى الأهرام صيانة لجثثهم وأجسامهم[1] ، وبنَى الأفرونيات[3] وبنَى البرابي حفظًا لعلومهم وآثارهم ، وذلك لمّا أنذروا له[4] بأمر[5] الطوفان المهلك للعالم . وكان سوريد قد أوتي من الحكمة والعلم ما لم يسبق إليه وكان يتعاهد من مصالح رعيته ما لم يتعاهد سواه ، وكان ينفق علَى الضعفاء من بيت ماله . واتّخذ مرآة من أخلاط وأقامها علَى منار في وسط قصره ، وكان ينظر فيها جميع الأمم والممالك والآقاليم وما منها أخصب وما منها أجدب وينظر من قصد ناحيته وما يجري للأمم[6] من حروب أو غيرها . وتقدم إلَى رأس الناظرين ، وهم الكهّان ، أن ينظر ما يحدث في كلّ يوم ويجعله[7] في كتاب . وكان أكثر اهتمامه بعمل الأدوية والعقاقير المؤلّفة والصنعة والنواميس[8] ودفع المضارّ بالطلسمات وكلّ ما كان فيه صلاح للناس . وعمل صنمًا في صورة امرأة جالسة في حجرها[9] صبيّ ترضعه ، فمن أصابها علّة من النّساء في عضو من بدنها مسحت ذلك المكان من الصنم فزال[10] عنها ما تجدّه ، وكذلك إن قلّ لبنها أو أبطأت[11] حيضتها مسّت فوق ركب الصنم ، وإن كثر دمها مسّت أسفل الركب فينقص ، وإن أصاب ولدها شيء فعلت مثل ذلك بالصبي فيزول عنه ، وإن عسرت ولادتها فسحت[12] رأس الصبي سهلت ولادتها ، وكذلك البكر يسهل

---

881 1) سقطت من ر – 2) عن ابن وصيف شاه ص 159 ، م : شوندين ، ر : شونير ، وكذا دائمًا في هذه الفقرة – 3) ر : الأفرونيات ، م : الأترونيات – 4) سقطت من م – 5) ر : من أمر – 6) ر : من الأمم – 7) ر : ويخلده – 8) ر : والنواويس – 9) ر : حضنها – 10) ر : فيزول – 11) ر : انطفت – 12) ر : فسّت –

افتضاضها . وإذا قربت الزانية من هذه الصورة ووضعت يدها عليها ارتعدت يدها ولا تزال كذلك حتّى تقلع عن فجورها . ولم تزل الصورة كذلك حتّى أزالها الطوفان ، ويقال إنّها وجدت بعد الطوفان وإنّهم عملوا بها بعد ذلك وعُبدت وصورتّها موجودة في جميع [13] برابي مصر باسمها [14] ، وكان اسمها بلهوية [15] .

(882)

وعمل لهم الصنم الّذي يقال له بكرس [1] من أخلاط يدفع الأسقام والعلل بمواضع تغسل منه وتشرب وبخورات يتبخّر بها ويستنشق ، وعمل عجائب كثيرة .

(883)

واستخرج زمن أبي سليمان عوف بن سليمان قاضي مصر كتابًا بالقبطية وجد في قبر ميّت كان فيه ، كُتِب هذا الكتاب في أوّل سنة من ملك دُقْلِطيانس [1] من كتاب نُسخ في أوّل سنة من ملك فليبس [2] ، (وإنّ فليبس) [3] استنسخه من صحيفة ذهب بالكتاب الأوّل (ترجمه له أخوان من القبط ورثا علم ذلك من أبيهما ، وهو رجل) [4] من أهل مصر الأوائل لم ينج [5] منها من الطوفان غيره ، وكان سبب نجاته أنّه أتى [6] نوحًا عليه السلام فآمن به فلم يأته من بلده غيره ، وهذا المترجم من الكتاب الموجود :

---

881 13) سقطت من م ـ 14) م : بأسمائها ـ 15) م : ملهوية .

882 1) في النسخ : نكوس .

883 1) م : وقلطيانس ، ر : فلطيانس ـ 2) م : قيلس ، ر : فيلس ـ 3) سقطت من ر ـ 4) م : ترجمته أقوام من القبط ورثوا علم ذلك من آبائهم وهم من ... ـ 5) م : لم ينسخ ـ 6) سقطت من م .

باسم الباقي بعد الأشياء . إنّ الملك سوريد بن سهلون ملك مصر وأنّه رأى رؤيا هالته ، فأحضرنا وأمرنا أن ننظر ما تدلّ عليه الكواكب ممّا يحدث في العالم ، فأقمناها في مراكزها في وقت مسألته ، فدلّت علَى آفة نازلة من السماء [1] وحادثة من الأرض . فلمّا بان لنا ذلك أخبرناه به فقال : ما هو ؟ فنظرنا في خفي أمورها فوجدنا ماء يحدث مفسدًا للأرض وأهلها وحيوانها وجميع ما فيها . فلمّا تمّ اليقين من ذلك أمرنا ببناء الأفرونيات وأعلامًا عظامًا تكون [2] له ولأهل بيته (قبورًا تحفظ أجسامهم) [3] من الفساد ويبقَى علمهم [4] صحيحًا ، وكتب علَى حيطان الأفرونيات وسقوفها علم غوامض الأمور من دلائل النجوم [5] وعللها وسرائر [6] الطبائع وتكوّنها والنّواميس العظام وعلمها [7] والعقاقير وتأليفها والصنعة وحكمتها ، وغير ذلك ممّا ينفع ويضرّ ملخّصًا مفسّرًا لمن عرف كتابنا ولغتنا . وإنّ هذه الآفة محيطة بجميع أقطار العالم إلاّ اليسير ، وذلك [8] إذا نزل قلب الأسد أوّل دقيقة من السرطان وتكون الشمس والقمر في أوّل دقيقة من رأس الحمل وأفرونس [9] من الحمل (في درجة وثمان وعشرين دقيقة) [10] ، وأورانس [11] في الحوت (في تسع وعشرين درجة وثمان وعشرين دقيقة) ، وأرش [12] في الحوت (في تسع وعشرين درجة وثلاث دقائق) ، وأفروديطَى في الحوت (في ثمان وعشرين درجة ودقائق) ، وهرمس في الحوت (في سبع وعشرين درجة ودقائق) ، والجوزهر في الميزان ، فأوج القمر في الأسد خمس درجات ودقائق .

---

884 1) ر : الهواء ـ 2) م : لتكون ـ 3) م : حفظًا لأجسامهم ـ 4) ر : عالمهم ـ 5) ر : أشياء النجوم ـ 6) ر : وسائر ـ 7) ر : وعملها ـ 8) م : وكذلك ـ 9) ر : أفرونش ـ 10) في المخطوطات عوضت الأرقام بحروف وكذلك في بقية الفصل ، فنقلنا ما بين القوسين عن الخطط للمقريزي 117/1 ـ 11) م : أورانش ، ر : أوراوش ـ 12) م : وأوشن .

(885)

فلمّا عرّفناه ذلك قال : انظروا هل يكون بعد هذه الآفة كون مضر [بالعالم] . فأصبنا الكواكب تدلّ في وقت نظرنا علَى [أنّ] آفة نازلة من السماء إلَى الأرض وأنّها ضدّ الأولَى ، وهي نار محرقة لأقطار العالم ، فعرّفناه بذلك فقال : انظروا متَى يكون هذا الكون . فوجدناه قد يكون عند نزول قلب [1] الأسد آخر دقيقة من الدرجة الخامس عشرة من الأسد ويكون أيليس ، وهي الشمس ، معه في دقيقة [واحدة] متّصلة بِقرونوس [2] من تثليث الرامي ، ويكون (راوس في الأسد) [3] وأرش معه في دقيقة واحدة [4] ويكون سلينِي ، وهو القمر ، في الدلو مُقابلاً لايليس والذنب معه ، ويكون كسوف مطبق ، وتكون أفروديطَى في بُعدها الأبعد من وراء إيليس وهرمس في بعده الأبعد أمامها مقيمين ، أفروديطَى للاستقامة وهرمس للرجعة .

(886)

فقال الملك : هل من خبر آخر توقفوننا عليه بعد هذه الأمور العظام ؟ قالوا : ننظر في ذلك . فنظروا علَى عددْ السنين وقالوا : وجدنا أنّه إذا قطع قلب الأسد ثلثي أدواره ، وهو آخر دقيقة [1] من العقرب ، لم يبق من حيوان الأرض متحرّك إلاّ تلف ، فإذا استتمّ أدواره تحلّلت عقد الفلك . قال لهم [2] : فأي يوم تحلّل فيه عقد الفلك ؟ قالوا : اليوم الثاني من بدء حركة الفلك . فعجب من ذلك . قال : وزعم آخرون أنّ قلب الأسد إذا بلغ الدرجة الخامس [3] عشرة من الأسد كان طوفان نار يحرق العالم بأسره ، فلا يبقَى علَى الأرض حيوان وتبقَى الأرض خرابًا ، ويستأنف الباري تعالَى ما أراد من الخلق . وهذا لم يصحّ لأنّ قلب الأسد كان يرصد سنة أربع عشرة

885 1) سقطت من ر ــ 2) م : بقرولس ــ 3) م : رأس الأسد في دقيقة ــ 4) م : متصلة .

886 1) ر : درجة ــ 2) سقطت من م ــ 3) ر : السادس .

ومائتين في ثلاث عشرة درجة وثلاثين دقيقة من الأسد ، فيجب أن يكون اليوم ، وهو إحدى وستّين في آخر الدرجة السادس عشرة منه .

(887)

وفي كتاب السند هند (الّذي عمل الجسطي منه) [1] وغيره أنّ (دوران الشمس من أوّل مسيرها) [2] من الحمل إلى أن ينقضي مسيرها آخر الأسد علَى ما حسبوه وأحاطوا علمًا به [3] بزعمهم أربعة آلاف ألف وأربعمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف دورة والدورة سنة [4] . وجمهور الناس من المتقدّمين والمتأخّرين يعتقدون أنّ العالم محدث منتقض [5] إلاّ ما قاله أرسطاطاليس إنّ الطبيعة قديمة وانّ الزمان لا يبيد وإنّه لا أوّل له ولا آخر ، وهو قول أهل الهند . وقال نفر من الفلاسفة : العالم محدث إلاّ أنّه لا يبيد لأنّه حكمة والحكيم لا يفسد صنعته .

(888)

ولمّا مات سوريد بعد أن ملك مائة سنة وسبع سنين دفن في الهرم الشرقي وملك [1] بعده أخوه هرجيت [2] ثلاثين سنة ودفن في الهرم الغربي ، وملك بعده ابنه مناوش خمس عشرة سنة ودفن في الهرم الملوّن بلونين من الحجارة . ولهذه القبور أبواب في آزاج مبنية بالحجارة في الأرض طول كلّ أزج منها عشرون ذراعًا بذراعهم ، له باب من حجر واحد يدور بلولب ، فإذا أطبق عليه [3] لا يعرف أنّه باب ، وصار كالبنيان لا يصل [4] الذر إلَى الوصول منه . وفي هذه الأهرام قبور من الذهب والفضّة والكيمياء و (الحجارة من الزبرجد الرفيع) [5] والجواهر النفيسة ما لا يحتمله الوصف كثرة [3] .

---

887 1) ر : وهو الذي عمل منه المجسطي – 2) ر : دوران فلك الشمس أول مسيرها – 3) سقطت من ر – 4) ر : في سنة – 5) سقطت من ر .

888 1) م : ودفن – 2) ر : حبيب – 3) سقطت من ر – 4) ر : يطمع – 5) م : وحجارة الزبرجد .

(889)

هذا آخر الكتاب الموجود في القبر، وترجم هذا الكتاب يوم الأحد أوّل يوم من توت عند طلوع الشمس سنة خمس وعشرين ومائتين [1] من سني العرب وانتهى ما تضمنه من التواريخ من لدن أثبت بالخطّ الأوّل إلى هذا اليوم (أربعة آلاف وخمسمائة وعشرون وثلث) [2] بسني الشمس. ثمّ نظر كم للطوفان إلى هذا اليوم، فوجد (اثنين وأربعين وتسعمائة وثلاثة آلاف) [3]، فعلم أنّ الكتاب كُتب قبل الطوفان (لما بين الجُملتَيْن) [4].

(890)

وكانت الرؤيا الّتي رآها الملك علَى ما أثبت [1] في المصاحف الموجودة بمنف في خلافة عبد الملك - وكانت سبعة مصاحف مترجمة يذكر [2] قيطون بن أمنايوس الكاهن يذكر فيها مبادئ الولادات والخلوق الأوّلية ويذكر الملوك والناظرين وما وضعوه من الحكم وعملوه من الطلسمات، وكانت بخطّ أركليوس [3] الكاهن، فحملت إلَى عبد الملك مع الحبر الّذي كان معها وانعفَى [4] أكثرها، ففسّرها له [5] رجل يهودي من أهل الطواري، فلم تكن بالخطّ الكاهني الصوري بل كانت بالخطّ المعروف بالبرسطي، فبذلك قدر علَى استخراجها، فكشف لهم منها ما أراد وستر ما أراد، وقدر منها علَى علم كثير وعرف الخبر المشهور وكيف الوصول إليه وأصناف العلوم المقترنة [6] به. وقد كان صدر المصحف الأوّل الجامع لهذه المصاحف.

---

889 1) سقطت من ر - 2) من هامش م - 3) كذا في ر، وفي هامش م: ألفي وخمسمائة واثنين وأربعين - 4) م: بما بين الجيلين.

890 1) م: ثبت - 2) ر: فذكر - 3) م: أوكليدس - 4) ر: وأختفي - 5) سقطت من ر - 6) ر: المقرونة.

(891)

باسم الربّ المحيط بالأشياء . أنا قيطون بن أمنايوس الكاهن . كان أبي من خدّام الهياكل النورية والمتكلّمين عندها بكلمة [1] التوحيد والخضوع للآلهة المعطية [2] للعلوم المظهرة [3] وللأرواح الأشباحية لمن كان يتعبّد لها ويقوم بقرابينها وبخورها [4] . وكان إليه مع ذلك خدمة نواويس الملوك، وكان من رسم بهاتين الحالتين يومَى إليه بالتعظيم ويفضل بالتزكية. فلمّا هلك هرمينيوس الملك حفر له في ناووس المملكة أزجًا وصفحه بالمرمر الأزرق [5] ملوحًا بالذهب اليأكلون ، وحفر عند رأس الأزج موضعًا تقام فيه أسطوانة التآريخ (فانتهَى به الحفر) [6] إلَى أوعية من رصاص مطبقة فيها مصاحف الكهنة وفيها جثّة أقوديس [7] الكاهن الّذي كان في زمن أسادس . فأخذ أبي المصحف بحقّ كهانته [3] وقيامه علَى الهياكل والنواويس ، فوقف علَى ما فيها ولم يظهر شيئًا من علومها . فلمّا هلك أبي صارت المصاحف [3] إليّ فنقلتها بترجمتي لتكون ذخيرة لولدي . وكان أوّل ما ترجمته من تلك المصاحف :

(892)

باسم النور الّذي كانت الأنوار كلّها منه وإليه تعود ، مطهّر الحكماء ومؤيّدهم بالأشباحية العالية واسم الآلهة . هذا ما نسخناه ووقفنا عليه من أسرار العلوم والّذي قدرنا عليه من كتب ساداتنا الناظرين الهادين [1] إلَى طريق الحكمة ، ووقفنا عليه من أسرار الخليقة ومفاتيح العلوم وأسرار الولادات .

---

891 1) ر : بكلام – 2) م : المعظمة – 3) سقطت من م – 4) م : إلى أن ينجوا بها – 5) م : الابرق – 6) ر : فانتهى الحفر فيه – 7) ر : أبي رئيس .

892 1) ر : المهدين .

(893)

ثمّ نرجع إلى ذكر الرؤيا . وكان في جملة ما ترجم من هذه المصاحف أنّ سوريد (رأى الكواكب) [1] المعروفة باليابانية في صور (طيور بيض) [2] وكأنّها تخطف العالم وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكان الجبلان انطبقا عليهم وكانت الكواكب النيّرة مظلمة كاسفة كلّها . فلمّا أخبره الناظرون بما تقدّم عنهم أمر أن يختار موضعًا لبنيان الأعلام ، فاختير موضع بقرب النيل في الجانب الغربي وبنيت فيه مدينة (مرقة أي مطلب الحكمة) [3] ، وأمر الملك بجمع الناس والفعلة فجمع سبعة آلاف لقطع الحجارة وحملها ومثلهم لهندستها والنقش عليها وأضعافهم (للبناء وعمل) [4] قضبان الحديد واستخراج معادن الرصاص ، فكانوا ينصبون البلاطة ويجعلون في وسطها عمودًا من حديد [5] قائمًا قد ضبط بالرصاص [6] المسبوك وتركب عليه بلاطة أخرى في قدّها وهندستها مثقوبة [7] الوسط بقدر دخول القضيب فيها ، ويسبك الرصاص ويصبّ علَى [8] البلاطتين معًا ، حتّى بنَى بها [9] بنيانًا طوله مائة ذراع وخمسون ذراعًا بذراعهم ليكون ماء الطوفان مع حافته وهرم البنيان صاعدًا ، وجعل رأسه عشر أذرع في مثلها ، وعرض كلّ حائط من تربيع الهرم مثل طوله مائة وخمسون ذراعًا .

(894)

ثمّ أحضرهم فقال : انظروا هل تفسد هذه الأعلام . فنظروها فوجدوها باقية (لا تزول) [1] . فقال : انظروا هل يفتح منها موضع . فنظروا فقالوا : نعم يفتح من الجانب الشمالي . فقال : حقّقوا النظر هل تعرفون الموضع بعينه ،

---

893 1) ر : من ذي الكواكب ـ 2) م : طير يسير ـ 3) ر : وسميت موقت أي مطلبة الحكمة ـ 4) ر : لعمل ـ 5) م ر : عمود حديد ـ 6) م : بالأرض والرصاص ـ 7) م : مقربة ـ 8) ر : حول ـ 9) سقطت من م .

894 1) سقطت من ر ـ

فعرِّفوني إلَى متَى يكون ذلك . فأخرجوا الموضع وذكروا أنّ ذلك يكون لأربعة آلاف دورة للشمس . (فقال : انظروا العلّة الّتي يفتح من أجلها . فقالوا : يفتح طلبًا لما فيه من مال . فقال : هل ينفقون علَى ذلك شيئًا ؟ قالوا : نعم. قال : هل تقفون علَى قدره ؟ فعرّفوه) [2]. فقال : اجعلوا في الموضع الّذي يصلون [3] منه إلَى داخل الهرم [4] ذهبًا بقدر [5] ما ينفقونه . وحثّ الأمّة علَى الفراغ من الأهرام والأفرونياته ، ففرغوا من ذلك في ستّين سنة . وعلَى الأهرام مكتوب : بنينا هذه الأهرام في ستّين سنة ، فليهدمها من يريد ذلك في ستّمائة سنة ، فإنّ الهدم أهون من البناء .

{ 895 }

وذكروا أنّه [1] كانت لهم قرافل من خوص إذا ضربوا بها الحجارة قفزت من أنفسها وطارت [2] ، وأنّ ذلك لم يزل متعارفًا عندهم . قال الوصيفي : وقال لي رجل قبطي يعرف بإبراهيم بن أبراس [3] ، وقد أجرينا شيئًا من هذا الذكر ، أنّهم أصابوا في بعض الكنائس في موضع شبيه بالطاق سفط فيه [4] سلة ، ففتحت فوجدوا فيها قرفلة من خوص عجبوا منها ولم يدروا لها معنًى ، فطرحوها في النار ليحرقوها ، فكانت تثب من النار حتّى تبلغ سقف الكنيسة ، فلمّا رأوا ذلك قطعوها بالسكين ، ثمّ عرفوا الحال فيها فندموا علَى إفسادها . قال الوصيفي : ولا أدري أهي من قرافل الحجارة أم من غيرها إلاّ أنّ في توثّبها من النار عجبًا .

894 2) ر : قال : أتقفون على قدر ما ينفق في هدمه ؟ قالوا : نعم ـ 3) م : يطورن ـ 4) م : العلم ـ 5) ر : يزن .

895 1) م : أنها ـ 2) م : وتبارت ـ 3) ر : أنداس ـ 4) م : منها .

(896)

ولمّا فرغ المأمون من حرب أهل التيماء وأقام بمصر أراد هدم الأهرام ، فعرّفه بعض شيوخ المصريّين أنّ ذلك غير ممكن [1] ولا يجمل [2] بمثله أن يطلب شيئًا لا يبلغه . فقال : لا بدّ لي أن أعلم عِلْم ما فيها . ثمّ أمر (أن يفتح) [3] من الجانب الشمالي لقلّة دوام الشمس علَى من يتولّى ذلك . فكانوا يوقدون النار عند الحجر ، فإذا حمّي رشّ عليه [4] خلّ ورمي بالمنجنيق [5] حتّى فتحت الثلمة الّتي يدخل منها إلَى الهرم اليوم ، فوجد بنيانه علَى ما ذكرنا [6] من الحديد والرصاص ، ووجد عرض الحائط عشرين ذراعا .

(897)

فلمّا وصلوا إلَى آخر الفتح [1] وجدوا خلفه مطهرة من حجر أخضر فيها مال علَى حول الدنانير العراض ، وزن [2] كلّ مثقال منها [3] سبعة وعشرون مثقالاً وثلثا مثقال بمثقالنا [4] . فقال : زنوه . فوزنوا الجملة فوجدوا فيها مالاً عظيمًا [5] معلومًا . وكان المأمون (رحمه الله) [6] فطنًا فقال : ارفعوا [7] إليّ ما أنفقتم علَى فتحه . ففعلوا [8] فوجدوه موازنًا لما وجدوا من المال فتعجّب [9] من ذلك ومن معرفتهم بالموضع الّذي يفتح [10] منه علَى طول الزمان ، وازداد [11] يقينًا في علم النجوم . فركب حتّى دخله [12] ونظر إلَى البيت فوجد [13] فيه صنمًا أخضر مادًّا يده وهو قائم ، ونظر إلَى الزلاقة والبئر ، فأمر بنزولها ، فنزلوا من واحدة إلَى واحدة حتّى أفضوا إلَى صنم أحمر وعيناه بجزعتان سوادًا في بياض كأنّهما حدقتا إنسان ، فهالهم أمره وقدّروا أنّ

---

896 1) ر : متمكن – 2) ر : يحسن – 3) ر : بفتح – 4) م : عليها – 5) ر : بالمنجنيقات – 6) من هنا يستأنف نص س ، انظر الفقرة 848 .

897 1) س : إلى الفتح – 2) سقطت من م – 3) سقطت من م ر – 4) س : بمثاقيلنا – 5) سقطت من س – 6) سقطت من س – 7) ر : ارجعوا – 8) سقطت من م ر – 9) م ر : فعجب – 10) م : ينفتح – 11) ر : وازدادوا – 12) م س : دخلها – 13) ر : ووجدوا –

له حركة [14] ، فخرجوا [15] وعرّفوه الحال وجراه ذلك علَى طلب مخاب كثيرة .

(898)

ووجد المأمون طول كلّ هرم من الهرمين الكبيرين أربعمائة ذراع بالمالكي وكذلك عرض كلّ حائط من حيطانها . ويقال إنّه ليس علَى وجه الأرض أرفع بناء من هذين الهرمين وهما غربي وسيم [1] ولا في العالم حجر موضوع علَى حجر أعلَى منهما . ويقال إنّ عمقهما في الأرض مثل ارتفاعهما فوق الأرض . وذكر أنّ أبواب هذه الأهرام لا تفتح إلاّ بكلام وقرابين وبخورات ، والصابئة تحجّ إليها [2] من حرّان .

(899)

وفي مصحف هرقل [1] - وكان تأريخه لستّمائة سنة من الطوفان - أنّ سوريد مَلِك مصر نظر في النجوم ، فرأى أنّ حادثة من السماء تكون مضرّة بالعالم ، فأمر ببناء أعلام تكون نواويس لحفظ [2] أجساد الملوك ، وكتب [3] علَى تلك الأعلام أسماءهم وتواريخهم وكثّر فيها من فاخر الجوهر والصنعة وطرائف الحكمة ، ومن التماثيل والذهب الملوّن والتيجان الفاخرة ما يستدلّ به علَى عظم [4] ملكهم ، وجعل علَى ذلك طلسمات تمنع منها إلَى أوقات معلومة تكون ذخيرة لهم . ووضع أساسها في وقت السعادة وجعل في [5] أساس كلّ علم منها صنماً وكتب [6] في صدورها [7] دفع المضارّ والآفات عنها ، وفي يد كلّ صنم منها كالبوق ، وهو واضعه في فيه ، وفي وسط كلّ علم منها منارات

---

897 14) ر : حركات - 15) ر : فجزعوا .

898 1) س م : وشرقي - 2) س ر : تحجها .

899 1) ر : هوتيلي - 2) س ر : تحفظ - 3) س ر : وزبر - 4) س ر : عظيم - 5) سقطت من س م - 6) ر : ورمز ، س : وزبر - 7) ر : صدرها

موجّهة إلَى آزاج ضيّقة المنافذ واسعة المداخل تجتذب الرياح إليها علَى مرّ الزمان وتخرج في وجه الداخل إليها ، فإن لم يحسن دفعها أهلكته ، ومنها ما ينطبق عليه بحكمة متقنة وأمر مبرم . وقيل إنّه عمل تحت الأهرام أسرابًا تخرج منها [7] إلَى ناحية الفيوم وإلَى ناحية المغرب علَى يوم ويومين منها ، وأودعت عجائب كثيرة ، وإنّ في أسفلها مشارب للماء يفيض [8] فيها إلَى مصابّ [9] تجري إلَى [10] النيل .

(900)

وفي خبر آخر [1] أنّه وكل بالأهرام روحانيّين ، فجعل في الهرم الغربي روحانيًا في صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج ، لها ذؤابتان ، فإذا أرادت أن تستفزّ الإنسان ضحكت إليه واستجرّته إلَى نفسها . وقد ذكر ذلك [2] من رآها وقصدها . ووكل بالهرم القبلي روحانيًا في صورة غلام أمرد عريان قد ريء من خارجه مرّة بعد مرّة ثمّ تغيّب عنهم . وفي الهرم الملوّن صورة شيخ في كفّه مجمرة [3] كنائسية [4] كأنّه يتبخّر وعليه ثياب الرهبان . وكذلك وكل لجميع [5] الأفرونيات حتّى إنّ أهل [1] أخميم (لا شكّ عند جماعتهم) [6] أنّ روحاني البربَى الّذي بها غلام أسود أمرد معه عصًا ، ولا يستطيع أحد أن يدخل البربَى من بعد العصر إلَى الصبح . ولم يكن أهل سمنّود يشكّون في أنّ روحاني البربَى الّذي فيها رجل طويل أدم صغير اللحية أشيب . وأمّا بربَى قفط فجارية [7] سوداء معها صبي صغير أسود تحمله . وأمّا بربَى بوصير ففيها [8] شيخ أبيض عليه زي الرهبان وفي يده مصحف .

---

899 8) ر : يغيب ـ 9) ر : مصب ـ 10) م : فيه .

900 1) سقطت من م ر ـ 2) سقطت من م س ـ 3) ر : مبخرة ـ 4) س : كنيسية ، سقطت من ر ـ 5) ر : فيه ـ 6) س ر : لا يشك جماعتهم ـ 7) ر : فروحانية ـ 8) س ر : ففي صورة .

(901)

ولكل واحد من هؤلاء الروحانيين قربان وكلام يطيع به ويدلّ معه علَى علوم البربَى وكنوزه. ويقال إنّ ذا النون الأخميمي إنّما قدر علَى ما قدر من علوم البربَى حتّى عمل الصنعة والجوهر وحمل إلَى العراق [1] في ليلة [2] وغير ذلك من العلم، لأنّه خدم راهبًا كان بأخميم يقال له ساس مدّة صباه، فعلّمه الخطّ ودلّه علَى القربان والبخور واسم الروحاني وأوصاه بأن يكتم ذلك. فلمّا علم ذو النون ما علم طيّن (مبنَى الحكماء) [3] (بطين الحكمة) [4] الّذي لا ينقلع إلاّ مع الحجر ويفسد بقلعه الخطّ المرموز به.

(902)

وفي بعض أخبار المصريّين أنّ قومًا قصدوا الأهرام (في وقت المتوكّل) [1] وكان علَى مصر حينئذ ابن المدبّر، فنزلوا من الزلاقات والآبار وطلبوا أن يدخلوا من تلك المضايق الّتي تخرج الرياح منها وحملوا [2] سرجهم في أواني زجاج، فأتتهم رياح أخرجتهم وكسّرت [3] أوانيهم وأطفأت سرجهم. فأخذوا أحدهم فربطوا وسطه [4] بالحبال وقالوا له: ادخلْ، فإن رأيت [5] شيئًا تكرهه جررناك. ففعل ذلك. فلمّا دخل وأمعن وزاحم الرياح انطبق عليه ذلك المصبّ [6] وجذبوه، فانقطعت حبالهم وبقي الرجل [7] في ذلك الشقّ لا يقفون له علَى خبر، فاغتمّوا لذلك وصعدوا هاربين حتّى خرجوا من الهرم وجلسوا عند باب الثلمة المفتوحة ينظرون [8] في أمر ذلك الرجل وأمرهم وما (أقدمهم علَى ما) [9] أقدموا عليه، فإنّهم لكذلك إذ انفرجت لهم فرجة من الأرض كالوهدة، فأثارت لهم ذلك الرجل عريانًا مشوّه

---

901 1) م: أيلة ـ 2) سقطت من م ر ـ 3) ر: بيت الحكمة ـ 4) سقطت من م.

902 1) م: في وقت من الأوقات، ر: في خلافة المتوكل ـ 2) م: وجعلوا ـ 3) ر: وأكسرت ـ 4) م: في وسطه ـ 5) ر: فإن كان ـ 6) س: اللصب، ر: الصلب ـ 7) س: الداخل ـ 8) س ر: يفكّرون ـ 9) سقطت من س ر ـ

الحلق [10] ميّت الدم جامد العينين ، وهو [11] يتكلّم بكلام عجيب لا يفقه . فلمّا فرغ من كلامه سقط ميّتًا ، فازداد ولهم وتضاعف جزعهم واحتملوه إلَى منزله ، فأخذهم الحرس [12] وانطلقوا بهم مع الرجل الميّت إلَى ابن المدبّر ، فسألهم عن أمرهم فأخبروه ، فعجب من ذلك وأمر أن يكتب ذلك الكلام علَى حسب ما لقنوه ، فأقام يطلب من يفسّره (إلَى أن لقي) [13] رجلاً من أهل العلم [14] الأقصَى يعرف شيئًا من ذلك اللسان ، فإذا معناه : هذا جزاء من طلب [15] ما ليس له وكشف عمّا [16] يخباه فليعتبر من رآه . فمنع ابن المدبّر من تعرض للأهرام [17]

(903)

وفي خبر آخر أنّ جماعة وجدوا في بعض البيوت الوسطَى زلاقة إلَى بئر ، فنزلوها فوجدوا سربًا [1] ، فساروا فيه نصف يوم حتّى انتهوا إلَى حفير عميق ، وفي عدوته باب لطيف يتبيّنون منه شعاع الذهب والجوهر [2] ، ومن رأس الحفير ممّا يليهم إلَى الباب المحاذي لهم عمود حديد قد ألبس محورًا [3] من حديد يدور عليه [4] ولا يستمسك . فاحتالوا في وقوفه وذهاب حركته فلم يصلوا إلَى ذلك ، فربطوا أحدهم في حبل وتعلّق به ليصل إلَى الجانب الآخر ، فدار به المحور [5] فتحيّر وسقط ، فخرجوا هاربين لا يلوون . ودخل نفر بعضَ الأسراب الّتي في الهرم فانتهوا إلَى صنم أخضر في صورة شيخ بين يديه أصنام صغار (كأنّه يعلمهم ، وساروا فوجدوا فوّارة تحت قبّة يقع فيها ماء من أعلَى تلك القبّة ، فيكون له نشيش شديد) [6] كأنّه طني [7] نار ويغوص [8] فيها فلا يتبيّن . فداروا [9] فوجدوا بيتًا مسدودًا بحجر فيه دويّ

---

902 10) م : العين ـ 11) سقطت من س ـ 12) ر : العسس ـ 13) س : فوجد ، ر : إلى أن وجد ـ 14) سقطت من م س ـ 15) م : يطلب 16) س ر : على ما ـ 17) س ر : الأهرام .

903 1) س : سرابًا ـ 2) س ر : الجواهر ـ 3) م : صخورًا ـ 4) م : عليهم ـ 5) م : المحرك ـ 6) سقطت من ر ـ 7) م : طمى ـ 8) س ر : ويغيض ـ 9) م : فجاؤوا ـ

شديد [10] لا يُدرى ما هو ، ووجدوا عنده شبيهًا بالمطهرة الكبيرة فيها دنانير [11] عليها صورة أسد من وجه وصورة طير من وجه [12] . فأخذ بعضهم منها شيئًا [13] ، فلم يقدر علَى حركة ولا كلام حتّى طرحها من يده .

(904)

وكلّما فسد من هذه الأفرونيات وتهدّم وتغيّر مثل بربَى بوصير وبربَى سمنّود وغيرهما من الهياكل يتركهم الاستقصاء في أخذ الطالع وصحّته قبل وضع الأساس . وكذلك ما بقي منها فلقرب الطالع من الصحّة لأنّ الّذين بنوا هذه البرابي كانوا علَى بعد من الملك [1] ولم يكونوا بحضرته [2] ، فيتقنون النظر كما اتّفق في [3] عمل الأهرام . وهم لا يشكّون أنّهم لمّا هدموا بربَى سمنّود فحملوا حجارته إلَى أشتوم دمياط ووهبوا بقيته لبني المهندس أنّ اليوم الّذي فرغ من هدم الحائط الغربي دخل حباسه الإسكندرية وخربها وكثرت الرمال حتّى انقطع البحر في شهور الصيف وقلّ زكاء الزرع وكثر الفأر والجراد وأشياء من الفساد (كثيرة .

(905)

ويتحدّث أهل سمنّود عن هذا البربَى بعجائب كثيرة) [1] يطول شرحها ، منها أنّ بعض من دخلها كتب علَى كتفه [2] صورة من تلك الصور أعجبته ، فانطبقت عينه حتّى أتاه من كتب علَى كتفه [2] الصورة المحاذية لها فانفتحت عينه . قال الوصيفي : وأخبرني من أثق به أنّه رأى فيها صورة شيطانين تحوط بهما سلسلة بكتابة ، وهما يمسكان طرفيها وبينهما كتابة . (فأخذ

---

903   10) س : عظيم ـ 11) هنا ينقطع نص س ـ 12) ر : من وجه آخر ـ 13) ر : شيئًا من ذلك الدنانير (كذا) .

904   1) ر : الملوك ـ 2) ر : بموضعه ـ 3) سقطت من م .

905   1) سقطت من ر ـ 2) ر : كفّه ـ

صورته) [3] ، فكانت عنده إلَى أن عرّفه بعض من رآها عنده أنّها حرز عظيم ، وذكر أنّه لو جعل عليها لحمًا وجوّع كلبًا أو شيئًا من السباع وخلاه عليه لم يقرب منه . قال : فعجبت [4] منه وامتحنتُ ذلك [5] فوجدته كما ذكر .

(906)

قال الوصيفي : وقد رأيت أنا في بربَى أخميم صورة عقرب ، فألصقت عليها شمعًا وكانت عندي ، فلم أتركها في موضع إلاّ انحاشت إليها [1] العقارب ، وإن كانت في تابوت اجتمعت تحته وحوله حتّى [2] كنت أتجافَى عن حملها . فطلبها بعض إخواني ودفعتها إليه ورجعت إلَى أخميم ، فوجدت الصورة قد نقرت وأفسدت .

(907)

ومن المتعارف عند أهل أخميم أنّه كان في البربَى صورة شيطان قائم علَى رِجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الهواء [1] ، وفي جبهته وحواليه كتابة وله إحليل ظاهر ملصّق بحائط البربَى ، فكان من احتال علَى ذلك [2] الإحليل حتّى (نقب عليه ونزعه) [3] من غير أن ينكسر ، وعلّقه في وسطه لم يزل مُنعّظًا إلَى أن ينزعه ويجامع ما أحبّ ولا ينكسر مادام عليه ، وأنّ ابن أبي [4] الغمر لمّا ولّي البلد أخبر بذلك فطلبه [5] ، فلم يوجد له غير صورة واحدة كانت قرب السقف ، فاحتيل عليها حتّى أخذ له الإحليل ، فكان يستعمله ويخبر بصحّته . وكانت فيها [6] صورة بومة إذا ألصق عليها الشمع وجعل في

---

905 3) سقطت من م – 4) م : فتعجب – 5) ر : وامتحنته .

906 1) م : إليه – 2) ر : و .

907 1) م : إلى الهواء – 2) م : لذلك – 3) ر : ينقب عليه وينزعه – 4) سقطت من ر – 5) ر : فطالبه – 6) م : فيه –

موضع لم تقربه بومة . وكانت فيها صورة شيطان يسوق كبشًا بحبل في عنقه ، فمن صوّره في صفيحة [7] رصاص وما حوله من الكتابة وحمله معه ومرّ علَى قطيع من الكباش اتّبعته .

(908)

وفي بربَى أخميم في الباب الّذي يُدخل منه إلَى المصعد في عقب الباب علَى يسار الداخل منه صورة رأس [1] عظيم بلحية كبيرة وشعر كثير كأنّه رأس رومي بغير جسد ، فذكروا أنّ الأوائل كانوا يبخرون ذلك الرأس ببخور لهم معروف ، فكلّ مَن بخره وجد عنده دينارًا ، فكان ذلك [2] معونة لأهل المسكنة . قال الوصيفي : فتصفّحت موضع الرأس فوجدت آثار البخور والطيب بيّنة (فيه و) [3] في القبّة الداخلة الّتي (ينزل منها إلَى) [4] سطح البربَى المعروفة بقبّة مسمطاسين [5] ، ولها بخور وكلام ، من تكلّم به وسأل عن كلّ أمر أخبر به من البئر [6] بكلام يسمعه ويفهمه [7] .

(909)

وفي بربَى قفط صورة رجل جالس في دائرة وحوله كتابة [1] وعلَى جميع دور الدائرة شياطين [2] قيام بأيديهم حراب ، يرمون بها ذلك الرجل ، والرجل رافع يده كأنّه يرميهم . فيقال [3] إنّه من صوّر تلك الصورة في صفيحة ذهب وحملها معه ودخل الحرب لم يضرّه ولا عمل فيه حديد ولا غيره . يعمل ذلك في أوّل الهلال ويكون المشتري مسعودًا . وحذاء هذه الدائرة من الجانب الآخر دائرة أخرى فيها رجل مكتوب علَى وجهه وحوله شياطين بأيديهم

---

907 7) ر : صحيفة .

908 1) م : وراس ــ 2) ر : في ذلك ــ 3) سقطت من م ــ 4) م : إليها من ــ 5) م : مسطاس ــ 6) م : البربي ــ 7) ر : ويعقله .

909 1) م : دابّة ــ 2) ر : شيطانين ــ 3) ر : فقيل ــ

حراب يضربونه بها ، وقد شكّوها [4] في جسمه . فيقال إنّ من صوّر مثلها في صفيحة رصاص باسم عدوّ له وبخرها بشعر جمل في آخر الشهر ودفنها في ناووس تحت رأس ميّت لحقه كلّ مكروه ولم يزل عدوّه [5] فزعًا ميّت القلب ، فإن تُركت أكثر من ثلاث خيف عليه الهلاك ، فإذا أخرجت [6] وغسلت بماء بئر لا تراها الشمس وجعل ذلك الماء في إناء (مزجج أو في قدر حديد) [7] وشربها الرجل وجرد نقش تلك الصفيحة زال عنه ما يجده .

(910)

وعلَى باب [1] بربَى أخميم طلسم : قطعة من حجر في صورة القلنسوة الطويلة معقّفة الرأس كأنّها منقار ، يقال [2] إنّ تحتها مالاً عظيمًا ، فجهد جماعة من الولاة أنفسهم في قلعها أو كسرها فلم يصلوا إلَى ذلك ، وتكسّرت المعاول عليها ولم يتثلّم منها شيء .

(911)

وأخبرني رجل بأخميم أنّه رأى هناك صورة استحسنها ، وهي صورة إنسان علَى رأسه طائر وإلَى جانبه كلب رابض وتحت رجليه كتابة ، وأنّه صوّرها في قرطاس كما رآها وحملها في جيبه ، فأقام ثلاثة أيّام لم يجع ولم يأكل ولا اشتهَى شيئًا من الطعام ، ولم يدرِ السبب في ذلك . ثمّ إنّه فكّر في تلك الصورة فنحاها عنه فأشتهَى الطعام وأكل ، فحدّث بذلك بعض الولاة فأخذها منه ورجع إلَى البربَى يطلبها [1] ، فأشكل عليه موضعها ولم يصل إليها إلَى أن أخبرني بذلك .

---

909 4) ر : حكوها ــ 5) سقطت من م ــ 6) م : أخرقت ــ 7) م : بحم في قدر حديد .

910 1) سقطت من م ــ 2) ر : فقيل .

911 1) ر : يطالبها .

(912)

وحدّث رجل منهم أنّ رجلاً من أهل المشرق نزل عليهم وكان بصيرًا ، فتذاكروا أمر البربَى فقال بعضهم [1] : إنّي رأيت صورة إنسان عريان مؤتزر [2] بمئزر وفي يده اليمنَى فأس له [3] رأسان وفيه قفّة معلّقة . (فقال الشرقي) [4] : إنّ لهذه الصورة عملاً ينتفع به ، فانسخه لي وما حوله من الكتابة ، وليس يعمل بها إلاّ أن تفسد من البربَى . قال : فصوّرتها له فقال لي : أفسدها أخبرك بنفعها ، فأطمعني في علم ذلك وأفسدتها وخدّشتها بمنقار كان معي حتّى انطمست وسألته عن العلم ، فخلط عليّ وجرى ذكرها ، (ثمّ إنّي بعد مدّة تذاكرت خبرها) [5] مع قوم نزلوا عندنا ، فتلهّف أحدهم عليها [6] فسألته عن أمرها فقال إنّها إذا وضعت في موضع فيه كنز تحرّك ذلك الموضع وارتفع منه كالغبار ، فعلم [7] أنّ فيه خبئًا ، وهذه دلالة الكنوز فأغمّني [8] إذ كنت أفسدتها .

(913)

قال الوصيفي : وحدّثني من أثق به أنّهم أصابوا ببعض البرابي أشنانة زجاج أحمر مربّعة العمل موضوعة في طاق وفيها ماء أصفر ، فلم يدروا لِم يصلح ، فأهرقوه منها وأخذها أحدهم ، فأقامت عنده [1] مدّة يستعملها ، إلَى أن رآها عنده رجل غريب (نزل عليهم ، فاستطرفه فسأله عنها) [2] ، فأخبره بأمرها والماء الّذي كان فيها ، فتلهّف ذلك الرجل علَى الماء وقال : لقد أضعتم علمًا كبيرًا وخيرًا كثيرًا . وقال : إنّكم لو حميتم الفضّة وغمستموها في ذلك الماء لصارت ذهبًا أحمر يحتاج إلَى أزواج كثيرة (وأضعافًا كثيرة حتّى يصير

---

912 1) م : لبعضهم ـ 2) م : متزر ـ 3) ر : لها ـ 4) سقطت من م ـ 5) ر : بعد مدّة . (وتوجد هذه الفقرة في م في ترتيب آخر) ـ 6) سقطت من م ـ 7) ر : فيعلم ـ 8) ر : فغمني .

913 1) م : عندهم ـ 2) سقطت من م ـ

ذهبًا حسنًا جيّدًا) [2] . قال : فندمتُ علَى تفريطنا [3] في ذلك الماء . فلمّا رأى ندمي ضحك وقال : أتحبّ أن أُريك منها عجبًا ؟ قلت : نعم . قال : زنها واعرف وزنها . ففعلت فوجدت فيها أربعة أرطال ، فقال : املأها ماء أو ما أحببتَ . فلأتُها [4] فقال لي : زنها الآن ، فوزنتها فوجدت وزنها وهي ملئة [5] مثل وزنها وهي فارغة أربعة أرطال ، لا تزيد ولا تنقص . فعجبت من ذلك وشاع خبرها فاتّصل ببعض الولاة فوجّه إليّ وأخذها .

﴿ ذكـر أوّل من ولّـي مصـر من الملـوك ﴾

﴿ 914 ﴾

أوّل من ولي مصر عند قسمة الأرض بين ولد آدم زمن أنوش بوصيّة آدم عليه السلام نقراوش [2] الجبّار بن مصريم [3] ، ويقال مصرام بن براكيل (بن راذيل بن غرناب) [4] بن آدم عليه السلام ، خرج إليها [5] في خمسة وثمانين [6] من ولد أبيه غرناب ، وله حمل من طشهرة [7] ابنة هرم ، فولدت له ولدًا سمّاه مصرم باسم أبيه . ومعنَى نقراوش الملك علَى ولد أبيه ، وهو لقب واسمه قرناش . وهو أوّل من اتّخذ المصانع وعمل الطلسمات وأقام الأساطين ورمز عليها التواريخ وبنَى المدائن [8] ، وهو الّذي حفر النيل وكان قبل ينقطع ويستنقع وعمل للتّماسيح [9] في آخر بلاد النوبة صنمين علَى شرقيّ النيل وغربيّه ورمز فيها رموزًا امتنعت التماسيح أن تنحدر فيه [10] . وكانت كتابتهم بقلم الحلقطير ، وهو قلم آدم (عليه السلام) [11] ، وكان كاهنًا عالمًا لربي من الجنّ من ولد الأسعور يقال له نكور ، وكان قد وقع إليه بعض العلوم الّتي كان درابيل [12] المَلَك علّمها لآدم ، وعمل عجائب كثيرة

---

913 3) ر : تفريطها ـ 4) ففعلت ـ 5) ر : ملا ، م : على .

914 1) ر : ذكر من ولي مصر أوّل من الملوك ـ 2) م : نقداش ـ 3) م ر : مصرم ـ 4) ر : بن عرناب ـ 5) ر : إليه ـ 6) ر : وثلاثين ـ 7) م : صسهرة ـ 8) ر : المدن ـ 9) م : التماسيح ـ 10) م : فيها ـ 11) سقطت من م ـ 12) ر : زرايل ـ

منها صورة طير علَى أسطوانة عالية يصفّر كلّ يوم مرّتين عند طلوع الشمس وعند غروبها تصفيرًا مختلفًا يستدلّون به علَى ما يكون من الحوادث فيتأهّبون لها ، وعمل صنمين من حجر أسود في وسط المدينة ، إذا نظر إليها السارق لم يقدر علَى الانحياز عنها حتّى يسلك بينهما فينطبقان عليه . وعمل في مدينة برسان [13] ، وهي الّتي بناها لابنه مصرم ، قبّة ذهب علَى منار عالٍ لا تزال عليها سحب تمنعها من الشمس ، فهلكت في الطوفان . وعمل علَى حدود برسان أصنامًا موجّهة إلَى نواح مختلفة ، إذا قصد (عليهم قاصد لسوء) [14] أرسلن عليه نارًا أحرقته . وملكهم مائتي سنة وثلاثين سنة ، فلمّا مات أقاموا يبكون عليه ويطوفون به علَى أعناقهم [15] ثلاثين سنة .

(915)

ثمّ ملكهم بعده ابنه نقراوش ، وكان عابدًا لزحل ، وحارب أمّة من الجنّ حتّى أدخلها في طاعته بالعزائم الشداد [1] ، فبنَى في صحراء الغرب مدائن معلّقات علَى أساطين تحيط بها مشبّكات من الذهب ، وجعل فيها خزائن الحكمة ، ولها أبواب تحت الأرض لا يوصل إليها إلاّ منها ، وجعل لها أقفالاً ومفاتيح مدبّرات [2] . وكانت ثلاث مدائن في كلّ مدينة ثلاث خزائن فيها عجائب العلم وطرائف الحكمة ورموز الصنعة وأجرام من الماء المعقود لا يتحلّل [3] ومن الهواء المتجمّد لا يضمحلّ ، وفيها مطهرة من ماء الحياة الصنعي الإلاهي . وفيها صور الكواكب علَى أصنافها في بيوت شرفها وعلَى رؤوسها أكاليل الغلبة وبإزائها صور الحكماء القيّمين [4] بأمورها بأيديهم مصاحف الصنعة وجميع الطلسمات والعلوم . وذلك كلّه من ضروب الأحجار الرفيعة والجواهر النفيسة والأجرام العجيبة ممّا يطول الكتاب بشرحه ويخرج من حدّ ما ألفناه له باستقصائه .

---

914 13) م : بركسان ـ 14) ر : أرضهم أحد بسوء ـ 15) ر : ورؤوسائهم .

915 1) ر : الشواذ ـ 2) ر : مديرات ـ 3) ر : لا ينحل ـ 4) ر : المقيمين .

(916)

وجعل تحت الأساطين الّتي هذه المدن عليها خبايا عظيمة من الجوهر النفيس والدرّ الخطير وسبائك الذهب والفضّة (والحجارة الرفيعة) [1] والبورقات الأصلية والعقاقير المكتومة والأدوية المؤلّفة ، وصور هذه الخزائن في كلّ بربَى من برابي مصر قد رمزوا عليها بخطوطهم المؤلّفة [2] ، وخبرها مشهور في جميع مصاحفهم القديمة وهياكلهم المرسومة . وبنَى نقراوش مدينة عمل فيها الجنّة بزعمه وجعل لها أسرابًا [3] تحت الأرض يوصل منها إلَى هذه الثلاث مدائن ويوصل من بعضها إلَى بعض . وملكهم مائة سنة وسبع سنين .

(917)

ثمّ ملك بعده أخوه سورث ، وكان فيما يقال مؤمنًا موحّدًا فأغلق هياكل الكواكب ، وقلّ ماء [1] النيل فرفضه بنو أبيه وخلعوه وملّكوا أمرهم أخاه الأصغر مصرام المتقدّم الذكر . وكان جبّارًا يطلب الحكمة ، فزاد [2] في هياكل الكواكب ودخنها وقرابينها واحتفل في كساها وسدنتها ، وذلّل الأسد فركبها . وكان له ربّي فأمره أن يحتجب عن الناس وسحره ، فألقَى علَى وجهه نورًا لا يتمكّن أحد من النظر إليه ، فادّعَى الإلاهية ودعا الناس إلَى عبادته ، وزعم أنّ الأوطمس [3] ألقَى فيه روحه وأمره بذلك . وغاب عن الناس ثلاثين سنة واستخلف عليهم رجلاً من قومه يقال له اللهون ، وعمل في غيبته عرشًا عظيمًا [4] من عظام دوابّ (البحر ودوابّ) [4] ولدها من الوحوش والسباع وعمّره بالأبالسة وركبه ، ومضَى به الريح [5] حتّى أشرف علَى البحر الأسود ، فجعل في وسطه صنمًا من حجر أبيض (وزبر عليه) [6] اسمه وجعله قربانًا للشمس .

916 1) سقطت من م ـ 2) سقطت من ر ـ 3) م : سرابًا .

917 1) سقطت من م ـ 2) م : فزادها ـ 3) ر : الأرمطس ـ 4) سقطت من ر ـ 5) م : الريح ـ 6) م : ورمز عليها .

(918)

وعمل قلعة [1] الفضّة الّتي في البحر الأسود ، وذكر ذلك أليوس الكاهن في سفر ملوكهم . ورمز علَى كلّ [2] صنم هناك : أنا مصرام الجبّار ومدوّخ [3] الأشرار وجامع الأخيار وكاشف الأسرار والعالم القهّار ، عرفت حقائق الأشياء وقدرت علَى تشتيت [4] العقاقير ووضعت الطلسمات الصادقة والصور الناطقة وأظهرت الحكمة العجيبة وكشفت الأمور الغريبة ونصبت الأعلام الماثلة علَى البحار السائلة وأقمت أصنام القرابين من عظام التّنانين ليُعلم من بعدي أنّه لا ملك مثلي . وعمل في برسان شجرة يؤكل منها كلّ فاكهة وقبّة من زجاج أحمر علَى رأسها صنم يدور مع الشمس ، ووكل بأقرانها [5] شياطين إذا اختلط الظلام نادى كلّ شيطان منها في الناحية الّتي تليه : لا يخرج أحد من منزله حتّى يصبح ، وإلاّ هلك . وهو أوّل من عمل له الحمّام وركب الوحوش الصعبة وأحبّ الناس أن ينظروا إليه بعد هذه المدّة [6] ، فاجتمعوا إلَى اللهون ورغبوا إليه أن يسأله ذلك ، ففعل فأمر مناديًا أن ينادي في الناس وأن يوجّه [7] إلَى جميع النواحي في حشرهم [8] وجمعهم . فلمّا حضروا جلس لهم في مجلس عال قد زيّنه بأصناف الزينة وظهر لهم في صورة هالتهم ، وملأت قلوبهم رعبًا ، فخرّوا له [9] علَى وجوههم ودعوا وشكروا إيّاه [5] . ومات ولم يعقب .

(919)

وبمصرام هذا سُمّيت مصر لمّا دعا الناس إلَى عبادته بعد الآلهة الّتي كان يتعبّد لها ، وعلَى ذلك سمّي مصريم [1] بن بيصر [2] بن حام ، وكان اسم مصر قبل ذلك أمسوس [3] ، وقيل إنّ اسمها كان مقدونية ، وقيل إنّ اسمها كان في

---

918 1) م : القلعة ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : ومؤرّخ ـ 4) ر : منبت ـ 5) ر : مع أبوابها ـ 6) ر : الأمور ـ 7) م : يوجه به ـ 8) م : حسدهم ـ 9) م : أيامه .

919 1) م ر : مصرم ـ 2) سقطت من م ، ر : قيصر ـ 3) م : أفسيوس .

القديم أباريا ، وقد قيل إنّ مصرام أوّل من بناها ، وهذا لا يصحّ . وبلغ مصرام بسحره وكهانته ما لم يبلغه أحد قبله ولا بعده .

(920)

وملك بعده عنقام الكاهن ، فأقام فيهم [1]. عادلاً بينهم رفيقًا بهم ، (وكانت همّته) [2] الإصلاح والعمارة والإحسان إلَى الناس . وفي أيّامه رفع إدريس عليه السلام ، وحدثت في وقته نار في الهواء أقامت ثلاثة أيّام . وملكهم عنقام إحدى وتسعين سنة وهلك [3] ، فأمرهم أن يدفنوه في الهيكل الّذي عمله للشمس في جرن [4] من حجر أحمر [5] ويلطّخوا جسده بالموميا وتكون أكفانه من ثياب عملها من شعور ذبائح القرابين (ويجعل معه شيء من عظامها ويدفن معه سيره . وذكر أيّامه في مصحف اتّخذه من جلود حيوان القرابين) [6] وأمرهم (أن لا يقرب) [7] بشيء من الذهب ولا الطيب .

(921)

وملك بعده ابنه عرباق [1] ، وفي وقته نزل هاروت وماروت وعلّماه أصنافًا من السحر وعملا بمصر عجائب كثيرة ، وكانا في بئر هنالك يقال له ربعوة . وقال أكثر المصريين إنّ هبوطهما كان من بعد الطوفان ، ثمّ انتقلا من أرض [2] مصر إلَى أرض [2] بابل . فرفض عرباق الهياكل واستخفّ بالسدنة ، وكان منهمكًا [3] في الشرب والفسوق يشرب كلّ يوم مائتي رطل ويغتصب النساء علَى أنفسهنّ ، ولا يسمع بامرأة حسناء إلاّ نقلها إليه ، وقتل مَن رادّه (في ذلك) [4] ، وأقام يسوم قومه كلّ خسف [5] ثمانين سنة ، وكان يسكن

---

920 1) ر : فيها ــ 2) ر : وكان همّه ــ 3) ر : ثم هلك ــ 4) ر : خزق ــ 5) ر : أخضر ، وعلى الهامش : وقيل أحمر ــ 6) سقطت من ر ــ 7) ر : أن يقرب جسده .

921 1) م : عرفان ، ر : عرناق ، والتصحيح عن ابن وصيف شاه 143 ــ 2) سقطت من ر ــ 3) ر : منهتكًا ــ 4) ر : عنها ــ 5) م : سوم ــ

الجنّة الّتي عملها نقراوش الملك . فسمّته امرأة من المغتصبات [6] يقال لها شارد ، هكذا في كتاب الوراثة لهود ، وفي كتاب المصريّين هرشة [7] .

(922)

وملك بعده لوحيم من ولد نقراوش الملك ، فأحسن السيرة وأجهد نفسه في مصالح الرعية وبدأ بإصلاح الهياكل وتجديد المصاحف ، وأمر بإحضار الكهنة والعلماء من أصحاب الطبائع والطبّ والصنائع والنجامة والهندسة ، فكانوا سبعة آلاف رجل ومائة (وأربعين رجلاً) [1] ، منهم الكهنة ألفان وثلاثمائة ، فيهم من الناظرين ـ وهم رؤساء الكهّان ـ سبعمائة ، وبقية العدد حكماء في جميع الأعمال والعلم . فأمر بإثبات أسمائهم وإجراء ما يكفي كل واحد منهم ، (وأمر أن يعمل له كلّ واحد) [2] أغرب ما يقدر عليه من الأعمال ، وأمر أن يبنَى له بناحية وفودة ـ وهي الإسكندرية ـ مدينة [2] ميلا في ميل من رخام [3] ملوّن مشقوقة بجميع الأنهار [4] ، ويقال إنّ هذه المدينة مدفونة تحت الإسكندرية ، وفيها حكم عجيبة . وفي وقته عملت أصنام درج الفلك ثلاثمائة وستّين صنماً ، وسمّاها أرباب الصناعات [5] لأنّ في يد (كلّ واحد منهم) [6] صناعة يعالجها . وفي وقته عمل بيت الموجة [7] ، وصوّرت فيه صورة كلّ كوكب في كلّ درجة من درج الفلك . وفي وقته عملت المدينة اللطيفة الّتي تدور عن القاصد إليها فلا يقدر علَى دخولها إلاّ بحكمة قد عملت لها وجعلت إلَى الوصول إليها . وعمل في وقته القبّة الّتي عليها الأصنام الموجّهة إلَى جميع الجهات ، وفي أعناقها أجراس ، فإذا قصد بلدهم قاصد تحرّكت الأجراس الّتي تلي تلك الناحية وعلَى قدر الزيادة والنقصان في أصواتها يكون ما يتخوّفونه من ضرر ذلك الوجه ، فيتأهّبون لإزالته عنهم ،

---

921 6) ر : المغتصبات ـ 7) ر : شرهة .

922 1) م ر : وأربعة وستين رجلاً ـ 2) سقطت من م ـ 3) ر : زجاج ـ 4) ر : ما فيها ـ 5) م : الصناعة ـ 6) ر : كل صنم منها ـ 7) م : الموجد ـ

وما عملوه بتلك الصور لحق من قصدهم من المكروه (8) مثله . (وعمل مارستانات) (9) جعل فيها جميع الأدوية والعقاقير للمرضى ، ولم يترك حالة (10) من وجوه البرّ إلاّ عمله .

(923)

وخرج إلَى ناحية المغرب حتّى بلغ وادي الرمل وعمل هناك (1) منارًا ، ويقال إنّه قطع الوادي بالحيلة والسحر حتّى أشرف علَى الفوّه (2) الّتي يعتصر ماء البحر فيها وسمع دويًا عظيمًا أجزعه (3) وهاله (4) ، فرجع إلَى أمسوس وسكن الجنّة الّتي عملها أبوه . وقد كان زوج هرشة الّتي سمّت عرباق ، فولدت له كسفون ، فقلّده الملك وطاف به علَى الهياكل وصوّر صورته فيها . ثمّ استتر برصد الفلك حتّى رأى مسير الكواكب ، ومات في استتاره ، وكان ملكه إلَى أن قلّد ابنه مائة سنة .

(924)

فلمّا ملك كسفون لم تكن له همّة إلاّ الأكل والشرب والنساء ، واستوزر سبعة من الكهنة يقيمون أمره ، فكان أجلّهم عنده رجل يسمّى مزنة (1) وكان له روحاني يتبعه ، فأمره بوقود النار والتقرّب إليها ، فأعلم بذلك كسفون وقال له : إنّ في ذلك قوام ملكك . فأطلق له فعله فبنيت بيوت النيران وعظمت وأقيمت لها (2) الأعياد ، فكانت تلك النار لا تضرّ البريء إذا دخل فيها وتحرق المذنب ، فكان الناس يتناصفون قبل الوصول إليها .

---

922 8) م : الكور ـ 9) ر : وعمل بنو مرستانات بأرض فارس بانات ـ 10) ر : حيلة .

923 1) ر : عليه ـ 2) ر : القرية ـ 3) ر : أفزعه ـ 4) م : وأهاله .

924 1) ر : موقة ـ 2) م : لـه .

(925)

وفي وقته كانت سمندارة الكاهنة وكانت تناله بصنم لها يقال له أبرنج [1] ، ولها عرش تجلس فيه ، فكانت الشمس لا تصل إليه ، وكانت تخبرهم بما يعملون في بيوتهم وما يجري بينهم وبين نسائهم (وتجترّ الأشياء إليها بسحرها) [2] ، ولها مع كسفون خبر طويل . وهي الّتي نفخت في إحليل فتى كانت تحبّه فهيّمته ، وأخرجها قومها من بينهم إلَى ناحية الشام . وهلك كسفون بعد أن ملكهم سبعًا وسبعين سنة من سقطة سقطها من بناء عال فاندقّت عنقه ومات [3] .

(926)

وملك ابنه خصليم ، وكان أبوه قد شرك في الملك بينه وبين (ابنته أخت خصليم من أمّه) [1] ، وكانت من أعقل أهل زمانها . وهي الّتي عملت علَى حافة النيل بيتًا من رخام وفي وسطه بركة صغيرة وفيها ماء موزون علَى مقدار معلوم ، وعلَى حافة البركة طائران [2] من نحاس علَى صورة عقابين ذكر وأنثَى ، فإذا كان في أوّل الشهر الّذي تسمّيه القبط بونة [3] - وهو الشهر الّذي يزيد فيه الماء - فتح الباب وأحضر أمناء الكهّان وتكلّموا بكلام لهم ، فيصفّر أحد الطائرين [4] ، فإن صفر الذكر كان الماء زائدًا وإن صفرت الأنثَى كان الماء ناقصًا ، ثمّ يفتقدون الماء [5] ، فكلّ إصبع يزيد علَى الماء الموزون فهو ذراع من زيادة النيل ، وكلّ إصبع ينقص من ذلك الماء فهو ذراع ينقص من ماء النيل ، فإن رأوه زيادة مسرفة [6] تفقّدوا الجسور وإن رأوا نقصانًا زادوا في حفر التراع .

---

925 1) عن هامش ر - 2) سقطت من م - 3) سقطت من ر .

926 1) ر : أخته خزدامة - 2) ر : طيران - 3) ر : بوربه - 4) ر : الطيران - 5) ر : ويعبرونه - 6) م : مشرفة .

(927)

وولد خصليم من الحمر والبقر دوابًا مركوبة لها قوة شديدة [1] وعمل عجائب . وتعشّق جارية لأخته يقال لها خولا [2] ووقع بينه وبين أخته نفار من أجلها ، فتحوّلت إلَى شرقيّ النيل وبنت [3] هنالك مدينة لطيفة وهيكلاً (تنفرد فيه) [4] حتّى رأت وهي نائمة [5] في هيكلها الّذي بنته للزهرة كأنّها بين يدي الزهرة وهي تخاطبها وتقول لها : لأيّ شيء [6] وجدت علَى أخيك في جاريتك فلانة ؟ قالت : لأنّي أنفت له منها ولم آمن أن تلد له فتضع من قدره . قالت : وأيّ ضعة في ذلك وأنتم معشر البشر من أب واحد وأمّ واحدة ؟ وإنّما تعاليتم فاستعبد بعضكم بعضًا ، واعلمي أنّه لا بدّ لأخيك منها وأنّه لا يولد له من غيرها ، وسيولد له منها ولد ويكون مرضيًا عدلاً معظّمًا للآلهة تنزل روحانياتها عليه ويملك الناس دهرًا طويلاً وتكون أيّامه سعيدة ، ولا يزال الناس بعده في دون أيّامه إلَى أن تكون الآية [7] الحادثة من السّماء ، وإلَى كذا وكذا يكون [8] اجتماعها وتحمل منه بعد كذا وكذا وهو وقت مسعود ، وسيراها أخوك في منامه وتشكو إليه وجدها به ، فيزداد شغفه بها وسيذكر لك أمرها فلا تخالفي فيها عليه .

(928)

فلمّا كان بعد حين خاطبها أخوها فيها فعرّفته أنّها لم تكن منعته إلاّ ضنًّا بمثله عنها ، إلَى أن عرفت أنّه لا يكون له [1] ولد إلاّ منها ، ولعلّ في اجتماعها خيرًا كثيرًا . وزيّنت الجارية بأحسن زينة وأجلّ المتاع وبعثتها إليه ، وخلا بها الملك [1] وسرّ بها سرورًا مفرطًا . وعزم الملك علَى أخته خردادمة [2] أن تعود

---

927 1) ر : قوة وشدة ـ 2) م ر : دخولا ـ 3) م : وبنيت لها ـ 4) سقطت من م ـ 5) ر : قائمة ـ 6) م : حال ـ 7) م : الولاية ـ 8) م : يوما .

928 1) سقطت من ر ـ 2) سقطت من م ـ

إلَى موضعها وتنظر فيما يخصّ ويعمّ من أمر المملكة . وسار إليها جماعة من الكهنة فأعلموها أنّ قيامها بشأن الرعية وانقيادها لأمر أخيها [3] أعْود عليها بما تبتغيه من الأجر ، فرجعت إلَى دار الملك وكانت تزور موضعها ذلك وهيكلها . ووضعت خولا للملك ولدًا سمّاه هرصال أي [4] خادم الزهرة ، وشبّ أحسن شباب وطلب الحكمة من كلّ فنّ فصار من أهلها . ومات أبوه من سيل [5] أصابه بعد أن ملكهم ثمانيًا وسبعين سنة .

(929)

وملك (بعده ابنه) [1] هرصال ، فعمل عجائب منها صنم يدور بدوران الشمس فيمسي مغربًا ويصبح مشرقًا وتنكر [2] حتّي تشقّ الأمم وتبيّن [3] اختلاف الأهوية وأخلاق الناس وعجائب البلدان . ثمّ انصرف بعد مدّة ، وفي أوّل أيّامه ولد نوح عليه السلام . وبعد مائة سنة من ملكه لزم بعض الهياكل متعبّدًا وتجلّت عليه روحانية الكواكب فيما زعموا ، فحجبته عن أعين الناس فلم يعرف له خبر ولا عمل له ناووس (وتجلّت عليه تلك القوى) [4] بعد لزومه الهيكل عشرين سنة ، وبقي الناس بعد ذلك لا يشكّون في حياته سبع سنين إلَى أن تشاجر بنوه فاستبان الناس أنّه مفقود . وكانت مدّة ملكه مائة وسبعًا وعشرين سنة .

(930)

ثمّ ملك الناس بعده ابنه فدرشان [1] بعد اختلافهم [2] في أيّ بنيه يملّكونه ، فغلبت عليه امرأة (من نسائه) [3] من بنات الكهنة فسحرته

---

928 3) ر : أيها ــ 4) ر : بين ــ 5) ر : شيء ، وفي الهامش : وقيل سيل .

929 1) سقطت من ر ــ 2) م : ويمسي ــ 3) م : ويتبيّن ــ 4) م ر : وتجلبت عليه تلك القرى .

930 1) م ر : ترسان ــ 2) ر : اختلاف منهم ــ 3) سقطت من م ــ

فانفردت به ، وكان أكثر مقامها معه في جبل المقطّم في مصانع بناها أجداده علَى نهر هناك ، فتصيّد يومًا بين تلك الجبال فسقط في وهدة فهلك . وقد كان أولد الساحرة ولدًا مشوّه الخلق ، وكانت أمّه قد جعلته وقفًا علَى الشمس وسادنًا لصنم الشمس . وقد كان وقتَ هلاك أبيه صغيرًا ، فسترت الساحرة موته وكانت تراسل الناس عنه [3] وتوهمهم أنّه حيّ ، فأقامت علَى ذلك تسع سنين إلَى أن تداعَى إخوته بعصيانه ، وقد كان غرّبهم ونفاهم ، فرجعوا إليه فيمن قدروا من الناس والقائم بأمرهم شمرود بن هرصال ، فكانت بينه وبين السّاحرة حروب ، ثمّ غلب علَى أمسوس [4] دار الملك ، فكانت مدّة ملك فدرشان [5] إلَى أن ملك شمرود أربعًا وثمانين سنة .

(931)

فملكهم شمرود (وأيّد وقهرهم) [1] وغيّر معالم أخيه فدرشان وجعل [2] لمن ورد عليه [3] من ولده ما فعل هو بهم ، واحتجبت عنه الساحرة وابنها بسحرها فلم يقدر عليها ، واحتملت [4] هي وابنها إلَى مدينة كان السحرة يجتمعون بها في ذلك الزمان بناحية أنصنا ، فأقامت بينهم وعرّفتهم أنّ ابنها هو الملك وأنّ أباه قلّده ولا بدّ له من الغلبة والقهر . فصدّقتها جماعتهم وبنوا للغلام بنيانًا عظيمًا تحصّن به هو وأمّه ، وحصّنت الساحرة تلك المدينة وبنت عليها الطلسمات وأظهرت الأموال ودعت الناس إلَى ابنها ، فاستفحل أمرها وجيّشت الجيوش إلَى شمرود ، فكانت بينهم حروب وضروب من السّحر من التصادم في الهواء وإظهار النيران في الجو وغير ذلك ، وكانت الغلبة لها ، فتعلّق شمرود ببعض البلاد [5] هو وإخوته وظفرت هي بدار المملكة والجنّة الّتي كانت لهم ، وأجلست ابنها علَى سرير الملك .

---

930 4) م : أفسوس ـ 5) ر : ترسان ، م : ندهشان .

931 1) م : بأيد وقهرهم ، ر : وايد وقهر ـ 2) ر : وفعل ـ 3) سقطت من م ـ 4) ر : وتحملت ـ 5) ر : الجبال .

(932)

وكان اسمه تُسيدون [1] باسم الشمس ، ولم تزل في طلب شمرود إلَى أن ظفرت به ، فأمرت بشدّ رأسه باسطوانة ورجليه بأخرى . وكان طوله فيما تقول القبط عشرين ذراعًا ، فتزعم القبط أنّ السَّاحرة جعلته حجرًا ، وقيل أيضًا [2] إنّها كانت تجفّف منه عضوًا عضوًا حتّى جفّ كلّه . ووطأت [3] الملك لابنها وخرج كاهنًا عرّافًا [2] منجّمًا ، وجلبت إبليس وكان يسعَى في حوائجه وأكثر العجائب (عملت في وقته) [2] منها قبّة الزجاج الكرّية [4] الدائرة بدوران الفلك وفيها صور الكواكب الثابتة والنيّرة ودرجها ، فكانوا يأخذون الطالع منها ، وهذا من عمل الشياطين وغير ذلك ممّا لا نستجيز ذكره لخروجه عن المعقول .

(933)

وبعد ستّين سنة من ملكه ماتت الساحرة ، وقيل إنّها أمرت أن يُحمل جسدها تحت صنم القمر فتخبرهم بكلّ ما يسألونه عنه ، ففعلوا ذلك وكان كما قالت ، وعلّمت ابنها كثيرًا من علمها . ونكح ابنها أخته فولدت له ولدًا سمّاه سرياق [1] باسم أحد الأبالسة الّذين تجلّبتهم إليه [2] . ولمّا علم بحضور وفاته أمر أن يُعمل له صورة صنم من زجاج علَى شقّتين [3] (ويوضع في إحداهما ويطبق عليه الأخرى ويلحم بزجاج ولا يوضع علَى جسده غير لطوخ (؟) الموميا والعقاقير الممسكة) [2] ، وأن يوضع ذلك الصنم في الهيكل مع الأصنام القائمة الناطقة .

---

932 1) ر : تشديدون – 2) سقطت من ر – 3) ر : فيقا – 4) ر : الكورية .

933 1) عن ابن وصيف شاه 149 ، وفي م ر : شرناق – 2) سقطت من ر – 3) ر : شقين .

(934)

وملك ابنه سرباق وعمل عجائب ، منها أنّه عمل علَى كلّ مدينة من مدنه صورة بطّة من نحاس ، فإذا جاء الغريب ليدخل إليها صرخت تلك البطّة وسفقت بجناحيها ، فيُعلم أنّ غريبًا دخل فيطلب . وإنّما [1] فعل ذلك لأنّ بعض الملوك أراد غدره ، فظفر به سرباق وملكهم مائة وثلاث سنين .

(935)

ثمّ ملك أخوه شهلوق ، وهو الّذي رتّب [1] مراتب الناس وقسم ماء النيل أقسامًا ، (ورتّب علَى أهل كلّ صناعة رئيسًا) [2] ، (وأقام سحرة لقسم) [3] الطرقات على الوحش فلا يسلك بعضها طريق بعض ، وأقام لجميع أسباب الضرر طلسمات تدفعها ولم يترك شيئًا فيه خير وفضل إلاّ عمله . فلمّا تفرّغ من ذلك انفرد لجمع [4] العلوم وتخليدها في الكتب وكنز الكنوز ، وكنز خمسة وأربعين كنزًا . وملكهم مائة وتسع سنين .

(936)

ثمّ ملك ابنه سوريد [1] صاحب الأهرام ، وقد تقدّم ذكره .
وملك بعده أخوه هرجيت [2] ، وهو أوّل من كسا الحرمين [3] بألف ألف ثوب في عرض كثير وطول كبير إعظامًا لأبيه وأخيه ، وفي زمنه ابتدأ عقم [4] النساء لما تقارب من وقت [5] هلاك الأمّة .

---

934 1) م : وربّمـا .

935 1) م : بنى ورتب ـ 2) م : ورتب أهل كل صناعة وعليهم رئيس ـ 3) ر : وبلغ بسحره أنه يقسم ـ 4) م : بجميع .

936 1) م ر : شونرين ـ 2) عن ابن وصيف شاه 171 ، م : هرجيب ، ر : حيلب ـ 3) م : الصنمين ـ 4) ر : علم ـ 5) سقطت من ر .

(937)

وملك بعده ابنه مناوش ، فظلم وسفك الدماء واغتصب مائة وسبعين امرأة واستخرج كثيرًا من كنوز أبيه (1) ، فبنَى منها قصورًا ورصّعها (2) بالجوهر والياقوت (3) وعمل فيها بركًا صبّ فيها الجواهر وأرسل عليها المياه ، واستجهل من مضَى من أبائه ، (واستعبد الناس) (4) واستخفّ بالهيا كل . وفي زمنه كان فرناس الّذي كان يعدّ بألف رجل وحده (4) وكان يقاتل أمّة وحده (5) ، وكان من رجاله ، (وقد وفد عليه) (6) من بقية ولد آدم ، وكان يختطف الرجل بيده فيضرب به الجماعة فيقتلهم معًا . وأقام مناوش ملكًا ثلاثًا وثلاثين سنة .

(938)

وملك بعده أخوه أَفْرُوس (1) فترك الظلم وتحبّب إلَى الناس وعمل عجائب ، منها قبّة في الجنّة الّتي كانت لنقراوش (2) لطخها بلطوخات ، فإذا كان الليل اشتعلت نارًا ترى علَى البعد واتّقدت إلَى الصبح ، فإذا طلعت الشمس ارتفع ذلك الوقيد . وطلب النسل من ثلاثمائة امرأة فلم يقدر عليه لأنّ أرحام النساء عقمت . وفي وقته شاع خبر نوح عليه السلام وإنكاره للأصنام . وملك أربعًا وتسعين (3) سنة ولم يكن له ولد ولا أخ .

(939)

فارتضَى الناس من أهل بيت المملكة أرمالينوس (1) فشرك في أمره فرعان بن مسور (2) من بني عمّه ، وكان أحد الجبابرة (فرعان هذا) (3) ومن رؤساء

---

937 1) م : آبائه – 2) ر : ورصفها – 3) سقطت من م – 4) سقطت من ر – 5) من هنا يستأنف س – 6) س : وقد غلبه .

938 1) كذا في س ، ر : أفروش ، م : فروس – 2) في المخطوطات : لقدام – 3) س ر : وخمسين .

939 1) م : ارماليوس – 2) م: فسور – 3) سقطت من س .

السحرة ، فقهر له أعداءه وفتح البلاد ، فبعثت فيه امرأة من نساء الملك ووافقته علَى أن تقتل الملك بالسمّ ويلي فرعان الملك ففعلت .

(940)

وملك فرعان وتجبّر وعلا وقهر ، وأصل الفراعنة مشتقّ من اسمه . وكتب إلَى فرعان درمشيل [1] بن عويل الأكبر [2] يذكر له خبر نوح (أنّه قد ظهر) [3] ، فكتب إليه فرعان يشير عليه بقتله ، فهلك هو ودرمشيل في الطوفان ، (والله بغيبه أعلم) [3] .

ذكر أوّل من نزل مصر بعد الطوفان

(941)

وأوّل من نزلها [1] بعد الطوفان (مصريم بن بيصر) [2] بن حام بن نوح بدعوة سبقت له من جدّه . وروي عن ابن عبّاس أنّه قال : دعا نوح عليه السّلام لمصريم بن بيصر بن حام بن نوح ، وهو أبو القبط ، فقال : اللّهمّ بارك فيه وفي ذرّيته وأسكِنْه الأرض المباركة [3] الّتي هي أمّ البلاد وغوث العباد والّتي نهرها أفضل (أنهار الدّنيا) [4] ، واجعل فيها أفضل البركات وسَخِّرْ له ولولده الأرض وذلّلها لهم وقوّهم عليها .

---

940 1) م : دومنسيل ـ 2) م : بن مشبل الأكبر ـ 3) عن م .

941 1) س ر : نزل مصر ـ 2) م : مصر بن قيصر ، ر : مصرم بن نبصر ، س : مصريم بن ينصر ـ 3) ر : المقدسة المباركة ـ 4) م : الأنهار في الدنيا .

(942)

وكان السبب في نزوله إيّاها أنّ فيلمون [1] الكاهن سأل نوحًا عليه السلام أن يخلّصه [2] بأهله [3] وولده بعد أن صدّقه وآمن بالله . فلمّا انجلَى الطوفان قال له : يا نبيّ الله اجعل لي رفعة وقدرًا أذكر به بعدي . فزوّج نوح بيصر [4] بن حام من بنت فيلمون ، فولدت له ولدًا سمّاه فيلمون مصريم باسم جدّه . فلمّا أراد نوح قسمة الأرض بين بنيه قال له فيلمون : يا نبيّ الله إنّ بلدي أولَى الناس به ابني ، فابعثه [5] معي وأمضي به إليه وأظهره علَى كنوزه وأوقفه علَى علومه ورموزه . فأنفذه معه ومع جماعة من أهل بيته ذوي أيدٍ وقوّة ، فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع . وقيل إنّ عددهم كان ثلاثين رجلاً وبنوا مدينة سمّوها ماقة ، ومعنَى ماقة بلغتهم ثلاثون ، وهي منَف . وكشف فيلمون عن كنوز مصر وعلّمهم خطّ البرابي و (أبان لهم المعادن من الذهب) [6] والزبرجد والفيروزج وغير ذلك وأطلعهم علَى عمل الصنعة ، فجعل الملك أمرها إلَى رجل من أهل بيته يقال له مقيطام [7] ، فكان يعمل الكيمياء في الجبل الشرقي ، فسمّي به المقطّم . وتزوّج مصريم امرأة من بنات الكهنة ، فولدت له أربعة نفر منهم قفطيم [8] .

(943)

وإليه عهد بعد موته ، وأمره أن يحفر له تحت الأرض سربًا ويفرشه بالمرمر الأبيض ويجعل جسده فيه ويدفن معه جميع ما في خزائنه . فحفروا [1] له سربًا طوله مائة وخمسون [2] ذراعًا وجعلوا في وسطه مجلسًا مصفّحًا [3]

---

942 1) م : قلمون ، س : فلميون ـ 2) ر : يخصه ـ 3) سقطت من س ر ـ 4) في النسخ : قيصر ـ 5) م : فابعثهم ـ 6) ر : وأطلعهم على كنوز الذهب ـ 7) عن ابن وصيف شاه 181 ، م ر : ميقطام ، س : مقطام ـ 8) في النسخ : قيطيم .

943 1) ر : فحفر ـ 2) م : مائة وسبعون ـ 3) م : ملبسًا مصفحًا ـ

بصفائح الذهب ، له أربعة أبواب علَى كلّ باب تمثال من ذهب عليه تاج مرصّع بالجوهر ، جالس علَى كرسي من ذهب قوائمه من زبرجد ، ونقشوا في صدر كلّ تمثال آيات عظام واسمًا من أسماء الله تعالَى مانعة من أخذه . وجعلوا جسده في جرن [4] من زبرجد مصفّح بالذهب ورمزوا علَى مجلسه : مات مصريم بن بيصر بن حام بعد سبعمائة سنة مضت من أيّام الطوفان ومات ولم يعبد الأصنام إذ لا هرم ولا أسقام (ولا حزن ولا اهتمام) [5] وحصن مجلسه هذا بأسماء الله العظام لا يصل إليه إلاّ ملك ولد له سبعة ملوك يدين بدين الملك الديّان ويؤمن بالمبعوث بالقرآن الداعي إلَى الإيمان الطاهر في آخر الزمان . وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من (الزبرجد المخروط) [6] وألف تمثال من الجوهر النفيس وألف برنية مملوءة درًا من الدر الفاخر ، ووضعوا هناك الصنعة الإلاهية والعقاقير السرّية [7] والطلسمات العجيبة وأكوام سبائك الذهب بعضها علَى بعض ، وسقفوا [8] ذلك بالصخور العظام وجعلوا فوقها الرمال بين جبلين متقابلين بينهما [9] علامات .

(944)

وولي ابنه [1] قفطيم الملك بعده وأقباط [2] مصر بنوه ، وهو أوّل من عمل العجائب وشقّ الأنهار ولحق البلبلة وخرج منها بهذه اللغة القبطية ، وملكهم ثمانين سنة ، ودفن في سرب تحت الجبل الكبير الداخل وصفح بالمرمر وجعلت فيه (منافذ للريح ، فهي تتخرّق فيه بدويّ عظيم هائل وجعلت) [3] أكراس نحاس [4] مطلية بأدوية مشعّلة لا تطفأ أبدًا ، ولطخوا جسده بالمرّ والكافور والموميا ، وجعلوه في جرن من ذهب في ثياب منسوجة بالدرّ والمرجان ، وكشفوا عن وجهه ، والجرن تحت قبّة عظيمة علَى عمد مرمر

---

943 4) ر : خرق ـ 5) سقطت من س ـ 6) م : زبرجد مخروطة ـ 7) س : السّنية ـ 8) م : ورصعوا ر : ورصفوا ـ 9) ر : فيها .

944 1) سقطت من س ر ـ 2) في النسخ : وأنباط ـ 3) سقطت من س ـ 4) م ص : أكوا من نحاس ـ

ملوّنة ، (وفي وسط القبّة جوهرة معلّقة كالسراج المضيء ، وبين كلّ عمودين تمثال في يده أعجوبة ، وجعلوا حول الجرن توابيت مملوءة) [5] جوهرًا ودرًّا نفيسًا ومصاحف الحكمة [6] ، وسدّوا [7] علَى جميع ذلك الصخور والرصاص ورمزوا عليه كما رمزوا علَى ناووس أبيه .

(945)

وتولّى [1] بعده ابنه قفطويم ، وكان جبّارًا عظيم الخلق ، وفي أيامه هلكت عاد بالريح . وبقي ملكًا أربعمائة سنة ، وكان قد عمل لنفسه قبل موته سربًا تحت الأرض معقودًا علَى آزاج في الجبل الغربي قرب مدينة العمد ، ونقر تحت الجبل كهيئة الدار العظيمة ، وجعل تحت دورها خزائن واسعة منقورة ، وجعل في أعلاها مسارب الرّياح ، وبلطت جميع الدار بالمرمر . وجعل في وسط الدار مجلسًا مثمنًا ملوّنًا [2] مصفّحًا بالزجاج الملوّن والذهب ، وجعل في سقفه جوهرًا وحجارة تسرج ، وفي كلّ ركن من أركان المجلس تمثال ذهب بيده كالبوق الّذي يبوّق به ، وجعل تحت القبّة دكّة مصفّحة بالذهب (مطوّقة بالزبرجد ، وفرش فوق الدكّة فرش خزّ منسوج بالذهب) [3] ، وجعل جسده عليها بعد أن طلي بالأطلية المجفّفة وجعل حواليه آلات كافور مخروطة ، وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب ، ووجهه مكشوف وعلَى رأسه تاج مكلّل وعلَى صدره من فوق الثياب سيف صاعقي قائمه [4] زبرجد ، وعلَى جوانب الدكّة أربعة تماثيل مجوّفة [5] من زجاج مسبوك في صور النساء وألوانهنّ وبأيديهنّ كالمراوح من ذهب . وجعل في تلك الخزائن من الزبرجد والياقوت [3] والذهب المسبوك وفاخر الجوهر والدرّ وبرابي (؟) الحكمة [6] وأصناف العقاقير والطلسمات والمصاحف الحاوية لجميع العلوم ما لا يحصَى قدره كثرةً . وجعل علَى مدخل [7] كلّ أزج صورتين من نحاس

---

944 5) سقطت من ر – 6) م : الكهنة والحكمة – 7) ر : وشيّدوا ، م : وشدّوا .

945 1) م : وولي – 2) عن ر – 3) سقطت من ر – 4) م : قوائمه – 5) م س : مجوفات – 6) ر : الحكم – 7) ر : باب –

مشوّهتين بأيديهما سيفان كالبرق ، وقدّامهما بلاطة تحتها لوالب ، فمن وطئها ضرباه بسيفيهما فقتلاه (3) . وسدّت أبواب الآزاج بالأساطين المرصّعة ورصّوا (8) علَى سقف البلاط بالصخور (9) العظام وردموا فوقها الرمال ورمزوا علَى باب الأزج : هذا المدخل إلَى جسد الملك العظيم المهيب الكريم السيّد قفطويم ذي الأيد والفخر والغلبة والقهر ، فلا يصل أحد إليه ولا يقدر عليه أفل شخصه وجسمه (10) ، وبقي ذكره وعلمه .

(946)

ثمّ ملك بعده ابنه البودشير ، وهو الذي بعث هرمس المصري إلى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته (1) حتّى عمل له هناك هيكل التماثيل من النحاس وعدل البطيحة التي ينصبّ إليها ماء النيل ، وعدل جنبي النيل وقد كان يفيض وربّما انقطع في مواضع . والبودشير هو الّذي أمر بعمارة بلاد الواحات في المغرب وحوّل إليها جماعة من أهل بيته ، فعمروها . وكانت أرضًا واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة الكلأ والعشب ، وأقاموا كذلك مدّة وخالطهم البربر ونكح بعضهم في بعض ، ثمّ وقع بينهم تحاسد وبغي (وجرت لهم حروب) (2) ، فخرب البلد وباد أهله إلاّ بقيّة يسيرة .

وللبودشير في السحر عجائب سيأتي ذكر شيء منها بعد هذا إن شاء الله .

(947)

ثمّ ملك بعده ابنه عديم (1) ، وهو أوّل من صلب ، وذلك أنّ امرأة ورجلا زَنَيا فأمر بصلبهما على منارين بُنيا لهما ، وجعل ظهر كلّ واحد منهما إلى ظهر (2) صاحبه ، وزبر (3) على المنارين اسميهما وما فعلا وتأريخ الوقت الذي عملا

---

945 8) ر : ورصفوا ـ 9) بالصخور : عن ر ـ 10) م : وجسده .

946 1) م : منه ـ 2) م : وحدثت لذلك حروب .

947 1) م : رعديم ـ 2) سقطت من م ـ 3) ر : ورمز ـ

ذلك فيه ، فانتهى الناس عن الزنى . وناووس عديم هذا من أعاجيب الدنيا ، وهو في صحراء قفط على وجه الأرض ، قبّة عظيمة من زجاج أخضر قطرها مائة ذراع براق معقود على ثمانية آزاج ، وارتفاع القبّة في الهواء أربعون ذراعًا يخضرّ بخضرتها ما حولها من الأرض ، وعلى رأس القبّة طائر من ذهب منشور الجناحين موشّح بجوهر يمنع من الوصول إليها[4] وجسده في وسط القبّة على سرير من ذهب مشبّك ، وهو مكشوف الوجه عليه ثياب منسوجة بالذهب منظومة بالجوهر ، وفي جنبات القبّة مائة وسبعون مصحفاً من مصاحف الحكمة وسبع موائد عليها آوانيها ، منها مائدة من أدرك روماني أحمر وأوانيها منها ، ومنها مائدة ذهب فليموني تخطف الأبصار ، وهو الذهب الذي يعمل منه تيجان الملوك وآنيتها منها ، ومنها مائدة من حجر الشمس المضيء بآنيتها ، ومائدة من الزبرجد الذي يخالط لونه شعاع أصفر بآنيتها . وهذا الزبرجد إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها . ومائدة كبريت أحمر مدبّر[5] على ما ذكروه من تدبيره في مصاحف حكمتهم[6] بآنيتها ، ومائدة من[7] ملح أبيض برّاق يكاد نوره يخطف (الأبصار بآنيتها)[8] ومائدة من زئبق أحمر معقود)[8] ، وحافتاها وقوائمها من زئبق أصفر معقود وآنيتها (من زئبق أحمر معقود)[9]

(948)

وجعل في القبّة معه جواهر عظيمة وبرابي صنعة مدبّرة ، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وكاهنية ، وجعل معه تماثيل أفراس من ذهب عليها سروج من ذهب وعدّة[1] توابيت مملوءة من الدنانير[2] التي ضربها وصوّر عليها صورته . وقد ذكر من رأى القبّة وأقاموا عليها أيّامًا ، فما قدروا على الوصول

---

947 4) م : إليه ـ 5) م : مدبرة ـ 6) م : الحكمة ـ 7) سقطت من م ر ـ 8) سقطت من م س
9) م : منها .

948 1) م : وعنده ـ 2) م : مالاً دنانير ودراهم .

إليها وأنهم إذا قصدوها وكانوا على مقدار ثمانية أذرع منها دارت القبّة عن أيمانهم وشمائلهم وقد عاينوا ما فيها . ومن أعجب ما فيها أنّهم كانوا يحاذون آزاجها أزجًا أزجًا فلا يرون من أزج من الآزاج إلا مثل الذي يرون من الآخر على معنى واحد لا يختلف . وذكروا أنهم رأوا وجهه في قدر ذراع ونصف بالذراع الكبير ولحيته كبيرة وقدروا طول بدنه عشر أذرع وزيادة ورأوا بها عجائب عظيمة .

(949)

ثمّ ملك بعده[1] ابنه شدات[2] ، وهو أوّل من اتّخذ الجوارح للصيد وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب وعمل البيطرة وعلاجات الدوابّ ، واتّخذ من الطلسمات والمصانع[3] ما لا يحصى كثرة ، وجمع التماسيح بطلسم عمله لها في بركة بناحية أسيوط وكانت تنصبّ إليها من النيل انصبابًا ، فيقتلها ويستعمل جلودها في السفن وغيرها . وعمل صورة صنم قائم له إحليل ظاهر ، إذا أتاه المعقود والمسحور والمعترض ومن لا ينتشر فسحه بكلتا يديه أنعظ وذهب ما به . وعمل صورة بقرة لها ضرعان كبيران إذا مسحت عليها المرأة التي لا يدرّ لبنها (درّ لبنها لحينه)[4] . فأقام شدات تسعين سنة ملكا . وخرج يطرد صيدًا فأكبّه فرسه من وهدة فقتله . وكان قبل ذلك قد خالفه[5] بعض خدمه في أمر ، فألقاه من أعلى جبل إلى أسفله فتقطّع جسده[6] وندم على فعله ذلك ، فرأى[7] أنّه سيصيبه مثله . فكان يتوقّى أن يعلو[8] جبلاً أو شرفًا ، وأمر أن يجعل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه ويزبر[9] عليه : ليس ينبغي لذي القدرة أن يخرج عن الواجب ولا يفعل ما لا يجوز له فعله . هذا ناووس شدات الملك ، عمل ما لا يحلّ له فكوفيء عليه بمثله .

---

949 1) سقطت من م ـ 2) م : شداب ، ر : شذاث ـ 3) عن ر ـ 4) م : عاد اللبن ودرّ ـ 5) م : خالف عليه ـ 6) ر : جسمه ـ 7) م : فرأى في المنام ـ 8) ر : يصعد ـ 9) م : ويرسم ، ر : ويرمز .

(950)

ثمّ ملك بعده منقاوش[1] ابنه ، وهو الذي نشر الحكمة في الناس وبثّ[2] منها ما كان مكتومًا ، وأمر بنسخ مصاحفها بخطوط العامّة ليتعلّموها . وهو أوّل من عمل الحمّام من ملوك مصر ، ويقال إنّه[3] هو الذي بنى مدينة منف لبناته وكنّ ثلاثين بنتًا ، ورحلن إليها . وكان له عدّة من النساء من بنات عمّه وبنات الكهنة . وعمل تمثالا روحانيًا من صفر مذهب ، فكان لا يمرّ به زان ولا زانية إلا كشف عورته بيده . فكان الناس يمتحنون بذلك[4] ، فامتنعوا من الزنى . وبنى هيكلاً للسحرة على جبل القصير وقدّم عليهم رجلاً منهم ، وكانوا لا يطلقون الرياح للمراكب إلا بضريبة يأخذونها من أهلها . وكان إذا ركب عملوا بين يديه التخاييل الهائلة فتعجّب الناس من أعمالهم . وقسم خراج البلد أرباعًا ، وكان منتهاه حينئذ مائة ألف[5] ألف وثلاثة آلاف ألف ، فربع للملك خاصّة يصرفه فيما يشاء[6] ، وربع لأرزاق جنده ، وربع ينفقه في مصالح الأرضين والمدن وما يحتاج إليه من عمل جسور وحفر خليج وبناء آبار[7] وتقوية أهلها على العمارة ، وربع يكنز[8] ويدفن عدّة للملك . وهلك منقاوش بعد احدى وسبعين سنة من ملكه من طاعون أصابه ، وقيل سمّ في طعامه ، وعمل ناووسه في صحراء المغرب .

(951)

ثمّ ملك بعده ابنه مناوش ، وهو أوّل من عبد البقر ، وذكروا أنّ السبب في ذلك أنه كان اعتلّ علّة يئس فيها من نفسه[1] ، وأنه رأى في منامه صورة روحانيّ عظيم يخاطبه ويقول له : لا يخرجك من علّتك إلاّ عبادتك للبقر لأنّ الطالع كان عند حلولها به[2] في صورة ثور بقرنين . فأمر بأخذ (ثور

---

950 1) س ر : مقناوش ـ 2) ر : وبعث ـ 3) سقطت من م ـ 4) عن ر ـ 5) ر : مائتي ألف ـ 6) م : شاء ـ 7) ر : آثار ـ 8) ر : يكثر .

951 1) م : منه ـ 2) م : بك ـ

أبلق)[3] حسن الصورة ، وعمل له مجلسا في قصره عليه قبّة مذهّبة[4] ووكّل به سادنًا ، وكان يبخّره ويطيّبه ويتعبّد له سرًّا من أهل مملكته . فبرىء من علّته وعاد الى أحسن أحواله .

(952)

وقال آخرون إن السبب في ذلك أنه كان أوّل من عملت له العجل ورصعت بالذهب وعملت له عليها قباب من خشب وفرشت بفاخر الفرش ، وكانت البقر تجرّه ، فإذا مرّ بالمكان النزه أقام فيه ، وإن[1] مرّ بالمكان الخرب أمر بعمارته ، وقيل إنه نظر إلى ثور من البقر التي كانت تجره أبلق حسن الشبه ، فأمر بترفيهه وسوقه بين يديه ، وجعل عليه حللا[2] من فاخر الديباج ، فتفرّد به يوما ينظر إليه ، فبينا هو قائم بين يديه إذ خاطبه الثور فقال : لو رفهني الملك كفيتُه جميع ما يريد وعاونته على أموره[3] وقوّيتُه على ملكه وأزلت عنه جميع علله . فارتاع الملك[4] لذلك وأمر به حينئذ[5] أن يُغسل ويطيّب ويدخل الهيكل ، وأمر بعبادته ، فأقام ذلك الثور يعبد مدّة وكانت فيه آية : لا يروث ولا يبول ولا يأكل إلا أطراف ورق الشجر في كل شهر مرّة . فافتتن الناس به وصار ذلك أصلاً لعبادة البقر .

(953)

ثم إن ذلك الثور بعد مدة[1] من عبادته أمرهم أن يعملوا صورته من ذهب أجوف وتؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن لحا قرونه شيء ومن أظلافه وتجعل في ذلك التمثال ، وعرّفهم أنه يلحق بعالمه ، وأمرهم أن يجعلوا جسده

---

951 3) م : الثور وكان ثور أبلق ــ 4) ر : ذهب .

952 1) س ر : وإذا ــ 2) ر : جلالاً ــ 3) ر : أمره ــ 4) سقطت من س ر ــ 5) سقطت من م .

953 1) م : بعد ذلك وبعد مدّة ــ

في جرن من حجارة وينصب في الهيكل وينصب تمثاله عليه ، ويكون ذلك وزحل في شرفه والشمس مسعودة تنظر إليه من تثليث والقمر زائد ، وتنقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ، ففعلوا ذلك[2] . وعملت صورة الثور من ذهب وكلّلت بأصناف الجواهر وصنعوا سائر[2] ما أمرهم به في الوقت الذي حدّه لهم . فكانت تلك الصورة تخبرهم بالعجائب وما يحدث وقتا وقتا وتجيبهم عن جميع ما يسألونه ، وعظم أمر ذلك التمثال ونذرت له النذور وقربت له القرابين وقصده الناس من الآفاق ، وكان يخبرهم بما يريدون .

(954)

وبنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس ، وقد جاز بها قوم ضلّوا الطريق ، فسمعوا بها عزيف الجنّ . ورأوا ضوء نيرانهم . وأقام مناوش ملكا تسعا وثلاثين سنة وعهد إلى ابنه مرنيش ، وكان مضعفا لم يعمل في وقته أعجوبة ، وبقي ملكا احدى عشرة سنة .

(955)

وانتقل الملك إلى أشمون بن قفطيم أخي قفطويم ، وكان ينزل الأشمونين[1] سمّاها باسمه ، وكان طولها اثني عشر ميلاً في مثلها ، ونقل إليها أهله وولده . وهو اتّخذ الملاعب بأنصنا ، وبنى البهنسا وغيرها من المدن وأكثر فيها[2] من العجائب . والقبط تقول إنه أكثر ملوكهم أعجوبة وسحرا وأطول ملوكهم مدّة ، ملك ثمانمائة سنة (وثلاثين سنة)[3] ، وانتزع قوم عاد الملك منه بعد ستمائة سنة[4] (من ملكه)[5] ، فاستوبؤوا[6] بلده وانتقلوا الى الدثنية من

953 2) سقطت من م .

955 1) م س : إلى الأشمونين ـ 2) م : ما فيها ـ 3) من م ـ 4) س : مائة سنة ـ 5) سقطت من م ر ـ 6) م : فاستحوبي ؟ ـ

طريق الحجاز الى وادي القرى ، فعمّروها واتخذوا بها المنازل ، فسلّط الله[7] عليهم الذرّ فأهلكتهم . فعاد ملك مصر الى أشمون وبنى مدينة في المشرق في سفح الجبل سماها أوطيراطيس وجعل لها أربعة أبواب على كلّ باب منها[8] طلسم ، وأسكنها الروحانيين بسحره ، فكانت تنطق إذا قصدها القاصد وتخبره بما يريد ولا يقدر على الدخول إليها إلاّ بإذن الموكّلين بها . وجعل فيها شجرة يطلع فيها كلّ لون من الفاكهة ، ومنارًا في وسطها طوله ثمانون ذراعا على رأسه[9] قبّة تتلون كل يوم لونا حتّى تمضي سبعة أيام ، ثم تعود الى اللون الأول ، فتكسو المدينة تلك الألوان . وأسكنها السحرة وكانت تعرف بمدينة السحرة ــ (وهي معنى أوطيراطس)[10] ــ ومنها كانت تخرج أصناف السحر . وهو أول من عمل النيروز إكراما للكواكب ، ودفن في احد الأهرام الصغار القبلية .

(956)

وملك بعده ابنه أشاد ، وكان جبّارا معجبا ، أكثر همه اللهو واللعب والنساء ، فجمع كل ممّله وقصده من الأقطار كل من هذه سبيله ، ورفض العلوم والهياكل والكهنة ، وملك خمسا وسبعين سنة .

(957)

وملك بعده ابنه صاه . وبعض القبط يزعم أن صاه ابن مرقونيس[1] أخي أشاد ، فنفى الملهين وردّ الكهنة إلى مراتبهم ، وهو بنى أكثر مدينة[2] منف ، وبنى في أقصى الواحات مدينة جعل طول سورها[3] في الارتفاع خمسين ذراعا وأودعها أموالا وحكما كثيرة ، وهي التي وقع عليها[4] موسى بن نصير

---

955 7) سقطت من س ر ــ 8) ر : فيه ــ 9) م : وعلى رأسها ــ 10) سقطت من ر .

957 1) س : مرقونش ــ 2) سقطت من س ر ــ 3) م : طولها ــ 4) ر : إليها ــ

في زمن بني أمية وغلب عليها الرمال ، (وكانت تحت الأرض)[5] . وكانت مدة حياته وسنّه ست مائة سنة[6] وسبعين سنة ، وناووسه في وسط منف تحت الارض والمدخل إليه من خارج المدينة (في غربيّها)[7] ، وكان فيه أربعة آلاف تمثال من ذهب مختلفة الصور بريّة وبحرية وأموال عظيمة وجوهر كثير .

(958)

وعهد الى ابنه ندراس[1] ، وكان محكما بحريا ذا أيد وقوة ، وبنى غربي منف بيتا عظيما للزهرة (رمز[2] فيه العلوم وكساه الحرير وعمل له عيدا عظيما ، وكان صنم الزهرة)[3] من لازورد مذهب متوّج بذهب يلوح ، وسوّره بسواري زبرجد أخضر ، وكان في صورة امرأة لها ضفيرتان[4] من ذهب أسود مدبّر ، وفي رجليها خلخلان من حجر أحمر شفاف[5] ونعلان من ذهب ، وفي يدها قضيب مرجان ، وهي تشير بيدها كالمُسلّمة على من في الهيكل . وحذاءها مطهرة من أخلاط الأجساد على عمود من مرمر مجزّع ، وفي المطهرة ماء مدبر للزهرة[6] يستشفى به من كلّ داء ، وجعل فيه كراسي الكهنة مصفّحة بالذهب والفضّة ، وكان يقرّب له ألف رأس من الضأن[7] والوحش والطير . وكان في قبّة منه صورة زحل[8] راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها رأس إنسان معلّق . وبقي هذا الهيكل إلى زمان بخت نصر وهو الذي هدمه . وعلى رأس ثلاثين سنة من ملكه طمع الزنج والنوبة في أرضه ، فخرجوا إليها[9] وعاثوا فيها ، فجمع الجيوش وغزاهم في البرّ ثلاثمائة ألف وفي البحر ثلاثمائة سفينة ، (في كلّ سفينة)[3] كاهن وساحر يعمل أعجوبة (من عجائب السحر)[10] ، فلقوا جيوش السودان في زهاء ألف ألف ، فهزموهم وقتلوهم (أقبح قتل)[11] وأسّروا منهم خلقا كثيرا عظيما .

---

957 5) من ر ـ 6) م : مائة سنة ـ 7) سقطت من م .

958 1) ر : مدراس ، م : أناراس ـ 2) ر : زبر ـ 3) سقطت من س ـ 4) ر : ظفيرتان ـ 5) سقطت من م ـ 6) ر : فالزهرة ـ 7) س ر : الضأن والبقر ـ 8) سقطت من ر ـ 9) ر : إليه ـ 10) سقطت من ر ، س : من العجائب ـ 11) س : أبرح قتل ، ر : أبرح .

(959)

ثم ملك بعده ماليق[1] بن ندراس وكان موحّدا على دين قفطيم ومصريم ، وكانت القبط تذمه[2] لذلك ، وكانت عبادتهم للكواكب والبقر . وكان يستعمل[3] الغزو والجولان في البلاد ليغيب عن أهل مصر ، وزعم بعض أهل مصر أن الله آيده بملَك من الملائكة يعضده ويرشده ، وربما أتاه في نومه فأخبره ونهاه وأمره ، وهو جمع الجيوش واتّخذ في بحر المغرب أربعمائة سفينة ، وغزا جموع[4] البربر برًا وبحرًا فهزمهم واستأصل أكثرهم ، وبلغ إلى إفريقية وقتل أكثر أهلها وسار منها[5] . وكان لا يمرّ بأمّة إلاّ أبادها الى أن غزا من ناحية الأندلس يريد إفرنجة ، وكان بها ملك عظيم يقال له أرقيوش[6] ، فحشد عليه أمما نواحيه وأقام يحاربه شهرا ، ثم طلب سلمه وأهدى إليه هدايا كثيرة فسار عنه . ودوّخ الأمم المتصلة بالبحر الأخضر وأطاعه أكثرها ، وعمل أعلاما على البحر زبر عليها اسمه وخرب مدن البربر حيث كانت وألجأهم الى ذرى الجبال ورجع[7] ، فتلقاه أهل مصر بصنوف اللهو والطيب والرياحين[7] وفرشت له الطرقات ، ودخل قصره موفورا . وأمر أن يعمل له ناووس ، فكان[8] يحضره ويتعبد فيه ، وأمر أن لا يدفن معه ذهب ولا جوهر ، فلم يدفن معه سوى الطيب وصفيحة مكتوبة بخطّه فيها : هذا ناووس الملك ماليق ، مات مؤمنا بالله لا يعبد معه[9] غيره بريئًا من الأصنام وعبادتها ، مؤمنا بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال ، فمن أحب النجاة من عذاب الآخرة فليدِنْ بما دان به .

(960)

واستخلف بعده ابنه حربيا ، وقد شرح له التوحيد وأمره أن يدين به ونهاه عن عبادة الأصنام ، وكان معه على ذلك في حياته ، ثمّ رجع عنه بعد وفاته الى

---

959 1) م : مالق ـ 2) س : تدب ـ 3) ر : يعمل ـ 4) ر : جميع ـ 5) سقطت من س ـ 6) ر : أبرقوش ـ 7) سقطت من ر ـ 8) ر : في مكان ـ 9) سقطت من م .

دينهم . وكان سبب رجوعه الى عبادة الأصنام أن أمه كانت من بنات كبير من الكهان نقلته بعد موت أبيه الى دينها ، وكان ليّنا سهل الخلق محبباً . وكان ملك من ملوك الهند يقال له مسور[1] خرج على عهد حريبا ، فعمل حريبا مائة سفينة (على سفن الهند)[2] وتجهّز[3] . وحمل امرأته معه ، وكانت من بنات عمّه قد غلبت عليه وهام بها بسجر قهرمانة كانت له[4] ، وكانت تسمى أسيوط ، ساحرة لا تطاق ، (وكانت أوحشت ما بين الملك وأمه لتستبدّ امرأته به ، فآلى في غزوته أن ينصرف في البلاد ولا يرجع إلى مصر أو تموت أمه)[2] . ففعل ذلك ، وغزا بلاد الهند ، واستخلف على مصر ابنه كلكلن[5] وجعل معه وزيرا من الكهان يقال له ويسموس[6] ، فخرج ومرّ على ساحل اليمن[7] وعاث في سواحله وبلغ سرنديب ، فأوقع بأهلها وغنم منها أموالا عظيمة ، وحمل معه حكيما لهم ، وكان لا يأخذ مدينة إلا أقام بها صنما وزبر عليه اسمه ومسيره ووقت أخذه لذلك الموضع .

(961)

وجعل ينتقل في تلك الجزائر عدّة سنين ، ويقال إنه أقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع الى مصر غانما[1] موفورا بعد ان هلكت أمه . وهابته الملوك ، وبنى عدة هياكل وأقام بها اصناما (للكواكب لأنها هي التي أيدته في سفره بزعمه . وأظهر الحكيم الذي حمل من الهند بمصر)[2] عجائب مشهورة ، وحمل معه صنمين (من أصنام الهند)[3] من الذهب مرصعين بالجوهر ونصبهما في بعض الهياكل ، وكان حكيم الهند يقوم بهما ويخدمهما ويقرب لهما على رسمه[4] ، وكان يخبرهم بما يريدونه منهما . وغزا حريبا الشام ، فأدّى اليه أهلها الطاعة ، وأخاف النوبة والسودان فصالحوه على خراج يحملونه اليه . وأقام في ملكه خمسا وسبعين سنة وعمل لنفسه في صحراء الغرب[5] ناووسًا على نحو ما تقدم ذكره من نواويس آبائه .

---

960 1) س ر : أسور – 2) سقطت من ر – 3) ر : وغزا بها بلاد الهند – 4) م : لها – 5) م س : كلكن – 6) م : وقوش – 7) م : البحر .

961 1) م : عالمًا – 2) سقطت من ر – 3) سقطت من م – 4) م : رأسه – 5) م : المغرب .

(962)

وملك بعده ابنه كلكلن [1] فعقد تاج الملك على رأسه بالأسكندرية بعد موت أبيه وأقام بها شهرا ورجع الى منف . وكان يحب الحكمة وإظهار العجائب وتقرّب أهلها ، ولم يزل يعمل الكيمياء طول ملكه ، فخزن أموالا عظيمة واستغنى أهل ذلك الزمان عن معادن الذهب ، (فلم يثيروها) [2] ولم يكن الذهب قطّ أكثر منه في وقته . وكان يطرح المثقال الواحد على القناطير الكثيرة فيصبغها . وتحكي القبط عنه أنه اخترع أشياء تخرج عن العقل حتى كانوا يسمونه حكيم الملوك ، وغلب على جميع الكهنة في علومهم حتى كان يخبرهم بما يغيب عنهم ، فخافوه واحتاجوا الى علمه .

(963)

وفي وقته كان نمرود إبراهيم عليه السلام . وكان جبارا مشوّه الخلق يسكن سراة العراق ، وكان قد أوتي قوة وبطشا فغلب على أكثر الأرض ، فاستزار النمرود كلكلن فوجه اليه كلكلن أن يلقاه منفردا عن أهله وحشمه بموضع كذا ، فسار النمرود الى الموضع [1] الذي ذكره ، فأقبل كلكلن تحمله أربعة أفراس ذوات أجنحة ، وقد أحاط به (نور كالنار) [2] وصور مهيبة قد خيل بها ، وهو متوشح تنّينًا عظيما والتنّين فاغر فاه ، ومعه قضيب آس ، فكلما رفع التنّين رأسه ضربه بالقضيب . فلما رآه النمرود هاله أمره واعترف له بجليل حكمته وسأله أن يكون له ظهيرا .

---

962 (1) س م : كلكن _ (2) سقطت من م .

963 (1) س : ذلك الموضع _ (2) م : النور كأنّه النار .

(964)

فزعم القبط أن كلكلن كان يجلس على الهرم الغربي في قبّة تلوح على رأسه ويجتمع أهله وحشمه ورعيته حول الهرم ، ويزعمون أنه أقام على رأس الهرم أياما لا يأكل ولا يشرب ، واستتر عنهم مدة حتى توهموا أنه هلك ، وهابته الكهنة هيبة لم تهبها أحدا[1] قبله حتى صوّرته[2] في هياكلهم . وبنى في آخر زمانه هيكلا لزحل من صوان أسود وجعل له عيدا[3] ، وجعل في وسطه ناووسه وحمل اليه ما أراد من الذهب والجوهر والحكم . وعرّفهم بموته[4] ، وجعل على الناووس[5] طلسمات مانعة وغاب عنهم فلم يقفوا على شيء من أمره (ولا عرفوا موته)[6] .

(965)

وعهد الى اخيه ماليا ، وكان همه في الأكل والشرب والرفاهية غير ناظر في شيء من الحكمة ، وإنما استقام له الأمر مدة كونه فيهم لهيبة أخيه كلكلن وتقديرهم أنه لم يمت . وكان أكبر بنيه يقال له طوطيس[1] ، وكان يستجهل أباه ، فأعمل الحيلة في قتله وحملته على ذلك أمه وبعض وزراء أبيه[2] ، فهجم على أبيه[3] في رواقه وهو سكران ، فقتله وقتل معه امرأة كانت له[4] من بنات ملوك منف كانت قد غلبت عليه ، وحمته[5] النساء فقتلها وصلبها ، ثم جلس على سرير الملك ، وكان جبارا جريئا شديد البأس مهيبا ، والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر وأنه فرعون ابراهيم عليه السلام وأن الفراعنة سبعة هو أولهم . واستخف بأمر الهياكل والكهنة . وكان ابراهيم عليه السلام من كوثى من سواد العراق ، فلما هرب من النمرود حذر إن أقام

---

964 1) م : لأحد ــ 2) س ر : صورره ــ 3) م : عيداً ــ 4) م : موته ــ 5) م : الناس ــ 6) سقطت من ر ، س : وحال موته .

965 1) م س : طرطيس ، ر : طوسيس ــ 2) م : أخيه ــ 3) م : أخيه ــ 4) سقطت من م ــ 5) م : وحمه ــ

بالشام أن يلحقه قومه فيردوه الى النمرود ، فاستمر الى مصر فجرى له ما هو مذكور عند ذكر إبراهيم ، (وأخدم سارة بهاجر)[6] .

(966)

وإنما سمي فرعون لأنه أكثر القتل حتى قتل قرابته[1] وأهل بيته وخدمه ونساءه وكثيرا من (الكهنة والحكماء)[2] ، وكان حريصا على الولد ، فلم يرزق غير ابنته حوريا ، وكانت تسدده كثيرا وتمنعه من أمور[3] سوء يريدها ، فلما رأت أمره يزداد فسادا خافت على زوال ملكهم فسمته بعد أن ملكهم سبعين سنة[4] .

(967)

وتنازعوا تمليكها . ثم اجتمعوا عليها الا أهل مدينة أبريت[1] ، فانهم ملّكوا عليهم رجلا من ولد أبريت بن مصريم بن بيصر بن حام الذي سميت به المدينة يقال له أنداحس[2] ، وجرت بينهم حروب كانت الدائرة فيها على أنداحس ، ففرّ[3] الى الشام وبها الكنعانيون من ولد عمليق ، فاستغاث بملكهم وأخبره بأمره وقرّب عليه أمر مصر وسهّل تصييرها اليه ، فجهز معه جيشا عظيما الى مصر واستقود عليه رجلا يقال له جيرون[4] . (فلما[5] قرب من مصر بعثت حوريا ظئرا لها الى جيرون)[6] (تستجلبه وتظهر الميل اليه والمحبة فيه وأنها داخلة في طاعته)[7] ، (تعرفه وصيّتها بتزويجها لأنها لا تختار أحدا من أهل بيتها وأنها إن قتل أنداحس تزوجت وصيرت اليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه)[8] . (فلما بلغ ذلك جيرون سرّ سرورا عظيما ورغب فيه وسمّ أنداحس بسمّ أنفذته اليه فقتله)[9] .

---

965 6) ر : من أخذ سارة لهاجر وغيره ، فأجرى عليه .

960 1) ر : قربانه ــ 2) س : السّحرة والكهان ــ 3) ر : آمر ــ 4) س ر : عامًا .

967 1) م : اتريب ــ 2) ر : ابراخس ــ 3) م : فرّ ــ 4) م : حرون ــ 5) من هنا النص غامض في جميع المخطوطات ، فاستخرجنا منها نصًا مقبولاً ــ 6) سقطت من ر ــ 7) عن ر ــ 8) عن س ــ 9) عن س ر .

(968)

فبعثت اليه أنه لا يجوز لي أن اتزوجك حتى تظهر في بلدي قوتك وحكمتك وتبني لي مدينة عجيبة أدخل عليك بها، فإني أكره أن أدخل عليك في مدينتي وبين أهلي وأهل بلدي، وان مدينة حصينة كانت لأوائلنا قد خربت، فاقصد موضعها واظهر حكمتك فيها. فمضى وجدّ في عمل الإسكندرية، وبعث اليه مائة ألف ألف عامل[1]، فأقام في بنائها مدة وأنفق جميع ما كان معه من الأموال. فلما فرغ من بينان المدينة وجه اليها يعلمها ويحثها على القدوم اليه. فوجهت اليه (فرشا فاخرة)[2] وآلات عجيبة وقالت : اقسم جيشك أثلاثا وانفذ الي ثلثا حتى اذا بلغت ثلث الطريق فانفذ الثلث الثاني، فاذا بلغت نصف الطريق فانفذ الثلث الثالث[3]، فيكون من ورائي لئلا يراني أحد. فاذا دخلت اليك فلا يكون عندك الا صبية يخدمونك[4]. ثم أقامت تنفذ اليه الجهاز والأموال حتى علم مسيرها، فوجه اليها ثلث جيشه. فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة. فلما لقوها استنزلهم حشمها وأقبلوا اليهم[5] بالأطعمة والأشربة والطيب المسموم، فلم تصبح منهم عين تطرف. فسارت ثم فعلت بالثلث الثاني كذلك، ثم بالثلث الثالث كذلك.

(969)

وهي توجّه اليه : انما أنفذت الجيش الى مصر[1] يحفظونها، الى ان دخلت اليه[2] هي وظئرها وجوار كنّ معها. فارتعدت مفاصله وخدرت قواه ولم يملك من نفسه شيئا فقال : من ظن أنه يغلب النساء فقد كذب نفسه، ثم فصدت عروقه وأسالت دمه حتى مات نزفا وقالت : دماء الملوك شفاء. وأخذت رأسه فوجهت به[3] الى قصرها فنصبته عليه وحملت (بيوت

---

968 1) س : فاعل – 2) م : فراشًا فاخرًا – 3) سقطت من م، س : الباقي – 4) ر : تخدمك – 5) ر : عليهم.

969 1) س : لمصر – 2) م : إليها – 3) م : فوجهته –

الأموال)[4] الى منف، وبنت منار الإسكندرية وزبرت عليه اسمها واسمه وما فعلت به[5] وتأريخ الوقت[6]

(970)

ولما اتصل خبرها بالملوك الذين يتاخمون بلدها هابوها، وأقطعت أهل بيتها وقوادها وحشمها أقطاعا كثيرة، وبنت حصنا على حدّ مصر من ناحية النوبة وأجرت ماء النيل اليه تحت قنطرة. واعتلّت حوريا ولم يكن في زمانها أحد من ولد أبيها ولا أهل بيتها يصلح[1] للمُلْك، فقلدت المُلْك ابنة عمها دليقة بنت فاقوم ودفعت اليها مفاتيح خزائن الأمول وأطلعتها على مواضع الكنوز وأماكن الخبايا وهلكت من علّتها.

(971)

فخرج على دليقة (أيمين الأتريبي)[1] يطلب ثأر خاله انداحس، فاستنصر بملك العمالقة صاحب الشام، فجدّ في نصره لفعل حوريا بقائده، وجرت بينه وبين دليقة حروب كثيرة وأخبار طويلة كان الظهور فيها لأيمين (لأجل ساحر)[2] كان معهم من أهل قفط (لا يقوم له أحد)[3] غلب بسحره دليقة. فكان أصحاب دليقة إذا هرب أصحاب أيمين أظهر بسحره نارا تحول بينهم وبين أصحاب دليقة، وتسمع أصوات تفزع القلوب وتؤلم الأسماع. فلما أيقنت دليقة بالغلبة – وقد حسرها أيمين بقوص – سمّت نفسها فهلكت.

---

969 4) ر : بيت المال ـ 5) سقطت من م ـ 6) م : القصر.

970 1) ر : يصلحون.

971 1) عن ابن وصيف شاه 240 ، ر : كيمين الأبرمي ، س : ايمين الابويلس ، م : اقين الأقرلشي ـ 2) ر : لساحر ـ 3) من ر.

(972)

ثم ان أمير العمالقة غلب على مملكة مصر، وهو الوليد بن دومع العملقي، وأباد الامم حتى بلغ جبل القمر (الذي ينبعث النيل منه، وانما سمي جبل القمر)[1] لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج عن خط الاستواء، وبلغ هيكل الشمس فدخله وبلغ أرض الذهب، وهو [2] قضبان نابتة، وهي[3] آخر بلاد علوة. واستعبد الوليد القبط وملكهم مائة وعشرين سنة. وركب في بعض الأيام متصيّدًا، فوقص[4] به فرسه فقتله، ودفن في بعض الأهرام[5].

(973)

وملك ابنه الريان بن الوليد، وهو فرعون يوسف عليه السلام، والقبط تسميه نقراوش، وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا محسنا الى الناس، أسقط عنهم الخراج ثلاث سنين وفتح الخزائن وفرّق أكثر ما فيها على الناس، فأحبّوه وشكروا أيامه[1]، إلا أنه مال الى الراحات وغلبت عليه اللذات، وملك أمر الناس رجلا من أولاد الوزراء من أهل بيته يقال له أطفير[2]، وهو الذي يسميه اهل الأثر العزيز. وكان عاقلا حصيف[3] الرأي نزيه النفس مؤثرا للعدل، وأمر أن ينصب له في قصره سرير من فضة يجلس عليه ويكون الكتّاب وجميع[4] الوزراء بين يديه. فكفى نقراوش أحسن كفاية وقام بجميع أموره، ونقراوش غير ناظر في شيء من أمور الناس. وقد عملت له مجالس الزجاج الملون والبلّور المصبوغ، وأرسل (حولها المياه)[5] ووضع فيها السمك، وكان إذا وقعت عليه الشمس أرسل شعاعا عجيبا يبهر[6] العيون. وعملت له

---

972 1) سقطت من م ـ 2) م : وهي ـ 3) س : وهو ـ 4) س : فرقص ـ 5) س ر : بعض تلك الأهرام .

973 1) س ر : وشكروه ـ 2) س : اطفين ـ 3) م : نظيف ـ 4) سقطت من م ـ 5) م : جرية الماء ، س : حولها الماء ـ 6) س : فبهر ، سقطت من ر ـ

عدة متنزّهات على عدد أيام السنة ينتقل كل يوم الى متنزه منها معلوم اليوم. (ثم يعود الدور في اول السنة الثانية تمّ عددها)[7]. وفي كل موضع منها من الفرش والآنية ما ليس في غيره.

(974)

فلما اشتغل عن أمور الناس (واتصل نزهه)[1] طمع فيه ملوك النواحي، فقصده رجل من ملوك العمالقة يقال له علكن بن شجوم[2] ويكنى أبا قابوس. فأنفذ اليه العزيز جيشا فأقام يحاربه ثلاث سنين، ثم كان الظفر للعملقي. فدخل حدود مصر وعاث في أرضها وهدم مصانع كثيرة. فضج أهل مصر (واجتمعوا الى قصر الملك، فسمع ضوضاءهم وسأل عن شأنهم، فأخبر بأمر العملقي وما انتهى اليه حاله وأنه قاصد قصر الملك)[3]. فارتاع لذلك الريان واستيقظ من غفلته وانتبه من سِنَته، فعرض جيشه وأصلح أمره وخرج الى العملقي (في سبعمائة الف مقاتل سوى الأتباع. فالتقوا من وراء الأجواف في تلك الصحراء، فاقتتلوا قتالا شديدا)[3]، (وانهزم العملقي)[4] واتبعه نقراوش الى حدود الشام وقتل في أصحابه (وأسر، وقيل إنه بلغ)[5] الى الموصل[6] وضرب على أهل الشام خرجا. ثم انصرف واستعد لغزو ملوك المغرب[7] فخرج في تسعمائة ألف[8] واتصل بالملوك خبره. فمنهم من تنحّى عن طريقه ومنهم من دخل تحت طاعته. فأتى إفريقية وقرطاجنة فصالحوه[9] على شيء يؤدونه اليه، ومر حتى بلغ مصبَّ البحر الأخضر[10] الى بحر الروم، وهو موضع أصنام النحاس، وأقام هنالك صنما[11] وزبر عليه اسمه.

---

973 7) م: واليوم الذي يعود فيه الدور من السنة الثانية تمّ عددها.

974 1) م: واطلع تنزهه - 2) س ر: بنحوم - 3) سقطت من ر - 4) س ر: فهزمه - 5) م: وبلغ - 6) س: أرض الموصل - 7) م: الروم والمغرب - 8) س: سبعمائة ألف - 9) م س: فصالحهم - 10) م: الأسود والأخضر - 11) سقطت من س.

(975)

وضرب على أهل تلك النواحي خرجا وعبر الى الأرض الكبيرة وإفرنجة والأندلس، وصاحبها لذريق الأصغر، فحاربه وقتل من أصحابه جماعة وصالحه على ذهب مضروب عليهم. وانصرف راجعا وجاز[1] حتى عبر البحر مشرقا، فشق بلاد البربر، (فلم يمر بموضع إلا أهدوا اليه ودخلوا في طاعته ولا بأمة إلاّ أثر فيها الى ان بلغ بلاد النوبة، فصالحهم على مال يحملونه اليه، ثم أتى)[2] دمقلة[3]. فأقام بها علما[4] وزبر عليه اسمه، ثم انصرف الى منف، فهنالك تلقاه جميع أهل طاعته مع العزيز بأصناف الرياحين والطيب والملاهي[2] والهدايا، وأقام هناك مع الناس يأكلون ويشربون أياما كثيرة في مصانع أعدها له العزيز من الزجاج الملون مفروشة (بالفرش المذهبة)[5] قد غرس حولها جميع الرياحين (والأشجار الطيبة)[6].

(976)

وفي أيامه كان من أمر يوسف عليه السلام ما كان وخبره مع امرأة العزيز هذا، وهي زليخا ابنة صاحب عين شمس. ثم تزوجها يوسف صلعم[1] بعد ذلك. وقيل إنّ نقراوش آمن بيوسف وكتم إيمانه خوفا من فساد ملكه. وهو الذي امتحن يوسف ليعلم مبلغ علمه، فأمره بعمل الفيوم لابنته وكانت مغايض ماء النيل، والنيل لا يجري حينئذ، فأقامها وبنى اللهون وأتى بتلك الحكمة[2] المعجزة والآية البيّنة في أربعة أشهر، وقيل في سبعين يوما، وشقّ تلك الخلج الثلاثة وكان ذلك ابتداء جري النيل. فلما نظر اليه الملك قال لوزرائه : هذا عمل ألف[3] يوم. فسميت الفيوم. ذكر ذلك عبد الرحمان (بن عبد الله)[4] بن الحكم عن هشام بن إسحاق.

---

975 1) س : وصار، سقطت من م ـ 2) سقطت من س ـ 3) م ر : دملقة ـ 4) ر : صنمًا ـ 5) ر : بالذهب ـ 6) ر : وأشجار والطيب.

976 1) من م : 2) سقطت من ر ـ 3) ر : ألفي ـ 4) سقطت من م.

(977)

فهلك الريان فاستخلف ابنه دريموس[1]، وهو فرعون الرابع ويسميه أهل الأثر دارم. وكان يوسف صلعم[2] خليفته، أمره بذلك أبوه، وكان يوسف يسدّده إلا أنه خالف[3] (دينه وما اعتقده من ذلك أبوه)[4]. فكان يخدم القمر لأن[5] طالعه كان السرطان، فكان يصنع له أصنام الفضة وينصبها في قصر الرخام[6] الذي كان أبوه بناه في شرقي النيل. وقبض يوسف عليه السلام بعد سنين من ولايته، فأمر دارم فكفن في ثياب[7] الملوك وجعل في تابوت رخام ودفن في الجانب الغربي فأخصب ونقص الشرقي، فحوّل اليه فأخصب فنقص الغربي، فاتفقوا على أن يجعلوه في الغربي عاما وفي الشرقي عاما، ثم ظهر لهم رأي أن يجعلوا للتابوت حلقا وثاقا ثم شدّوه بالحبال ودلّوه (في وسط النيل)[8]. فأخصب الجانبان كلاهما.

ذكر ما نقله القبط من أمر يوسف عليه السلام

(978)

قالوا : أدخل مصر غلام من أهل الشام احتال عليه إخوته وباعوه، وكانت قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم، فأوقف الغلام ونودي عليه (وهو يوسف عليه السلام)[1]، فبلغ وزنه ذهبا وورقا، فاشتراه أطفير العزيز ليهديه الى الملك. فلما أتى به منزله ورأته امرأته زليخا بنت صاحب عين شمس بنت[2] عم أطفير قالت له : اتركه لنا نربيه. ففعل، فكان من أمر[1] افتتانها به ما نصه الله تعالى في كتابه، وكانت تكتم ذلك حتى غلب الأمر عليها.

---

977 1) ر : درميوس ، م : درغوش – 2) عن م – 3) م : يخالف – 4) ر : أبواه في دينه ودين يوسف – 5) م س : لأنه – 6) في ر وفي هامش م : الزجاج – 7) م : أثواب – 8) م : في البحر.

978 1) سقطت من م – 2) سقطت من ر –

فجاءت له[3] وتزينت له[3] وعرّفته إنها تحبّه وأنّه إن (واتاها على ما تدعوه إليه)[4] جاءته بمال عظيم وأحلّته المحل الكريم. فامتنع عليها[5] ورامت أن تقبّله ولم تزل تمارسه وهو يمتنع بجهده الى أن أتى زوجها ووافقه وهو هارب منها. وكان زوجها عنينا لا يأتي النساء. فجعل يوسف يعتذر إليه، وقالت هي : كنت نائمة فأتاني يراودني عن نفسي. ففطن أن الأمر منها فقال ليوسف : اعرض عن هذا. أي عن اعتذارك. وقال لها : استغفري لذنبك، **واتصل خبر زليخا ويوسف بنساء أصحاب الملك فخضن فيه، وقد كان خبر الغلام بلغ الملك وابتياع أطفير له، وسأل عنه فأنكره ومنعه الخروج عن قصره، وكان محجوبا لا يراه أحد.**

(979)

والملك غير عادل عن العكوف على لذّاته والاحتجاب عن الناس. فأحضرت جماعة منهن وأحضرت لهن طعاما وشرابا وجلست في مجلس حذاء مجلس مذهبين جميعا وفرشتهما بالديباج الأصفر المذهب وأسدلت عليهما[1] ستور الديباج المذهب، وأمرت المواشط بتزيين يوسف واخراجه الى المجلس الذي كانت مع النسوة فيه، وكان ذلك المجلس محاذيا للشمس[2]. فنظم المواشط شعر يوسف[3] بأصناف الجواهر. وألبسنه ثوب ديباج أصفر منسوج بذارات حمر مذهبة. فيها اطيار صغار خضر مبطّن ببطانة خضراء، وأكمامه جوهر ملون ومن تحته غلالة حمراء، ووضعن على رأسه تاجا منظوما بدرّ وجوهر نفيس، وأخرجن من تحته طُرَر شعر على جبهته ورددن ذوائبه على صدره[4] وعقربن صدغيه على خدّيه وكحلن عينيه ودفعن اليه[5] مذبّة ذهب شعرها أخضر. فلما أكلن وفرغن من طعامهن أحضرت الشراب والفاكهة وسقتهن

---

978 3) له : عن س ـ 4) ر : أتاها على ما تحبّه ـ 5) ر : عنها.

979 1) ر : عليه ـ 2) ر : لمجلسها ـ 3) م : رأسه ـ 4) م : على ظهره وعلى صدره ـ 5) م : له ـ

أقداحا، وقدمت إليهن سكاكين نصبها[6] جوهر. فقالت لهن : اقطعن من هذه الفاكهة، وقيل إن الذي كان بين أيديهن اترج وهو المتكأ، فلمّا أخذن في شربهن، قالت لهن : قد بلغني ما خِضْتُنَّ فيه من أمري مع عبدي. قلن لها : الأمر كما بلغك لأنك أعلى قدرا من هذا وأنت تجلّين[7] عن أولاد الملوك، فكيف رضيت بغلامك؟ فقالت : لم يبلغكن الصدق عني، ولو كان لكان أهلا لذلك. ثم ارسلت الى المواشط في اخراجه ورفعت ستور المجلس الذي يحاذي مجلسها وأقبل يوسف خارجا منه مستقبلا للشمس. فأشرق المجلس وما فيه (من وجه)[8] يوسف وما عليه، وأرسل ذلك شعاعا كاد أن يخطف أبصارهن، وأقبل يوسف والمذبّة معه وهن يرمقنه حتى وقف على رأسها يذبّ عنها، وهي تخاطبهن وهن لا يفهمن خطابها[9] للذي أذهلهن من النظر اليه، فقالت : ما لكنّ قد اشتغلتنّ عن خطابي بالنظر الى عبدي؟

(980)

قلن لها : معاذ الله، ما هذا عبدك[1] وما هذا الاّ ملك كريم. ولم تبق منهن واحدة الا حاضت وأنزلت شهوة من محبته. فقالت لهن زليخا عند ذلك : فهذا الذي لُمتُنَّني فيه. فقلن : ما ينبغي لأحد أن يلومك بعدها، ومن لا مَلَكِ فقد ظلمك فدونكه. قالت : قد فعلت فأبى عليّ فخاطبنه لي. فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا الى نفسها وتبذل له، وهو يمتنع منها. فإذا يئست منه لنفسها خاطبته لزليخا ووعدته (بالحظوة والرفعة)[2] والأموال فيقول : ما لي بذلك من حاجة فلما رأين ذلك أجمعن[3] على أخذه غصبا، فقالت زليخا : لا يحسن ذلك ولا يقع موقعا، ولكنه ان لم يفعل لأمنعنّه اللذات ولأسجننّه. فقال يوسف عليه السلام : ربّ السجن أحب إليّ مما تدعونني اليه. وأقسمت[4] بإلاهها - وكان صنما من زبرجد أخضر باسم

---

979 6) س ر : نصبهنّ - 7) ر : تجلّ - 8) م س : ووجه - 9) م : خطابا.

980 1) ر : عبد - 2) ر : بالحظوة الرفيعة - 3) م : اجتمعن - 4) م : وأقسمت زليخا -

عطارد ـ انه ان لم يفعل ذلك لتجعلنّ به ذلك. فأبى عليها فأمرت بنزع ثيابه وألبسته الصوف وسألت زوجها حبسه ليزول عنها ما قذفت[4] به. قال الى قولها ليميط عن أهله القبيح وينفي عنها المقالة[5]. فأمر به فحبس في السجن سبع سنين.

(981)

فرأى الملك في منامه كأن آتيا أتاه فقال : إن فلانا وفلانا قد عزما على قتلك، يريد صاحبي طعامه وشرابه. فلما أصبح قررهما فاعترف أحدهما وأنكر الآخر، فأمر بحبسهما، وكان اسم صاحب الطعام راشان وصاحب الشراب مرطش[1]. فأخبرا يوسف برؤياهما كما نطق به القرآن، ثم أخرجا من السجن فقُتل الذي أقر ونجا الذي لم يقر وهو صاحب الشراب. فلما رأى الملك رؤياه في البقر[2] عرفه الساقي[3] خبر يوسف فأرسل اليه الى[4] السجن ففسّرها[5] له.

(982)

وقيل ان الملك قال للرسول : سله عن الرؤيا قبل ان تقصها[1] عليه. ففعل[2]، فأعلمه بها وعبر له معناها، فقال الملك[3] عندها : جئني به، فقال يوسف : لا أخرج حتى يكشف أمر النسوة اللواتي من أجلهن حُبست. فلما كشف عن ذلك واعترفت زليخا بالقصة وجّه اليه الملك[4] فأخرجه وأمر بغسله من درن السجن[5] وألبسه من ثياب الملوك. فلما دخل عليه ورآه امتلأ به سرورا وألقيت عليه منه محبة وسأله عن الرؤيا، ففسرها له كما قال الله عزّ

---

980 5) م : وجدت ـ 6) م : الملامة ، ر : المقالة القبيحة .

981 1) م : فرطش ـ 2) ر : البقرات ـ 3) ر : الثاني ـ 4) م : في ـ 5) ر : فعبّرها .

982 1) م : تنصّها ـ 2) سقطت من س ـ 3) سقطت من ر ـ 4) الملك : عن م ـ 5) م : أهل السجن ـ

وجلّ في كتابه. فقال له الملك : ومن يقوم لي بذلك؟ فقال : أنا فإني عليم به[6]. فخلع عليه وألبسه تاجا وأمر[7] ان يركب معه الجيش ويطاف به فيرد الى قصر الملك ويجلس على سرير العزيز — وكان العزيز قد هلك — فاستخلفه الملك على ملكه وسماه العزيز مكانه وزوجه امرأته، فقال لها يوسف : هذا أصلح مما أردت. فقالت له : اعذرني فإن زوجي كان عنينا ولم ترك امرأة في حسنك وهيئتك[8] إلا صبا قلبها اليك.

(983)

فلما جاءت سِنو[1] الخصب أخذ يوسف في توفير الغلاّت والاستكثار من الأقوات، ثم جعل في سِني الجدب لما نقص النيل وتوالى نقصانه يحسن التدبير والسياسة، ولولا ذلك لهلك الناس. فصار الى يوسف[2] بما باع من الطعام جميع أموال أهل مصر من الذهب والفضة والجوهر والثياب والدواب والآنية والعقار.

(984)

وقحط أهل الشام عند ذلك، فكان من أمر يوسف مع إخوته[1] ما قصّ الله تعالى في كتابه، ووجه يوسف الى ابيه فحمله[2] من الشام بجميع أهله وخرج في وجوه أهل مصر وكبرائهم فتلقاه وأدخله على المَلِك. (وكان يعقوب عليه السلام نبيًا جميلا، فقرّبه الملك)[3] وأحبه وأعظمه، وكان له يومئذ عشرون ومائة سنة. فأقام يعقوب مع نقراوش يعظّمه ويجلّه ويعقوب يدعوه الى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام والآلهة ويوسف يعقبه بمثل ذلك، فيقال إنه آمن وكتم إيمانه خوفا من فساد ملكه.

---

982 6) ر : بذلك — 7) م : وأمره — 8) م : جمالك.

983 1) ر : سنين، س : سني — 2) م : ليوسف.

984 1) م : أخته — 2) م : يحمله — 3) سقطت من س.

(985)

ولم يزل يعقوب مكرما معظما عنده[1] حتى حضرته الوفاة في حياة نقراوش، فأوصى ان يدفن بمكانه من الشام، فوضع في تابوت وخرج معه يوسف وكبار أهل[2] مصر حتى بلّغوه إلى موضعه. فمنعهم عيصو من دفنه هناك لأن إسحاق وهب له الموضع، فاشتراه يوسف منهم (ودفن فيه يعقوب)[3]. وولد ليوسف بمصر.

(986)

وملك نقراوش مائة وعشرين سنة كما تقدم، وكان من أمر ابنه مع يوسف ما ذكرناه. واستوزر دارم[1] بعد يوسف رجلا من الكهان يسمى بلاطش فأطلق له ما كان يوسف يحذره عنه[2] وحمله على أذى الناس وأخذ أموالهم وغلبتهم على كلّ امرأة حسناء يسمع بها في النواحي. ومكث كذلك[3] زمانا قد[4] بلغ من الناس أشد مبالغ الأذى (ونال منهم)[5] كل مكروه حتى ركب يوما في النيل متنزها، فعصفت به ريح أغرقته[6] ومن كان معه واستراح الناس من شرّه.

(987)

وملك[1] بعده ابنه معدايوس[2]، وهو خامس الفراعنة، وأهل مصر يسمونه معدان. فأسقط عن الناس الخراج وأحسن فيهم السيرة ولزم الإقبال

---

985 1) عن م ـ 2) سقطت من ر ـ 3) عن ر.

986 1) م : داروم ـ 2) م : يحضره عليه ـ 3) م : بذلك ـ 4) ر : حتّى ـ 5) ر : ونالهم بكل ... ، س : ونال منه ـ 6) ر : غرقته.

987 1) م س : وولي ـ 2) ر : معرانوس ، م : معرايوس ـ

على الهياكل والتعبد لها. فتذْكر القبط أنه كان يوما في هيكل زحل وحذاء صورته، وكان قد جهد نفسه في التعبد له[3] الى ان تغشّاه نور وتجلّى له زحل وخاطبه فقال له : قد جعلتك ربا وحبوتك بالقدرة وسأرفعك إلي فلا تخل من ذكري[4]. فأخبر الناس سدنة الهيكل بما رأوه من النور وسمعوا من الخطاب، فأعظم الناس أمره وسموه ربًّا بأمر زحل. فجمع الناس وقال لهم : قد (وقفتم على)[5] ما خصصت به دون الملوك، وهذه موهبة يلزمني الشكر عليها لواهبها، ولست اتفرغ (للنظر في أموركم)[6] وقد جعلت (أمر الملك)[7] الى ابني أقشامش[8] وأكون من ورائه الى أن يغيب شخصي عنكم كما وعدت، وقد أيدته بالناظرين[9]، فانظروا كيف تكونون فإنكم مني بمرآى ومسمع. فرضوا ذلك.

(988)

وجلس اقشامش على سرير الملك وتتوّج بتاج أبيه، وهو الذي يسميه أهل الأثر كاشم بن معدان بن دارم[1] بن الريان بن الوليد بن دومع، وهو سادس الفراعنة. وسمّوا فراعنة بفرعان الأوّل، فصار اسما[2] لكل من تجبّر وعلا أمره. واحتجب معدايوس أبوه عن الناس، وكان أقشامش أوّل من ذلّل الإسرائيليين للقبط وقال للقبط : هم عبيد لكم، حتى صار[3] رجالهم خدما لرجالهم ونساؤهم خدما لنسائهم، وإن ضرب الإسرائيلي القبطي قتل به. وقيل إنّ منارة الإسكندرية بنيت في زمانه وإنه هو الذي جعل عليها المرآة.

---

987 3) سقطت من س ـ 4) م : أمري ـ 5) س : سمعتم ـ 6) ر : في النظر إلى أموركم ـ
7) م : أمري ، ر : الأمر ـ 8) س : أقشانوش ـ
9) س ر : بالقاطرين .

988 1)م : داروم ـ 2) س : سمة ـ 3) ر : كان .

(989)

وكان قد استوزر رجلا من أهل بيت المملكة يقال إنه من ولد أشمون الملك يسمى طلمى بن قومس، وكان شجاعا حكيما كاهنا داهيا[1]. فتغيب[2] أقشامش بعد إحدى وثلاثين سنة من ملكه وطلمى يدبر[3] أمر المملكة، فيقال انه سلب عقله، ويقال ان طلمى سمّه وقتله[4] لأن نفسه كانت تنازعه الملك. فلما فقد الناس الملك اضطربوا على طلمى وتغيروا عليه[5]. فولّى لاطش بن أقشامش وأجلسه على سرير الملك وألبسه التاج. فاستقر له الأمر وكان حدثا معجبا، فصرف طلمى عما كان عليه من خلافته واستخلف رجلا يقال له لاهوف من ولد تدراس الملك، وتجبر ودعا إلى عبادته وأمر أن يجلس أحد في قصره لا كاهن ولا غيره، بل يقوموا على أرجلهم إلى أن ينصرفوا. (وزاد في أذى الناس والعسف[6]. بهم[7] ورتبهم على الأبواب[8]، وجمع أموالهم وكثرها، وطلب النساء وابتز[9] منهنّ خلقا كثيرا)[10]. وفعل من ذلك أضعافا مما فعله من تقدم ذكره[11]. واستعبد بني إسرائيل، وهو الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى، فأما أهل الأثر فيزعمون أنه الوليد بن مصعب العملقي[12].

(990)

وقد تنازع الناس فيه، فنهم من رأى أنه من العماليق، ومنهم من رأى أنه من لخم من بلاد الشام، ومنهم من رأى أنه من الفرس من مدينة إصطخر، وقد زعم قوم من الأعاجم أنه من الأندلس من مدينة قرمونة، ومنهم من رأى أنه

---

989 1) سقطت من م ـ 2) ر : فغيب ـ 3) ر : يدبر ـ 4) سقطت من ر ـ 5) م س : له ـ 6) م : العسف ـ 7) ر : عليهم ـ 8) ر : وقصوهم على الأقوات ـ 9) م : واغتصب ـ 10) سقطت من س ـ 11) ذكره : عن م ـ 12) س م : العمليقي .

من القبط (من ولد مصريم بن بيصر، والقبط)[1] تثبت ذلك، ونسبه ونسب أهل بيته مشهور عندهم وتقول[2] إن دليل ذلك ميله إليهم ونكاحه فيهم. وذكر قوم أنه دخل مدينة منف على أتان تحمل خباء أحمر ليبيعه، وكانوا قد اضطربوا في تولية ملك، فأجمعوا على أن يملّكوا عليهم أول من يطرأ من الناس، فكان هذا.

(991)

فبذل الأموال ورغب من أطاعه وقتل من خالفه[1]. وبنى المدن وخندق الخنادق وبنى الحصون على حدود مصر. واستخلف هامان وكان منه بقربى وهو حفر خليج سنردوس[2]. وهو أول من عرّف العرفاء على الناس، وكان من أمره مع موسى عليه السلام ما هو مذكور في موضعه[3].

ذكر فتح مصر [1]

(992)

قال عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم[2] : لما كانت سنة ثماني عشرة وقدم عُمر رضي الله عنه الجابية خلا به عمرو بن العاص، وكان قد دخل مصر في الجاهلية وديارها وعرف أحوالها، فجعل يعظّم عنده أمرها ويهوّن عليه فتحها، حتى ركن لذلك عُمر وعقد له على أربعة آلاف رجل كلهم من عكّة، ويقال ثلثهم من غافق. فقال له[3] عمر : سيروا وأنا مستخير الله

---

990 1) سقطت من س – 2) م : ويقال.

991 1) ر : عصاه – 2) م : سرودس ، س : بيرودس – 3) ورد هنا في جميع المخطوطات ما يتعلق بمدينة الفسطاط ، فأوردنا هذه الفقرة في موضعها المناسب ، انظر 1001.

992 1) ابتداء نص ص – 2) م ر : بن الحكم – 3) م : لهم –

وسيأتيك كتابي سريعا إن شاء الله، فإن أدركك كتابي[4] آمُرك فيه بالانصراف (عن أرض مصر قبل ان تدخلها فانصرف، وإن أنت دخلتَها)[5] قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك فاستعن بالله واستنصره[6]. فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد.

(993)

واستخار عُمر رضه فكأنه تخوّف على المسلمين (فكتب إلى عمرو)[1] أن ينصرف بمن معه، وأدركه الكتاب وهو برَفَح، فتخوف عمرو إن قرأ[2] الكتاب أن يكون فيه أمر[3] بالانصراف كما عهد إليه. فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه حتى نزل قرية فيما بين رَفَح والعَرِيش. فسأل عنها فقيل له إنها من مصر، فدعا[4] بالكتاب فقرأه على المسلمين[5]، ثم قال عمرو لمن معه: ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر؟ (فقالوا: بلى)[6]. قال لهم: فإن أمير المؤمنين عهد إليّ إن لحقني كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع اليه، وإن كتابه لم يلحقني حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله تعالى.

(994)

قال: فلما بلغ المقوقس أمر عمرو توجه الى الفسطاط، وكان يجهز الى عمرو الجيوش. وقال جماعة من مشايخ أهل مصر إن أسقفا كان بالاسكندرية للقبط يقال له أبو بنيامين[1] لما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم[2] أن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو. فأول موضع قوتل فيه عمرو

---

992 4) م: منّي كتاب ـ 5) ر: فافعلْ إن كنت لم تدخلها، فإن دخلتَها ـ 6) ر: وانتصر به، ص: واستنصر به.

993 1) ر: فكتب إليه عمر ـ 2) م س: أن يقرأ ـ 3) ص ر: أن يأمر فيه ـ 4) م: فدخلها ـ 5) م: على من معه من المسلمين ـ 6) سقطت من ر.

994 1) في المخطوطات: ميامين، والتصويب عن «فتوح مصر» ص 58 ـ 2) سقطت من س م ـ

الفرما، قاتله فيه الروم نحوا من شهر، ثم فتحها الله عليه، فيقال إن القبط الذين كانوا[3] بالفرما كانوا لعمرو أعوانا لما أعلمهم به أبو بنيامين. ثم تقدم عمرو لا يدافع الا بالأمر الخفيف حتى فتح بلبيس وأم دنين، وكتب[4] الى عمر يستمده، فأمدّه بأربعة آلاف. ثم سار عمرو الى الحصن وقد خندقوا حوله وجعلوا للخندق أبوابا وجعلوا سكك الحديد موتدة بأفنية تلك الأبواب، وكان عمرو يفرق أصحابه[5] ليرى العدو أنهم أكثر مما هم ويغدوا في الأسحار فيصفّهم على أبواب الخندق وعليهم السلاح.

(995)

ثم قدم على عمرو الزبير بن العوّام في اثني عشر ألفا فتقوّى المسلمون، وجعل عمرو يلح عليهم بالقتال ووضع المنجنيق على الحصن. وكان عمرو إنما يقف تحت راية بلي. قال : وكانت أمّه بلوية. (قال المؤلف رحمه الله : هذا من قائله وهم، وإنما هي عنزية[1]. فلما أبطأ الفتح على عمرو قال الزبير رضه : أنا أهب نفسي لله وأرجو أن يفتح الله بذلك للمسلمين، فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمّام، ثم أمرهم اذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا[2]. فما شعروا الا والزبير واقف على رأس الحصن يكبّر (والسيف في يده)[3]، فتحامل المسلمون على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن يكسر، فهرب أهل الحصن جميعا وعمد[4] الزبير الى باب الحصن ففتحه واقتحمه المسلمون.

---

994 3) عن ر ـ 4) م : وركب ـ 5) م : المسلمين.

995 1) س،ر : قلت أنا : وهذا من قائله وهم وإنّا هي عنزية ـ 2) سقطت من م ـ 3) ص،ر : معه السّيف ـ 4) ر : وعاد.

(996)

ثم حاصر المسلمون باب اليون وبه أكابر الروم والقبط ورؤساؤهم وعليهم المُقَوْقِس، فقاتلوهم بها شهرا. فخاف المقوقس على نفسه (ومن معه)[1] فتنحّى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا على الباب القبلي وترك هناك جماعة يقاتلون فصار بالجزيرة - موضع دار الصناعة اليوم - وأمر بقطع الجسر، وذلك في مجرى النيل. فأرسل المقوقس الى عمرو[2] : إنكم قد دخلتم في بلادنا[3] وطال مقامكم بأرضنا[4] وإنّما أنتم عُصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم، جهزوا إليكم الجيوش، وقد أحاط بكم هذا النيل وإنما أنتم أسارى في أيدينا، فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم، فعسى أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون[5] ونحب، وينقطع عنا وعنكم[6] هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فتندموا.

(997)

فردّ عمرو مع رسله أنه ليس بيننا وبينكم إلا احدى ثلاث خصال : إمّا دخلتم في الإسلام وكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا، وإن أبيتم أعطيتم الجزية عن يد، وهم صاغرون[1] ، وإما جاهدناكم بالصبر والقتال:حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[2] . فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال : كيف رأيتموهم؟ قالوا : رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم[3] من الحياة والتواضع أحب الى أحدهم[4] من الرِّفْعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على الرُكَب وأميرهم كواحد منهم، يغسلون أطرافهم بالماء واذا حضرت الصلاة لا يتخلف عنها أحد منهم، يتخشعون في صلاتهم. فقال

---

996 1) سقطت من ر ـ 2) م : لعمرو ـ 3) ر : أرضنا ـ 4) ر : ببلادنا ـ 5) ر : تحبّوه ـ 6) سقطت من س.

997 1) سورة التوبة 29/9 ـ 2) سورة الأعراف 87/7 ـ 3) م : إليهم ـ 4) ص م : إليهم ـ

المقوقس : والذي يُحْلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لزلزلوها، وما يَقْوَى على قتال[5] هؤلاء أحد وإن لم يغتنم صلح هؤلاء القوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الارض. [وكان ذلك وقت خروج النيل وفيضه][6] والمسلمون قد أحدق بهم الماء من كل جهة ولا يقدرون على النفوذ الى الصعيد ولا غيره من القرى.

(998)

وبعث عمرو إليهم عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وأمره أن (يكون متكلم)[1] القوم وأن لا يجيبهم الى شيء إلا الى احدى هذه الثلاث خصال. فركبوا السفن الى المقوقس فدخلوا عليه، فتقدم عبادة بن الصامت فهابه المقوقس لسَواده وقال : نَحُّوا عني هذا الأسود وقدّموا غيره. فقالوا جميعا : إن هذا الأسود سيدنا وأفضلنا رأيا وعلما[2]. فكلمه عبادة فازداد المقوقس له هيبة وقال لأصحابه : لقد هبت (منظره وإن قوله عندي لأهيب)[3]، وإن هذا وأصحابه إنما أخرجهم الله لخراب الأرض وما أظن ملكهم إلاسيغلب على الأرض كلها. (فقال له المقوقس)[4] : يعطَى كل رجل منكم دينارين دينارين فأميركم مائة دينار وخليفتكم[5] ألف دينار. فلم يجبه عبادة إلاّ على احدى الثلاث خصال. فقال المقوقس لأصحابه : ما ترون؟ فقالوا : أما ما أرادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يكون[6]. نترك دين المسيح الى دين لا نعرفه، وأما ما أرادوا أن يجعلونا عبيدا أبدا فالموت أيسر[7] من ذلك. ولو رضوا منا ان نضعف لهم ما أعطيناهم كان[8] أهون علينا.

997 5) ر : مثال ـ 6) عن «فتوح مصر» 65.

998 1) ر : يتكلّم ـ 2) ر : وحلمًا ـ 3) س : هذا الأسود وانّه عندي لأهيب ـ 4) ص س : فداوره المقوقس على أن ـ 5) ص س ر : منهم ... أميرهم ... خليفتهم ـ 6) ر : يمكن ـ 7) ر : أقرب وأيسر ـ 8) س : فهو.

(999)

فانصرف عبادة ولم يتّفقوا على شيء . وألحّ المسلمون في القتال حتى أذعن[1] المقوقس بالجزية عن القبط خاصة والروم مخيّرون[2] في المقام على مثل[3] ذلك أو الخروج الى أرض الروم. فأحصي يومئذ من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط (خاصة و)[4] رفع ذلك عرفاؤهم بالأيمان المؤكدة فكانوا ستّة آلاف ألف ممن بلغ الحلم سوى الشيخ الفاني والصغير والنساء. ففرض على كلّ نفس دينارين دينارين، فكانت فريضتهم اثني عشر ألف ألف دينار. ثم كانت بمن استقر هناك من النصارى وساكنيهم من النوبة خمسين[5] ألف ألف دينار.

(1000)

[وجعل عمرو يبحث عن الأموال ويضمّها الى بيت المال][1] . وذكر لعمرو أنّ عند عظيم الصعيد مالاً ، فبعث اليه ، فقال : ما عندي مال . فسجنه ، فسأل عمرو مَن يدخل عليه هل يسمعونه يذكر أحدا . قالوا : نعم راهبا بالطور . فبعث عمرو فأوتي بخاتم المسجون وكتب كتابا على لسانه بالرومية وختم عليه وبعث به الى الراهب فأتى بقلّة من نحاس مختومة برصاص ، فإذا فيها (كتاب فيه)[2] : يا بني آدم[3] إذا أردتم مالكم فاحفروا تحت الفسقية . فبعث عمرو أمناء[4] الى الفسقية ـ وهي السقاية ـ فحفروا واستخرجوا[5] خمسين أردبا من دنانير [والأردب قنطار ونصف][1] .

---

999 1) ر : ذعن ـ 2) م : متخيّرون ـ 3) سقطت من ر ـ 4) عن م ـ 5) ر : ثلاثين .

1000 1) عن «فتوح مصر» 87 ـ 2) م : مكتوب ـ 3) س ر : يا بنيّ ـ 4) ر : الأمناء ـ 5) سقطت من ص .

[ذكــر الفسطــاط]

(1001)

[ثم أمر عمرو رضه المسلمين ببناء دور يسكنونها بالفسطاط ، وهي مدينة مصر اليوم][1] وإنما سميت مصر الفسطاط لأن عمرو بن العاص لمّا أراد التوجه الى الإسكندرية لقتال مَن بها من الروم أمر بنزع فسطاطه ، فإذا فيه يَمام[2] قد فرّخ . فقال عمرو رضه : لقد تحرّم منا[3] بمتحرم . فأمر بالفسطاط فأُقِرّ كما هو ، وأوصى به[4] صاحب القصر ، فلما قفل المسلمون من الاسكندرية بعد فتحها قالوا : أين ننزل؟ قالوا : الفسطاط ، فسطاط عمرو الذي كان خلّفه . وكان مضروبا في موضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحَصَى[5] ، وهي عند دار عمرو الصغيرة .

(1002)

وبنى عمرو بن العاص رضه المسجد . قال الليث بن سعد : وكان [ما] حوله حدائق وأعنابا . ونصبوا الحبال حتى استقام لهم ووضعوا أيديهم ، فلم يزل عمرو قائما حتى وضعوا القبلة ، هو وأصحاب (رسول الله صلعم)[1] ، واتخذ فيه منبرا . قال أبو تميم الجَيْشاني[2] : وكتب عمر بن الخطاب رضه اليه : أما بعد ، فإنه[3] بلغني أنك اتخذت منبرا تَرْقَى فيه على رقاب المسلمين . أوَ ما بحسبك[4] أن تقوم قائما والمسلمون تحتك؟ فعزمت عليك[5] لما كسرته . وكان أبو مسلم الغافقي صاحب رسول الله صلعم يؤذّن لعمرو وكان يخدم المسجد .

1001 1) عن «فتوح مصر» 91 ـ 2) س م : تمام ـ 3) ص م : منها ـ 4) سقطت من م ـ 5) ص س م : الحصي .

1002 1) س ر : النبي ـ 2) س : الجيهاني ـ 3) م ص : فقد ـ 4) ر : بكفيك ـ 5) سقطت من س .

(1003)

واختطّ المسلمون بمصر ، فاختطّ عمرو بن العاص داره التي هي اليوم عند باب المسجد بينهما الطريق ، وداره الأخرى اللاصقة الى جانبها ، وفيها دفن عبد الله ابنه . واختط عبد الله ابنه الدار الكبيرة التي عند المسجد الجامع وبناها قصرا على تربيع الكعبة الأولى . واختطّ حول دار عمرو والمسجد قريش والأنصار وأسلم وغِفار وجُهَيْنة .

(1004)

واختط وَرْدان مولى عمرو ــ ويكنى بأبي عبيد ــ القصر المنسوب الى عمر بن مروان اليوم ، اشتراه عبد العزيز بن مروان فوهبه لأخيه . واختطّ قيس بن سعد بن عُبادة دار الفلْفل في قبلة الجامع ، وأوصى عند وفاته أنها للمسلمين ينزلها[1] وُلاتهم . وسميت دار الفلفل لأن أسامة بن زيد التنوخي[2] حين ولي مصر اختزن فيها فلفلا بعشرين ألف دينار كان الوليد بن عبد الملك أراد أن يهديه الى صاحب الروم . واختطّ مَسْلمة بن مُخَلَّد دار الرمل وكانت من رَحَى الكعك الى حمام[3] سوق وردان . ثمّ وهبها لمعاوية ، واختطّ له معاوية داره التي بسوق وردان. وكانت بجنبها دار لعُقْبة بن عامر ، فوهبها لرملة بنت معاوية فبها سميت دار الرَّمْل ، حرّفته العامة ، وقيل إنما سميت دار الرمل لكثرة ما ينقل اليها من الرمل لدار الضرب[4] .

(1005)

واختطّ قيس بن أبي العاص السهمي داره التي عند دار ابن رُمَّانة ، [وكانت دار ابن رمّانة][1] بينها وبين المسجد ودخل بعضها الى المسجد حين زاد عبد

1004 1) ر : فنزلها ــ 2) ر : التناخي ــ 3) سقطت من ر ــ 4) ص : الصرف .

1005 1) عن « فتوح مصر » 102 ــ

الله بن طاهر في عرضه . وكان عمرو ولّى قيسا القضاء . واختطّ عُبادة بن الصامت الى جانب دار ابن رُمّانة وأنت تريد الى سوق الحمام . (واختطّ خارجة[2] بن حُذافة غربي المسجد الى اصحاب الحِنّاء وأصحاب السويق)[3] . واختط عبد الرحمان بن عُديس الدار البيضاء ومروان بن الحكم بناها بناءها[4] اليوم لما ولي مصر سنة ستين . واختطّ ثقيف في ركن المسجد الشرقي الى السرّاجين . واختط أبو ذر ومن معه من غفار من زقاق القناديل راجعا الى قصر ابن جبر الى سوق برير .

(1006)

واختطّ كعب بن يسار بن ضِنّة ــ وهو ابن بنت خالد بن سنان العبسي التي قال لها (رسول الله)[1] صلعم : ابنة نبي ضيّعه قومه ــ الدار المعروفة بدار النخْلة في طرف زقاق القناديل ، وكان يقال لزقاق القناديل زقاق الأشراف لأن عمرو بن العاص كان في طرفه وفي الطرف الآخر كعب بن يسار ، وبينهما دار أبي ذرّ وزكريا بن الجهم وعبد الرحمان بن شرحبيل وغيرهم من الأشراف . واختطّ كعب بن عدّي القيسارية ، فلما[2] أراد عمر بن عبد العزيز بناءها اشتراها منهم وخطّ لهم دارهم التي في بني وائل . والحمام الذي يُعرف اليوم[3] بحمام أبي مرة كان خطة لرجل من تنوخ . فسأله إياه عبد العزيز بن مروان فوهبها له فبناه حماما لزبّان ابنه وبزبان[4] كان يعرف ، وفيه يقول الشاعر يصف صنم رخام[5] كان فيه على خلقة المرأة [كامل] :

مَن كانَ في نَفْسِهِ للبَيْضِ مَنْزِلةٌ   فَلْيَأتِ أَبْيَضَ في حَمَّامِ زَبَّان
لاَ رُوحَ فِيهِ وَلاَ شُغْرٌ يُقَلِّبُه   لكنَهُ صَنَمٌ في خَلْقِ إِنْسان

في أبيات وكسر هذا الصنم وكان عجبا من العجائب[6] حين أمر يزيد بن عبد

1005 2) في النسخ : حارثة ، والتصحيح عن «فتوح مصر» ــ 3) سقطت من ص ــ 4) عن ص .
1006 1) س ص : النبي ــ 2) سقطت من س ــ 3) سقطت من ر ــ 4) م : وبه ــ 5) م ر : زجاج ــ 6) ص : العجب ــ

الملك بكسر الأصنام ستة اثنتين ومائة . واختطّ الزبير بن العوّام داره التي بسوق وَرْدان وفيها السلَّم[7] الذي كان الزبير نصبه وصعد عليه[8] الى حصن[9] الروم ، وكان عبد الملك بن مروان قد اصطفاها[10] فردها أبو جعفر على هشام بن عروة ، وكانت لهشام منه ناحية . وقال أبو جعفر : ما مثل أبي عبد الله يؤخذ له شيء يعني الزبير .

(1007)

واختطّ أبو بَصْرة الغِفاري عند دار الزبير . واختطّ أسلم مما يلي دار أبي ذرّ ومن خِطَطها دار الصبَّاح والزقاق الذي فيه دار ابن بُلادة[1] ، ولهم أيضا من قصر ابن جَبْر[2] الى الحجامين الذين بسوق بربر . واختط اللَّيثيون عند أصحاب القَراطِيس واختَط خلفهم بسر بن أبي أرطأة . واختطّ بنو[3] مُعاد في زقاق عبد الملك بن مسْلمة . واختطّ عَنَزة في أصل[4] العَقَبة التي عند دار ابن الصامت . واختطّ بليّ [خَلْفَ] دار خارجة بن حُذافة ، ثم مضوا بخططهم من دار عمرو بن يزيد الى دار سلمة والى دار واضح الى درب[5] الزجاج ، ثم مضوا الى أصحاب الزيت ، ثم مضوا يشرعون في قِبْلة سوق وَرْدان حتى بلغوا مسجد القُرون[6] ، ثم داخل الزقاق الى[3] مسجد عوْف ، وهو من خطّة بليّ ، وإنما كثرت بليّ بمصر لأنّ رجلا نادى بالشام : يا آل قضاعة (فبلغ [ذلك] عمر بن الخطاب فكتب الى عامل الشام أن يصير ثلث قضاعة الى مصر ، فنظر فاذا بلي ثلث قضاعة)[3] فسيروا الى مصر .

1006 7) ر : السلوم ـ 8) سقطت من ص ـ 9) ص س : قصر ـ 10) م : جعلها لنفسه .

1007 1) عن «فتوح مصر» 115 ، ص ر : خلادة ، م : نادرة ـ 2) ر : حجز ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ص : أسفل ـ 5) ر : دار ـ 6) ر : القروي .

(1008)

واختطّ بنو بحر وهم من الأزد مما يلي بلى ، ثم شرعوا الى البحر . واختطّ مَهْرة موضع دار الخيل وما والاها على[1] سفح الجبل الذي يقال له جبل يَشْكُر مما يلي الخندق الى شرقي العسكر الى جنان[2] بني مسكين اليوم ، وهناك كان مسجد مهرة وأدخله طريف الخادم في دور الخيل[3] حين بناها . واختطت لخم قبلي ثقيف وانحدروا الى مسجد عبد الله ، واختطّت غافِق بين مهرة ولخم ، ومضوا بخطّتهم حتى برزوا الى الصحراء مما يلي الموقف ، ولغافق من درب السرّاجين الى درب بني وردان . فما كان عن يمينك وأنت تريد المسجد الجامع في الطريق الى دور الوردانيّين من مسجد عبد الله ، فهو للخم[4] . وما كان عن يسارك فلغافق[5] . والموقف لابنة مسلمة بن مخلّد ، فتصدقت به على المسلمين . واذا سلكت زقاق أشهب فما كان عن يمينك وأنت تريد الموقف فهو لغافق ، وما كان عن يسارك فهو للأزد ، ثم مضت الأزد حتى أخذت (ما شرع)[6] في السويقة قِبَال[7] دار سعيد بن عفير وزقاق السرّاجين[8] حتى انتهت الى دار حَوِّى ودار عبد الرحمان بن هاشم[9] . ثم اختطت مما يلي السويقة العُنّقاء ، واذا هبطت من وادي حُوى وقعت[10] في هذيل ، فما كان عن يمينك وأنت تريد الخندق فلهذيل ، وما كان عن يسارك فلدِهنّة[11] من الأزد .

(1009)

واختطّت الصَّدِف قبلي مَهْرة ، فمضوا بخطّتهم حتى لقوا حضرموت دون الصحراء ولقوا مما يلي القبلة بني سعد من تُجيب[1] . واختطت تُجيب شرقي

1008 1) ر : إلى ـ 2) م : جبال ـ 3) م : الجبال ـ 4) م : فللخم ـ 5) م : لغافق ـ 6) سقطت من ص ـ 7) ر : قبلة ـ 8) عن ر ، ص : الرامسن ؟ في «فتوح مصر» : الروّاسين ـ 9) في النسخ : هشام ـ 10) ص : التي وقعت ـ 11) ص : فلرهنة ، ر : فلوهنة .

1009 1) ر : من سعد من تجيب ـ

الحصن وقبلي منزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح (ومضوا بخطّتهم حتى لقوا مَهْرة والصدف من مَهبّ الشمال . واختطت خوّلان قبلي الحصن من مهبّ الجنوب ومضوا بخطتهم حتى لقوا بني وائل)[2] والفارسيين في السهل حتى لقوا تُجيب[3] ورُعَيْنًا في الجبل ولقوا مرادا في الشرق ولقوا تجيبا من[4] مهب الشمال . واختطت مَذْحِج بين خولان وتجيب .

(1010)

فأما الجيزة فإن معظم خططها للحمراء وهم قوم من العجم والفارسيين ، وكانوا دخلوا مع عمرو بن العاص ، منهم بنو ينّة[1] وبنو الأزرق وبنو روبيل ، والى ابن ينّة تنسب السقيفة التي بفسطاط مصر ، وانما أرادوا ان ينفردوا عن العرب ونزلها معهم قوم من همدان وذي أصبح ومنهم شَمِر بن أبرهة .

(1011)

قد تقدم ذكرنا لبناء عمرو المسجد بمدينة الفسطاط ، ثم مَسْلمة بن مخلد الأنصاري (أخذ في زيادته)[1] ، وذلك سنة ثلاث وخمسين ، وبنى المنار وكتب عليه اسمه ، ثم هدم عبد العزيز بن مروان المسجد كله (في سنة سبع وسبعين)[2] وبناه . ثم كتب الوليد بن عبد الملك الى قُرّة بن شريك العبسي وهو واليه على مصر سنة بضع وتسعين ، (فهدمه كله)[3] وبناه بناءه هذا اليوم وزخرفه ونجره وذهّب رؤوس العُمد التي في مجالس قيس خاصة وحوّل قرّة المنبر الي قيسارية العسل[4] . وكان الناس يصلون فيها الصلوات ويجمّعون

1009 2) سقطت من م ـ 3) في النسخ : يحصب ـ 4) ص س ق : في .

1010 1) ص : ينة ، م : بية ، ر : بتة .

1011 1) ص ر : زاويته ـ 2) سقطت من ص ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ص ر : حين هدم المسجد ـ

فيها الجُمع حتى[5] فرغ من بناء المسجد والقبلة في القيسارية الى اليوم . وكان الوليد قد عزل عبد الله بن عبد الملك عن مصر وولاّها قرة (بن شريك)[6] . وقال الشاعر (في ذلك)[7] [خفيف] :

عَجَبًا مَا عَجِبْتُ حينَ أتانا ... أنْ قَد أمَّرتَ قُرَّةَ بنَ شَرِيك
وعَزَلْتَ الفَتَى المُبارَكَ عنَّا ... ثُمَّ خالَفْتَ[8] فيه رأي أبيك

ثم زاد بعد ذلك موسى بن عيسى الهاشمي في مؤخره سنة خمس وسبعين ومائة ، ثم زاد عبد الله بن طاهر بإذن المأمون له فيه سنة ثلاث عشرة ومائتين وأدخل في الزيادة[9] دار الرمل كلها إلا ما بقي منها من دار الضرب[10] ودار ابن رُمّانة وغيرها .

(1012)

ثم أول مسجد بُني بمصر بعد مسجد عمرو المسجد الذي في أصل حصن الروم عند باب الرَّيحان بإزاء الموضع المعروف بالقالوس ويسمى مسجد القلعة[1] . ومن مساجدها المشهورة مسجد عبد الله ، وهو عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكان أبوه ولاه مصر سنة ستّ وثمانين ، وكان أهل مصر يسمونه مُكَيِّسًا ، قاله الليث بن سعد . (وهو أول من نقل الدواوين الى العربية ، وانما كانت بالعجمية)[2] ، وهو أول من نهى الناس عن لبس البرانيس . ومسجد ملك[3] وهو مسجد ينسب الى ملك[3] بن شرحبيل الخولاني القاضي ، وكان ولي القضاء بمصر سنة ثلاث وثمانين ، وكان الحجاج يبعث اليه في كل عام بحلّة وثلاثة آلاف درهم ، ولم يزل على القضاء حتى مات .

1011 5) ر : ثمّ ـ 6) سقطت من ص ـ 7) عن م ـ 8) ر : بينت ـ 9) ص : زيادته ـ 10) م : الصرف .

1012 1) عن «فتوح مصر» ، في النسخ : الغفلة ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ص : مالك .

(1013)

وأما قيساريات مصر فقيسارية العسل (وقيسارية الحبال)[1] وقيسارية الكباش وقيسارية عبد العزيز ، وهي التي يباع فيها البزّ ، وقيسارية هشام يباع فيها البزّ أيضا وهو هشام بن عبد الملك[2]

(1014)

وأوّل ما بنى المسلمون بمصر من الحمامات حمام الفأر ، وكانت حمامات الروم ديماسات كبارًا ، فلما رأوا هذا الحمام وصغره قالوا : من يدخل هذا؟ هذا حمام الفأر ، فغلب عليه .

(1015)

وبين الفسطاط ومدينة القاهرة نحو ميلين في خراب كانت مساكن لكتامة وغيرها ، وهناك اليوم ثلاثة مشاهد على الطريق من الفسطاط الى القاهرة بناها الحاكم ولها السدنة والخدمة ، وتوقد فيها السرج الكثيرة الليل كلّه . وزعموا أنه كان أراد نقل جثة (رسول الله)[1] صلعم وجثّة أبي بكر وجثّة عمر رضي الله عنهما إليها ، وقد كانت توجهت له الحيلة في ذلك حتى أظهر الله أهل المدينة على أمره وقاية لرسوله صلعم وردًّا لكيد عدوّه[2] لعنه الله . وذلك أن الحاكم بذل الأموال لرجال من شيعته احتفروا في بعض الدور المجاورة لمسجد رسول الله صلعم سربا تلقاء القبر ، وقد رفعوا ذرع ما بين الدار والقبر ، فاذا وازوا[3] موضع القبر خرقوا في البيت غلوة[4] وتمكنوا من إرادتهم . فأطلع الله على ذلك أهل المدينة وقد أمعنوا في الحفر وأشرفوا على ما

1013 1) سقطت من ر ـ 2) ص : عبد الله .

1015 1) ص م س : النبي ـ 2) م : لكيده ـ 3) ر : وازنوا ـ 4) ص ر : علوّا ـ

يريدون ، فقتلوا أولائك الفعلة الفسقة ومثّلوا بهم ورصفوا تلك الحفرة[5] بالحجارة وأفرغوا عليها الرصاص ، فلا يطمع في الوصول اليها طامع أبدا .

ذكـر كـور مصـر

(1016)

الفيوم . الدير[1] ، السرداب ، عين شمس ، نوبة ، شطا ، الكوير[2] ، سجامك[3] ، هيت ، سطيطس[4] ، كفرطس ، السما[5] ، الفرما ، صابور صير ، المحلّة ، دميرة ، دمقلة[6] ، تنّيس ، دمياط ، منف ، وسيم[7] . الاسكندرية ، أنطابلس . دلاص ، أهناس[8] ، العمر[9] ، طحا ، أسيوط ، قهقى ، البهنسا[10] . وقال : البهنسا[10] اثنان ، هذه المذكورة وبهنسا الواحات . أنصنا ، أبنود[11] ، قفط ، أرمنت ، أسوان ، القلزم ، الطور ، أيلة ، مسطل ، البلندس ، قرطسا[12] ، بوصى ، الملقون ، الأوضية ، طرة ، ميذق العليا ، ميذق السفلى ، قسيس[13] ، برلس[14] ، النجوم[15] ، صعيرة ، البحيرة ، سمنّود ، الحوف الغربي ، الحوف الشرقي ، أسفل الأرض ، بطن الريف ، السرور[16] ، المغيرة ، أطرابية[17] ، برسط[18] ، الجيزة[19] ، المدقوق ، الشراك ، ترنوط ، أسمير ، أسيوط ، الأشمون بورة . وهذا الأشمون موضع وأشمون طناح موضع آخر والأشمونان ثالث ، وقال : الأشمون وهما اثنان : أشمون بن كرسلة[20] وأشمون الفراص .

1015 5) ص : ورخموا تلك الحفيرة .

1016 1) س ر : الدبر ـ 2) س : الكوثور ، م : الكونور ، ص : الكوبور ـ 3) سقطت من ر ، ب : سيامك ـ 4) ر : شطيطس ، م : سطلطس ـ 5) ر : السماوة ـ 6) م ر : دملقة ـ 7) ص م ر : وسقيم ـ 8) ص س ر : أنهاس ـ 9) ص : العتر ، ر : العنز ـ 10) ص ر : البهنس ـ 11) ص ر س : بنود ـ 12) عن المقريزي ، في جميع المخطوطات : فرسطى ـ 13) ر : فسيس ـ 14) ر : يولس ، م : بلوس ـ 15) عن المقريزي ، في النسخ : التخوم ـ 16) ص : الشرور ـ 17) ص : أوطارية ، س : أطوارية ـ 18) ص ر : فرسط ، س : فرشط ـ 19) ر : الجزيرة ـ 20) م : كرسا .

ذكـر المســافات من هذه الكـور والمشهـور من مدنهـا وغرائبهـا[1]

(1017)

منف : بين منف ودلاص تسعة[2] فراسخ ، ومدينة منف هي التي كان نزلها فرعون ، اتخذ لها سبعين بابا وجعل حيطان المدينة بالحديد والصفر ، وفيها كانت الأنهار تجري تحت سريره وكانت أربعة أنهار .

وحدث شيخ من آل أبي طالب (من ولد علي)[3] قال : رأيت بمنف دار[4] فرعون (وكنت أمشي)[5] في مشاربه ومجالسه وغرفه وسقائفه ، واذا ذلك كله حجر واحد منقور ، فإن كانوا[6] أحكموا بناءه[7] حتى صار في الاستواء والاملاس (حجرا واحدا)[8] لا يستبان فيه مجمع حجرين ولا ملتقى صخرتين ، فهذا عجب ، وان كان جبلا واحدا فنقرت الرجال فيه بالمناقير حتى خرقت فيه[9] تلك المخاريق ، فإن هذا لأعجب . وليس بمصر كلها جبل . وقال إبراهيم بن منذر الخولاني : خرجت الى منف فاذا بعثمان بن صالح جالس على باب كنيسة[10] ، فسلمنا عليه فقال لنا : أتدرون ما هذه الكتابة على باب هذه الكنيسة؟ قلنا : وما هي؟ قال : هي أنا فلان بن فلان يلومونتي[11] على صغر هذه الكنيسة ، واني اشتريت الذراع منها بمائة دينار[12] . قلنا : إن لهذا قصة . قال : هاهنا وكز موسى عليه السلام الرجل[13] فقتله .

1017 1) ر : ذكر المسافات المذكورة بين هذه الكور والمشهور من مدنها . وهنا يبتدئ نص ط ـ 2) س : ثمانية ـ 3) سقطت من م ـ 4) ط : بمدينة ـ 5) ر : ومشيت ، سقطت من ط س م ـ 6) ر : كان ـ 7) ط : بنيانه ـ 8) م : من حجر واحد ـ 9) سقطت من ط ـ 10) ر : الكنيسة ـ 11) ر : تلومونتي ، م : يلومني ، ص : تلومني ـ 12) ط : مثقال ، ص : درهم ـ 13) ص : القبطي .

(1018)

ودلاص بجمع سحرة[1] مصر[2] ، وبين دلاص والفيوم (ثمانية وعشرون فرسخا)[3] . وبين الفيوم وأهناس[4] خمسة فراسخ ، (وبين أهناس والبهنسا ستة عشر[5] فرسخا ، وبين البهنسا والعمر ثلاثة فراسخ ، وبين العمر وطحا ثمانية فراسخ)[6] ، وبين طحا والأشمونين خمسة عشر فرسخا ، وبين الأشمون والقهقى ثمانية فراسخ ، وبين القهقي وأخميم ثمانية فراسخ ، وبين أخميم وإنسانة ثمانية فراسخ ، وبين إنسانة وبورة ثمانية فراسخ ، (وبين بورة وبوصير)[7] أربعة فراسخ[8] . وقال : هما بوصيران ، بوصير الصعيد وبوصير أسفل الأرض وهي بوصير سمنّود . (وبين بوصير وأرمنت ثمانية ، وبين أرمنت وأسمير ثمانية فراسخ)[9] ، وبين أسمير وأسوان تسعة فراسخ ، وبين بوصير وسمنود فرسخان ، وبين سمنود وبوسى فرسخ ، وبين بوسى ودميرة ثلاثة فراسخ ، (وبين دميرة ودمقلة عشرة فراسخ ، وبين دمقلة ودمياط ثمانية فراسخ)[10] ، وبينهما نوبَة[11] ودبقوا جزيرتان يصنع فيهما الدبيقي ، وبين دمياط وجزيرة تنيس اثنا عشر فرسخا .

(1019)

والمسافات التي ذكرناها من بوصير (الى تنّيس)[1] هو الطريق في عمل مصر مما يلي أسفل الأرض ، وطريق آخر أيضا في أسفل الأرض من الفسطاط الى ميذق العلياء ستة عشر فرسخا ، (ومن ميذق العلياء الى السفلى ستة

1018 1) ر : السحرة ـ 2) ص : فرعون ـ 3) ص م ط : ثمانية فراسخ ، س : عشرون فرسخًا ـ 4) ط : مصر ، س ر : أنهاس ـ 5) م : عشرين ، ط : إثني عشر ـ 6) سقطت من ر ـ 7) ر : وبين بوصير وبورة ـ 8) سقطت من ص ، ط : سبعة فراسخ ـ 9) سقطت من ط ـ 10) ر : وبين جبيرة ودملقة ودمياط ، ط م ر : دملقة ـ 11) ر : تونة .

1019 1) سقطت من م .

فراسخ)[1] ومنها الى فيد سبعة فراسخ ، ومن فيد الى السرور ستة فراسخ ومن السرور الى المغيرة ثلاثة ، ومن المغيرة الى البرلس ثلاثة .

(1020)

وعين شمس بناؤها كلّه[1] من الصخر وبيوتها كلها منقورة في[2] الصخر ، كل بيت صخرة واحدة طولها عشرون ذراعا وأكثر ، وقد سقف كلّ بيت بصخرة واحدة وحيطانها في الاملاس والاعتدال كالمراقي ، فيها أساطين منحوتة من الصخر عليها تماثيل ونقوش ، (وفي صخرة من تلك الصخور)[3] بحيرة منقورة كالنهر الصغير كان يصبّ فيها الشراب لفرعون اذا جلس هناك . وعلى أبواب تلك القصور تمثال[4] امرأة من صخرة يذكرون أنها كانت ماشطة بنت[5] فرعون فمسخت حجرا . وتلقى قبل أن تصل الى هذه القصور (أزيد من)[6] عشرين منارة فيها ما طوله مائة ذراع عليها كلها كتابة لا تفهم ولا تفكّ . وعين شمس هي كانت هيكل الشمس وفيها عجائبها وملاعبها ، وفيها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما ولا من شأنهما . ليس لهما أسس وطولها في السماء نحو خمسين ذراعا ، وعلى رؤوسهما شبه طوقين من نحاس فوقهما صورة إنسان على دابة ، فإذا كان آخر الليل جرى من آخر العمودين[7] من تحت الطوق ماء فيرى موضع جريانه من العمود أخضر .

ذكـر جبـل المقطّـم ومـا ورد فيـه

(1021)

وهو متصل بجبل[1] الزمرد ، والمقطّم ما بين القصير الى مقطع الحجارة وما بعد ذلك من التخوم . وذكر بعض أهل العلم[2] أن المقطّم من الطور وأنه

1020 1) ص ط م : كلّها ـ 2) ص ط س م : من ـ 3) ط : وفي كل صخرة ـ 4) سقطت من ص ، س : تماثيل ـ 5) ط م : آل ـ 6) سقطت من ص ط ـ 7) ر : العمود .

1021 1) م : بجبال ـ 2) ر : بعض العلماء ـ

داخل فيما وقع عليه القدس ، (وكذلك ذكره كعب الأحبار)[3] . وقال كعب : كلّم الله عزّ وجلّ موسى بالطور فالمقطّم من القدس ، وروي في التوراة أن موسى عليه السلام كان يناجي ربّه بالوادي الذي فيه المقطّم عند مقطع[4] الحجارة . وكان في أعلى جبل[5] المقطّم بناء للأوّل ويذكر[6] أنه كان مطبخ فرعون فغيّر وبنيت فيه المساجد والناس يقصدونها[7] ليالي الجمع ويتهجّدون فيها ، ويقال إن ذلك البنيان[8] على المقطّم كان موقدا يوقد فيه اذا ركب فرعون من منف الى عين شمس ومن عين شمس الى منف ، وكان على القصير موقد آخر ، فإذا رأوا النار علموا بركوبه فأعدوا له ما يريد . والله أعلم .

(1022)

وروى أسد بن موسى قال : شهدت جنازة مع ابن لهيعة بالمقطّم فجلسنا حوله فقال : إن عيسى عليه السلام[1] تصفّح هذا الجبل وأمه الى جانبه ، فالتفت اليها وقال : يا أماه هذه مقبرة أمة محمد صلعم[2]

(1023)

وبينا عمرو بن العاص يسير في صفح المقطّم[1] ومعه المقوقس اذ[2] قال له[3] : (ما بال جبلكم)[4]؟ هذا أقرع (ليس عليه نبات)[5] ، ولو

1021 3) عن ر ـ 4) ص : منقطع ـ 5) سقطت من ط ـ 6) ط : ويذكرون ـ 7) ط : يقصدون تلك الآثار ـ 8) ط : البناء.

1022 1) ط : صلى الله عليه وسلم ـ 2) م : عليه السّلام .

1023 1) س : الجبل ـ 2) إذ : عن ر ـ 3) سقطت من م ؛ ر : قال له عمرو ـ 4) ر : وما لجبلكم ؟ ـ 5) سقطت من ر ـ

شقّقنا[6] صفحه بنهر من النيل وغرسناه[7] . فقال له المقوقس : وجدنا في الكتب أنه كان أكثر الجبال أشجارا ونبتا[8] وفاكهة ، وكان المقطّم بن مصريم[9] بن بيصر[10] بن حام بن نوح[11] ينزله[12] ، فلما كانت الليلة التي كلم الله (عزّ وجلّ)[13] فيها موسى (عليه السلام)[14] أوحى الله[15] الى الجبال : إني مكلّم نبيًّا من أنبيائي على جبل فسمحت الجبال كلّها وتشامخت الا جبل[16] بيت المقدس فإنه تضاءل وهبط ، فأوحى الله تبارك وتعالى اليه[17] : لم فعلت هذا وهو أعلم؟ فقال : إعظاما لك وإجلالا يا ربّ . قال : فأمر الله الجبال أن يَحْبوه كل جبل بما[18] عليه (من النبت)[19] ، فجاد له[20] المقطّم بما عليه حتى بقي كما ترى . فأوحى الله (عزّ وجلّ)[21] إليه[22] : إنّي معوّضك[23] على فعلك بشجر الخلد[24] وغراس الجنّة . وكتب بذلك عمرو بن العاص[25] الى عمر بن الخطاب[26] ، فكتب اليه عمر : اني لا أعلم شجر الجنة غير[27] المسلمين ، فاجعله لهم مقبرة . وروي أن عمرا سأل رهبانهم لِمَ تركوا[28] جبل المقطّم من غير بنيان ولا غرس[29] ، فأخبروه[30] أنهم سمعوا مشايخهم عن أوائلهم يقولون ان هذا فحص سيغرس فيه غروس من أغراس الجنة ، (فلذلك تركناه من غير عمارة)[31] ، فكتب بذلك عمرو الى عمر (بن الخطّاب رضه)[32] فكتب اليه عمر : (إني لا أعلم شيئا)[33] في الدنيا من غراس[34] الجنّة الا أجساد المؤمنين[35] ، فاجعل ذلك الفحص لهم مقبرة .

1023 6) ر : كنتم شققتم ـ 7) ر : وغرستموه ـ 8) ر : ونباتًا ـ 9) م ط : بن مصر ـ
10) سقطت من م ، ص : بن ينصر ، س : بن مصر ـ 11) سقطت من ط ـ 12) م ر : نزله ـ
13) سقطت من ط ـ 14) ص : صلعم ، سقطت من ط س ـ 15) عن م ر ـ 16) م : جبل طور ـ 17) سقطت من ر ـ 18) س : مما ـ 19) سقطت من ط ـ 20) من هنا بعض ورقات ناقصة في س ـ 21) ط : تبارك وتعالى ـ 22) سقطت من ط ـ 23) ر : معاوضك ـ
24) ص ط ر : الجنّة ـ 25) بن العاص : عن ر ـ 26) بن الخطاب : عن ط ر ـ 27) ط : إلّا ـ
28) ر : تركتم ـ 29) ط : غراس ـ 30) ط : فأخبره جميعهم ـ 31) سقطت من ط ـ
32) عن ص ط ـ 33) ص م ر ـ إنّا لا نعلم شيئًا ـ 34) ط ر : أغراس ـ 35) ط : أخيار المسلمين .

(1024)

وروى ابن لهيعة أن كعب الأحبار أرسل في جراب من تربة المقطّم[1] ، فلما حضرته الوفاة أمر أن يفرش في لحده تحت جنبه الأيمن[2] . وقيل إن أوّل من قبر فيها رجل من المعافر يقال له عامر ، وقيل عمرت . وقد قيل إنّ أوّل من قبر فيها عمرو بن العاص ، ولا يصح هذا لأن عمرا جعلها مقبرة وتوفي عمرو بعد ان ولي مصر لمعاوية ثلاث سنين ، وتوفي يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين .

(1025)

وليس في الدنيا مقبرة أعجب منها ولا أبهى ولا أعظم ولا أطيب منها تربة[1] ، تربتها مثل الكافور . وقبر فيها من أصحاب رسول الله صلعم المعلومين عمرو بن العاص وعبد الله بن حُذافة السهمي وعبد الله[2] بن الحارث[3] الزبيدي وأبو بصرة الغفاري وعُقبة بن عامر الجُهَني ومسلمة بن مخلد[4] الأنصاري .

(1026)

والفيوم قد تقدم ذكرها[1] في مواضع[2] من هذا الكتاب . وسابور صير وخليج الفيوم يصل[3] إليها (من خليج سابور صير وهو الخليج الكبير ، فاذا وصل الى نصف الطريق وجد حجرا مصنوعا وهو حجر اللّهون . وفي)[4] أرض سابور صير نحو مائة[5] ضيعة في بساط واحد ، فاذا زاد النيل أحدق بها الماء[6] وصارت كل ضيعة منها[7] كالجزيرة وصارت مواشيهم محصورة

1024 1) ر : جبل المقطم ـ 2) سقطت من ص ر .

1025 1) ط : ترابًا ـ 2) م عبدالرحمان ـ 3) سقطت منص ـ 4) ص : خالد .

1026 1) ص ط ر : ذكرنا لها ـ 2) ط : موضع ـ 3) ص : يصير ، ر : يسير ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ر : ألف ـ 6) سقطت من م ـ 7) سقطت من ط ـ

معهم . وفي سابور صير القبور القديمة التي لا يدرى[8] من أي زمان هي ، فيها أموات صحاح الأجسام عليهم أكفانهم لم يتغير منظرهم[9] ، وتجمع في هذه القبور الموميا القبورية التي لا تعدل ثمنا .

(1027)

ومدينة أخميم ، وهي مدينة مسوّرة في الضفة الشرقية من النيل فيها أسواق وحمامات ومساجد ، وهي كثيرة المساجد ، وداخل سورها البربى المذكور لم يتغير منه شيء ، وفيها مسجد جامع جليل .

(1028)

مدينة أسيوط[1] ، وهي على الشاطىء الغربي من النيل ، وهي مدينة مسوّرة (جميلة النصبة)[2] كثيرة الخير والفوائد[3] ، وفيها أيضا بربى (في وسط سوقها)[4] قد تهدم بعضه . وأسيوط أكثر بلاد الصعيد قصب سكر وأطيبه .

(1029)

مدينة أنصنا[1] ، وأكثرها اليوم خراب ، وهي كانت مدينة السحرة وكان (بها أيضا بربي لم يبق منه اليوم إلا بيت واحد كأنه من صخرة واحدة حيطانه وأعلاه[2] ، ومارية التي أهداها المقوقس الى رسول الله صلعم من كورة أنصنا من قرية يقال لها جفن[3] ، ومدينة أنصنا)[4] لا يقربها تمساح والناس منها[5] آمنون هناك ، وأكثر ما يكون عدوانا من الشاطىء الغربي الذي يحاذي

1026 8) ر : لا يدري أحد ـ 9) م ط ر : منظرها .

1028 1) ر : ذكر مدينة أسيوط ـ 2) سقطت من ط ـ 3) ر : والفواكه ـ 4) سقطت من م .

1029 1) ر : ذكر مدينة أنصنا ـ 2) سقطت من ط ـ 3) م : جبن ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ط : منه ـ

أنصنا في قرية يقال لها الأشمون ، لا يقدر[6] أحد أن يقرب من شاطئها[7] ، وإذا كان التمساح في حدّ أنصنا تحول على ظهره مستلقيا حتى يخرج منها ، وكذلك يصنع من فسطاط مصر على نحو عشرة أميال حتى يخرج عن حدها بمثل ذلك .

(1030)

ومدينة قوص[1] ، وهي على شرقي النيل بين أسوان وأخميم وبينها وبين أسوان مسيرة ثلاثة أيام ، وهي مدينة كبيرة وفيها آثار عظيمة للأوائل[2] ، وفيها أسواق وحمامات ومعاصر للسكر يخدم الدار الواحدة منها[3] مائة رجل ، ولها ضياع جليلة ، وبينها وبين أسوان غيران منحوتة في جبال[4] هناك فيها قبور[5] أموات تستخرج منها الموميا الطيبة ، وهم يجدونها في رممهم وبين أكفانهم . ويقال ان في تلك الصحراء التي بين قوص وأسوان الجبل الذي فيه معدن الزمرد الأخضر ، إلاّ أنّ الخوف من البجاة[6] والنوبة وقبائل عرب تلك الصحارى تمنع منه ، مع أنّ غيرانه بعدت وانهارت[7] وتهدمت لبعد العمارة وانقطاع الناس .

(1031)

ومدينة قفط[1] ، وهي متوسطة المقدار بينها وبين النيل ثلاثة أميال ، عليها سور ولها جامع وسوق[2] ، وبينها وبين مدينة قوص أربعة أميال ، وفيها بربى وبغربيها شَعْرى كثيفة ، (ليس بينها وبين مدينة قوص)[3] شيء إلا شجر

1029 6) ر : لا يقدم ـ 7) م : شاطئ ناحيتها .

1030 1) ر : ذكر مدينة قوص ـ 2) ر : للأول ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ط : الجبال ـ 5) سقطت من ب ط ـ 6) ر : الجباة ـ 7) ر : انهالت ، م : انثلمت .

1031 1) ر : ذكر مدينة قفط ـ 2) سقطت من ط ـ 3) ص ط ر : ليس بها ـ

السنط [4] الذي هو حطب مصر . ومن مدينة قفط الى مدينة أخميم ثلاثة أيام .

(1032)

ومدينة أسوان ، وهي (آخر مدن الإسلام وثغرهم [1] من بلاد [2] مصر ، وهي متصلة ببلاد النوبة . وبين أسوان ـ وهي آخر بلاد الإسلام ـ والعريش ، وهو آخر حدّ مصر ، حائط العجوز قد حوّط [3] أرض مصر كلها) [4] . وبين مدينة أسوان ومدينة صور التي هي أول بلاد النوبة صحراء فيها أعراب يُعرفون ببني حمار [5] وبني هلال وبني كنانة وبني جهينة يؤدون أعشارهم الى صاحب مصر . وأسوان في أول الصحراء الى ساحل بحر النعم الى مدينة على ساحل البحر تسمّى عيذاب ، وهي في [6] صحراء تتجوّل فيها قبائل السودان من البجاة . ومسجد الردّ بُني آخر عمل أسوان وهو رباط أسوان .

الطـريق من أسـوان إلـى عيـذاب

(1033)

وعيذاب مدينة على (ضفة البحر الغربي) [1] ، وهي مرفأ الحجاج ومن سلك الى اليمن وغيرها . ويسكنها قوم يعرفون ببني يولس [2] ، ويقال إنهم من البجاة ، ويقول آخرون إنهم من العرب وإنهم فزارة [3] ، قوم نفاهم [4] أبو

1031 4) ط : السقط ، ر : أشجار السنط .

1032 1) ط م : وثغورها ـ 2) ص : مدن ـ 3) ص : حصن ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ر : جمال ـ 6) في : عن ر .

1033 1) ط : الساحل الغربي ـ 2) عن ط ، م ر : بولس ـ 3) م : فرازنة ، ر : برازنة ـ 4) ر : قد نفاهم ـ

بكر الصديق رضه . والى أسوان من عيذاب طريقان ، طريق يعرف بالوضح[5] ، وهو ثماني عشرة مرحلة في قفر ورمال ليس فيها عمران ، وهي رمال (قليلة الماء)[6] متهيلة[7] تمور مع[8] الرياح فتعفي الآثار ولا يهتدى فيها لمسلك ولا سبيل ، وإنما يقتدي[9] فيها الجمّالون (بإبل معروفة يقدمونها)[10] فيهتدون بها .

(1034)

والطريق الآخر يعرف بطريق العلاقين ، وهي ثماني عشرة مرحلة أيضا وليس فيها عمران إلا مدينة في وسط الطريق تنسب الى نهر[1] هناك يعرف بالعلاّقين ، وهي كثيرة الثمار والخير ويسكنها (أناس كثيرة)[2] يزعمون[3] أنهم من العرب من كلب بن وبرة ، وهم على استقامة وحفظ لمن مرّ بهم . وأكثر جبال هذه الطريق فيها معادن الذهب والفضة ، ويسكن في الجبال الممتنعة منها البجاة ، منهم مسلمون[4] يتاجرون المارة بهم ويبايعونهم . وفي هذه الصحراء من أسوان الى عيذاب الى رأس القلزم الفيلة والزرافات .

(1035)

وعلى القرب من أسوان جزيرة بلاق ، وهي جزيرة يحيط بها النيل وبها مدينة ومنبر وخلق من المسلمين من بلاد مصر وأسوان ، وهذه الجزيرة بالموضع المعروف بالجنادل .

1033 5) ر : بالواضح ـ 6) سقطت من ر ـ 7) ط : سائلة ، ر : متحيلة ـ 8) ر : بها ـ 9) م : يهتدي ـ 10) ط : بتماثيل معروفة يقيمونها .

1034 1) م : بشر ـ 2) ص ط : ناس كثير ـ 3) ط : ويزعم ـ 4) ر : المسلمون .

الطريق من الفسطاط الى دمياط الى جزيرة تنّيس

(1036)

تسير في النيل منحدرًا حتى تأتي محلّة المحروم ، وهي على ساحل طنرثى ، وطنرثى مدينة كبيرة فيها الحمامات والفنادق الكثيرة[1] والأسواق ، وهي غير مسورة ، وبينها وبين ساحل محلّة المحروم ثلاثة أميال ، وهي بين خليجين من النيل وبينها وبين النيل من ناحية الشرق ميلان[2] . وهو الخليج الذي ينزل الى دمياط (ومن عبره يأتي)[3] مدينة مليج[4] ، وهي مدينة كبيرة في أول منبعث هذا الخليج ، ووراء مدينة مليج[4] خليج آخر يذهب أيضا الى دمياط ، وهناك مدينة تسمّى نيطاني[5] وهي مدينة جليلة فيها أسواق كثيرة[6] ومسجد جامع . وتسير من مدينة نطاني[5] مع النيل الى مدينة دمسيس[7] ، (وهي كبيرة كثيرة الخير والبساتين)[8] ، وهي على شاطىء النيل ، وبإزائها من العدوة الثانية مدينة تسمّى شبرى دمسيس ، (وهي مدينة كبيرة[6] كثيرة الخير والبساتين . وعلى مقربة منها مدينة فجنجين واسعة ذات أسواق ، ويخرج عندها خليج من النيل يجري الى بحيرة تنيس)[9] ، ويسمّى أول مدخل الى هذه البحيرة الديجور ، وهي كالبحر عظما . ومن مليج المذكورة الى مدينة صهرجت نصف يوم . وعلى مقربة من صهرجت مدينة بلبيس ، مدينة جليلة بين الشرق والشمال من مصر وبينها وبين مصر بحيرة الأسرا[10] ، ويخرج اليها الماء من خليج يقرب مدينة رشيد من الضفة الشرقية ، وهي بحيرة ملحة ، وفيها مدينة سنجار ، وبهذه المدينة أكثر السفن التي تجري الى مصر في النيل بالأطعمة كل عام .

1036 1) ر : الكبيرة – 2) ط : ميل – 3) م ر : ومن غيره إلى – 4) ر : مليح – 5) ر : تيطاني – 6) سقطت من م – 7) كذا – 8) سقطت من ص – 9) سقطت من ط – 10) ص ر : الاستواء .

(1037)

(وبين هذه البحيرة وبحيرة أخرى)[1] جسر يتصل[2] بالبحر الكبير ، وهو جسر من بنيان الأول متقن الصناعة محكم التدبير ، وفي هذا الجسر حفائر وكُوى مصنوعة يأوي اليها الحوت ، واذا أرادوا صيده فتحوا أسدادا[3] هناك بين البحرين فيدخل الماء من البحيرة التي تلي البحر الكبير الى هذه البحيرة الثانية ، فإذا أحسّ الحوت بدخول الماء تواثب من تلك الكوى فتساقط[4] على الجسر ، فيأخذون منه ما شاؤوا بلا كلفة ويبيعونه بالأموال الكثيرة من أصحاب الدواب بعد إخراجه الى البر الكبير ، فيحمل الى مصر على رتب .

(1038)

وينحدر الخليج الذي يدخل[1] من طرنّى الى مدينة تسمّى الملحة ، وهي مدينة جليلة لها مسجد جامع وأسواق وحمامات ، وهي قاعدة العمال من مصر . ويسير منها الى مدينة تسمى دميرة ، وهي قاعدة كبيرة ومجمع للناس ولها أسواق عظيمة ومنها يسير الى دمياط . وخليجها على القرب منها (يفترق فرقتين)[2] ، فتأخذ شعبة منه على شرقيها وشعبة على غربيها ، ثم تلتقيان في البحيرة ، فتصير الى المدينة في جزيرة ، وهي مدينة مسورة لها خمسة أبواب وفيها مساجد كبار ولها حصون تسمى بالمحاريس يسكنها الفقراء[3] والصالحون . وبقربها[4] موضع يعرف بالصحراء فيه يقصر القصارون[5] تلك الثياب الشروب ، وهي تكتفي عند اعتدال هوائهم وموافقته لهم بقصارة اليوم الواحد فتبيضّ .

1037 1) ر : وبين هذين (كذا) البحيرتين ـ 2) ط ر ص : متصل ـ 3) ط : سدًا ـ 4) م : فيتساقط ـ

1038 1) ط : يخرج ـ 2) سقطت من م ، ر : فرقتين ـ 3) ص ر ط : الفقهاء ـ 4) م : ويقرب منها ـ 5) م : القصار .

(1039)

وهذه البحيرة يسلكها الملاّحون ذاهبين الى تنّيس من دمياط وراجعين من تنّيس اليها بريح واحدة بحكمة في سفنهم وشراعها[1] تزاحم به الريح . وجزيرة تنّيس في وسط هذه البحيرة ، وهي بحيرة تعذب عند زيادة النيل فتبقى ستة أشهر حلوة ثم تملح ستة أشهر أخرى . وقال قوم إنها تعذب (إذا هبّت)[2] الجنوب فيطرقون لها عند ذلك الى مصانع قد اتخذوها ، فاذا هبّت الشمال ملحت .

(1040)

ومدينة تنّيس كبيرة لها مسجد جامع وأسواق ، وأهلها ذوو يسار وثروة وأكثرهم حاكة وثيابها الشروب لا يصنع مثلها في الدنيا ، فصنع بها لصاحب مصر قميص لم يدخل فيه من الغزل لَحمًا[1] سوى أوقيتان ونسج فيه من الذهب أربعمائة دينار ، وقد أحكمه الصانع حتى لم يخرج فيه[2] الى تفصيل ولا خياطة غير الجيب[3] ، فبلغت القيمة فيه ألف دينار . وليس في الدنيا طراز كتّان[4] يبلغ الثوب منه ، وهو ساذج دون ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنّيس ودمياط .

(1041)

وبجزيرة تنّيس أزيد من عشرة آلاف من النصارى ولهم على شاطىء البحر كنائس كثيرة . وقبور المسلمين في جزيرة تنّيس بأفنية دورهم لضيق

1039 1) ص ط ر : وشرعهم ــ 2) ر : بريح .

1040 1) سقطت من م ر ــ 2) سقطت من م ــ 3) ر : الجيب واللهان ــ 4) سقطت من ط ر .

مساكنهم ، وهم يصيدون (الطير من)[1] السُّمَانَى وغيرها على أبواب دورهم بشباك يمدونها على سككهم . وقد ذكرنا في أخبار مصر خبر الأكوام التي بتّنيس وأن تنّيس كانت جزيرة عظيمة وكانت كثيرة الجنّات[2] والمتنزهات والقصور فغلب الماء على أكثرها . وقد (زعم قوم)[3] أنها كانت مقسومة بين ملكين من ولد ابرويت[4] بن مصريم[5] وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا . ، فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر حتى باع من أخيه الكافر حصّته من تنّيس ، فزاد فيها غروسا[6] فجرّ فيها أنهارا وبنى مصانع ، واحتاج أخوه الى ما في يده ، فمنعه وسطا[7] بماله وحشمه عليه وحقره لفقره . فقال له أخوه : فما أراك شاكرا لله تعالى[8] على ما رزقك ويوشك أن ينتزع ذلك منك ويغير نعمته عندك[9] . فأرسل الله على جناته ومصانعه الماء فأصبحت خاوية على عروشها . فهما اللذان عنى الله تعالى بقوله في سورة الكهف[10] . فتركب السفن من جزيرة تنّيس الى الفرما ، وهي مدينة جليلة كثيرة الخير وهي في الساحل . ويذكر أن هاجر أمّ إسماعيل من قرية من قراها تسمّى أمّ العرب وهي على مقربة منها .

(1042)

والفرما قديمة البناء ، ويذكر أهل مصر أنّه كان منها طريق الى جزيرة قبرس في البرّ فغلب عليه البحر ، وكان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام المجزّع الأبيض . وقال يحيى بن عثمان : أرابط[1] بالفرما وبينها وبين البحر قريب من يوم يخرج المرابطون الى ساحله فيقيمون[2] عليه ، ثم غلب البحر على ذلك كله . فالفرما اليوم على البحر ، فصار ما بين الفرما والقلزم هو الحاجز الذي ذكره الله تعالى (في كتابه فقال)[3] : وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا[4] ، وهما

1041 1) سقطت من ر ـ 2) ر : الحيات ، ط : الجهات ـ 3) ر : زعموا ـ 4) ط م : ابروت ـ 5) ر : مصرم ، ط م : مصر ـ 6) م : غرسًا ـ 7) م : وسطا عليه ـ 8) ص : عزّ وجلّ ـ 9) ص ر : عليك ـ 10) راجع سورة الكهف 32/18 .

1042 1) ر : كانت مرابط ـ 2) ص ط : فيخيمون ـ 3) سقطت من ر ـ 4) سورة النمل 61/27 .

بحر الروم وبحر[5] الصين ، ولا يتقاربان في بقعة من الأرض تقاربهما في هذا الموضع ، فإن الذي ما بين الفرما والقلزم مسيرة ليلة واحدة وبينهما في غير هذا الموضع مسيرة شهور[6] .

(1043)

ووجّه ابن المدبر الى الفرما ، وكان بتنّيس في هدم أبواب لها من حجارة في شرقي الحصن ، فاحتاج أن[1] يعمل منها كلسا ، فمنع[2] من ذلك أهل الفرما فخرجوا[3] الى رسله في السلاح وقالوا : هذه من الابواب التي قال الله عزّ وجلّ فيها على لسان يعقوب (عليه السلام)[4] : لا تدخلوا من بابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ[5] .

(1044)

ومن عجائب الدنيا نخل الفرما ، فإنه يثمر حين ينقطع البُسر والرطب من تلك البلاد[1] ، ويبتدىء هذا بالأرطاب حين[2] تلد النخل في الكوانين فلا ينقطع أربعة أشهر ، ولا يوجد هذا في بلد من البلاد سوى الفرما ، ويكون منه ما وزن البسرة عشرون درهما وطولها فِتْر .

1042 5) سقطت من ط م ـ 6) ص ر : الشهور .

1043 1) ص : إلى أن ـ 2) ص : فيمنع ـ 3) م : فأقبلوا ـ 4) عن م ـ 5) سورة يوسف 67/12 .

1044 1) ر : الأبواب ـ 2) ر : حتّى .

الطريق من الفسطاط الى الإسكندرية

(1045)

تخرج من الفسطاط فتعبر النيل (الى الجزيرة)[1] الى الجيزة ، وهي الضفة الغربية من النيل ، وبقرب الفسطاط على رأس ميل منها قرية (يقال لها)[2] وسيم . وعن بكر بن سوادة[3] عن أبي عطية[4] عن عبيد بن رفيع[5] قال : قال لي عمر بن الخطاب رضه : يا مصري أين وسيم (من قراكم؟)[6] قال : فقلت : على رأس ميل يا أمير المؤمنين ، قال : ليأتينكم أهل الأندلس حتى يقاتلوكم بها . فلما قام الوليد بن عابرة الأندلسي ببرقة وحشد الناس وغزا مصر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة نزل يحاصر مصر من قرية[7] وسيم ، وهي على ثلاثة فراسخ من مصر. ثم تسير من الجيزة الى ذات الكرم الى ترنوط ويحدو الجمالون ، فيقولون : من ترنوط الى ذات الساحل مرحلة أعيت على المراحل . وتسير من ترنوط الى تروجى[8] ـ قال الحكيم تورح ـ ثم الى مدينة الاسكندرية .

(1046)

وطريق أخرى تركب السفن من الفسطاط الى محلّة المحروم ثم الى مدينة رشيد ، وهي مدينة على كثيب رمل[1] عظيم[2] متهيل ، اذا هبت الريح الغربية وهي تشتد عندهم ملأت عليهم منه[3] بيوتهم ولا يقدرون على التصرف في أسواقهم . ومن أعجب متنزهات الدنيا ضفتا النيل من مصر الى مدينة رشيد ولا غلة لثمار الأرض كغلات هذه الناحية . أخبرني غير واحد أن ضيعة كانت لرجل بقرية[3] منها (تعرف بذيبة)[4] ، وهو رجل من أهل

1045 1) عن م ـ 2) ر : تسمّى ـ 3) م : هوادة ـ 4) نقص مقدار ورقة في م ـ 5) ط : نافع ـ 6) سقطت من ص ـ 7) ص ر : بقرية ـ 8) ر : أزوجا .

1046 1) ر : زمن ـ 2) ر : كبير ـ 3) سقطت من ط ـ 4) ط : يعرف حربية .

مصر يعرف بابن داود ، يغلّ رمانها وموزها في العام خمسة عشر ألف مثقال ، وأشجار رمانهم تطعم من سنتها وتزداد نماء وفائدة الى العام الرابع ، ثم تذوي وتيبس ، وهناك كانت ضيعة الليث بن سعد رحمه الله .

(1047)

قال قتيبة بن سعيد : سمعتُ [1] الليث بن سعد يقول : يدخل عليّ (في كلّ سنة) [2] خمسون ألف دينار [3] (ما وجبت عليّ زكاة قطّ) [4] . وكان أجود الناس لا يُبقي شيئًا يزكّيه . وتسير من مدينة رشيد إلَى مصبّ النيل في البحر ، وهو موضع مخوف علَى السفن لأنّ أمواج البحر تعظم [5] هناك مع قوّة جريان النيل ، فيثير ذلك أكوام رمال تحت الماء ، فربّما حمل شدّة [6] جريان الماء [7] السفن إلَى تلك الرمال فهلكت ، ثمّ تسير السفن من هذا الموضع في البحر مسيرة يوم أو أقلّ إلَى الإسكندرية .

(1048)

(فأمّا الطريق من مدينة رشيد إلَى الإسكندرية) [1] علَى البرّ [2] تسير منها نحو ثلاثة أميال إلَى الغرب في رمال ، ثمّ تفضي إلَى فُوهة بحيرة قد دخلت في البرّ أميالاً كثيرة فتخوض الدوابّ الماء حتّى تقطع [3] تلك البحيرة نحو نصف ميل بعلامات [4] قد وُضعت في البحيرة ، فإذا حادت دابّة [5] عن تلك العلامات سقطت في بحر بعيد القعر فهلكت وهلك ما عليها من المتاع أو فسد إلاّ إن تدورك وخلص . ويسمّى ذلك الموضع الأشتوم . فإذا عبروا تلك

1047 1) ط : قال لي ـ 2) ط : كل عام ـ 3) ط : مثقال ـ 4) ط : لا يجب عليّ فيها زكاة ـ 5) ر : موضع ـ 6) سقطت من ر ـ 7) ط : النيل .

1048 1) سقطت من ط ـ 2) ر : البحر ـ 3) ر : فتقطع ـ 4) يستأنف هنا نص م ـ 5) ر : الدابّة ـ

البحيرة صاروا إلَى [6] أجم وغياض وهِضاب رمال فساروا فيها نحو عشرة أميال . ويستعمل [7] الصيّادون في هذا الموضع من الطير غلات جزلة من لحمها وريشها [8] ، والطير تخرج من البحر إلَى مصايدهم . ثمّ تسير بعد ذلك نحو خمسة أميال إلَى باب مدينة الإسكندرية ، وبقرب هذا الباب من خارج سورها صور أصنام . فإذا دخلت الباب فهناك قبّة خضراء علَى ستّة عشر عمودًا من الرخام ، ويسرة هذه القبّة بساتين كثيرة فيها جميع الفواكه وأكثرها الجمّيز [9] ، ويمنة من هذه القبّة المدينة والبحر . ومن تروجَى إلَى مدينة الإسكندرية خمسة وعشرون ميلاً .

ذكـر مدينـة الإسكندريـة

(1049)

وذكر أنّ اسمها رقودة ولها خمس عشرة كورة . قال عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم : كانت الإسكندرية ثلاث مدن بعضها إلَى جنب بعض : منّة وهي موضع المنارة وما والاها ، والإسكندرية وهي [1] موضع قَصَبة السلطان اليوم ، ونَقِيطة [2] . وكان [3] علَى كلّ واحدة منها سور . وقال عبد الله بن طريف الهمداني : كان علَى الإسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق . وقال إنّ الإسكندر لمّا استقام مُلْكه في بلاده [4] سار يختار أرضًا صحيحة الهواء والتّربة والماء ، فأتَى موضع الإسكندرية فأصاب أثر بنيان [5] وعمد رخام منها عمود عظيم مكتوب عليه بالقلم المُسْنَد - وهو القلم الأوّل من أقلام حِمْيَر وملوك عاد - أنا شدّاد بن عاد شددتُ [6] بساعدي الواد وقطعت عظيم العماد من الجبال الأطواد وبنيتُ إرَم ذات العماد الّتي لم يخلق مثلها في

1048 6) ط : في - 7) ص ط : ويستغلّ - 8) ر : زيشها الحشو - 9) ر : الجيز .

1049 1) م : وهو - 2) عن «فتوح مصر» 42 ، ر : وبقنطة ، م : وسعلة ، ط : ولقيطة - 3) م : وكان له - 4) ط : البلاد - 5) ر : البنيان - 6) م : سددت -

البلاد ، أردت أن أبني هاهنا كإرم وأنقل إليها كلّ ذي قَدَم من جميع العشائر والأمم ، وذلك أن لا خوف ولا هرم ولا اهتمام ولا سقم ، فأصابني ما [7] أعجلني وعمّا ذهبت إليه قطعني ، حال طال مع وقوعها همّي وشجني ، وقلّ نومي ووَسَني ، فارتحلتُ عن هذه الدار لا لقهر جبّار ولا خوف جيش جرّار ، ولكن لتمام المقدار وانقطاع الآثار وسلطان العزيز الجبّار . فمَن رأى أثري وعرف خبري وطول عمري ونفاذ [8] بصري (وشدّة حذري) [9] فلا يغترّ بالدنيا بعدي . وقال ابن لهيعة : بلغني أنّه وُجد حجر [10] بالإسكندرية مكتوب فيه [11] : أنا شدّاد بن عاد وأنا الّذي نصَب العماد (وجنّد الأجياد) [12] وسدّ بذراعه الواد ، بنَيْتُهنّ [13] إذ لا موت ولا ميت ، وإذا الحجارة في اللّين مثل [14] الطين . ثمّ قال ابن لهيعة : الأجياد المعادن [15] .

(1050)

فبعث الإسكندر إلَى البلاد فحشر [1] الصُّنّاع واختطّ الأساس وجعل طولها وعرضها أميالاً واستجلب العمد والرخام وأنواع المرمر والأحجار في البحر من جزيرة صقلّية وبلاد إفريقية وإقريطُش ، ووضع علَى كلّ قطعة من الأرض خشبة قائمة ووصل بها حبالاً مَنُوطة بعضها ببعض يرجع جميعها إلَى عمود رخام كان أمام مضربه ، وعلّق [2] علَى العمود جرسًا عظيمًا مصوتًا وعلّق علَى كلّ قطعة من الحبال جرسًا [3] صغيرًا ، فإذا حرّك حبل الجرس الكبير الّذي عند العمود خفق الجرس وتحرّكت سائر الحبال وخفقت الأجراس [4] بحركات فلسفية وحيل حِكْمية . وأمر الصّنّاع أن يضعوا أساس المدينة دفعة واحدة إذا أذنتْهم تلك الأجراس .

1049 7) م : غم ـ 8) سقطت من ر ـ 9) سقطت من ر ـ 10) ر : في حجر ـ 11) سقطت من ر ـ 12) عن ر ، ص ط م : وجند الأجناد ـ 13) م : بنيتها ، ر : وصنعت ما صنعت ـ 14) م ر : قبل ـ 15) كذا ، وراجع «فتوح مصر» ص 21 .

1050 1) م : فحشد ـ 2) ر : وأقام ـ 3) ر : حبل ـ 4) ص ر : أجراسها .

(1051)

فأخذت الإسكندر نعسةٌ في حال ارتقابه للوقت [1] المحمود الطالع [2]، فوقع غُراب علَى حبل الجرس الكبير فحرّكه فتحرّكت الأجراس، فوضع الأساس (وارتفع الضجيج) [3] بالتحميد والتقديس، فاستيقظ الإسكندر من رقدته وسأل عن الخبر، فأُعلِم (بصحّة ذلك) [4]، فعجب (من ذلك) [5] وقال: أردتُ أمرًا وأراد اللّه غيره [6] ويأبَى اللّه إلاّ ما يريد، أردتُ طول بقائها وأراد اللّه سرعة فنائها. فلمّا شُيّدت أمر أن يكتب علَى بابها: هذه الإسكندرية، أردتُ أن أبنيها علَى الفَلاح والنَّجاح واليُمن والسّرور والثبات علَى الدهور، فلم يُرد اللّه تعالَى ذلك [7]، فبنيتُها علَى ما أراد وأحكمتُ بُنيانها [8] وشيّدت سورها، وآتاني اللّه من كلّ شيء علمًا وحكمًا [9] وسهّل عليّ وُجوه الأسباب فلم يتعذّر [10] عليّ في العالم شيء ممّا أردتُه صنعًا من اللّه تعالَى لي وصلاحًا لعباده من أهل عصري [11]، والحمد للّه ربّ العالمين. ورسم (بعد هذا) [12] كلّ ما يحدث فيها بعده [13] في مستقبل الأزمان من الخراب والعمران.

(1052)

وبنَى سورها آزاجًا وطبقات قد عمل لها [1] مخاريق ومتنفّسات للضياء يسير فيه [2] الفارس بفرسه [3] وبيده رُمح لا يضيق به حتّى يدور جميع تلك الآزاج. وكذلك أسواقها وشوارعها وسككها مقنطرة كلّها لا يُصيب أهلها شيء من المطر. وكانت الإسكندرية تُضيء في الليل بغير مصباح لشدّة بياض

1051 1) ر: الوقت ـ 2) سقطت من ط ـ 3) م: وارتفعت الأصوات ـ 4) عن م ـ 5) سقطت من م ـ 6) ر: خلافه ـ 7) سقطت من م ـ 8) ط: وأحكمتها ـ 9) م: وحكمة ـ 10) ط: يتعسّر ـ 11) م: عصره ـ 12) سقطت من ط ـ 13) سقطت من ر.

1052 1) ط: فيها ـ 2) عن ر ـ 3) عن م ـ

الرخام [4] ، (وربّما علّق فيها شقاق الحرير الأخضر) [5] لاختطاف بياض الرخام أبصار الناس . وقد كان لها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفة ألوانها بينها خنادق بين كلّ خندق وسور فصيل .

(1053)

وكان سكّان البحر (علَى ما زعموا) [1] يؤذون بالليل ويختطفون ، فاتّخذ الإسكندر علَى أعمدة [2] هناك تُدعَى المسالّ الطلسمات وهي باقية إلَى هذه الغاية ، كلّ عمود منها علَى هيئة السروة [3] طولها ثمانون ذراعًا علَى عمد من نحاس ، وجعل تحتها صورًا وأشكالاً (وكتابة تدفع) [4] وتمنع . وقد ذكر أيضًا في غير هذه القصّة وفي غير هذا الكتاب ما كان من دخوله البحر في التابوت ورؤيته أشخاص تلك الدوابّ المضرّة للبناء وغير ذلك . فلمّا صنع أمثالها وجعلها علَى الأسوار خرجت من النيل تلك الصور علَى حالها وظنّت أنّ ذلك يصنع بها إذا خرجت وامتنعت عن الخروج . والله أعلم (بكيفية ذلك كلّه) [5] .

1052 4) ر : رخامها ـ 5) ر : وربّما علق عليها سقق حمر وخضر من الحرير .

1053 1) سقطت من ط ـ 2) ر : عمد ـ 3) ر : الصومعة ـ 4) ر : كتابة تدفع وتندفع ، سقطت من ط ـ 5) عن ط .

[ذكر منارة الإسكندرية]

(1054)

فأمّا المنارة فذهب كثير (من الناس) [1] أنّ الإسكندر بناها علَى حسب ما ذكرنا [2] في المدينة ، ومنهم من رأى أنّ دَلُوكة المَلِكة بَنَتْها ، وقال بعضهم إنّ العاشر من فراعنة مصر بناها ، وقيل إنّ الّذي (بناها هو الّذي بنَى مدينة رومة) [3] . وبنَى الإسكندرية والأهرام بمصر ، وإنّما أضيفت الإسكندرية إلَى الإسكندر [4] (لشدّة استيلائه) [5] علَى ممالك العالم [6] . وإنّ الإسكندر لم يطرقه (في البحر عدوّ ولا هاب) [7] ملكًا يَرد [8] إليه فيكون يجعل [9] مرقبًا .

(1055)

وقال عبد اللّه بن عمرو بن العاص : كان أوّل من [1] ملك الإسكندرية فرعون اتّخذها مصانع ومجالس ، وهو أوّل من عمّرها ، ثمّ تداولها [2] الملوك (بعد فرعون) [3] (فبنت دلوكة بنت زبّان [4] منارها ، ثمّ تداولها [2] الملوك) [5] . فلمّا كان سليمان صلعم [6] اتّخذها مجلسًا وبنَى فيها مسجدًا . ثمّ إنّ ذا القرنين هدم ما كان (فيها من بناء الملوك) [7] إلاّ بناء سليمان ، فإنّه أصلح ما كان رثّ فيه وأقرّ المنارة علَى حالها وبنَى الإسكندرية من أوّلها (هذا البناء) [8] . ثمّ تداولها ملوك الروم وغيرهم ، فكلّ ملك أبقَى فيها أثرًا .

1054 1) عن ر ـ 2) ر : ذكره ـ 3) ص ر : بنى مدينة رومة هو الذي بناها ـ 4) م : للإسكندر ، وفي ط يبتدئ هنا هذا الفصل ـ 5) ر : لشدته واستيلائه ـ 6) ر : العالم والأمم ـ 7) م : غازٍ ولا عدوّ ولا رهب ـ 8) ر : يريد ـ 9) ط : يجعل له .

1055 1) عن ط ـ 2) م : تداولتها ـ 3) سقطت من ص ـ 4) م : رمان ـ 5) سقطت من ص ر ـ 6) سقطت من م ر ، ط : عليه السلام ـ 7) ص ط : يبني فيها الملوك ـ 8) سقطت من م ـ

فيقال إنّ فيلبس [9] بن الإسكندر المقدوني المعروف بالبنّاء هو الّذي بنَى الإسكندرية ، (وهو الّذي كان معلّمه أرسطاطاليس) [10] ، وبين بناء الإسكندرية وبين الهجرة (تسعمائة سنة وخمس وأربعون سنة واحد وأربعون يومًا) [11] .

(1056)

وقد ذكرنا في أخبار ملوك مصر أنّ أوّل من بناها (جيرون بأمر حوريا علَى ما سقناه من أمرها ، ومنهم من رأى أنّ أوّل من بناها) [1] قلوبطرة [2] ، وهي الّتي ساقت خليجها حتّى أدخلته الإسكندرية [3] وهي الّتي بلطت قاعته . وإنّ الّذي بنَى المنارة جعلها علَى كرسي من زجاج (علَى هيئة) [4] السّرطان في جوف البحر علَى طرف اللسان [5] الّذي هو داخل في البحر من البرّ ، وجعل طولها في الهواء ألف ذراع ، وجعل فيها المرآة وتماثيل النحاس [6] ، (فنها تمثال) [7] قد أشار بسبّابة يده [8] اليمنَى نحو الشمس حيثما كانت من مغرب أو مشرق أو أفق ، وتمثال يشير بيده (إلَى البحر) [9] إذا صار (العدوّ فيه) [10] علَى نحو ليلة ، فإذا دنا وأمكن أن يُرى بالبصر سُمع له صوت هائل علَى ميلين أو ثلاثة ، وتمثال كلّما مضَى من الليل [11] والنهار ساعة سُمع له صوت مُطْرِب [12] بخلاف الصوت الّذي كان منه في الساعة قبل .

1055 9) ر : فلس ، ص : فنبلوش ، ط : قينلس ـ 10) سقطت من ط ، ر : وكان معه ـ 9) ر : فلس ، ص : فنبلوش ، ط : قينلس ـ 10) سقطت من ط ، ر : وكان معه أرسطاطليس معلمه ، م : هو الذي كان معلم أرسطاطاليس ـ 11) ط : 541 سنة ولها من الأيام تسعمائة ألف وأربعون الفا ، م : تسعة الاف سنة وخمس وأربعون ألف سنة وإحدى وأربعون يومًا (كذا) .

1056 1) سقطت من ص ط ـ 2) م : اقلا وبطرة ، ط : فلو يطيره ـ 3) ر : في الاسكندرية ـ 4) سقطت من ط ، م : في هيئة ـ 5) م : البنيان ـ 6) ط : من النحاس ـ 7) ط : فيها تماثيل ـ 8) م : بيده ـ 9) سقطت من ر ـ 10) ر : العدو في البحر ، ط : في البحر ـ 11) من هنا نقص في ط ـ 12) م : مضطرب .

(1057)

وهذه المنارة مَن دخلها تلف [1] فيها إلاّ أن يكون عالمًا بها لكثرة بيوتها وحجراتها وطبقاتها [2] . وذكر أنّ المغاربة حين وافوا في خلافة المقتدر في جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم علَى خيولهم المنارة فتلفوا [3] فيها ، وفيها طرق تؤول إلَى مَهاوٍ إلَى سرطان الزجاج [4] ومخاريق إلَى البحر ، فتهوّروا [5] بدوابّهم وفقد منهم عدد كبير .

(1058)

وفيها مسجد في هذا الوقت يرابط فيه المطوّعة . وكان حول المنارة مغاوص [1] تستخرج منها أنواع جوهر يتّخذ منه فصوص الخواتم منها الاسباذجُشَم والكركهن والباقَلَمون [2] ، وهذا الباقلمون [2] ، حجر يتلوّن في المنظر ألوانًا مختلفة كتلوّن ريش الطاووس [3] الهندية ، فإنّها تتلوّن ألوانًا لا تحصَى ولا تشبه بلونٍ [4] من الألوان لما يترادف من تَموُّج الألوان في ريشها . ولتلك الطواويس شأن عجيب وخلق عظيم ، وما خرج منها من أرض الهند صغر جسمه وكدر لونه كما يفعل ما نقل منها [5] من النارنج والأترج [6] ، فإنّها تصغر وتعدم تلك الأرواح [7] العطرية لعدم ذلك الهواء والتربة . فمن الناس من رأى أنّ الإسكندر غرق هذه الأنواع من الجواهر حول المنارة لكي لا تخلو من الناس لأنّ من شأن الجواهر أن تكون مطلوبة علَى الأعصار [8] . وقيل إنّها كانت آلات شراب الإسكندر ، فلمّا مات كسرتها أمّه ورمت بها في تلك المواضع .

1057 1) ر : تاه ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ص ر : فتاهوا ـ 4) ر : السّرطان المزجج ـ 5) ر : فهوون .

1058 1) م : مغايص ـ 2) ر : والباقليمون ـ 3) ر : الطواويس ـ 4) ر : بشيء ـ 5) منها : عن ر ـ 6) م : الأترج الأخضر ـ 7) ر : الأزجاج ـ 8) ر : الأعصا .

(1059)

وقد كان ملك الروم في خلافة الوليد (بن عبد الملك) [1] أنفذ خادمًا من خواصّ خَدَمه ذا دهاء ورأي ووطأة علَى ما يذكره . فجاء مُستأمنًا إلَى بعض الثغور فحُمل إلَى الوليد [2] ، فأعلمه أنّه كان من خواصّ الملك وأنّه أراد قتله لموجدة لم يكن لها أصل ، وأنّه رغب في الإسلام فأسلم . وأظهر له النصح للوليد في دفائن استخرجها له من بلاد دمشق وغيرها من الشام (بكتب كانت له) [3] . فلمّا صارت إلَى الوليد [4] تلك الأموال والجواهر شرهت نفسه واستمكن طمعه وباحث عمّا عنده من علم هذا ، فقال [5] : إنّ الإسكندر لمّا استولَى علَى الأموال والجواهر الّتي كانت لشدّاد بن عاد وملوك العرب وغيرهم بنَى لها الآزاج والسّراديب والأقباء وأودعها تلك الذخائر من الأموال والجواهر ، ثمّ بنَى [6] فوق تلك المنارة . فبعث معه الوليد بأناس [7] من خواصّه وثقاته ، فهدم نصف المنارة وأُزيلت المرآة . فضجّ الناس من أهل الإسكندرية وغيرها وعلموا أنّها مكيدة وحيلة . فلمّا استفاض ذلك هرب [8] في الليل في مركب قد كان أُعدّ له ، فبقيت المنارة علَى ما ذكرنا [9] إلَى هذا الوقت [10] .

صفة المنار اليوم وارتفاعه

(1060)

[وأمّا المنار اليوم فهو ثلاثة أحزم ، الأوّل مربّع البناء قد عمل أحسن عمل] [1] من الحجارة المربّعة الّتي قد أُخفي إلصاقها حتّى صارت كالحجر

1059 1) سقطت من ر ـ 2) ر : علی ما أمر ـ 3) م : بكتاب كان معه ـ 4) م : للوليد ـ 5) ص ر : فقال له ـ 6) ر : صنع ـ 7) ر : بناس ـ 8) في النسخ : هرب النصراني ـ 9) م : ذكر ـ 10) ر : اليوم .

1060 1) عن الحميري 55 ، في النسخ : بنيان الحزام الأوّل من المنارة ـ

الواحد لم يغيِّر الزمان من ذلك شيئًا ، وارتفاع هذا المربّع ثلاثمائة ذراع وعشرون ذراعًا بالذراع المعروفة . ثمّ ترك في أعلاه غلظ حائط [2] البناء وهو ثمانية أشبار ونحو عشر أذرع سوى ذلك الغلظ ، ورفع علَى ما بقِي من البناء [3] بناء مثمّن الشكل [4] طوله ثمانون ذراعًا ، ثمّ بني علَى هذا البناء المثمّن بعد أن ترك (غلظ حائطه) [5] وهو أقلّ من غلظ الأسفل وثماني أذرع سوى ذلك الغلظ عليه بناء مربّع ارتفاعه خمسون ذراعًا أو نحو هذا .

(1061)

وفي أعلَى ذلك مسجد محكم البناء [ينسب لسليمان] [1] ، وفي الناحية الشمالية من البناء المثمّن كتابة بالنحاس لم يفكّها أحد . وباب المنار من حديد [لا يعلم له عهد] يرقَى إليه [من أسفل المنار] في علو ويصعد من أسفلها إلَى (أعلى بنائها الأوّل) [2] [في طريق يمشي فيه] فارسان متواكبان في أرض سهلة ، لا يكاد يعلم الراقي فيه هل (هو راقٍ أو ماشٍ) [3] (في سواء من الأرض) [4] . وفي كلّ عطف من هذا المصعد باب دار داخلها بيوت مربّعة سعة كلّ بيت من عشرين ذراعًا إلَى عشر أذرع ، قد فتح لها مضاوٍ [5] متنفّسات للهواء [ولئلاّ تهدّمها الرياح] . وعدد ما فيها من البيوت (ثلاثمائة وستّة وستّون بيتًا) [6] ، وعطف مطالعها من أسفلها إلَى أعلاها اثنان وسبعون عطفًا ، في كلّ عطف اثنتا عشرة درجة ، وبيوتها كلّها آزاج معقودة ، (وبناء المنار كلّه معقود) [4] بخشب الساج ، وعدد أبوابها الظاهرة من خارجها اثنان وعشرون بابًا فتحت فيها لئلاّ تهدّمها الرياح .

1060 2) من هنا يستأنف ط – 3) ر : الصبا ، ص : البها – 4) م : الغلظ والشكل – 5) م : غلظ كلّ حائط .

1061 1) في هذه الفقرة ما بين المعقفين عن الحميري ص 55 – 2) م : أعلاها فهو البناء الأوّل – 3) م : رقى أو مشى – 4) سقطت من ر – 5) م : مضايق – 6) ص ط : ثلاثمائة وستّون بيتًا .

(1062)

والبحر قد أثر في [1] أسفل المنارة من غربيّها حتّى صار تحتها كالكهف العظيم ، فسدّ بعض أُمراء مصر ذلك الثلم بأساطين الرخام بعضها فوق بعض ، فالبحر يضرب اليوم في تلك الأساطين [ولا يؤثّر فيها شيئًا] .

(1063)

وفي الشمال من المنارة بناء عريض واسع قد رفع من قعر البحر حتّى ظهر علَى الماء ، يدلّ علَى أنّه كانت عليه مصانع قد ذهبت ، ويسمّى ذلك البنيان الفاروس [1] ، وفي أسفله ترفأ [2] السفن لأنّ ذلك البناء يكفّ عنها الموج . وقد زعم قوم أنّ ذلك الظاهر ليس ببناء ، إنّما هو ممّا هدم [3] من حجارة المنارة ، والله أعلم .

(1064)

وتسير من الإسكندرية إلَى المنارة فتخرج علَى باب الأشتوم وتسير علَى ضفّة البحر نحو نصف ميل ، ثمّ تميل نحو الشمال فتسير نحو ذلك [1] ، ثمّ تسير علَى بناء في البحر كالقناطر ، ولها منافس والبحر يضرب من جانبيْه ، نحو أربعمائة خطوة ، فإذا خرجت من ذلك [2] البناء صرت [3] في فضاة داخلة في البحر كأنّها جزيرة ، والمنار في أعلَى هضبة منها ، وقد أحاط البحر بالمنارة من [4] ناحية الجنوب والشمال والغرب .

1062 (1) من هنا يستأنف س (انظر 1023) .

1063 (1) م : الفارس — (2) م ر : ترقَى ، ص : ترى — (3) ص ط س ر : هدم وتهدم .

1064 (1) م : ذراع — (2) سقطت من م — (3) ط : صارت — (4) ر : في .

(1065)

وهذه المنارة مجمع [1] في العام في يوم يسمّونه بخميس العدس ، وهو أوّل خميس من شهر بابه [2] لا يتخلّف في مدينة الإسكندرية أحد [3] إلاّ خرج إلَى المنارة وقد تقدّموا في إعداد الأطعمة ولا بدّ في ذلك الطعام من عدس ، (فيفتح بابها) [4] للناس فيصيرون فيها . (فمن ذاكر اللّه) [5] عزّ وجلّ ومصلّ [6] ومن لاه متفرّج ، فيقيمون إلَى نصف النهار ثمّ ينصرفون [7] . وسمع الليث بن سعد مسلمة بن علي يقول : بارك في العدس سبعون نبيًّا [8] . قال الليث : إلاّ نبي واحد وإنّه لَرديءٌ مُؤذٍ . ومن ذلك اليوم يبتدأ بإحراس البحر ، ولهم [في المنارة] قوم مرتّبون لذلك من النصارى ، فهم يوقدون النار الليل كلّه في أعلَى الحزام الأوّل من ناحية البحر ، فيؤمّ [9] أهل السفن من جميع البلاد سمت تلك النار (ويوقد صاحب السفينة) [10] النار ، فإذا رأى المحترس نارًا في البحر زاد [11] في وقوده وأوقد نارًا أخرى إلَى ناحية المدينة ، / فإذا رأى ذلك الّذين بالمدينة زادوا في ضرب البوقات والأجراس حذرًا من العدوّ ، فاستعدّ أهل المدينة لذلك .

(1066)

قال : والقصر الأعظم بالإسكندرية اليوم [1] خراب ، وهو علَى ربوة [2] عظيمة بإزاء باب [3] المدينة ، طوله خمسمائة ذراع وعرضه علَى النصف من ذلك أو نحوه [4] ، ولم يبق منه إلاّ سواريه ، فإنّها قائمة لم يسقط منها شيء ،

1065 1) م : يجتمع – 2) ر : مايه – 3) ر : كبير ولا صغير – 4) س : فتفتح أبوابها – 5) م : بين شاكر لله – 6) سقطت من ط – 7) م : يتفرّقون – 8) م : بارك الله في العدس سبعين نبيًّا – 9) ر : فيمر – 10) ر : ويوقدون في السفن – 11) ط : يزيد .

1066 1) اليوم : عن ر – 2) ص ط س : رابية – 3) باب : عن س ر – 4) هنا ينتهي في م ما يتعلّق ببلاد مصر –

وبابه أحكم البناء وأتقنه ، كلّ عضادة منه [5] حجر واحد [6] . وعدد أساطين القصر أزيد من مائة أسطوانة غلظ كلّ أسطوانة نحو عشرة أشبار . وفي ناحية الشمال منه أسطوانة عظيمة غلظها ستّة وثلاثون شبرًا ، وهي من الارتفاع بحيث [7] لا يدرك أعلاها قاذف بحجر ، وعليها رأس محكم الصناعة يدلّ أنّ بناء كان عليها ، وقاعدتها حجر أحمر مربّع محكم [8] عرض كلّ ضلع من أضلاعه اثنان وعشرون شبرًا في ارتفاع ثمانية أشبار . والأسطوانة منزّلة [9] في عمود قد خرقت به الأرض ، فإذا اشتدّت الرياح جعلت تحت الأسطوانة الحجارة فتطحنها [10] لشدّة حركتها .

(1067)

وبمدينة الإسكندرية كان الهيكل الأعظم الّذي اجتمع فيه ثلاثمائة أسقف وثمانية عشر [1] أسقفًا فأسّسوا [2] القول بالتثليث وكفّروا مَن خالفهم ، وذلك في زمن قيصر يولش [3] .

(1068)

وقال حمزة بن محمّد المصري إنّ بعض ولاة مصر دخل الإسكندرية فنظر إلى قصر عظيم من بناء الأوّلين ، فدعا الصنّاع فسألهم أن يبنوا له مثله . فقام إليه شيخ منهم فقال له [1] : أنا أبني لك مثله إن أزحت [2] عليّ . فقال : سل . (قال ائتني) [3] بثورين مطيقين وعجلة . (فأمر له بذلك) [4] ،

1066 5) س ط : منها ـ 6) ر : واستكفته حجر واحد ـ 7) ص : من حيث ـ 8) سقطت من ر ـ 9) ص : قد نزل ـ 10) ر : فتطحنهم .

1067 1) ر : واثنا عشرة (كذا) ـ 2) ر : فأثبتوا ـ 3) س : بولس .

1068 1) له : عن س ص ـ 2) ر : أرحت ، ط : أزاحت ـ 3) ط : فأتي ـ 4) سقطت من ط ـ

فدخل مقابر الإسكندرية واحتفر [5] في قبورها فاستخرج جمجمة عظيمة فوضعها في العجلة ، فما جرّها الثوران إلاّ بعد جهد ، فجاءه بها فقال : أصلح اللّه الأمير ، إن أعطيتني مَن تكون رؤوسهم مثل هذا الرأس بنيتُ لك مثل هذا القصر . فعلم أنّه لا حيلة له فيه . وقال حمزة بن محمّد المصري [6] : رأيت بالإسكندرية عند قصّاب ضرس إنسان يزن به اللحم زنته ثمانية أرطال .

(1069)

والإسكندرية كلّها دفائن وكنوز ، فإذا أمطرت مطرًا شديدًا وسال ترابها مع الماء خرج الرجال والنساء والصبيان من المدينة يلتمسون حواليها فيجدون قطع الذهب والفضّة من الحلَى وغيره والدرّ [1] والياقوت والزمرّد ، وليس يرجع أحد منهم بغير شيء .

(1070)

وإذا زاد النيل في أيّام زيادته دخل في الخليج الّذي صُنع لذلك حتّى يصل إلَى الإسكندرية ، فإذا وصل إلَى أعلَى المدينة ، ولهم هناك آبار مصنوعة ومواجل [1] ، فيسقون منها بالسواني من ماء النيل ويصبّون فيها فيجري الماء منها في قنّى قد أحكمت إلَى آبار (في دور المدينة من عمل الأوّل ، وذلك أكثر من ثلاثة أميال ، وليس بمدينة الإسكندرية دار إلاّ فيها بئر وماجل [2] فإذا وصل الماء إلَى الآبار) [3] استسقَى أهل الآبار وصبّوا في المواجل فيشربون منه [4] باقي عامهم .

1068 5) ط : وحفر ـ 6) ر : الأنصاري المصري .

1069 1) نقص مقدار صحيفة في ط .

1070 1) س : مواجن ـ 2) س : ماجن ـ 3) سقطت من ر ـ 4) س : منها .

(1071)

وكان بالإسكندرية دار ملعب قد بُنيت بضرب [1] من الحكمة لا يرى أحد فيها شيئًا دون صاحبه ووجه كلّ جالس [2] فيها تلقاء وجه صاحبه ، إن عمل أحد منهم شيئًا أو تكلّم أو نفث [3] سمعه [4] ونظر إليه جميعهم سماعًا ونظرًا متساويًا قريبهم وبعيدهم . وكانوا يترامون فيها بالكُرة ، فإذا وقعت في كمّ (أحد منهم) [5] فلا بدّ له من ولاية مصر ، كان هذا عندهم معروفًا لا يشكّون فيه . وإنّ عمرو بن العاص سافر إلَى الإسكندرية قبل الإسلام تاجرًا بالقطن والأدم ، فحضر ذلك الملعب فلعبوا بالكرة فدخلت كمّه ثلاث مرّات فقالوا : كذّبتنا هذه الكرة [6] هذه المرّة . فأتى اللّه عزّ وجلّ بالإسلام وفتحت مصر ووليها عمرو ثلاث مرّات .

(1072)

وقال عبد الرحمان بن عبد اللّه بن عبد الحكم : لمّا غزا عمرو بن العاص الإسكندرية من مصر فلم يقدر عليها ، وذلك بعد تسعة أشهر من موت هرقل ، غمّه ذلك فاستلقى علَى ظهره مطرقًا ، ثمّ جلس فقال : إنّي فكّرت في هذا الأمر ، فإذا هو لا يُصلِح آخرَه إلاّ ما أصْلح [1] أوّله ، يريد الأنصار . فدعا عُبادة بن الصامت فعقد له علَى حربها ، ففتحها اللّه علَى يديه وفتحت يوم الجمعة مستهلّ المحرّم سنة عشرين عنوة بغير عهد ولا عقد ، ولم يكن (بصلح ولا بأمن) [2] . ولم يكن بالإسكندرية خِطَط ، إنّما كانت أخايذ ، مَن أخذ منزلاً نزل فيه هو وبنو أبيه . ونزل عمرو بن العاص القصر الّذي صار لعبد اللّه بن أبي سرح [3] ، ويقال إنّ عمرا وهبه له لمّا وليها .

1071 1) س ر : بضروب ـ 2) ر : إنسان ـ 3) ص : نقب ـ 4) ر : ارتقب سماعه ـ 5) ص ر : أحدهم ـ 6) هذه : عن ر .

1072 1) س : أصلحه ، ص : يصلح ـ 2) ص س : لهم صلح ولا أمن ـ 3) ر : بن سرح ـ

قال يزيد بن أبي حبيب [4] : وكان المسلمون ينزلونها في رباطهم ، فإذا قفلوا [5] ابتدر الواردون منازلها . فمن ركز رُمحه في دار كانت له ، فتنزل [6] الدار القبيلتان والثلاث . فكان يزيد بن أبي حبيب يقول : لا يحلّ من كرائها شيء ولا يبيعها ولا يُورَّث منها شيء ، إنّما كانت للمسلمين يسكنونها في رباطهم .

(1073)

فقال عوف بن ملك [1] لأهل الإسكندرية : ما أحسن مدينتكم يا أهل الإسكندرية . فقالوا إنّ الإسكندر قال حين بناها : إنّي أبني مدينة إلَى الله فقيرة وعن الناس غنية ، فبقيت بهجتها . وإنّ الفرما ـ وهو أخو الإسكندر ـ بنَى الفرما وقال [2] : إنّي أبني مدينة (عن اللّه غنية) [3] وإلَى الناس فقيرة ، فذهبت بهجتها ولا يزال ينهدم منها كلّ يوم شيء ولا ينجبر ، وبقيت الإسكندرية بجدّتها . وروى بعض المصريّين أنّ عمر بن عبد العزيز رضه لمّا دخل الإسكندرية ـ وهو إذ ذاك أمير مصر ـ قال لعاملها لمّا رأى آثارها وعجائبها : أخبرني كم كان عدد أهل الإسكندرية في [4] أيّام الروم . فقال : واللّه يا أمير [5] ما أدرك علم هذا أحد ، ولكن أُخبرك كم كان بها [6] من الملوك ، فإنّ ملك الروم أمر بإحصائهم فوجدهم ستّمائة ألف . قال : فما هذا الخراب الذي أرى بأطرافها ؟ قال : بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر أنّه أمر بفرض دينار علَى كلّ محتلم بمصر [4] لعمران الإسكندرية . فأتاه كُبراء أهلها فقالوا : أيّها الملك لا تتعب [7] في هذا ، فإنّ ذا القرنين أقام علَى بنائها مرّة وانتهت عمارتها وتمّت بعد ثلاثمائة سنة وأنّه أقام أهلها سبعين سنة لا يمشون إلاّ بخرق سود في أيديهم خوفًا علَى أبصارهم من شدّة بياضها .

1072 4) ر : يزيد بن حبيب ـ 5) ر : أقفلوا ـ 6) س ر : فينزل .

1073 1) ر : عفو بن ملك ، س : عوث بن مالك ـ 2) هنا يستأنف ط ـ 3) ط : مغنية عن الله ـ 4) سقطت من ط ـ 5) ط س : أيّها الأمير ـ 6) ط : هناك ـ 7) ر : لا تتعب نفسك .

(1074)

وذكر الليث بن سعد عن زهرة بن معبد قال : قال لي عمر بن عبد العزيز : أين تسكن من مصر؟ قلتُ : أسكن الفسطاط . قال : أف [1] فأين أنت عن الطيّبة ؟ قال : قلت : فأيّهنّ الطيّبة ؟ قال : الإسكندرية ، فعزمت عليك لتسكنها أبا عقيل . ثمّ قال : ما علَى الأرض بلدة أحبّ إليّ أن يكون قبري فيها من [2] الإسكندرية . قال الليث : ثمّ عدنا أبا عقيل وهو شديد الوجع ونحن خائفون عليه ، فعدناه [3] غداة يوم فقال : رأيت الليلة [4] عمر بن عبد العزيز (في النوم) [5] فقال : أين تسكن أبا عقيل ؟ قلت : الإسكندرية (كما عزمت عليّ) [6] . قال : أبشر في ذلك بما يسرّك في دنياك وأخراك مرّتين . فقلت [7] : الحمد للّه .

(1075)

وقال أحمد بن صالح : قال سفيان بن عُيينة : الإسكندرية كنانة اللّه يجعل [1] فيها خير سهامه . وقال عبد اللّه بن مودق الصدفي : لمّا نُعي إليّ ابن عمّي خالد بن يزيد ، وكان توفّي بالإسكندرية ، لقيني عبد اللّه بن لهيعة والليث بن سعد مفترقين كلاهما [2] قال لي : أليس قد مات بالإسكندرية ؟ فأقول بلَى . فيقول : هو حيّ عند اللّه يرزق ويُجزى عليه أجر رباطه ما قامت [3] الدنيا وله أجر شهيد حتّى يحشر علَى ذلك .

1074 1) ر : أف لك – 2) ر : إلّا – 3) سقطت من ر – 4) ر : البارحة – 5) عن ر – 6) ر : التي عزمت عليّ في سكنها – 7) ر : قلنا له .

1075 1) ر : فجعل – 2) سقطت من ر – 3) ص : أقامت .

(1076)

وقد ذهب بعض المفسّرين إلَى أنّ إرم ذات العماد هي [1] الإسكندرية. وقال الناظرون في الأعمار [2] والأهوية والبلدان وترب [3] الأقاليم والأمصار : لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمريوط [4] ، قرية من قرى الإسكندرية ووادي فرغانة ، ومريوط بقرب مدينة الإسكندرية قرية كبيرة لها بساتين كثيرة ومنها تجلب الفواكه إلَى الإسكندرية ، ولوزها رقيق القشر يُحتّ [5] باليد .

(1077)

وقد (ظهر فيمن) [1] بقي بالإسكندرية بعد فتحها من الروم منويل الخصّي وعادوا حربًا علَى المسلمين . قال الليث بن سعد : قال يزيد بن أبي حبيب : جاءت الروم وعليهم منويل الخصّي في المراكب حتّى أرسوا بالإسكندرية ، فأجابهم من بها [2] من الروم [3] ، وقد كان عثمان عزل عمرو بن العاص [4] وولّي (عبد الله بن سعد) [5] بن أبي سرح ، فسأل أهلُ مصر عثمان أن يُقرّ عمرا حتّى يفرغ من قتال الروم ففعل . وكان علَى الإسكندرية سور لا يعدل به في الحصانة والإتقان والمنع [5] . فنذر عمرو لئن أظهره الله عليهم ليَهْدِمَنَّ سورَها حتّى تكون مثل بيت الزانية [6] يؤتَى من كلّ مكان .

1076 1) سقطت من ط ــ 2) ط : الأفعال ، س : الأغبار ــ 3) ر : وتراب ــ 4) عن س ، ص ط ر : بترنوط ــ 5) ر : يحبب .

1077 1) ر : ظافر من ، س : ظاهر من ــ 2) ص ر : من شاء ــ 3) ط : هنالك من الصبا ــ 4) ر : عن مصر ــ 5) عن ط ــ 6) سقطت من ط .

(1078)

فجيّش إليهم [1] عمرو في البرّ والبحر. قال الليث : وكان معه المقوقس فيمن أطاعه من القبط ، فأمّا الروم فلم يُعطه منهم أحد. فقال خارجة بن حُذافة لعمرو : ناهِضْهم قبل أن يكثُر عددهم ولا آمَن أن تنتقض (مصرُ كلُّها) [2] . فقال عمرو : لا ولكن أَدَعُهم حتّى (يسيروا إليّ) [3] فيُصيبوا مَن مرّوا به من الروم فيُخْزي اللّه بعضهم ببعض. فخرجوا من الإسكندرية فجعلوا ينتهبون ما مرّوا به ، فلم يَعْرِضْ لهم عمرو حتّى بلغوا نَقْيُوس [4] ، فلقوهم في البرّ والبحر ، فرمت الروم بالنُشّاب رميًا شديدًا حتّى أصابت يومئذ لَبّة فرس عمرو فعُقِر واستأخر [5] المسلمون عنهم فحملوا حملة ولّى المسلمون منها ، وانهزم يومئذ شريك بن شحيم في خيله . ثمّ نصر اللّه (عزّ وجلّ) [6] المسلمين وهزم [7] الروم وقتلوهم قتلاً ذريعًا [8] إلى أن أمر عمرو بن العاص برفع السيف في الموضع الّذي يسمّى بمسجد الرحمة ، وإنّما سمّي بهذا الاسم لرفع عمرو السيف هناك. وهدم سورَها كلّه وذلك سنة خمس وعشرين. وأقام عمرو بعد فتحها شهرًا ثمّ عُزل . وقد كان عثمان رضه أراد أن يكون عمرو [9] على الحرب وعبد اللّه (بن أبي سرح) [10] على الخراج ، فأبى عمرو [11] وقال : أكون كماسك البقرة بقرنيها [12] وغيره يحلبها .

1078 1) ر : لهم ، س : إليه ـ 2) ط : من بمصر كلّها ـ 3) ر : يشتدّوا لي ، ص ط س : يشدّوا ، والتصويب عن «فتوح مصر» ص 175 ـ 4) ر : أنقيوس ، س ط ص : القيوس ـ 5) ر : وتأخر ـ 6) عن س ص ـ 7) ر : وهزموا ـ 8) ط : ضريعًا ـ 9) عمرو : عن ر ـ 10) ط س : بن سعد ـ 11) سقطت من ص س ـ 12) سقطت من ر .

ذكـــر المشهـــور
من المدن والقرى في الطريق
من مصر إلَى برقة والمغرب كلّه

(1079)

ترنوط وهي قرية جامعة علَى النيل [1] ، بها أسواق ومسجد جامع وكنيسة وخراب كثير ، خربتها كتامة إذ كانوا هناك مع أبي القاسم بن عبيد اللّه الشيعي [2] ، وأكثر بنيانها بالآجر وبها معاصر سكّر . فمن ترنوط إلَى المنَى ، وهي ثلاث مدن قائمة البنيان خالية ، فيها قصور شريفة في صحراء رمل ربّما قطع فيها الأعراب علَى الرفاق [3] ، وتلك القصور (محكمة البناء منجّدة الجدر وأكثرها علَى آزاج معقودة) [4] يسكن بعضها رهبان ، وبها آبار عذبة قليلة الماء .

(1080)

ومنها إلَى أبي مينَى ، وهي كنيسة عظيمة فيها عجائب من الصور والنقوش توقد قناديلها ليلاً ونهارًا لا تطفَىٔ ، وفيها قبو [1] عظيم (في أحد مبانيها) [2] فيها صورة جملين من رخام عليهما صورة إنسان قائم رجلاه علَى الجملين ، إحدى يديه مبسوطة والأخرى مقبوضة ، يقال إنّها صورة أبي مينَى ، كلّ ذلك من رخام . وفي هذه الكنيسة صور الأنبياء عليهم السلام كلّهم ، صورة زكريا ويحيَى وعيسَى في عمود رخام عظيم علَى ذات يمين الداخل يغلق عليها باب ، وصورة مريم قد أسدل عليها ستران [3] ، وصور سائر الأنبياء . ومن خارج الكنيسة صور جميع الحيوان وأهل الصناعات [4] ، من جملتها

1079 1) ط : من مصر على النيل ــ 2) سقطت من س ر ــ 3) ر : بالرفاق ــ 4) سقطت من ر .

1080 1) ط ر : قبر ــ 2) سقطت من ر ــ 3) ط : ستر ــ 4) ط : الصناعة ــ

صورة تاجر الرقيق ورفيقه معه وبيده خريطة مفتوحة الأسفل ، يعني أنّ التاجر بالرقيق لا ربح له . وفي وسط الكنيسة قبّة فيها ثماني صور يزعمون أنّها صور ملائكة [5] ، وفي جهة من الكنيسة مسجد محرابه إلَى القبلة (لا يصلّي فيه إلاّ المسلمون) [6] حولها ثمار كثيرة (وعامّتها اللوز الأملس والخروب المعسّل الرطب ويعقّد منه الأشربة ، وكروم كثيرة) [6] تحمل أعنابها وشرابها إلَى مصر .

(1081)

ويقولون إنّ سبب بنيان هذه الكنيسة أنّ قبرًا كان في موضعها وكان بالقرب منه قرية وأنّ رجلاً من أهلها كان مقْعدا [1] ، فزال عنه حماره فزحف في طلبه ليصرفه حتّى وصل إلَى [2] القبر ، فلمّا صار عليه (يتبصّر القبر) [3] انطلق ماشيًا [4] ، فمشَى إلَى حماره واستوى [5] عليه راكبًا [6] (وانصرف إلَى موضعه صحيحًا . فتسامع الناس ذلك فلم يبق عليل إلاّ قصد ذلك القبر فجلس عليه) [7] فأفاق ، فبُنيت عليه هذه الكنيسة ، وقصدها أولو الأسقام ليستشفوا بها ، فبطل ذلك بعد بنائها . ويؤدّى من القسطنطينية [8] إلَى هذه الكنيسة (في كلّ عام ألف دينار) [9] .

1080 5) ر : الملائكة ـ 6) سقطت من ط .

1081 1) ط : مقعودًا ـ 2) سقطت من ط ـ 3) عن ط ـ 4) ط : حتّى مشى ـ 5) ص س : واستولى ـ 6) ط : راكبًا حماره ـ 7) سقطت من ط ـ 8) س : الفسطاط ، ط : القسطنطينية العظمى ـ 9) ر : س آلاف الدنانير .

(1082)

وذات الحمام ، وهي سوق (جامعة بها) [1] جامع بناه زيادة الله بن الأغلب منصرفًا من المشرق إِلَى إفريقية ، بإزائه بئر طيّبة [2] حولها جِباب [3] وبساتين وبها قصر خرب يتداول سكناه [4] روابط صاحب مصر . وسمّيت ذات الحمام لأنّ كلّ مَن شرب من مائها حمّ إلاّ من عافاه الله ، ولذلك يقول الحُداة : ربّ سلّمنا من الحجاز وغلاها ومن مصر ووباها ومن ذات الحمام وحماها .

(1083)

وأمّا الحنية فهي شطر حنية قائمة [1] في وسط فحص بينها وبين البحر شَرف يقال إنّها كانت باب الإسكندرية ، وينزل حولها لواتة ومزاتة خصائص ، وبين الحنية وذات الحمام مائدة رخام أسود يقال إنّها كانت مائدة فرعون تحتها جبّ يعرف بالتيس .

(1084)

والكنائس ، وهي ثلاثة قصور مهدّمة بالقرب منها عقبة تعرف بآبار قيس ، وهما بئران عذبتا الماء بعيدتا الأرشية . ومن جب العوسج [1] إِلَى قباب معان بينهما ثلاثون ميلاً ، وهي جباب حولها هذه القباب وهي المعروفة بخرائب القوم [2] . قال محمّد : خرائب القوم [2] مدينة خرّبها الروم ، فيها جباب ، وبغربي خرائب القوم [3] قصر أبي معد نزار [4] بن خالد بن يحيَى بن بابان ، (فنزله من قريش من قرابه جبير بن مطعم نحو عشرين بيتًا وأحياء) [5] كثيرة

1082 1) سقطت من ر ـ 2) ر : طية غزيرة الماء ـ 3) س ط : جنات ـ 4) ص : سكانه .

1083 1) سقطت من ر .

1084 1) ر : العويسج ـ 2) ر : الفيوم ـ 3) ر : أحمد ـ 4) ر : معرى بن نزار ـ 5) سقطت من س ـ

من بني مدلج [٦] ، ومن قبائل البربر نحو ألف بيت من فاضلة وبني عقيدان [٧] . ويذكر أنّ كثيرًا ما تتبدّل صورة المولود عندهم فتصير في خلق الغول والسعلاة [٨] وتعدو علَى الناس حتّى تغلّ وتقيّد . قال محمّد [٩] بن يوسف : أخبرني محمّد بن قاسم صاحب استجة [٥] أنّه صحّ عنده ذلك أو شاهده .

(1085)

(ومنها إلَى) [١] مدينة الرمادة ، وهي مدينة لطيفة بقرب البحر ، لها سور ومسجد جامع وحولها بساتين بأنواع الثمار ، وبالقرب منها قصر الشماس وفيه عمارة يسيرة . ومن خرائب القوم [٢] إلَى مدينة الرمادة خمسة وثلاثون ميلاً ، ومنها إلَى خرائب أبي حليمة [٣] ، وهو قصر معمور به سوق وآبار خمس وجباب علَى البعد ، فإذا أتيت قصر الروم ، وهي أقباء طوب يشرف عليها جبل في سفحه جباب ماء (أكبرها تعرف بالمطفّلة ، فإذا جئت وادي مخيل ، وهو حصن فيه جامع وله سوق عامرة حواليه جباب ماء) [٤] وبرك ، وليس ينبط فيه ماء ، وهو راخي السعر كثير الخير بينه وبين أجدابية خمس مراحل .

(1086)

برقة [١] ، واسمها بالرومية الإغريقية بنطابلس تفسيره خمس مدن . وصار إليها عمرو بن العاص حتّى صالح أهلها علَى ثلاثة عشر ألفًا يؤدّونها إليه جزية علَى أن يبيعوا من أحبّوا من أبنائهم في جزيتهم . قال الليث بن سعد : كتب

1084 6) ر : مدحج _ 7) ط : فضالة وبني عقيد _ 8) ط : السعالة _ 9) ر : اشجة .

1085 1) سقطت من ط _ 2) ر : الفيوم _ 3) ر : جميلة _ 4) سقطت من ر .

1086 1) وردت هذه الفقرة في ص فقط .

عمرو بن العاص علَى لواتة في شرطه عليهم أن تبيعوا أبناءكم فيما عليكم من الجزية ، وسمع عمرو يقول علَى المنبر لأهل أنطابلس عهد يوفي لهم به . ووجّه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتّى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين .

(1087)

ومدينة برقة في صحراء حمراء التربة والمباني فتحمرّ لذلك ثياب ساكنيها والمتصرّفين فيها . وعلَى ستّة أميال منها الجبل [1] ، وهي دائمة الرخاء كثيرة الخير تصلح بها السائمة [2] وتنمى علَى مراعيها [3] ، وأكثر ذبائح أهل مصر منها ، ويحمل منها إلَى مصر الصوف والعسل والقطران ، وهو يعمل بها بقرية من قراها يقال لها مقّة فوق جبل وعر لا يرقَى إليها فارس علَى حال ، وهي كثيرة الثمار من الجوز والأترج والسفرجل وأصناف الفواكه ، وتتّصل بها شعْراء عريضة [4] من شجر العرعر . وبمدينة برقة قبر رويفع صاحب رسول اللّه [5] صلعم ، وحول مدينة برقة قبائل من لواتة ومن الأفارق . وفي الطريق من برقة إلَى إفريقية وادي مسوس [6] فيه قباب خربة وجباب يقال إنّ عددها ثلاثمائة وستّون ، وبها بساتين ، وفي هذا الوادي التربة الّتي (يغلى منها العسل) [7] .

ذكـر مدينــة أجدابيــة

(1088)

وهي مدينة كبيرة في صحراء أرضها صَفًا [1] وآبارها منقورة في الصّفا طيّبة الماء ، (وبها عين ماء عذب ولها بساتين لطاف ونخل يسير ، وليس بها من

1087 1) ر : مدينة الجبل ـ 2) ر : الماشية ـ 3) ط : رعيها ـ 4) ر : عظيمة ـ 5) ر : صاحب النبي ـ 6) ر : أمسوس ـ 7) ر : يحمل منها العسل ، وقيل يغلى منها العسل .

1088 1) ر : صفراء ـ

الأشجار إلاّ الآراك) [2] ، وبها جامع حسن البناء بناه أبو القاسم بن عبيد الله ، له صومعة مثمّنة بديعة العمل ، ولها حمّامات وفنادق كثيرة وأسواق حافلة مقصودة وأهلها ذوو يسار وثروة [3] أكثرهم أقباط ، وبها نبذ من صرحاء [4] لواتة ، ولها مرسًى علَى البحر يعرف بالماحور له ثلاثة قصور بينه وبينها ثمانية عشر ميلاً . وليس لمباني مدينة [4] أجدابية سقوف خشب ، إنّما هي أقباء طوب لكثرة رياحها ودوام هبوبها . وهي راخية الأسعار كثيرة التمر يأتيها من مدينة أوجلة أصناف التمور [5] .

ذكر مدينة سرت

(1089)

وهي مدينة كبيرة علَى سيف [1] البحر ، عليها سور طوب وبها جامع وحمّام وأسواق ، ولها ثلاثة أبواب قبلي وجوفي [2] وباب صغير إلَى البحر ليس حولها [3] أرباض ، ولهم نخل وبساتين وآبار عذبة وجباب كثيرة ، وذبائحهم المعز ولحمانها [4] عذبة طيّبة ليس يؤكل بطريق مصر أطيب من لحومها [5] . وأهل سرت من أحسن خلق الله خلقًا وأسوأهم معاملة لا يبيعون ولا يبتاعون [6] إلاّ بسعر قد اتّفق جميعهم عليه ، وربّما نزل المركب [7] بساحلهم موسوقًا بالزّيت ، وهم أحوج الناس إليه ، فيعمدون إلَى الزقاق الفارغة [8] فينفخونها ويوكونها ثمّ يصفّونها في حوانيتهم وأفنيتهم ليرى أهل المركب [7] أن الزيت عندهم كثير بائر ، فلو أقام أهل المركب [7] عندهم [9] ما شاء الله أن

1088 2) سقطت من ط ـ 3) وثروة : عن ر ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ر : كثيرة التمر يأتيها من مدينة أوجلة على أصناف .

1089 1) ر : شاطئ ـ 2) ط : وشرقي ـ 3) س ر : لها ـ 4) ر : ولحومها ـ 5) ر : ليس بطريق مصر ما يؤكل أطيب من لحومها ـ 6) ر : يتبايعون ـ 7) ر : المراكب ـ 8) ر : الخاوية ، سقطت من ط ـ 9) عن ر ـ

يقيموا ما باعوا منهم إلاَّ علَى حكمهم . وأهل سرت يُعرفون بعبيد قرلة وهم يغضبون من ذلك [10] . قال الشاعر [11] يهجوهم [وافر] :

عبيد قرلة شرّ [12] البرايا معاملة وأقبحهم فعالا
فلا رحم المهيمن أهل سرت ولا سقاهم عذبًا زلالا

وقال آخر [سريع] :

يا سرت لا سرّت بك الأنفس لسان مدحي فيكم أخرس
ألبستم القبح فلا منظر يروق منكم لا ولا ملبس
بخستم في كلّ أكرومة وفي الخنا واللوم لم تبخسوا [13]

ولهم كلام يتراطنون به ليس بعربي ولا عجمي ولا بربري ولا قبطي لا يعرفه غيرهم ، وهم علَى خلاف أخلاق أهل أطرابلس ، فإنّ أهل أطرابلس أحسن خلق اللّه معاشرة وأجودهم معاملة وأبرّهم بغريب .

(1090)

ومن سرت إلَى أطرابلس عشر مراحل ومن سرت إلَى أجدابية ستّ مراحل ومن أجدابية إلَى برقة ستّ مراحل أيضًا .

1089 10) ر : ذلك المقال ـ 11) ر : شاعر ـ 12) ر : سوء ـ 13) ر : والقبح واللوم لم ينخس ، ص : وفي القبح ...

ذكـر مدينـة أطرابلـس

(1091)

ويذكر أنّ تفسير أطرابلس بالأعجمية الإغريقية ثلاث مدن ، وسمّاها اليونانيّون طربليطة [1] وذلك بلغتهم أيضًا ثلاث مدن : طر معناه ثلاث وبليطة يعني مدينة . ويذكر أنّ أشفاروش قيصر هو الّذي بناها . وتسمّى أيضًا مدينة أطرابلس مدينة إياس [2] . وعلَى مدينة أطرابلس سور صخر جليل البنيان وهي علَى شاطئ البحر ، ومبنَى جامعها أحسن مبنًى [3] ، وبها أسواق حافلة جامعة وحمّامات كثيرة فاضلة [4] . وبأطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود ، وحولها أقباط [5] في زيّ البربر كلامهم بالقبطية ، في قرارات في شرقيّها وغربيّها مسيرة ثلاثة أيّام إلَى موضع يعرف ببني السابري [6] ، وفي القبلة مسيرة يومين إلَى حدّ هوارة . وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون أعمرها وأشهرها مسجد الشعاب ، ومرساها مأمون من أكثر الرياح .

(1092)

ومغداس [1] ، ومنها إلَى قصور حسّان مرحلة ، ومن سرت إلَى مغداس مرحلة ، ومن قصور حسّان إلَى الراشدة - وهي بئر شرّيب سمّاها بهذا الاسم حسّان بن النعمان هذا ، وأنت تتوجّه من مصر إلَى المغرب . ومغداس هو صنم قائم علَى شاطئ البحر حوله أصنام وبه قصر بناه الأعرابي عامل سرت لبني عبيد الله . وبمغداس التقَى أبو الأحوص بن عمرو العجلي مع أبي الخطّاب

1091 1) ر : طربطيلة – 2) عن ط (انظر دي سلان ص 20) – 3) ر : بناء – 4) سقطت من ط – 5) عن ط ، س ر ص : أنباط – 6) س : السامري .

1092 1) وردت هذه الفقرة في ط فقط .

عبد الأعلَى بن الشيخ القائم بدعوة الإباضية ، فاقتتلوا علَى البحر فانهزم أبو الأحوص العجلي إلَى مصر واحتوى أبو الخطّاب علَى معسكره وقتل بشرًا كثيرًا من أصحابه وانصرف إلَى أطرابلس ، وذلك سنة اثنتين وأربعين ومائة . ولمّا قُتل زهير بن قيس ببرقة استعمل عبد الملك بن مروان حسّان بن النعمان الغسّاني علَى إفريقية ، فخرج إليها في المحرّم سنة ثمان وستّين ، فلقي عساكر الكاهنة بأرض قابس وعلَى مقدمتها القائد الّذي كان مع كسيلة بن لهزم ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا فقُتل صاحب خيل حسّان بن النعمان ، وانهزم حسان وأصحابه إلى المنهل المعروف بقصور حسّان بطريق مصر ، وقتل من أصحابه عدد كثير وأسر منهم نحو ثمانين رجلاً ، فأحسنت الكاهنة إليهم وأطلقتهم غير واحد وهو يزيد بن خالد القيسي ، فوصلوا إلَى حسّان وأخبروه بخبر يزيد ، فسرّ بذلك حسّان وكتب إلى عبد الملك يعلمه بما نزل به من الكاهنة ويسأله أن يمدّه بالجيوش . فكتب إليه عبد الملك أن يقيم بمكانه ، فبنَى هناك قصرين وهما اليوم خربان حولها ماء زعاف برز في بئرين وبها جباب كثيرة . والقصر الأبيض وهو قصر خرب وهو أدنَى المراحل إلى خرائب أبي حليمة على ظهر العقبة بقرية جب خرب . قال محمّد ـ وهو حدّثنا وآخر ذات الحمام ـ قال محمّد : حدّثني تميم عن أبيه عن فرات عن أبي المهاجر قال : أخبرني بعض الإسكندرانيين أنّ رسول الله صلعم قال : مَن كثرت ذنوبه فليلق لوبيا وراء ظهره . قال : والقصر الأبيض آخر حدّ لواتة أيضًا ، ويسكن تحت تلك العقبة مزاتة .

(1093)

ومدينة أطرابلس المذكورة [1] كثيرة الثمار والخيرات ولها بساتين جليلة في شرقيها ، ويتّصل بالمدينة سبخة كبيرة يرفع منها الملح الكثير . وداخل مدينتها بئر يعرف ببئر أبي الكنود (وهم يعيرون به ويحمق مَن شرب منه ، فيقال للرجل

1093 (1) عن ر ، وهنا يبتدئ نص ج ـ

إذا أتى بما يلام [2] عليه : لا يعتب عليك لأنك شربت من بئر أبي الكنود) [3] . وأعذب آبارها بئر القبّة . وذكر الليث بن سعد قال : غزا عمرو بن العاص مدينة أطرابلس سنة ثلاث وعشرين حتّى نزل القبّة الّتي علَى الشَّرَف من شرقيّها ، فحاصرها شهرًا لا يقدر منهم [4] علَي شيء . فخرج رجل من بني مُدْلِج ذات يوم (من عسكر عمرو) [5] متصيّدًا في سبعة نفر ، فمضوا غربيّ [6] المدينة فاشتدّ عليهم الحرّ فأخذوا راجعين علَى ضفّة البحر ، وكان البحر لاصقًا بسور المدينة [7] ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن البحر شارعة [8] في مرساها إلَى بيوتهم . ففطن المدلجي وأصحابه ، فإذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، فدخلوا منه حتّى أتوا من ناحية الكنيسة فكبّروا ، فلم يكن للروم مَفْزَع إلاّ سفنهم ، وأقبل عمرو بجيشه حتّى دخل عليهم فلم يفلت الروم إلاّ بما خفّ لهم في مراكبهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة . وإنّما بنَى سور مدينة أطرابلس ممّا يلي البحر هرثمة بن أعين حين ولايته القيروان .

(1094)

ولمدينة أطرابلس فحص يسمّى سوبجين يصاب فيه بعض السنين للحبّة مائة حبّة ، وهم يقولون فحص سوبجين يصيب [1] سنة في سنين .

(1095)

ومن أطرابلس إلَى جبل نفوسة مسيرة ثلاثة أيّام . وجبل نفوسة علَى ستّة أيّام من القيروان ، وطول جبل نفوسة من الشرق إلَى الغرب ستّة أيّام ، وتليه

1093 2) ص ج : بما لا يلام _ 3) سقطت من س _ 4) ط : أحدا منهم _ 5) سقطت من ر _
6) ر : على غربي ، ط : في غربيّ _ 7) س ر : بالمدينة _ 8) ر : تشارعه .
1094 1) ج : يصاب .

قبيلة يقال لها بنو رمور ولهم حصن يسمّى تيرقت [1] في غاية المنعة لا يطمع فيه أحد ولا يقدر عليه . وبعد هذا الحصن قبيلة بني تدرميت لهم ثلاثة حصون ، وفي وسط هذه القبائل مدينة كبيرة تسمّى جادوا لها أسواق ويسكنها يهود كثير . قال محمّد بن يوسق : أمّ قرى جبل نفوسة مدينة شروس وهي كبيرة آهلة جليلة ، أهلها إباضية ليس بها جامع ولا فيما حولها من القرى ، وهي أزيد من ثلاثمائة قرية آهلة لم يتّفقوا علَى رجل يقدّمونه للصّلاة بهم [2] . وبين أطرابلس ومدينة شروس خمسة أيّام بينهما حصن لبدة حصن من بناء [3] الأُوّل بالصاروج والحجر حوله آثار عجيبة للأوّل وخرائب كثيرة ، يسكن هذا الحصن قوم من العرب جملتهم نحو ألف فارس وهم محاربون لجميع [4] من يجاورهم من قبائل البربر ، وهم أزيد من عشرين ألفًا بين راجل وفارس [5] وظاهرون عليهم . (ويُروى في هذا الحصن في كتب الحدثان أمور شنيعة من العسكر الغربيّ الصادر إلَى افتتاح مصر وذلك في آخر الزمان . واللّه أعلم) [6] . وفي وسط جبل نفوسة النخيل والزيتون الكثير والفواكه ، ويجتمع فيما حوله من القبائل إذا تداعوا ستّة عشر ألف رجل . وافتتح عمرو بن العاص رحمه اللّه نفوسة وكانوا نصارى ، ومن نفوسة رجع عمرو بكتاب [7] عمر رضه .

(1096)

ومن أراد الطريق من نفوسة إلَى مدينة زويلة فإنّه يخرج إلَى مدينة جادوا المذكورة ، ثمّ يسير ثلاثة أيّام في صحراء ورمال إلَى موضع يسمّى تيرى ، وهو في سفح جبل فيه آبار كثيرة ونخيل ، ثمّ يصعد في ذلك الجبل فيمشي في صحراء مستوية نحو أربعة أيّام لا يجد ماء ، ثمّ ينزل علَى بئر تسمّى أودرف ، ومن هناك يلقَى جبالاً شامخة تسمّى تارغين يسير فيها الذاهب ثلاثة أيّام حتّى

1095 1) ر : تيرخت ، س : بيرقت ـ 2) ورد هنا في ط : وفي وسط هذه القبائل ـ 3) ر : بنيان ـ 4) ر : لجميع الأمم ـ 5) ر : عشرين ألف فارس وراجل ـ 6) عن ط ـ 7) ر : بكتب .

يصل إلَى بلد يسمّى تامرما [1] فيه نخيل كثير يسكنه بنو قلدين [2] وفزانة . وعندهم غريبة وهو أنّ السارق إذا سرق عندهم كتبوا كتابًا يتعارفونه ، فلا يزال السارق يضطرب في موضعه ذلك [3] ولا يفتر حتّى يقرّ ويردّ ما أخذ ، وما يسكن عنه ما به حتّى يمحي ذلك الكتاب . ويسير من هذا البلد إلَى بلد يسمّى سباب يومين ، وهو بلد كثير النخل وكذلك الّذي قبله . وأهل سبابٍ يزدرعون النبات الّذي يكوّن منه الصبغ المعروف بالنيل . ويسير من سباب في صحراء مستوية [4] لا شيء فيها غير رمل رقيق لا يشوبه حجر ولا مدر ، (إذا رأى الرائي العظمِ [5] في تلك الصحراء من بعيد حسبه قصرًا ، وإن رأى بعرة حسبها رجلاً) [6] . ومن هذه الصحراء إلَى زويلة يوم .

(1097)

وهي بجوّفيّ [1] مدينة أجدابية ، وهي مدينة غير مسوّرة في وسط الصحراء ، وهي أوّل حدّ بلاد السّودان ، وبها جامع وحمّام وأسواق يجتمع بها الرفاق من كلّ جهة [2] منها ، ومنها يفترق [3] قاصدهم وتتشعّب طرقهم ، وبها نخيل وبساط للزرع يسقَى بالإبل ، ولمّا فتح عمرو برقة بعث عُقْبة بن نافع حتّى بلغ زويلة وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين . وبزويلة قبر دعبل بن علي الخزاعي الشّاعر . قال بكر [4] بن حماد [كامل] :

الموت غادر دعبلا بزويلة ... وبأرض برقة أحمد بن خصيب

1096 1) ر : تامرق ـ 2) س ر : جلدين ـ 3) ر : لا يسكن عند ذلك ـ 4) ر : نقبة مستوية 5) ر : حجر كبير ـ 6) سقطت من ط .

1097 1) س : نحوا في ـ 2) ط : ناحية ـ 3) ر : يتفرّق ـ 4) ر : أبو بكر .

(1098)

وبين زويلة ومدينة أجدابية أربع عشرة مرحلة . ولأهل زويلة حكمة في احتراس بلدهم ، وذلك أنّ الّذي عليه نوبة الاحتراس منهم يعمد إلَى دابّة فيشدّ عليها حزمة حطب كبيرة من جرائد النخل ينال سعفها [1] الأرض ، ثمّ يدور بها حوالي المدينة ، فإذا أصبح من الغد ركب ذلك المحترس ومن يتبعه [2] علَى جمال السروج وداروا بالمدينة ، فإن رأوا أثرًا خارجًا من المدينة أتبعوه حتّى يدركوه [3] أينما توجّه لصًّا كان أو عبدًا أو أمة أو بعيرًا .

(1099)

وزويلة من أطرابلس بين المغرب والقبْلة ، ويجلب من زويلة الرقيق إلَى ناحية إفريقية وما هنالك ومبايعتهم بثياب قصار حمر . وبين زويلة وبلد كانم أربعون [1] مرحلة ، وهم وراء صحراء بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل إليهم وهم سودان مشركون . ويزعمون أنّ هنالك قومًا من بني أميّة صاروا إليها [2] عند محنتهم بالعبّاسيّين ، وهم علَى زيّ العرب وأحوالها .

(1100)

وبين مدينة زويلة ومدينة سبهَى مسيرة خمسة أيّام ، وهي مدينة كبيرة بها جامع وأسواق ، وبين مدينة سبهَى ومدينة هلّ مثل ذلك ، وهي مدينة عامرة كثيرة النخل وعيون الماء . ومن مدينة هلّ إلَى مدينة ودّان يوم ، ولها [1] قلعة حصينة وللمدينة دروب وهي مدينتان ، فيها قبيلتان من العرب سهميّون

1098 1) ر : شغفها ـ 2) ر : تبعه ـ 3) ر : يلحقوه .

1099 1) سقطت من ر ـ 2) ر : إليهم .

1100 1) ط : وبمدينة ودان ـ

وحضرميّون ، فتسمّى مدينة السهميّين دلباك ومدينة الحضرميّين مدينة بوصَى [2] ، وجامعها واحد ، وبين الموضعين والقبيلتين تنازع وتنافس قد آل ذلك بهم مرارًا إلى الحرب والقتال . وعندهم فقهاء وقرّاء وشعراء ، وأكثر معيشتهم من التمر ولهم زرع يسير يسقونه بالنضح .

(1101)

ومن مدينة ودّان إلَى مدينة تاجرفت ثلاثة أيّام ، وهي مدينة آهلة بها جامع يسكنها أهل ودّان ، والتمر بها كثير ، وأكثر أجناسه البرني ، ومنها يخرج إلَى مدينة سرت وبينها وبين زويلة مسيرة اثني عشر يومًا ، وبينها وبين ودّان مثل ذلك ، وهي متوسّطة بينها زويلة بغربيّها وودّان بشرقيّها . هكذا قال محمّد بن يوسف [1] .

(1102)

والّذي مرّ هنالك من ذكر المسافة بين تاجرفت وزويلة أربعة عشر يومًا علَى الطريق الأقصد ، ومن تاجرفت إلَى الفسطاط تسع وعشرون مرحلة . وطريق آخر من زويلة إلَى تاجرفت : من زويلة إلَى مدينة تَمِسًّى [1] يومان ، ومدينة تَمِسًّى كبيرة بها جامع وأسواق يسيرة ، ومنها إلَى مدينة زلهَى ثمانية أيّام في صحراء . وفي وسط الطريق منزل لأهل ودّان [2] ، ومدينة زلهَى كبيرة واسعة فيها جامع ولها نخل كثير وعين ماء نزّة [3] ، يسكنها مزاتة . ثمّ تمشي ستّة أيّام إلَى فحص بركانة ثمّ إلَى الفاروج ، وهو قصر (قد خرب) [4]

1100 2) ر : توصا ، س : لوص .

1101 1) بن يوسف : عن ر .

1102 1) في المخطوطات : تسمى ، وانظر دي سلان ص 30 ــ 2) ر : منزل القوافل من ودان ــ 3) ص ر : ثرة ــ 4) ر : من خوف ــ

بجواره جبّ وحوله سبخة وبينه وبين سرت خمس مراحل . ثمّ إلَى مدينة أجدابية مرحلة ، ثمّ منها ثلاثة أيّام [5] إلَى قصر زيدان الفتَى ، ثمّ تمشي أربعة أيّام إلَى مدينة أوجلة وهي مدينة عامرة كثيرة النخل ، وأوجلة اسم الناحية واسم المدينة أرزاقية [6] ، وأوجلة قرى كثيرة فيها نخل وشجر كثير وفواكه وبمدينتها مساجد وأسواق . ثمّ أربعة أيّام إلَى مدينة تاجرفت . ومن سلك من أطرابلس إلَى ودّان فإنّه يسير في بلد هوارة نحو الجنوب في قياطن وبيوت شعر ، وهناك مرأيات ومنازل إلَى قصر ابن ميمون ، وذلك كلّه من عمل أطرابلس . ثمّ من قصر ابن ميمون ثلاثة أيّام إلَى صنم من حجارة مبنيّ علَى ربوة يسمّى كرزة [7] ، ومن حواليه من قبائل البربر يقرّبون له القرابين ويستشفون به من أدوائهم ويتبرّكون به في أموالهم إلَى اليوم . ومن هذا الصنم إلَى ودّان مسيرة ثلاثة أيّام .

(1103)

وكان عمرو بن العاص قد بعث إلَى ودّان بسر [1] بن أرطأة وهو محاصر أطرابلس فافتتحها ، وذلك سنة ثلاث وعشرين . وقال ابن عبد الحكم : ثمّ إنّهم نقضوا [2] عهدهم ومنعوا ما كان بسر بن أرطأة فرض عليهم ، فخرج عقبة بن نافع الفهري [3] إلَى المغرب بعد معاوية بن حُديج ، وذلك سنة ستّ وأربعين ، ومعه بسر بن أرطأة وشريك بن سُحيم المُرادي ، فأقبل حتّى نزل بغدامس من سرت ، فخلّف عقبة جيشه هنالك واستخلف عليهم زُهير بن قيس البلوي [3] ، ثمّ سار بنفسه في أربعمائة فارس وأربعمائة بعير وثماني مائة قِرْبة ماء حتّى قدم ودّان فافتتحها وأخذ ملكهم فجدع أذنه [4] ، فقال : لِم فعلتَ هذا وقد عاهدني المسلمون ؟ قال : أدبًا لك ، إذا مسستَ أذنك ذكرتَ ذلك [5] فلم تحارب العرب . واستخرج منه ما كان بسر فرض

1102 5) ط : مرحلتان ــ 6) ر : أزراقية ــ 7) ر : كورة .

1103 1) في المخطوطات : بشر ــ 2) ط : نكثوا ــ 3) سقطت من ر ــ 4) ط : أنفه ــ 5) ذلك :

عليه ثلاثمائة رأس وستّين رأسًا . ثمّ سألهم عقبة : هل وراءكم أحد ؟ قالوا : جَرْمة ، وهي مدينة فزّان العُظْمَى . فسار إليها ثماني ليالٍ من ودّان ، فلمّا دنا منها أرسل [4] فدعاهم إلَى الإسلام فأجابوا ، فنزل منهم علَى ستّة أميال وخرج ملكهم يريد عقبة ، وأرسل عقبة خيلاً حالت بينه وبين موكبه ، فأمشوه راجلاً حتّى أتَى عقبة وقد لَغِبَ [7] وأعيَى وكان ناعمًا ، فجعل يبصق الدم فقال : لِمَ فعلت هذا وقد أتيتك طائعًا ؟ قال عقبة : أدبًا لك ، إذا ذكرته لم تحارب العرب . وفرض عليه ثلاثمائة عبد وستّين عبدًا . ثمّ مضَى عقبة من فوره إلَى قصور فزّان فافتتحها قصرًا قصرًا حتّى انتهَى إلَى أقصاها ، ثمّ سألهم : هل وراءكم من أحد ؟ قالوا : نعم أهل خاوار [8] ، وهو قصر عظيم علَى رأس المفازة علَى رأس جبل وعر ، وهو قصبة كوّار [9] . فسار إليهم خمس عشرة ليلة فحاصرهم شهرًا فلم يستطع لهم بشيء ، فمضَى أمامه علَى قصور كوّار فافتتحها حتّى انتهَى إلَى أقصاها وفيه ملكها ، فأخذه وقطع إصبعه ، فقال : لِمَ فعلتَ هذا بِيَ ؟ قال : أدبًا لك ، إذا أنت نظرت إلَى إصبعك ذكرت فلم تحارب العرب . وفرض عليهم ثلاثمائة وستّين رأسًا .

(1104)

ثمّ سألهم : هل من ورائكم أحد ؟ (فلم يعلموا من ورائهم أحدًا) [1] . فكرّ راجعًا إلَى قصر خاوار فلم يعرض له ولم ينزل به وسار ثلاثة أيّام فأمِنوا وانبسطوا . وأقام عقبة بمكان اسمه اليوم ماء الفرَس فنفد ماؤهم وأصابهم عطش كاد يهلكهم ، فصلّى عقبة بأصحابه ركعتين ودعا الله عزّ وجلّ ، فجعل فرس عقبة يبحث [2] بيديه في الأرض حتّى انكشف عن صَفاة ، فانفجر منها الماء ، فنادى عقبة في الناس أن احتفروا [3] ، فاحتفروا ماءً معينًا طيّبًا فسُمّي لذلك ماء الفرس .

1103 عن ر – 6) ر : دخل بساحتها – 7) ر : تعب – 8) في المخطوطات : جوان ، والتصحيح عن «فتوح مصر» ص 195 – 9) ر : وكار .

1104 1) سقطت من ط . 2) ر : يبحث [illegible] 3) ر : احفروا حفرة .

(1105)

ثمّ كرّ راجعًا إلَى خاوار من غير طريقه الّتي أقبل منها ، فلم يشعروا به [1] حتّى طرقهم ليلاً فوجدهم مطمئنّين قد آمنوا ، فاستباح ما في مدينتهم من ذراريهم ونسائهم وأموالهم وقتل مقاتلتهم [2] . ثمّ انصرف راجعًا حتّى أتى زويلة ، ثمّ ارتحل حتّي قدم عسكره بعد خمسة أشهر ، فسار متوجّهًا إلَى المغرب وجانَب الجادّة وأخذ إلَى أرض مزاتة فافتتح كلّ قصر بها ، ثمّ صار إلَى قفصة فافتتحها وافتتح قسطيلية ، ثمّ انصرف إلَى القيروان .

الطريق من أوجلة المتقدّمة الذكر إلَــى الواحـــات

(1106)

من أوجلة إلَى بلد شنترية عشر مراحل في صحراء ورمال قليلة الماء . وشنترية هذه كثيرة العيون والثمار والحصون ، أهلها بربر لا عرب فيهم . وتسير من شنترية علَى طرق شتّى إلَى أودية الواحات ، ومن شنترية إلَى بهنسَى الواحات عشر مراحل - (وهي غير بهنسَى الصعيد) [1] - ومن بهنسَى الواحات إلَى أريش الواحات ثماني مراحل .

(1107)

(بهنسَى الواح مدينة مسوّرة فيها أسواق ومساجد) [1] . وذكر محمّد بن سعيد الأزدي رجل من أبناء مدينة سفاقس أنّه دخلها ورأى فيها في يوم عيد

1105 ر : فلم يشعر به أحد. 2) ر : مقاتلهم.

1106 1) سقطت من ر .

1107 1) سقطت من ر ـ

النصارى - وأهلها عرب مسلمون وقبط نصارى - تابوتًا فيه رجل ميّت يجعلونه علَى عجلة يسمّونه ابن قرمَى ، ويزعمون أنّه من الحوّاريّين يتطوّفون به في سكك البلد ويتبرّكون بذلك ويتقرّبون إلَى اللّه وتجرّ تلك العجلة البقر ، فإن نفرت من موضع ولم تسر [2] فيه علموا أنّ في ذلك الموضع نجاسة .

(1108)

وأريش بلد كثير العيون الجارية [1] والثمار والنخيل مياهها كلّها حامّة . ومن أريش ثلاثة أيّام إلَى الفرفرون ، وبالفرفرون معادن الشبوب المريّش والقصبي وفيه أنواع الزاج وفيه العيون الحامضة وغير ذلك من المياه المختلفة الأطعمة . والفرفرون هذا بلد كثير الأشجار والنخيل وفيه قرى كثيرة وأهلها قبط نصارى . وتسير من الفرفرون إلَى ألواح الداخل أربع مراحل في صحراء [2] لا ماء فيها ولا عمارة ، وهذا الواح الداخل كثير الأنهار والعمارات والحصون ، منها حصن يسمّى بالقصر ، في وسطه عين ماء ثرثار تتشعّب منه أنهار تسقي زرعهم ونخلهم وثمارهم .

(1109)

وتسير منه في قرى متّصلة إلَى حصن يسمّى قلمون مياهه حامضة منها يشربون ويسقون ، وبها قوامهم ، وإن شربوا سواها من المياه العذبة استوبؤوه . وآخر هذا الواح الداخل قرية كبيرة تسمّى القصبة لها مياه عذبة سائحة تسقي نخلها وثمارها ، ولها ثلاث عيون ملحة يجتمع ماؤها في سباخ فيكون ملحًا : ملح العين الواحدة أبيض وملح العين الثانية أحمر وملح العين الثالثة أصفر ، وهذا الأصفر هو المستعمل بمصر وبرقة [1] .

1107 2) ر : تستو ، ط : تستقرّ .

1108 1) سقطت من ج ، ص س : الحارة - 2) س ر : صحراء سرت .

1109 1) سقطت من ص ، س ر : في الدقة .

(1110)

ومن هذا الواح إلَى الواحين الخارجين ثلاث مراحل ، وهو آخر بلاد الإسلام وبينه وبين بلاد النوبة في صحراء ستّ مراحل . وفي بعض الواحات قبائل من لواتة . وزعموا أنّ في أقصَى الواحات بلد يقال له واح صبرو وأنّه بلد لا يقع عليه إلاّ من قد ضلّ في الصحراء في النادر من الزمان ، فالواقع عندهم يقول إنّه يكون في بلادهم ما شاء وهم في أخصب عيش ، فإذا أراد الرجعة أروه صوب بلاده . وقد وقع في هذا البلد من عرب بني قرّة رجمة بن قائد [1] القرّي ورجع إلَى موضعه ، ثمّ طلبه بعد ذلك فلم يقدر عليه . فأعدّ مقرب بن ماضي أمير بنِي قرّة بعد عشرين وأربعمائة من الهجرة زادًا وماءً كثيرًا وظهرًا وذهب في الصحراء يطلب واح صبرو وبقي يجوّل في الصحراء مدّة فلم يقدر عليها حتّى خاف نفاد الزاد ، فكرّ راجعًا فنزل ذات ليلة ربوة من الأرض في بهماء تلك الصحاري ، فوجد بعضُ أصحابه في ناحية من تلك الربوة بنيانًا للأوّل ، فبحثوا عنه [2] فإذا هو لبن نحاس أحمر محيط بالربوة أساس سور الأوّل ، فأوقروا منه جميع ما كان عندهم من الظهر ورحلوا عنه ، فلو قدروا علَى إصابة موضعه لم يفرغ من نقل ما فيه من النحاس إلاّ في الزمان الطويل .

(1111)

وأتَى مقرّب (في منصرفه) [1] الواح الخارج ، فأخبره رجل من أهله أنّه غدا إلَى حائطه . فوجد أكثر تمره قد أكل ووجد أثر قدم إنسان لا يشبه هذا الخلق في العظم ، فاحترسه هو وأهله لياليَ حتّى طرقهم في بعض الليالي خلق عظيم لم يعهد مثله ، وجعل يأكل التمر . فلمّا أهمّوا به وأحسّ بهم بارى [2] الريح حضرًا [3] ولم يعلموا له أمرًا ، فنهض معهم مقرب إلَى الأثر حتّى وقف عليه ،

1110 1) ر : وحمة بن جابر ــ 2) ر : عليه .

1111 1) ر : حين انصرف من مطلبه ــ 2) س : ثار ــ 3) ر : حزرًا ــ

فاستعظمه وأمرهم أن يحفروا زبية [4] في الموضع الّذي كان يدخل منه ويغطّوا [5] أعلاه بالحشيش ويرقّبوه ليالي (تباعًا ، ففعلوا) [6] . فلمّا كان بعد ليال أقبل علَى عادته فتردّى في الزبية فبدروا فغلبوه بكثرتهم وترديه ، فإذا هي امرأة سوداء عظيمة الخلق مفرطة الطول والعرض لا يُفقه منها كلمة . فكلّموها بكلّ لسان عُلم هناك فلم تجاوب منهم أحدًا ، فبقيت عندهم أيّامًا يأتمرون في أمرها ، ثمّ اتّفقوا علَى إرسالها وركوب [7] الخيل والنجب في أثرها إلَى أن يقفوا منها ومن موضعها علَى حقيقة خبر . فلمّا أُرسلت لم يكن طرف العين يلحقها وفاتت شأو النجب والخيل ولم يقف أحد من أمرها علَى حقيقة . ويذكرون أنّ هناك رمالاً عظيمة تعرف بالجزائر كثيرة النخل والعيون لا عمران فيها ولا أنيس بها وأنّ عزيف الجنّ يسمع بها الدهر كلّه . وربّما أقام بها غزاة السودان ولصوصهم لانتهاز الفرصة في المسلمين ، ويتكادس التمر هناك أعوامًا لا يقع عليه أحد ولا يبلغ إليه حتّى ينتجعه الناس في السنين الجدبة وعند الحاجة والضرورة .

الطريق من مدينة أطرابلس إلَى قابس

(1112)

من أطرابلس إلَى صبرة ، وهو بلد معمور يسكنه زواغة ، ثمّ الطريق من صبرة علَى ما تقدّم قبل هذا عند ذكر الطريق إلَى القيروان [1] . ومدينة قابس مدينة جليلة مسوّرة بالصخر الجليل من بنيان الأوّل ذات حصن حصين وأرباض وأسواق وفنادق وجامع سَري وحمّامات كثيرة ، وقد أحاط بجميعها خندق كبير يجرون إليه الماء عند الحاجة فيكون أمنع شيء . ولها ثلاثة أبواب بشرقيّها وقبليّها أرباضها ، ويسكنها العرب والأفارق ، وفيها جميع الثمار

1111 4) ر : زاوية ـ 5) س ر : ويخبيوا ـ 6) سقطت من ر ـ 7) ر : وركبوا .

1112 1) ر : طريق القيروان ـ

والموز بها كثير ، وهي تمير القيروان بأصناف الفواكه ، وبها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة الواحدة منها من الحرير ما لا يقوم من خمس شجرات [2] من غيرها ، وحريرها أطيب الحرير وأرقّه وليس في عمل إفريقية حرير إلاّ في قابس ، واتّصال بساتين ثمارها مقدار أربعة أميال ومياهها سائحة مطّردة يسقَى بها جميع أشجارها ، وأصل هذا الماء من عين خرّارة [3] في جبل بين القبلة والغرب منها يصبّ في بحرها . وبها قصب السكّر كثير . وبقابس منار منيف ، ويحدو الحادي عند قدومه من مصر إلَى إفريقية فيقول [رجز] :

لا نوم لا نوم [4] ولا قرارا   حتّى أرى قابس والمنارا

(1113)

وساحل مدينة قابس مرفأ [1] للسفن من كلّ مكان ، وحوالي قابس قبائل من البربر لواتة ولماية ونفوسة ومزاته وزواغة [2] وزواوة وقبائل شتّى أهل أخصاص . وكانت وِلايتها منذ دخل عبيد اللّه [3] إفريقية تتردّد في بني لقمان الكتامي . قال الشاعر [سريع] :

لولا ابن لقمان حليف الندى   سُلّ علَى قابس سيف الردَى

(1114)

وتجاورها جزيرة في البحر تعرف بجزيرة رازو [1] بينهما مسيرة أكثر من يوم عامرة آهلة وكثيرًا ما يمتنع أهلها علَى السلاطين [2] ، وبين مدينة قابس والبحر ثلاثة أميـــال . وممّا يذكـــرون من معائبها أنّ أكثر دورهم لا

1112   2) ر : خمسين شجرة ــ 3) ر : خوارة ــ 4) س ر : لا نوم لا لا لا .

1113   1) ر : مرسى ، ج : مأوى ــ 2) سقطت من ط ــ 3) ر : عبداللّه .

1114   1) ص ر : زازو ، س : رازو ــ 2) ر : السلطان ــ

مذاهب فيها [3] وإنّما يتبرّزون في الأفنية ولا يكاد أحد منهم يفرغ من قضاء حاجته إلاّ وقد وقف عليه من يبتدر أخذ ما يكون منه لتدمين البساتين ، وربّما اجتمع علَى ذلك النفر فيتشاجرون [4] فيه فيخصّ به من أراد منهم ، وكذلك نساؤها لا يرين [5] في ذلك عليهنّ حرجًا إذا سترت إحداهنّ وجهها ولم يعلم من هي . ويذكر أهل قابس أنّها كانت أصحّ البلاد هواءً حتّى وجدوا بها طلسمًا ظنّوا أنّ تحته مالاً ، فحفروا موضعه فأخرجوا منه تربة غبْراء ، فحدث عندهم الوباء من حينئذ بزعمهم .

(1115)

وأخبر [1] أبو الفضل جعفر بن يوسف الكلبي ، وكان كاتبًا لمؤنس صاحب إفريقية ، أنّهم كانوا في ضيافة ابن وانّمو الصّنْهاجي صاحب مدينة قابس ، فأتاه جماعة من أهل البادية بطائر علَى قدر الحمامة غريب اللون والصورة ذكروا أنّه لم يروه قبل ولا عهدوه ، كان فيه من كلّ لون أجمله وهو أحمر المنقار طويله . فسأل ابن وانمّو من حضره من العرب والبربر وغيرهم هل رآه أحد منهم ، فلم يعرفه أحد ولا سمّاه . فأمر ابن وانمّو بقصّ جناحيه وأرسل في القصر ، فلمّا جنّ الليل جُعل في القصر مشعل نار ، فما هو إلاّ أن رآه ذلك الطائر فقصد قصده [2] وأراد الصعود إليه ، فدفعه الخدّام وجعل يلحّ في التكرار علَى المشعل ، فأُعلم ابن وانمّو بذلك فقام وقام من حضر معه . قال جعفر [3] : وكنت فيمن حضر ، فأمر ابن وانمّو بترك الطائر وشأنه ، فصار في أعلَى المشعل وهو يتأجّج نارًا واستوى في وسطه وجعل يتلقّى كما يفعل سائر الطير في الشمس ، فأمر ابن وانمّو بزيادة الوقود في المشعل من خرق القطران وغير ذلك ، فزاد تأجّج النار والطائر فيه علَى حالته

1114 3) ر : لها ــ 4) عن س ، ر : يتحاججون ، ص : يتشاحّون ــ 5) ر : يرون .

1115 1) ط : وأخبرني ــ 2) ر : نحوه ــ 3) ر : أبو جعفر .

لا يكترث ولا يبرح ، ثمّ وثب من المشعل بعد حين يمشي لم يَرِبْه ريب . وأخبر قوم من أهل إفريقية أنّهم سمعوا خبر هذا الطائر بمدينة قابس ، والله أعلم بحقيقة ذلك .

(1116)

وعلَى مقربة من قابس جزيرة جربة فيها بساتين كثيرة وزيتون كثير ، وأهلها مفسدون في البرّ والبحر وهم خوارج ، وبينها وبين البرّ الكبير مجاز . وقال حنش بن عبد الله الصنعاني : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصاري المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة فقام فينا خطيبًا فقال : أيّها الناس لا أقول فيكم [1] إلاّ ما سمعت رسول الله صلعم يقول فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلعم فقال : لا يحلّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ما زرع غيره ، يعني إتيان الحبالَى من السبي .

الطريق من مدينة قابس إلَى سفاقس

(1117)

من مدينة قابس إلَى عين الزيتونة ، وهي عين جارية علَى بحر ميّت عليها مرصد لجابي إفريقية ، وهي عين مذكورة [1] في كتب حدثان إفريقية . قال ابن أعقب في أرجوزته الّتي يذكر فيها وقائع إفريقية :

عند حلول الجيش بالزيتونة   تكون هناك الوقعة الملعونة

ومن عين الزيتونة إلَى تاورقَى ، وهو منزل عامر في طرف ساحل الزيتونة [2] ، ومن هناك إلَى غافق وهو بلد معمور ، ومنه إلَى مدينة سفاقس

1116 1) ر : لكثم .

1117 1) س ر : مشهورة مذكورة ، ص : مشهورة ـ 2) في المخطوطات : الزيتون ـ

وهي مدينة علَى البحر مسوّرة ، ولها أسواق كثيرة ومساجد وجامع وسورها صخر وطوب ولها حمّامات وفنادق وبوادٍ عظيمة وقصور جمّة وحصون ورباطات علَى البحر ، منها محرس بطوية [3] وهو أشرفها ، وفيها منار مفرط الارتفاع يرقَى إليه في مائة وستّ وستّين درجة ، ومحرس حبلة ومحرس أبي الغُصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة ومحرس الريحانة .

(1118)

وسفاقس في وسط غابة زيتون ومن زيتها يمتار أهل مصر وأهل المغرب وصقلّية والروم ، وربّما بيع الزيت منها أربعين ربعًا قرطبية بمثقال واحد . وهي محطّ السفن ، فإذا جزر الماء بقيت السفن في الحصاة وإذا مدّ رجعت السفن . يقصدها التجّار من الآفاق بالأموال الجزيلة لابتياع المتاع والزيت ، وعمل أهلها في القصارة والكمادة كعمل أهل الإسكندرية وأكثر وأجود .

(1119)

ويقابل سفاقس في البحر جزيرة تسمّى قرقنة ، وهذه الجزيرة في وسط القصير بينها وبين مدينة سفاقس في ذلك البحر الميّت القصير القعر نحو عشرة أميال ، وليس للبحر هناك حركة في وقت ، وبحذاء هذا الموضع في البحر علَى رأس القصير بيت مشرف مبني بينه وبين البرّ الكبير نحو أربعين ميلاً ، فإذا رأى قلب البيت أصحاب السفن الواردة من الإسكندرية والشام وبرقة أداروها إلَى مواضع معلومة . وجزيرة قرقنة المذكورة فيها آثار بنيان ومواجل للماء ، ويدخل فيها أهل سفاقس دوابّهم ومواشيهم لأنّها خصبة [1] .

1117 3) ر : طبوية .

1119 1) ر : حصينة .

الطريق من سفاقس إلَى مدينة القيروان

(1120)

من مدينة سفاقس إلَى طرفَى [1] وهو بلد معمور ، ومنه إلَى قصر رباح وهو معمور أيضًا ، ومن قصر رباح إلَى القيروان .

الطريق من سفاقس إلَى المهدية

(1121)

من سفاقس إلَى لجم وهو حصن الكاهنة وهو طرف سوق الحسيني ، وفي هذا السوق قرية كبيرة آهلة تعرف بأرزلس [1] بها جامع وحمّام وأسواق وهي من قرى الساحل ، ومن لجم إلَى مدينة المهدية [2] .

1120 1) ر : طرفني .

1121 1) س : بأزولس ــ 2) ورد هنا في ط : والحمد لله رب العالمين ، يتلوه ذكر بلاد إفريقية وبه أستعين . بسم الله الرحمـٰن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليمًا . وفي ر : تمّ الجزء الثالث بحمد لله ، بسم الله إلخ .

ذكر إفريقية وبلادها وحدودها [1] ولِمَ سُمّيت إفريقية وذكر غرائبها

(1122)

قال [2] قوم إنّها أفريقية أي إنّها [3] صاحبة السماء ، وقال آخرون : سمّيت إفريقية لأنّ إفريقش بن أبرهة بن الرائش (غزا نحو المغرب) [4] حتّى انتهى إلَى طنجة في أرض بربر ، وهو الّذي بنَى إفريقية وباسمه سمّيت . وقيل سمّيت بأفريق [5] بن إبراهيم عليه السلام من زوجته الثانية [6] قطورى . وقال قوم : إنّما سُمّوا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنّهم من ولد فارق بن مصريم [7] . وقد زعموا أنّ اسم إفريقية ليبية فسمّيت ببنت يافوه [8] بن يونش الّذي بنَى مدينة منفيش بمصر ، وهي الّتي ملكت ملك إفريقية أجمع فسمّي بها .

(1123)

وحدّ إفريقية طولها من برقة شرقًا إلَى مدينة طنجة الخضراء غربًا ، واسم طنجة مورطانية [1] ، وعرضها من البحر إلَى الرمال الّتي هي أوّل بلاد السودان ، وهي جبال رمال عظيمة متّصلة [2] من الغرب إلَى الشرق وفيه [3] يصاد الفنك الجيّد . وروى جماعة من سحنون بن سعيد وموسَى بن معاوية جميعًا [4] عن ابن وهب عن سعيد بن أبي أيّوب عن شرحبيل بن سويد عن عبد الرحمان الجبلي [5] قال : بعث رسول اللّه صلعم سرية فقفلوا [4] فذكروا

1122 1) سقطت من ص ـ 2) ط : قال أبو عبيد البكري القرطبي رحمه الله : قال إلخ . وهنا يبدأ نص ق ـ 3) سقطت من ط س ـ 4) ر : بناها حين غزا نحو الروم ـ 5) ص ر : بأفر ـ 6) سقطت من ق ـ 7) س : مصر ، ر : مصرم ـ 8) ر : ابافرة ، س : ابانوه ؟

1123 1) ر : مرطنية ـ 2) ط : جبال عظيمة ورمال متصلة ـ 3) س : وفيها ـ 4) سقطت من ق ـ 5) ر : الجبي .

لرسول اللّه صلعم شدّة برد أصابهم ، فقال رسول اللّه صلعم : لكن إفريقية أشدّ بردًا وأعظم أجرًا .

(1124)

وأسْنداه [1] أيضًا عن ابن وهب عن ابن لهيعة [2] عن بكر بن سوادة الجذامي أنّ سفيان بن الحارث حدّثهم عن أشياخهم أنّهم قالوا لمقداد بن الأسود [3] صاحب النّبي صلعم : إنّك ثقلت وأنت تخرج في هذه المغازي ؟ فقال : خفيفًا كنت أو ثقيلاً لا أتخلّف [4] عنها لأنّ اللّه تبارك وتعالَى يقول : انْفِرُوا خِفافًا وَثِقالاً [5] . ثمّ قال : قدمت سرية علَى النبي صلعم فذكروا البرد فقال رسول اللّه صلعم : إنّ البرد الشديد والأجر [6] العظيم لأهل إفريقية . وروى ابن أبي العرب قال : حدّثني (فرات حدّثني) [7] عبد اللّه بن أبي حسّان عن عبد الرحمان (بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمان) [8] الجبلي قال : قال رسول اللّه صلعم : ينقطع الجهاد من البلاد كلّها فلا يبقَى إلاّ بموضع (في المغرب) [9] يقال له إفريقية . فبينما القوم بإزاء عدوّهم نظروا إلَى الجبال قد سيّرت فيخرّون للّه تبارك وتعالَى سجدًا ، فلا ينزع عنهم أخلاقهم [10] إلاّ خدّامهم في الجنّة .

(1125)

وكان عبد الرحمان بن زياد بن أنعم يقول : ينقطع الجهاد من كلّ بلد وسيعود إلَى إفريقية وليضربنّ القبائل من الآفاق إلَى إفريقية لعدل إمامهم ورخص أسعارهم . وروى ابن أبي العرب عن عبد اللّه بن عمر العمري عن ابن لهيعة

1124 1) س ر : وإسناده ـ 2) ر : ابن وهب وابن لهيعة ـ 3) ر : بن الأسود الكندي ـ 4) ر : لا تتخلّف ـ 5) سورة التوبة 41/9 ـ 6) ر : والحر ـ 7) سقطت من ر ـ 8) سقطت من ق ـ 9) سقطت من ط ـ 10) ر : خفافهم .

عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو أنّه قال : والله لَيباعنّ الجمل بمصر بعشرة دنانير ، ثمّ ليباعنّ بمائة دينار لمغالاة الناس بها ، وكأنّي أسمع صرير المحامل علَى عقبة الثنية من مصر إلَى إفريقية يطلبون بها الجهاد والعدل ، وليملكنّ إفريقية رجل يعدل فيهم اثنتين وعشرين أو أربعًا وعشرين سنة .

ذكـر مسجـد القيـروان

(1126)

قد تقدّم أنّ أوّل من وضع محرابه [1] وبناه عقبة بن نافع [2] ، ثمّ هدمه حسّان حاشَى المحراب وبناه وحمل إليه الساريتين الحمْراوين الموشّاتين بصفرة اللّتين لم يَرَ الرّاؤون مثلهما من كنيسة كانت للأُوّل في الموضع المعروف اليوم بالقيسارية بسوق الضرب [3] ، ويقولون إنّ صاحب القسطنطينية بذل لهم فيهما قبل نقلها إلَى الجامع زنتهما ذهبًا ، فابتدروا الجامع بهما . ويذكر كلّ من رآهما أنّه لم ير في البلاد ما يقترن بهما .

(1127)

فلمّا كانت خلافة هشام بن عبد الملك كتب إليه عامله علَى القيروان يُعلمه أنّ الجامع يضيق بأهله وأنّ بجوفيه جنّة [1] كبيرة لقوم من فهر ، فكتب إليه هشام يأمره [2] بشرائها وأن يدخلها في المسجد الجامع ، ففعل وبنَى في صحنه ماجلاً وهو المعروف بالماجل القديم بالغرب من البلاطات ، وبنَى الصومعة في بئر الجنان ونصب أساسها علَى الماء ، واتّفق أن وقعت في نصف الحائط الجوفي . وأهل الورع يكرهون الصلاة في هذه الزيادة ويقولون إنّه

1126 1) ق ط : مسجد القيروان ـ 2) ر : نافع بن عقبة ـ 3) ر : الصوف .

1127 1) ر : رحبة ـ 2) ق ص ج : يأمر ـ

أكره أهل الجنّة [3] علَى بيعها . والصومعة اليوم علَى بنائه [4] طولها ستّون ذراعًا وعرضها خمس وعشرون ، ولها بابان شرقي وغربي وعضائد بابيها رخام منقّش [5] وكذلك عتبتها .

(1128)

فلمّا ولي إفريقية يزيد بن حاتم سنة خمس وخمسين ومائة هدم الجامع كلّه حاشَى المحراب وبناه واشترى العمود الأخضر بمال عريض جزل ووضعه فيه ، وهو الّذي كان يصلّي عليه القاضي أبو العبّاس عبدون . فلمّا ولي زيادة اللّه بن إبراهيم (بن الأغلب) [1] هدم الجامع كلّه وأراد هدم المحراب فقيل له : إنّ من تقدّمك من الولاة توقّفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع ومن كان معه . فلجّ في هدمه لئلاّ يكون في الجامع أثر لغيره حتّى قال له بعض البناة : أنا أدخله بين حائطين ولا يظهر في الجامع أثر لغيرك . فاستصوب ذلك وفعله فهو علَى بنائه إلَى اليوم . والمحراب كلّه وما يليه مبنيّ بالرخام الأبيض من أعلاه إلَى أسفله ، وهو مخرّم [2] منقوش كلّه منه كتابة تقرأ ، ومنه تدبيج مختلف الصناعة يستدير [3] به أعمدة رخام في غاية الحسن ، والعمودان الأحمران المذكوران يقابلان المحراب عليهما القبّة [4] المتّصلة بالمحراب . وعدد ما في الجامع من الأعمدة أربعمائة وأربعة عشر عمودًا ، وبلاطاته سبعة عشر بلاطًا ، وطوله مائتان وعشرون [5] ذراعًا وعرضه مائة وخمسون [6] ذراعًا . وكانت فيه مقصورة فلم يزل بناء زيادة اللّه فيه ، والمقصورة اليوم إنّما هي دار بقبلي الجامع بابها في رحبة التمر ، لها باب عند المنبر ، يدخل منه الإمام بعد أن ينزل في هذه الدار حتّى تقرب الصلاة . وبلغت النفقة في بنيانه ستّة وثمانين ألف مثقال .

1127 3) ر : الرحبة ـ 4) ط : بنائها ـ 5) ر : منقوش .

1128 1) سقطت من ص ر ـ 2) ج : محكم ـ 3) ط ر : مستدير ـ 4) ر : القبلة ـ 5) ق ط : مائة وعشرون ـ 6) ط ر : مائة وثلاثون .

(1129)

ولمّا ولي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب زاد في طول بلاطات الجامع [1] وبنَى القبّة المعروفة بباب البهو [2] علَى آخر بلاط المحراب ، وفي دورها اثنتان وثلاثون سارية من بديع الرخام ، وفيها نقوش غريبة وصناعات محكمة عجيبة يشهد كلّ من رآها أنّه لم ير مبنًى [3] أحسن منه . وقد فرش من الصحن بين أيدي البلاطات نحو خمس عشرة ذراعًا . وللجامع عشرة أبواب ، ومقصورة للنساء في شرقيّها بينها وبين الجامع حائط آخر محرّم محكم العمل .

ذكــر مدينــة القيــروان [1]

(1130)

ومدينة القيروان في بساط من الأرض مديد ، في الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي القبلة بحر سفاقس وقابس وأقربها منها البحر الشرقي ، بينها وبينه [2] مسيرة يوم (وبينها وبين الجبل مسيرة يوم) [3] وبينها وبين سواد الزيتون المعروف بالساحل مسيرة يوم ، وشرقيّها سبخة (ملح عظيم طيّب نظيف) [4] وسائر جوانبها أرضون طيّبة كريمة ، وأحسنها الجانب الغربي وهو المعروف بفحص الدّرارة يصاب فيه في السنة الخصبة للحبّة مائة ، وهواء هذا الجانب طيّب صحيح . وكان زياد [5] بن خلفون المتطبّب إذا خرج من القيروان يريد مدينة الرقّادة وحاذى باب أصرم رفع العمامة عن رأسه يباشر الهواء برأسه كالمتداوي به لصحّته . وللقيروان من القديم سبعة محارس أربعة خارجها وثلاثة داخلها .

1129 1) ق : في بلاطات طول الجامع ـ 2) ر : البهود ـ 3) ر : شيئًا .

1130 1) هذا العنوان عن ر ـ 2) ر : وبين البحر ـ 3) سقطت من ر ـ 4) عن ج ـ 5) ر : زيدون .

(1131)

وكان للقيروان في القديم سور طوب سعته [1] عشر أذرع بناه محمّد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي سنة أربع وأربعين ومائة ، وهو أوّل قائد دخل إفريقية للمسودّة . وكان في قبليّه باب سوى الأربعة وهو بين القبلة والمغرب ، وبين القبلة والمشرق باب أبي الربيع ، وفي شرقيّه باب عبد الله وباب نافع ، وفي جوفيّه باب تونس ، وفي غربيّه باب أصرم وباب سلم . فهدم هذا السور زيادة الله بن إبراهيم المعروف بالكبير (سنة تسع ومائتين لمّا قام عليه أهل القيروان مع المنصور المعروف بالطنبذي) [2] . فلمّا انهزم [3] عن القيروان يوم الأربعاء للنصف من جمادي الأولَى من هذه السنة وخرج أهل القيروان إلَى زيادة الله فرغبوا في العفو عنهم والصفح هدم سور القيروان عقوبة لهم . ثمّ بناه المعزّ بن باديس بن منصور الصنهاجي سنة أربع وأربعين وأربعمائة ، ومبلغ [4] تكسيره اثنان وعشرون ألف ذراع ، وجعل السور ممّا يلي صبرة كالفصيل ، حائطان متّصلان إلَى مدينة صبرة وبينهما نحو نصف ميل . ولا سبيل لتاجر ولا وارد أن يُدخل مدينة القيروان ما يجب عليه فيه المكس إلاّ بعد جوازه علَى مدينة صبرة [5] . وللمدينة اليوم أربعة عشر بابًا منها المذكورة وباب النخل والباب الحديث ، وللفصيل بابان وباب الطراز (والباب الحديث) [6] وباب القلاّلين وباب أبي الربيع [7] وباب سحنون الفقيه .

(1132)

ومدينة صبرة متّصلة بالقيروان ، بناها إسماعيل سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة واستوطنها وسمّاها المنصورية ، وهي منزل الوُلاة إلَى حين خرابها ، ونقل إليها

1131 1) ر : سبعة ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : انصرف ـ 4) ق ر : وبلغ ـ 5) ر : وبينهما نحو النصف ميل ـ 6) سقطت من ر ـ 7) ق : وباب الربيع .

معد بن إسماعيل أسواق القيروان كلّها وجميع الصناعات ، ولها خمسة [1] أبواب : الباب القبلي والباب الشرقي وباب زويلة وباب كتامة ـ وهو جوفي ـ وباب الفتوح ومنه كان يخرج بالجيوش . ويذكر أنّه كان يدخل واحد أبوابها كلّ يوم ستّة وعشرون ألف درهم . وكان سماط سوق القيروان قبل نقله إلَى المنصورية متّصلاً من القبلة إلَى الجوف ، وطوله من باب أبي الربيع إلَى الجامع ميلان غير ثُلث ومن الجامع إلَى باب تونس ثُلثا ميل ، وكان سطحًا متّصلاً فيه جميع المتاجر والصناعات ، وكان أمر بترتيبه هكذا هشام بن عبد الملك .

(1133)

وخارج مدينة القيروان خمسة عشر ماجلاً للماء سقايات لأهلها من بنيان هشام بن عبد الملك وغيره ، أعظمها شأنًا وأفخمها منصبًا ماجل أبي إبراهيم أحمد [1] بن محمّد بن الأغلب بباب تونس ، وهو مستدير مُتناهي الكبر في وسطه صومعة مثمّنة في أعلاها قصبة لرقبة [2] مفتّحة علَى أربعة أبواب (علَى أحد عشر رجلاً لا خلل [3] بينهم كيلا يصل مخط [4] ، فإذا امتلأ الماجل كان دلكا [5] ، وسطح هذه القصبة [6] نحو ذراعين ، كان ابن الأغلب يدخل إلَى هذه القبّة في مركب يسمّى بالزلاّج) [7] . ويتّصل بهذا الماجل في قبليّه أقباء طويلة معقودة آزاجًا علَى آزاج [8] . وكان زيادة اللّه قد بنَى علَى غربيّ هذا الماجل (قصرًا ، وبجوفيّ هذا الماجل ماجل لطيف متّصل به يسمّى الفسقية) [9] يقع فيه ماء الوادي ، إذا جرى (على جنبتين كبيرتين) [10] تنكسر فيه شدّة جريان الماء ، ثمّ يدخل منه إلَى الماجل الكبير

1132 1) ر : أربعة .

1133 1) ر : إبراهيم بن أحمد ـ 2) سقطت من ص ، ط : لرقيه ـ 3) ر : خلال ـ 4) ج ط : عط ـ 5) ط : ديكا ـ 6) ق : القبّة ـ 7) سقطت من ط س ـ 8) ق ط ر : على أرجل ـ 9) ط : ماجلا لطيفا متصلا بهذه الفسقية ـ 10) سقطت من س ـ

إذا ارتفع الماء في الفسقيّة قدر قامتين علَى باب بين الماجلين يسمّى السرح [11] ، وهذا الماجل عجيب الشأن [12] غريب البنيان . وكان عبيد اللّه يقول : رأيت بإفريقية شيئين لم أر مثلها بالشرق : الحفير [13] الّذي بباب تونس يعني الماجل والقصر الّذي بمدينة رقّادة المعروف بقصر البحر . وفي القيروان ثمانية وأربعون حمّامًا . وأُحصي ما ذبح بالقيروان في بعض أيّام عاشورا من البقر خاصّة فانتهى تسعمائة وخمسين رأسًا . ومن عجائب القيروان أنّهم يحتطبون الدهر [14] من زيتونها ليس لهم محتطب غيره ، وإنّ ذلك لا يؤثّر في زيتونها ولا ينقص منه .

(1134)

وسنة اثنتين وخمسين سُبيت القيروان وأُخليت ولم يبق فيها إلاّ ضعفاء أهلها .

(1135)

والقفيز بالقيروان وأعمالها ثماني ويبات والويبة أربعة أثمان والثمنة ستّة [1] أمداد بمدّ أوفى [2] من مدّ النبي صلعم ، ومقدار تلك الزيادة في القفيز كلّه اثنا عشر مدًّا ، فصار (القفيز القروي) [3] مائتي مدّ وأربعة أمداد بمدّ النبي صلعم ، وذلك بكيل قرطبة خمسة أقفزة غير ستّة أمداد . ورطل اللحم والتين وسائر المأكولات عشرة أرطال فلفلية ، وقفيز الزيت عندهم ثلاثة أرطال فلفلية (والمطر عندهم كيل يسع خمسة أقفزة من زيت) [3] .

1133 11) ط : السرج ، ر : الشرح ـ 12) ط : وهذه الماجل الخظم عظم الشأن ـ 13) ق ر : ومنها الحفير ـ 14) ر : الدهر كلّه .

1135 1) ط : سبعة ـ 2) ر : عدا ؟ ـ 3) سقطت من ق .

ذكر [1] مدينة رقّادة

(1136)

وهي من القيروان على أربعة أميال ، ودورها أربعة وعشرون ألف ذراع (وأربعون ذراعًا) [2] ، وأكثرها بساتين وليس بإفريقية أعدل هواء ولا أرق نسيمًا ولا أطيب تربة من مدينة رقّادة ، ويذكر أنّ من دخلها لم يزل ضاحكًا مستبشرًا من غير سبب . وذكروا أنّ أحد بني الأغلب[3] أرق وشرد عنه النوم أيّامًا ، فعالجه إسحاق الّذي ينسب إليه اطريقل إسحاق فلم ينم ، فأمر بالخروج والمشي ، فلمّا وصل إلى موضع رقّادة نام ، فسمّيت من يومئذ رقّادة واتّخذت [4] دارًا ومسكنًا وموضع فرجة [5] للملوك [6] .

(1137)

والّذي بنى مدينة رقّادة واتّخذها دارًا ووطنًا إبراهيم بن أحمد وانتقل إليها من مدينة القصر القديم وبنى بها قصورًا عجيبة وجامعًا ، وعمرت بالأسواق والحمّامات والفنادق ولم تزل بعد ذلك دار ملك لبني الأغلب إلى أن هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله الشيعي . وسكنها عبيد الله إلى أن انتقل إلى المهدية سنة ثمان وثلاثمائة . وكان ابتداء تأسيس إبراهيم لها سنة ثلاث [1] وستّين ومائتين . فلمّا انتقل عنها عبيد الله إلى المهدية دخلها الوهن وانتقل عنها ساكنوها ، ولم تزل تخرب شيئًا بعد شيء إلى أن ولي معدّ بن إسماعيل ، فخرب ما بقي منها وعفا أثرها وحرث [2] منازلها ولم يبق منها غير بساتينها . ولمّا بناها إبراهيم بن أحمد وجعلها داره منع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رقّادة . فقال بعض ظرفاء أهل القيروان [منسرح] :

يا سيّد الناس وابن سيّدهم ومن إليه الرقاب منقادة
ما حرّم الشرب [3] في مدينتنا وهو حلال بأرض رقّادة

1136 1) ذكر : عن ز ــ 2) سقطت من ق ــ 3) ر : رجلاً من بني الأغلب ــ 4) ر : واتخذها ــ 5) ر : فرجة ــ 6) ق : للملك .

1137 1) ر : ثمان ــ 2) ر : وخربت ــ 3) ق ر : الشراب .

(1138)

قال محمّد بن يوسف : إنّما سمّيت بهذا الاسم لأنّ أبا الخطّاب عبد الأعلَى بن السمح المعافري القائم بدعوة الإباضية بأطرابلس لمّا نهض [1] إلَى القيروان لقتال ورفجومة - وكانوا قد تغلّبوا عليها مع عاصم بن جميل - ٱلتقَى بهم بموضع رقّادة وهي إذ ذاك منية ، فقتلهم هناك قتلاً ذريعًا فسمّيت رقّادة لرقاد [2] جثثهم بعضها فوق [3] بعض .

(1139)

فأمّا مدينة القصر القديم [1] فإنّ الّذي أسّسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم سنة أربع وثمانين ومائة ، وصارت دار أمراء بني الأغلب ، وهي بقبلي مدينة القيروان وعلَى ثلاثة أميال منها ، بها جامع له صومعة مستديرة مبنية بالآجر والعمد سبع طبقات لم يُبن أحكم منها ولا أحسن منظرًا ، وحمّامات كثيرة وفنادق وأسواق جمّة ومواجل للماء . وإذا قحطت القيروان وفقد الماء في مواجلها نقلوا [2] الماء من مدينة القصر [3] . وكان لها من الأبواب باب الرحمة قبلي وباب الحديد قبلي وباب غلبون شرقي وباب الريح شرقي وباب السعادة غربي يقابل المقبرة الكبيرة . وداخل المدينة رحبة كبيرة واسعة تعرف بالميدان . (وبجاور مدينة القصر بنية) [4] تعرف بالرصافة . ولمّا أتَى إبراهيم مدينة القصر وانتقل إليها خرب دار الإمارة الّتي كانت بالقيروان بقبلي الجامع منذ فتحت .

1138 1) عن ر ، وفي سائر النسخ : نهد - 2) ر : لرقود - 3) ر : علَى .

1139 1) ر : العظيم القديم - 2) ر : انتقلوا - 3) ر : القصر القديم - 4) ر : وبجوار مدينة القصر مدينة مبنية .

(1140)

وإذا خرج المتوجّه إلَى مصر من القيروان علَى باب الطراز [1] تلقّى [2] مدينة القيروان يسرة ويسلك بين مدينة رقّادة ومدينة القصر ، فأوّل ما يلقَى وادي السراويل شتوي ، ثمّ المنية المعروفة وهي كبيرة آهلة ، ثمّ قرية زرور [3] وهي كثيرة البقول لاسيا الجزر وأهلها قوم يُضرب بهم المثل في سوء الحال بإفريقية ، ويقال مشايخ زرور [3] شهد منهم سبعة علَى قبضة اسفنارية ، فقال الحاكم للطالب : زد بيّنة . ثمّ وادي الطرفا كبير شتوي إذا حمل أهلك ما حوله من القرى والمنازل ، وسعته إذا حمل أزيد من ثلاثة أميال . ثمّ مدينة قلشانة [4] ومن القيروان إليها اثنا عشر ميلاً ، كبيرة آهلة بها جامع وحمّام ونحو عشرين فندقًا ، وهي كثيرة البساتين وشجر التين ، وأكثر تين القيروان الأخضر منها . وأبواب الدور بمدينة قلشانة قصار ليس تدخلها الدوابّ ، فعلوا ذلك خوفًا من نزول العمّال والجُباة [5] .

ذكـر مدينـة المهديـة

(1141)

مدينة المهدية منسوبة إلَى عبيد اللّه المهدي الّذي بناها علَى ما ذكر في التاريخ ، وبينها وبين القيروان ستّون ميلا . تخرج من القيروان فتنزل منزل كامل ، ثمّ تخرج منها فتأتي المهدية . وطريق آخر : تخرج من القيروان إلَى مدينة تُماجر مرحلة ، إلَى المهدية (مرحلة أخرى) [1] . ومدينة تماجر كبيرة آهلة بها جامع وأسواق وفنادق وحمّام وماؤها زعاق ، وفي وسطها غدير ماء وحولها غابة زيتون وشجر أعناب ، وبين مدينة تماجر والمهدية الوادي الملح

1140 1) سقطت من ر ـ 2) ط ص ج : يلقى ـ 3) ر : زرزور ـ 4) ق : قفشانة ـ 5) ر : والجباية .

1141 1) سقطت من ط ر ـ

الّذي كانت فيه الوقعة المشهورة بين أبي يزيد وأبي القاسم قتل فيها من أصحاب أبي القاسم عدد لا يحصَى (ففرّ منه [2] أبو القاسم فيمن كان يختصّ به) [3] .

(1142)

والبحر قد أحاط بها من ثلاث جهاتها وإنّما يدخل إليها من الجانب الغربي ، ولها ربض كبير يعرف بزويلة فيه الأسواق والحمّام ومساكن أهلها ، وبنى علَى الربض المُعزّ بن باديس سورًا يحيط به ، وطولها اليوم نحو ميلين وعرضها يضيق ويتّسع وأوسعه أقلّ [1] من بسط طولها ، وجميع بنيانها بالصخر (ولمدينتها بابًا حديد) [2] لا خشب فيهما وزنة كلّ باب ألف قنطار ، وطوله ثلاثون [3] شبرًا في كلّ مسمار من مساميرها ستّة أرطال ، وفي البابين صور الحيوان .

(1143)

وفي المهدية من المواجل العظام ثلاثمائة وستّون غير ما يجري [1] إليها من القناة الّتي فيها ، والماء الجاري بالمهدية جلبه [2] عبيد اللّه من قرية منانش [3] وهي علَى مقربة من المهدية في أقداس ويصبّ في صهريج داخل المهدية عند جامعها ، ويرفع من الصهريج إلَى القصر بالدواليب ، وكذلك يستّي أيضًا بقرية [4] منانش من الآبار بالدواليب ويصبّ في محبس يجري منه في تلك القناة .

1141 2) ط : تقدمه ، ص ر : فقدمه ـ 3) سقطت من س .

1142 1) عن ر ، وفي سائر النسخ : أقلّه ـ 2) ر : هوأبواب مدينتها أبواب حديد ـ 3) ق : ثمانون .

1143 1) ق : يخرج ـ 2) ر : جذبه ـ 3) س : منافس ، ر : مانش ـ 4) سقطت من ج ، ص س : بقرب .

(1144)

وهي مرفأ [1] لسفن الإسكندرية والشّام وصقلّية والأندلس وغيرها ومرساها منقور في حجر صلد يسع ثلاثين مركبًا ، علَى طرفي المرسَى برجان بينهما سلسلة من حديد ، فإذا أريد إدخال سفينة فيه أرسل حرّاس البرجين أحد طرفي [2] السلسلة حتّى تدخل السفينة ، ثمّ مدّوها كما كانت بعد ذلك تحصينًا [3] لئلاّ تطرقها مراكب الروم . وعرض المدخل إلَى المهدية من القبلة إلَى الجوف قدر غلوة . وردم عبيد اللّه من البحر مثل ذلك وأدخله في المهدية فاتّسع الموضع . وفيه ستّة عشر برجًا ثمانية منها في السور الأوّل وثمانية في الزيادة ، منها برج أبي الوزّان النحوي وبرج عثمان وبرج عيسَى وبرج الدهّان [4] نسبت إليهم لقرب مساكنهم منها . (والجامع ودار البحر [5] ودار المحاسبات فيما ردم من البحر وغير ذلك من المنازل) [6] والجامع سبع بلاطات متقن البناء حسنه . وقصر عبيد اللّه كبير سري المباني بابه غربي وقصر ابنه [7] أبي القاسم بإزائه بابه شرقيّ بينهما رحبة فسيحة . ودار الصناعة بشرقي قصر عبيد اللّه تَسع أكثر من مائتي مركب ، وفيها قبوان [8] كبيران طويلان لآلات المراكب وعددها لئلا ينالها شمس ولا مطر .

(1145)

وكان سبب بنيان عبيد اللّه للمهدية قيام (أبي عبد اللّه) [1] وجماعة كتامة عليه وما حاولوه من خلعه وقتل أهل القيروان رجال كتامة . فكان ابتداؤه بالنظر فيها سنة ثلاثمائة وكمل سورها سنة خمس وانتقل إليها سنة ثمان في شوال . وكان لها أرباض كثيرة آهلة عامرة أقربها إليها ربض زويلة فيه الأسواق

1144 1) ر : مرسى ـ 2) ر : أطراف ـ 3) سقطت من ص ج س ـ 4) ط ق : الدهاني ، ر : الريقانين ـ 5) ودار البحر : سقطت من ط ر ـ 6) سقطت من س ـ 7) ر : أخيه ـ 8) ط : يقواتان ، ر : فندقان .

1145 1) ر : أبي يزيد مخلد بن كيداد ـ

والحمّامات ، وربض الحمّى كان مسكنًا لأجناد إفريقية من العرب والبربر ، قصر أبي سعيد وبقّة وقاساس [2] والغيطنة [3] وربض قفصة وغيرها . ولم تزل دار ملك [4] لهم إلَى أن ولي الأمر إسماعيل بن القاسم سنة أربع وثلاثين [5] وثلاثمائة فسار إلَى القيروان محاربًا لأبي يزيد واتّخذ مدينة صبرة واستوطنها بعده ابنه معدّ وخلت أكثر أرباض المهدية وتهدّمت .

(1146)

ومن المهدية إلَى مدينة سلقطة [1] ثمانية أميال ، ومن المهدية إلَى قصر لجم [2] وهو المعروف بقصر الكاهنة ثمانية عشر ميلاً . وذكر أنّ الكاهنة حصرها العدوّ في ذلك القصر فحفرت سربًا في صخرة صمّاء من هذا القصر إلَى مدينة سلقطة يمشي فيه [3] العدد الكثير من الخيل ، وكان ينتقل إليها فيه الطعام سائر ما تحتاج إليه . ومن مدينة سلقطة إلَى قصر لجم [2] هذا ثمانية عشر ميلا أيضًا . وفي دور قصر لجم [2] نحو ميل ، وهو مبني بحجارة طول الحجر منها خمسة وعشرون شبرًا ونحوها ، وارتفاعه في الهواء أربع وعشرون (قامة ، وهو من داخله مدرّج كلّه إلَى أعلاه وأبوابها طاقات بعضها فوق بعض بأحكم صناعة) [4] .

(1147)

وترنوط فحص علَى ستّة أميال من المهدية ، (ومنها زاحف أبو يزيد مخلد المهدية) [1] وبهذا الفحص كانت محلّته [2] أيّام حصاره المهدية . وفي كتب

1145 2) ر : وماسوس ـ 3) ط : والقطنة ـ 4) ر : إمارة ـ 5) ط ص ر : وأربعين .

1146 1) ر : سليطة ، وفي سائر المخطوطات : سلنطة ـ 2) ط ر : الأجم ـ 3) ر : في هذا السرب ـ 4) سقطت من ر .

1147 1) سقطت من ط ـ 2) ر : محلة مخلد ـ 3) عن ر ، وفي سائر المخطوطات : وفيه .

الحدثان : إذا ربط الخارجي خيله بترنوط لم يبق لأهل السواد محلول ولا مربوط ـ أهل السواد أهل الساحل ـ وفيها [3] : ويل لأهل السواد من مخلد بن كيداد .

(1148)

والأخوان منزل بين القيروان والمهدية ، وفي هذا المنزل قتل أبو يزيد لمسيرة الفتى يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . قال علي بن علي [1] بن ظفر يمدح أبا يزيد هذا [كامل] :

هذا وكم من وقعة مشهورة أبقيتها مثلا لكلّ ممثّل
بثنية الأخوين يوم تركتهم متوسّدين وسائدا من جندل

[مدينــة جلــولا]

(1149)

ومن مدينة [1] القيروان إلى مدينة جلولا أربعة وعشرون ميلاً . وبجلولا آثار وأبراج قائمة للأوّل وآبار عذبة وخرائب [2] وجد فيها بعض الرعاة تاج ذهب بجوهرة ، فأخذه منه ابن الأندلسي . وبقرب جلولا منتزه [3] يعرف بسردانية ليس بإفريقية موضع أجمل منه ، فيه ثمار عظيمة وفيه من النارنج خاصّة [4] نحو ألف أصل . وجلولا مدينة لها حصن وهي مدينة أوّلية [5] قديمة مبنية بالصخر وفيها عين ثرّة في وسطها ، وهي كثيرة الأشجار والثمار وأكثر رياحينها الياسمين ، وبطيب عسلها يضرب المثل لكثرة ياسمينها

1148 1) سقطت من ر .

1149 1) نقص مقدار بعض ورقات في ط ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ر : مستزة ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ر : ازلية ـ

وجرس [6] نحلها له ، وبها يربّب [7] أهل القيروان السمسم بالياسمين للتزيق [8] وبالورد والبنفسج ، وبها قصب السكر كثير ، ومنها كان يرد إلَى القيروان (كلّ يوم) [2] من أحمال الفواكه والبقول ما لا يحصَى كثرة . وحولها (الجنات وقبائل) [9] ضريسة في القرارات .

(1150)

وفتح مدينة جلولا كان علَى يدي عبد الملك بن مروان ، وذلك أنّه كان في جيش معاوية بن حديج التجيبي [1] ، فبعثه إلَى مدينة جلولا في ألف رجل ، فحاصرها أيامًا فلم يصنع شيئًا ، فانصرف راجعًا فلم يسر إلاّ يسيرًا حتّى رأى في ساقة الناس غبارًا شديدًا فظنّ أنّ العدوّ يتبعهم ، فكرّ [2] جماعة من الناس لذلك وبقي من بقي علَى مصافّهم ، فإذا مدينة جلولا قد تساقط من سورها حائط ، فدخلها المسلمون [3] وغنموا ما فيها ، فانصرف عبد الملك إلَى معاوية بن حديج . فاختلف الناس في الغنيمة فكتب (في ذلك) [4] إلَى معاوية فراجع يقول إنّ العسكر ردة [5] للسرية فقسّم الفيء بينهم ، فأصاب كلّ رجل منهم لنفسه مائتي درهم وللفرس سهمان . قال عبد الملك : فأخذت لنفسي ولفرسي ستّمائة درهم واشتريت بها جارية .

(1151)

ويقال : بل نازلها معاوية بن حديج ، فكان يقاتلهم علَى باب المدينة صدر النهار ، فإذا مال الفيء انصرف فقاتلهم يومًا ، فلمّا انصرف نسي عبد الملك قوسه معلّقة بشجرة فانصرف إليها ، فإذا جانب من المدينة قد انهدم ، فصاح

1149 6) ر : ورعى ـ 7) ر : يلبيب ـ 8) ر : للزيبق ـ 9) ر : الجنة وقبل .

1150 1) سقطت من ر ـ 2) ر : فضرّ ـ 3) ر : عبدالملك والمسلمون ـ 4) سقطت من ق ـ 5) ر : رديء .

في أثر الناس فرجعوا فقد رأوا غبرة شديدة فظنّوا أنّ العدوّ قد ضرب في ساقتهم فغنموها .

(1152)

قالوا : فلمّا كان من عبد الملك بن مروان ما كان ومنازعته لمعاوية بن حديج علَى فيئها [1] ثقل علَى معاوية بن حديج ، فكان يتجهّمه ولا يقبل عليه ، فرأى حنش الصنعاني عبد الملك بن مروان وهو متفكّر متغيّر اللون فقال له : ما شأنك ؟ فقال : إنّي أبعد قريش مجلساً من الأمير . فقال له حنش : لا تغتمّ فوالله لتلينّ الخلافة (بعد هذا) [2] وليصيرنّ هذا الأمر إليك . فلمّا أفضت الخلافة إلَى عبد الملك [3] وبعث الحجّاج لقتال عبد الله بن الزبير رحمه الله أخذ حنشا الصنعاني أسيرًا فبعث به إلَى عبد الملك ، فقال له عبد الملك : ألست الّذي بشّرني بالخلافة ؟ قال : بلَى . قال : فلِم ملت عنّي إلَى ابن الزبير ؟ قال : رأيته يريد الله ورأيتك تريد الدنيا فملت إليه ، فعفا عنه وأطلقه .

ومن الغرائب ببلاد [1] إفريقية
ببلاد كتامة منها

(1153)

قال أبو جعفر أحمد بن محمّد بن أبي خالد [2] المتطبّب وقد ذكر الماء [3] الّذي يجري في الأشهر الحرم خاصّة : إنّ عندنا بالمغرب (ببلاد كتامة) [4] عين الأوقات معلومة ، إنّما يجري ماؤها في اليوم والليلة خمس مرّات في

1152 1) س : قسمها ، ر : ما فيها ـ 2) عن ر ـ 3) يستأنف هنا ط .

1153 1) عن ر ـ 2) ر : جعفر ـ 3) ط س ق : اللفى ، ر : التلقى ـ 4) سقطت من ر .

أوقات الصلوات الخمس وينقطع ما بين ذلك ، وقد ذكرنا موضع هذه العين عند ذكر المراسي بعد هذا . وقد حدّث جماعة ممّن قصد إليها ورآها ووقف عليها بمثل ذلك .

(1154)

وببلاد كتامة حجر اللازورد الجيّد ومعادن النحاس والحديد . وكانت بكنيسة شقبنارية [1] في سلطان الروم أعجوبة مرآة كانت إذا اتّهم الرجل امرأته فنظر في تلك المرآة يرى وجه المبتلي بها . وكانت البربر قد تنصّرت فكان منهم بربري قد أظهر اجتهاداً في النصرانية حتّى صار شمّاساً واتّهم رجل من الروم امرأته ، فنظر في المرآة فإذا بوجه البربري الشمّاس ، فدعا به الملك فقطع أنفه ومثل به وطرده من الكنيسة ، فطرق قومه المرآة فكسّروها ، فأرسل الملك إلَى حيّهم فاستباحه .

[مدينـــة ســـوسة]

(1155)

ومن القيروان إلَى مدينة سوسة ستّة وثلاثون ميلاً قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح : الشمال والجنوب والشرق ، وسورها صخر منيع حصين متقن البناء يضرب فيه البحر ويدخل إلَى دورها من قنًى من الجهة الشرقية ، وفي ركن مدينة سوسة الّذي بين المغرب والقبلة منار عال يعرف بمنار خلف الفتَى ، وبها ثمانية أبواب أحدها باب كبير جدًّا شرقي يعرف (بباب دار الصناعة) [1] منها تدخل المراكب وتخرج . ولمدينة سوسة بابان غربيان [2] يقابلان الملعب ،

1154 1) ر : شقبنارية .

1155 1) ط ج : بدار الصناعة ، ص س : بمنار الصناعة – 2) سقطت من ر –

والملعب بنيان عظيم للأوّل أقباء مرتفعة واسعة معقودة بحجر النشفة [3] الخفيف الّذي يطفو علَى الماء المجلوب من بركان صقلّية ، وحوله أقباء كثيرة يفضي بعضها إلَى بعض . وحول مدينة سوسة آثار عظيمة للأوّل ، وبنيان سوسة كلّها بالصخر المحكم . وبسوسة أسواق كثيرة وهي مخصوصة بكثرة الأمتعة والتمر [4] ، ولحم سوسة أطيب اللحوم وهي رخيصة الأسعار والفواكه كثيرة الخير ، وهي قديمة البناء .

(1156)

وكان [1] معاوية بن حديج قد بعث إليها عبد اللّه بن الزبير في جمع كثيف ، وكان بلغه أنّ نقفور بطريقًا من بطارقة الروم أنفذه ملكهم في ثلاثين ألف مقاتل فنزل بذلك الساحل ، فسار عبد اللّه حتّى نزل شرفًا عاليًا ينظر منه إلَى البحر بينه وبين سوسة اثنا عشر ميلاً . فلمّا بلغ ذلك نقفور رجع إلَى مراكبه وصدر عن ذلك الساحل ، فركب عبد اللّه بن الزبير في جيشه حتّى بلغ البحر ونزل علَى باب مدينة سوسة وانحطّ عن فرسه وصلّى بالناس صلاة العصر والروم يتعجّبون من أمره وقلّة اكتراثه بهم . (فأخرجوا إليه جمعًا منهم [2] كثيرًا من كماتهم [3] رجالاً وركبانًا ، فزحفوا إليه) [4] وهو مقبل علَى صلاته لا يروعه ذلك ولا يهوّله حتّى إذا قضَى صلاته شدّ علَى فرسه فركبه وحمل عليهم ، فانكشفوا عنه [5] فهزمهم وولّوا أدبارهم حتّى لجؤوا [6] إلَى مدينتهم فانصرف عنهم .

1155 3) ر : النجفة ـ 4) ط : التجار ، ر : التجر .

1156 1) نقص مقدار ورقة في ق ـ 2) عن ص ـ 3) عن ص ، وفي سائر المخطوطات : حماتهم ـ 4) سقطت من ج ـ 5) سقطت من ر ـ 6) ط ر : نجوا ، س : نجدوا ، ج : دخلوا .

(1157)

ومدينة سوسة ممتنعة علَى من رامها قد جُبل أهلها علَى الشدّة والبأس ، وحاصرها أبو يزيد مخلد شهورًا ، ثمّ انهزم عنها وكان عليها في ثمانين ألف حصان ، ففي ذلك يقول سهل [1] بن إبراهيم الورّاق [كامل] :

إنّ الخوارج صدّها عن سوسة   منّا طعان السّمر والأقدام
وجلاد أسياف تطاير بينها [2]   في النقع دون المحصنات الهام

وقال أحمد بن بلبج [3] السوسي [وافر] :

ألمّ بسوسة وبغَى عليها   ولكن الإلاه لها نصير
مدينة سوسة للغرب [4] ثغر   تدين لها المدائن والقصور
لقد لعن الّذين بغوا عليها   كما لعنت قريظة والنضير
أعزّ الدين خالق كلّ شيء   بسوسة بعد ما التوت الأمور
ولولا سوسة لَدَهَت دواه   يشيب لهولها الطفل الصغير
سيبلغ ذكر سوسة كلّ أرض   ويفشي [5] أهلها العدد الكثير

(1158)

والخروج إلَى القيروان من سوسة علَى الباب القبلي المعروف بباب القيروان ، ومقبرة سوسة عن يمين هذا الطريق . وكان زيادة اللّه بنَى سورها وكان يقول : ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة وفي صحيفتي أربع حسنات :

1157 1) ر : سهيل – 2) ر : بيننا – 3) ط : أفلج ، ص : بلج ، ر : بلخ – 4) ر : للضرب – 5) ط س : ويفشى .

بنياني المسجد الجامع بالقيروان وبنياني قنطرة الربيع وبنياني حصن مدينة سوسة وتوليتي أحمد بن أبي محرز [1] قضاء إفريقية .

(1159)

وخارج مدينة سوسة محارس وروابط ومجامع للصالحين ، وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسوّر بسور متقن يعرف بمحرس الرباط ، وهو مأوى للأخيار والصالحين . داخله حصن ثان يسمّى القصبة ، وهو بجوفي المدينة متّصل بدار الصناعة بسفح الجبل الّذي هي في سنده شرقي وأعلى المدينة غربي . ومدينة سوسة في سند عال ترى دورها من البحر ، ووراء سورها هناك هيكل عظيم يسمّيه البحريّون الفنطاس [1] ، وهو أوّل ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلّية وغيرها ، ولهذا الهيكل أربعة أدراج يصعد من كلّ واحد منها إلى أعلاه ، وهو هيكل واسع بين بابه الّذي يدخل منه والثاني الّذي يخرج منه مسافة طويلة .

(1160)

والحياكة بسوسة كثيرة ويغزل بها [1] غزل يباع زنة المثقال منه بمثقالين من ذهب ، وبسوسة تقصر ثياب القيروان الرفيعة . وجباية ساحل القيروان سوسة والمهدية وسفاقس وتونس لبيت المال خاصّة غير الدخل والخراج [2] الّذي لغير بيت المال ثمانون ألف مثقال .

1158 1) ر : محمد بن محرز .

1159 1) ر : القيطاس .

1160 1) ر : منها – 2) ط ر : الداخل والخارج .

[مدينـــة منستيـــر]

(1161)

ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الّذي جاء فيه الأثر المتقدّم الذكر ، ويذكر أنّ الّذي بنَى القصر الكبير بالمنستير هو هرثمة بن أعين سنة ثمانين ومائة ، وله في يوم عاشورا موسم عظيم ومجمع كثير . وبالمنستير البيوت والحجر والطواحن الفارسية ومواجل الماء ، وهو حصن عالي البناء متقن (1) العمل . وفي الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل يكون مدار القوم عليه ، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين قد حبسوا أنفسهم فيه منفردين (2) دون الأهل والعشائر .

(1162)

وقال محمّد بن يوسف : هو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفي وسط الربض حصن ثان كبير (1) كثير المساكن والمساجد ، والقصاب العالية طبقات بعضها فوق بعض ، وفي القبلة منه صحن (2) فسيح فيه قباب عالية متقنة البناء (3) تنزل حولها النساء المرابطات تعرف بقباب جامع . وبها جامع متقن البناء وهو آزاج معقودة كلّها وأقباء لا خشب فيها ، ولها حمّامات كثيرة . وكان أهل القيروان يخرجون إليهم بالأموال والصدقات الجزلة . وبقرب المنستير ملاّحة عظيمة تشحن (4) فيها السفن بالملح إلَى البلاد ، وبقربه محارس خمسة (5) متقنة البناء معمورة بالصالحين .

1161 1) ق : معقل ـ 2) ر : مفردين .

1162 1) ر : منيع كبير ـ 2) ر : حصن ـ 3) عن ق ر ـ 4) ر : توسق ـ 5) ق : أخرى .

[ذكـر مدينـة تـونس]

(1163)

ومن القيروان إلَى مدينة تونس مائة ميل ، وهي ثلاث مراحل : فإلَى فندق شكل مرحلة وإلَى منستير عثمان مرحلة وإلَى القيروان مرحلة . وطريق آخر : إلَى منزل باشو [1] إلَى الدواميس إلَى القيروان .

(1164)

ودور مدينة تونس أربع وعشرون ألف ذراع . وفي سنة أربع عشرة ومائة بنَى عبيد الله بن الحبْحاب الجامع ودار الصناعة بمدينة تونس . وأهلها موصوفون بدناءة [1] النفوس . واسم مدينة تونس في الأوّل ترشيش ، ويقال لبحرها بحر رادس وكذلك يسمّى مرساها مرسَى رادس . وافتتحها حسّان بن النعمان (بن عدي بن بكر بن مغيث بن عمرو مزيقياء [2] بن عامر الأزدي . وروى جماعة عن أبي المهاجر قال : سار حسّان بن النعمان) [3] إلَى أرطة فقاتل الروم بفحص تونس ، فسأله الروم ألاّ يدخل عليهم وأن يضع الخراج عليهم ويقوموا له بما يحمله وأصحابه ، فأجابهم إلَى ذلك . وكانت لهم سفن معدّة من ناحية الباب الّذي يقال له باب النساء ، فاحتملوا فيها أهلهم وأموالهم وهربوا ليلاً وأسلموا المدينة . فدخلها حسّان فحرق وخرب فبنَى فيها مسجداً وبقِي هناك طائفة من المسلمين . وكذلك كان من مكر صاحب قرطاجنّة أيضًا بحسّان بن النعمان ، إنّ الروم لمّا فرّوا عنها وبقي فيها مرناق صاحبها ليس معه إلاّ أهله بعث إلَى حسّان : هل لك أن تعاهدني وولدي وتقطع لي قطائع أشترطها عليك وأفتح لك بابًا [4] فتدخل المدينة علَى من

1163 1) ر : ناشو .

1164 1) ر : وقارة ـ 2) سقطت من ق ، ر : بن بقيا ـ 3) سقطت من ط ـ 4) ر : الباب ـ

فيها ؟ فأجابه إلَى مسألته فاشترط عليه المنازل الّتي بين الجبلين الّتي يقال لها فحص مرناق ، وهي إذ ذاك ثلاثمائة وستّون [5] قرية ، ثمّ فتح لهم الباب ، فلم يجد فيها أحدًا غيره وغير ولده وأهله [6] ، فتمّم له حسّان ما اشترطه [7] وانصرف إلَى القيروان .

(1165)

قال : وأغارت الروم من البحر علَى من كان بقي من المسلمين في مدينة تونس وخرجت إليهم في المراكب فقتلوا [1] من بها وسبوا وغنموا ، ولم يكن للمسلمين شيء يحصنهم من عدوّهم ، إنّما كانوا معسكرين هناك . وبلغ [2] حسّان ذلك فرحل إلَى تونس وأرسل أربعين رجلاً من أشراف العرب إلَى عبد الملك بن مروان وكتب إليه بما نال المسلمين من البلاء وأقام هناك مرابطًا ينتظر رأي عبد الملك . فلمّا بلغ ذلك عبد الملك عظم عليه ، وكان إذ ذاك التابعون متوافرين فيهم اثنان من أصحاب رسول اللّه صلعم : أنس بن مالك وزيد بن ثابت ، فقالا للمسلمين : مَن رابط برادس يومًا فله الجنّة حتمًا . وقالا لعبد الملك : امدد هذه البلاد وانصر أهلها ليأمنوا من العدوّ ويكون لك ثوابها وأجرها ، فإنّها من البلدان المقدّسة المرحوم أهلها وهي حرس لقدونية ، يريدون القيروان .

(1166)

وروي أنّ ببحر رادس خرق الخضر عليه السلام السفينة وأنّ الملك الّذي كان يأخذ كلّ سفينة غصبًا الجلندي ملك قرطاجنة ، فخرق الخضر السفينة ببحر

1164 5) ط : واثنتان وستّون ـ 6) سقطت من ر ـ 7) ط س ر ق : أعطاه .

1165 1) ر : فقتلت ـ 2) ق : ودخل ، ر : ووصل .

رادس وقتل الغلام بطنبدة ، وهي اليوم تسمّى المحمّدية [1] ، وهناك فارق موسَى الخضر عليهما السلام . وطنبدة علَى أميال يسيرة من تونس .

(1167)

فكتب عبد الملك بن مروان إلَى أخيه عبد العزيز وهو والي مصر أن يوجّه إلَى معسكر تونس ألف قبطي بأهله وولده وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتّى يصلوا إلَى ترشيش وهي تونس . وكتب إلَى ابن النعمان أن يبني لهم دار صناعة تكون قوّة وعدّة للمسلمين إلَى آخر الدهر ، وأن يجعل علَى البربر جرّ الخشب لإنشاء المراكب ليكون ذلك جاريًا عليهم إلَى آخر الدهر ، وأن يصنع بها المراكب (ويجاهد الروم في البرّ والبحر ، وأن يغار منها علَى سواحل الروم فيشتغلوا [1] عن القيروان نظرًا للمسلمين وتحصينًا لشأنهم [2] . فوصل القبط إلَى حسّان وهو مقيم بتونس ، فأجرى البحر من مرسَى [3] رادس إلَى دار الصناعة وجرّ البربر الخشب وجعل فيها المراكب) [4] الكثيرة وأمر القبط بعمارتها .

(1168)

وبشرقي مدينة تونس بحيرة كبيرة دورها أربعة وعشرون ميلاً في وسطها جزيرة تسمّي شكلة مقدار ميلين [1] تنبت الكلخ ، وبها آثار قصر خرب ، فصارت دار صناعة تونس متّصلة (بالمينَى والمينَى متّصل) [2] بالبحيرة (والبحيرة متّصلة بالبحر) [2] . وعلَى شاطئ المينَى مسجد يعرف بمسجد عبد الله ، وبقبلي المينَى قصر مبنيّ بالحجارة متقن البناء ، وفي الجوف منه حائط صخر

1166 1) سورة الكهف 71/18 وما بعدها .

1167 1) ر : فيشغلوا ــ 2) ر : بهم ــ 3) ر : بجرى ــ 4) : سقطت من س .

1168 1) ق : يومين ــ 2) سقطت من ر ــ

كالسور ، فصار المدخل بالسفن في هذا المينَى بين حائط القصر (وهذا السور ، وتعرض بينهما سلسلة حديد تمنع المراكب من الدخول والخروج مادامت متعرّضة [3] ، وهذا القصر) [4] يعرف بقصر السلسلة . وبقبلي القصر صهريجان كبيران كان ملوك بني الأغلب يرسلون فيهما ماء البحر ويملأونها بالسمك .

(1169)

وقد تقدّم أنّ عبيد اللّه بن الحبحاب بنَى دار الصناعة [1] ، فلعلّ من روى ذلك يريد أنّ عبيد اللّه جدّدها وزادها تحصينًا . فلم تزل تونس معمورة من يومئذ يغزو منها المسلمون بلاد الروم ويكثرون فيهم النكاية ولهم الإذاية .

(1170)

ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل أمّ عمرو ، ويدور بمدينتها خندق حصين ، ولها خمسة أبواب : باب الجزيرة قبلي ينسب إلَى جزيرة شريك ويخرج منه إلَى القيروان ، ويقابله الجبل المعروف بجبل التوبة وهو جبل عال لا ينبت شيئًا في أعلاه قصر مبنيّ مشرف علَى البحر ، وبشرقي هذا القصر (غار منْحَني الباب يسمّى المعشوق ، وبالغربي منه عين ماء ، وبغربي هذا) [1] الجبل جبل يعرف بجبل الصيادة فيه قرى كثيرة الزيتون والثمار والمزارع ، وفي هذا الجبل سبعة مواجل للماء أقباء علَى غرار واحد ، وبغربي هذا الجبل أيضًا أشراف ومزارع متّصلة بموضع يعرف بالملعب فيه قصر لبني الأغلب قد غرس بجميع الثمار وأصناف الرياحين . وبشرقي مدينة تونس المينَى والبحيرة الّتي

1168 3) ق : معترضًا ، ر : معرضة – 4) سقطت من ص .

1169 1) نقص في ج .

1170 1) سقطت من ط –

ذكرناها وسبخة[2]، وبشرقيها أيضا باب قرطاجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة وآبار بسوانٍ تعرف سواني المرج. وباب السقائين جوفي نسب إلى السقائين لأنَّ بئرًا تعرف ببئر أبي القفار[3] تقابله، وهي بئر كبيرة عزيزة عذبة الماثة غميرة، وهناك قصور لبني الأغلب وبساتين فيها أصناف الثمار والرياحين، ويتّصل بها جبل أجرد يقال له جبل خفاجة في أعلاه آثار بنيان. وباب أرطة غربي وتجاوره مقبرة تعرف بمقبرة سوق الأحد، ودون الباب من داخل الخندق غدير كبير يعرف الفحّامين، وربض المرضَى خارج عن المدينة،. وبقبلي ربض المرضَى ملاحة كبيرة منها ملحهم وملح من يجاورهم .

(1171)

وجامع[1] مدينة تونس رفيع البناء مطلّ علَى البحر ينظر الجالس[2] فيه إلَى جميع جواريه ، ويرقى إلَى الجامع من جهة الشرق علَى اثنَي عشرة درجة ، وبها أسواق كثيرة ومتاجر عجيبة . وبمدينة تونس خمسة عشر حمّامًا وفنادق كثيرة رفيعة . وعضادات أبواب دور[3] مدينة تونس كلّها رخام بديع لوحان قائمان وثالث معترض عليهما مكان العتبة . ومن أمثالهم : دور تونس أبوابها رخام وداخلها سخام .

(1172)

ومدينة تونس دار علم وفقه ولي منها قضاء إفريقية جماعة كثيرة ، ومع هذا الفضل الّذي فيها هي مخصوصة بالقيام علَى الأمراء والخلاف للولاة ، خالفت

1170 2) سقطت من ر ـ 3) ط : الغفار ، س : ابن عبد الغفار .

1171 1) ق : وجميع ـ 2) ط : الجالين ـ 3) ر : ديار .

نحو عشرين مرّة ، وامتحن أهلها أيّام أبي يزيد بالقتل والسبي وذهاب الأموال . وقال الجربي صاحب الحدثان [طويل] :

فويل لترشيش وويل لأهلها   من الحبشي الأسود المتغاصب

وقال بعض الشعراء [طويل] :

لعمرك ما ألفيتُ تونس كاسمها   ولكنّني ألفيتها وهي توحِش

(1173)

وتصنع بتونس [1] آنية للماء من الخزف تعرف بالريحية شديدة البياض في نهاية الرقّة تكاد تشفّ ليس [2] يعلم لها نظير في جميع الأقطار وعامّة الأمصار . ومدينة تونس من أشرف مدائن إفريقية وأطيبها ثمرًا وأنفسها [3] فاكهة ، فمن ذلك اللوز الفريك يفرك بعضه بعضًا من رقّة قشره ويحتّ [4] باليد وأكثره حبّتان في كلّ لوزة مع طيب المضغة وعظم الحبّة . والرمّان الضعيف [5] لا عجم لحبّه البتّة مع صدق الحلاوة وكثرة المائية ، والأترج الجليل الطيّب [6] الطعم الذكي الرائحة البديع المنظر ، والتين الخارمي أسود كبير رقيق القشر كثير العسل لا يكاد يوجد له بزر ، والسفرجل المتناهي كبرًا وطيبًا وعطرًا ، والعناب [7] الرفيع في قدر الجوز [8] ، والبصل القلوري [9] في خلق الأترج مستطيل سابري القشر صادق الحلاوة كثير الماء . وبها من أجناس الحوت الّذي لا يكون مثله في غيرها ما لا يحصى كثرة ، أجناس تجري في البحر مع شهور العجم في كلّ شهر من تلك الشهور يجري فيه جنس منه [10] لا يوجد في البحر إلّى دخول ذلك الشهر من العام

1173 1) ر : بترشيش ـ 2) يستأنف هنا ج ـ 3) ق : وأشرفها ـ 4) ر : ويحبب ـ 5) ر : الغريب ـ 6) ر : اللطيف ـ 7) ق : والعنب ـ 8) ر : الجلوز ـ 9) ق : الأقلوري ـ 10) سقطت من ر ؛

المقبل ، فهم [11] من تجدّدها في لذّة موصولة ونعمة غير مملولة وكلّ جنس منها يصبّر ويبقَى السنين صحيح الجرم طيّب الطعم ، منها جنس يعرف بالعبانق [12] وجنس يعرف بالأكتوبري وجنس يعرف بالأشبارش وجنس يعرف بالملكوس [13] وجنس يعرف بالبقونس ، ومن أمثالهم : لو لا البقونس لم يخالف أهل تونس .

(1174)

وفي الطريق بينها وبين القيروان منزل يقال له بجقّة [1] ، إذا كان أوان طيب الزيتون بالساحل قصدته الزرازر فباتت فيه ، وقد حمل كلّ طائر منها زيتونتين في مخلبيه فيلقي الزيتون هناك وله غلّة عظيمة تبلغ سبعين ألف درهم .

[ذكـر مدينـة قرطاجنـة]

(1175)

ومن مدينة تونس إلَى قرطاجنة اثنا عشر ميلاً . ويقال إنّ الّذي بنَى قرطاجنة ديدون [1] الملك زمن داود عليه السلام . ويقال إنّ بين بناء قرطاجنة وبناء مدينة رومية [2] اثنتان وسبعون سنة . ولو دخلها الداخل أيّام عمره وتدبّر فيها [3] لَرأى كلّ يوم مستأنف أعجوبة لم يرها في السالف . وهي علَى شاطئ البحر يصيب سورها أمواجه ، وكان تكسير سورها أربعة عشر ألف ذراع .

1173 ق : مثله ـ 11) ق : فهو ـ 12) سقطت من ص ، ر : العيانق ـ 13) ط : النكوس .

1174 1) ر : سحقة .

1175 1) في المخطوطات : ديرون ـ 2) ط ر : رومة ـ 3) ق ر : ما فيها .

(1176)

وقال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبّب القيرواني في مغازي إفريقية : إنّ موسَى بن نُصير لمّا دخل الأندلس فأتَى علَى ما أراد منها قال لهم : دلّوني علَى أسنّ شيخ فيكم . فأُتي بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر ، فقال له موسَى : من أين أنت يا شيخ ؟ قال : من قرطاجنة إفريقية . فقال له موسَى : فما الّذي أصارك هنا وكيف كان خبر قرطاجنة ؟ (قال له : أتعرف من بنَى قرطاجنة ؟) [1] . قال له الشيخ : بناها قوم من بقية العادين الّذين هلك قومهم بالريح فبقيت بعدهم خرابًا ألف سنة حتّى بناها (أردمين بن لاودين) [2] بن نمرود الجبّار ، وجلب إليها الماء العذب من دلالا [3] فحفر له في الجبال وبنَى القناطر في بطون الأودية حتّى استوى جري الماء فيها بعد عمل أربعين سنة . قال : فلمّا حفر أساس تلك القناطر (في طول الأودية) [4] أصيب فيه حجر عليه كتابة ، فإذا فيه [5] : إنّ هذه المدينة ليست تخرب إلاّ إذا ظهر فيها الملح . قال الشيخ : فبينا نحن ذات يوم في مجرى قرطاجنة جلوس إذا بملح علَى حجر ، فعند ذلك رحلت إلَى هاهنا .

(1177)

وكان سبب خراب قرطاجنة أنّ أنبيل ملك إفريقية ـ وكانت قرطاجنة دار ملكه ـ مضَى إلَى بلد [1] إيطالية الّذي فيه مدينة رومة ولاقَى قوّاد رومة ، وكان أهل رومة يومئذ لا ملك لهم ، إنّما كان تدبير مملكتهم إلَى سبعين رجلاً [2] من كبائرهم يخرجون من أنفسهم كلّ عام اثني عشر قائدًا يقرعون بينهم علَى نواحيها ، فيخرج كلّ واحد إلَى الناحية الّتي وقعت عليها قرعته .

1176 1) عن ر ـ 2) ر : أردشير بن الأزد ـ 3) ط ق : دلالي ، ر : دلال ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ق ر : هي .

1177 1) ر : ملك ـ 2) سقطت من ر ـ

فهزمهم أنبيل وقتلهم في عدّة مواطن حتّى بعث إلَى إفريقية بثلاثة أمداء من خواتم الذهب الّتي كانت في أيدي أشراف من قتل منهم وملوكهم ، فكتب إليهم : هذا عدد من قتلته من الأشراف والقوّاد فضلاً عن غيرهم . فأقام في بلاد إيطالية محاربًا لمدينة رومة ومضيقًا علَى نواحيها [3] نحوًا من ستّ عشرة سنة . فركب قائد من قوّادهم يقال له شبيون المراكب خفية حتّى أتى صقلّية ، فحشر من اجتمع له بها ، ثمّ مضَى إلَى بلد إفريقية وترك أنبيل محاصرًا لبلد رومة [4] ، فنصر علَى الافريقيّين وعمّ بلد إفريقية قتلاً وسبيًا واحتراقـــا ، وبقي محاصرًا لقرطاجنة فبعث أهلها إلَى أميرهم أنبيل يعلمونه بما دهمهم [5] من أهل رومة ويسألونه الإسراع لغياثهم . فعجب عند ذلك أنبيل وقال : إنّي كنت أرى [6] أنّ التزامي [7] محاصرة هذه المدينة يقطع اسم الرومانيّين من الدنيا ، فأظنّ أنّ إله السماء لا يأذن بذلك . ثمّ ركب المراكب وأسرع الرجوع إلَى إفريقية ، فزحف إليه شبيون قائد الرومانيّين فهزمه في كلّ مشهد .

(1178)

فجعل أنبيل يخاطبه ويقول : أين كنتم معشر الرومانيّين من هذه النجدة إذ كنّا نقاتلكم ونهزمكم في أفنيتكم ؟ فقال له شبيون : إذ كنتم في بلدنا قد بعد عنكم بلدكم وحصونكم ونحن في حصوننا وبلدنا كنّا أشدّ منكم خورًا وكنتم أشدّ منّا استثباتًا [1] ، فلمّا صرنا في بلدكم انتقل الأمر وتبدّل الحكم . فغلب عند ذلك أهل رومة علَى أهل إفريقية وهدموا مدينة قرطاجنة .

1177 3) ر : عليها وعلى نواحيها ـ 4) ر : إلى رومة ـ 5) ر : دهاهم ـ 6) ر : أظنّ ـ 7) عن ر ، وفي سائر المخطوطات : التزام .

1178 1) ط : اشتياقًا .

(1179)

وأعجب ما بقرطاجنة دار الملعب وهم يسمّونها الطياطر ، قد بنيت أقواماً علَى سواري وعليها مثلها ما أحاط بالدار ، وقد صوّر في حيطانها جميع الحيوان وصور أصحاب جميع الصناعات وجعلت فيه صور الرياح ، وجعل صورة الصبا وجه مستبشر وصورة الدبور وجه عابس [1] . ورخام قرطاجنة لو اجتمع أهل إفريقية علَى نقله واستخراج جميعه ما أمكنهم ذلك لكثرته . وفيها قصر يعرف بالمعلّقة مفرط العظم والعلو ، أقباء معقودة وطبقات كثيرة مطلّ علَى البحر ، في غربيّه قصر يعرف بالطياطر وهو الّذي فيه دار الملعب المذكورة ، (وهو كثير الأبواب والتّراويح وهو أيضًا طبقات علَى كلّ باب صورة حيوان رخام وصور جميع الصنّاع ، وقصر يقال له قومش [2] طبقات كثيرة أيضًا في سواري رخام مفرطة الكبر والعظم) [3] يتربع [4] علَى رأس السارية منها إثنا عشر رجلاً وبينهم [5] سفرة طعام أو شراب ، (وهي مشطّبة كالثلج بياضًا والمهاة صفاء ، بعض تلك السواري قائمة وبعضها ساقطة [6] ، وبها قبو [7] عظيم لا يدرك الطرف آخره) [8] فيه سبعة مواجل للماء كبار تعرف بمواجل الشياطين فيها ماء قديم لا يدرى متَى دخلها . وبقرب قصر قومش [9] سجن أقباء بعضها فوق بعض مظلم مهيب الدخول فيه جثث الموتَى علَى حالهم إلَى اليوم ، فإذا مسّوا تلاشوا .

(1180)

وداخل المدينة مينَى كانت المراكب تدخلها بشرعها ، وهي اليوم ملاحة عليها قصر [1] ورباط يعرف ببرج أبي سليمان . وفي وسط المدينة صهريج كبير

1179 1) ط ر : عبوس ــ 2) ج ص : مومش ، س : حومش ، سقطت من ط ــ 3) سقطت من ط ــ 4) ر : يجلس ــ 5) ق : وبينها ــ 6) ر : معرضة ــ 7) ق : قبوة ، ر : قصر ــ 8) سقطت من س ــ 9) ط ر : ترمس .

1180 1) ر : قصر عظيم ــ

(حوله في وقتنا هذا ألف وسبعمائة حنية قائمة سوى ما انهدم منها ، وكان يجري إلى هذا المصنع [2] الماء المجلوب من عين جقار [3] إلى قرطاجنة) [4] على مسيرة أيام في قناة عظيمة تغيب مرّة تحت الأرض وتكون في موضع آخر [5] في قناطر فوق قناطر حتّى تساوي السحاب . ومن عين جقّار كان عبيد الله الشيعي يشرب الماء يرد عليه كلّ يوم منه أحمال معروفة .

(1181)

وبقرطاجنة قصران من رخام يعرفان بالأختين ليس فيهما حجر سواه محكم البناء رخامه كلّه مدخل بعضه في بعض ، وبهذين القصرين ماء مجلوب يأتي من قبل الجوف لا يعرف من أين منبعثه يصبّ في البحر وعليه نواعير لقرى قرطاجنة . وبها سواري قائمة طول الظاهر فوق الأرض منها أربعون ذراعًا ، قد عقد عليه قبو من حجر النشفة ، وهو الحجر الخفيف الّذي يطفو فوق الماء . وبها قبّة لا يلحقها الرامي بأشدّ نزع السهام علوًا وسموًا ، حولها [1] سطح مفروش بالفسيفساء خمسون ذراعًا في مثلها . وخرائب قرطاجنة اليوم قرى [2] رفيعة مفيدة عامرة ، وأصناف ثمارها متناهية في الطيب لا يكاد يرى ما يفضلها .

(1182)

وروى الثقات عن عبد الرحمان بن زياد بن أنعم قال : كنت وأنا غلام مع عمّي (بقرطاجنة نمشي في آثارها ونعبر [1] بعجائبها ، فإذا بقبر مكتوب عليه بالحِمْيَرية : أنا عبد الله) [2] بن الأواس رسول رسول الله صالح . وفي

1180 2) ط : الموضع ، ر : الموضع المصنع – 3) ص : جفار ، ر : خفار ، ط : جقان – 4) س : يأتيه الماء – 5) ر : وتظهر في مواضع أخرى .

1181 1) ج : بها – 2) سقطت من ق .

1182 1) ط : نعتبر ، ر : نعتجب – 2) سقطت من ص ج –

رواية أخرى [3] : أنا معتب [4] بعثت إلَى (أهل هذه) [5] القرية أدعوهم إلَى الله ، أتيتهم ضحَى فقتلوني ظلمًا فحسيبهم الله . وقال إسحاق بن عبد الملك [6] الملشوني [7] : لم يدخل إفريقية نبيّ قطّ ، وأوّل من دخلها بالإيمان حواري عيسَى بن مريم عليه السلام .

(1183)

وفيما بين مدينة سوسة ومدينة تونس جزيرة شريك ، (تنسب إلَى شريك العبسي كان عاملاً عليها ، وأمّ إقليم [1] جزيرة شريك) [2] منزل باشو ، وهي مدينة كبيرة آهلة بها جامع وحمّامات وثلاث رحاب وأسواق عامرة وبها قصر أحمد بن عيسَى القائم علَى ابن الأغلب . وبجزيرة شريك اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن سعد بن أبي سرح المغرب وتبادروا[3] منها إلَى مدينة إقليبية وما حولها ، ثمّ ركبوا منها إلَى جزيرة قوصرة وهي بين صقلّية وإفريقية وكانت إذ ذاك عامرة . فيقال إنّهم أقاموا بها إلَى خلافة عبد الملك بن مروان ، فأغزى عبد الملك بن مروان (عبد الملك) [4] بن قطن في البحر ، ففتح ما كان هنالك من الجزائر والقصور وخربها وقفل ظافرًا [5] .

(1184)

ومن تونس إلَى منزل باشو هذا مرحلة بينهما قرى (كبيرة آهلة) [1] كثيرة وحامة [2] جليلة مجرّبة النفع . ثمّ من باشو إلَى قرية الدواميس مرحلة ، وهي قرية كبيرة آهلة كثيرة الزيتون والشجر بينهما قصر الزيت ووادي الدمنة وفندق

1182 3) عن س ، وفي سائر المخطوطات : بعضهم ـ 4) ر : مغيث ـ 5) سقطت من ق ـ 6) ر : بن أبي عبدالملك ـ 7) ر : الماجشون .

1183 1) ر : أقاليم ـ 2) سقطت من ج ـ 3) ر : وساروا ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ر : ظاهرًا .

1184 1) سقطت من ر ـ 2) ر : وجمة ـ

ريحان ووادي الرمّان [3] . ومن قرية الدواميس إلَى القيروان مرحلة بينهما قصور ومنازل وقرى [4] .

(1185)

وبحذاء جزيرة شريك في البرّ نحو الجنوب جبل زغوان ، وهو جبل منيف مشرف يسمّى كلب الزقاق [1] ، لظهوره وعلوّه واستدلال المسافرين به أينما توجّهوا ، فإنّه يرى علَى مسيرة الأيّام الكثيرة ، ولعلوّه ترى السحاب دونه وكثيرًا ما يمطر (سفحه ولا يمطر) [2] أعلاه . وأهل إفريقية يقولون لمن يستثقلونه من الناس : هو أثقل من جبل زغوان وأثقل من جبل الرصاص ، وهو علَى تونس . وقال الشاعر يخاطب حمامة [3] أرسلها بكتاب من القيروان إلَى تونس [وافر] :

وفي زغوان فاستعلي علوّا   وداني في تعاليك السحابا

وبزغوان قرى كثيرة آهلة كثيرة المياه والثمار والبساتين ، منها فندق شكل المحلّة [4] المعروفة وهي علَى مرحلة من تونس قرية كبيرة آهلة ، ومنها قرية قلمجنة [5] كان أبو القاسم بن عبيد الله شرع في بُنيانها واتّخذها مدينة يسكنها الغريب السّابل من هوارة ونفوسة . وهذا الجبل مأوى للصالحين وخيار المسلمين .

1184 3) ر : الرمال ـ 4) ق : والحمد لله رب العالمين ، ويتلوه بحذاء جزيرة شريك إن شاء الله تعالى ، باسم الله الرحمٰن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله .

1185 1) ط : فسمّي بجبل الزقاق ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ر : جماعة ـ 4) ر : المرحلة ـ 5) عن ص ، ط : قلمجنة ، ر : قليحنة ، سقطت من ق .

(1186)

وبغربي جبل زغوان مدينة لربس [1] بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيّام ، وهي مدينة مسوّرة لها ربض كبير ، وبأرضها يكون أطيب الزعفران ويعرف ببلد العنبر ، وبها صار إبراهيم بن أبي الأغلب [2] حين خرج من القيروان . وفي سنة ستّ وتسعين ومائتين زحف إليها أبو عبد الله الشيعي ونازلها وبها جمهور أجناد إفريقية مع إبراهيم ، ففرّ عنها ابن أبي الأغلب في جماعة من القوّاد والجند إلَى أطرابلس ودخلها الشيعي عنوة ، ولجأ أهلها ومن بقي فيها من فل [3] الجند إلَى جامعها وركب بعض الناس بعضًا ، فقتلهم الشيعي أجمعين حتّى كانت تسيل الدماء من أبواب المسجد كسيلان الماء بوابل الغيث . وقيل إنّه قتل داخل المسجد ثلاثين ألفًا ، وذلك من وقت صلاة العصر إلَى آخر الليل . وكانت ولاية بني الأغلب إفريقية مائة سنة وإحدى عشرة سنة .

(1187)

ومن مدينة لربس [1] إلَى مدينة الأنصاريّين [2] مسيرة يوم . نسبت إلَى قوم نزلوها من الأنصار من ولد جابر بن عبد الله ، وهي طيّبة الأرض كثيرة الريع وحنطتها أجلّ حنطة بإفريقية .

(1188)

ومن مدينة القيروان إلَى مدينة قفصة ثلاثة أيّام ، وهي مدينة مبنيّة كلّها علَى

1186 1) ر : يسكنها الأوبس ـ 2) ص ر : بن الأغلب ـ 3) ط : مل ، س : حل ، سقطت من ر .

1187 1) ر : الأربس ـ 2) ر : الأنصار .

أساطين وطيقان رخام قد بني خلالها [1] بالصخر الجليل بأحكم عمل. ويذكر أنّ باني هذا السور شنتيان [2] غلام نمرود [3] ، وقد زبر [4] عليه اسمه وهو مقروء فيه إلَى اليوم ، وسورها كأنّما قد فرغ من عمله بالأمس. وداخل مدينة قفصة عينان نضّاحتان تنبعان بنهرين خرّارين يسقيان بساتينها ومزروعاتها [5] ، وفي داخل جامعها عين كبيرة مبنية بالصخر من بنيان الأوّل أربعون باعًا [6] في مثلها. وقفصة أكثر بلاد القيروان فستقًا ومنها ينتشر بإفريقية ويحمل إلَى مصر والأندلس وسجلماسة. وبها تمر مثل بيض الحمام وهي تمير القيروان بأنواع الفواكه والتمر. وحولها أكثر من مائتي قصر عامرة آهلة تطّرد فيها وحواليها المياه تعرف بقصور قفصة. وجباية قفصة خمسون ألف [7] دينار. ومن قصور قفصة مدينة طراق [8] وهي في منصف الطريق من قفصة إلَى فجّ الحمار [9] وأنت تريد القيروان. ومدينة طراق كبيرة آهلة بها جامع وسوق حافلة وإليها ينسب الكساء الطرّاقي وهو من جهاز [10] مصر ، وهي كثيرة الفستق.

(1189)

وتسير من القيروان إلَى مدينة نفزاوة في ستّة أيام نحو الغرب، ولمدينة نفزاوة عين تسمّى بالبربرية تاورغي وهي عين كبيرة لا يدرك لها قعر. ولمدينة نفزاوة سور صخر وطوب ولها ستّة أبواب وبها جامع [1] وأسواق حافلة ، (وهي علَى نهر كثير النخل والثمار ، وحواليها عيون كثيرة وبقبليّها مدينة أوّلية [2] تعرف بالمدينة عليها سور وبها جامع وحمّام وسوق) [3] وحولها عيون وبساتين. وبين مدينة نفزاوة وقابس ثلاث مراحل ، (وبينها وبين قفصة مرحلتان ، وهي علَى ثلاث مراحل) [4] من قيطون بياضة ، ومن قيطون

1188 1) ر : بقي خللها ـ 2) ر : شنشبان ، سقطت من ق ـ 3) ر : النمرود بن كنعان ـ 4) ر : رمز ـ 5) ر : ومزدرعاتها ـ 6) ط : ذراعًا ـ 7) ط ر : ثلاثون ألف ـ 8) ط : طوق ، ر : طواق ـ 9) ط : الثمار ـ 10) ط : خيار.

1189 1) ط ر س : جامع وحمام ـ 2) ر : أزلية ـ 3) سقطت من ط س ـ 4) سقطت من ط ر ـ

بياضة إلَى مدينة نفطة [5] مرحلة ، إلَى مدينة توزر مرحلة ، إلَى مدينة نفزاوة مرحلة . ومن نفزاوة تسير إلَى بلاد قسطيلية وبينها أرض سوّاخة لا يُهتدى الطريق [6] فيها إلاّ بخشب منصوبة ، وأدلاّء تلك الطريق بنو مُوليت لأنّ هناك ظواعينهم ، فإن ضلّ أحد يمينًا أو شمالاً غرق في أرض ديباس [7] تشبه في الرطوبة بالصابون ، وقد هلكت فيها العساكر والجماعات ممّن دخلها ولم يدر أمرها . (وتسمّى هذه الأرض بالسوّاخة) [8] ، وتصل هذه الأرض السواخة إلَى مدينة (غواسين ، وقيل إلَى مدينة) [8] غدامس .

ذكــر بــلاد قسطيليــة [1]

(1190)

فأمّا بلاد قسطيلية فإنّ من مدنها توزر والحمّة [2] ونفطة ، وتوزر هي أمّها وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة ، وحولها أرباض واسعة آهلة ، وهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب (كثيرة النخل والبساتين والثمار إلاّ أنّ قصب السكر واللوز) [3] لا يصلحان بها . وحولها سواد عظيم من النخل ، وهي أكثر بلاد إفريقية تمرًا ويخرج منها في أكثر الأيّام ألف بعير موقورة تمرًا وأزيد . شربها من ثلاثة أنهار تخرج من رمال كالدرمك [4] رقّة وبياضًا ، يسمّى ذلك الموضع بلسانهم شرش [5] . وإنّما تنقسم هذه الثلاثة الأنهار بعد اجتماع مياه تلك الرمال بموضع يسمّى وادي الجمال يكون قعر النهر هناك نحو مائتي ذراع ، ثمّ ينقسم كلّ نهر من هذه الأنهار الثلاثة علَى ستّة جداول وتتشعّب من تلك الجداول سواقٍ لا تحصَى كثرة تجري في قنوات مبنيّة بالحجر [6] علَى قسمة عدل لا

1189 5) ط : قسطنطينة ـ 6) ر : إلى الطريق ـ 7) عن ص ج ر ، ط : دابياس ـ 8) عن ر .

1190 1) هذا العنوان عن ر ، ومن هنا بعض ورقات ناقصة في س (انظر 1198) ـ 2) ط ج : الحامة ـ من ط ـ 4) ج : كالدر ـ 5) ر : تترس ، ج : سوس ، ق : برس ـ 6) ص ج ، ق :=

يزيد بعضها علَى بعض شيئًا . كلّ ساقية سعة شبرين في ارتفاع فتر يلزم كلّ من يسقّي منها أربعة أقداس [7] مثقال في العام . (وقيل : يلزم كلّ من يسقّي نهارًا أربعة أسداس المثقال في العام) [8] وبحساب ذلك في الأكثر والأقلّ ، وهو أن يعمد الّذي يكون له دولة السقّي إلَى قدس في أسفله ثقبة [9] بمقدار ما يسدّها وتر قوس الندّاف ، فيملؤها بالماء ويعلقه ويسقّي حائطه أو بستانه من تلك الجداول حتّى ينفد ماء القدس ، ثمّ يملأوه ثانية . وهم قد علموا أنّ سقّي اليوم الكامل هو مائة واثنان وتسعون قدسًا [10] .

(1191)

ولا يعلم في بلد مثل أترجها جلالة وحلاوة ، وبها الترنجبين والمخيطا والأملج . وجباية قسطيلية مائتا ألف دينار . وأهلها يستطيبون لحم الكلاب ويسمّنونها في بساتينهم ويطعمونها التمر ويأكلونها . وأخبرني من ضاف [1] منهم رجلاً فأطعمه لحمًا استطابه [2] واستحسنه ، فسأله عنه فقال له : لحم جرو مسمّن .

(1192)

ولا يعرف وراء قسطيلية عمران ولا حيوان إلاّ الفنك ، إنّما هي رمال وأرضون سواخة ، وهم يخبرون أنّ قومًا منهم أرادوا معرفة ما وراء بلادهم ، فاستعدّوا الأزواد وذهبوا في تلك الرمال أيّاما فلم يروا أثر العمران وهلك أكثرهم في تلك الرمال .

1190 = بالصخر ـ 7) ر : أقداص ـ 8) عن ر ـ 9) ر : ثقب ـ 10) ط ق : قادوسًا .

1191 1) ر : أضافه ـ 2) سقطت من ر .

الطريق من مدينة القيروان إلَى قلعة أبي طويل

(1193)

وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة . (فلمّا كان) [1] خراب القيروان انتقل إليها أكثر أهل إفريقية ، وهي اليوم مقصد التجّار وبها تحلّ الرجال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ، وهي اليوم مستقرّ مملكة صنهاجة . وبهذه القلعة كان احتصن أبو يزيد مخلد بن كيداد بن اسماعيل علَى ما نذكره (في موضعه من هذا الكتاب) [2] إن شاء الله .

(1194)

تخرج من القيروان إلَى وادي الرمال أربعون ميلاً ، وهي قرية [1] زيتونها كثير ورمالها حمر ، ومنها إلَى سبيبة وهي مدينة أوّلية [2] ذات أنهار وثمار ، ومنها إلَى قلعة الديك ، ومنها إلَى السكّة [3] قلعة جليلة وبها مجمع سوق ، ومنها إلَى مدينة مجانة المطاحن وهي مدينة قديمة وبها مقطع حجارة الأرحاء ليس علَى الأرض مثله ، ومنها إلَى نهر ملاّق نهر عظيم عليه آثار قديمة ، وفي الشرق منه مدينة تبسّا [4] وهي مدينة أوّلية [2] فيها آثار للأوّل كثيرة وهي كثيرة الثمار والأشجار ، ومنها إلَى قرية مسكيانة وهي علَى نهر . وهذه المواضع كلّها محلاّة باسم من يأتي بعد إن شاء الله . ومنها إلَى مدينة باغاية [5] وهي مدينة جليلة أوّلية ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح علَى مقربة منها جبل أوراس وهو المتّصل بالسوس ، وبهذا الجبل قام أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي .

1193 (1) ص ج : وتحصرت عند ، ط ق : وتحضرت عند ـ 2) سقطت من ر .

1194 (1) ر : قلعة ـ 2) ر : أزلية ـ 3) ر : الشبكة ـ 4) ط : تلفسى ، ص ج ق : تفسى ـ 5) ط : باغة .

(1195)

ومن باغاية إلَى مدينة قاساس وهي مدينة قديمة علَى نهر وفي غربيّها جبل شامخ ، ومنها إلَى قبر مادغوس وهو قبر مثل الجبل الضخم مبنيّ بآجر رقيق قد خرق وبني طيقانًا [1] صغارًا وعقد بالرصاص وصوّرت فيه صور الحيوان من الأناسي [2] وغيرهم ، وهو مدرّج النواحي وفي أعلاه شجرة نابتة ، وقد أجمع علَى هدمه من سلف فلم يقدروا علَى ذلك . (وفي الشرق من هذا القبر بحيرة مادغوس) [3] وهي مجمع لكلّ طائر ، وتسير من هناك إلَى بلزمة لمزاتة حصن أوّلي ، وهو في بساط من الأرض كثير المزارع والقرى ، (وفي قراه حصون كثيرة ، وتسير منها إلَى مدينة نقاوس) [4] وهي مدينة كثيرة الأنهار والثمار والمزارع ، وبشرقيّها مدينة اللوز .

(1196)

وتسير من نقاوس إلَى مدينة طبنة ، وهي مدينة كبيرة سورها اليوم من بناء المنصور أبي الدوانيق ، وهي ممّا افتتح [1] موسَى بن نُصير فبلغ سبيها عشرين ألفًا وهرب ملكهم كَسيلة ، وسورها مبنيّ بالطوب وبها قصر وأرباض ، وداخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها ومنه تسقَى بساتينها . ويقال إنّ الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلّبي المعروف بهازرمرد [2] ، يسكنها العرب والعجم بينهما الاختلاف والحرب ، ويسكن حولها بنو زقراح [3] . وقال محمّد بن يوسف إنّ قصر طبنة قديم أوّلي كبير جليل مبني بالصخر الضخم [4] عليه آزاج كثيرة ينزله العمّال ، وهو ملاصق لسور المدينة من جهة القبلة عليه باب حديد (هو شرقيّ) [4] .

1195 1) ط ج : طيقات ـ 2) ج : الناس ، ر : الأناس ـ 3) سقطت من ط ـ 4) عن ق .

1196 1) ر : استفتح ـ 2) سقطت من ج ص ، ط : بهزادود ، ر : بهزدود ـ 3) ط ر : رقراج ـ 4) عن ر .

(1197)

ولمدينة طبنة من الأبواب باب خاقان مبني بالحجر عليه باب حديد وهو سريّ [1] ، وباب الفتح غربيّ باب حديد أيضًا بينهما سماط يشقّ المدينة من الباب إلَى الباب ، وباب تهوذا [2] قبلي عليه باب حديد (وهو سريّ) [3] أيضًا ، والباب الجديد [4] حديد أيضًا وباب كتامة جوفي . وخارج المدينة بإزاء باب الفتح سور مضروب علَى فحص فسيح يكون مقدار ثلثي مدينة طبنة بناه عُمر بن حفص هازرمرد [5] . ويشقّ سكك المدينة جداول الماء العذب ، وبها أسواق كثيرة غير السماط المذكور ، ولها بساتين يسيرة ملاصقة للربض ، ومقبرتها بشرقيّها وبقرب المقبرة غدير يعرف بغدير فرغان وهو بجوفي [6] مصلّى العيد . وليس من القيروان إلَى مدينة سجلماسة مدينة أكبر منها . واسم نهرها بيطام ، وإذا حمل سقَى جميع بسائطها [7] وفحوصها ، ويقول أهلها : بيطام بيت الطعام ، لجودة زرعها . وإذا كانت الحرب بين العرب والمولّدين استمدّ العرب بعرب مدينة تهوذا وسطيف واستمدّ المولّدون بأهل بِسكرة وما والاها . وقال أحمد بن محمّد المَرْوَذي [3] في قصّة إسماعيل بن أبي القاسم [سريع] :

سرنا وقد حلّ بقرب [8] طبنه
وصار منها اهلها في محنة
فأعظم الله العزيز المنّه
وبدّلوا من بعد نار جنّه

1197 1) ط ر : شرقي ـ 2) في جميع المخطوطات : يهوذا ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ر : وباب الحديد ـ 5) عن ر ـ 6) عن ط ر ، ص ج : يجري في ـ 7) ط ق : بطائحها ـ 8) ر : بغربي .

وفجّ زيدان يطلّ علَى مدينة طبنة وإيّاه عنَى أبو عبد الله الشيعي في قوله [كامل] :

من كان مغتبطًا بلين حشيّة فحشيّتي وأريكتي سرجي
من كان يعجبه ويبهجه نقرُ الدفوف ورنّة الصنج
فأنا الّذي لا شيء يعجبني إلاّ اقتحامي لجّة الوهج
سل عن جيوشي إذ طلعتُ بها يوم الخميس ضحَى من الفجّ

(1198)

ومن [1] طبنة إلَى مدينة مقّرة وهو بلد كبير ذو ثمار وأنهار ومزارع ، ومنها إلَى قلعة أبي طويل .

ومن باغاية إلَى بلد بسكرة أربعة أيّام . وبسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة ، وهي مدينة كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار ، وهي مدينة مسوّرة عليها خندق [2] وبها جامع ومساجد كثيرة وحمّامات ، وحواليها بساتين كثيرة ، (وهي في) [3] غابة كبيرة مقدار ستّة أميال فيها أجناس التمور ، منها جنس يعرفونه بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله علَى غيره ، وجنس يعرف بالليباري [4] أبيض أملس كان عبيد الله الشيعي يأمر عمّاله بالمنع من بيعه والتحظير عليه وبعث ما هنالك منه [5] إليه ، وأجناس كثيرة يطول ذكرها لا يعدل بها غيرها [6] . وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق المذكور . وببسكرة علم كثير وأهلها علَى مذهب [7] أهل المدينة . ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمّام وباب ثالث ، سكّانها المولّدون وحولها من قبائل البربر سدراتة وبنو مغراوة أهل بيت بني خزر وبنو يزمرتي .

1198 1) هنا يستأنف س ـ 2) ق : خنادق ـ 3) ر : وفيها ـ 4) عن س ط ، ر : بالبازي ، ج : بالهاري ، ص : بالاهار ؟ ـ 5) سقطت من ق ـ 6) سقطت من ر ـ 7) ر : مذاهب ـ

وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع بئر لا تنزف ، وداخل المدينة جنان [8] يدخل إليها الماء من النهر ، وبها جبل ملح يقطع منه الملح كالصخر الجليل ، ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم . وتعرف ببسكرة النخيل . قال أحمد بن محمّد المروذي [سريع] :

ثـمّ أتى بسكرة النخيـل
قد اغتدى في زيّه الجميل

(1199)

ومن مدنها مدينة جمونة [1] ومدينة طولقة ومدينة مليلَى ومدينة بنطيوس (وهي من بنيان الأوّل) [2] . وشرب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفيّها منحدر من جبل أوراس [3] . وقرية من قرى بسكرة تسمّى ملشون منها أبو عبد الله الملشوني وابنه إسحاق عالمان يحمل عنهما العلم ، (سمع منهما أبو عبد الله) [4] بن ميمون ومقاتل وغيرهما .

(1200)

أخبرني أحمد بن عمر بن أنس قال : أخبرني قاسم بن عبد العزيز أنّ في الطريق إلى بسكرة جبلاً يعرف بزيقيزي [1] في وسطه كهف فيه رجل قتيل لم يغيّره مرّ الزمان وتقادم الدهور تبضّ جراحه دماء كأنّها قُتل منذ يومين ، وتخبر الكافّة عن الكافّة أنّهم لا يعلمون متى قتل قدمًا ، وقد نقله أهل تلك النواحي ودفنوه في أفنيتهم تبرّكًا به ، ثمّ لم ينشبوا [2] أن وجدوه في الكهف

1198 8) ر : جنّات .

1199 1) ط ر ج : حمونة ، ق : جمودة ـ 2) س : وهي أقدمها ممّا بناه الأوّل ـ 3) ر : ينحدر من جبال أوراس ـ 4) ر : وسماع أبي عبد الملك .

1200 1) عن ص ، ط : بزيقير ، ر : بزينير ـ 2) ر : يلبثوا ـ

علَى حاله ، يحدّث بذلك ثقات أهل تلك الناحية ، والله فعّال لما يشاء . وقال محمّد بن يوسف في كتابه إنّ هذا القتيل في شقّ جبل بشرقي عين أربان ، وهذه العين بين مدينة مرماجنة [3] ومدينة سبيبة المذكورة أيضًا ، وذكر أنّه يظهر [4] كما ذبح من يومه وأنّه هناك من قبل فتوح إفريقية ، ولم يذكر أمر دفنه ، والله أعلم بأمره .

وطـريق آخـر من القيـروان إلَى قلعـة أبـي طويـل

(1201)

من القيروان في قرى وعمارات إلَى مدينة أبّة [1] ثلاثة أيّام ، وهي مدينة أوّلية يكون بها الزعفران الجيّد ، وعلَى ستّة أميال منها مدينة لربس [2] المذكورة قبل هذا . ومن مدينة أبّة [3] إلَى نهر ملاّق وهو نهر عظيم يسقي نواحي فحص بُل . ومن نهر ملاّق إلَى مدينة تامديت [4] وهي مدينة في مضيق بين جبلين في سند وعر ، ولها مزارع واسعة وحنطتها موصوفة . ومنها إلَى مدينة تيفاش وهي مدينة أوّلية شامخة البناء ، وتسمّى تيفاش الظالمة وفيها عيون ومزارع كثيرة ، وهي في سفح جبل ، وفيها آثار للأوّل كثيرة . ومنها إلَى قصر الإفريقي وهي مدينة جامعة علَى شرف من الأرض ذات مسارح ومزارع كثيرة . ومنها إلَى واد يعرف بوادي الدنانير وهو واد خصيب . ومنها إلَى مدينة تيجس وهي مدينة أوّلية شامخة البناء كثيرة الكلأ والربيع . ومنها إلَى مدينة توبوت علَى بلاد كتامة . ويسمّى هذا الطريق بالجناح الأخضر . ومنها إلَى مدينة تابسلكَى [5] وهي صغيرة في سفح جبل يسمّى أنف النسر [6] . (ومنها إلى النهرين وهي

1200 3) س ر : قرطاجنة ـ 4) عن ر .

1201 1) سقطت من ر ، ط : أنة ـ 2) ر : الأربس ـ 3) ر : أبة ، ط : أنة ـ 4) ر : تامزيت ـ
5) ر : تاسلكا ـ 6) ر : النسور ـ

قرى كثيرة في فحص عريض وبساط من الأرض مديد)[7] . ومنها إلَى مدينة تامسلت وهي مدينة جليلة الزرع والضرع . ومنها إلَى مدينة دكمة[8] وهي علَى نهر كبير ذات مزارع ومسارح . ومنها إلَى مدينة الغدير تخرج منه عيون نهر سَهر ، وهو نهر المسيلة وهو المعروف بالوادي الرئيس علَى ما نذكره بعد إن شاء الله تعالَى . ومنها إلَى قلعة أبي طويل .

الطريق من القيروان إلَى مدينة بونة

(1202)

من القيروان إلَى جلولا كما تقدّم . (ومنها إلَى أجّر ولها حصن وبها قنطرة ، وهو موضع وعر كثير الحجارة متكابد المسالك ماسدة لا يكاد يخلو من أسد دائم الريح العاصفة . ولذلك يقولون : إذا جئت أجّر فعجّر فإنّ فيه أسدًا يفري وحجرًا يبري وريحًا تذري . وحولها قبائل)[1] من العرب والبربر ضريسة ومرنيسة[2] . ومنها إلَى الفهمين وهي قرية كبيرة[2] وبها سوق جامعة . ومنها إلَى جزيرة ابن حمامة . ومنها إلَى الأنصاريّين وقد تقدّم ذكرها . ويقرب هذا الموضع فحص بل وهو من أطيب أرض إفريقية مزدرعًا . ومن جزيرة ابن حمامة خمس مراحل إلَى مدينة بونة في قرى وعمارة . أوّل المراحل من مدينة بونة إلَى القيروان زانة خصوص[3] وقرارات للبربر ، بها عيون ماء في شعراء عظيمة شجرها كلّه زان ومنه يجلب إلَى إفريقية .

1201 7) سقطت من ر ــ 8) ر : تمكة .

1202 1) ر : ومنها إلى موضع يسمّى أجر يسكنه قبائل ... ــ 2) سقطت من ق ــ 3) ر : حصون .

ذكـر مدينـة بونـة [1]

(1203)

مدينة بونة مدينة أوّليّة [2] وهي مدينة أقشتّين [3] العالم بدين النصرانية ، وهي علَى ساحل البحر في نشر من الأرض منيع مطلّ علَى مدينة سبوس ، وتسمّى اليوم مدينة زاوي ، وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال ، ولها مساجد وأسواق وحمّام ، وهي ذات ثمر وزرع ، وقد سوّرت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة . وفي بونة الحديثة بئر علَى ضفّة البحر منقورة في حجر صلد تسمّى بئر النشرة منها يشرب أكثر أهلها . وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتينها وهو متنزّه [4] حسن . ويطلّ علَى بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد . ومن العجائب أنّ فيه مسجدا لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج وإن عمّ الجبل كلّه . ومدينة بونة (قرية بحرية) [5] كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل وأكثر لحامهم البقر . إلاّ أنّها يصحّ بها السودان ويسقم البيضان [6] . وحول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة وأوربة [7] وغيرهما ، وأكثر تجّارها أندلسيّون . ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار .

(1204)

وبشرقيّ مدينة بونة مدينة مرسَى الخرز فيه المرجان ، وهي مدينة قد أحاط بها البحر إلاّ مسلكًا لطيفًا ربّما قطعه البحر في الشتاء ، عليها سور وبها سوق

1203 1) هذا العنوان عن ر ــ 2) ط ر : أزلية ــ 3) ص ط : رقشنين ، ر : رقشنيش ــ 4) ط : مستنزه ــ 5) ط : مدينة بحرية ، قرية : سقطت من س ر ــ 6) ر : الصبيان ، ط : أهل البياض ــ 7) ق : أور .

عامرة [1] ، وقد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدّة قريبة . وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية الّتي يغزى بها إلَى بلاد الروم . وإلَى هذه المدينة [2] يقصد الغزاة من كلّ أفق لأنّ مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجرأين . وبإزاء مدينة مرسَى الخرز بئر وبية الماء تعرف ببئر أزراق ، يقول أهلها : طعنة بعزراق خير من شربة من بئر أزراق . وهذه المدينة كثيرة الحيّات فاسدة الهواء ، يمتاز أهلها من غيرهم بصفرة ألوانهم ولا يكاد يخلو عنق أحد منهم من تميمة . وجباية هذه المدينة عشرة آلاف دينار .

الطريق من القيروان إلَى طبرقة

(1205)

من مدينة القيروان إلَى منستير عثمان ستّ مراحل ، وهي قرية كبيرة آهلة بها جامع وفنادق كثيرة وأسواق وحمّامات [1] وبئر لا تنزف وقصر للأوّل مبنيّ بالصخر كبير . وأرباب المنستير قوم من قريش من ولد الربيع بن سليمان وهو اختطّها عند دخوله إفريقية ، وبها عرب وبربر وأفارق . ومنها إلَى مدينة باجة ثلاث مراحل في قرى غير متّصلة .

(1206)

ومدينة باجة كبيرة كثيرة الأنهار ، وهي علَى جبل يسمّى عين الشمس في هيئة الطيلسان تطرد حواليها المياه [1] وفيها عيون الماء العذب ، ومن تلك العيون عين تعرف بعين الشمس هي تحت سور المدينة ، والباب هناك منسوب

1204 1) ر : وعمارة ــ 2) ط ص ر س : الجزيرة .

1205 1) سقطت من ر .

1206 1) عن ر ــ

إليها ، ولها أبواب (غير هذا) [2] . وفي داخل الحصن عين أخرى عذبة غزيرة الماء ، وحصنها أوّلي مبني بالصخر الجليل أتقن بناء ، ويقال إنّه من عهد عيسَى عليه السلام . ولها ربض كبير في شرقي الحصن ، وسور الحصن ممّا يلي الربض مهدوم ، وبها جامع متقن البناء قِبلته سور المدينة ، وفيها خمسة حمّامات ماؤها من العيون وفنادق كثيرة ، وبها ثلاث رحاب لبيع الأطعمة وعيون خارجها (لا تحصَى كثرة ، وهي دائمة الدجن والغيم ، كثيرة الأمطار والانداء قلّما يصحَى هواؤها ، وبها يضرب المثل في كثرة المطر) [3] . ولها نهر (من جهة الشرق) [3] جارٍ من الجوف إلَى القبلة علَى ثلاثة أميال منها ، وحولها بساتين عظيمة تطرد فيها المياه ، وأرضها سوداء متشقّقة يجود بها جميع البزور ، وبها حمص وفول قلّما يرى مثله ، وتسمّى هُري إفريقية لريع زرعها وكثرة رفائعها ، وإنّها خصيبة ليّنة الأسعار أمحلت البلاد أو خصبت ، وإذا كانت أسعار القيروان نازرة [4] لم يكن للحنطة بها قيمة ، ربّما اشتري وقر البعير من الحنطة بدرهمين ويردها كلّ يوم من الدوابّ والإبل العدد العظيم [5] الآلاف والأكثر لانتقال الميرة ، فلا يؤثّر ذلك في سعرها لكثرة طعامهم . ثمّ تسير منها مرحلة إلَى باسلي [6] ، وهي قرارات للبربر ببلد ورداجة علَى عيون عذبة .

(1207)

(ومن قرى باجة المغيرة شريفة) [1] فيها آثار عظيمة عجيبة [2] للأوّل من كنائس قائمة البنيان محكمة [3] العمل كأنّما رفعت عنها الأيدي بالأمس ، وكلّها مفروشة بالرخام النفيس يقف عليها من الغربان عدد [4] لا يحصَى كثرة حتّى يظنّ المرء أنّ غربان الأرض قد تجمّعت هناك ، ويزعمون [5] أنّ بها طلسماً .

1206 2) سقطت من ق ـ 3) سقطت من ر ـ 4) عن ج ، سقطت من ق ، وفي سائر المخطوطات : نازلة ـ 5) ط ر : الكثير ـ 6) ر : تاسلي .

1207 1) ط : وباسلي المذكورة قرية شريفة ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ق : متقنة ـ 4) ق : عدد ما ـ 5) سقطت من ق ـ

وامتحن أهل مدينة باجة أيّام أبي يزيد بالقتل والسبي والحرق . قال الراجز في هجوه لأبي يزيد [رجز] :

وبعدها باجة أيضًا أفسدا
وأهلها أجلى ومنها شرّدا
وهدم الأسواق (6) والقصورا
والدور قد فتش والقبورا

ولم يزل الناس يتنافسون في ولاية باجة وكان المتداولون فيها لذلك بنو علي بن حميد الوزير ، فإذا عزل منهم أحد لم يزل يسعَى ويتلطّف ويهادي ويتاحف حتّى يرجع إليها . فقيل لبعضهم : لِمَ ترغبون في ولاية مدينة باجة ؟ فقال : لأربعة أشياء ، قمح عندة وسفرجل زانة وعنب بلطة وحوت درنة . وبها حوت بوري ليس له في الآفاق نظير يخرج من حوت واحد عشرة أرطال شحم وأكثر إذا كان من جلّتها (7) ، وكان يحمل إلَى عبيد الله حوتها في العسل فيحفظه ويصل طريًّا . ودرنة بين طبرقة وباجة .

(1208)

ومنها إلى مدينة طبرقة ، وهي على شاطئ البحر ، وفيها آثار للأوّل وبنيان عجيب ، وهي عامرة لورود التجّار فيها . وبها نهر كبير تدخله السفن الكبار وتخرج في بحر طبرقة . وروي أنّ الكاهنة قُتلت بطبرقة .

1207 6) ر : الأسوار ــ 7) ص ج س ق : إذا كان جلتها وأكثر.

(1209)

وبشرقي مدينة طبرقة علَى مسيرة يوم وبعض آخر قلاع تسمّى بقلاع بنزرت ، وهي قلاع [1] يأوي إليها أهل تلك الناحية إذا خرج الروم غزاة إلَى بلادهم ، فهي مفزع لهم وغوث وهي رباطات للصالحين . وقال محمّد بن يوسف (في ذكر) [2] الساحل من طبرقة إلَى مرسَى تونس فقال : مرسَى القبّة عليه بنزرت [3] وهي مدينة علَى البحر يشقّها نهر كبير كثير الحوت ويقع [2] في البحر وعليها سور حصين [4] وبها جامع وأسواق وحمامات وبساتين [2] ، وهي أرخص البلاد حوتًا . وافتتحها معاوية بن حديج سنة إحدى وأربعين ، وكان معه عبد الملك بن مروان ، فشدّ عن الجيش فمرّ بامرأة من العجم من عمل بنزرت فقرته وأكرمت مثواه ، فشكر ذلك لها ، فلمّا ولي الخلافة كتب إلَى عامله بإفريقية في المرأة وأهل بيتها فأحسن إليهم وظاهر النعم لديهم . وتوالي هذه المراسي [5] مذكور بعد هذا في موضعه من هذا الكتاب [6] إن شاء الله .

(1210)

وعلَى ساحل هذه القلاع بحيرة تنسب [1] أيضًا إلى بنزرت يدخل إليها ماء البحر الكبير ، فيوجد فيها في شهر ما من السنة صنف من الحوت لا يشبه غيره ولا يوجد هناك في غير ذلك الشهر . وفي هذه البحيرة أعجوبة وهو أنّ الصيّاد فيه إذا أتاه التجّار لشراء الحوت يقول لهم : علَى أيّ شيء أرسل شبكتي ؟ فيتّفق معهم علَى عدّة معلومة فيأتي الصيّاد بحوت يقال إنّه أنثَى الصنف

1209 1) عن ر ، وفي سائر المخطوطات : حصون ــ 2) سقطت من ق ــ 3) ص س : مدينة بنزرت ، ط : مرسى بنزرت ــ 4) عن ر ، وفي سائر المخطوطات : صخر ــ 5) ر : المراسي المذكورة ــ 6) من هذا الكتاب : عن س ر .

1210 1) ق : تصب .

المعروف بالبوري ، فيرسلها في البحيرة ثمّ يتبعها بشبكته فيخرج العدّة الّتي اتّفقوا عليها لا يكاد يخطئ . وعلَى مقربة من هذه البحيرة بحيرتان إحداهما حلوة والأخرى ملحة ، فيصبّ كلّ واحدة منهما في الأخرى نصف العام علَى السواء ولا يتغيّر لواحدة منهما طعم .

(1211)

وبغربي مدينة بونة بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة أميال في مثلها ، وفيها سمك جليل وفيها الطائر المعروف بالكيكل يعشّش علَى ماء تلك البحيرة ويفرخ (فيها ، فإذا أحسّ بحيوان في البرّ دفع عشّ فراخه قُدّامه) [1] إلَى وسط البركة ، وهو الطير الّذي يسمّى بمصر بالحواص . ويصنع من جلوده الفراء [2] ويباع بالأثمان الغالية .

الطريق من قلعة أبي طويل إلَى مدينة تنس

(1212)

يخرج من القلعة إلَى مدينة المسيلة ، وهي مدينة جليلة علَى نهر يسمّى بنهر سهر [1] ، أسّسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، وكان المتولّي لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي [2] ، واستعمله عليها فلم يزل عليها [3] إلَى أن هلك في فتنة أبي يزيد ، وبقي ابنه جعفر فيها وصار أميرًا علَى الزاب كلّه إلَى

1211 1) ط : فإذا أخرج فراخه من البيض جرّه ـ 2) سقطت من ق .

1212 1) ط : سير ، ر : شهر ـ 2) ق ر : بالأندلسي ـ 3) ط ص س : بها ـ

أن خرج عنها في سنة ستّين [4] وثلاثمائة علَى ما نحن ذاكروه في موضعه إن شاء الله تعالَى . وهي مدينة في بساط من الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة [5] (وله منافذ يسقَى منها عند الحاجة) [6] . وللمدينة أسواق وحمّامات وحولها بساتين كثيرة . ويجود عندهم القطن ، وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر ، وبها عقارب مهلكة لا يتخلّص من لسعها [7] .

(1213)

ويقرب منها جبل عجيسة [1] وهوارة وبني برزال ، ولهم كانت [2] أرض المسيلة . (وبقبلي مدينة المسيلة) [3] موضع يعرف بالقباب فيه قباب من بنيان الأوّل ، وعلَى مقربة منها مدينة للأوّل خربة يقال لها بشيلقة [4] فيها جدولان من ماء عذب جلبته الأوّل إليها يقال لها تارقا أنوودي [5] ، تفسيره ساقية السمن [6] . وقال أحمد بن محمّد المروذي يذكر نزول إسماعيل بالمسيلة والشيعة تسمّيها المحمّدية [رجز] :

ثمّ إلَى [3] مدينة مرضية   أسّت علَى التقوى محمّدية
أقبل حتّى حلّها ضحيّة   بالنور [3] من طلعته المضية
فحلّ في عسكره المسيلة [7]   في هيئة كاملة جميلة
للنصر في أرجائه مخيلة   بنعمة من ذي العلَى جليلة [8]

1212 4) في جميع المخطوطات : ستّ ـ 5) ط : بالنارة ـ 6) سقطت من ص ج ـ 7) عن ر ، وفي سائر المخطوطات : لسبها .

1213 1) ق : عجيسة ومغربية (كذا) ـ 2) سقطت من ر ـ 3) سقطت من ق ـ 4) ط : بشليقة ـ 5) ص : تارجَى أنوودي ، ط ر : تارقى وودي ـ 6) ط ر ص ق : السمن والعسل ـ 7) ينقطع هنا نص ص ـ 8) سقط هذا البيت من ر .

(1214)

ونهر سهر الّذي عليه مدينة المسيلة منبعثه من عيون داخلة مدينة غدير وارُوا ، وهي مدينة كبيرة أوّلية [1] بين جبال فيها عين ثرّة عذبة عليها الأرحاء وعين أخرى وتحتها عين خرّارة يقال لها عين مخلد تجتمع فيها ، ومن هناك منبعث نهر سهر [2] .

(1215)

وبمدينة الغدير جامع وأسواق عامرة وفواكه كثيرة ، وهي رخيصة الطعام واللحم وجميع الثمار ، قنطار عنب فيها بدرهم . وسكّانها هوارة يعتدون في ستّين ألفًا . وبشرقيّ مدينة الغدير قرية أوّلية يقال لها طرفلة لا تعدل بها قرية ، وهم يقولون طرفلة طرف من الجنّة . ومدينة الغدير ما بين سوق حمزة وطبنة وهي علَى مرحلتين من طبنة .

(1216)

وتسير من مدينة المسيلة إلَى نهر يسمّى جوزة [1] ، ومن جوزة إلَى مدينة أشير . وقال محمّد بن يوسف إنّ الّذي بنَى أشير زيري ، والدليل علَى ذلك ما أنشده عبد الملك بن عيشون [2] [سريع] :

يا أيّها السائل عن غربنا [3] وعن محلّ الكفر أشير
عن دار فسق ظالم أهلها قد شيّدت للكفر والزور
أسّسها الملعون زيريها فلعنة الله علَى زيرِ

1214 1) ر : أزلية ــ 2) ر : عين نهر شهر .

1216 1) عن ص ج ، وفي ط ر : حوزة ــ 2) ر : ميمون ــ 3) ر : عرفنا ــ

وهي جليلة حصينة يذكر أنّه ليس في تلك الأقطار أحصن منها (ولا أبعد) [4] متنًا (ولا ومرامًا ، ولا) [4] يوصل إلَى شيء منها بقتال إلاّ من موضع يحميه عشرة رجال ، وهو في شرقيها الّذي ينفذ إلَى عين مسعود وسائر نواحيها تزلّ عنها العيون فكيف الأقدام . وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها . وداخل مدينتها عينان ثرّتان [4] لا يبلغ لها غور ولا يدرك قعر ، إحداهما تعرف بعين سليمان والأخرى بعين تالانتيرغ [5] . والّذي بنَى سورها بلجّين [6] يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستّين وثلاثمائة ، وخربها يوسف بن حماد بن زيري واستباح أموالها وفضح حرمها وذلك بعد أربعين وأربعمائة ، ثمّ تراجع الناس إليها بعد خمس وخمسين وأربعمائة .

(1217)

وتسير من مدينة أشير إلَى قرية تسمّى (سوق هوارة ، ومنها إلَى قرية تسمّى) [1] سوق كرام وهي علَى نهر شلف ، ومنها إلَى مدينة مليانة وهي مدينة رومية فيها آثار وهي ذات أشجار وأنهار تطحن عليها الأرحاء ، جدّدها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلجّين [2] ، وهي عامرة ، ومنها إلَى مدينة الخضراء وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين وهي علَى نهر إذا حمل دخل بعضها ، ومنها إلَى مدينة قديمة مدينة بني واريفن [3] وهي واسعة المسارح كثيرة الكلأ ، ومنها إلَى مدينة قارية [4] وهي مدينة لطيفة ذات أعين كثيرة وهي في سفح جبل ، ومنها إلَى مدينة تنس .

1216 4) سقطت من ق – 5) ق ر : تلازيغ ، ط : تلانديغ – 6) سقطت من ر .

1217 1) سقطت من ق – 2) ق : بالجين ، ر : بلحيق – 3) ط : واريمين ، ق : واربن – 4) ق : لارية .

(1218)

ومدينة تنس بينها وبين البحر ميلان ، وهي مسوّرة حصينة داخلها قلعة صغيرة [1] صعبة المرتقَى ينفرد بسكناها العمّال لحصانتها . وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة ، وهي علَى نهر (يسمّى تناتين) [2] يأتيها من جبل علَى مسيرة يوم فيأتيها من القبلة ويستدير بها من جهة الجوف والشرق ويريق في البحر ، وبها حمّامات . وتنس هذه هي الّتي تسمّى تنس الحديثة ، (وعلَى البحر حصن يذكر أهل تنس أنّه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة ، وتنس الحديثة) [3] أسّسها وبناها البحريّون من أهل الأندلس منهم الكركرني [4] وأبو عائشة والصقر وصُهيب وغيرهم ، وذلك سنة اثنتين وستّين ومائتين [5] ، ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل ألبيرة وأهل تدمير ، وأصحاب تنس من ولد إبراهيم بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسين بن علي (بن أبي طالب) [6] ، وكان هؤلاء البحريّون من أهل الأندلس يشتون [7] هناك إذا سافروا من الأندلس في مرسًى علَى ساحل البحر ، فتجمّع إليهم بربر هذا القطر ورغبوا في الانتقال إلَى قلعة تنس وسألوهم أن يتّخذوها سوقًا ويجعلوها سكنًى ، ووعدوهم [8] بالعون والرفق وحسن المجاورة والعشرة ، فأجابوهم إلَى ذلك وانتقلوا إلَى القلعة وخيّموا بها ، وانتقل إليهم من جاورهم من أهل الأندلس وغيرهم . فلمّا دخل عليهم الربيع اعتلّوا واستوبوا الموضع ، فركب البحريّون من أهل الأندلس [9] مراكبهم وأظهروا لمن بقي منهم أنّهم يمتارون ، فحينئذ نزلوا قرية بجّانة [10] وتغلّبوا عليها (علَى ما يأتي ذكره إن شاء الله) [3] . ثمّ إنّ الباقين بتنس لم يزالوا في تزيّد ثروة وعددًا [11] ، ورحل إليهم أهل سوق إبراهيم وكانوا في أربعمائة بيت ، فتوسّع لهم أهل تنس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم

1218 1) سقطت من ق ط ر ـ 2) سقطت من ق ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ط : الكركي ـ 5) ط ر : ومائة ـ 6) عن ر ـ 7) سقطت من ط ـ 8) ق : واعدوهم ـ 9) ر : من الأندلسيّين ـ 10) ر : بجاية ، ق : تجانة ، سقطت من ج ـ 11) في جميع المخطوطات : تزيد وثروة عدد ـ

وتعاونوا علَى البنيان واتّخذوا الحصن الّذي فيها اليوم . (ولها بابان إلَى القبلة) [12] وباب البحر وباب ابن ناصح وباب الحوخة شرقي يخرج منه إلَى عين تعرف بعين عبد السّلام ثرّة عذبة [13] .

(1219)

وكيلهم يسمّى الصحفة [1] وهي ثمانية وأربعون قادوساً والقادوس ثلاثة أمداد بمدّ النّبي صلعم ، ورطل اللحم بها سبع وستّون أوقية ورطل سائر الأشياء اثنتان وعشرون أوقية ، ووزن قيراطهم ثلث درهم [2] عدل بوزن قرطبة ، والجاري عندهم قيراط وربع درهم وصقلي وحبّتان مضروبة كلّها ، ودرهمهم اثنتا عشرة صقلية عدداً . وقال سعيد بن واشكل التيهرتي في علّته الّتي مات منها بتنس [طويل] :

نأى النوم عنّي [3] واضمحلّت عرى الصّبر ... وأصبحت عن دار الأحبّة في أسر
وأصبحت عن تيهرت في دار معزل ... وأسلمني مرّ القضاء من القدر
إلَى تنس دار النحوس فإنّها ... يساق إليها كلّ منتقض العمر
هو الدهر والسيّاق والماء [4] حاكم ... وطالعها المنحوس صمصامة الدهر
بلاد بها البرغوث يحمل راجلا ... ويأوي إليها الذئب في زمر الحشر
ويزحف فيها العامّ في كلّ ساعة ... بجيش من السودان تغلّب [5] بالوتر
ترى أهلها صرعَى دوى أمّ ملدم ... يروحون في سكر ويغدون في سكر

وقال غيره [رمل] :

أيّها السائل عن أرض تنس ... مقعد اللوم المصفّى والدنس

1218 12) ر : ولها من الأبواب باب القبلة ـ 13) ر : غزيرة .

1219 1) ط : الصحيفة ـ 2) ر : ثلاثة دراهم ـ 3) ر : عن عيني ، ج : عليّ ـ 4) ر : والأمر ـ 5) ر : يغلب .

بلدة لا ينزل القطر بها ‏ للندى في أهلها حرق درس
فصحاء النطق في لا أبدا ‏ وهم في نعم بكم خرس
فتَى تلمّ بها جاهلها ‏ يرتحل عن أرضها قبل الغلس
ماؤها من قبح ما خصّت به ‏ نجس يجري علَى ترب نجس
فتَى تلعن بلادًا مرّة ‏ فاجعل اللعنة ذابًا لتنس

(1220)

فأمّا الطريق من تنس إلَى تيهرت [1] (فإلَى باجنة إلَى مدينة الغزاة إلَى تيهرت) [2] خمس مراحل .

الطريق من القيروان إلَى مرسَى الزيتونة

(1221)

من القيروان إلَى مجانة علَى ما تقدّم ومنها إلَى مدينة تيجس ، ومدينة تيجس عليها سور صخر رومي ولها ربض وبها أسواق وجامع وحمّام وبها [1] من قبائل البربر نفزة ورغروسة وبنو ونمّو وكزناية وحمزة من زناتة [2] . ثمّ تسير من مدينة تيجس إلَى مدينة قسطنطينة ، وهي مدينة أوّلية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها ، وهي علَى ثلاثة أنهار عظام [3] تجري فيها السفن قد أحاطت بها تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار تفسيره سود ، وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد قد عقد في أسفله قنطرة علَى أربع حنايا ، ثمّ بُني عليها قنطرة ثانية (ثمّ علَى الثانية قنطرة ثالثة) [4]

1220 1) ط : من تونس إلى تاهرت ـ 2) عن ط ر .

1221 1) هنا يستأنف س ـ 2) ق ر : مزاتة ـ 3) ق : عظيم ـ 4) ط : ثم بني عليها قنطرة عظيمة ـ

من ثلاث حنايا ، ثمّ بُني فوقهنّ بيت ساوي حافتي الخندق يعبر عليه إلَى المدينة ويظهر الماء في قعر هذا الوادي من هذا البيت كالكوكب الصغير لعمقه وبعده . ويسمّى هذا البيت العبور لأنّه معلّق (5) في الهواء . ويسكن قسطنطينة قبائل شتّى من أهل ميلة ونفزاوة وقسطيلية وهي لقبائل (6) من كتامة . وبها أسواق جامعة ومتاجر رابحة ، وبينها وبين مرسى سِقْدة مسيرة يوم .

(1222)

ومن مدينة قسطنطينة إلَى مدينة ميلة وفي سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة في شوال خرج المنصور من القيروان غازيًا لكتامة (1) . فلمّا قرب من ميلة زحف إليها بانيًا علَى استلام أهلها واستباحتهم ، فخرج إليه النساء والعجائز والأطفال بعد أن عبّا (2) جيوشه لمحاربتها ، ونشر البنود وضرب الطبول . فلمّا رأى من خرج إليه منها بكَى وأمر أن لا يقتل فيها (3) من أهلها أحد وأمر بهدم سورها وتسيير مَن فيها إلَى مدينة باغاية . فخرجوا بجماعتهم يريدونها وقد تحمّلوا ما خفّ من أمتعتهم ، فلقيهم ماكسن (4) بن زيري بعسكره فأخذ جميع ما معهم . وبقيت ميلة خرابًا ثمّ عمّرت بعد ذلك ، وعليها سور صخر اليوم وبها جامع وأسواق وحمّامات ، والمياه تطرد حولها ، يسكنها العرب والجند والمولّدون وهي من غرر مدن الزاب . ولمدينة ميلة باب شرقي يعرف بباب الروس ، (وعلَى مقربة منه جامعها وهو ملاصق لدار الإمارة ، وباب جوفي يعرف بباب السفلَى ، ويليه) (5) داخل المدينة عين تعرف بعين أبي السباع مجلوبة تحت الأرض من جبل بني ياروت يشقّ منها سوقها ساقية ، فإذا قلّ الماء في الصيف أجريت يوم السبت والأحد من الجمعة لا غير . ولها

1221 5) ط : لبعده ولكونه معلّقًا ـ 6) ر : لقبيل .

1222 1) سقطت من ق ـ 2) ط : هيّأ ـ 3) فيها : عن ر ـ 4) ق : اسكن ـ 5) سقطت من ر ـ

حماان في ريضها ، وبها عين تعرف بعين الحما يرش منها على المحموم فيبرأ لبركتها وشدّة بردها . ثم تسير من مدينة ميلة الى مرسى الزيتونة وهو جبل جيجل[6]

الطريق من مدينة أشير الى مرسى الدجاج

(1223)

تخرج[1] من مدينة أشير الى شعبة وهي قرية ، ومنها الى مضيق بين جبلين ، ثمّ تفضي الى فحص أفيح تجمع فيه عروق عاقر قرحا ، ومن هذا الموضع تحمل الى الآفاق . وهناك مدينة تسمّى حمزة نزلها وبناها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضه ، والحسن بن سليمان هو الذي دخل المغرب وكان له من البنين حمزة هذا وعبد الله وابراهيم وأحمد ومحمّد والقاسم وكلّهم أعقب وعقبهم[2] هناك .

(1224)

وتسير من حمزة الى بلياس وهي في جبل عظيم ، ومن بلياس الى مرسى الدجاج ، (ومدينة مرسى الدجاج)[1] قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح وقد ضرب بسور من الضفة الغربية الى الضفّة الشرقية ؛ ومن هناك يدخل اليها وأسواقها ، ومسجد جامعها داخل ذلك السور له باب واحد ، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره ، وبها عيون طيبة ، يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة . وبشرقيّها مدينة بني جناد[2] وهي أصغر منها .

1222 6) ط : وجيجل هي جبال الرحمن .

1223 1) سقطت من ج . هذه الفقرة والفقرة التي بعدها ـ 2) ر : وأعقابهم .

1224 1) سقطت من ر ـ 2) ط ر : حياد .

(1225)

ومَن أراد الطريق من القيروان إلَى مرسَى الدجّاج فإنّه يأخذ إلَى [1] المسيلة علَى ما تقدّم ، ثمّ إلَى أوزقور وهي عين عذبة باردة عليها شجرة عظيمة ، وهذا آخر حدّ [2] بلد صنهاجة إلَى سوق ماكسن ، وهي مدينة علَى وادي شلف لصنهاجة عليها سور ولها عيون . إلَى سوق حمزة وهي مدينة عليها سور وخندق وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة . وكان نزلها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي (بن أبي طالب رضه) [3] . إلَى بني جنّاد [4] ، وهي مدينة صغيرة علَى جبل بينها وبين البحر نحو ميل ، ومنها إلَى مرسَى الدجّاج .

1225 1) ر : من ـ 2) ق : حدود ـ 3) عن ق ر ـ 4) ر : حياد .

الطريق من مدينة أشير إلَى مدينة جزائر بني مزغنّى [1]

(1226)

من أشير [2] إلَى المدية وهي بلد جليل قديم ، ومنها إلى قزرونة [3] وهي مدينة علَى نهر [4] كبير عليه الأرحاء والبساتين (ويقال لها متيجة) [5] ، ولها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك النواحي كتّانًا ومنها يحمل ، وفيها عيون سائحة وطواحين ماء . ومنها إلَى مدينة أغزر . ومنها إلَى مدينة جزائر بني مزغنّى [1] ، وهي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار [6] للأوّل وآزاج محكمة تدلّ أنّها كانت دار مملكة لسالف الأمم ، وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملوّنة صغار مثل الفسيفساء فيها صور الحيوان بأحكم العمل وأبدع صناعة لم يغيّرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ، ولها أسواق ومسجد جامع . وكانت بمدينة بني مزغنّى كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق إلَى الغرب ، وهو اليوم قبلة الشريعة للعيدين مفصّص [7] كثير النقوش والصور . (ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما) [8] .

(1227)

ومن أشير إلَى تامغلت ثلاثون ميلا ، وهي مدينة مبنيّة في سفح جبل علَى رأس الصحراء .

1226 1) ط ر : مزغنان ، ص : زغنى ـ 2) ط : من أشير وهي مدينة جليلة ـ 3) ط ق ر : أقزرفة ، ص ج : متيجة ـ 4) ر : وادٍ ـ 5) سقطت من ص ج ، ط : متاجة ـ 6) ق : آبار ، ر : آثار عجيبة ـ 7) ر : مفضض ـ 8) سقطت من ق .

الطريق من القيروان إلَى تنس

(1228)

من القيروان إلَى مدينة الغزّة [1] علَى ما تقدّم ، ثمّ إلَى مدينة تاجنّة وهي مدينة سهلية آهلة عليها سور وبها جامع سكّانها برقجانة وحولها كزنابة ، ومن مدينة تاجنّة إلَى مدينة تنس .

[الطريق من الغزّة إلَى تيهرت]

(1229)

فإن أردت من الغزّة إلَى مدينة تيهرت [1] فمن مدينة الغزّة إلَى تاجموت علَى مضيق مكناسة إلَى عين الصبحَى عين خرّارة في سفح جبل لمطاطة ، إلَى تاغريبت إلَى مدينة تيهرت .

(1230)

ومدينة تيهرت مسوّرة لها ثلاثة أبواب : باب الصفاء [1] وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن وغيرها . وهي في سفح جبل يقال له جزول [2] ، ولها قصبة مشرفة علَى السوق تسمّى المعصومة ، وهي علَى نهر يأتيها من جهة القبلة يسمّى مينة وهو في قبليّها . ونهر آخر يجري [3] من عيون تجتمع تسمّى

1228 1) ر : الغـزا .

1229 1) ر : تاهـرت .

1230 1) ص ج ق : الصبا ـ 2) ط ر : قزول ـ 3) ر : يخرج ـ

تانش [4] ومن تاتش [4] شرب أرضها وبساتينها وهو في شرقيها . وفيها جميع الثمار ، سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنًا وطعمًا وشمًّا ، وسفرجلها يسمّى الفارسي [5] . وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثّلج . قال بكر بن حمّاد ، وهو أبو عبد الرحمان وكان ثقة مأمونًا حافظًا للحديث سمع بالمشرق من ابن مشدّد وعمر بن مرزوق وبشر بن حجر وبإفريقية من سحنون وغيرهم وسكن بتيهرت وبها توفّي ، فقال [سريع] :

ما أخشن [6] البرد وريعانه وأطرف الشمس بتيهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنّها تنشر من تحت
فنحن في بحر بلا لجّة تجري بنا الريح علَى السمت
نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمّي بالسبت

(1231)

ونظر رجل من أهل تيهرت إلَى توقّد الشمس بالحجاز فقال : احرقي ما شئت ، فوالله إنّك بتيهرت لذليلة . وهذه تيهرت الحديثة (وعلَى خمسة أميال منها تيهرت القديمة ، وهي حصن لبرقجانة وهو في شرقي الحديثة . ويقال إنّهم لمّا أرادوا بناء تيهرت كانوا يبنون النهار ، فإذا جنّ الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدّم ، فبنوا حينئذ تيهرت السفلَى وهي الحديثة) [1] . وبقبليها لواتة وهوارة في قرارات وبغربيّها زواغة وبجوفيّها مطاطة وزناتة ومكناسة ، وقد ذكرنا أنّ بشرقيها حصنًا لبرقجانة وهو تيهرت القديمة .

1230 4) ق ط ر : تانش . ـ 5) ج : الفارس ، س : الفارسية ـ 6) ر : أحسن .

1231 1) سقطت من ق .

(1232)

وكان صاحب تيهرت ميمون (بن عبد الرحمان بن عبد الوهّاب بن رستم بن بهرام - وبهرام هذا مولَى أمير المؤمنين عثمان رضه وهو بهرام بن ذي شرار بن سابور بن بابكان) [1] بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي. وكان ميمون رأس الاباضية وإمامهم وإمام الصفرية والواصلية، وكان يسلّم عليه بالخلافة. وكان مجمع الواصلية قريبًا من تيهرت وكان عددهم نحو ثلاثين ألفًا في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها. وتعاقب مملكة تيهرت بنو ميمون وبنو أخويه عبد الرحمان وإسماعيل بن الرستمية إلَى سنة ستّ وتسعين ومائتين. فوصل أبو عبد الله الشيعي إلَى مدينة تيهرت فدخلها بالأمان، ثمّ قتل فيها من الرستمية عددًا كثيرًا وبعث بروؤسهم إلَى أخيه أبي العبّاس وطيف بها بالقيروان ونصبت علَى باب رقّادة. وملك بنو رستم تيهرت مائة وثلاثين سنة.

(1233)

وذكر محمّد بن يوسف أنّ عبد الرحمان بن رستم كان خليفة لأبي الخطّاب عبد الأعلَى بن السمح [1] بن عبيد بن حرملة أيّام تغلّبه علَى إفريقية. فلمّا قتل محمّد بن الأشعث الخزاعي أبا الخطّاب، وذلك في صفر سنة أربع وأربعين ومائة، هرب عبد الرحمان بأهله وما خفّ من ماله وترك القيروان، فاجتمعت إليه الاباضية واتّفقوا علَى تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم. فنزلوا موضع تيهرت اليوم وهو غيضة [2] أشبة، ونزل عبد الرحمان منه موضعًا مربّعًا لا شَعْرى فيه، فقال البربر: نزل تاقدمت [3] تفسيره الدفّ، وشبّهوه بالدفّ لتربيعه. وأدركتهم صلاة الجمعة فصلّى بهم هنالك، فلمّا انقضت الصلاة ثارت صيحة عظيمة [4] علَى أسد ظهر في الشعرى فأُخذ حيًّا وأُتي به إلَى

1232 1) سقطت من ق.

1233 1) ر: الشيخ - 2) س: عيصة - 3) ص: تايدمت - 4) ط ر: شديدة.

الموضع الّذي صلّوا فيه وقتل هناك ، فقال عبد الرحمان بن رستم : هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدًا . وابتدؤوا من تلك الساعة فبنوا في ذلك الموضع مسجدًا وقطعوا خشبة من تلك الشعرى ، فهو كذلك إلَى اليوم وهو مسجد جامعها وهو من أربعة بلاطات . قال : وكان موضع تيهرت ملكها لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة ، فأرادهم عبد الرحمان علَى البيع فأبوا فوافقهم علَى أن يؤدّوا إليهم الخراج من الأسواق ويبيحوا لهم بنيان المساكن ، فاختطّوا وبنوا وسمّي الموضع معسكر عبد الرحمان بن رستم إلَى اليوم .

(1234)

قال : وبتيهرت أسواق عامرة وحمّامات كثيرة يسمّى منها [1] اثني عشر حمّامًا ، وحواليها من البربر أمم كثيرة . ومُدّهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية ، وقنطار الزيت وغيره عندهم قنطاران غير ثلث إلاّ المجلوب من الفلفل وغيره فإنّه قنطار عدل ، ورطل اللحم عندهم خمسة أرطال .

[الطـريق من تـنس إلَى أشيـر]

(1235)

وإن أردت طريق الساحل من تنس إلَى أشير زيري [1] فمن تنس إلَى بني جليداسن [2] مدينة لطيفة لمطغرة [3] يسكنها الأندلسيّون والقرويّون ولا يدخلها برقجاني من وقت غدرهم بها . وهي بلدة طيّبة بها عيون عذبة ، وهي

1234 1) ر : منها نحو .

1235 1) زيري : سقطت من ر – 2) ط ر : جلداسن – 3) ط ر : لمرغرة –

مطلّة علَى فحص شلف ، وهناك مدينة شلف علَى نهر ، بها سوق عامرة تعرف بشلف بني وطيل [4] لزواغة ، ومنها إلَى بني واريفن لمطغرة [3] علَى نهر شلف بها حوانيت ، إلَى مدينة مليانة ، وهي أوّلية شريفة جدّدها زيري بن مناد وأسكنها ولده بلجّين ، وهي مشرفة علَى جميع [5] ذلك الفحص الّذي فيه بنو واريفن وغيرهم ، وهي عامرة آهلة علَى نهر ولها آبار عذبة وسوق جامعة . ومنها إلَى مدينة أشير .

[الطـريق من تيهـرت إلَى البحـر]

(1236)

وإن أردت الطريق من تيهرت إلَى البحر فإنّك تمرّ بين قبائل البربر حتّى تأتي شلف بني وطيل [1] ، ومن هناك إلَى الغزّة يومان ، والغزّة ساحل تيهرت ، وبقرب هذا الموضع علَى البحر قلعة مغيلة دلول ، وهي في أعلَى جبل منيف هناك شديد الحصانة بينها وبين البحر خمسة فراسخ ، وبها عين ماء تسمّى عين كردي . وبين قلعة دلول هذه ومدينة مستغانم مسيرة يومين وهي علَى مقربة من البحر ، وهي مدينة مسوّرة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء ، ويبذر في أرضها القطن فيجود ، وهي بقرب مصبّ نهر شلف في البحر ، وبغربي هذه المدينة علَى نحو [2] ثلاثة أميال منها مدينة تامزغران [3] وهي مدينة مسوّرة لها مسجد جامع . وعلَى مقربة (منها قلعة) [4] هوارة ويسمّونها تاسقدالت [5] ، وهي قلعة في جبل لها ثمار ومزارع ، وتحت هذه القلعة يجري نهر سيرات وهو النهر الّذي يسقَى به فحص سيرات ، وطول الفحص نحو أربعين ميلاً ليس منه [6] شيء إلاّ يناله ماء هذا النهر ، إلاّ أنّه اليوم غامر غير عامر لا أهل فيه لأنّ الخوف أجلَى أهله .

1235 4) ر : طويل ، ط : وكيل ــ 5) سقطت من ر .

1236 1) ر : طويل ــ 2) سقطت من ق ــ 3) ق : تافرغان ــ 4) ق : منه قرية ــ 5) ر : تاسكدالت ، ط : سندالت ــ 6) ر : فيه .

(1237)

وفي ساحل هذا البحر مدينة أرزاو ، وهي مدينة رومية خالية فيها آثار عظيمة للأوّل باقية [1] يحار من دخل فيها لكثرة عجائبها . وبقرب مدينة أرزاو جبل كبير فيه قلاع ثلاث مسوّرة ورباط يقصد إليه. وفي هذا الجبل معدن للحديد وللزئبق[2]. وإذا أرسلت (النار في شجره)[3] تفاوحت منه أرياح[4] عطرة . وبين مدينة أرزاو هذه ووهران أربعون ميلاً .

(1238)

ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين ، ولها مسجد جامع . وبنَى مدينة وهران محمّد بن أبي عون ومحمّد بن عبدون وجماعة من الأندلسيّين البحريّين الّذين ينتجعون مرسَى وهران باتّفاق منهم مع نفزة وبني مُسقن وهم من أزداجة ، وكانوا أصحاب القرشي سنة تسعين ومائتين ، فاستوطنوها سبعة أعوام .وفي سنة سبع وتسعين ومائتين زحفت قبائل كثيرة إلَى وهران يطالبون أهلها بإسلام بني مسقن إليهم لدماء كانت بينهم ، فأبَى أهل وهران من إسلامهم إليهم فنصبوا عليهم الحرب وحاصروهم ومنعوهم الماء . فخرج عنهم بنو مسقن ليلاً هاربين واستجاروا بأزداجة وأجاروهم [1] وتغلّبوا علَى أهل مدينة وهران وخرجوا عنها مسلّمين في أنفسهم وأسلموا ذخائرهم وأموالهم ، وخربت وهران وأضرمت نارًا ، وذلك في ذي الحجّة من هذه السنة . ثمّ عاد أهل وهران إليها في السنة بعدها ، سنة ثمان وتسعين ومائتين بأمر أبي حميد دوّاس بن صولات ـ ويقال داود ـ عامل تيهرت ، وابتدؤوا بنيانها في شعبان من هذه السنة ، فعادت أحسن ممّا كانت وولّي عليهم داود

1237 1) سقطت من ر ـ 2) نقص مقدار ورقة في ق ـ 3) ر : شجرة في النار ـ 4) ص ج س : أرواح ، ط : فائحة .

1238 1) سقطت من ر .

بن صولات اللهيصي محمّد بن أبي عون . ولم تزل في عمارة وكمال وزيادة وحسن حال إلَى أن أوقع يعلَى بن محمّد بن صالح اليفرني بأزداجة بجبل قيدر وفرق جماعتهم ، وكانت الوقيعة بينهم يوم السبت للنصف من جمادي الأولَى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة . فدخل يعلَى مدينة وهران وملكها ثمّ نقل أهلها إلَى مدينته المعروفة [1] وذلك في ذي القعدة من العام المؤرّخ ، وخرب مدينة وهران ثانية وحرقها وبقيت كذلك سنين ، ثمّ تراجع الناس إليها وبنيت .

(1239)

وفي عمل وهران قرية أهلها موصوفون بعظم الأجساد ومعروفون بشدّة الأيد . أخبرني غير واحد أنّه رأى الرجل الكامل في الخلق المعهود يكون إلَى دون منكب الرجل منهم ، وأنّه كان منهم رجل يحمل ستّة نفر ويخطو بهم خطوات يحمل علَى عاتقه اثنين ويتأبط اثنين ويحمل علَى ذراعيه اثنين ، وأنّ رجلاً منهم أراد عمل بيت فاقتطع ألف كلخة وحملها علَى ظهره وسوّى منها بيتًا تامًّا معرّشا .

الطريق من وهران إلَى القيروان

(1240)

تخرج من وهران إلَى تانسالمت قرية لأزداجة بها سوق وعين عذبة ، وهي في طريق جبل قيدر [1] . ومنها إلَى جراوة لعزيزوا وهي سوق عبيدون بن سنان الأزداجي [2] ، (ومنها إلَى قصر ابن سنان) [2] ، ثمّ الجادّة علَى ما تقدّم ، وهي خمس وعشرون مرحلة .

1240 1) ص ج : جيدر ـ 2) سقطت من ر .

(1241)

وطريق آخر من وهران إلَى القيروان علَى بلد [1] قسطيلية ، من وهران كما ذكرنا إلَى قصر منصور بن سنان [2] ، ثمّ إلَى العلويّين وهي مدينة يعلَى بن باديس عليها سور ، وهي علَى نهر كبير وداخلها عيون . ومنها إلَى نهر سي [3] بن دمر [4] وهو نهر كبير عليه بساتين كثيرة . ومنها إلَى أحساء [5] عقبة بن نافع القرشي ، وهي آبار كثيرة مبنيّة بخشب العرعار وتعرف بآبار العسكر يريدون عسكر عقبة ويسمّى بالبربرية أرسان . ثمّ تمشي في مفاوز (ربّما نزلها) [6] بنو مغراوة ثلاث مراحل أو أربعًا إلَى ساقية ابن خزر يسمّونها إزمّرين (عليها قصر خرب [7] حوله ثمار ونخيل . إلَى مدن بنطيوس وهي ثلاث مدن) [8] يقرب بعضها من بعض ، وفي كلّ مدينة جامع . فالاثنان لأهل السنة والثالث لقوم من الخوارج [9] يعرفون بالواصلية إباضية إحداهما يسكنها قوم من الفرس يعرفون ببني جرج [10] . وبغربيها نهر جار ينحدر إليها من ناحية [11] الجوف [12] ، وهذا النهر يسقّي الثلاث المدن والثانية يسكنها المولّدون والثالثة يسكنها البربر . وأكثر ثمارها النخل والزيتون . والثلاث المدن في سهلة عريضة أريضة عليها كلّها أسوار وخنادق . وبغربيها صحراء بنطيوس تسقَى بثلث النهر المذكور . وإذا كمل الرجل فيها زريعته عرف مبلغ إصابته من الطعام لا يخطيء .وآبارها ملحة ، وبقرب منها قرى كثيرة ، وبجوفيّ بنطيوس طولقة وهي ثلاث مدن كلّها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار ، وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنخل والشجر وجميع الثمار ، إحداها يسكنها المولّدون والثانية يسكنها اليمن والثالثة يسكنها قيس .

1241 1) ط : باب ـ 2) ط : سنان الأزداجي ـ 3) ط ر : سي سي ـ 4) ر : بني دمر ـ 5) ر : أرسان ـ 6) ر : تنزله ـ 7) سقطت من ج ـ 8) سقطت من ط ـ 9) ر : من أهل الخوارج ـ 10) ط : جربح ـ 11) ر : جهة ـ 12) ص ج : الجنوب .

(1242)

ثمّ من بنطيوس إلَى مدينة بسكرة وقد تقدّم ذكرها . ومنها إلَى مدينة تهوذا وتعرف بمدينة السحر [1] ، وهي مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخل والزرع ، وتهوذا مدينة أوّلية بنيانها بالحجر ولها أموال كثيرة وحولها ربض قد خندق علَى جميعه واستدار بالمدينة ، وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وفنادق ونهر ينصبّ في جوفيّها من جبل أوراس ، سكّانها العرب وقوم من قريش ، وإن كانت بينهم وبين من يجاورهم حرب أرسلوا ماء النهر في الخندق المحيط بمدينتهم فشربوا منه وامتنعوا (من عدوّهم) [2] به . (وفي المدينة بئر لا تنزح أوّلية) [3] وآبار كثيرة طيّبة . وأعداؤهم هوارة ومكناسة إباضية وهم بجوفيّها ، وأهل تهوذا علَى مذاهب أهل العراق . وحولها بساتين كثيرة من أصناف الثمار وضروب البذر يجود بها ، وحواليها أزيد من عشرين قرية .

(1243)

وروى أبو المهاجر عن رجاله عن شهر بن حوشب أنّ النّبي صلعم نهَى عن سكنَى هذه البقعة الملعونة الّتي يقال لها تهوذا ، (ويقال إنّه قال) [1] : سوف يقتل بها رجال من أمّتي علَى الجهاد في سبيل الله ثوابهم ثواب أهل بدر وأهل أحد ، والله ما بدّلوا حتّى ماتوا . وكان شهر بن حوشب يقول : واشوقاه إليهم . وكان يقول : سألت بعض [1] التابعين عن هذه العصابة فقال : ذلك عقبة بن نافع قتله البربر والنصارى بمدينة يقال لها تهوذا ، فمنها يحشرون يوم القيامة وسيوفهم علَى عواتقهم حتّى يقفوا بين يدي الله تعالَى . قال أبو المهاجر : قدم عقبة بن نافع مصر وعليها عمرو بن العاص في خلافة معاوية (بن أبي سفيان) [2] ، فنزل منزلاً من بعض قراها ومعه عمرو بن

1242 1) عن س ، وفي سائر المخطوطات : البحر – 2) عن س – 3) ر : وهي مدينة أولية .

1243 1) عن ر – 2) سقطت من ط س ر –

العاص وعبد الله بن عمرو وجماعة من أصحاب رسول الله صلعم ، فوضع بين أيديهم سفرة فيها طعام ، فلمّا تناولوا من الطعام ضربت حداة علَى الطعام الّذي بين أيديهم فأخذت منه عرقًا ، فقال عقبة : اللهمّ دُقَّ عنقها . قال : فأقبلت الحداة منقضّة حتّى ضربت بنفسها الأرض فاندقّ عنقها . فاسترجع عمرو فسمعه عقبة يترجّع [3] فقال : ما بالك يا أبا عبد الله ؟ قال : بلغني أنّ نفرًا من قريش يخرجون إلَى هذا الموضع فيستشهدون جميعًا . فقال عقبة : اللهمّ وأنا منهم . ثمّ إنّ عقبة بن نافع خرج من عند يزيد بن معاوية في جيش علَى غزو المغرب ، فمرّ علَى عبد الله بن عمرو - (وقيل بن عمرو) [4] - وهو بمصر ، فقال له عبد الله : يا عقبة لعلّك من الجيش الّذين يدخلون الجنّة برحالهم . قال أبو المهاجر : فبلغ عقبة بن نافع في غزواته إلَى السوس الأدنَى والأقصَى والبحر المحيط وأدخل فيه فرسه (حتّى بلغ الماء لبب فرسه) [4] وانصرف إلَى إفريقيّة ، فلمّا دنا منها تفرّق أصحابه عنه فوجًا فوجًا . فلمّا وصل إلَى مدينة طبنة أذن لسائر [4] من بقي معه وبقي في عدّة يسيرة وقال في طريقه : أمرّ إلَى مدينة تهوذا وإلَى مدينة باديس وأعرف ما يكفيها من العدّة والجيوش ، وكانتا في ذلك الوقت من أعظم مدائن المغرب . فلمّا انتهَى إلَى مدينة تهوذا اعتمده كسيلة بن لهزم في جيوش الروم وأقبلت إليه (جيوش الروم) [4] وعساكر البربر وقد علموا بافتراق عساكر عقبة ، فزحفوا إليه فكسر عقبة وأصحابه أجفان سيوفهم وقاتلوا حتّى قُتلوا جميعًا .

(1244)

وقبر عقبة معروف بمدينة تهوذا : ولمّا أراد معدّ بن إسماعيل بن عبيد الله تحريف قبلة مسجد القيروان وقلع من محرابه آجرًا ، وذلك سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، بلغه أنّ أهل القيروان يذكرون دعاء عقبة للقيروان

1244   3) ر : فترجع ـ 4) سقطت من ق .

وتأسيسه جامعها وأنّهم يقولون إنّ الله عزّ وجلّ يمنعه منه [1] بدعاء صاحب نبيّه صلعم . فأمر معدّ لعنه الله بنبش قبر عقبة وإحراق رمّته بالنار ، وبعث إلَى مدينة تهوذا لذلك خمسمائة بين فارس وراجل . فلمّا دنوا من قبره وحاولوا ما أمرهم به هبّت ريح عاصفة ولاحت بروق خاطفة وقعقعت رعود قاصفة كادت تهلكهم ، فانصرفوا ولم يعرضوا له .

(1245)

ومنها إلَى مدينة باديس مرحلة. وبمدينة باديس حصنان فيها جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرّتين في العام علَى مياه سائحة كثيرة عندهم . ومن باديس إلَى قيطون بياضة وهو أوّل بلد سماطة ، ومنه يفترق الطريق إلَى بلاد السودان وإلَى أطرابلس وإلَى القيروان . إلَى مدينة نفطة مرحلتان ، وهي مدينة [1] مبنيّة بالصخر عامرة آهلة بها جامع ومساجد وحمّامات كثيرة ، وهي كثيرة المياه السائحة ، وشرب جميع [2] بلاد قسطيلية بوزن إلاّ نفطة فإنّ شربها جزاف . وجميع أهلها شيعة وتسمّى الكوفة الصغرى . إلَى مدينة توزر وهي آخر آقاليم بلد قسطيلية وقد تقدّم ذكرها ، وبينها وبين بسكرة خمسة أيّام . ثمّ تسير منها إلَى قفصة مرحلتان ، ومن مدينة قفصة مرحلتان [3] إلَى فجّ الحمار وبه فندق وماجل للماء . إلَى المروية وهي آخر قرى كورة قمونية . إلَى مدينة مذكود وهي أمّ أقاليم بلد قمونية بها جامع وحمّامات وأسواق ومساجد كثيرة وفنادق عدّة وآبار عذبة الماء بعيدة الرشاء ، وحولها ثمار كثيرة من جميع الأصناف أكثرها شجر التين [4] وهو يفوق تين إفريقية طيبًا . ومنها يحمل التين زبيبًا إلَى القيروان فيكون أغلَى من سائر التين ثمنًا وأكثر طلبًا . وهي في غابة من شجر التين الأخضر [3] لا تظهر لمن قصدها حتّى يبلغها . ومن مدينة مذكود إلَى جمونس [5] الصابون قرية

1244 1) سقطت من ر .

1245 1) سقطت من ق ــ 2) سقطت من ر ــ 3) عن ط ــ 4) ق : الزيتون ــ 5) ط : جيوبش ، ق :

كبيرة آهلة بها آبار عذبة ، وهي في سند جبل حولها رمل كثير وشجر الزيتون ، وبها جامع وسوق عامرة [6] وحمّام . وفيها قصر كبير وهو مخزن لجماعة أهلها ، بها غدير ماء كبير ولها قرى كثيرة عامرة مفيدة . إلَى قرية [7] بجدول آهلة (كبيرة أيضًا مثل الّذي قبلها صفة ، ولها غدير أيضًا يعرف ببحيرة بجدول) [8] منه شربهم ، ولهم آبار كثيرة طيّبة . ومنها إلَى بني دعام قرية جامعة عامرة ، إلَى مدينة القيروان . وذلك من وهران إلَى القيروان علَى قسطيلية ثلاث وأربعون مرحلة .

[الطـريق من تـنس إلَى تيهـرت]

(1246)

ومن أراد الطريق من تنس إلَى تيهرت فمن تنس إلَى الغزّة علَى ما تقدّم ، إلَى تاجموت علَى مضيق مكناسة ، إلَى عين الصبحَى عين كبيرة في سند جبل لمطاطة ، إلَى تاغريبت إلَى مدينة تيهرت .

(1247)

ومدينة الخضراء [1] علَى مقربة من تنس وهي مدينة [2] كبيرة علَى نهر خرّار [3] عليه الأرحاء ، وإذا حمل دخل المدينة ، وحولها بساتين كثيرة ، ويكتنفها من قبائل البربر مدغرة وبنو دمّر ومديونة وبنو واريفن ، وهي بين مدينة تنس ومدينة إغزر ، وقد تقدّم ذكرها (وهي أقْزُرنة [4] متيجة) [5] .

1245 خلونس ، ر : جفونش ـ 6) ق : كبيرة ـ 7) ط : مدينة ـ 8) سقطت من ط ، س : كبيرة مثل التي قبلها .

1247 1) ر : ومن الخضراء ـ 2) ق : قرية ـ 3) ر : جار ـ 4) س : أقروفة ، ر : أقررقة ـ 5) سقطت من ق .

(1248)

ومدينة سطيف علَى مرحلتين من المسيلة ، تخرج من المسيلة إلَى غدير واروا يسكنه بنو يغمراسن من هوارة (علَى عيون طيّبة) [1] يعتدّون في ستّين ألفًا ، وقد تقدّم ذكرها . ومنها إلَى مدينة سطيف ، وهي مدينة كبيرة جليلة أوّلية كان عليها سور خربته كتامة مع أبي عبد الله الشيعي لأنّها كانت في الأوّل لكتامة غلبتهم عليها العرب ، وكانوا يعشّرونهم إذا دخلوها ، وهي اليوم دون سور لكنّها عامرة جامعة كثيرة الأسواق رخيصة الأسعار . وبين سطيف والقيروان عشر مراحل ، وبينها وأقزرنة [2] عشر مراحل أيضًا ، ومدينة تاناجلت [3] علَى مرحلة (من مدينة سطيف وعلَى مقربة من مدينة ميلة المذكورة قبل هذا . وتاناجلت) [4] مدينة لكتامة عامرة آهلة ليس بها مسجد .

(1249)

وغدير واروا المذكور علَى مرحلتين من طبنة . وبين تاناجلت ومدينة القيروان ثماني عشرة مرحلة . وبين مدينة وهران ومدينة تلمسان مرحلتان .

ذكر مدينة تلمسان وما والاها من [1] المغرب

(1250)

وهي مدينة مسوّرة في سفح جبل شجره الجوز ، ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة : باب الحمّام وباب وهب وباب الخوخة ، وفي الشرق باب

1248 1) سقطت من ج ، ر : على عيون عذبة ـ 2) ر : أكوزمة ـ 3) س ط ق : تاناقلت ، ر : تاناكلت ـ 4) سقطت من ج .

العقبة ، وفي الغرب باب أبي قرّة . وفيها آثار للأوّل قديمة ، وبها بقية من النصارى إلَى وقتنا هذا ولهم بها [1] كنيسة معمورة . وكثيرًا ما يوجد الركاز في تلك الآثار . وكان الأوّل قد جلبوا إليها ماء من عيون تسمّى لوريط بينها وبين المدينة ستّة أميال . وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين ، وهو نهر سطفسيف . وهي دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجّار الآفاق . ونزلها محمّد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضه ، ومن ولده عيسَى أبو العيش بن إدريس بن محمّد بن سليمان الّذي بنَى جراوة ، وكان أميرها وبها توفّي . ولم تزل تلمسان دارًا للعلماء والمحدّثين وحملة الرأي [2] علَى مذهب مالك .

(1251)

وفي الجنوب من تلمسان قلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثّمار والأنهار ، ويتّصل بها جبل تارني [1] وهو وما يليه جبال معمورة [2] . إلَى مدينة تيزيل [3] وهي أوّل الصحراء ، ومنها يسافر إلَى مدينة سجلماسة وإلَى وارجلن وإلَى القلعة ، وهي مدينة معمورة فيها آثار للأوّل وبها مسجد . وفي الشمال من تلمسان منزل يسمّى باب القصر فوقه جبل يسمّى جبل البغل ينبعث من أسفله نهر سطفسيف ويصبّ في بركة عظيمة من عمل الأوّل ويسمع لوقوعه فيها خرير شديد علَى مسافة ، ثمّ ينبثق [4] منها بحكمة مدبّرة إلَى موضع يسمّى المهماز [5] وإلَى ولج الحناء إلَى جنان الحاج حتّى يصبّ في نهر أسر [6] ، ثمّ ينصبّ في نهر تافنا وهو النهر الّذي يصل إلَى [7] مدينة

1250 1) ص س : إلى ـ 2) ط : الدين .

1251 1) ط : تازي ، ج : تارو ، ق : تارسى ؟ ـ 2) ط ق : مصمودة ـ 3) ر : تيتزبل ، ط : تنتزيل ـ 4) ر : ينشق ـ 5) ر : المهال ، ط ق : المهران ـ 6) ر : أشير ـ 7) ر : يصبّ في ـ

أرشقول ، (وهناك ينصبّ في البحر . وأرشقول) [8] ساحل تلمسان ، بين مدينة أرشقول (علَى نهر تافنا) [9] وتلمسان فحص أزيدور [10] طوله خمسة وعشرون ميلاً .

(1252)

ومدينة أرشقول علَى نهر تافنَى يقبل من قبليّها ويستدير بشرقيّها ويدخل فيه السفن اللطاف (من البحر إلَى المدينة وبينهما ميلان ، وهي مسوّرة) [1] . وبمدينة أرشقول مسجد جامع (حسن فيه سبعة بلاطات) [1] وفي صحنه جبّ كبير وصومعة متقنة البناء ، وفيها حمّامان أحدهما قديم . ولها من الأبواب باب الفتوح غربي وباب الأمير قبلي وباب مرنيسة شرقي محنّية كلّها عليها منافس ، وسعة سورها ثمانية أشبار ، وأمنع جهاتها جوفيّها . وبها آبار عذبة لا تغور تقوم بأهلها ومواشيهم [2] ، ولها ربض من جهة القبلة . وكيلهم ستّون مدًّا بمدّ النبي صلعم ، ويسمّونه عمورة [3] ، ورطلهم اثنتان وعشرون أوقية ، ودرهمهم ثماني خراريب والخروبة أربع حبّات . وكان يسكنها التجّار ونزلها عيسَى بن محمّد بن سليمان المذكور قبل هذا ووليها وتوفّي فيها سنة خمس وتسعين ومائتين ، وولد له فيها إبراهيم بن عيسَى الأرشقولي ووليها بعده (ابنه يحيَى بن إبراهيم) [4] وهو الّذي حبسه أبو عبد الله الشيعي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة .

1251 8) سقطت من ق — 9) عن ر — 10) ص : زيدو .

1252 1) سقطت من ر — 2) سقطت من ق — 3) ر : عمورية — 4) س ر : ابنه إبراهيم ثم ابنه يحيى بن إبراهيم .

(1253)

وتقابلها جزيرة في البحر تسمّى جزيرة أرشقول بينها وبين البرّ قدر صوت رجل [1] جهير الصوت [1] في سكون (البحر، وهي مستطيلة) [1] من القبلة إلَى الجوف عالية منيفة. وإليها لجأ الحسن بن عيسَى بن أبي العيش صاحب جراوة وتخلّي (ممّا كان بيده لمّا غلب) [1] علَى ذلك موسَى بن أبي العافية علَى ما نُبيّنه بعد هذا إن شاء الله تعالَى. فكتب موسَى بن أبي العافية إلَى صاحب الأندلس عبد الرحمان بن محمّد يسأله نصرته عليه ويقرّب له المأخذ، وأعانه علَى ذلك أبو محمّد عبد الملك بن أبي حمامة عند موسَى [2] بن محمّد بن جُدير. فأمر عبد الرحمان أهل بجانة وغيرهم من أهل السواحل بإقامة خمسة عشر مركبًا حربية ثمّ جهّزها بالرجال والسلاح والأزودة والأموال، فأحاطت بهذه الجزيرة وقتلوا كثيرًا ممّن كان فيها وحاصروهم حتّى كادوا يهلكون عطشًا لمّا نفدت مياه جبابهم حتّى تداركهم الله بغيث وابل. فلم يطمع فيهم أهل الأسطول حين سقوا وانصرفوا قافلين، فوصلوا إلَى المرية في شهر رمضان سنة عشرين وثلاثمائة. ثمّ ظفر البوري بن موسَى بن أبي العافية بالحسن بن عيسَى الّذي لجأ إلَى أرشقول وبعث به إلَى عبد الرحمان بن محمّد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.

ذكر الحصون الّتي بساحل تلمسان سوى مدينة أرشقول

(1254)

مدينة أسلن [1] وهي شرقي أرشقول حصينة، وهي مدينة قديمة عليها سور صخر وبها جامع وسوق، يسكنها مغيلة، ولها نهر يصبّ في البحر من شرقيها

1253 1) سقطت من ق – 2) ر : وموسى.

1254 1) ق : أسلان –

يسقَى منه بساتينهم وثمارهم ، وهي مقطوعة منحوتة السور بنهر من كلّ ناحية ، ولها (عيون تجري) [2] بينها وبين البحر . وكان عبد الرحمان افتتحها وبعث إليها محمّد بنُ أبي عامر حميدَ بن يزل فبناها وجدّدها [3] .

(1255)

(فأمّا الطريق من أرشقول إلَى القيروان فمنها إلَى مدينة أسلن ومن أسلن إلَى قصر ابن سنان مرحلة لطيفة ، ثمّ الطريق علَى ما تقدّم من أسلن إلَى تيهرت أربع مراحل ، ومن تيهرت إلَى القيروان تسع عشرة) [1] . ومنها إلَى حصن تانكرمت [2] ، وهو أيضًا علَى الساحل ، ستّة أميال وله مزارع واسعة وبسائط خصيبة . وعلَى مرحلتين من أسلن مدينة فكّان (بينهما نهر سي وعليه المنزل في المرحلة الأولَى [3] . ومدينة فكّان) [4] كانت سوقًا قديمة من أسواق زناتة فمدّنها يعلَى بن محمّد بن صالح اليفرني ، وكان ابتداء تأسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تيهرت ويلل وشاطئ بني واطيل ووهران وقصر الفلوس فعمّرت وتمدّنت وعظمت ، وهي في سفح جبل أوشيلاس [5] وهو بجوفيّها ، ولهذا الجبل شعراء غامضة . وبقبليّها نهر سيرة ومنبعثه من عيون بشرقيها عليه الأرحاء والبساتين من كلتا ضفّتيه . (وبغربي فكّان) [6] أسفل بساتينها مجمع الأودية : وادي سيرة ووادي سي ووادي هنت . وعلَى مدينة فكّان سور طوب وبها جامع وحمّام وفنادق [7] . وبين هذا الحصن وحصن مرنيسة البير ثلاثة أميال وهو حصن حصين ، ومنه إلَى حصن ابن [8] زينَى ثلاثة أميال أيضًا ، ولهذا الحصن نهر كثير الثمار .

1254 2) ق : عين – 3) ورد هنا في ق ذكر مدينة مليلة .

1255 1) عن س – 2) ر : تانكارت – 3) ر : في المدخل الأوّل – 4) سقطت من س – 5) ق : أوشيلاوس – 6) ر : وكان – 7) ط : وفنادق كثيرة ، ق : وفنادق كثيرة وأسواق – 8) ط ر : أبي .

(1256)

ومن بني زينَى إلَى حصن الفروس ميلان ، وهو علَى قنّة [1] جبل علَى ضفّة البحر ، ومنه إلَى حصن الوردانية ميلان ، وهو مثله علَى جبل بساحل البحر . ومن الوردانية إلَى حصن هُنين أربعة أميال ، وهو علَى مرسًى جيّد مقصود ، وهو أكثر الحصون المتقدّمة الذكر بساتين وضروب ثمر يسكنها قبيلة تسمّى كومية . وبين هذا الحصن ومدينة ندرومة الجبل المعروف بتاجرة ، ومسافة ما بين الحصن والمدينة ثلاثة عشر ميلاً . ومدينة ندرومة هي في طرف جبل [2] تاجرا ، وغربيها وشماليها بسائط طيّبة ومزارع وبينها وبين البحر عشرة أميال . وساحلها وادي ماسين ، وهو نهر كثير الثمار ، وله مرسًى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن مقصود يتبرّك به ، إذا سرق أحد فيه أو أتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته ، قد تعارفوا ذلك من بركته وحسن صنع [2] الله فيه . ومدينة ندرومة مسوّرة جليلة لها نهر وبساتين وفيها من جميع الثمار ، (ولها سور ومساجد وجامع) [3] .

(1257)

وبين مرسَى ماسين وترنانا [1] عشرة أميال ، وهي مدينة مسوّرة (ولها أسواق ومساجد وجامع) [2] وبساتين كثيرة وبينها وبين ندرومة ثمانية أميال . ويسكن مدينة ترنانا [1] فخذ من بني دمّر يسمّون بني يلول ، وكان بها عبد الله الترناني [3] بن إدريس بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي (بن أبي طالب رضي الله عنهم) [4] . وعلَى ساحل ترنانا حصن تَوَنْت [5] ، وهو حصن منيع علَى جبل منيف قد أحاط به البحر من

1256 1) ص ج ق : قلّة ، ط : قلعة ــ 2) سقطت من ق ــ 3) عن س ر .

1257 1) ط : برنامي ، ر : ترناني ، ق : يرنامي ــ 2) عن ر ، وفي سائر المخطوطات : ولها سوق ومسجد جامع ــ 3) ط : الترنامي ، ق : اليرناني ــ 4) سقطت من ط ر ــ 5) ط : تونتت ، ر : توتت ــ

ثلاث جهات ، وله مرتقى وعر من ناحية الشرق ولا يطمع فيه أحد . وينزله قبيل من البربر يعرفون ببني منصور . وفي جبل الحصن معدن الأثمد ، وله بساتين وشجر كثير يحمل من زبيب تينه (6) إلَى ما يليه من النواحي . وعلَى هذا الساحل أيضًا حصن أبي جنون (7) وحصن كاربيوا (8) .

(1258)

قال (1) : ومن مدينة ترنانا إلَى تابَحْريت عشرة أميال ، وهي مدينة مسوّرة علَى ساحل البحر لها مسجد جامع متقن البناء مشرف علَى البحر ، ولها أسواق جامعة ، وهي محطّ السفن ومقصد التجّار لقوافل سجلماسة وغيرها ، ويسكنها من البربر مدغرة وهم أعدل مَن هنالك من قبائلهم . وفي الشرق من تابحريت مدينة مصكالك (2) بينهما نحو ثلاثة أميال ، وهي مدينة مسوّرة علَى شاطئ البحر ذات بساتين ، وسوقهم بتابَحْرِيت ، وهي أقدم من تابحريت وإنّما جدّد مدينة تابحريت الحاج بن مرامر بعد العشرين وأربعمائة . وتابحريت ساحل مدينة وجدة بينهما أربعون ميلاً . ومن تلمسان إلَى مدينة وجدة ثلاث مراحل ، ومن تلمسان إلَى الحمّة ، ومن الحمّة إلَى قرية تسمّى بالشهباء ، ومنها إلَى مدينة وجدة .

(1259)

ومدّ وجدة يسمّى بالوجدات ، وهي مدينتان مسوّرتان أحدث احداهما يعلَى بن بلجّين الورتغنيني بعد الأربعين وأربعمائة يسكن في المحدثة التجّار وفيها الأسواق والجامع خارج المدينتين علَى نهر قد أحدقت به البساتين ، وهي

1257 6) ر : تونه – 7) ط : خيون ، ر : حيون – 8) ط : كارنبوا .

1258 1) ورد هنا في ص ج ذكر المراسي – 2) ق : مصطامسة .

كثيرة الأشجار والفواكه طيّبة الغذاء جيّدة الهواء يمتاز أهلها من غيرهم في نضارة ألوانهم ونعمة أجسامهم ، ومراعيها [1] أنجع المراعي وأصلحها للظلف والحافر ، ينتهى [2] شحم شاة من شياههم مائتي أوقية .

(1260)

وعلَى مقربة من تابحريت مدينة تافرجنّيت [1] وهي ساحل جراوة [2] . وعلَى مدينة وجدة طريق المارّة والصادرة من بلاد المشرق إلَى سجلماسة (وغيرها من بلاد المغرب ، والطريق منها إلَى سجلماسة) [3] تخرج من وجدة إلَى صاع ، (وهي قرية ذات نهر وثمار ومزارع) [3] ، ومنها (إلَى تاملت ، ومنها إلَى جبل بني يرنيان ، ومنه إلَى قير ، ومنه إلَى الأحساء ، ومنها إلَى الأمسلي [4] ، ومنه إلَى دار الأمير ، ومن دار الأمير إلَى سجلماسة .

الطريق من وجدة إلَى فاس

(1261)

تخرج منها أيضًا إلَى صاع ومنها) [1] إلَى تابريدا [2] ، (تفسيره تلّ الأمير) [3] ، ومنه إلَى مكناسة وهم أهل أخصاص ، ومنها إلَى عين الطين ، ومنها إلَى مدينة فاس .

1259 1) ق ر : ومراعيهم ــ 2) ر : منتهى .

1260 1) ط ر : تافرقنيت ، س : تافرنيت ــ 2) سقطت من ق ــ 3) سقطت من ر ــ 4) ص : لامسلي ، س : الأمسفي .

1261 1) سقطت من ر ــ 2) ط : تل أفريدون ، س : تل بريدون ــ 3) ط س ق : تل الطريق .

(1262)

فأمّا الطريق من وجدة إلَى مليلة فإلَى صاع ومنها إلَى أجرسيف [1] مرحلة ، وهي قرية عامرة علَى نهر ملوية يأتيها من جانب مطغرة ، والمخاضة إليها من جهة القبلة . ومن أجرسيف إلَى قلوع جارة وهي حصن منيع في أعلَى جبل لا متناول له ولا مطمع فيه ، ومنه إلَى مدينة مليلة ، وهي مدينة مسوّرة بسور حجارة وداخلها قصبة مانعة وفيها مسجد جامع وحمّام وأسواق . وهي مدينة قديمة ويذكر أنّ بني البوري [2] بن أبي العافية المكناسي جدّدوها ، ويسكنها بنو ورتدى وهم يقترعون علَى من يدخل عندهم من التجّار ، فمن أصابته قرعة الرجل منهم كان تجره علَى يديه ولم يصنع شيئًا إلاّ تحت نظره وإشرافه ، فيحميه عمّن يريد ظلمه ويأخذ منه الأجر علَى ذلك ويأخذ منه الهدية لنزوله [3] عنده .

(1263)

وذكر محمّد بن يوسف وغيره أنّ عبد الرحمان الناصر لدين الله افتتحها سنة أربع عشرة وثلاثمائة وبنَى سورها معقلاً لموسَى بن أبي العافية . وقال أحمد بن محمّد (بن موسَى الداراني) [1] الرازي يذكر ذلك [طويل] :

والملك الناصر لدين الله فيما يحوط الدين غير ساه
بنَى لموسى عدّة مدينة منيعة شاهقة [2] حصينة
ذلّت لها تيهرت والأفارقة [3] ولم يطق بنيانها العمالقة

وكيلهم يسمّونه المدّ وهو خمسة وعشرون مدًّا بمدّ النبي صلعم ، ورطلهم (مثل رطل نكور) [4] اثنتان وعشرون أوقية ، والأوقية خمسة عشر [5]

1262 1) ط ق : أقرسيف ـ 2) ر : موسى ـ 3) ر : على نزوله .

1263 1) عن ر ـ 2) ص ر : سابقة ـ 3) ر : والخلافة ـ 4) سقطت من ر ـ 5) ر : خمسة وعشرون .

درهما ، وقنطارهم من جميع الأشياء بهذا الرطل ، والدراهم بها عدّة قراريط كلّ قيراط خمسة أثمان درهم .

(1264)

فأمّا الطريق من القيروان إلَى مليلة فمن القيروان إلَى صاع علَى ما تقدّم قبل هذا ، ومن صاع إلَى مليلة علَى ما ذكرنا آنفًا ، وذلك ثلاث وثلاثون مرحلة ، وذلك من مليلة إلَى مدينة جراوة مرحلتان ، ثمّ الطريق من جراوة كما يأتي بعد هذا في الطريق من فاس إلَى القيروان كذلك إحدى وثلاثون مرحلة . ويقبليّ مدينة ترنانا علَى مقربة منها حصنان أحدهما حصن الزنجراعة والآخر حصن بنَى ، منازلها منيعة ومزارعها طيّبة متّسعة وحنطتها تقاوم حنطة سائر تلك النواحي ، وهي بلاد سهلية جبلية .

ذكـر المـراسي واتّصـالهـا [1]

(1265)

ومن المراسي [2] مرسَى مليلة صيفي يوازيه من برّ الأندلس مرسَى مدينة شلوبينة [3] ، وسنذكر اتّصال المراسي من نكور آخذًا إلَى الشرق وما يحاذيها من مراسي الأندلس إلَى مرسَى مليلة . ويلي [4] مرسَى مليلة إلَى الشرق مرسَى مدينة جراوة ، وهو مأمون وله نهر يريق في البحر وبينه وبين جزائر ملوية في البرّ ثمانية أميال . ويقابله من برّ الأندلس مرسَى قجلة بينهما مجريان . ويليه إلَى الشرق مرسَى عجرود ، وهو مرسَى صيفي يكون بغربيّه وفيه آبار وهو مسكون . ويوازيه من برّ الأندلس مرسَى دلاية بينهما مجريان . ويليه إلَى

1265 1) ذكر ط هنا بلاد نكور – 2) عن ص ج – 3) ر : شلونبة – 4) ص : ومن ، ج : وبين –

الشرق مرسَى ترنانة [5] ، (وهو صيفي) [6] وعليه سكنَى وله آبار ماء ، وبينه وبين مرسَى عجرود عشرة أميال . ويحاذيه من برّ الأندلس مرسَى مرية بجانة . ويليه مرسَى مدينة أرشقول (المذكور قبل هذا ، وجزيرة أرشقول في هذا المرسَى) [6] . ويقابل هذا المرسَى من بر الأندلس قابطة [7] بني أسود بينهما مجريان . ويليه إلَى الشرق مرسَى أسلن .

(1266)

فأمّا اتّصال المراسي من مرسَى أسلن إلَى الشرق فأدنَى المراسي إليها مرسَى الماء المدفون والسكنَى منه علَى مقربة ، وله عيون ماء تسيل في البحر ، وبينهما ثلاثة عشر ميلاً ، ويقابله من برّ الأندلس مرسَى الراهب [1] بينهما مجريان وثلث [2] . ويليه مرسَى جبل وهران مرسَى كبير شتوي سكن من كلّ ريح ، بينهما ستّة أميال . ويقابله من برّ الأندلس مرسَى أشكُوبرش [3] المرسَى القديم الّذي نزله البحريّون قبل نزولهم بجّانة بينهما مجريان ونصف . ويليه إلَى الشرق أيضًا مرسَى عين فرّوج [4] ، وهو مرسَى شتوي مأمون وله آبار ماء والسكنَى منه علَى مقربة ، وبينه وبين وهران في البرّ أربعون ميلاً . ويقابله من برّ الأندلس مرسَى آقلة ، وهو مرسَى مدينة لورقة وبينهما ثلاث مجار . ويليه إلَى الشرق مرسَى قصر الفلوس ، وهي مدينة علَى البحر غير مسكونة ، وفيها ماء مجلوب ، (وأحساء ماء) [5] ومرساها غير مأمون . ويوازيه من برّ الأندلس مرسَى قرطاجنة .

1265 5) ر : ترنبة ـ 6) عن ر ـ 7) ر : قايطة .

1266 1) ر : المراهب ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : أشكويش ـ 4) ر : فروخ ـ 5) سقطت من ر .

(1267)

ويليه مرسَى مغيلة بني هاشم ، وهو مرسَى صيفي (لا يكنّ من ريح) [1] ، وله رباط علَى ضفّة البحر مسكون وماؤه كثير ، وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلاً . ويقابله من برّ الأندلس مرسَى قبطيل تدمير . ويليه مرسَى مدينة تنس وهو صيفي يكنّ بشرقيه وغربيه وله ماء معين ، بينهما مراس لطاف . ويقابل مرسَى تنس من برّ الأندلس مرسَى شنتبول . ويلي مرسَى تنس إلَى الشرق مرسَى جزيرة وقور بينهما أزيد من عشرين ميلاً ، وله نهر لطيف يصبّ في البحر ، والجزيرة قريبة من البرّ ، ويقابل من برّ الأندلس مرسَى لقنت يقطع البحر بينهما في خمس مجار . ثمّ مرسَى شرشال [2] عليه مدينة عظيمة للأوّل غير مسكونة ، وله أحسا ماء ، يكنّ [3] بشرقيه وغربيه . ويقابل من برّ الأندلس مرسَى مريرة [4] ، بينهما خمس مجار ونصف . وكانت لمدينة شرشال مبنَى ارتدم وفيها رباطات يجتمع اليها في كلّ عام خلق كثير .

(1268)

ويليه جبل شنوة وله مرسَى يسمّى البطّال [1] وهو غير مسكون ، يكنّ بغربيه وله ماء يسير . ويقابل من عُدْوة الأندلس جبل قرون [2] بينهما خمس مجار ونصف . ثمّ مرسَى هور ، ثمّ إلَى أنف القناطر ، (وهناك آثار قناطر قائمة . ثمّ إلَى مرسَى الذبّان ، ويليه مرسَى جنابية وله جزيرة) [3] وهناك مدينة للأوّل غير مسكونة لها نهر يريق في البحر . ويقابل من برّ الأندلس مرسَى دانية وبينهما ستّ مجار . ويليه مرسَى الجزائر وتعرف بجزائر بني مزغنّي وقد تقدّم ذكر مدينتها ، وهو مرسَى مأمون شتوي بين جزيرة سطفلة [4] من الشرق إلَى

1267 1) ر : لا يكون به ريح _ 2) ر : جبل حرشال _ 3) ر : يكون _ 4) ر : جزيرة مريرة .

1268 1) ر : النطال _ 2) ر : فارق _ 3) سقطت من ر _ 4) ر : سفلطة _

الغرب (وبين البرّ) [5] وبالمرسَى عين عذبة . ويقابل من برّ الأندلس مرسَى بنشكلة [6] بينهما ستّ مجار .

(1269)

ويلي هذا المرسَى من المراسي المشهورة مرسَى الدجّاج وهو صيفي غير مأمون . ويقابل من جزائر الأندلس جزيرة ميورقة ، (ويقرب منها) [1] مرسَى مدينة بجاية أوّلية آهلة عامرة بأهل الأندلس ، وبشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة ، وهو مرسَى مأمون شتوي قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس . (ثمّ مرسَى بونة مرسَى مأمون) [2] ، ومرسَى بجاية هو ساحل قلعة أبي طويل . وعلَى هذا المرسَى في تلك الجبال قبائل كتامة وهم شيعة يكرمون مَن مال إلَى [3] مذاهبهم ويبرّون من وافق اعتقادهم . وجزيرة جوبة قبل مرسَى بجاية . ثمّ يلي مرسَى بجاية مرسَى سبيبة ، وعلَى مرسَى سبيبة في جبال كتامة عين الأوقات معروفة ، إذا كانت أوقات الصلوات جرى الماء فيها ، فإذا خرجت الأوقات غاص وانقطع . ومن هذا المرسَى تدخل السفن إلَى جزائر العافية . ثمّ مرسَى جيجل فيه آثار للأوّل ، وهو معمور اليوم . وعلَى هذه المواضع كلّها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل إلَى إفريقية وغيرها . وبهذا الجبل حجر الأزورد الطيّب . ومن هذا المرسَى إلَى مرسَى الزيتونة وقد تقدّم وصفه [4] . وهذا الجبل أوّل حدّ الجبل الّذي [5] يعرف بجبل الرحان ، وهو جبل عظيم خارج [6] في البحر يقابل جزيرة سردانية ، وهو كثير الثمار والأنهار يسكنه قبائل البربر من كتامة وغيرها ، وفيه مزارع كثيرة ومراع مريعة ومنه يحمل عود الحرط إلَى إفريقية وما والاها . وفيه أسواق كثيرة ومراس ، منها مرسَى الخرّاطين ومرسَى الشجرة ، وفي آخره مرسَى القلّ .

1268 5) سقطت من ر ـ 6) ر : شكلة .

1269 1) عن س ق ر ، في ص ج : ثمّ ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : من مال إليهم على ـ 4) ص ج : صفته ـ 5) ص ج : الجبال التي ـ 6) ر : داخل .

(1270)

ومنه تسير إلَى مرسَى أستورة ، وهو مرسَى مدينة تاسِقْدة وهي مدينة أوّلية قديمة فيها آثار للأوّل عجيبة . ثمّ إلَى مرسَى الروم وهو شتوي [1] مأمون ، إلَى جزيرة عمر إلَى مرسَى تكوش مرسَى مأمون فيه قرى كثيرة يتّصل به جبل كثير الفواكه والخير . ثمّ إلَى رأس الحمراء . ثمّ إلَى مرسَى ابن الألبيري . ثمّ إلَى مرسَى الخروبة . ثمّ إلَى مرسَى منيع وهو مرسَى بونة ، وبقربه بئر النّثرة [2] المذكورة وهي بئر منقورة في صخرة صمّاء من عمل الأوّل علَى ضفّة البحر ، إذا ارتجّ البحر وصل إليها . ومن مرسَى بونة تخرج الشواني غازية إلَى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسقة وما والاها [3] .

(1271)

ثمّ مدينة مرسَى الخرز ، ثمّ مرسَى طبرقة ويلي طبرقة من المراسي المشهورة مرسَى قرطاجنة ، وبينهما من المراسي الصغار مرسَى أنف أبي خليفة قبالته جزائر الأخوَيْن . ثمّ مرسَى الروم ، ثمّ مرسَى القبّة وهو مرسَى بنزرت ، وعلَى مقربة منه جزيرة قلارية منه يقطع قواطع الطير من الأندلس وغيرها إلَى بلاد الروم ، وهناك ترتقب سكون الريح لطيرانها فتستعلي علَى أوطانها . ثمّ مرسَى رأس الجبل وهو مشتًى مأمون . ثمّ مرسَى الثنية ، ثمّ رباط قصر أبي الصقر ، وقبالته جزائر الكرّاث الّتي قتل فيها زيادة الله عمومته وإخوته . ثمّ مرسَى رباط قصر الحجّامين ، ثمّ مرسَى قرطاجنة .

1270 1) ص ج : مشتى ـ 2) ر : النشرة ـ 3) ورد في ر بعد ذلك : ثم مرسى بونة وهو مرسى باديس بقوية وبالش ومرسى صنهاجة وغيرها . وفي ر نقص من هنا إلى « ذكر سلوك السفن من الاسكندرية إلى أنطالية » .

(1272)

ثمّ مرسَى قصر الأمير بينه وبين مدينة تونس ثمانية أميال في البرّ ، وهو متّصل بها في البحيرة المحفورة ، وهذا القصر علَى الخليج المحفور في البحر إلَى مدينة تونس . ثمّ مرسَى كبير يسمّى رادس وقد تقدّم ذكره وما ورد فيه عند ذكر مدينة تونس . ويلي مرسَى تونس إلَى القبلة من المراسي الكبار مرسَى سوسة ، وبينها من المراسي الصغار رباط الحمّة ، ثمّ جون النخلة ، ثمّ مرسَى بونة في قبليّه جزيرتان إحداهما تُعرف بالجامور الكبير والأخرى بالجامور الصغير وهي أصغر . ثمّ جبل أدار يظهر منه جبل صقلية ، وفي هذا الجبل قوم متعبّدون تخلّوا عن الدنيا وسكنوا في هذا الجبل مع الوحش ، لباسهم البردي وعيشهم من نبات الأرض ومن صيد البحر يتناولون من ذلك ما يكون بُلْغة لهم إذا جاعوا ، والدعوة من أكثرهم مُستجابة ، وهذا الجبل معروف بالتزام هؤلاء فيه منذ فتحت إفريقية . ثمّ جون الملاّحة ، ثمّ مرسَى مدينة إقليبية مدينة كبيرة آهلة . ثمّ المرسَى المدفون وهو بحر صعب كثيرًا ما تعطب فيه السفن . ثمّ مرسَى مدينة ريهان ، ثمّ مرسَى هرقلة ، ثمّ مرسَى قصر ابن عمر الأغلبي، ثمّ مرسَى مدينة سوسة .

(1273)

ثمّ تسير من مرسَى سوسة إلَى ناحية القبلة إلَى مرسَى خفانص ، وهو مشتًى عليه قصر كبير محرس رباط . ثمّ إلَى مرسَى محرس المنستير وليس بإفريقية أجلّ من هذا المحرس وقد مضَى ذكره . وبقرب هذا المرسَى ملاّحة لمطة ، وهي ملاّحة كبيرة وملحها لا يفوقه ملح ، ومنها يحمل إلَى ما جاورها من البلاد . ثمّ إلَى مرسَى قصر القُوريتَيْن ، وهما جزيرتان في البحر كبيرتان تشقّ السفن بينهما ، ومنها إلَى مدينة المهدية علَى ساحل القيروان ومحطّ للسفن لمن قصدها من جميع الجهات .

(1274)

فأمّا سلوك السفن من المهدية إلَى الإسكندرية فمن مرسَى المهدية إلَى مرسَى سلقطة وعليه قصر ، إلَى مرسَى قبودية وهي قصور ، إلَى رأس الجسر وهو أوّل القصير ، إلَى الزرقاء الكبيرة والصغيرة وهما جزيرتان من تحت الماء ، إلَى جزيرة قرقنة وهي جزيرة كبيرة فيها سبعة أجباب وفيها آثار قديمة ، ويدخل فيها أهل الساحل مواشيهم ويبذر أكثرها ، وهي قبالة [1] مدينة سفاقس . ثمّ إلَى رأس الرملة ، ثمّ إلَى الجرف ، ثمّ إلَى قصر الروم وهو بحر ميّت ، ثمّ إلَى مدينة قابس ، ثمّ إلَى جزيرة جربة وهي جزيرة معمورة يسكنها قوم من البربر خوارج ، وهي كثيرة الذهب ، وبينها وبين البرّ الكبير مجاز ، وهي آخر القصير إلَى الشرق ، وأهلها غدّارون شرار لا تؤمن ناحيتهم . وطول هذا القصير في البحر نحو خمسين ميلاً . وفي داخل البحر من داخل القصير بنيان من بنيان الأوّل فهو يسمّى قصير البيت ، وتجري من قصير البيت إلَى الشمال نحو خمسين ميلاً إلَى جزيرة نموشت وجزيرة أنبدوشة . ثمّ تخرج السفن من جزيرة جربة إلَى مرسَى الأندلسيّين ، ثمّ إلَى قصر الدرق وهو بحر ميّت ، ثمّ إلَى عقّيبلات يدخل إليها في مجله في البحر . ثمّ إلَى جبل قنطبير .

(1275)

وجبل قنطبير المتقدّم الذكر هو موضع مخوف في البحر . ثمّ إلَى مرسَى مدينة أطرابلس ، ومرساها مأمون جيّد ، ولها دار صناعة للأساطيل [1] . ثمّ تخرج منه إلَى رأس الشعراء ، ثمّ إلَى لبدة ، ثمّ إلَى رأس قانان ، ثمّ إلَى قصر العبادي ، ثمّ إلَى سرت ، ثمّ إلَى أجدابية ، ثمّ إلَى اليهودية ، ثمّ إلَى حجر عبدون ، ثمّ إلَى عين أبي زياد ، ثمّ إلَى رأس أوتان وفي رأس أوتان قالة

1274 1) سقطت من ص .

1275 1) ص : للأساطين ـ

الشيني . ثمّ إلَى سوسة برقة ، ثمّ إلَى شقّة الفلفل ، ثمّ إلَى شقّة التيس ، ثمّ إلَى مرسَى درنَى ، ثمّ إلَى مرسَى تينَى ، ثمّ إلَى طبرق ، ثمّ إلَى جزيرة القرشي ، ثمّ إلَى جزيرة الطرفا ، ثمّ إلَى جزائر الحمام ، ثمّ إلَى وادي ملالي إلَى رأس الملاّحة إلَى مرسَى الزيتونة إلَى مرسَى عمارة إلَى مرسَى السلوم إلَى رأس العوسج إلَى الكنائس إلَى الشقراء إلَى بوصير إلَى مينَى الزجاج إلَى مينَى الأندلسيّين إلَى منار الإسكندرية [2] .

فأمّا سلوك السفن من الإسكندرية إلَى أنطالية

(1276)

فإنّها تخرج من مدينة الإسكندرية إلَى بوقير ، ثمّ إلَى دمياط ، ثمّ إلَى بحيرة تنّيس ، ثمّ إلَى جزيرة دبقو وهي الّتي تصنع فيها الثياب الدبيقية . ثمّ إلَى تيدار مياس وفيها قصر مبنيّ للصحابة رضي الله عنهم ، ثمّ إلَى غزّة ، ثمّ إلَى ملاّحة الواردية ، ثمّ إلَى عسقلان ، ثمّ إلَى قيسارية ، ثمّ إلَى يافَى ، ثمّ إلَى رأس الكرمان ، ثمّ إلَى حيفَى ، ثمّ إلَى عكّة ، وفيها قنطرة مبنية للأوّل تدخل تحتّها السفن بشرعها ، ثمّ إلَى مدينة صور وهي داخل البحر وهي ساحل بيت المقدس ، ثمّ إلَى صيدا ، ثمّ إلَى بيروت ، ثمّ إلَى أطرابلس الشام ، ثمّ إلَى اللاذقية ، ثمّ إلَى أنطاكية ، (ثمّ إلَى أنطالية) [1] ، ومن أنطالية تدخل إلَى الجزائر المؤلّفة .

1275 2) هنا يستأنف ر .

1276 1) سقطت من ر .

(1277)

فهذا مسلك المراكب من مدينة أسلن [1] علَى التوالي إلَى هذا الموضع . وقد بقي في أقاصي المغرب مراس نذكرها إن شاء الله حتَّى نوصلها بأصيلَى .

(1278)

أخبر مؤمن بن يومر الهوّاري أنّ بجزيرة آوى مرسَى مشتَى علَى ضفّة البحر ، وهذه الجزيرة تمشي منها [1] الرفاق مواجهة للمشرق شهرين مشي الابل إلَى مدينة نول ، ومدينة نول آخر بلد الإسلام وأوّل العمران من الصحراء . وتسير السفن من ساحل نول إلَى وادي السوس ثلاثة أيّام ، ثمّ من وادي السوس إلَى مرسَى أمقدول ، وهو مرسَى مشتَى مأمون وهو ساحل وادي السوس . ثمّ إلَى مرسَى قوز ، وهو رباط يعمّره الصالحون وهو ساحل أغمات ، ثمّ إلَى مرسَى أسفَى ، ثمّ إلَى البيضاء وهو رأس جبل داخل في البحر ، ثمّ إلَى جزيرة فضالة وهو ساحل بلد تاسمنَى بلد برغواطة ، ثمّ إلَى مرسَى ماريفن [2] ، ثمّ إلَى وادي سلَى وهناك مدينة أوّلية آثارها قائمة تسمَّى شلّة . وفي ناحية الشرق من وادي سلَى علَى البحر غار عظيم وفي أعلاه منافس كأفواه الآبار ، وظهر الغار مزروع . ثمّ إلَى وادي سبو ، ثمّ إلَى وادي سفدد ، ولا يسكن في وادي سفدد أبيض اللون إلاّ اعتلّ وقلّ ما يسلم من علّته ؛ وإنّما يسكنه السودان . وإذا رأوا رجلاً أبيض اللون قد دخل عندهم ينادي بعضهم بعضًا : ميز ميز . ثمّ من وادي سفدد إلَى حوض أصيلة ، ثمّ علَى ما تقدّم .

1277 1) في جميع المخطوطات : أصيلى .

1278 1) ص ج : فيها ــ 2) ص ج : ماريفن .

ذكـر بلـد نكـور وحـدّه

(1279)

ينتهي من جانب الشرق إلَى زواغة جراوة [1] الحسن بن أبي العيش ومسافة ذلك نحو خمسة أيام . ويجاورهم من هاهنا مطاطة وأهل كبدان [2] ولمرنيسة الكدية البيضاء وغساسة [3] أهل جبل هرك وقلوع جارة الّتي لبني [4] ورتدى . وينتهي من جانب الغرب إلَى قبيل من غمارة يعرفون ببني مروان وبني حميد إليهم تنسب الحميدية ، وإلَى مسطاسة وصنهاجة ، ومن ورائهم أوربة حزب فرجون [5] وبنو وليد وزناتة أهل تابريدا وبنو يرنيان وبنو مراسن [6] حزب قاسم صاحب صاع والكدية المعروفة بتاوررت .

(1280)

والمراسي المنسوبة إلَى نكور مرسَى ملوية وهرك وكرط ومرسَى الدار وأوفتيس من مراسي تمسامان ، وهو الجبل المعروف بأبي الحسن الّذي لجأ إليه بنو صالح . ووادي البقر والمزمّة ، بينه وبين مدينة نكور خمسة أميال ، والمزمّة [1] في القبلة من المرسَى . ويقابله من برّ الأندلس مدينة مالقة ويقطع الغدير بينهما في مجرى ونصف ، ومرسَى باديس ومرسَى بقوية وبالش مرسَى صنهاجة وغيرها .

1279 1) سقطت من ر ـ 2) ط : كفدان ـ 3) ط : وهساسة ، ق : خصاصة ـ 4) ق : في بني ـ 5) ط ق : فرحون ـ 6) ط ق : راسن ، ر : راسين .

1280 1) ق : والمدينة .

(1281)

ومدينة نكور بين رواب منها جبل يقابل المدينة يعرف بالمصلّى ، وبها جامع علَى أعمدة من خشب العرعار ، وهو والأرز [1] أكثر خشبها . ولها أربعة أبواب : في القبلة باب سليمان وبين القبلة والجوف باب بني ورياغل وفي الغرب باب المصلّى وفي الجوف باب اليهود . وسورها من اللبن وبها حمّامات كثيرة وأسواق عامرة مفيدة . وهي بين نهرين أحدهما نكور ومخرجه من بلاد كزناية من جبل بني كوين ، والثاني نهر غيس منبعثه من بلد بني ورياغل ، ومسافة مجرى كلّ نهر منهما إلَى مصبّه في البحر مسيرة يوم وبعض ثان . وعلَى نهريها الأرحاء . ومن جبل كوين أيضًا ينبعث النهر المعروف بنهر ورغة وهو (من مشهور أنهار أرض المغرب) [2] ، ويجتمع نهر نكور وغيس بموضع يقال له أكدال ، ثمّ يتشعّب هناك جداول . وفي طرف هذا الموضع رباط نكور . وعلَى نهر [3] غيس بنَى سعيد (بن صالح مسجدًا علَى صفة مسجد الإسكندرية بمحارسه وجميع منافعه . وعدوة غيس هذه) [4] يقال لها تاكراكرى [5] وهي منيعة وفيها يتناتج كراع آل صالح . وبين مدينة نكور وبين البحر خمسة أميال وهو في جوفيّها ـ وهي كثيرة البساتين والفواكه لاسيّما الكُمَّثرَى والرمّان . وقال أيّوب بن إبراهيم النكوري [وافر] :

أيا أمَلي الّذي أبغي وسؤْلي ... ودنياي الّذي أرجو وديني
أأحرم من يمينك ريّ نفسي ... ورزق الخلق في تلك اليمين
ويحجب عن يمينك لحظ طرفي ... ونور الأرض من ذلك الجبين
وقد جبت المهامة من نكور ... إليك بكلّ ناحية أمين

1) سقطت من ط ـ 2) ر : مشهور بأرض المغرب ـ 3) ق : وهو على نهر ـ 4) سقطت من ق ـ 1281
5) س ق ر : تاقراقرا ، ط : تاقوا .

(1282)

وكيل نكور يسمّونه الصحفة وهي خمسة وعشرون مدًّا بمدّ النبي صلعم ، ويسمّون نصف الصحفة السدس ، والرطل عندهم في جميع الأشياء اثنتان وعشرون أوقية ، وقنطارهم مائة رطل ، ودراهمهم عدد بلا وزن .

(1283)

والّذي أسّسها وبناها سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري ، وصالح بن منصور هو المعروف بالعبد الصالح وهو الّذي افتتحها زمان الوليد بن عبد الملك ودخل أرض المغرب في (الافتتاح الأوّل) [1] ، فنزل مرسَى تمسامان [2] علَى البحر بموضع يقال له بدكون [3] (بوادي البقر ، وبين مرسَى تمسامان ومدينة نكور عشرون ميلاً) [4] . وهو مرسًى صيفي لا يكنّ ، ويقابله مِنْ برّ الأندلس مدينة طونيانة [5] . وعلَى يديه أسلم بربرها وهم صنهاجة وغمارة ، ثمّ ارتدّ أكثرهم لمّا ثقلت [6] عليهم شرائع الإسلام وقدّموا علَى أنفسهم رجلاً يسمّى داود ويعرف بالرندي [7] وكان من نفزة [8] ، وأخرجوا صالحًا من البلد . ثمّ (تلافاهم الله) [9] بهداه وتابوا من شركهم وقتلوا الرندي واستردّوا صالحًا ، فبقي هنالك إلَى أن مات بتمسامان ودفن بقرية يقال لها الأقطَى علَى شاطئ البحر وقبره بها يعرف إلَى اليوم . وكان له من الولد المعتصم وإدريس أمّهما صنهاجية وعبد الصمد . فولّوا المعتصم ومكث فيهم يسيرًا ومات فولي (سعيد بن إدريس) [10] وهو الّذي بنَى مدينة نكور علَى ما تقدّم .

1283 1) ط : في زمان الوليد ــ 2) ط : بامساس ــ 3) ط : تذكرون ، ر : تذكون ، س : مذكون ــ 4) سقطت من ط ــ 5) ط ر : طوليانة ــ 6) ر : تغلب ــ 7) ر : الزيدي أو الزيري ــ 8) ط : نفزاوة ــ 9) ر : أفا الله عليهم ــ 10) ر : إدريس .

(1284)

وقد كان صالح بن منصور أنزل نفرًا من البربر موضعًا يحاذي مدينة نكور (في الضفّة الثانية من النهر ، وكانوا يقيمون هناك سوقًا ، فنقلهم سعيد إلَى المدينة الّتي أسّسها . وغزا المجوس ـ لعنهم الله ـ مدينة نكور) [1] سنة أربع وأربعين ومائتين ، فتغلّبوا عليها وانتهبوها وسبوا من فيها إلاّ (من خلصه الله بالفرار) [2] . وكان فيمن سبوا أمة الرحمان وختعولة ابنتا واقف بن المعتصم ، ففداهما الإمام محمّد بن عبد الرحمان . وأقامت المجوس بمدينة نكور ثمانية أيّام .

(1285)

وقامت البرانس علَى سعيد بن إدريس وقدّموا علَى أنفسهم رجلاً يسمّى سكن وتألّبوا عليه من كلّ جهة [1] وغزوه في عقر [2] داره ، فأظهره الله عليهم وهزمهم وقتل رئيسهم وافترق جمعهم ورجع من بقي منهم إلَى الطاعة . ومات سعيد بن إدريس بعد أن ملكهم سبعًا وثلاثين سنة وولي ابنه صالح بن سعيد . وكان لسعيد من الولد منصور وحمود وصالح وزيادة الله والرشيد وعبد الرحمان الشهيد [2] ومعاوية وعثمان وعبد الله وإدريس . وكان عبد الرحمان فقيها بمذهب مالك وحجّ أربعًا وعبر إلَى الأندلس للجهاد [2] ، فقطع عليه ابن حفصون الطريق [3] فقتل من كان معه وتخلّص عبد الرحمان علَى فرسه وحضر غزوة أبي العبّاس القائد واستشهد فيها .

1284 1) سقطت من ر ـ 2) عن س ر ، وفي سائر المخطوطات : من خلصه الفرار.

1285 1) ر : وجه ـ 2) سقطت من ق ـ 3) سقطت من ر .

(1286)

وقام علَى صالح أخوه إدريس في بني ورياغل وكزناية ، فالتقوا بجبل كزناية المعروف بكوين ، فانهزم صالح وانتهب إدريس معسكره واستمرّ إلَى مدينة نكور ليدخلها ، (فامتنعوا عليه ومنعه خليفة صالح عليها ، فقال له) [1] : إنّ صالحًا قد قتل ، فقال [2] : إذا صحّ عندي [3] ذلك لم أدافعك . فلمّا لم يجد عندهم ما يريد نزل الجبل المطلّ علَى المدينة ، وأتى صالح في جوف الليل في (خاصّة من) [4] أصحابه فدخل المدينة . فلمّا كان من الغد أقبل إدريس علَى فرسه وعليه درعه وهو لا يعلم بأمر أخيه ، فأدخلوه المدينة فأرجله فتيان صالح عن دابّته وأتوا به صالحًا أخاه . فأمر بحبسه في داره . ثم أشار عليه قاسم الوسناني صاحب صاع والكدية بقتله وألحّ عليه في ذلك ، فأمر الموالي بقتله فامتنعوا ، فأمر فتًى من فتيانه يقال له عسلون فقتله .

(1287)

وامتنعت مكناسة علَى صالح وحبسوا مغارمهم ، فكتب إليهم يوعدهم فختم الكتاب وأدخله في مخلاة وشدّها علَى حماره وبعثه مع ثقة من ثقاته وقال له : إذا توسّطت بلاد مكناسة فاترك الحمار بما عليه وانصرف . ففعل فأصابت [1] مكناسة حمار صالح وكان معروفًا بينهم وأخذوا المخلاة . فلمّا قرأوا الكتاب ائتمروا علَى عقر الحمار والتمادي علَى امتناعهم . ثمّ انصرف رأيهم إلَى جمع ما كان عليهم لصالح ، فجمعوه وجلّلوا الحمار بملحفة مروية [2] وأتوا صالحًا بالحمار مجلّلاً ومغارمهم موفاة (واستعتبوه فأعتبهم) [3] . ومات صالح بن سعيد بعد أن ملك ثمانية وعشرين عامًا .

1286 1) ق : فامتنع عليه عَلف صالح فقيل له ـ 2) ر : فقالوا له ـ 3) ر : عندنا ـ 4) ق : خاصته مع .

1287 1) ر : بأصحاب أهل ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : واستعفوه فعافاهم .

(1288)

فولوا ابنه سعيداً وكان أصغر ولده . فلمّا توطّد له الأمر واستوسق دخل عليه عبيدهم الصقالبة فسألوه العتق فقال لهم : أنتم جندنا وعبيدنا وأنتم كالأحرار [1] ، لا تدخلون في المواريث ولا تجري عليكم المقاسم [2] فما طلبكم للعتق ؟ فألحّوا عليه في ذلك فأبى ، فناله منهم جفاء وغلظة [3] وقدّموا أخاه عبيد الله وعمّه الرضَى المكنّى بأبي علي وزحفوا بهما إلَى القصر ، فحاربهم سعيد من أعلَى القصر بالفتيان والنساء حتّى انهزموا . وقامت عليهم العامّة فأخرجوهم إلَى قرية فوق المدينة تعرف بقرية الصقالبة ، فتحصّنوا بها سبعة أيّام ، وحشر سعيد وخرج إليهم وظفر بهم بعد حرب شديدة . وكان الرضَى عمّه وصهره كانت ابنته طالت تحته فحبسه مع أخيه عبيد الله وقتل من خرج معهما من بني عمّه ، منهم الأغلب وأبو الأغلب . ثمّ وكل بأخيه عبيد الله من أوصله إلَى مكّة فأقام بها حتّى مات .

(1289)

فامتعض سعادة الله بن هارون ، وهو ابن عمّ الأغلب ، لقتل [1] ابن عمّه وقال : قتل سعيد ابن عمّي وأبقَى عمّه وأخاه وذنبها واحد . فألّب عليه (بنو يصليتن) [2] أصحاب جبل أبي الحسن ، ثمّ عقد أمره معهم وسعادة الله مع سعيد بنكور وهو لا يعلم . فلمّا أعلن (بنو يصليتن) [3] بالخلاف علَى سعيد جمع أصحابه وخرج إليهم ومعه سعادة الله . فلمّا التحمت الحرب تحيّز سعادة الله فيمن تبعه إلَى بني يصليتن وخذل سعيداً ، فانهزم سعيد [2] وأخذت بنو يصليتن بنوده وطبوله وقتلوا من مواليه نحو ألف رجل وأتوا مع سعادة الله حتّى حاصروه بنكور . فكانت لسعيد الكرّة عليهم فهزمهم وأسر ميمون بن هارون أخا سعادة الله وقتله [4] . وسار سعادة الله إلَى تمسامان

1288 1) من هنا نقص في ط ـ 2) ر : المقسم ـ 3) س ق ر : وشدّة .

1289 1) ر : لقتال ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : أصحاب جبل بني الحسن ـ 4) سقطت من ر ـ

وخرق سعيد دوره وخربها ، ثمّ (صالح سعيدًا) [4] ، فانصرف إلَى نكور ، وكان شجاعًا بئيسًا . فخرج سعادة الله [5] بعد ذلك في خاصّته إلَى بلاد بطوية وبني ورتدي ، فأدخلوه قلوع جارة ونهد [6] بهم إلَى مرنيسة وزناتة ، فقتل [7] فاستملك [8] له جميع ذلك البلد . وانصرف سعادة الله إلَى مدينة نكور ، فأقام بها مصافيًا لسعيد .

(1290)

وتزوّج أحمد بن إدريس بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضه أخت سعيد أمّ السعد [1] بنت صالح وابتَنى بها وسكن معها مدينة نكور إلَى أن مات . ولمّا تغلّب عبيد الله الشيعي كتب إلَى أهل المغرب يدعوهم إلَى الدخول في طاعته والتديّن [2] بإمامته وكتب بمثل ذلك إلَى سعيد بن صالح وكتب بأسفل كتابه أبياتًا كثيرة ، منها [طويل] :

فإن تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا عنّي أر قتلكم عدلا
وأعلو بسيفي قاهرًا لسيوفكم وأدخلها عفوًا وأملؤها قتلا

فأجاب رجل من شعراء الأندلس من أهل طليطلة أمره يوسف بن صالح وتلقّب بالأحمس وكان شاعر آل [3] صالح في ذلك العصر بأبيات كثيرة ، منها [طويل] :

كذبت وبيت الله لا تحسن العدلا ولا علم الرحمان من قولك الفضلا

1289 5) سعادة الله : عن ر ــ 6) ر : وزحف ــ 7) ر : فقتلهم ــ 8) ص ج : فاستغلك ، ق : فاستعاد .

1290 1) ر : الصاعد ــ 2) ر : والتديين ــ 3) سقطت من ق ر .

فما كنت إلاّ جاهلاً ومنافقا تمثّل للجهال في السنّة المثلا
وهمّتنا العليا لدين محمّد وقد جعل الرحمان همّتك السفلى

(1291)

فكتب عبيد الله الشيعي إلَى مصالة بن حبوس عامله علَى تيهرت يأمره بالمسير إلَى بلد نكور ومحاربة سعيد بن صالح ، فخرج مصالة لذلك من تيهرت غرّة ذي الحجّة سنة أربع وثلاثمائة فنزل من مدينة نكور علَى مسيرة يوم بموضع يقال له نسافت ، فخرج إليه سعيد بن صالح فحاربه ثلاثة أيّام مكافيًا له . وكان مع سعيد رجل من شجعان البرابر وأعلامهم يقال له حمد [1] بن العياش من بني يطوفت دعته نفسه إلَى أن يقصد محلّة مصالة فيفتك به ، فوافَى المحلّة في سبعة فوارس واقتحم علَى مصالة ، فتصايح الناس فكاثروهم [2] ، فأُخذ حمد أسيرًا ومن معه ، فأمر مصالة بضرب أعناقهم فقال حمد : ليس مثلي يقتل . قال مصالة : ولِمَ ؟ قال : لأنّك لا تطمع في سعيد إلاّ بي وعلَى يدي . فاستبقاه وقرّبه وألطف مكانه حتّى أنس به . ثمّ أعطاه (قطعة من العسكر) [3] فقصد بها من جانب كان يعلم الغرّة به حتّى دخل عسكر سعيد من المأمن ومن حيث لا يظنّ به ، ففرق جمعه وغشي سعيدًا ما لم يتأهّب له وتتابعت عليه العساكر ، فنظر أمرًا لا يستطيع المقام عليه ، فبعث إلَى مدينة نكور فأخرج كلّ ما كان في قصره وما معهم وصاروا بجزيرة في مرسَى نكور ومعهم صالح بن سعيد وإدريس والمعتصم ابنا سعيد أخواه .

1291 1) ر : أحمد (وكذا دائمًا) ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : جيشًا .

(1292)

وظاهر سعيد بين درعين هو وفتيانه وخاصّته وقاتل حتّى قتل واستبيح [1] عسكره . ودخل مصالة مدينة نكور (يوم الخميس لثلاث خلون من المحرّم سنة خمس وثلاثمائة وانتهب مدينة نكور) [2] وسبى النساء والذرية وبعث بالفتح إلى عبيد الله وبعث برأس سعيد بن صالح [3] ومنصور بن إدريس بن صالح وغيرهم من بني صالح بن منصور ، فطيف بها في مدينة القيروان ونصبت بمدينة رقّادة . وفي ذلك يقول أبو جعفر أحمد بن المروذي في أرجوزة [رجز] :

لمّا طغَى الأرذل وابن الأرذل ... في عصبة من الطغام [4] الجهّل
قال نكور دون ربّي معقلي [5] ... أتاه محتوم القضاء الفيصل
من الإله كالحريق [6] المشعل ... فحلّ أرضًا طال ما لم تحلّل
حطّم أهل كفرها بالكلكل ... وجاء رأس رأسها المبذّل
علَى القنا من الرماح الذبّل ... ذو لمّة شاعثة لم تغسل
ولحية غبراء لم ترجّل

(1293)

وركب من نجا من ذرية سعيد بن صالح وأهله البحر من مرسَى نكور ونزلوا مالقة وبجانة [1] ، فأمر عبد الرحمان بن محمّد الناصر لدين الله بإنزالهم والتوسّع لهم وحباهم بالكساء الرفيعة والصلات الجزلة [2] وخيّرهم بين المقام بدار مملكته أو المقام بمالقة ، فاختاروا المقام بمالقة لقربها من بلدهم ورجائهم

1292 1) ر : واستباح – 2) سقطت من ر – 3) س ر : ورأس محمّد بن عبدالله بن صالح – 4) ر : الطغاة – 5) ر : مال إلى نكور دون معقلي – 6) ر : كالغريق .

1293 1) ر : وبجاية – 2) ر : والصلة الجزيلة –

العودة إليه . وتكرّر مصالة في البلد نحو ستّة أشهر ، ثمّ استخلف عليه رجلاً من أصحابه (يقال له دلول) [3] وانصرف إلى تيهرت ، فافترق عن دلول من كان معه من المشارقة وبقي في قليل من أصحابه . فلمّا صحّت الأنباء بذلك عند بني سعيد أزمعوا الانصراف إلَى بلدهم ثقة بمحبّة رعيّتهم لهم وميلهم إليهم ، فاتّفقوا علَى ركوب البحر (في مراكب مختلفة ، فمن وصل منهم قبل صاحبيه [4] فالولاية له ، وهم إدريس والمعتصم وصالح . فركبوا البحر من مالقة [5] في ليلة واحدة (ووقت واحد وريح واحدة) [6] ، فوصل أصغرهم سنًّا صالح بن سعيد إلَى مرسَى نكور من ليلته وأصبح له بالمرسَى المعروف بوادي البقر بتمسامان . فتسامع البربر بقدومه فتسارعوا إليه من كلّ جانب وأتوه من كلّ جهة وعقدوا له الأمرة ولقبوه باليتيم لصغره وزحفوا إلَى دلول فأخذوه وجميع أصحابه فصلبوهم أجمعين علَى ضفّتي نهر نكور .

(1294)

وكتب صالح بالفتح إلَى عبد الرحمان بن محمّد ، فقُرِئَ كتابه بجامع قرطبة ونسخه في سائر [1] بلاد الأندلس ، وأمر بإمداد آل [2] صالح بما يجلّ من الأخبية الشريفة والآلة العجيبة والكساء الرفيعة والسروج والحلي والبنود والطبول والدروع وجميع السلاح حتّى عوّضهم [3] الله عزّ وجلّ أكثر ممّا زال عنهم . فتوطّد الملك لصالح بن سعيد واعتاق البحر أخويه شهرين يتردّدان [4] فيه ، ثمّ وصلا بعده إلَى نكور سالمين ، فسلّما له الأمر . ومات صالح بن سعيد بعد أن ملك عشرين سنة . ولم يزل آل صالح علَى السنّة والجماعة والتمسّك بمذهب مالك بن أنس رضه . وكان (صالح وابنه سعيد) [5] يصلّيان بالناس ويخطبان ويحفظان القرآن .

1293 3) سقطت من ق ـ 4) سقطت من ق ر ـ 5) ص ج : من ذلك الموضع ـ 6) سقطت من ر .

1294 1) ر : جميع ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : عاوضهم ـ 4) ر : يتردّدون ـ 5) ص ج : سعيد وأبوه صالح .

(1295)

فولي الأمر المؤيّد بن عبد البديع [1] بن صالح بن سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور . فزحف إليه موسى بن أبي العافية فحاصره حتّى تغلّب عليه ، فقتله واستباح المدينة وانتهبها [2] وهدم أسوارها وخرب ديارها ونسف آثارها وتركها بلاقع تسفي عليها الرياح وتعاوى فيها [3] الذئاب ، وبلغ منها ما لم يبلغ بعضه مصالة بن حبوس ، وذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

(1296)

ثمّ ولي أبو أيوب إسماعيل بن عبد الملك بن عبد الرحمان بن سعيد بن إدريس بن صالح ، فبنَى المدينة القديمة الّتي أسّسها صالح بن منصور وعمّرها وأعاد السوق فيها وسكنها [1] إلَى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة . ففيها أخرج أبو القاسم الشيعي صاحب إفريقية صندلاً الفتَى الأسود إلَى أرض المغرب مددا لميسور الفتَى إذ أبطأ خبره عليه . فخرج صندل من المهدية في جمادي الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، فوصل إلَى جراوة الحسن بن أبي العيش فاستراح فيها أيّامًا ، ثمّ سار إلَى هراس وكتب إلَى إسماعيل بن عبد الملك صاحب نكور يأمره بالقدوم عليه وقد كان خرج من نكور وصار بقلعة أكرى [2] . فبعث إليه رسلاً وكتب أنّه في الطاعة ، فلم يرض منه صندل بذلك وبعث إليه رسلاً يستحثّونه في المسير إليه ، فقتلهم إسماعيل عن آخرهم . فلمّا أتى صندلاً خبر قتلهم زحف إلَى قلعة أكرى فنزل قريبًا منها بموضع يقال له نسافت ، وهو الموضع الّذي قَتل فيه مصالة بن حبوس سعيد بن صالح . فغلب صندل علَى القلعة بعد قتال ثمانية أيّام ومعارك قتل في آخرها إسماعيل وأكثر أصحابه ، وذلك يوم الجمعة في شوال من السنة

1295 1) ر : عبدالربيع ـ 2) ر : واستباح عسكره وانتهب المدينة ـ 3) ر : وتعوي عليها .

1296 1) سقطت من ق ـ 2) ص س ر : أقرى ـ

المذكورة . وغنم صندل كلّ من كان في القلعة من نساء إسماعيل وقرابته وأخذ له ولدين (3) طفلين ، وولّي علَى المدينة رجلاً من كتامة اسمه مرمازو ، وصار إلَى صاحبه ميسور وهو علَى فاس يحاصرها .

(1297)

وكان موسَى بن المعتصم بن محمّد بن قرّة بن المعتصم بن صالح بن منصور - وموسَى هو المعروف بابن رومي - بجبل أبي الحسن مع بني يصليتن . فلمّا زال صندل تراجع أهل نكور وقدّموا علَى أنفسهم ابن رومي وقتلوا مرمازو وجميع من كان معه وبعثوا برأس مرمازو وجميع أصحابه إلَى أمير المؤمنين عبد الرحمان بن محمّد . وقام علَى موسَى ابن رومي عبد السميع بن جرثم بن إدريس بن صالح (بن إدريس بن صالح بن منصور ، فأخرجه من بلد نكور ، وذلك سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . فصار موسَى إلَى الأندلس ونزل بجانة (1) بأهله وولده ومعه أخوه هارون بن رومي ، ونزل بمالقة ابنا عمّه جرثم بن أحمد ومنصور بن الفضل . ثمّ استدعَى أهل نكور جرثم بن أحمد بن محمّد بن زيادة الله بن سعيد بن إدريس بن صالح) (2) ، فعبر البحر إليهم فولّوه علَى أنفسهم ، وذلك سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة ، وكان بها إلَى ذي الحجّة سنة ستّين .

(1298)

وتوالت الولاية هناك في بني جرثم إلَى سنة عشر وأربعمائة ، فغلبت عليهم أزداجة وانتقل بنو جرثم إلَى مالقة . ثمّ انتقلت أزداجة إلَى بلدهم بناحية وهران ورجع بنو جرثم إلَى بلد نكور وهي مدينة المزمّة . ثمّ غلب علَى بلد

1296 3) سقطت من ر .

1298 1) ر : بجاية — 2) سقطت من ق .

نكور يعلَى بن الفتوح الأزداجي وأخرج [1] بني جرثم من جميع بلاد نكور ، وهي اليوم بأيدي ذرية يعلَى بن الفتوح ، وذلك سنة ستين وأربعمائة .

(1299)

ويلي مرسَى تمسامان المذكور إلَى الشرق مرسَى كَرَط وهو غير مكنّ ، وفيه آبار ، بينهما خمسة عشر ميلاً . ويقابله من برّ الأندلس مرسَى قرية بلس ويقطع الغدير بينهما في يوم وليلة . ويليه إلَى جانب الشرق طرف هرك بينهما عشرة أميال تشتّي فيه المراكب الصغار ، وله أحساء . ويقابله من برّ الأندلس مرسَى شاط [1] . ويقطع [2] الغدير بينهما في مجرى ونصف . ويليه إلَى الشرق جون بين طرف هرك ومدينة مليلة . ويقابل هذا الجون من برّ الأندلس مرسَى المنكّب [3] بينهما مجريان . ويليه إلَى جانب الشرق مرسَى مليلة ، ونهرها يريق في البحر بينه وبين طرف هرك (مسيرة أميال) [4] . ويقابله من برّ الأندلس مرسَى مدينة شلوبينية [5]

(1300)

فأما الطريق من مدينة نكور إلَى مدينة القيروان فمن نكور الى بني يصليتن علَى نهر تمسامان ومنها إلَى نهر قرط مرحلة ، ثمّ إلَى قلوع جارة مرحلة ، إلَى وادي ملوية مرحلة ، (إلَى مدينة جراوة مرحلة) [1] . فذلك ستّ مراحل . ثمّ الطريق كما تقدّم .

1298 1) ق : وأخرجوا .

1299 1) ر : شاطبة ـ 2) ق : ويقع ـ 3) ر : المركب ـ 4) س ق ر : مسيرة ليال ، سقطت من ص ج ـ 5) ق : شلوبينة ، ر : شلوبية .

1300 1) سقطت من ق .

(1301)

ويجاور بلد نكور بلد غمارة فمنه مجكسة . وتنبأ بذلك الصقع أبو محمّد حاميم بن منّ الله بن حريز بن عمرو بن وجفوال (بن وزروال) [1] الملقّب بالمفتري . وببلد مجكسة جبل حاميم المنسوب إليه ، وهو علَى مقربة من مدينة تيطاوان . وأجابه بشر كثير أقرّوا بنبوّته ، وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون علَى بطون أكفّهم ، ووضع لهم قرآنًا بلسانهم ، فممّا ترجم منه بعد تهليل يهلّلونه : حلّني من الذنوب يا من يحلّ البصر [2] ينظر في الدنيا ، حلّني من الذنوب يا من أخرج موسَى من البحر . ومنه : آمنت بحاميم وبأبي خلف - يريدون أبا حاميم وكذلك كان يكنَّى - وأمن رأسي وعقلي وما أكنّه صدري وما أحاط به دمي ولحمي ، وآمنت بتَانْقِيت ، وهي عمة حاميم أخت أبي خلف (منّ الله) [3] وكانت كاهنة ساحرة ، (وكانت لحاميم أيضًا أخت تسمّى دجّو وكانت ساحرة كاهنة) [4] من أجمل الناس وكانوا يستغيثون إليها في كلّ حرب وضيق ويزعمون أنّهم يجدون نفعها [5] . وفرض عليهم صوم (الخميس كلّه ويوم الأربعاء إلَى الظهر ، فمن أكل فيهما غرم خمسة أثوار [6] لحاميم . ووضع لجميعهم صوم) [7] سبعة وعشرين يومًا من رمضان وأبقَى فرض صوم ثلاثة أيّام ويوم الفطر الرابع وجعل عيدهم في الثاني من الفطر . وفرض زكاتهم العشر من كلّ شيء وأسقط عنهم الحجّ والطهر والوضوء وأحلّ لهم أكل أنثَى الخنازير وقال إنّما حرم ذكورها ، وذلك في قرآن محمّد صلعم . وحرّم عليهم الحوت حتّى يذكّى وحرّم عليهم البيض من جميع الطير . وأنشد أبو العبّاس فضل بن مفضّل بن عمر المدحجي لعبد الله بن محمّد المكفوف الطنجي يهجو حاميم ويذكر فسقه [طويل] :

وقالوا افتراء إنّ حاميم مرسل ... إليهم بدين واضح الحقّ باهر

1301 1) سقطت من ر - 2) ق : بالبصر - 3) ر : من أبيه - 4) عن ص ق - 5) ق : نفعًا - 6) ر : أثواب - 7) سقطت من ق .

فقلت كذبتم بدّد الله شملكم فما هو إلاّ عاهر وابن عاهر
فإن كان حاميم رسولاً فإنّني بإرسال حاميم لأوّل كافر
رووا عن عجوز ذات أفك فهيمة تفاوق في أسحارها كلّ ساحر
أحاديث إفك حاك إبليس نسجها يسرّونها والله مبدي السرائر

(1302)

وقتل حاميم المفتري بمصمودة الساحل من أحواز طنجة سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، وكان له من البنين محمّد وبه كان يكنّى وعبد الله وعيسَى . ودخل عيسَى الأندلس زمان عبد الرحمان بن محمّد . ولعيسَى في بلادهم قدر ويعرف بابن المفتري . وبنو وجفوال [1] رهط حاميم ينزلون علَى نهر رأس [2] ، وهو علَى ثلاثة أميال من مدينة تيطاوان [3] . وكان في بعض جبال مجكسة رجل من السحرة المهرة [4] يعرف بأبي كسية ، وكان أهل موضعه يسمعون منه ولا يعصونه طرفة عين ، وإذا عصاه أحد أو خالفه حوّل كساه الّذي يلتحف فيه فتصيب ذلك الرجل [5] عاهة لحينه أو جائحة ، وإن كانوا جماعة أصابهم مثل ذلك . وكان يخيّل إليهم كأنّ [6] برقة تلوح من تحت كسائه . ولبنيه وعقبه حتّى الآن مزية في تلك الناحية ومنزلة وحظوة علَى من سواهم .

(1303)

ومن أعاجيب بلد غمارة إمرؤ بوحلاوت [1] وكان في بني شداد منهم ، وكان معه [2] عدل مملوء برؤوس الحيوان وأنيابها من برّيها وبحريها قد نظّمها في حبل واتّخذها كالسبحة ، فإذا سأله أحد عن (شيء من الحدثان) [3] وما هو كائن علّق منه تلك السبحة وقلّده إيّاها ، ثمّ (قلقلها عليه) [4] وانتزعها

1302 1) ر : ورجفوال ـ 2) س ر : أراس ـ 3) ق : تيطوان ـ 4) سقطت من ق ـ 5) ر : الإنسان ـ 6) سقطت من ر .

1303 1) ر : أبوحلاة ، س : وحلاوات ـ 2) ق : عنده ـ 3) ق : الحدث ـ 4) ر : علقها على نفسه ـ

وجعل يشمّها قطعة قطعة إلَى أن تمسك في يده ما أمسك منها ، ثمّ طفق[5] يخبره خبره وما الّذي سأله عنه وعمّا يدور له من مرض أو موت أو ربح أو خسارة أو إقبال أو إدبار (أو عبرة أو غير ذلك)[6] فلا يكاد يخطئ .

(1304)

ومن أعاجيب بلد غمارة أنّ عندهم قومًا يعرفون بالرقّادة وهم في وادي لو عند بني سعيد وعند بني قطيطن وعند بني يروتن يغشَى علَى الرجل منهم يومين وثلاثة فلا يتحرّك ولا يستيقظ ، ولو بلغ به أقصَى مبلغ من الأذى ولو قطع قطعًا ، فإذا كان بعد ثلاثة من غشيته استيقظ كالسكران ويكون يومه ذلك كالواله لا يتّجه لشيء (ولا يخبر بشيء)[1] . فإذا أصحّ[2] في اليوم الثاني أتى بعجائب ممّا يكون في ذلك العام من خصب أو جدب أو حرب[3] أو غير ذلك ، وهذا أمر مستفيض لا يخفَى .

(1305)

وأخبرني غير واحد أنّه رأى بمرسَى باديس رجلاً قصير القامة مصفرّ اللّون يكرمه أهل ذلك الموضع ويقدّمونه ويذكرون أنّه ينبط المياه في المواضع الّتي لا يعهد فيها ماء عيونًا وآبارًا ، وأنّه يخبر بقرب الماء وبعده ، وأنّه إنّما يستدلّ[1] علَى ذلك باستنشاف هواء ذلك الموضع لا غير .

1303 5) سقطت من ر ـ 6) ر : أو حبرة أو عبرة .

1304 1) عن ر ـ 2) ر : أضبح ـ 3) سقطت من ر .

1305 1) ق : يسدلّ .

(1306)

والموارية [1] عند أهل غمارة كلّها كثيرة متعارفة يفخر [2] بها نساؤهم ، وذلك أنّ الرجل إذا دخل بامرأته البكر واربها شباب أهل ناحيتها فاحتملوها وأمسكوها [3] عن زوجها شهرًا أو أكثر ، ثمّ يردّونها . وربّما فعل ذلك بها مرارًا علَى قدر جمالها وبمقدار الرغبة فيها (تفضّل لذاتها) [4] . ولا يتمّ إكرام الضيف عندهم إلاّ بأن يؤنّسوه بنسائهم الأيامَى منهنّ ، يبيت الرجل مع ضيفه أخته الشيب أو بنته أو من لم تكن ذات زوج من نسائه . ولا يتركون ذا عاهة يستقرّ ببلدهم ويقولون إنّه يفسد النسل . وهم يرغبون في الرجل الجميل الشجاع ، وهم مخصوصون بالجمال ولهم شعور يسدلونها كشعور النساء ويتّخذونها ضفائر ويطيبونها ويتعمّمون [5] بها .

ذكـر مدينـة سبتـة

(1307)

وهي علَى ضفّة البحر الرومي وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط ، وهي في طرف من الأرض داخل (من الغرب إلَى الشرق) [1] ضيّق جدًّا والبحر محيط بها شرقًا وشمالا [2] وقبلة ، ولو شاء ساكنوها أن يوصلوه من ناحية الشمال لوصلوه فتكون جزيرة منقطعة . وقد حفر من تقدّم في ذلك الموضع نحو غلوتين . وهي مدينة كبيرة مسوّرة بسور صخر محكم البناء بناه عبد الرحمان الناصر لدين الله . وحمّاماتها يُجلب الماء إليها علَى الظهر من البحر . وبمدينتها حمّام قديم يعرف بحمّام خالد . ولها ربض من جانب الشرق فيه ثلاثة

1306 (1) ر : والموارفة ــ 2) ر : يخبر ــ 3) ر : يمسكونها ــ 4) سقطت من ر ــ 5) في المخطوطات : يتهمّمون .

1307 (1) س ر : من المشرق إلى المغرب ــ 2) س ق ر : وغربًا ــ

حمّامات ، وجامعها علَى البحر القبلي المعروف ببحر بسول له خمسة بلاطات وفي صحنه جبّان . ولها مقبرة في الجبل (مطلّ علَى البحر) [3] ومقبرة أخرى بجوفيّها علَى بحر الرملة . وأهلها عرب وبربر ، فعربها تنسب إلَى صدف وبربرها من ناحية أصيلة والبصرة ، ولم تزل دار علم . وبشرقيّ مدينتها جبل منيف كان محمّد بن أبي عامر ابتدأ فيه بناء سور لم يتمّ ، وهذا الجبل مطلّ علَى الربض المذكور الّذي فيه الحمّامات ، وما بينهما كروم . ودار الإمارة في جوفيّ المدينة . وطولها من السور الغربي الّذي يدخل منه إلَى المدينة قاطعًا إلَى الشرق إلَى آخر الجزيرة خمسة أميال ، والمدينة في الجانب الغربي منها . ولسورها الغربي تسعة أبراج والباب في البرج الأوسط . وبين يدي هذا السور سور لطيف يستر الرجل ويتّصل به خندق عميق عريض عليه قنطرة خشب أمامها بستان وآبار ومقبرة . والسور القبلي علَى أجراف عالية ، والشرقي والجوفي فيه تطامن . ولها باب ثان ممّا يلي الجوف في برج يعرف ببرج سابق يدخل منه إلَى دار الإمارة ، وذرع المدينة من السور الغربي إلَى الشرقي ألفان وخمسمائة ذراع وذرع ما يأخذه ثقاف الربض المتّصل بالسور الغربي سبعة آلاف وأربعمائة ذراع .

(1308)

وهي مدينة قديمة سكنها الأوّل وبها آثارهم بقايا كنائس وحمّامات ، وماؤها مجلوب من نهر أويات مع ضفّة البحر القبلي [1] في قنا إلَى الكنيسة الّتي هي اليوم الجامع .

1307 3) عن ر .

1308 1) ر : الغربي .

(1309)

وكان صاحبها أليان ، وهو الّذي أجاز طارق بن زياد وأصحابه إلَى الأندلس . فلمّا غزا عُقبة بن نافع القرشي أرض المغرب وصار إلَى سبتة خرج إليه أليان بهدايا وتحف ورغب إليه في الأمان ، فأمّنه وأقرّه في موضعه . ثمّ دخلها العرب بعد ذلك بالصلح وعمّروها . ثمّ قام عليهم برير طنجة فأخرجوهم منها وأقفروها ، فبقيت خرابًا يعمرها الوحش مدّة . ثمّ دَخلها رجل من غمارة يسمّى ماجكن وكان مشركًا ، فعمّرها وأسلم ورأس فيها . ثمّ وليها بعد هلاكه ابنه عصام ، ثمّ ابن ابنه مجبّر [1] بن عصام . وفي دولتهم دخلها قوم كثير من أهل قلشانة أيام المحل [2] ، فاشتروا من البربر وبنوا فيها واستوطنوها ، وكانوا مع ذلك يؤدّون الطاعة إلَى قريش العدوة من الحسنيين حتّى افتتحها عبد الرحمان الناصر لدين الله ووليها الرضَى بن عصام [3] بعد موت أخيه مجبر [4] ودخلها عامله وقائده فرج بن عفير يوم الجمعة في صدر ربيع الأوّل سنة تسع عشرة .

والمسلك من سبتة إلَى طنجة علَى طرق ، وهي مساكن قبائل مصمودة كلّها .

ذكر طنجة

(1310)

فأمّا كورة طنجة فهي مساكن صنهاجة ، وطريق الساحل من مدينة سبتة إلَى طنجة تخرج من المدينة في بسيط تعمره نحو ميل ، ثمّ تدخل في حدّ بني

1309 1) ق : جبير ، ر : محمّد – 2) ر : المهل – 3) ق ر : الراضي بن عاصم – 4) ق : جبر ، ر محمّد .

سمغرة [1] وهم أهل جبل مرسَى موسَى ، ثمّ تخرج إلَى (وادي مدينة اليمّ) [2] والقصر الأوّل ، (وبطون مصمودة تتشعّب من أربع قبائل : دغاغ وأصادة وبني سمغرة وكتامة ، وبطون صنهاجة تفترق من قبيلتين : من قار بن صنهاج وحزمار بن صنهاج . وفي القصر الأوّل) [3] سكنَى بني طريف وحوله غراسات كثيرة . وتدخل المراكب في هذا الوادي إلَى حائط القصر ، وبين مخرج هذا الوادي وموقعه في البحر نحو سكّتين ، ومن سبتة إلَى هذا القصر مرحلة ، ومن القصر إلَى طنجة مرحلة .

(1311)

قال محمّد بن يوسف : إذا خرج الخارج من طنجة إلَى سبتة في البحر فإنّه يأخذ إلَى جانب الشرق ، وأوّل ما يلقَى جبل المنارة ، ثمّ مرسَى باب اليمّ وهو غير مكنّ وفيه سكنَى ورباط ووادٍ لطيف يريق في البحر ، وبين طنجة وبينه ثلاثون ميلاً في البرّ وفي البحر نصف مجرى . ويقابل باب اليمّ من جزيرة الأندلس مرسَى جزيرة طريف وبينهما ثلث مجرى [1] . ثمّ يلقَى [2] بعد باب اليمّ (وادي زلول [3] عليه ثمار وعمارة كثيرة . ثمّ وادي باب اليمّ) [4] يصبّ في البحر ، حوله بساتين وعليه سكنَى وعمارة لمصمودة . ثمّ حجر نابت في البحر يعرف بالمبخة [5] . ثمّ مرسَى موسَى ، وهو مرسَى مأمون (مشتَى إلا من اللبش) [6] ، وفيه نهر يريق في البحر . وكان عليه حصن هدمه بنو محمّد ومصمودة سنة اثنتين وثلاثمائة ، ثمّ بناه أمير المؤمنين الناصر فهدموه أيضًا سنة أربعين . وحول هذا الحصن في غربيّه قبائل من البربر في ساحل رمل فيه ماء طيّب وهو متصيّد أهل سبتة . وبين مرسَى موسَى ومرسَى باب اليمّ في البرّ ثمانية أميال . وبإزاء مرسَى موسَى (من برّ الأندلس بورت لبّ ويقطع الغدير بينهما في نصف مجرى . ومرسَى موسَى) [7] موضع [8] أكثر بقع الأرض

1310 1) ر : سخمرة ـ 2) ق : مدينة وادي اليم ـ 3) سقطت من س .

1311 1) ر : ثلاث مجاري (كذا) ـ 2) ر : يلي ـ 3) ق ر : ذلول ـ 4) سقطت من س ـ 5) س ق ر : بالمطبخة ـ 6) ر : شتوي ، س ق : إلا من اللباج ـ 7) سقطت من ر ـ 8) عن ر ـ

قردة وهي تحكي ما ترى من فعل مَن مرّ بها [9] من الناس ، فإذا رأت النواتي يجذفون في القوارب [10] أخذت عيدانًا وجعلت تحكي عملهم . ويليه مرسَى جزيرة تَوْرة [11] ، وفي برّه قرية تعرف بتورة [11] فنسبت الجزيرة والمرسَى إليها ، وهي جزيرة في البحر كهيئة جبل منقطع عن البرّ يقابلها في البرّ علَى شاطئ البحر أجراف عالية ، والمرسَى بينها وبين تلك الأجراف .

(1312)

ثمّ مرسَى بليونش ، وبليونش قرية كبيرة آهلة كثيرة الفواكه وبغربيّها نهر يريق في البحر عليه الأرحاء وبينه وبين مرسَى جزيرة تورة في البرّ خمسة أميال . ثمّ موضع يعرف بالقصر علَى خندق يجري فيه ماء كثير في الشتاء ويقلّ في الصيف ، وبهذا القصر آثار للأوّل من أقباء وغير ذلك . ثمّ موضع يعرف بماء الحياة ، عيون علَى ضفّة البحر منبعثة بين [1] أحجار من تحت شرف رمل طيّبة عذبة يصل إليها الموج وينبط الماء العذب في هذا الرمل بأيسر حفر . ويذكر أنّ بهذا الموضع نسي فتَى موسَى الحوت [2] ، ويوجد في ذلك الموضع خاصّة دون غيره حوت ينسب إلَى موسَى ، عرضه مقدار ثلثي شبر وطوله أكثر من شبر لحمه في أحد جانبيه والجانب الآخر لا لحم فيه إنّما جلدته علَى الشوك ، ولحمه طيّب نافع من الحصاة مقوٍّ للباه . ثمّ مرسَى لطيف يعرف بمرسَى دَنِّيل [3] ، بإزائه في البرّ قرية تعرف بهوارة [4] عامرة بها عيون عذبة . ثمّ حجر نابت في البحر [5] يعرف بحجر السودان . ثمّ مدينة سبتة .

1311 9) ر : يمرّ بهم ـ 10) ر : يخرجون القواب ، ق : يخرجون في البقراريب ـ 11) ر : التورية ، س : التوراة ، ق : التوارة .

1312 1) ق : على ، ر : في ـ 2) انظر سورة الكهف 61/18 ـ 3) ر : الدنيل ـ 4) ر : بعوارة ـ 5) س ق ر : في الزقاق .

[الطـريق من سبتـة إلَى تيطـاوان]

(1313)

وطريق البرّ من سبتة إلَى موقع وادي المناول [1] في البحر القبلي من سبتة ستّة أميال . ثمّ إلَى وادي نفزة [2] ، ومخرجه من جبل أبي جميل وعليه مساكن بني عفان بن خلف . وعلَى هذا النهر الموضع المعروف بالقصر ، وهو قصر للأوّل قائم فيه حمّام ، وعلَى هذا النهر آثار للأوّل كثيرة . ثمّ إلَى نهر أسمير [3] ومنبعثه من جبل الدرقة وجريته من الغرب إلَى الشرق ، وعلَى ضفّته قرارات لبني كرّات من مصمودة . ثمّ إلَى الموضع المعروف بقَبْ مُنْت ، وهو الجبل الداخل في البحر بقبلي سبتة يسكنه أيضًا بنو كرّات وبنو سكين . ثمّ إلَى نهر اليلَى ومنبعثه أيضًا من جبل الدرقة . ثمّ إلَى موضع يعرف بتاورص [4] قرية عبد الرحمان بن فحل من بني سكّين من مصمودة ، لها مزارع وأرضون (ومياه عذبة) [5] . ثمّ إلَى مدينة تيطاوان وهي بسفح جبل إشقار ، وهو متّصل بجبل الدرقة ويبلغ إلَى جبل رأس الثور إلَى مرسَى موسَى بالبحر الغربيّ .

(1314)

ومدينة تيطـاوان[1] علَى أسفل وادي راسن [2] ، (وقال محمّد وادي مجكسة) [3] ، وهذا النهر يتّسع هناك وتدخله المراكب اللطاف من البحر إلَى أن تصل تيطاوان . ومسافة ما بين البحر وبينها عشرة أميال . وهي قاعدة بني سكّين فيها قصبة للأوّل ومنار وبها مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء . وبجوفيّها جبل يعرف ببلاط الشوك يركب منه [4] لبني سكّين مائة فارس . وبين مدينة

1313 1) ر : المنازل ـ 2) ص : نجرو ، ج : الحروا ـ 3) ج : السمير ، ر : أشميل ـ 4) س ق : تاورص ، ر : تاورطي ـ 5) سقطت من ق .

1314 1) سقطت من ر ـ 2) ص : راس ـ 3) سقطت من ج ـ 4) عن ر .

تيطاوان وجبل الدرقة سكّة ، وهو قاعدة بني مرزوق بن عون من مصمودة وسكناهم منه بموضع يقال له صدينة ، قرية ذات مياه سائحة وهي أطيب تلك البلاد مزارع . وهذا الجبل في غاية المنعة وفي أعلاه مسارح واسعة ومروج خصبة للماشية . وهذه القرية المذكورة في قبليّ الجبل ، وبين القبلة والغرب منه الجبل المنسوب إلَى حاميم المفتري المتقدّم الذكر .

(1315)

وجبل الدرقة يتّصل ببلاد غمارة ويسكن آخره من غمارة بنو حسين بن نصر . ثمّ إلَى نهر راسن ، ومنبعثه من موضع يعرف بتيطسوان [1] من جبل بني حاميم . ثمّ إلَى سوق بني مغراوت [2] ، وهو آخر بلد مجكسة في غربي نهر راسن . ويجتمع هذه السوق يوم الثلاثاء وهي جامعة . ثمّ إلَى فجّ الفرس وبه قرارات لقبائل من مصمودة ويركب لهم (مائتا فارس) [3] . ثمّ إلَى مدينة ويناقام ، وهي كانت قاعدة حمّود بن إبراهيم ، وهي في سفح جبل ولها ثمار ومياه كثيرة علَى نهر سسهور ، (وهو بلد طيّب ، ومنبعث سسهور من) [3] جبل تامورات وهو من مساكن متنة من صنهاجة . وبين ويناقام وجبل الدرقة ميلان ، وهو ما بين الغرب والقبلة من المدينة ، وهو الجبل الّذي يمتنع فيه صنهاجة إذا خالفوا علَى الملوك . وبجبل الدرقة يتّصل جبل حبيب بن يوسف الفهري . وبين الدرقة وطنجة سكّتان .

1315 1) ر : بتيطاوان ــ 2) س : مغراب ، ر : مغوات ــ 3) سقطت من ق .

فأمّا الطريق من سبتة
إلَى مدينة تيقيساس [1]

(1316)

فإلَى نهر راسن كما تقدّم . ثمّ تدخل أرض غمارة . ثمّ تسير في بني جفو [2] . ثمّ في بني نفقاوة وهم من بني حميد من غمارة أيضًا وهم علَى نهر لاو ، وهو نهر كبير تجري فيه السفن ، ولهم نتاج معروف وخيلهم معروفة بالحميدية . ثمّ إلَى بني مسارة وهم السكّان حول تيقيساس وهم أيضًا من بني حميد .

(1317)

ومن المواضع المشهورة والمنازل المعمورة [1] ما بين سبتة وطنجة نهر أليان وقصر أليان فيه آثار للأوّل كثيرة . وفي غربي هذا النهر موضع يعرف بكروشت ، وهو آخر غمارة ومصمودة . ويتّصل بهم هناك متنة من صنهاجة . (ونهر الخليج وهو شرقي طنجة وموقعه في البحر تدخله المراكب . وجبل رأس الثور يسكنه قبائل كثيرة من مصمودة) [2] . ونهر مجاز الفروق [3] نهر كبير جدًّا ، ونهر فرميول وعنصره من جبل عين الشمس وجبل مترارة [4] ، وهو جبل وعر كثير الشجر والمياه . ومن هذا الجبل إلَى البحر المعروف بالزقاق وادي الرمل ، وهو كثير الثمرة طيّب المزارع . وعين الشمس عين ثرّة في قرية نصر بن جرو عامرة آهلة بها جامع وبساتين كثيرة وأسواق [5] ، ويوم سوقها يوم الجمعة . ومن سبتة إليها مرحلة . ويتّصل بعين الشمس جبل تارَملْيل قاعدة بني راسن لها قرارات حسان وبساتين ومسجد جامع ، وهي وسط بلد

1316 1) ص ج : تيجساس ، ر : قيساس ـ 2) ج : جعفر ، ر : رحضو .

1317 1) ج ر : المعروفة ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : الفرس ، ج : الفرو ـ 4) ص : مترازة ، ر :

مصمودة . وهذا الموضع يقابل [6] تيطاوان . ويتّصل هذا الجبل إلَى مدينة باب اليمّ إلَى البحر الغربي . وبجاز فكّان ، وهو موضع ملواثة [7] يركب لهم خمسمائة فارس . وهناك الموضع المعروف بالرصافة وكدية تافرغالت ، وفيها قرارات كثيرة لمتنة يركب لهم منها نحو ثمانين فارسا . ونهر أوربة ، وعنصره من قرية تعرف بالأقولس ، وحواليه أرضون كثيرة الربيع طيّبة الزرع وهي قنبانية [8] طنجة .

ذكـر مدينـة طنجـة
وتعـرف بالبربريـة وليلـي

(1318)

افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها وسبى من فيها ، وهي علَى شاطئ البحر المعروف بالزقاق مسوّرة متقنة البناء ، وهي محطّ السفن اللطاف لأنّ الريح الشرقية توذي [1] فيه ، وهي طنجة البيضاء القديمة المذكورة في التواريخ ، وفيها آثار للأوّل كثيرة . قصور وأقباء وغيران وحمّام ، وماؤها [2] مجلوب في قنا ورخام كثير وصخر منجور وتحفر خرائبها [3] فيوجد فيها أصناف الجواهر في قبور أوّلية وغيرها من المواضع . وهي آخر حدود إفريقية في الغرب ، وقيل إنّ عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وإنّ ملوك المغرب كانت دار مملكتهم مدينة طنجة وإنّ ملكًا من ملوكها كان في عسكره ثلاثون فيلاً [4] .

1317 متراوة ــ 5) عن ر ــ 6) ر : يقال له ــ 7) ج ص : ملواتة ، ق ر : ملوانة ــ 8) س ق : قنباية ، ر : فتيانة .

1318 1) ق : حوذي ــ 2) ص : وماء ــ 3) ر : وبحفر خرابها ــ 4) ر : ميلاً .

(1319)

ومسافة ما بين مدينة القيروان وطنجة ألف [1] ميل . وقد غلب علَى مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم فوقها . وهناك جامع حسن وسوق عامرة . وبإزاء طنجة في البحر المحيط وإزاء جبل أدلنت الجزائر المسمّاة فرطناتش (أي السعيدة) [2] ، سمّيت بذلك لأنّ شَعْراءها وغياضها كلّها أصناف الفواكه الطّيبة العجيبة دون غراسة ولا عمارة ، وأنّ أرضها تحمل الزرع مكان العشب وأصناف الرياحين العطرة بدل الشوك ، وهي بغرب بلد البربر مفرّقة متقاربة في البحر المذكور .

الطـريق من مدينـة طنجـة إلَى مدينـة فـاس

(1320)

من مدينة طنجة إلَى قلعة ابن خروب [1] مرحلة ، وهي مدينة كبيرة علَى ظاهر لها نمر وشجر وهي كثيرة الزرع والضرع ، وهي لكتامة من بطون مصمودة . وبقرب هذه القلعة قرية كبيرة لعرب خولان آهلة كثيرة الخير ، وهي علَى نهر زلول ، وهذا النهر تلقاه قبل الوصول إلَى قلعة ابن خرّوب [1] . وبالقرب منها أيضًا دمنة عشيرة بلد طيّب لصنهاجة . ثمّ قرى متّصلة لكتامة ، إلَى حاضرة سوق كتامَى وهي قاعدة إدريس بن القاسم بن إبراهيم كبيرة شريفة علَى نهر وادلكس [2] بها سوق عامرة وجامع . ثمّ تسير إلَى قصر دنهاجة [3] ، وهو علَى تلّ وتحته نهر عظيم وفيه آثار للأوّل ، وبه كان ينزل ملوك المغرب في قديم الدهر . وجبل صرصر بقبلي هذا القصر ينزله بطون كتامة وأصادة . ثمّ تسير من هذا القصر إلَى مدينة البصرة . وهي مدينة كبيرة واسعة [4] وهي أوسع

1319 1) ق : ألفا ـ 2) سقطت من ر .

1320 1) ر : حرنوب ـ 2) ر : واذليكس ، ص : وازلكس ـ 3) ر : صنهاجة ـ 4) سقطت من ر ـ

تلك النواحي مرعًى وأكثرها ضرعًا ، ولكثرة ألبانها تعرف ببصرة الذِّبَّان ، وتعرف أيضًا ببصرة الكتّان (كانوا يتبايعون في بدء أمرها في جميع تجاراتهم بالكتّان) [5] ، وتعرف أيضًا بالحمراء لأنّها حمراء التربة . وسورها مبني بالحجارة والطوب [6] ، وهي بين شرفين ، ولها عشرة أبواب وجامعها سبعة بلاطات وبها حمّامان ، ومقبرتها الكبرى في شرقيها في جبل ، ومقبرتها الغربية تعرف بمقبرة قضاعة . وماء المدينة زعاف وشرب أهلها من بئر عذبة على باب المدينة تعرف ببئر ابن ذلفا [7] . وخارجها في جنّاتها (عيون كثيرة) [8] وآبار عذبة . ونساء بصرة مخصوصات بالجمال الفائق والحسن الرائق ليس بأرض المغرب أجمل منهنّ .

(1321)

قال أحمد بن فتح المعروف بابن الخرّاز التيهرتي يمدح أبا العيش [1] بن إبراهيم (بن القاسم) [2] [رجز] :

قبّح الإله اللهو إلاّ قينة ... بصرية في حمرة وبياض
الخمر في لحظاتها [3] والورد في ... وجناتها والكشح غير مفاض
في شكل مرجًى ونسك مهاجر ... وعفاف سنّي وسمت إباض
تاهرت [4] أنت خلية وبرية ... عوضتُ منك ببصرة فاعتاض [5]
لا عذر [6] للحمراء في كلفي بها ... أو تستفيض بأبحر وحياض
ما عذرها والبحر عيسى [7] ربّها ... ملك الملوك ورائض الرواض

ومدينة البصرة محدثة أيضًا أسّست في الوقت الّذي أسّست فيه أصيلة أو قريبًا منه .

1320 5) سقطت من س ـ 6) سقطت من ق ـ 7) س ر : أبي دلفا ـ 8) ق : بئر كبيرة .

1321 1) ر : العياش عيسى ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : لحاظها ـ 4) ق : تيهرت ـ 5) سقط هذا البيت من ر ـ 6) ر : لا عذير ـ 7) ق : العيش .

(1322)

ومن مدينة البصرة إلَى نهر ردات مرحلة ، وهو في أصل جبل وفي أعلَى الجبل مدينة تسمّى كرت [1] وهي اليوم خربة . ومن كرت إلَى موضع يقال له حنّاوة [2] ـ قال محمّد جنيارة ـ ويعرف بالجبل الأشهب ، وهي قرى كثيرة عامرة . ومنه إلَى قرية صغيرة علَى نهر عظيم يسمّى سبو مرحلة ، ومنه إلَى مدينة فاس مرحلة . ومَن أخذ من طنجة علَى أصيلة [3] فمن طنجة إلَى مدينة أصيلة مرحلة ، ثمّ إلَى سوق كتامَى المذكور قبل هذا .

(1323)

ومن مدينة البصرة طريق آخر إلَى مدينة فاس ، فمنها إلَى وادي ورغة ، ثمّ إلَى مدينة [1] ماسنة مرحلة ، وهي مدينة عيسَى بن حسين الحسني المعروف بالحجّام ، وهي علَى نهر كبير . ثمّ إلَى مدينة سداك في بلد مغيلة ، وهي قاعدة خلوف بن يحمد المغيلي . ثمّ إلَى مدينة فاس . فذلك سبعة أيّام [2] .

(1324)

ومدينة أصيلة أوّل مدن العدوة من جانب الغرب ، وهي في سهلة من الأرض حولها رواب لطاف والبحر بغربيّها وجوفيّها ، وكان عليها سور له خمسة أبواب وجامعها خمسة بلاطات ، وإذا ارتجّ البحر بلغ الموج إلَى حائط الجامع . وسوقها حافلة يوم الجمعة . وماء آبار المدينة شرّيب [1] ، وبخارجها آبار عذبة : بئر عدل وبئر السانية وآبار كثيرة . ومقبرتها في شرقيّها ومرساها

1322 1) ق : كورت ـ 2) ر : جنيارة ـ 3) ر : ومن أخذ على أصيلة فمن طنجة ...

1323 1) ر : وادي ـ 2) ق : مراحل .

1324 1) ر : شلوق ـ

مأمون والمدخل إليه من الشرق ، ويستدير بالمرسَى من ناحية الجوف جسر من حجارة مخلوقة تكفّ عن السفن المُرَفّأة [2] فيها هيجان البحر.

(1325)

ومدينة أصيلة محدثة ، وكان سبب بنيانها أنّ المجوس خرجوا في مرساها مرّتين. فأمّا الأولَى فأتوا قاصدين وزعموا أنّ لهم بها أموالاً وكنوزًا ، فاجتمع البربر لقتالهم ، فقالوا : لم نأت بالحرب وإنّما لنا كنوز في هذا الموضع ، فكونوا ناحية حتّى نستخرجها ونشاطركم فيها . فرضي البربر بذلك فاعتزلوا ، وحفر المجوس موضعًا فاستخرجوا دخنا كثيرًا عفنًا . فنظر البربر إلَى صفرته فظنّوه ذهبًا فبدروا إليه [1] ، فهرب المجوس إلَى مراكبهم وأصاب البربر الدخن فندموا ورغبوا إلَى المجوس في الخروج واستخراج المال ، فأبوا وقالوا : قد نقضتم عهدكم فلا نثق بعذركم . وساروا إلَى الأندلس ، فحينئذ خرجوا بإشبيلية ، وذلك سنة (تسع وعشرين ومائتين) [2] في أيّام الإمام عبد الرحمان بن الحكم .

(1326)

وأمّا خروجهم (الثاني هناك) [1] فإنّ الريح قذفتهم في ذلك المرسَى من الأندلس [2] وعطبت لهم علَى باب المرسَى من ناحية الغرب مراكب كثيرة ، ويعرف ذلك الموضع بباب المجوس إلَى اليوم . فاتّخذ الناس موضع أصيلة رباطًا وانتابوا إليه [3] من جميع الأمصار . وكانت تقوم فيه سوق جامعة ثلاث مرّات في السنة ، وهو وقت اجتماعهم وذلك في شهر رمضان وفي عشر

1324 2) ر : الموجاة .

1325 1) ر : فبدر البربر إليهم ـ 2) ر : ركبط .

1326 1) سقطت من ق ـ 2) س ق ر : منصرفهم من الأندلس ـ 3) عن ر ـ

ذي الحجّة وفي عاشوراء . وكان الموضع ملكًا للواتة ، فابتنَى فيه قوم من كتامة واتّخذوه جامعًا ، وتسامع الناس أمرها من الأندلس وأهل الأمصار فقصدوها في الأوقات المذكورة بضروب السلع وخيّموا فيها . ثمّ بنوا شيئًا بعد شيء فعمّرت ، فقدمها القاسم بن إدريس فملكها (وبنَى سورها وقصرها وبها قبره . ووليها إبراهيم ابنه ، ثمّ حسين بن إبراهيم ، ثمّ القاسم بن حسين ، ثمّ صار أمرها إلَى حسن الحجّام منهم)[4] ، حتّى استولَى عليهم ابن أبي العافية علَى ما تقدّم . وكان الحجّام يستعمل عليها الولاة . قالوا : وتفسير أصيلة جيّدة . وبقبلي أصيلة قبائل لواتة وبنو زياد من هوارة زلول ، وبغربيها هوارة الساحل . وغار كبير علَى البحر ، إذا مدّ وصل إليه . وبين القبلة والغرب منها عين تعرف بعين الخشب ثرّة ، وبقبليها خندق يعرف بخندق المعزة وخندق آخر يعرف بخندق السرادق[5] ، وبغربيها خندق يعرف بتاشت[6] فيه مراعي مواشي أهلها . وكيلهم يسمّى مدًّا وهو عشرون مدًّا بمدّ النبي صلعم مثل الفنقة[7] القرطبية ، وكيل الزيت يسمّونه قليلة وهي مائة واثنتا عشرة[8] أوقية ، في القنطار عشرون قليلة .

(1327)

وأصيلة بغربي طنجة ، وأوّل ما يلقَى الخارج من مدينة أصيلة واديها[1] وهو يخاض ، ثمّ مسجد عن يمين الطريق ، ثمّ وادي[2] نبرش يخاض أيضًا . وهي قرية آهلة عامرة كثيرة الثمار والعيون ، وهي للواتة ، بينها وبين البحر قدر نصف ميل . ثمّ ساحل رمل . (ثمّ نهر كبير يعبر في المراكب عليه سكنَى أهل تاهدارت وهي قرية كبيرة عامرة بها ملاّحة . ثمّ ساحل رمل)[3] . ثمّ بركة عذبة وهي بركة قدر مائتي ذراع فيها ماء عذب بينها وبين البحر نصف ميل ،

1326 4) سقطت من س ـ 5) س : السودان ـ 6) ر : بخندق بنانش ـ 7) ر : الفنية ، س : الفنيقة ـ 8) ر : مائة وعشرون .

1327 1) ق : واد ـ 2) في ق نقص من هنا إلى ذكر ممالك برغواطة (انظر 1367) ـ 3) سقطت من

في قبليّها حجارة عالية ، تهبّ من هذه البركة ريح عاصفة شديدة تؤذي المراكب وتقلّبها إذا غفل ركّابها . ثمّ ساحل يقابله بلد سطة [4] . ثمّ جرفة يصعد منها إلَى قرية كقمارية [5] بها يقطع الطواحن عامرة لصنهاجة . ثمّ جبل اسبرتيل [6] داخل في البحر متّصل بالبرّ فيه عيون عذبة ومسجد رباط ، وبين الجبل ومدينة أصيلة ثلاثون ميلاً . وإذا خرجت المراكب من أسبرتيل بالريح الشرقية لم يكن لها بدّ من البحر المحيط إلاّ أن تدور [7] الريح الغربية . ويقابل جبل أسبرتيل من برّ الأندلس (جبل الأغر علَى سمت واحد ويقطع الغدير بينهما في ثلثي مجرى بالريح القبلية من ذلك البرّ ، ومن الأندلس بالرّيح) [8] الجوفية . ثمّ تسير من هذا الموضع إلَى موضع يعرف بالقالة ، ثمّ إلَى مدينة طنجة . ومن جبل أسبرتيل إلَى مدينة طنجة أربعة أميال .

الطـريق من سبتـة إلَى مدينـة فـاس

(1328)

من سبتة إلَى دمنة عشيرة المذكورة مرحلة ، ومنها إلَى موضع يعرف بالكنيسة قرية مفيدة علَى ظاهر لكتامة . ثمّ إلَى وادي مغار لكتامة أيضًا قرار كبير [1] ، بلد للزرع والضرع ، إلَى الحجر المعروف بحجر النسر قاعدة بني محمّد في الغرب منه بلد رهونة [2] ، وفي الشرق بنو فتركان [3] من غمارة . وتفترق الطريق من الحجر ، فمَن تَيامَن أخذ إلَى أفتيس مدينة جنّون بن إبراهيم لكتامة ، وهي مدينة صالحة كثيرة الخير وهي من الحجر غربًا ، وهي علَى نهر وادلكس [4] المذكور قبل هذا ، وجريته من الشرق إلَى الغرب وهو يلقاه عند أفتيس إليها . ثمّ يهبط إلَى مدينة سوق كتامَى فيسمّى هناك وادلكس .

1327 ص ج ـ 4) ر : نبطة ـ 5) سقطت من س ـ 6) ص ج : اشبرتال ، وكذا دائمًا في هاتين المخطوطتين ـ 7) ر : تدبر ـ 8) سقطت من ر .

1328 1) ج : قرارات كثيرة ، ر : قرار كثير ـ 2) ر : ارهنة ـ 3) ر : تفركان ـ 4) ج : وكالس ، ر :

ثمّ إلَى مدينة تشومّس مدينة ميمون بن القاسم ، وهي مدينة أوّلية عليها سور صخر كبيرة آهلة كثيرة المياه والثمار ، ويسمّى بذلك الموضع بسفدد ، ويتّسع هناك وعليه رباط يعرف برباط حارة الأحشيس وهي قرية آهلة يتّصل بها فحص مديد يعرف بفحص أبي شيار (5) . ثمّ تسير من أفتيس إلَى زهجوكة مدينة إبراهيم بن محمّد ، ومنها قام إبراهيم وبنوه وملكوا دار طنجة إلَى حدّ سبتة وهي لزرهونة (6) . وبعدها مدينة يجّاجين (7) مدينة جيّدة مفيدة علَى نهر عذب بها جامع وأسواق وحمّام ، ويعرف بالجبل الأشهب وهو علَى نهر سوسق نهر كبير كنهر قرطبة ، وهي من بلد جنيارة وفيها عيون ، وهي لجنّون بن محمّد سكّانها بنو مسارة من مصمودة . وبعدها مدينة أصادة (8) فيها آثار للأوّل ذات أعناب وأشجار كثيرة ، وهي بقبلي يجّاجين بينهما ستّة أميال أو نحوها (9) . ويجاورها علَى الطريق أربعة أصنام .

(1329)

ثمّ تأتي مجاز الخشبة علَى وادي ورغة في بلد شريف وقرارات (1) كثيرة شبيهة بالمدن . ثمّ قرى متّصلة وأكبرها قرزاوة (2) بني حصين ، إلَى بلد مغيلة ، فترقّي عقبة الأفارق وتلقَى حصن زالغ علَى يسار الطريق . ثمّ قلعة ورطيطة ، ثمّ فحص محلّى ، ثمّ قرية خندق سدرواغ يفترق من هناك الطريق إلَى كلتا عدوتي فاس . وذلك من مدينة سبتة إلَى مدينة فاس ستّة أيّام .

(1330)

وطريق آخر إلَى فاس من سبتة : إلَى تيطاوان مرحلة ، أوّل ما يلقَى الخارج من سبتة وادي أويات يجري في خندق عليه أرحاء شتوية ، وبينه وبين المدينة

1328 ولكاس ـ 5) ر : بن سباع ـ 6) ر : لرهونة ـ 7) ر : ابزاحين ـ 8) ج ص : أصيلة ـ 9) أو نحوها : عن ر .

1329 1) ر : وقرى ـ 2) ر : فرزاوة .

ميلان ، ومنه جلب أليان الماء إلَى سبتة علَى آزاج ، وبعضها قائم في تلك الخنادق إلَى اليوم . (ثمّ إلَى وادي المنازل) [1] . ثمّ إلَى وادي نكرة [2] . ثمّ الطريق كما تقدّم من سبتة إلَى طنجة حتّى تأتي فجّ الفرس . ثمّ إلَى فجّ الصاري بطرف جبل حبيب بن يوسف وهو جبل كثير العيود [3] ، وبسند هذا الفجّ ممّا يلي الجوف حارة تعرف بمراد ، وبين هذا الفجّ ومدينة أفتيس مرحلة . ثمّ من أفتيس كما تقدّم آنفًا . وبين الفجّ وأفتيس قلعتان إحداهما قلعة ابن خرّوب المذكورة [4] .

ذكـر مدينـة فـاس

(1331)

ومدينة فاس مدينتان مقترنتان مسوّرتان بينهما نهر يطرد [1] وأرحاء وقناطر . وعدوة القرويّين في غربي عدوة الأندلسيّين . وعلَى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمر وجداول الماء تخترق داره . وبالمدينتين أزيد من ثلاث مائة رحى وفيهما نحو عشرين حمّامًا . وهي أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها إلَى جميع الآفاق . ومن أمثال أهل المغرب : فاس بلد بلا ناس . وكلتا عدوتي فاس في سفح جبل والنهر الّذي بينهما مخرجه من عين غزيرة في وسط مرج ببلاد مطغرة [2] علَى مسيرة نصف يوم من فاس . وأسّست عدوة الأندلسيّين في سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وعدوة القرويّين في سنة ثلاث وتسعين ومائة في ولاية إدريس بن إدريس . ومات إدريس بمدينة وليلي من أرض فاس علَى مسافة يوم من جانب الغرب ، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة ومائتين في شهر ربيع الأوّل .

1330 1) سقطت من س ر ـ 2) س ر : نقرة ـ 3) س ر : العود ـ 4) ر : ابن حرنوب المذكورة ، وقبل بن خروب .

1331 1) س ر : أنهار تطرد ـ 2) ر : مدغرة .

(1332)

ولعدوة الأندلسيّين من الأبواب باب الفتوح قبلي منه يَخرج إلَى القيروان ، وباب الكنيسة شرقي يقابل ربض المرضَى ، وباب أبي خلّوف شرقي ، وباب حصن سعدون جوفي ، وباب الحوض غربي يقابل عدوة القرويّين ، وباب سليمان مثله ؛ ومن هذين البابين يخرج أهل هذه العدوة إلَى الحرب إذا كان بينهم اختلاف ، وتقوم الحرب حينئذ بموضع يعرف بكدية الفول ، وباب الفوّارة . وبها جامع حسن فيه ستّة بلاطات طولها من الشرق إلَى الغرب وعمده أرجل كذان ، وله صحن فسيح فيه أصول جوز وشجر وساقية تعرف بساقية مصمودة غزيرة الماء . وبهذه العدوة تفّاح [1] حلو يعرف بالأطرابلسي جليل حسن الطعم يصلح بها وله غلّة ولا يصلح بعدوة القرويّين ، وسميد عدوة الأندلسيّين أطيب من سميد (العدوة الثانية) [2] لحذقهم بصنعته . وكذلك رجال عدوة الأندلسيّين أشجع وأنجد من القرويّين ونساؤهم أجمل من نساء القرويّين ، ورجال القرويّين أجمل من رجال الأندلسيّين . ولعدوة القرويّين من الأبواب باب الحصن الجديد قبلي يخرج منه إلَى زواغة ، وباب السلسلة شرقي يخرج منه إلَى عدوة الأندلسيّين ، وباب القناطر شرقي ، وباب سياج يحيَى بن القاسم جوفي يخرج منه (أيضًا إلَى زواغة و) [3] إلَى المخاض وإلَى وشتاتة ومغيلة ، وباب سوق الأحد غربي منه يخرج إلَى زواغة . وبها جامع فيه ثلاثة بلاطات طولها من الشرق إلَى الغرب بناه إدريس بن إدريس وله حصن كبير فيه زيتون وشجر وله سقائف . وبها نحو من عشرين حمّامًا وهي أكثر بساتين ومياهًا .

1332 1) ر : تفاح جلبل – 2) ص ج : القرويين – 3) عن ر .

(1333)

وعدوة الأندلسيّين يجري الماء عليهم أوّلا ويجود بهذه العدوة الأترج ويعظم ولا يجود بعدوة الأندلسيّين . وكلتا العدوتين جليلة الخطر عظيمة القدر . وموقع وادي فاس بوادي سبو ، وبغربي عدوة القرويّين في بلد مغيلة موضع يقال له السيخ ساخ بأهله ، ومن هذا الموضع انهزم البوري بن أبي العافية سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة هزمه بنو محمّد واحتووا علَى معسكره . وبنهر فاس الحوت المعروف بالليبيس كثير . وقال محمّد بن إسحاق المعروف بالبجلي [1] (يمدح عدوة القرويّين) [2] [بسيط] :

يا عدوة القرويّين الّتي كرمت ‏ ‏ ‏ لا زال جانبك المحبور ممطورا

ولا سرى الله عنك [3] ثوب نعمته ‏ ‏ ‏ أرض تجنّبت الآثام والزورا

(1334)

وأنشد إبراهيم بن محمّد الأصيلي والد الفقيه أبي محمّد المفضّل بن عمر المدحجي (يهجو فاسا) [1] [بسيط] :

دخلت فاسًا ولي شوق إلَى فاس ‏ ‏ ‏ والجبن [2] يأخذ بالعينين والرأس

فلست أدخل فاسًا لو حييت ولو ‏ ‏ ‏ أعطيت فاسًا بما فيها من الناس

وقال أحمد بن فتح قاضي تيهرت في كلمة له (يهجو أهل فاس) [1] [بسيط] :

1333 ‏ 1) ر : أحمد بن إسحاق المعروف بالخليل ، وقيل بالنجليل ـ 2) عن هامش ر ـ 3) ر : لا بدل الله عنها .

1334 ‏ 1) عن ر ـ 2) ر : والحين ـ

أسلح علَى كلّ فاسيّ مررت به في العدوتين معا لا تبقين [3] أحدا
قوم غذوا اللؤم حتّى قال قائلهم من لا يكون لئيمًا لم يعش رغدا

(1335)

ومدّهم يسع من الطعام ثمانين أوقية ، ومديهم يسمّونه اللوح وفيه من هذا المدّ مائة وعشرون مدًّا ، وجميع المأكولات من الزيت والعسل واللبن والزبيب يباع عندهم بالأواق . وحواليها من قبائل البربر ترهنة [1] ومغيلة وأوربة وصدينة وهوارة ومكناسة وزواغة .

(1336)

ولمّا وصل موسَى بن نصير إلَى طنجة مال عياض بن عقبة إلَى قلعة يقال لها سقوما علَى مقربة من فاس ومال معه سليمان بن أبي المهاجر وسألا موسَى الرجوع معهما ، فأبَى وقال : هؤلاء قوم في الطاعة . فأغلظا له القول حتّى رجع فقاتل أهل سقوما ، فكان لهم علَى العرب ظهور . ثمّ تسوّر عليهم عياض بن عقبة من خلفهم في قلعتهم ، فانهزم القوم واشتدّ القتل فيهم فبادوا وقلّت أوربة إلَى اليوم . فذكر ابن أبي حسان أنّ موسَى لمّا افتتح سقوما كتب إلَى الوليد بن عبد الملك : أنّه صار إليك يا أمير المؤمنين من سبي سقوما مائة ألف رأس . فكتب إليه الوليد : ويحك أظنّها من بعض كذباتك ، فإن كنت صادقًا فهذا محشر الأمم .

1334 3) ر : لا يتقين .

1335 1) ر : ترهونة .

[ذكــر بنــي إدريــس]

(1337)

وفاس هي دار مملكة بني إدريس بن عبد الله بن حسن [1] بن حسن بن علي بن أبي طالب رضه . وكان نزول إدريس عند دخوله المغرب بوليلي [2] ، (وهي طنجة بالبربرية ، وذكر محمّد أن وليلي علَى مسافة يوم من فاس وفيها مات إدريس بن إدريس ، فهذه غير طنجة) [3] . وهي بغربي مدينة فاس مدينة عظيمة أوّلية . فنزل علَى إسحاق بن محمّد بن عبد الحميد الأوربي المعتزلي فتابعه [4] علَى مذهبه ، وذلك في سنة اثنتين وسبعين ومائة [5] . وخرج إلَى ماسنة في شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة [5] وخرج أيضًا إلَى تازَى ، وهو موضع من أعمال بني العافية يوجد في جبل منه الذهب وهو أعتق الذهب وأجوده ، وكان خروجه إليها في جمادى الآخرة سنة أربع وسبعين ومائة [5] ، ومات بوليلي .

(1338)

وذكر أبو الحسن علي بن محمّد بن سليمان النوفلي عن أبيه وغيره في خروج إدريس إلَى أرض المغرب غير ما ذكره المؤرّخون ، قال إنّ إدريس بن عبد الله انهزم فيمن انهزم من وقعة حسين صاحب فخّ ، وكانت وقعة فخّ يوم السبت يوم التّرويه سنة تسع وستّين ومائة [1] ، فاستتر مدّة وألحّ السلطان في طلبه . فخرج به راشد مولاه [2] وكان عاقلاً شجاعًا أيّدا ذا حزم ولطف في جملة الحاجّ منحاشًا عن الناس بعد أن غيّر زيّه وألبسه مدرعة [3] وعمامة

1337 1) ر : حسين ـ 2) س ص : بوليلي ـ 3) في ر وردت هذه الجملة في نهاية الفقرة ـ 4) ر : ووافقه ، س : أوقفه ـ 5) ر : ومائتين.

1338 1) ر : ومائتين ـ 2) عن ر ـ

غليظة وصيّره كالغلام يخدمه ، وإن أمره ونهاه أسرع في ذلك . فسلما حتّى دخلا مصر ليلاً . فبينا هما متحيّران يمشيان في بعض طرقها لا هداية [4] لها بالبلد إذ مرّا بدار مشيّدة يدلّ ظاهرها علَى باطنها ونعمة أهلها ، فجلسا في دكّان علَى باب الدار . فرآهما صاحب الدار فعرف فيهما الحجازية وتوسّم في خلقتهما الغريبة فقال : أحسبكما غَريبَيْن [5] . قالا نعم . قال : وأراكما مَدَنيَّيْن . قالا : نعم نحن كما ظننت . فإذا الرجل من موالي بني العبّاس ، فقام إليه راشد وقد توسّم فيه الخير فقال له : يا هذا قد أردت أن ألقي إليك شيئًا ولست أفعل حتّى تعطيني موثقًا أن تفعل إحدى خلّتين [6] : إمّا أويتنا وتتقرّب [7] إلَى الله بالإحسان إلينا وحفظت فينا نبيّك محمّد صلعم ، وإن كرهت ما ألقيته إليك سترته علينا . فأعطاه علَى ذلك موثقًا . فقال له : هذا إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب خرج من موضعه (مع الحسين بن علي) [8] فسلم من القتل ، وقد جئت به أريد بلاد البربر فإنّه بلد ناء لعلّه يأمن فيه ويعجز من يطلبه . فأدخلهما منزله وسترهما حتّى تهيّأ خروج رفقة إلَى إفريقية ، فاكترى لهما جملاً وزوّدهما وكساهما .

(1339)

فلمّا عزم القوم علَى الشخوص [1] قال لهما : إنّ لأمير مصر مسالح [2] لا يجوز أحد إلاّ فتّشوه ، وهاهنا طريق أعرفها لا يسلكها الناس ، فأنا أحمل هذا الفتَى معي – يعني إدريس – في هذه الطريق الغامضة (البعيدة فألقاك به – يقول لراشد – في موضع كذا وهنالك تنقطع مسالح مصر . فركب راشد في أحد شقّيّ المحمل ووضع متاعه في الشقّ الآخر ومضَى مع الناس في القافلة ،

1338 3) ر : دراعة – 4) ر : معرفة – 5) ر : عربيان – 6) ر : حالتين – 7) ر : أو تقرب – 8) ر : مع الجيش .

1339 1) ر : فلما عزما على النهوض – 2) ر : مشايخ –

وخرج الرجل علَى فرس له وحمل إدريس علَى فرس آخر فمضَى به في الطريق الغامضة) (3) وهي مسيرة أيّام حتّى تقدّما الرفقة وأقاما ينتظرانها حتّى وردت . فركب إدريس مع راشد حتّى إذا قربا من إفريقية تركا دخولها وسارا في بلاد البربر حتّى انتهيا إلَى بلاد فاس وطنجة . فأقام إدريس بين ظهراني البربر حتّى انتهَى إلَى الرشيد خبره . فكرّبه وشكا ذلك (4) إلَى يحيَى بن خالد البرمكي فقال : أنا أكفيك خبره (5) يا أمير المؤمنين . فأرسل إلَى سليمان بن حريز الجزري ، وهو رجل من ربيعة وكان متكلّمًا من يرى رأي الزيدية وكان حلوًا شجاعًا أحد شياطين الانس وكانت له إمامة في الزيدية إذ كان متكلّمهم (6) ، وهو الّذي جمع الرشيد بينه وبين هشام بن الحكم حين ناظره في الإمامة .

(1340)

فأرغبه يحيَى بن خالد في مال ووعده عن نفسه وعن الخليفة بمواعد عظيمة ودعاه إلَى قتل إدريس والتلطّف في ذلك . فأجابه ، فأعطاه مالاً جزلاً ووجّه معه رجلاً يثق به وبشجاعته ودفع إلَى سليمان قارورة فيها غالية مسمومة ، فانطلق مع صاحبه فلم يزالا يتغلغلان حتّى وصلا إلَى إدريس ، وكان إدريس عالمًا بسليمان ورئاسته في الزيدية . فلمّا وصل إليه قال : إنّما جئت إليك وحملت نفسي علَى ما حملتها عليه لمذهبي الّذي تعرفني به ، وإنّ السلطان طلبني لمحبّتي في الخروج معكم أهل البيت ، فجئتك لآمن في ناحيتك (1) وأنصرك بنفسي . فسرّه قوله وقبله وأحسن مثواه وأكرم نزله وأنس به . وكان سليمان يجلس في مجالس البربر ويظهر الدعاء إلَى ولد رسول الله صلعم ويحتجّ لأهل هذه المقالة كاحتجاجه بالعراق ، فأعجب ذلك إدريس منه فمكث

1339 3) سقطت من ر ـ 4) نقص مقدار ورقة واحدة في ص ج ـ 5) ر : أمره ـ 6) ر : ملكهم .

1340 1) ر : جهتك ـ

عنده مدّة وهو يطلب غرّته ويرصد [2] الفرصة في أمره ويرمق باب الحيلة [3] عليه حتّى غاب راشد مولاه غيبة في بعض أموره ، فدخل عليه ومعه القارورة ، فلمّا انبسط إليه وخلا وجهه قال : جعلني الله فداك في هذه القارورة غالية حملتها معي ، وليس ببلدك من الطيب ما يتّخذ هذا منه ، فجئتك بها لتطيب [4] بما فيها . ووضعها بين يديه ، ففتحها إدريس وتغلّف منها وشمّها . وانصرف سليمان إلَى صاحبه ، وقد أعدّا فرسين قبل ذلك مضمّرين ، فركباهما وخرجا مركضين يطلبان النجاة . فلمّا وصل السمّ إلَى دماغ إدريس وكان [5] في خياشيمه سقط مغشيًا عليه لا يعقل ولا يدري من يختصّ به ما شأنه ، فبعثوا إلَى راشد فجاء مسرعًا فتشاغل بمعالجته والتخبّر في أمره . وقطع سليمان وصاحبه علَى فرسيهما بلادًا في مدّة ذلك [6] .

(1341)

وأقام إدريس في غشيته عامة نهاره وعروقه تضرب ثمّ مات . وتبيّن راشد أمر سليمان بن حريز فركب في طلبه في جماعة من أصحابه ، فجعلت الخيل تنقطع تحت أصحابه ويتخلّفون لشدّة السير . وحثّ الطلب (حتّى لحقه راشد) [1] ، فانحرف إليه سليمان يمنعه من نفسه فخبطه راشد بالسيف فكنع يده وضربه بالسيف علَى وجهه ورأسه ثلاث ضربات ، كلّ ذلك لا يصيب مقتلاً مع دفع سليمان عن نفسه وما كان عليه من الجنّة . وقام فرس راشد لشدّة حمله عليه ، ونجا سليمان بحشاشة نفسه وصاحبه قد خذله ، فلم يغن عنه شيئًا ولم يكن عنده إلاّ الهرب . ثمّ نزل سليمان بعد أن أمن الاتباع وعصب جراحه . قال أبو الحسن النوفلي : فحدّثني من رآه بعد قدومه العراق مكنّعًا .

1340 2) سقطت من ر ـ 3) ر : ويدين من الحيلة ـ 4) ر : لتتطيب ـ 5) ر : ودار 6) ر : ذلك اليوم .

1341 1) ر : وصبر فرس راشد حتّى لحق الرجلين وقد سبقاه بسير يوم فأدركهما وهو وحده على فرسه فشدّ عليهما .

(1342)

وذكر أحمد بن الحارث بن عبيدة اليماني نحو رواية النوفلي فقال إنّ إدريس بن عبد الله أفلت من وقعة فخّ فوقع [1] بمصر وعلَى بريدها يومئذ واضح مولَى صالح بن المنصور وكان يتشيّع ، فحمله علَى البريد فوقع بأرض طنجة ، فوجّه إليه الرشيد رجلاً من مواليه يقال له الشمّاخ في هيئة المتطبّب . وكان بإدريس وجع يجده [2] في أسنانه ، فوضع الشمّاخ في ذلك الموضع ذرورًا مسمومًا [3] وخرج من ساعته ، فقتل السمّ إدريس فطلب الشمّاخ فلم يظفر به حتّى أتى الرشيد فولاه بريد مصر .

(1343)

وقال غيره : إنّما أمره أن يستعمل ذلك الذرور والسنون في السحر وفرّ هو في جوف الليل . قال محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن القاسم : الصحيح عندنا أنّه سمّه في دلاعة [1] قطعها بسكّين قد سمّ أحد جانبيه ، فلمّا قطعها ناوله الّذي باشر السمّ وأكل هو الآخر . وكان واضح مولَى صالح بن المنصور يميل إلَى آل أبي طالب ، فبلغ الرشيد ما صنع بإدريس فأمر بضرب عنقه وصلبه .

(1344)

قال النوفلي : وكانت مدّة إدريس الّتي أجابته فيها البربر إلَى أن مات بوليلي سنة خمس وسبعين ومائة ثلاثة أعوام وستّة أشهر . وقال غير هؤلاء إنّ داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب هو الّذي أفلت من وقعة فخّ وهرب إلَى المغرب ، وذرية داود هذا بفاس وبنو إدريس

1342 1) ر : فنزل ـ 2) س : يحدّه ـ 3) ر : فيه سم .

1343 1) ر : تفاحة .

يناكحونهم ، وانصرف داود إلَى المشرق فإنّه إنّما فرّ حين خرج أخواه علَى المنصور .

(1345)

قال علي النوفلي : أخبرني عيسَى بن جنّون [1] قاضي أرشقول لإدريس بن عيسَى ودخل الأندلس غازيًا أنّ سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن دخل المغرب أيضًا ونزل تلمسان ، وبه كمل عدد ولد عبد الله [2] بن حسن ستّة لأنّهم محمّد وإبراهيم وإدريس وعيسَى (ويحيَى وسليمان كما ذكروا . قال) [3] : فولد سليمان بن محمّد بن سليمان (فمن ولده محمّد ويحيَى وسليمان كلّ قريشي في القبلة) [4] .

(1346)

قال النوفلي : ومات إدريس ولا ولد له وجارية من جواريه حبلَى . فقام راشد بأمر البربر حتّى ولدت غلامًا فسمّاه باسم أبيه إدريس ، وقام بأمره وأدّبه وأحسن تأديبه ، وكان مولده في ربيع الآخر سنة خمس وسبعين ومائة . وتوفّي راشد سنة ستّ وثمانين ومائة . ولهذا التبنّي والاتّصال قال محمّد بن السمهري يهجو القاسم بن إدريس بن إدريس [كامل] :

قل للزنيم زنيم طنجة عش بها   لا يحسدنّك في بلادك حاسد
منّتك نفسك أن تكون خليفة   هيهات هذا من حديثك بارد
لمّا رأيتك لليام مصافيا   أيقنت حقّا أنّ جدّك راشد

1345 1) ر : حيون ــ 2) ر : عبد الرحمان ــ 3) سقطت من س ــ 4) ر : فمن ولد محمد كل قريشي بالمغرب والقبلة .

(1347)

وقيل إنّ راشد مولَى عيسَى بن عبد الله [1] أخي إدريس بن عبد الله ، قام بأمر الغلام أبو خالد يزيد بن ألياس الفارسي [2] وأخذ بيعة البربر له (يوم الجمعة السابع من ربيع الأوّل سنة سبع وثمانين ومائة وهو ابن إحدى عشرة سنة . وقتل أبا ليلَى إسحاق وهو القائم به وبأبيه) [3] يوم السبت لستّ خلون من ذي الحجّة سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وبعث رأسه [4] إلَى المشرق مع أحمد وسليمان ابني عبد الرحمان [5] . ثمّ نزل مدينة فاس في عدوة الأندلسيّين وأقام بها شهرًا [6] ، وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة . وكانت عدوة القرويّين [7] غياضًا في أطرافها أبيات من زواغة ، فأرسلوا إلَى إدريس فدخل عندهم فأسّس مدينة القرويّين سنة ثلاث وتسعين ومائة . ثمّ خرج إلَى نفّيس في المحرّم سنة سبع [8] وتسعين ، ثمّ غزا نفزة وتلمسان ورجع سنة تسع وتسعين ومائة .

(1348)

قال داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر : كنت مع إدريس بن إدريس في المغرب ، فخرجت معه يومًا إلَى قتال الخوارج فلقيناهم وهم في ثلاثة أضعاف عددنا ، فقاتلناهم قتالاً شديدًا ، فأعجبني إدريس في ذلك اليوم وجعلت أديم النظر إليه فقال : ويحك لِم توالي النظر إليّ ؟ قلت : لخصال ، أمّا أوّلها فإنّك تبصق بصاقًا مجتمعًا وأنا أطلب قليل ماء أبلّ به حلقي فلا أجده . قال : ذلك لاجتماع قلبي وذهاب بصاقك لذهاب عقلك . قال : قلت والثانية لما أرى من متّتك [1] . قال : إنّ النبي صلعم صلّى علينا .

1347 1) ر : عبيدالله ـ 2) سقطت من س ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ر : رسله ـ 5) ر : بن سليمان بن عبدالرحمن ـ 6) ر : أشهرًا ـ 7) هنا يستأنف ط ـ 8) هنا يستأنف ص ج (انظر 1339) .

1348 1) ر : حسنك ـ

فقلت : والثالثة لما أرى من حركتك وقلّة قرارك علَى الدابّة . قال : ذلك زمع إلَى القتال فلا تحسبه رعبًا وأنا الّذي أقول [طويل] :

ألیس أبونا هاشم شدّ أزره ... وأوصَى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نملّ الحرب حتّى تملّنا ... ولا نتشكّى ما نؤول من النصب[2]

(1349)

وتوفّي إدريس بوليلي سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة بحبّة عنب غصّ بها[1] فلم يزل مفتوح الفم سائل اللعاب حتّى مات . وولد إدريس محمّدًا وأحمد وعبيد الله وعيسَى وإدريس وجعفرا ويحيَى وحمزة وعبد الله والقاسم وداود وعمر . وتولّى الأمر (بعده ابنه)[2] محمّد وفرّق البلاد علَى إخوته علَى رأي جدّته كنزة أمّ إدريس بن إدريس . واتّخذ محمّد بن إدريس مدينة فاس قرارًا فولّى القاسم أخاه البصرة وطنجة وما والاهما[3] . وولّى عمر صنهاجة وغمارة ، وولّى داود هوارة تاسلمت[4] ، وولّى يحيَى داي وما والاها ، وولّى عيسَى وازقّور[5] وسلَى ، وولّى حمزة[6] الأودية بقرب وليلي ، وولّى عبد الله لمطة وما والاها . وتصاغر الباقون من إخوته أن يقسم لهم فصاروا مع إخوتهم .

(1350)

فقام عليه عيسَى أخوه صاحب وازقّور ونكث طاعته ، فكتب إلَى القاسم يأمره بمحاربة عيسَى أخيهما إذ كان يحاذيه في البلد . فأبَى القاسم من ذلك

1348 2) ر : إلى النصب .

1349 1) غصّ بها : سقطت من ر ـ 2) عن ر ، وفي سائر المخطوطات : بعد أبيه منهم ـ 3) ر : يليهما ـ 4) ر : تاسيلت ـ 5) ر : واوزقور ـ 6) ط : أحمد .

وخالف أمر محمّد . فكتب محمّد إلَى أخيه عمر بمثل ذلك ، فأجابه وسارع إلَى نصرته وخرج يريد عيسَى بمعسكره . فلمّا قرب من أحواز فاس كتب إلَى محمّد يستمده ومضَى لوجهه ، فأوقع بأخيهما عيسَى قبل لحاق مدد محمّد وأخرجه عن بلد وازقّور وهرب إلَى سلَى . ثمّ أمر محمّد أخاه عمر بمحاربة القاسم أخيهما ، (فحاربه وتغلّب علَى ما كان من بلده) [1] بيده . فتزهّد القاسم وبنَى مسجدًا علَى ضفّة البحر بأصيلة ولزمه . وتوفّي عمر بن إدريس بقرب [2] ذلك ببلد صنهاجة بموضع يقال له الفرس وكان منية له ، ونقل إلَى مدينة فاس فدفن بها . وهو جدّ الحمّوديّين القائمين بالأندلس علَى ما نذكره بعد هذا إن شاء الله .

(1351)

ثمّ هلك محمّد بن إدريس وولي الأمر بعد محمّد ابنه علي باستخلافه له . ثمّ هلك فولي الأمر بعده ابن أخيه يحيَى بن يحيَى بن محمّد بن إدريس . ثمّ إنّ يحيَى بن يحيى دخل علَى يهودية في الحمّام يقال لها حنّة وقد راودها [1] علَى نفسها فتغيّر عليه أهل فاس ووثب عليه عبد الرحمان بن أبي سهل الجذامي ، وهو جدّ أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمان الّذي هو صاحب فاس ، فأخرجه عن مدينة فاس [2] فهرب إلَى عدوة الأندلسيّين فمات بها من ليلته . وكانت زوجة يحيَى بن يحيَى هذا عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس بن إدريس ، فلم تخرج مع زوجها يحيَى بن يحيَى . فأتَى علي بن عمر أبوها بجنده فدخل عدوة القرويّين وملكها [3] ، وانتقل الأمر عن بني محمّد بن إدريس إلَى بني عمر بن إدريس . ثمّ قام علَى علي بن عمر عبد الرزاق الخارجي وكان صفريًّا ، ويقال إنّه من ثغر الأندلس ، وكان قيامه من جبل مديونة وهو بقبلي فاس ، فدارت بينهم حروب كانت الدائرة فيها علَى علي ، فهزمه الخارجي

1350 1) بياض في ص ج ـ 2) سقطت من ص .

1351 1) س ط ر : أرادها ، ص : رادها ـ 2) ر : فاس القرويين ـ 3) سقطت من ر ـ

وأخرجه عن مدينة فاس وفرّ علي إلَى بلد أوربة . وأجاب عبد الرزّاق أهل عدوة الأندلسيّين ولم يجبه أهل عدوة القرويّين وبعثوا إلَى يحيَى [4] بن القاسم الّذي يعرف بالعدّام [5] ، فولّوه علَى أنفسهم فلم يزل بها حتّى قتله ربيع بن سليمان في سنة اثنتين وتسعين ومائتين [6] . فتقدّم يحيَى بن إدريس بن عمر بن إدريس إلَى مدينة فاس فدخلها ورجع الأمر إلَى بني عمر ، فلم يزل بيد يحيَى حتّى قدم مصالة بن حبوس سنة سبع وثلاثمائة علَى ما ذكرنا قبل هذا .

(1352)

فلمّا أجلَى بني صالح عن بلد نكور تقدّم إلَى مدينة الزيتون ، وهي كانت قاعدة يحيَى بن إدريس (بن عمر قبل دخوله فاس وكانت مويله) [1] الذي يعتدّ بها (ويعول عليها) [2] . فخرج إليه يحيَى مدافعًا له فانهزم يحيَى وانفضّ جمعه ولم تقم له قائمة بعد إلَى أن هلك في سنة أربع وثلاثين وثلاث مائة ، وكان هلاكه بالمهدية أيّام حصار أبي يزيد لها ، وكان أعلَى بني إدريس قدرًا بالمغرب لم يبلغ أحد منهم مبلغه .

(1353)

قال النوفلي : (وكان مصالة بن حبوس لمّا قدم المغرب قدمته [1] الأولَى سنة خمس وثلاثمائة ابتدى موسَى) [2] بن أبي العافية بالإحسان وقدّمه في المغرب ، وكان موسَى كلّما رجا بالظهور عزّه [3] يحيَى بن إدريس وقطع به عن أمله . فلمّا رجع مصالة بن حبوس إلَى المغرب ثانية سنة عشر وثلاثمائة سعَى موسَى بيحيَى عنده ، فأجمع مصالة علَى القبض عليه وطمع في ماله وما عنده ، فلم يزل يتحيّل له [4] حتّى أقبل علَى معسكره ، فقبض عليه

1351 4) ر : يحيى بن عمر – 5) ص : الحجّام – 6) ط : ومائة .

1352 1) سقطت من ط – 2) ط : إذ كانت مويله .

1353 1) س ط : جيته – 2) سقطت من ص – 3) ط : غيره ، ر : حطّه – 4) ر : به .

وانتزع جميع ما أتى به وأمره باستجلاب ما عنده من الأموال ، فأحضره مالاً عظيمًا وأخرجه عن بلده وصار ما كان بيده من البلدان إلَى حسن بن محمّد الحجّام وإلَى موسَى بن أبي العافية .

(1354)

قال القاضي محمّد بن عمر الصدفي [1] : لمّا أجلَى مصالة بن حبوس يحيَى بن إدريس الثّالث [2] به الحالة وانفضّ جمعه ومن كان معه . ثمّ أخذه بعد ذلك موسَى بن أبي العافية فخرب مدينته وسجنه دهرًا طويلاً بمدينة لكاي . ثمّ أطلقه (ثمّ نزع بنفسه) [3] إلَى أصيلة وسكنها وأقطعه بنو إبراهيم شيئًا يقوم منه معاشه . قال : وكان أبوه إدريس قد دعا الله بأن يميته [4] بأرض غربة جوعًا . فلمّا كان في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة توجّه نحو المهدية فوافق قيام أبي يزيد وفعل الشيعة بأنفسهم ، فلم يصل إليهم ومات جوعًا في حصار أبي يزيد بإفريقية [5] .

(1355)

وقدّم مصالة بن حبوس علَى فاس ريحان بن علي الكتامي وذلك سنة سبع وثلاث مائة ، (فأقام بها إلَى سنة ستّ عشرة وثلاثمائة) [1] . فقام حسن بن محمّد بن القاسم بن إدريس الّذي يعرف بالحجّام فنفاه ودخلها وملكها عامين ، وإنّما سمّاه حجّامًا عمّه أحمد بن القاسم بن إدريس الكرني ، وذلك أنّه جرى بينهما أمر أفضَى بهما إلَى الاختلاف والتدابر حتّى زحف كلّ واحد منهما إلَى الآخر ، فالتقيا بموضع يعرف بالمدالي من بلد صنهاجة ، فحمل

1354 1) ر : القاضي بن محمد الصدفي ـ 2) ر : الثالث ـ 3) ط : فنزع بنفسه ـ 4) ص س ج : يميته الله ـ 5) بإفريقية : عن ط ر .

1355 1) سقطت من ص ج ، ط ر : سنة عشرة .

حسن علَى غلام لعمّه فدعسه بحربة أثبتها في مكان المحجم ، فأخبر عمّه بفعله ، ثمّ شدّ علَى آخر فأصابه في ذلك الموضع ، وقيل لأحمد أيضًا ، وضرب ثالثة فوافق ذلك الموضع . فقال أحمد : صار ابن أخي حجّامًا . فلزمه ذلك . ولذلك قال شاعر من شعرائهم [طويل] :

وسمّيتُ حجّامًا ولستُ بحاجم ولكن لضرب في مكان المحاجم

(1356)

وكان حسن الحجّام في آخر بلد المدالي يملك فاسًا ، فأوقع بموسَى بن أبي العافية رجل من رؤساء البربر وقعة شنعاء لم يكن بالمغرب بعد دخول إدريس فيه أعظم منها أجلت [1] هزيمته له عن أزيد من ألفي قتيل ، وقتل في جملتهم ابنًا لموسَى يسمّى منهل . فغدره علَى أثر ذلك بفاس حامد بن حمدان الهمداني ويعرف باللوزي نسب إلَى قرية بإفريقية ، فحبسه عند نفسه وأغلق أبواب المدينة دون عسكره ، وذلك كان شأن أهل فاس لا يتركون [2] عسكر رئيس يدخل مدينتهم . فلمّا صار في سجن حامد أرسل إلَى موسَى بن أبي العافية فأتاه ودخل فاسًا وتغلّب علَى عدوة القرويّين وتغلّب بعد ذلك (علَى العدوة الأخرى . ثمّ جعل يلحف علَى حامد في قتل حسن الحجّام بابنه منهل ، وحامد يدافعه عنه ويكره المجاهرة بقتله . فسمّه حامد وأخرجه علَى السور ليلاً ، فسقط عنه واندلقت ساقه [3] ، وجاز) [4] إلَى عدوة الأندلسيّين فمات بها . وقتل موسَى عبد الله بن ثعلبة بن محارب الأزدي وقتل معه ابنيه محمّد ويوسف وهرب ابنه محارب بن عبد الله ، فلحق بقرطبة (وقيل بالمهدية) [5] . وأراد أيضًا قتل حامد بن حمدان الهمداني فهرب إلَى المهدية .

1356 1) ر : انجلت ـ 2) ر : يذكرون ـ 3) ج : وانكسرت ساقه ، ر : واندقت عنقه ـ 4) سقطت من ط ـ 5) سقطت من ر .

(1357)

واستولَى موسَى بن أبي العافية علَى جميع المغرب وأجلَى آل إدريس أجمعين عن مواضعهم وانحاشوا عن البلد ، وسار جميعهم في حجر النسر مقهورين ، وهو حصن بناه إبراهيم بن محمّد بن القاسم بن إدريس بن إدريس [1] سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، واعتزم موسَى علَى محاصرتهم واستئصالهم حتّى عذله في ذلك أكابر أهل المغرب وقالوا : قد (أجليتهم وأفقرتهم ، أتريد) [2] أن تقتل آل إدريس أجمعين وأنت رجل من البربر ؟ فانكسر عن ذلك ولاذ عنهم بعسكره وتخلّف [2] لمراقبتهم ومنعهم من التصرّف قائداً جليلاً كان عنده يكنّى أبا قمح ، فكانت محلّة أبي قمح بتاوررت [3] واستخلف موسَى ابنه مدين بفاس حتّى قدم حميد بن يصلَى في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة إلَى المغرب ومعه حامد بن حمدان الهمداني . فلمّا أيقن مدين بقدومهما هرب من فاس وولّى حميد حامداً [4] علَى فاس ، وتظاهر بنو إدريس علَى أبي قمح فهزموه وغنموا أكثر عسكره [5] . قالوا : فبذلك سمّوا ذلك الموضع الكوم [6] وتفاءلوا به وجعلوه شعاراً بينهم .

(1358)

ووثب بفاس أحمد بن بكر بن عبد الرحمان بن أبي سهل الجذامي ، فقتل حامداً وبعث برأسه وولده إلَى موسَى [1] بن أبي العافية ، فبعث بهما موسَى إلَى قرطبة مع سعيد بن الزرّاد . وكان صار حميد بن يصلَى [2] عن موسَى وعن المغرب بغير عهد ، فهو كان سبب سجنه بإفريقية حتّى هرب إلَى الأندلس .

1357 1) ر : بن أحمد ـ 2) بياض في ص ج ـ 3) ص ج : تاوبنت ، س : تاورارت ، ط : تاورات ـ 4) ر : عامراً ـ 5) ر : معسكره ـ 6) ر : الكرم .

1358 1) س : يحيى ـ 2) ط : يعلى .

(1359)

ثمّ قدم ميسور الفتَى إلَى [1] المغرب في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة علَى ما تقدّم قبل هذا ، فخرج أحمد بن بكر صاحب فاس يومئذ إلَى معسكره ، فحبسه ميسور ووجّه به إلَى المهدية . فقدّم أهل فاس علَى أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي وحارب ميسور مدينة فاس سبعة أشهر ، ثمّ قفل عنهم فلم يزل حسن [2] واليًا عليها إلَى أن قدم أحمد بن بكر منطلقًا من المهدية ، فتخلّى له حسن عمّا كان بيده ، وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة . ولمّا ورد ميسور إلَى [1] المغرب حاصر موسَى بن أبي العافية وتولّى معاظم تلك الحروب بنو إدريس (حتّى جلَى موسَى بن أبي العافية إلَى الصحراء وصار كما كان بيده إلَى آل إدريس والرئاسة منهم في بني محمّد بن إدريس بن إدريس) [3] ، وهم حسن وجنّون وإبراهيم بنو محمّد بن القاسم ، وكان محمّد متخلّفا في إخوته وعشيرته لا قدر له . ثمّ صارت النباهة والقدر لبنيه ، وإبراهيم بن محمّد هو المعروف بالرهوني ، وكان الّذي يلزم صخرة النسر منهم جنّون وحنّون من أبناء إبراهيم واسم جنّون القاسم .

(1360)

ولمحمّد بن إسحاق الشاعر المعروف بالنحيلي [1] في جنّون هذا أهاجٍ كثيرة مقذعة ، وذلك أنّه غلب علَى أمّ ولد كانت له ، فهويها جنّون وصارت عنده فاستعان عليه بابن عمّه أحمد بن القاسم بن إدريس ، فكتب إليه يرغب أن يصرفها إليه وأعلمه بما يلحقه في فعله من قبح الأحدوثة ، فلم يلتفت إلَى مقالته ولا انتفع محمّد بن إسحاق بشفاعته ، فاستأذن محمّد بن إسحاق أحمد بن القاسم في هجائه ، فأذن له في ذلك وعاهده أن لا يرى منه علَى هجائه له مكروهًا أبدًا . فممّا هجاه به [كامل] :

1359 1) س ط : من ـ 2) ط ر : أحمد ـ 3) سقطت من ر .

1360 1) عن ص ج ، ط : الخليل ، ر : النجليلي ـ

أترى سُلاحك إذ كدتْك قصيدتي [2] ... ينقيه سيل قد طما من سَفَدد
أو بحر طنجة في عصوفات الصَبَى ... (وبحر سبتة يا لثيما) [3] فردد
أو نيل مصر إذا ارتمَى أذيه ... تعلو سواحله بموج مزبد
جنّون يزعم أنّه متلوط ... وهو المنيك [4] إذا خلا بالأمرد
ابنا محمّد [5] الزنيم لأنتم ... شرّ الورى ممّن يروح ويغتدى
إن كان جنّون من آل محمّد ... فأنا كفور بالنبيّ محمّد

وقد ذكرنا خبر سفدد واختلاف أسماء هذا النهر باختلاف المواضع . (فأمّا قوله : أو بحر طنجة في عصوفات الصبَى ، فإنّ الريح الشرقية تؤذي فيه أشدّ إذاية وكذلك في جرفيه) [6] .

(1361)

وكان أعلَى بني محمّد كلّهم أيدًا أبو العيش بن جنّون بن محمّد وكان له من البلد ما بين أجاجن (وقيل ايزاجن) [1] . وهو بقبلي حجر النسر إلَى مدينة فاس . وكان أحمد بن إبراهيم بن محمّد عالمهم ، كان يحفظ السير والتواريخ وكان نسّابة عاقلاً حليمًا [2] وكان مبجلاً لعلمه ، وكان يعرف أحمد الفاضل ، وكان له ما جرّ من أجاجن [3] إلَى مدينة سبتة ، وكان شديد الميل إلَى خلفاء بني أميّة وكثير التشيّع فيهم . وهو الّذي استشار محمّد بن عبد الله بن أبي عيسَى قاضي الجماعة في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة [4] في دخول الأندلس والغزو مع أمير المؤمنين عبد الرحمان . فلمّا أعلم عبد الرحمان بذلك أمره بمخاطبته واستحثاثه في القدوم وأن يعلمه أنّه لا ينزل مرحلة من الأندلس ما بين نزوله بالجزيرة الخضراء إلَى نزوله بمحلّه بلاط حميد من أقصَى الثغر

1360 2) ر : أترى سلاحك أدركت قصدتي ـ 3) عن ر ، في ط ج ص بياض ، وسقط هذا البيت من س ـ 4) ر : المناك ـ 5) بياض في ص ج ـ 6) سقطت من س .

1361 1) عن هامش ر ـ 2) ط : جميلاً ـ 3) ر : إيزاجن ـ 4) ر : اثنتين وثلاثمائة ـ

ـ وذلك ثلاثون محلّة ـ (5) إلاّ أمر أمير المؤمنين ببنيان قصر في كلّ محلّة (6) ينزلها ينفق فيه ألف مثقال (7) ليكون أثر إقباله إلَى الأندلس باقيًا مع الأيّام .

(1362)

ولم يكن في بني إدريس من شهر بالعلم شهرته إلاّ أحمد الأكبر بن القاسم بن إدريس بن إدريس وهو المعروف بالكرتي ، وكان له علم وقدر بالمغرب ، وهو الّذي استجلب بكر بن حماد ووفد علَى أمير المؤمنين عبد الرحمان منهم حسن (1) بن القاسم المعروف بجنّون وعيسَى بن جنّون بن محمّد بن القاسم ، وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، فأقاما في كرامته إلَى شهر صفر من العام الّذي يليه ، ثمّ انصرفا إلَى بلدهما . ولمّا دخلت سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة أجمع بنو محمّد بن القاسم علَى هدم مدينة تيطاوان فهدموها ، ثمّ تعقّبوا ما فعلوا وأرادوا بنيانها ، فضج أهل مدينة سبتة من بنيانها وزعموا أنّها تضرّ بمدينة سبتة وتقطع عنها مرافقها ، فأعجل عبد الرحمان أمير المؤمنين إخراج الجيوش إليهم وتجهيز العساكر نحوهم ، وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، والقائد (أحمد بن يعلَى) (2) ، (حتّى وصل إلَى مدينة سبتة ونفذ عهد عبد الرحمان إلَى حميد بن يصلَى وكان والي تيجيساس (3) بالتقدّم إلَى سبتة والتظافر بأحمد بن يعلَى) (4) علَى حرب بني محمّد . واجتمع العسكران فسفر حميد بن يصلَى إلَى بني محمّد علي بن معاذ ، فأجابوه إلَى التخلّي عن مدينة تيطاوان علَى أن يبعثوا بأبنائهم إلَى أمير المؤمنين . فقدم أحمد بن يعلَى عليه بحسن بن أحمد الفاضل بن إبراهيم بن محمّد ومحمّد بن عيسَى بن أحمد بن إبراهيم ، ووصلا إلَى قرطبة يوم السبت لتسع خلون من رجب سنة إحدى وأربعين وثلاث مائة . وعيسَى هو أبو العيش . فبعث حسن في ابنه يحيَى وبعث محمّد في ابنه

1361 5) ر : مرحلة ، ط : يومًا ـ 6) ر : مرحلة ـ 7) ط ر : دينار .

1362 1) ر : حسين ـ 2) ر : بن عبد الرحمن بن يعلى ـ 3) ر : سقباوس ـ 4) سقطت من ط .

حسن ، فوصلا إلَى قرطبة يوم الاربعاء لأربع بقين من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، فكثا بقرطبة وصدر أبواهما إلَى بلادهما بالحباء والكرامة المجدّدة .

(1363)

وولد ليحيَى وحسن [1] بقرطبة البنون ، ثمّ هلكا : هلك يحيَى سنة تسع وأربعين وهلك حسن سنة خمسين ، ودفنا بمقبرة الربض وصلّى عليهما منذر بن سعيد القاضي . وتخلّف يحيَى ابنًا يسمّى حسينًا [2] وتخلّف حسن [3] ابنين يسمّيان محمّدًا وحسينا أيضًا . فلم يزالوا مستقرّين بقرطبة إلَى خلافة المستنصر بالله . فبعث بهم أعلامًا من ثقات أهل مملكته ، وذلك في رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، فوصلوا بهم إلَى أحمد وحسن [3] ابني إبراهيم بن محمّد بن القاسم ، ويحيَى بن أحمد [4] أبو هذا الغلام قد هلك ، فأنزل أحمد بن إبراهيم ابن ابنه حسين بن يحيَى علَى ما كان لأبيه .

(1364)

فأمّا ذرّية [1] عمر بن إدريس بن إدريس جد الناجمين بالأندلس فإنّ عمر وَلد عليًّا بسرية ، وإدريس أمّه زينب بنت عبد الله بن داود بن القاسم الجعفري ، وعبيد الله لجارية يقال لها ربابة ، ومحمّدًا . فأمّا علي فإنّه أعقب من الذكور اثني عشر ذكرًا وابنة واحدة وهي عاتكة الّتي تقدّم ذكرها ، امرأة يحيَى بن يحيَى بن محمّد بن إدريس ، وأكثر عقب هؤلاء بأوربة ومنهم بمدينة فاس ومنهم بكتامة . وحمزة بن علي منهم ، قتله موسَى بن أبي العافية بيده ،

1363 1) ر : وحسن وحسين ــ 2) ر : حسنًا ــ 3) ر : حسين ــ 4) ر : محمد .

1364 1) سقطت من س ــ

ظفر به بمدينته الّتي كانت تدعَى بني عوسجة ، وقتَل معه ولديه هارون ويحيَى . وكان حمزة هذا قد حضر مع حسن [2] بن محمَّد الحجّام هزيمته لموسَى وحضر قتل منهل ابنه ، وكان حمزة قد علّق منهلا علَى بابه ببني عوسجة فقتلهم بثأره . وحسن بن عبيد الله بن علي منهم ابتلَى بالجذام وجنّون بن إدريس بن علي ، أجلاه موسَى بن أبي العافية إلَى زناتة فسبته [3] برغواطة فعقبه هناك عندهم .

(1365)

وعقب أبي العيش بن علي منهم بالأندلس . وأمّا إدريس بن عمر بن إدريس فهو لباب ولد عمر بن إدريس ، وبولده تكرّر الأمر إلَى أن كثرهم بنو محمّد بن القاسم بن محمّد بن إدريس . ومحمّد بن إدريس بن عمر هو المعروف بابن ميّالة ويكنّى أبا العيش ، ولم يزل مواليًا للناصر عبد الرحمان رحمه الله ، وقد ذكرنا خبر ابنه يحيَى بن إدريس وملكه لمدينة فاس ، وأنّه كان أعلَى بني إدريس حالاً بالمغرب ، وذكرنا موته بالمهدية . قال علي النوفلي : كان يشهد مجلس يحيَى بن إدريس العلماء والشعراء ، وكان أبو أحمد الشافعي من جلسائه وممّن يتكلّم عنده في العلم ، وكان ينسخ [1] له عدّة الورّاقين وينتجعه الناس من الأندلس وغيرها ، فيحسن [2] إلَى جميعهم وينصرفون عنه أكرم منصرف .

1364 2) ر : حسين ـ 3) ر : فحل .

1365 1) ط ر : ينتسخ ـ 2) ر : فيجلس .

وكان لإدريس بن عمر [1] خمسة من الولد الذكور غير هذين ولهم عقب كثير. فأمّا عبيد الله بن عمر بن إدريس فولد حمزة والقاسم وأبا العيش، لم (تسمّ لنا أمّهم وهي مملوكة بربرية) [2]، وعليًّا وإبراهيم ومحمّدًا، ويقال لمحمّد الشهيد، أمّهم زواغية. فأمّا حمزة فكان شجاعًا جوّادًا متقدّمًا وله عقب كثير ببلد غمارة وزناتة. وأمّا علي بن عبيد الله فلم يعقب من ولده إلاّ جنّون [3] وهم بكورة الجزيرة. وأمّا إبراهيم فكان عقبه بحجر النسر وأحد بنيه أعقب ببلد زناتة. (وأمّا القاسم بن عبيد الله فله عقب كثير ببلد زناتة، ومحمّد الشهيد عقبه أيضًا ببلد زناتة) [4]. وأمّا أبو العيش بن عبيد الله فولد حمّودًا ويحيَى. فأمّا يحيَى فله بنون بتازغدرا. وأمّا حمّود فولد القاسم وعليًّا وفاطمة. فأمّا علي فولي الخلافة بالأندلس سنة سبع وأربعمائة واغتاله فَتيان من الصقالبة في حمّام بقصر قرطبة فقتلاه ثمّ قُتلا به، وكان له من الولد يحيَى وإدريس وولّى عهده منهما يحيَى، وكان صاحب المغرب وكان إدريس أخوه صاحب مدينة مالقة. فلمّا قتل علي استدعَى البربر القاسم أخاه وأدخلوه القصر وبايعه الناس وخطب له بالخلافة، فأنف من ذلك ابن أخيه يحيَى لما تقدّم من عهد أبيه له وتظافر مع إدريس أخيه علَى عمّهما لتصوّره عليهما في خلافة أبيهما، واتّفقا علَى أن يعبر يحيَى إلَى مالقة لطلب حقّه ويعبر إدريس إلَى المغرب. فجاز يحيَى إلَى إشبيلية سنة أربع عشرة وأربعمائة واستمرّ إلَى قرطبة. فاستخلف يحيَى بقرطبة وتَسمّى [5] بالمعتلي وخطب له بالخلافة. ثمّ إنّ البربر اضطربوا عليه ففرّ من قرطبة إلَى مالقة، ورجع عمّه القاسم إلَى قرطبة مرّة أخرى وتسمّى بالمأمون. ثمّ عزله ابن أخيه يحيَى، فخرج من قرطبة إلَى إشبيلية ومكث بها (إلَى أن أخرجه محمّد بن عبّاد وصار بشريش، فحصره بها ابن أخيه يحيَى حتّى أخذه وبنيه هناك فسجنهم) [6]، واستوسق الأمر ليحيَى بن علي حتّى قتل في المحرّم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

1366 1) ر: محمد ـ 2) ص ج: ولم يسم لنا أكثر وأمهم ملوكة بربرية. ط: ولم يسم لنا اسم ملوكة سرية؟ ـ 3) ر: جنون بن إبراهيم ـ 4) سقطت من ط ر ـ 5) ط ر: ومُسمّي ـ 6) سقطت من ط.

(1367)

فلمّا وصل الأمر إلَى أخيه خطب له بالخلافة في سبتة وتَسمّى بالعزيز بالله [1] . ثمّ عبر البحر إلَى مالقة فتسمّى بالمتأيّد بالله وخطب له بالخلافة بمالقة وأعمال البربر بالأندلس وبالمرية وأعمالها . وتوفّي يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة بقيت للمحرّم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة [2] . وكان ولّى عهده حسن بن يحيَى صاحب سبتة فتسمّى بالمستنصر بالله ، فجاز إلَى الأندلس وبويع له بمالقة ونواحيها وبغرناطة وجهاتها إلَى أن توفّي سنة أربع وثلاثين وأربع مائة . فولي إدريس بن يحيَى أخوه وبويع له يوم الخميس لستّ خلون من جمادي الآخرة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، وتسمّى بالعالي وخطب له بذلك بمالقة وغرناطة وقرمونة وأعمالها إلَى أن خلع سنة ثمان وثلاثين وأربع مائة . وقام محمّد بن إدريس بن علي وتسمّى بالمهدي وخطب له بالخلافة هناك إلَى أن توفّي سنة أربع وأربعين وأربعمائة . وقام بالأمر بعده ابن أخيه إدريس بن يحيَى بن إدريس بن علي وتسمّى بالموفّق ولم يخطب له بالخلافة وبقي أشهرًا يسيرة ، ثمّ دخل عليه العالي إدريس بن يحيَى وبويع له مرّة ثانية بمالقة وبقي إلَى أن توفّي سنة ستّ وأربعين وأربعمائة [3] . وقام بالأمر بعده ابنه محمّد بن إدريس وتسمّى بالمستعلي [4] ولم يخطب له بالخلافة ، فأقام بمالقة إلَى أن تغلّب عليها باديس بن حبوس بن ماكسن في صدر سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، فانقطعت [5] دولة بني علي بن حمّود من يومئذ . ثمّ استدعَى محمّد بن إدريس هذا من مدينة مليلة [6] ، وهو مستقرّ بالمرية لا يعرف مكانه لخمول ذكره ، فعبر إليها وذلك في شهر شوال سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، (فقام به جماعة) [7] بني ورتدى بمليلة وبقلوع جارة ونواحيها ، وهو هناك باق علَى ذلك إلَى وقتنا هذا وهو آخر سنة ستّين وأربعمائة [8] .

1367 1) ر : وتسمّى بالعالي وخطب له بذلك ـ 2) سقطت الجملتان السابقتان من ر ـ 3) سقطت هذه الجملة من ر ـ 4) ط : بالمعتلي ـ 5) يستأنف هنا نص ق (راجع 1327) ـ 6) انتهاء نص ط ـ 7) في ص بياض ـ 8) ق : ها هنا تمّ الجزء بحمد الله تعالى وعونه وتوفيقه . باسم الله الرحمـٰن الرحيم وصلى الله على نبيّنا محمّد وعلى آله .

ذكـر ممـالك بـرغواطة وملوكهـم

(1368)

أخبر [1] أبو صالح زمّور بن موسَى بن هشام بن واردیزن البرغواطي ، وكان صاحب صلاتهم حين قدم علَى الحكم المستنصر بالله رسولاً من قبل صاحب برغواطة أبي منصور بن عيسَى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي عفير يحمد بن معاذ بن أليسع بن صالح بن طريف ، وكان وصوله إلَى قرطبة في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وكان المترجم عنه بجميع ما أخبر به الرسول الّذي قدم معه ، وهو أبو موسَى عيسَى بن داود بن عشرين السطاسي [2] من أهل شلة مسلم من [3] بيت خيرون بن خير [4] . فأخبر زمّور أنّ طريفًا أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق وأنّه كان من أصحاب [5] ميسرة المطغري [6] المعروف بالحقير ومغرور بن طالوت . وإلَى طريف نسبت جزيرة طريف . فلمّا قُتل ميسرة وافترق أصحابه احتلّ [7] طريف ببلد تامسنَى ، وكان إذ ذاك ملكًا لزناتة وزواغة . فقدّمه البربر علَى أنفسهم وولي أمرهم ، وكان علَى ديانة الإسلام إلَى أن هلك هناك وتخلّف من الولد أربعة ، فقدّم البربر ابنه صالحًا منهم [8] .

(1369)

قال زمّور : وكان مولد [1] صالح بعد موت النبي صلعم بمائة عام سواء . قال : وحضر صالح مع أبيه حروب ميسرة الحقير وهو صغير . قال : وكان من أهل العلم والخير فتنبّأ فيهم وشرع لهم الديانة الّتي هم عليها إلَى اليوم ،

1368 1) ق : أخبرنا ـ 2) ر : النسطاسي ـ 3) ق : من أهل ـ 4) بن خير : سقطت من ر ـ 5) ق : أهل ـ 6) ر : المرغري ـ 7) ر : أقبل طريف إلى ... ـ 8) ر : عليهم .

1369 1) عن ق ، وفي سائر المخطوطات : موت ـ

(وادّعَى أنّه نزل) [2] عليه قرآنهم الّذي يقرؤونه إلَى اليوم . قال زمّور : وهو صالح المؤمنين الّذي ذكره الله عزّ وجلّ في قرآن محمّد صلعم في سورة التحريم [3] .

(1370)

وعهد صالح إلَى ابنه الياس بديانته وعلّمه شرائعه وفقّهه [1] في دينه وأمره ألاّ يظهر ذلك إلاّ إذا قوي وأمن ، فإنّه يدعو حينئذ إلَى ملّته ويقتل من خالفه . وأمره بموالاة أمير الأندلس . وخرج صالح إلَى المشرق ووعد أنّه ينصرف إليهم في دولة السابع من ملوكهم ، وزعم أنّه المهدي الأكبر الّذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجّال ، وأنّ عيسَى بن مريم يكون من أصحابه ويصلّي خلفه ، وأنّه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا ، وتكلّم لهم في ذلك كلامًا كثيرًا نسبه إلَى موسَى الكليم عليه السلام وإلَى سطيح الكاهن وإلَى ابن عبّاس . وزعم أنّ اسمه في العربي صالح وفي السرياني مالك [2] وفي الأعجمي عالم وفي العبراني وربيا وفي البربرية ورياورى ، أي الّذي ليس بعده شيء . وتولّى ألياس الأمر بعد خروج أبيه يظهر ديانة الإسلام ويسرّ [3] الّذي عهد إليه به أبوه خوفًا وتقية ، وكان طاهرًا عفيفًا لم يلتبس بشيء من الدنيا إلَى أن هلك بعد أن ملك خمسين سنة .

(1371)

وولد ألياس جماعة منهم يونس ، فتولّى الأمر بعد أبيه فأظهر ديانتهم ودعا إليها وقتل من لم يدخل فيها حتّى أخلَى ثلاثمائة مدينة وسبعًا وثمانين مدينة ، حمل جميع أهلها علَى السيف لمخالفتهم إيّاه وقتل منهم بموضع يقال له

1369 2) ق : ونزله ـ 3) انظر سورة التحريم 4/66 .

1370 1) ص ج س : وفهمه ـ 2) سقطت من ق ر ـ 3) ر : ويبشر .

تاملّوكاف ، وهو حجر نابت عالي وسط السوق ، سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين [1] قتيلا ، وقتل من صنهاجة خاصّة في وقعة واحدة ألف وغد ، والوغد عندهم المنفرد الوحيد الّذي لا أخ له ولا ابن عمّ ، وذلك في البربر قليل وإنّما أحصوا الأقلّ ليستدلّ به علَى الأعظم [2] الأكثر . قال زمّور : ورحل يونس إلَى المشرق وحجّ ولم يحجّ أحد من أهل بيته قبله ولا بعده . ومات يونس بن الياس [3] بعد أن ملك أربعًا وأربعين سنة .

(1372)

(وانتقل [1] الأمر عن بنيه بقيام أبي غفير محمد بن معاد بن أليسع بن صالح بن طريف عليهم ، فاستولَى علَى الملك) [2] ودان بدين آبائه واشتدّت شوكته وعظم أمره ، وكانت له وقائع كثيرة في البربر مشهورة لا تُنسَى مع الأيام [3] ، منها وقيعة تيمغسن ، وكانت مدينة عظيمة ، أقام القتل في أهلها ثمانية أيّام من الخميس إلَى الخميس ، حتّى شرقت دورهم ورحابهم وسككهم [4] بدمائهم ، ومنها وقعة بموضع يقال له بهت عجز الإحصاء عن عدد من قتل فيها . وكانت لأبي غفير من الزوجات أربع وأربعون زوجة كان له منهنّ من الولد بعددهنّ . ومات أبو غفير بعد أن ملك تسعًا وعشرين سنة ، وذلك عند ثلاثمائة من الهجرة .

(1373)

وولي الأمر بعده من بنيه عبد الله أبو الأنصار ، وكان سخيًّا ظريفًا يفي بالوعد والعهد ويحفظ الجار ويكافي علَى الهدية بأضعافها [1] ، وكان أفطس شديد

1371 1) ص ج : وسبعة وسبعين ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : ومات ألياس .

1372 1) ر : وخرج ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ر : لا تتسامع الأيام ـ 4) سقطت من ر .

1373 1) سقطت من ق ر ـ

أدمة الوجه ناصع بياض الجسم طويل اللحية ، وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص ، ولا يعتمّ إلاّ في الحرب ولا يعتمّ أحد في بلده إلاّ الغرباء ، وكان يجمع جنده وحشمه في كلّ عام ويظهر أنّه يغزو من حوله ، فتهاديه القبائل وتستألفه ، فإذا استوعب هداياهم وألطافهم فرّق أصحابه وسكنت حركته . فلك في دعة اثنتين وأربعين سنة ودفن بأمسلاخت وبها قبره . وولي بعده من بنيه ابنه أبو منصور عيسى بن أبي غفير ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فسار بسيرة آبائه ودان بديانتهم واشتدّت شوكته وعظم سلطانه [2] . وكان أبوه قد وصّاه قبل [3] موته بموالاة صاحب الأندلس ، (وكذلك يوصّي جميعهم المرشّح للملك بعده . قال زمّور) [4] : وقال له : يا بنيّ أنت سابع الأمراء من أهل بيتك ، وأرجو أن يأتيك صالح بن طريف كما وعد . انتهى كلام زمّور .

(1374)

وقال أبو العبّاس فضل بن مفضّل بن [1] عمرو المدحجي : إنّ يونس القائم بدين برغواطة أصله من شذونة من وادي بربط ، وكان قد رحل إلى المشرق في عام [2] واحد مع عبّاس بن ناصح وزيد [3] بن سنان الزناتي صاحب الواصلية [4] ويرغوت بن سعيد التراري وجدّ [5] بني عبد الرزّاق ويعرفون ببني وكيل الصفرية ، ومناد صاحب المنادية المنسوب إليه القلعة المعروفة بالمنادية قريباً من سجلماسة وآخر ذهب عنّي اسمه . فأربعة منهم فقهوا في الدّين وادّعى ثلاثة منهم النبوّة ، منهم يونس صاحب برغواطة . قال : وكان يونس شرب دواء الحفظ فلقن [6] كلّ ما سمع حفظه ، وطلب علم النجوم والكهانة والجانّ ونظر في الكلام والجدال ، وأخذ ذلك من غيلان .

1373 2) ق : أمره وسلطانه ــ 3) ق ر : عند ــ 4) سقطت من ر .

1374 1) ر : عن ــ 2) في عام : سقطت من ق ــ 3) ر : ويريد ــ 4) في ج نقص مقدار ورقة واحدة ــ 5) ق : وأولاد ــ 6) ر : فكان يحفظ ــ

ثمّ انصرف يريد الأندلس ، فنزل بين هؤلاء القوم من زناتة ، فلمّا رأى جهلهم استوطن ببلدهم ، وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها ممّا تدلّ عليه النجوم عندهم فتكون علَى ما يقول أو قريبًا منه ، فعظم عندهم . فلمّا رأى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة [7] عقولهم أظهر ديانته ودعا إلَى نبوّته ، وسَمّى مَن اتّبعه بربطي [8] لما كان من بربط [9] ، ثمّ أحالوه بألسنتهم وردّوه إلَى لغتهم فقالوا : برغواطي .

(1375)

قال فضل بن مفضّل : وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت قصيدة [1] طويلة اخترنا منها أبياتًا [وافر] :

قِفِي قَبْلَ التَفرّق فَأخْبِرينا وقُولي وأخْبري خبرًا مُبينا
همومَ بَرابِرٍ خَسِرُوا [2] وضَلّوا وخابوا لا سقَوْا ماءً مَعِينا
ألا يمِ أُمّةً هلَكتْ وضلّت [3] وزاغتْ عَنْ سَبيلِ المُسْلِمينَا
يقُولُونَ النّبِيُّ أبو غُفَيْر فأخْزَى اللهُ أُمّ الكَاذِبينا
ألَمْ تَسْمَعْ ولَمْ تَرَ يومَ بَهْت علَى آثارِ خَيْلِهِمْ رَنِينا
رَنينَ البَاكِياتِ فبَيْنَ ثَكْلَى وعَاوِيةٍ ومُسْقِطَةٍ جَنِينا
سَيعْلَمُ قَوْمُ تامَسْنَى إذَا مَا أتَوْا يَوْمَ النّشُورِ مُهَيّمِينا
هُنَاكَ يُونُسُ وبَنُو أبِيه [4] يَقُودُون البرابرَ مُهْطِعِينا
إذَا وُرِيَاوَرَى زَمّتْ علَيْهِ جَهَنّمُ قَائِدِ المُسْتَكْبِرينا
فَلَيْسَ اليَوْمَ رِدّتكُمْ وَلكِن لَيَالِيَ كُنْتُمُ مُتَمَيّسِرِينا [5]

1374 7) ر : وسخف ـ 8) ق ر : برباطي ـ 9) ق ر : برباط .

1375 1) ق ر : وهي قصيدة ـ 2) ر : هلكوا ـ 3) ر : ألايم أنها علت وضلت ـ 4) ص : فيه ، ق : بنيه ـ 5) ر : مستمسرين .

(1376)

هذا البيت يصدّق قول زمّور البرغواطي أنّ طريفًا كان من أصحاب ميسرة ويشهد له . وأمّا هذا الضلال الّذي شرع لهم فإنّهم يقدمون مع الإقرار بالنبيّين الإقرار بنبوّة صالح بن طريف ونبوّة من تولّى الأمر بعده من ولده ، وأن الكلام الّذي ألّف لهم وحي من الله تعالَى لا يشكّون فيه ، تعالَى الله عن ذلك ، وصوم رجب وأكل شهر رمضان وخمس صلوات في اليوم (وخمس صلوات في الليلة) [1] والتضحية في اليوم الحادي عشر من المحرّم ، وفي الوضوء غسل السرّة والخاصِرتَيْن ثمّ الاستنجاء ثمّ المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفا وغسل الذراعين من المنكبين ومسح الرأس ثلاث مرّات ومسح الأذنين كذلك ثمّ غسل الرجلين من الركبتين . وبعض صلواتهم إيماء بلا سجود وبعضها علَى كيفية صلاة المسلمين . وهم يسجدون ثلاث سجدات متّصلة ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر ، وإحرامهم أن يضع إحدى يديه علَى الأخرى ويقول : ابْسَمَن ياكُش ، تفسيره بسم الله ، مقرّ [2] ياكش ، تفسيره الكبير الله ، ويضعون أيديهم [3] مبسوطة في الأرض طول ما يتشهّدون ويقرؤون نصف قرآنهم في وقوفهم ونصفه في ركوعهم ، ويقولون في تسليمهم بالبربرية : الله فوقنا لم يغب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ، ثمّ يقول مقّر ياكش [4] خمسًا وعشرين مرّة ، إيّعن ياكش [5] مثل ذلك ومعناه : الواحد الله ، وردام ياكش مثل ذلك ومعناه : لا أحد مثل الله .

1376 1) سقطت من س ـ 2) ر : عفير ـ 3) يستأنف هنا نص ج (انظر 4/1374) ـ 4) ر : بقر بايش ـ 5) ر : ايون ناكش .

(1377)

وهم يجمعون يوم الخميس ضحًى، وصيام [1] يوم من كلّ جمعة فرض من فروضهم ويصوم الجمعة الأخرى الّتي تليه أبدًا . ويأخذون العشر من الزكاة من جميع الحبوب ولا يأخذون من المسلمين شيئًا . ويتزوّج من النساء ما استطاع علَى مباعلتهنّ [2] والإنفاق عليهنّ بلا حدّ عدد . وأن لا يتزوج من بنات عمّه إلاّ ثلاث جدود ، ولا يتسرّون [3] ولا ينكحون للمسلمين ولا ينكحون فيهم [4] ويطلقون ويراجعون ما أحبّوا .

(1378)

ويقتل السارق بالإقرار أو بالبيّنة ويرجم في الزنا عندهم وينفَى الكاذب [1] ويسمّونه المغيّر . والدية عندهم مائة من البقر . ورأس كلّ حيوان عليهم حرام ، والحوت لا يؤكل إلاّ أن يذكّى والبيض [2] عندهم حرام والدجاج مكروهة إلاّ أن يضطرّ إليها . وليس عندهم أذان ولا إقامة وهم يكتفون في معرفة الأوقات بزقاء الديوك ولذلك حرّموها . وكان يبصق في أيديهم فيلعقونه تبرّكًا به ويحملون بصاقه إلَى مرضاهم يستشفون به . وصار أهل برغواطة أعلم الناس بالنجوم وأحذقهم بالقضاء بها . وكانوا أجمل الناس رجالاً ونساء وأشدّهم أيدًا ، كانت الجارية البكر منهنّ تثب ثلاث حمر مصطفّة ولا يمسّ ثوبها شيئًا من الحمر ، ولا تقدر علَى ذلك ثيّب [3] .

1377 1) ر : قيام ــ 2) ر : مفاعلتهنّ ــ 3) ر : يتسرّرون ــ 4) ق : منهم .

1378 1) ر : الكذاب ــ 2) ق ر : والديكة والبيض ــ 3) ر : غيرهنّ .

(1379)

وقرآنهم الّذي وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة أكثرها منسوبة إلَى أسماء النبيّين من لدن آدم ، أوّلها سورة أيّوب وآخرها سورة يونس وفيها سورة فرعون وسورة قارون وسورة هامان وسورة ياجوج وماجوج وسورة الدجّال وسورة العجل وسورة (هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود وما أشبه هذه من الأقاصيص وسورة الديك وسورة) [1] الحجل وسورة الجراد وسورة الجمل وسورة الحنش ـ وكان يمشي علَى ثماني [2] أرجل ـ وفيها سورة غرائب الدنيا ، وهناك العلم العظيم عندهم .

ذكر كلمات مترجمة من أوّل سورة أيّوب وهي استفتاح كتابهم

(1380)

باسم الله الّذي أرسل الله به كتابه إلَى الناس ، هو الّذي بيّن لهم به أخباره . قالوا : علم إبليس القضية ، أبَى الله ليس يطيق إبليس (أن يعلم) [1] كما يعلم الله . سل أيّ شيء يغلب الألسن في الأقولة ، ليس يغلب الألسن (في الأقولة إلاّ الله) [2] بقضائه باللّسان الّذي أرسل الله بالحقّ إلَى الناس استقام الحقّ [3] . انظر محمّدًا [4] . وعبارة ذلك بلسانهم أيمَنَى [5] مامت فامت محمّد . كان حين عاش استقام الناس كلّهم الّذين صحبوه حتّى مات ، ففسد الناس . كذب من يقول إنّ الحقّ يستقيم وليس ثمّ رسول الله . وهي سورة طويلة .

1379 1) سقطت من ق ـ 2) ق : ثلاثة .

1380 1) عن س ر ـ 2) ر : كما يغلب الألسن في الأقولة إلّا بقضاء الله ـ 3) ق : الناس ـ 4) ق ر : صلى الله عليه وسلم ـ 5) ق : ايمنى ، ر : انهنا .

(1381)

قال زمّور : إنّ بني صالح بن طريف يركبون وقتَ أخباره في ثلاثة آلاف ومائتي فارس وإنّ قبائل برغواطة الّذين يدينون لهم وهم علَى ملّتهم جراوة وزواغة والبرانس (وبنو أبي ناصر ومنجصة [1] وبنو أبي نوح وبنو واغمر ومطغرة وبنو بورغ) [2] وبنو دمّر ومطماطة وبنو وزكسينت [3] ، وعددهم ينتهي أكثر من عشرة آلاف فارس . وممّن يدين لهم من المسلمين وينضاف إلَى مملكتهم زناتة الجبل وبنو يليت [4] ونمالتة [5] وبنو واوسينت وبنو يفرن وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو أفلوسة [6] وبنو كونة وبنو يسكر [7] وأصادة وركانة وإيزمين [8] ومنادة وماسينة ورصانة وترارتة [9] ، ومبلغ عددهم نحو اثني عشر ألف فارس . قال زمّور : وليس في عسكرهم طبول ولا بنود . وعدّ زمّور من (أنهار بلادهم الجارية) [10] أزيد من مائة نهر أعظمها نهر ماسنات [11] ، وهو يجري من القبلة إلَى الجوف ، وبين عنصره وموقعه في البحر مسيرة ستّة أيّام ، ونهر وانسيفن يقع في نهر شلة تحت الرباط في البحر المحيط .

(1382)

ولم تزل برغواطة في بلادها معلنة بدينها وبنو صالح بن طريف ملوكها إلَى أن قام فيهم الأمير تميم اليفرني ، وذلك بعد عشرين وأربعمائة من الهجرة ، فغلبهم علَى بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم واستوطن ديارهم وانقطع أمرهم وعفا أثرهم ولم يبق لضلالهم باقية ولا من أواصر كفرهم آصرة . وتميم هذا كان

1381 1) سقطت من ق ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : وركسن ـ 4) ر : مليت ، ص ق : بليت ـ 5) ص : تمالية ، ر : تمالة ـ 6) ر : أفلوسية ـ 7) ر : يكبر ـ 8) ر : ايرعن ـ 9) ر : ومزارة ـ 10) ر : أنها رهم الجارية ببلادهم ـ 11) ص ج : تاسنات ، ق : باسنات ، ر : راسنات .

ذا جدّ وإيثار [1] للعدل ، وهو الّذي قتل أحد بنيه لاغتصابه جارية من التجّار بوادي شلة . وجميع بلاد برغواطة اليوم علَى ملّة الإسلام .

الطـريق من مدينــة فـاس إلَى مدينــة القيــروان

(1383)

وهي أربعون مرحلة نذكر مشهورها [1] . أوّل ما تخرج من فاس علَى باب الفتوح من عدوة الأندلسيّين إلَى مرج ابن هشام إلَى وادي سبو ، وهو علَى نحو أربعة أميال من فاس ، عليه قرى كثيرة . ثمّ تسير منه إلَى موضع يعرف بعقبة البقر إلَى خندق الفول لمكناسة ، وفي قرى متّصلة وعمارات غير منفصلة وأنهار كثيرة لأزداجة وغيرها ، إلَى قلعة جرماط [2] ، وكانت معقل أبي منقذ بن موسَى بن أبي العافية ، وكان بها جامع وأسواق وحمّام . (وفي الجوف منها علَى عشرة أميال مدينة تسول المعروفة بعين إسحاق قاعدة موسَى بن أبي العافية ، وكانت علَى ثلاثة أجبل . وبها جامع وأسواق وحمّام) [3] وعين عذبة ، بنَى عليها موسَى قبّة فخربها ميسور القائد الشيعي. ومن فاس إلَى قلعة جرماط [2] يسكنها اليوم مطغرة مرحلتان ، وقال محمّد مرحلة ، إلَى مدينة جراوة ستّ مراحل ، وقال محمّد ثمان ، منها اثنتان في الصحراء . فمن جرماط [2] إلَى قربة [4] وليلي ، وبها كان يسكن زاوي ابن أخي موسَى بن أبي العافية ، إلَى فجّ تازى لمكناسة ، إلَى وادي ورّجين [5] نهر ملح لمكناسة ، ثمّ إلَى وادي صاع ، ثمّ الصحراء إلَى مدينة جراوة .

1382 1) ر : وأثـار .

1383 1) ق : مشهور بلادها ــ 2) س ق ر : قرماط ــ 3) سقطت من س ر ــ 4) ر : قلعة ــ 5) س ر : وأريفن ، ق : وارقين .

وهي في سهلة من الأرض كان عليها سور مبني بالطوب ، وداخلها قصبة وحولها أرباض من جميع جهاتها وعيون ملحة ، وداخلها آبار عذبة وخمسة حمّامات أحدها ينسب إلَى عمرو بن العاص وجامع من خمسة بلاطات علَى أعمدة حجارة أسّسها أبو العيش عيسَى بن إدريس بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن سنة تسع وخمسين ومائتين ، وكان لها بابان شرقيّان وثالث غربي ورابع جوفي ، وحولها بسائط عريضة للزرع والضرع ، وجبل ممالو [1] في قبليّها وفيه حصن بناه الحسن بن أبي العيش حواليه بساتين ومياه تطرد [2] وبينه وبين المدينة أربعة أميال . ويتّصل بالحصن في (أسفل الجبل) [2] شعاري أشبة لا تسلك . وحول جراوة عدّة قرى لقبائل (من البربر) [2] مطغرة وبني يفرن وودانة ويغمر الجبل وبني راسين وبني باداسن [3] وبني وريمش [4] وغيرهم . وكان لأبي العيش ومن خلفه مدينة تلمسان أيضًا وما والاها . وأسر ابن ابنه الحسن في الحصن المذكور البوري بن موسَى بن أبي العافية سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة ، وكان قد انتقل إلَى الحصن من جراوة بأهله وماله وولده ، وفي ذلك يقول بكر بن حمّاد في شعر طويل [كامل] :

سائل زواغة عن فعال سيوفه ورماحه في العارض المتهلّل
وديار نفزة كيف داس حريمها والخيل تمرغ بالوشيج الذبّل
غشي مغيلة بالسيوف مذلّة وسقَى جراوة من نقيع الحنضل

1384 1) ر : ممايو ـ 2) سقطت من ق ـ 3) سقطت من ق ر ـ 4) ر : ورديش .

(1385)

ولجراوة مرسًى تافرجنيت (1) . ومن جراوة إلَى ترنانة ، وهي سوق عامرة ، مرحلة . ومنها إلَى مدينة تلمسان مرحلة ، يسكنها زناتة ، وقد تقدّم ذكرها . إلَى مدينة تافدة (2) ، وهي مدينة كبيرة آهلة علَى نهرين أحدهما حمّة ومنه شربهم وعليه أرحاؤهم . إلَى قصر ابن سنان (3) الأزداجي حوله بساتين كثيرة علَى نهر كدال . إلَى مدينة يلل ، وهي كبيرة آهلة كثيرة الأشجار يسكنها هوارة ، وبها مسجد جامع . إلَى مدينة الغزّة يسكنها مكناسة ، وهي مدينة شريفة علَى نهر شلف كثيرة البساتين وبها مسجد جامع . ومنها إلَى مدينة تيهرت وقد مرّ ذكرها ثلاث مراحل . إلَى حصن تامغيلت (4) مرحلتان ، وهو مبنيّ بالطوب علَى نهر ، له ربض وسوق ، يسكنه بنو دمّر من زناتة . إلَى إيزمامة حصن له سوق وفيه فنادق ، يسكنه لواتة ونفزاوة . إلَى مدينة هاز علَى نهر شتوي (5) ، وهي خالية أجلَى أهلها زيري بن مناد الصنهاجي . إلَى بورة (6) نهر جار يسكن حوله بنو يزناتن وهم كانوا أصحاب هاز ، وبورة كثيرة العقارب وبها سويقة . ومنها إلَى حصن موزية وبقرب هذا الحصن قصر من بنيان الأوّل بالصخر يعرف بقصر العطش حوله ماء ملح ، ومدينة عظيمة للأوّل أيضًا خالية مبنية بالصخر الجليل (7) تسمّى مدينة الرمّانة تنفجر تحتها عيون ثرّة طيّبة تسيل إلَى مدينة المسيلة ، (وقد تقدّم ذكرها) (8) . ومدينة للأوّل أيضًا خالية (9) تسمّى بالبربرية تاورمست (10) تفسيره الحمراء ، وهي مبنية بالصخر علَى نهر عذب . ومن حصن مورية إلَى مدينة المسيلة ، وقد تقدّم ذكرها .

1385 1) س ق ر : تافرقنيت – 2) س : تامدة – 3) ص ج ر : قصر سنان – 4) س : تمغلت – 5) ق : شيوي – 6) ر : قورة – 7) ص ج : يعرف بالجليل – 8) عن ر – 9) سقطت من ق ر – 10) ق : تاوست .

(1386)

ومنها إلَى مدينة أدنة ، وهي خالية أخربها علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة في وقوع [1] ميسور الفتَى إلَى المغرب ، وبلد أدنة بلد كثير الأنهار والعيون العذبة ، هنالك عين الكتان عين عذبة في مفازة عليها أربع نخلات بينها وبين المسيلة مرحلة ، وبشرقيّها وادي مقرة عليه سبع قرى منها قرية بكسم وزيتها أطيب الزيوت ، وبين عين الكتان وأدنة نهر سهر [2] ونهر النساء (ونهر أبي طويل وعين الغزال ، وبين نهر سهر ونهر النساء) [3] ثلاثة أميال ، وسمّي بذلك لأنّ هوارة أغاروا علَى نساء أدنة وذهبوا بهنّ فأدركهم أهل أدنة فاستنقذوا النساء هنالك والغنيمة وقتلوا جماعة من هوارة . ومن أدنة إلَى مدينة طبنة مرحلتان ، وقد تقدّم ذكر مدينة طبنة ، وحواليها بنو زنراج . ومنها إلَى نهر الغابة .

(1387)

ثمّ تمشي ثلاث مراحل في مساكن العرب وهوارة ومكناسة (وكبينة وورفلة) [1] ، يطلّ عليها وعلَى ما والاها جبل أوراس ، وهو مسيرة سبعة أيام ، وفيه قلاع كثيرة يسكنها قبائل هوارة ومكناسة ، وهم علَى رأي الخوارج الإباضية . ومن هذا الجبل قام أبو يزيد مخلد بن كيداد النفزي الزناتي علَى أبي القاسم بن عبيد الله ، وفي هذا الجبل كان مستقرّ الكاهنة . إلَى مدينة باغاية ، وهي حصن صخر قديم حوله ربض كبير من ثلاث نواح ، وليس فيما يلي الناحية الغربية ربض إنّما يتّصل بها بساتين ونهر ، وفي أرباضها فنادقها وحمّاماتها وأسواقها وجامعها داخل الحصن ، وهي في بساط من الأرض عريض كثير المياه ، وجبل أوراس مطلّ عليه . ويسكن فحص هذه

1386 1) س : رجوع – 2) ر : شهر – 3) سقطت من ر .

1387 1) سقطت من ق –

المدينة قبائل مزاتة وضريسة وكلّهم إباضية ، وهم يظعنون في زمن الشتاء إلَى الرمال (حيث لا مطر ولا ثلج)[2] خوفًا علَى نتاج إبلهم . وإلَى مدينة باغاية[3] لجأ البربر والروم وبها تحصّنوا من عقبة بن نافع القرشي ، فدارت بينهم حروب عظيمة وكانت الدائرة[4] فيها علَى أهل باغاية ، فهزمهم عقبة بن نافع وقتلهم قتلاً ذريعًا ، ولجأ فلّهم إلَى الحصن وغنم منهم خيلاً لم يروا في مغازيهم[5] أصلب ولا أسرع منها من نتاج خيل أوراس . فرحل عنهم عقبة ولم يقم عليهم كراهة أن يشتغل بهم عن غيرهم . وأهلها اليوم كلّهم علَى رأي الإباضية . وكيل الطعام بباغاية بالويبة[6] وهي أربعة وستّون مدًا بمدّ النبي صلعم ، (وهو قفيز ونصف قفيز قرطبي)[2] ، وقفيز الزيت قروي وهو خمس ربع قرطبي ، ورطل اللحم عندهم عشرون رطلاً فلفلية .

(1388)

ومن باغاية إلَى مدينة مجانة ، وهي كبيرة (عليها سور طوب وبها جامع وحمّامات ومعادن كثيرة)[1] منها معدن فضّة للواتة يسمّى الوريطسي[2] ، وتعرف بمجانة المعادن ، ولها قلعة مبنية بالحجر فيها ثلاثمائة وستّون جبًّا قد تقدّم ذكرها . وهذه المدينة للعرب وحولها لواتة . وهذه القلعة تعرف بقلعة بسر لأنّ بسر بن أرطاة افتتحها عنوة ، بعثه إليها موسَى بن نصير وبعث خُمس غنيمتها إليه . وبين باغاية ومجانة فندق مسكيانة ووادي ملاّق ، وهو واد صعب كثير الدهس وعر المخائض . وتسير من مجانة إلَى مرماجنّة[3] ، وهي مدينة لطيفة بها جامع وفندق وسوق وهي في بساط مديد . وهذه طريق الصيف .

1387 2) سقطت من ر ـ 3) ق : باغة ، ر : باغية ـ 4) ص : الدبرة ـ 5) ر : مغاراتهم ـ 6) ر : بالزنة .

1388 1) سقطت من س ـ 2) ر : الويسطي ـ 3) ر : مرجانة .

(1389)

فأمّا طريق الشتاء فتأخذ [1] من مسكيانة إلَى مدينة تبسا لأنّ وادي ملاّق يتّسع من سلوك تلك الطريق . ومدينة تبسا مدينة كبيرة (كثيرة الفواكه) [2] أوّلية مبنية بالصخر الجليل ، أخرب بعض سورها أبو يزيد مخلد بن كيداد ، وهي علَى نهر كبير كثير الفواكه والأشجار لا سيّما الجوز ، فإنّ المثل يضرب بجلالته هناك وكبره وطيبه . وفيها أقباء يدخلها الرفاق بدوابّهم في زمن الثلج والشتاء ، يسع القبو الواحد ألفي دابّة وأكثر .

(1390)

ومنها إلَى مدينة سبيبة ، أوّلية مبنية (بالحجارة أي) [1] بالصخر ، بها جامع وحمّامات تطرد فيها المياه العذبة تطحن عليها الأرحاء ، وهي كثيرة البساتين ويجود في أرضها الزعفران ، وحواليها جبال كثيرة (يسكنها من العرب قوم يعرفون ببني المغلس وبني الكسلان وحولهم قبائل من البربر كثيرة) [2] من هوارة ومرنيسة . وفي الطريق إلَى سبيبة مرصد [3] يعرف بعين التينة وعين تعرف بعين أربان ماء يجري من قناه للأوّل [4] . وبشرقيّ هذا العين جبل منيف محدّد فيه شقّ وفي ذلك الشقّ رجل مذبوح معروف هناك قبل فتوح إفريقية لا يحل منه قليل ولا كثير [5] ولا نال [6] منه سبع ولا دابّة ، ويقال إنّه من الحواريين ، وقد تقدّم ذكره . ومن مدينة سبيبة إلَى قرية الجهنّيين ، وهي قرية كبيرة آهلة كثيرة الفنادق والحوانيت ولها أشجار وفواكه ، بينها وبين القيروان مرحلة ، وعليها جبل يسمّى ممطور لأنّ معاوية بن حديج نزله فأصابه مطر فقال : جبلنا ممطور . ومنها إلَى منزل يقال له الهرى يجاوره مرصد ، ومنه إلَى كدية الشعير ، إلَى مدينة القيروان . وقال محمّد بن يوسف : من مدينة

1389 1) ر : فيأخذون ــ 2) سقطت من ق ر .

1390 1) عن ر ــ 2) سقطت من س ــ 3) ر : نهر ــ 4) ر : في قناه بناها الأوّل . 5) ق : بقدرة الله ــ

سبيبة إلَى ساقية ممس قرية عامرة آهلة بها مسجد وفندق [7] ، ثمّ قرية المشفق [8] كبيرة آهلة بها ماجلان وبئر طيّبة عمقها ثلاثون قامة ، ثمّ قصر الخير فيه ماء شرِّيب [9] ، ثمّ قصر الزرادية ويعرف بالخطارة عامر آهل ، ثمّ مدينة القيروان .

الطـريق من مدينـة فـاس إلَى سجلمـاسة

(1391)

من مدينة فاس إلَى مدينة سفروي مرحلة ، وهي مدينة مسوّرة ذات أنهار وأشجار . ومنها إلَى الأصنام مرحلة . ومنها إلَى موضع يقال له المزي مرحلة ، وهو بلد مكلاتة . ومنها إلَى تاسغمرت مرحلة ، وهي قرية علَى نهر . ومنها إلَى موضع يقال له أمغاك [1] مرحلة كبيرة نحو الستّين ميلاً . ومنها تدخل في عمل سجلماسة بين أنهار وثمار ثلاث مراحل إلَى مدينة سجلماسة .

(1392)

وطريق آخر [1] من سجلماسة إلَى مدينة فاس ذكرها محمّد بن يوسف : من مدينة سجلماسة إلَى موضع يقال له أرفود جبل موت لا عمارة حوله فيه حمّة مرحلة . ومنه إلَى موضع يقال له الأحساء رمل ، يحفر فيه فينبعث الماء علَى ذراع ونحوه في بلد زناتة مرحلة . ومنه إلَى حصن يرارة مرحلة ، عامر آهل به سوق وجامع وله جدول ماء ، وهو بلد يحسن فيه الغنم ، ويقال إنّ أصول

1390 6) ر : أكل – 7) ر : وفنادق – 8) سقطت من ق ص – 9) س ر : قصر الحضرمية بها ماء شريب .

1391 1) س : أمغاد ، ر : أمغاك .

أغنامهم (من قيس) [2] من أرض فارس ، وصوفها من أجود [3] الأصواف ويعمل منه بسجلماسة ثياب يبلغ الثوب منها أزيد من عشرين مثقالاً مرحلة . ومنه إلَى جبل درن المعروف بسنجنفو [4] ، وقد ذكرناه في عدّة مواضع من هذا الكتاب ، وهو كثير الصنوبر والأرز والبلوط مرحلة . ومنه إلَى مطاطة أمسكور [5] بلد كبير علَى نهر ملوية وهو منه في قبليّه ، وهو بلد كثير الزرع يسقَى كلّه من نهر ملوية كثير البقر والغنم وبها جامع وسوق مرحلة . ومنه إلَى موضع يقال له سوق لميس فيه سوق ومسجد وحواليه مياه سائحة عامر آهل كان لمدين بن موسَى [6] بن أبي العافية مرحلة . ومنه إلَى مغيلة ابن تجامان [7] قرار لقوم من الصفرية (له ربض كبير) [8] ، وبنو تجامان علَى السنّة والجماعة ساكنون في ربوة تلاصق ربضهم مرحلة . وتسير منها في جبال شامخة إلَى مغيلة القاط ، حصن كبير له جامع وسوق كثير الأنهار والثمار ، معظم شجره التين [9] ، ومنه يحمل زبيبًا إلى فاس مرحلتان . إلَى لواتة مدين [8] ، وقصبة لواتة منيعة لا ترام علَى نهر سبو مرحلة . إلَى فاس .

ذكر مدينة سجلماسة

(1393)

ومدينة سجلماسة بنيت سنة أربعين ومائة ، وبعمارتها خلت مدينة تدغة وبينهما يومان وبعمارتها خلت زيز أيضًا . ومدينة سجلماسة مدينة سهلية أرضها سبخة ، حولها أرباض كثيرة وفيها دور رفيعة [1] ومبان سرية ولها بساتين كثيرة ، وسورها أسفله مبني بالحجارة وأعلاه بالطوب ، بناه أليسع أبو منصور

1392 (1) ق ر : ثانية ــ 2) سقطت من ق ــ 3) ر : أحسن ــ 4) س ق ر : بسقنفو ــ 5) سقطت من ص ج ، س : أمكسور ــ 6) بن موسى : سقطت من ق ــ 7) س ر : تقامان ــ 8) سقطت من ر ــ 9) ر : أكثرها شجر التين.

1393 (1) ق : دور كثيرة رفيعة ، ر : ديار رفيعة ــ

بن أبي القاسم من ماله لم يشركه في الإنفاق عليه أحد ، أنفق فيه ألف مدى طعام ، ولها اثنا عشر بابًا ثمانية منها حديد . وكان بناء أليسع له سنة تسع وتسعين ومائة ، وارتحل إليها (سنة مائتين) [2] وقسمها علَى القبائل علَى ما هي عليه اليوم . وهم يلتزمون النقاب ، فإذا حسر أحدهم عن وجهه لم يميّزه أحد من أهله .

(1394)

وهي علَى نهرين وعنصرهما من موضع يقال له أجلف [1] تمدّه عيون كثيرة ، فإذا قرب من سجلماسة تشعّب نهرين يسلك شرقيّها وغربيّها . وجامعها متقن البناء بناه أليسع فأجاده ، وحمّاماتها رديئة البناء غير محكمة العمل . وماؤها زعاق وكذلك جميع ما ينبط [2] من الماء بسجلماسة ، وشرب زروعهم من النهر في حياض كحياض البساتين ، وهي كثيرة النخيل والأعناب وجميع الفواكه ، وزبيب عنبها المعرّش الّذي لا تناله الشمس لا يزبّب إلاّ في الظلّ ويعرفونه بالظلّي ، وما أصابته الشمس منه زبّب في الشمس .

(1395)

ومدينة سجلماسة في أوّل الصحراء لا يعرف في غربيّها ولا في قبليّها عمران ، وليس بسجلماسة ذباب ولا يتجذّم من أهلها أحد ، وإذا دخلها مجذّم [2] توقّفت عنه علّته . وأهل سجلماسة يسمّنون الكلاب ويأكلونها كما يصنع أهل مدينة قفصة وقسطيلية ، ويأكلون الزرع إذا أخرج شطأه .وهو عندهم مستطرف . والمجذّمون عندهم هم الكنّافون ، والبنّاؤون عندهم يهود لا يتجاورهم [3] هذه الصناعة .

1393   2) ر : لتمام المائة من سنة .

1394   1) س ق : أقلف ، ر : أكلف ــ 2) ر : ينبسط .

1395   1) ر : يجذم ــ 2) ر : جذام ــ 3) ر : لا يتجاوزون ، ج : لا يدخلون .

(1396)

ومن مدينة سجلماسة تدخل إِلَى بلاد السودان إِلَى غانة ، وبينها وبين مدينة غانة مسيرة شهرين في صحراء غير عامرة إلاّ بقوم ظاعنين لا يطمئنّ بهم منزل ، وهم بنو مسّوفة من صنهاجة ، ليس لهم مدينة يأوون إليها إلاّ وادي درعة ، وبين سجلماسة ووادي درعة مسيرة خمسة أيّام .

(1397)

وملك بنو مدرار سجلماسة مائة سنة وستّين سنة ، وكان فيها أبو القاسم سمجو [1] بن واسول المكناسي أبو أليسع المذكور ، وجدّ مدرار لَقِيَ بإفريقية عكرمة مولَى ابن عبّاس وسمع منه ، وكان صاحب ماشية وكان كثيرًا ما ينتجع موضع سجلماسة ، فاجتمع إليه قوم من الصفرية . فلمّا بلغوا أربعين رجلاً قدّموا علَى أنفسهم عيسَى [2] بن مزيد الأسود وولّوه أمرهم ، فشرعوا في بنيان سجلماسة ، وذلك سنة أربع ومائة [3] .

(1398)

وذكر آخرون أنّ مدرارًا كان حدّادًا من ربضية الأندلس ، فخرج عند وقعة الربض فنزل منزلاً بقرب سجلماسة ، وموضع سجلماسة إذ ذاك براح يجتمع فيه البربر وقتًا ما من السنة يتسوّقون لقُرْب [1] . وكان مدرار يحضر سوقهم بما يعدّ لها من آلات الحديد ، ثمّ ابتنَى بها خيمة وسَكنها وسكن البربر حوله ، فكان ذلك أصل عمارتها ، ثمّ تمدّنت . والأوّل أصحّ في عمارتها . وأمّا مدرار فلا شكّ فيه أنّه كان حدّادًا لأن ولده القائمين بأمر سجلماسة قد هُجوا [2] بذلك .

1397 1) ر : سمغوا ــ 2) ر : موسى ــ 3) ق : أربعين ومائة .

1398 1) ر : يتسوّقون فيه لقربه ــ 2) ق : هجعوا .

(1399)

فأوّل من وليها عيسَى بن مزيد [1] ، ثمّ أنكر أصحابه الصفرية عليه أشياء. فقال أبو الخطّاب يومًا لأصحابه في مجلس عيسَى : السودان كلّهم سرّاق حتّى هذا ، وأشار إلَى عيسَى . فأخذوه وشدّوه وثاقًا إلَى شجرة في رأس جبل وتركوه كذلك حتّى قتله البعوض ، فسمّي ذلك الجبل جبل عيسَى إلَى اليوم . ووليهم خمسة عشر عامًا .

(1400)

ثمّ ولّوا أبا القاسم سمجو [1] بن مزلان بن نزول [2] المكناسي ، فلم يزل واليًا عليهم إلَى أن مات فجأة في آخر سجدة من صلاة العشاء سنة ثمان وستّين ، فكانت ولايته ثلاث عشرة سنة .

(1401)

ووليها ابنه أبو الوزير أليَاس بن أبي القاسم إلَى أن قام عليه أخوه أبو المنتصر أليسع فخلعه سنة أربع وسبعين ومائة . فولي أبو المنتصر ، وكان جبّارًا عنيدًا فظًّا غليظًا ، فظفر بمن عانده من البربر وذلّلهم وأخذ خمس [1] معادن درعة وأظهر الصفرية ، وبنَى سور سجلماسة علَى ما تقدّم ، وتوفّي سنة ثمان ومائتين . وولي ابنه مدرار المنتصر بن أليسع ـ ومدرار لقب ـ فلم يزل واليًا إلَى أن اختلف الأمر بين ولديه ميمون المعروف بابن أروى بنت عبد الرحمان بن رستم وابنه ميمون أيضًا المعروف بابن ثقية [2] . فتنازعا الأمر بينهما وتقاتلا

1399 1) ر : يزيد ، س : مريم .

1400 1) ص ق س : سمغو ـ 2) ر : منزلان بن يزول .

1401 1) سقطت من ق ـ 2) ر : بغية ، كذا كلّما يذكر هذا الاسم ـ

ثلاثة أعوام ، ومال مدرار مع ابنه ميمون بن الرستمية فأخرج ميمون بن ثقية من سجلماسة . (وولّى ابن الرستمية وخلع أباه ، ثمّ قام عليه أهل سجلماسة فخلعوه وأرادوا تقديم ميمون بن ثقية) [3] . فأبى أن يتآمر [4] علَى أبيه فأعادوا أباه مدرارًا [5] . ثمّ أنس أهل سجلماسة أنّه استدعَى ابنه ابن الرستمية فيمن أطاعه من درعة ليوليه ، فحاصروا مدرارًا وخلعوه وقدّموا ابنه ابن ثقية وهو المعروف بالأمير ، (فلم يزل عليهم واليًا إلى أن مات سنة ثلاث وستّين ومائتين ، وفي إمرته مات مدرار أبوه مخلوعًا .

(1402)

ووليها محمّد بن ميمون الأمير) [1] إلَى أن توفّي في صفر سنة سبعين . فوليها أليسع بن المنتصر بن أبي القاسم إلَى أن فرّ عنها لمّا تغلّب عليها أبو عبد الله الشيعي في ذي الحجّة ، وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين . وولّى عليها الشيعي إبراهيم بن غالب المزاتي ، فقتله أهل سجلماسة ومن كان معه من رجال الشيعي بعد خمسين يومًا . ووليها واسول [2] وهو الفتح بن الأمير ميمون ، وذلك في ربيع الأوّل سنة ثمان وتسعين . وتوفّي في رجب سنة ثلاثمائة . فوليها أخوه أحمد إلَى أن حاصره فيها مصالة بن حبوس وافتتحها عنوة فقتله ، وذلك في المحرّم سنة تسع وثلاثمائة . وولّى مصالة أمرها المعتزّ بن محمّد بن سارو [3] بن مدرار إلَى أن توفّي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة . ووليها بعده ابنه محمّد بن المعتزّ إلَى أن توفّي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة . ووليها ابنه أبو المنتصر سمجو [4] بن محمّد وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، تدبّر أمره جدّته فمكث كذلك شهرين ، وقام عليه ابن عمّه محمّد بن الفتح بن الأمير فحاربه وتغلّب عليه وأخرجه وتملّك سجلماسة .

1401 3) سقطت من ر ـ 4) ر : يتقدّم ـ 5) في ص نقص مقدار ورقة واحدة .

1402 1) سقطت من ج ـ 2) ق : وولي بعده الرسول ـ 3) ر : ساور ـ 4) ق ر : سمغو .

(1403)

وكان محمّد بن الفتح سنّيًا علَى مذهب المالكية يحسن السيرة ويظهر العدل ، إلاّ أنّه تسمّى بأمير المؤمنين سنة اثنتين وأربعين [1] وتلقّب بالشاكر لله وضربت بذلك الدراهم والدنانير ، فمكث كذلك إلَى أن قربت منه عساكر أبي تميم معدّ مع قائده جوهر الكاتب ، فخرج عن سجلماسة بأهله وماله وولده [2] وخاصّته وصار بتاسجدالت [3] حصن منيع علَى اثني عشر ميلاً من سجلماسة . ودخل جوهر سجلماسة وملكها ، وذلك سنة سبع وأربعين وثلاثمائة . وخرج محمّد من الحصن في نفر يسير من أصحابه إلَى سجلماسة ليتعرّف [4] الأخبار مستترًا ، فعرفه قوم من مطغرة في بعض الطريق [5] فأخذوه فأتوا به إلَى جوهر في رجب من ذلك العام .

(1404)

ويزرع بأرض سجلماسة عامًا ويحصد من تلك الزريعة ثلاثة أعوام لأنّه بلد مفرط الحرّ شديد القيظ ، فإذا يبس زرعهم تناثر عند الحصاد ، وأرضهم متشقّقة فيرفع [1] ما تناثر منه في تلك الشقوق ، فإذا كان في العام الثاني حرث بلا بذر وكذلك في الثالث . وقمحهم رقيق صيني ، يسع المدّ منه مدّ النبي صلعم خمسة وسبعين ألف حبّة ، ومديهم اثنا عشر قنقلا ، والقنقل ثماني زلافات ، والزلافة ثمانية أمداد بمدّ النبي عليه السلام .
ومن الغرائب عندهم أنّ الذهب جزاف عدد بلا وزن والكراث يتبايعونه وزنًا لا عددًا .

1403 1) ر : سَنة أربع وثلاثمائة _ 2) سقطت من ق ر _ 3) تاسقدالت ، ر : تاسكدالت _ 4) ر : لتعرف _ 5) ر : الناس .

1404 1) ر : فيقع .

(1405)

ومن سجلماسة إلَى مدينة القيروان ستّ وأربعون مرحلة ، وقال محمّد بن يوسف ثلاث وخمسون مرحلة . فمن سجلماسة إلَى قرار الأمير لبني مدرار ، إلَى حصن ابن مدرار ، إلَى جبل أكسرايغ [1] ، إلَى مدينة أمسكور [2] لمطاطة وهم علَى مداراة لصاحب سجلماسة ، (وقد تقدّم ذكرها ، وبينها وبين سجلماسة) [3] خمس مراحل ، ومنها إلَى مدينة جراوة ستّ مراحل في عامر وغامر ، منها موضع يعرف بالصدور [4] منه يخرج الطريق إلَى مدينة مليلة ، وهو موضع معروف قريب من العمارة علَى ماء طيّب ، ثمّ من جراوة إلَى القيروان كما تقدّم .

(1406)

فأمّا الطريق من سجلماسة إلَى مدينة مليلة فمن سجلماسة إلَى الصدور كما ذكرنا ، ثمّ إلَى أجرسيف قرية عامرة علَى نهر ملوية . إلَى جراوة [1] موضع كثيرا ما ينزله البربر بالأخصاص ، ويروى (فيه حدثان وأنّ بني أميّة) [2] سيعمّرونه ، إلَى قلوع جارة وهي مدينة عامرة في جبل علَى ماء ملح (وقد تقدّم ذكرها) [3] ، إلَى مدينة مليلة . فذلك خمس عشرة مرحلة ، وقد تقدّم ذكر مليلة

1405 1) ج : أكسر ، ر : أكسيرايغ ـ 2) ر : أمكسور ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ج ر : بالصدر .

1406 1) عن ق ، ر : خرواك ، سقطت من ص س ج ، ويستأنف هنا نص ص (انظر 5/1401) ـ 2) عن ر ـ 3) سقطت من ج ص .

الطـريق من سجلمـاسة إلَى مدينـة أغمـات

(1407)

من سجلماسة إلَى تيحمّامين [1] يومان ، وفي تيحمّامين معدن للنحاس . ومن تيحمّامين إلَى وادي درعة يومان ، وعلَى وادي درعة شجر كثير وثمار عظيم وهناك شجر التاكوت يشبه شجر الطرفاء ، وبهذا التاكوت تدبغ الجلود الغدامسية [2] . وعلَى وادي درعة سوق في كلّ يوم من أيّام الجمعة في مواضع مختلفة منه معلومة ، وربّما كان عليه في اليوم الواحد سوقان ، وذلك لبعد مسافته وكثرة الناس عليه ، وطول عمارته المتّصلة سبعة أيّام . ومن وادي درعة إلَى موضع يقال له أدامست ، ومنه إلَى ورزازات يومان ، وهو بلد هسكورة [3] ، وتمشي في بلد هسكورة أربعة أيّام إلَى منازل قبيل [4] يقال له هزرجة ، (وهناك جبل يقال له جبل هزرجة) [5] فيه أجناس من الياقوت المتناهي في الجودة وحسن اللون يتكوّن علَى حجارة الجبل إلاّ أنّه خشن ضرس كالسفن ، لا يأخذه العمل ولا ينفعل للسنبادج ، وهو كثير موجود ثمّة [6] . ومن هناك مسافة يوم إلَى أغمات .

ذكـر مدينـة أغمـات

(1408)

وهي مدينتان سهليّتان إحداهما [1] تسمّى (أغمات إيلان والأخرى) [2] أغمات وريكة وبها مسكن رئيسهم وبها ينزل التجّار والغرباء ، وأغمات إيلان

1407 1) س ر : تيخامين ، ق : تخيامين ـ 2) ق : الجلد الغدامسي ـ 3) ق : مكسورة ـ 4) سقطت من ق ر ـ 5) سقطت من ق ـ 6) ر : هناك .

1408 1) سقطت من ق ـ 2) سقطت من ر ـ

لا يسكنها غريب ، وبينها ثمانية أميال . ولها نهر لطيف جريته من القبلة إلَى الجوف ماؤه زعاق يقال له تاقيروت . وحولها بساتين ونخل كثير ، وهو بلد واسع يسكنه قبائل مصمودة في قصور وديار [3] وأشجار ، وهو راخي الأسعار كثير الخير يحمل إليه من مدينة نفيس تفاح جليل يباع منه وِقْر بغل [4] بنصف درهم ، إلاّ أنّه وخم الهواء ألوان سكّانه مصفرّة كثير العقارب القتّالة الّتي لا يداوى سليمها . وبها أسواق جامعة ، فسوق أغمات وريكة يقوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر ، يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفد جميع ذلك في ذلك اليوم .

(1409)

وكانت إمرة أهل أغمات دولاً بينهم يتولّى الرجل منهم [1] سنة ثمّ يُدِيلونه [2] بآخر منهم عن تراض واتّفاق . كذلك ذكر محمّد بن يوسف القيرواني .

(1410)

وساحل أغمات رباط قوز علَى البحر المحيط ، وفيه تنزل السفن من جميع البلاد ولا تخرج منه السفن صادرة إلاّ في زمان الأمطار وتكدّر الهواء واغبرار الجو ، فحينئذ تصدق لهم الرياح البرّية ، فإن تمادى ذلك لهم سلموا ، وإن أصحَى الجو وصفا الهواء هبّت لهم الرياح البحرية من الغرب فيهيج عليهم البحر ويقذفهم في البراري ، فقلّما يسلمون .

1408 3) عن ر ـ 4) ق : وقر بعير ، ر : وقرنفل .

1409 1) عن ق ر ـ 2) ر : يزيلونه ، س ج : يبدلونه ، ق : يدخلونه .

والطـريق من مدينـة أغمـات وريكـة [1] إلَى ربـاط قـوز

(1411)

من وريكة إلَى نفيس خمسة وثلاثون ميلاً ، ومن نفيس إلَى شفشاون [2] ثلاثون ميلاً ، ومنها إلَى مرامر ثلاثون ميلاً ، ومنها إلَى رباط قوز خمسة وعشرون ميلاً ، فذلك مائة وعشرون ميلاً .

الطـريق من مدينـة أغمـات إلَى مدينـة فـاس

(1412)

من أغمات إلَى موضع يعرف بأبواب عبد الخالق بن سي [1] وهي أحقاف رمل مرحلة . ومنها إلَى فحص أفيح فسيح يعرف بفحص نزار ، ونزار بالبربرية الغربال ، شبه به لأنّه مدوّر ، وهو موضع مجوّف [2] مرحلة . ومنه إلَى وادي وانسيفن [3] واد كبير انبعاثه من موضع يقال له حدود (بين بلد) [4] زواغة ومدغرة ويقع في البحر المحيط،ويعبر علَى الزقاق المنفوخة مرحلة . ومنه إلَى فحص يملو [5] مديد واسع مرحلة . ومنه إلَى موضع يعرف ببني وارث ، وهو كثير شجر الفربيون وهي شجرة صغيرة شوكاء لها عساليج يسيل منها لبن مسهل مرحلة . ومنه إلَى بلد زواغة مرحلة . ومنها إلَى حصن داي ، وهو في وسط غيضة كبيرة من أجناس الشجر ، ولهم سوق حافلة يجتمع فيها رفاق فاس والبصرة وسجلماسة بضروب الأمتعة والمتاجر مرحلة . ومنه إلَى وادي درنة نهر كبير يقع في [6] نهر وانسيفن المذكور مرحلة . ومنه

1411 1) سقطت من ق ـ 2) ر : شعشاوش .

1412 1) بن سي : سقطت من ر ـ 2) ق ص ر : مخوف ـ 3) ق : منسيفن ـ 4) ر : بني يلرن ـ 5) ق : يملفوا ـ 6) ر : فيه ـ

إلَى مغيلة ، وكان مقدّمهم موسى بن جليد ، وكان شديد الأيدي يمسك بذنب الفرس الجواد ويهمزه فارسه فلا يكون له حراك مرحلة . ومنه إلَى موضع يعرف بأوزقور كان يسكنه قوم يعرفون ببني موسَى من ربضية الأندلس ، فاستفسدوا [7] إلَى من جاورهم وأساؤوا عشرتهم ، فحاربوهم فغلب الأندلسيّون وقتل منهم كثير وافترق باقيهم ببلاد أغمات وبقي منهم بأوزقور نفر يسير بالآمان ، فهم بها إلَى اليوم ، مرحلة . ومنها إلَى سوق فنكور ، سوق عامرة حافلة يعمل بها برانس سود ، حصينة لا ينفذها الماء مرحلة . ومنها إلَى ولماصة مرحلة . إلَى كزناية مرحلة . إلَى مدينة ورزيغة ، وهي آهلة كثيرة المياه والثمار والخير يباع فيها ألف حبّة أجاص بربع درهم ، قتل ميسور الفتَى أهلها وسبَى نساءها بعد زواله عن مدينة فاس سنة أربع وعشرين وثلاثمائة . ومن ورزيغة إلَى مدينة أغيغَى [8] ، ومعنَى أغيغَى حجارة يابسة لأنّها مبنيّة بالحجر بغير طين، وهي اليوم خالية، وكان القوم الّذين بنوها وسكنوها قوما من ربضية الأندلس أيضًا فأجلاهم عنها البربر إلَى وليلي، فهم بها بقيّة مسيرة مرحلة . فمنها إلَى ماسيتة[9] بلد كبير، ويحسن فيه القطن ويجود وبه سوق لطيفة. ومنها إلَى فاس مرحلة. (فذلك ثماني عشرة مرحلة)[10].

الطـريق من مدينـة درعـة إلَى سجلمـاسة

(1413)

مدينة درعة يقال لها تيومتين [1] ، وهي قاعدة درعة . وقد تقدّم ذكر وادي درعة وأنّ منبعثه من جبل درن . وهذه المدينة آهلة عامرة بها جامع وأسواق جامعة ومتاجر رابحة ، وهي في شرف من الأرض والنهر منها بقبليها وجريته من الشرق إلَى الغرب ويهبط لها من ربوة حمراء . وكان صاحبها علي بن

---

7) ر : فانتبذوا ـ 8) ر : اغمغي ـ 9) ر : ماسية ، س : سبتة ـ 10) سقطت من ص . 1412

أحمد بن إدريس (بن يحيى) [2] بن إدريس . فمن مدينة تيومتين [3] إلَى تامجّاثت مرحلة ، وهو موضع ينبت شجرًا يسمّونه تامجّاثت وهو شجر يعظم ورقه هدب كورق الطرفاء ومنه آنية سجلماسة ودرعة وما والاهما . ومن هناك إلَى أمان تيسّن [4] مرحلة ، وتفسيره الماء الملح . ومنه إلَى تنودادن [5] مرحلة ، وتفسيره بئر [6] الأيائل ، وهناك معدن نحاس . ومنه إلَى أجرو [7] مرحلة ، وهذا كلّه بلد سرطة قبيل من صنهاجة . ومن هناك إلَى تونين أن وجلّيد [8] تفسيره آبار الأمير مرحلة . ومنه إلَى أمان يسيدان تفسيره ماء النعام . ومنه إلى أجران ووشان [9] أي قدّان الذئب ، إلَى أمرغاد مرحلة ، وأمرغاد آخر بساتين سجلماسة . ومنها إلَى سجلماسة ستّة أميال .

الطريق من مدينة تامدلت إلَى مدينة أودغست

(1414)

من تامدلت إلَى بئر الجمّالين مرحلة ، وهذه البئر عمقها أربع قامات من أنباط عبد الرحمان بن حبيب . ومنها إلَى شعب ضيّق لا تسير فيه الإبل إلاّ متتابعة مرحلة . ثمّ تسير في جبل يسمّى أزور ثلاثة أيّام ، وهو محجر تجفى فيه الإبل ينبت أمّ غيلان ، ومن خرج فيه عن الطريق أصاب زبر حديد مثقّبة لا تذيبه النار . وهذا الجبل كثير الثعابين ، طوله مسيرة عشرة أيّام من أوّل طريق سجلماسة إلَى جانب البحر المحيط . ويقال إنّ جبل أزور متّصل بجبل نفوسة من جبال أطرابلس ، وأحسبه جبل درن المذكور قبل هذا الّذي ينبعث من تحته وادي درعة . فتسير في هذا الجبل ثلاثة أيّام إلَى ماء (يسمّى

1413 1) ر : تبومين ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ر : تبومتين ـ 4) ر : أمان شسن ، ق : يان شمس ـ 5) ر : بني دارن ، ق : بنو دارن ، س : بنوداران ـ 6) ر : ماء ـ 7) ر : أقرو ، ق س : اقزو ـ 8) ق : تونين أحليد ، ر : تونين أكليد ـ 9) ق س ر : آقروشان .

تندفس) [1] آبار يحتفرها المسافرون ، فلا تلبث أن تنهار وتندفن . ثمّ تسير منه ثلاثة أيّام (إلَى بئر كبيرة يقال لها وين هيلون . ثمّ تمشي ثلاثة أيّام) [2] في أرض سواء صحراء ربّما وجد فيها الماء علَى صفاء تحت الرمل من بقية الأمطار . إلَى ماء نزر يقال له تازقّى [3] وتفسيره البيت .

(1415)

ثمّ تسير منه إلَى بئر أنبطها عبد الرحمان بن حبيب واحتفرها في حجر أدعج صلب طولها أربع قامات مرحلة . ثمّ تسير منها إلَى بئر يقال لها ويطونان [1] ، وهي كبيرة لا تنزف ، ماؤها زعاق يسهل شاربيه من الناس والأنعام ، وهي من عمل عبد الرحمان بن حبيب أيضًا طولها ثلاث قامات ، ثلاث مراحل . ثمّ تمشي منه في أربع مراحل إلَى موضع يقال له أوكازنت أرض زرقاء ، ينبط أهل الرفاق فيها الماء علَى ذراعين وثلاث . ثمّ تمشي في مجابة [2] جبال رمل معترضة لا ماء فيها ، وهو أصعب موضع بطريق أودغست ، أربعة أيّام إلَى موضع يقال له وانزمين [3] آبار قريبة الرشاء فيها العذب والشريب ، وعليه جبل طويل صعب كثير الوحوش . وبهذا الماء يجتمع جميع طرق بلاد السودان ، وهو موضع مخوف تغير فيه لمطة وجزولة علَى الرفاق ويتّخذونه مرصدًا لهم لعلمهم بإفضاء الطرق إليه وحاجة الناس إلَى الماء فيه . ثمّ تمشي منه في بلد واران [4] خمسة أيّام مجابة في كثبان رمل إلَى بئر عظيمة في حدّ بني وارث [5] قبيل من صنهاجة ، علَى تلك البئر شجر يقال له السقنّى ، وهو شجر الأهليلج إلاّ أنّه لا يثمر .

1414 1) سقطت من ق ــ 2) سقطت من ر ــ 3) ر : تارغا .

1415 1) س : ونطونان ، ر : ونطوبان ــ 2) ق : مجانة ــ 3) ق ر : وانزميران ــ 4) ر : وان ــ 5) ر : وار .

(1416)

ثمّ تسير منه يومين إلَى ماء يقال له أغرف (1) آبار ملحة تردها أذوات لصنهاجة فتصلح عليه وتصحّ به ، وكلّ ماء ملح فوافق للإبل . ثمّ تسير منه ثلاثة أيّام إلَى موضع يقال له (أقر تندى (2) تفسيره مجتمع الماء فيه أصناف كثيرة من الشجر وفيه الحناء والحبق . ثمّ تسير منه يومًا في جبل يقال له) (3) أزجونان (4) يقطع فيه السودان . ثمّ تمشي يومًا في رمال شجرة إلَى ماء يقال له بئر واران ماؤها زعاق . ثمّ تمشي في أرض لصنهاجة كثيرة الماء من الآبار ثلاثة أيّام . ثمّ تسير منه إلَى شرف عال مشرف علَى أودغست فيه طير كثير يشبه الحمام واليمام إلاّ أنّه أصغر رؤوسًا وأغلظ مناقر ، وفيه أشجار الصمغ الّذي يجلب إلَى الأندلس يصمغ (5) بها الديباج ، مرحلة . ثمّ إلَى أودغست .

[ذكر مدينة أودغست]

(1417)

وهي مدينة كبيرة آهلة رملية يطلّ عليها جبل كبير موات لا ينبت شيئًا ، بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلّمون للقرآن ، وحولها بساتين النخل ، ويزدرعون فيها القمح بالفوس ويسقَى بالدلاء يأكله ملوكهم وأهل اليسار منهم ، وسائر أهلها يأكلون الذرّة ، والمقاثي تجود عندهم . وبها شجيرات (1) تين يسيرة ودوال يسيرة أيضًا ، وبها جنان حناء لها غلّة كبيرة ، وبها آبار عذبة والغنم والبقر أكثر شيء عندهم ، يشترى بالمثقال الواحد عشرة

1416 1) سقطت من ق ، ر : أعرف ـ 2) عن ص ، س ق : ؟ ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ر : أوقونان ، ق : أزقان ـ 5) ر : يسبغ .

1417 1) ر : شجر ـ

أكبش وأكثر . وعسلها أيضًا كثير يأتيها من بلاد السودان . وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة ، وسوقها عامرة الدهر كلّه لا يسمع الرجل فيها كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله . وتبايعهم [2] بالتبر وليس عندهم فضّة .

(1418)

وبها مبان حسنة ومنازل رفيعة ، وهو بلد وبيء [1] ألوان أهله مصفرّة وأمراضهم الحميات والطحال لا يكاد يخلو من إحدى العلّتين أحد منهم . ويجلب إليها القمح والتمر والزبيب من بلاد الإسلام علَى بعد . وسعر القمح عندهم في أكثر الأوقات القنطار بستّة مثاقيل وكذلك التمر والزبيب . وسكّانها أهل إفريقية وبرقجانة ونفوسة ولواتة وزناتة ونفزاوة ، هؤلاء أكثرهم ، وبها نبذ من سائر الأمصار . وبها سودانيات طبّاخات محسنات تباع الواحدة منهنّ بمائة مثقال وأكثر ، تحسن عمل الأطعمة الطيّبة من الجوزينقات [2] والقطائف وأصناف الحلوات وغير ذلك . وبها جوارٍ حسان الوجوه بيض الألوان مثنيات [3] القدود لا تنكسر لهنّ نهود ، لطاف الخصور ضخام الأرداف واسعات الأكتاف ضيّقات الفروج المستمتع بإحداهنّ كأنّه يتمتّع ببكر أبدًا .

(1419)

قال محمّد بن يوسف : أخبرني أبو بكر أحمد بن خلوف الفاسي شيخ من أهل الحجّ والخير قال : أخبرني أبو رستم النفوسي وكان من تجّار أودغست أنّه رأى منهنّ امرأة راقدة علَى جنبها ، وكذلك يفعلن في أكثر حالهنّ إشفاقًا من الجلوس علَى أردافهنّ ، ورأى ولدها طفلاً يلاعبها ويدخل من تحت خصرها

1417 2) ر : وتبايع الجميع منهم ، س : وتبايع أهله .

1418 1) عن ق ر ــ 2) ر : الجوزنبقات ــ 3) ق : مثنيات ، ر : مثليات .

وينفذ من الجهة الأخرى من غير أن تتجافَى له شيئًا [1] لعظم ردفها ولطف خصرها . والحيوان الّذي يعمل منه الدرق حوالي أودغست كثير جدًّا . ويتجهّز إلَى أودغست بالنحاس المصنوع وبثياب مصبّغة بالحمرة والزرقة مجنّحة ، ويجلب منها العنبر المخلوق الجيّد لقرب البحر المحيط منهم . والذهب الابريز الخالص خيوطًا مفتولة ، وذهب أودغست أجود ذهب الأرض [2] وأصحّه .

(1420)

وكان صاحب أودغست في عشر الخمسين وثلاث مائة تين يروتان [1] بن ويسنو بن نزار رجل من صنهاجة ، وكان قد دان له أزيد من عشرين ملكًا من ملوك السودان كلّهم يؤدّون إليه الجزية ، وكان عمله مسيرة شهرين في مثلها في عمارة يعتد في مائة ألف نجيب ، (واستمدّه معدّ بن ملك ماسين علَى) [2] ملك أوغام فأمدّه بخمسين ألف نجيب ، فدخلت بلاد أوغام (وعساكره غافلة) [2] ، فغنمت البلد وأحرقته . فلمّا نظر أوغام إلَى ما حلّ ببلده هان عليه الموت (فرمَى بدرقته) [2] وثنَى رجله عن دابّته وجلس عليها ، فقتلته أصحاب تين يروتان . فلمّا عاينت نساء أوغام إليه قتيلاً تردين في الآبار وقتلن أنفسهنّ بضروب القتل أسفًا عليه وأنفة من أن يملكهنّ البيضان .

1419 1) ر : يتجافى له شيء ـ 2) س : أجود من ذهب أهل الأرض .

1420 1) ر : تين وروتان ـ 2) سقطت من ص ج .

[الطـريق من أودغسـت إلَى سجلماسـة]

(1421)

فأمّا الطريق من أودغست إلَى بلد سجلماسة فمن أودغست إلَى تامدلت علَى ما ذكرنا أيضًا ، وذلك أربعون مرحلة . ومن تامدلت إلَى سجلماسة علَى ما ذكرناه قبل هذا إحدى عشرة مرحلة . فذلك إحدى وخمسون مرحلة . وبين أودغست ومدينة القيروان مائة مرحلة وعشر مراحل .

(1422)

الطريق من مدينة أغمات إلَى السوس علَى ما ذكره مؤمن [1] بن يومر الهواري : من أغمات وريكة إلَى مدينة نفيس ، وهي تعرف ببلد النفيس كثير الأنهار والثمار ليس في ذلك القطر موضع أطيب منه ولا أجمل منظرًا ، وهي قديمة أوّلية غزاها عقبة بن نافع (صاحب رسول الله صلعم) [2] وحاصر بها الروم (والنصارى) ونصارى البربر وكانوا قد اجتمعوا بها لحصانتها وسعتها ، فلزمهم حتّى افتتحها وبنَى بها مسجدًا (هو باق) [3] إلَى اليوم . وأصابوا فيها غنائم كثيرة ، وذلك سنة اثنتين وستّين ، وهي اليوم آهلة عامرة بها جامع وحمّام وأسواق جامعة ، بينها وبين البحر مسيرة يوم ، يسكنها قبائل من البربر أكثرهم مصمودة . وكان صاحبهم [4] حمزة بن جعفر الّذي نسب إليه السوق من بني عبيد الله بن إدريس بن إدريس ، مرحلة .

1422 1) ر : موسى بن مومن ـ 2) سقطت من ق ر ـ 3) سقطت من ق ـ 4) ق : صاحبها .

(1423)

ومن مدينة نفيس إلَى مدينة أنيفن مرحلة ، وهي مدينة في بطحاء كثيرة المياه والفواكه . ومنها إلَى مدينة تامرورت مرحلة ، وهي مدينة لطيفة طيّبة . ومنها ترقَى في جبل درن ، وهو جبل معترض في الصحراء معمور بقبائل صنهاجة وغيرها ، وهو الجبل الّذي يقال إنّه متّصل إلَى المقطّم بمصر . ومن هذا الجبل ينزل إلَى بلاد [1] السوس . وذكر محمّد بن يوسف في كتابه أنّ تامرورت هو أوّل صعود هذا الجبل ، ويقال إنّه أكبر جبال الدنيا وهو يتّصل بجبل أوراس [2] ويجبل نفوسة المجاور لأطرابلس . وفي الحديث أنّ في المغرب جبلاً يقال له درن يزفّ (يوم القيامة) [3] بأهله إلَى النار كما تزفّ العروس إلَى بعلها .

(1424)

قال : وتمشي في الجبل إلَى موضع يقال له الملاّحة ، وفي أعلى الجبل نهر عظيم كبير ، والجبل كثير الأشجار والشعْراء والثمار . ومن الجبل إلَى موضع يعرف بأسطوانات أبي علي في الجبل أيضًا ، وعن يمين هذا الموضع علَى مسيرة يوم الموضع المعروف بتازرارت [1] وفيه معدن فضّة قديم غزير المادّة . ومن أسطوانات أبي علي إلَى قبيل من البربر يعرفون ببني ماغوس ولهم سوق عامرة .

وعن يمين بني ماغوس قبيل يقال لهم بنو لماس ، وهم كلّهم روافض ويعرفون بالبجليّين [2] نزل بين ظهرانهم رجل بجلي من أهل نفطة قسطيلية قبل دخول أبي عبد الله الشيعي إفريقية يقال له محمّد بن ورسند ، ودعاهم إلَى سبّ الصحابة رضوان الله عليهم وأحلّ لهم المحرّمات وزعم أنّ الربا بيع من البيوع ، (وزادهم في الآذان) [3] بعد « أشهد أنّ محمّدًا رسول الله » : أشهد أنّ

1423 1) ر : جبال ـ 2) ر : ويتصل به جبل أوراس ـ 3) سقطت من ر .

1424 1) ر : بتاورارت ـ 2) ر : بالجبليّين ـ 3) سقطت من ص ج (بياض) .

محمّدًا خير البشر ، ثمّ بعد « حيّ علَى الفلاح » : حيّ علَى خير العمل آل محمّد خير البريّة . وهم علَى مذهبه إلَى اليوم ، وأنّ الإمامة في ولد الحسن لا في ولد الحسين . وكان صاحبهم إدريس بن القاسم بن محمّد بن جعفر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس . فإن صحّ الحديث الّذي ذكرنا فإنّ المراد به هؤلاء ، والله أعلم .

(1425)

ويلي بني لماس قبيل من البربر في جبل وعر مجوس يعبدون كبشًا لا يدخل أحد منهم السوق [1] إلاّ مستترًا . ومن بني ماغوس إلَى إيجلَى [2] قاعدة بلد السوس ومدينته مرحلة ، وهي مدينة علَى نهر كبير كثير الثمر وقصب السكر ، ومنها يحمل السكّر إلَى جميع بلاد المغرب . وعلَى هذا الوادي أسواق كثيرة إلَى البحر المحيط ، ويقال إنّ الّذي جلب الساقية إلَى مدينة السوس عبد الرحمان بن مروان أخو محمّد الجعدي [3] ، وإنّه هو الّذي عمّر وادي السوس ، إلَى وادي ماست [4] مسيرة يومين عليه قرى كثيرة ، وهو ينصبّ في البحر المحيط ، وماست الّتي أضيف إليها الوادي رباط مقصود عندهم له موسم عظيم ومجمع جليل وهو مأوى للصالحين . ومن وادي السوس إلَى مدينة نول ثلاث مراحل في عمارة جزولة ولمطة . ومدينة نول آخر مدن الإسلام وهي في أوّل الصحراء ونهرها يصبّ في البحر المحيط .

1425 1) ق ر : الأسواق – 2) س ق ر : إيقلا – 3) س : الجعفري – 4) س ق : ماسة ، ر : مسثا .

ذكـر مدينـة نـول [1]

(1426)

ومن مدينة نول إلَى درعة ثلاث مراحل . ومدينة إيجلَى [2] مدينة كبيرة سهلية بغربيها نهر كبير جارٍ من القبلة إلَى الجوف عليه بساتين كثيرة متّصلة ، ولم يتّخذوا قطّ عليه رحًى ، فإذا سئلوا عن المانع لهم من ذلك قالوا : كيف يسخّر مثل [3] هذا الماء العذب في إدارة الأرحاء ؟ وهي كثيرة الفواكه والخير ، وربّما بيع حمل التمر بها بدون كراء الدابّة من البستان إلَى السوق . وقصب السكر أكثر شيء بها يحمل الرجل بربع درهم منه ما يؤذيه ثقله ، ويعمل بها السكّر كثيرًا وقنطار سكرها يبتاع بمثقالين وأقلّ . ويعمل بها النحاس المسبوك يتجهّز به إلَى بلاد الشرك . وبها مسجد جامع وأسواق وفنادق . والّذي [4] افتتحها عقبة بن نافع وأخرج منها سبيًا لم ير (مثله حسنًا وتمامًا) [5] ، كانت تباع الجارية الواحدة منهنّ بألف دينار وأكثر . ودخلها عبد الرحمان بن حبيب بعد ذلك وبها معسكره إلَى اليوم .

(1427)

وبالسوس زيت [1] المرجان وشجره يشبه شجر الكُمّثرى إلاّ أنّه لا يفوت اليد وأغصانه نابتة من أصله لا ساق له . وهي شوكاء وثمرها يشبه الأجاص ، فيجمع ويترك حتّى يذبل ، ثمّ يوضع علَى النار في مِقلَى فخّار فيستخرج دهنه ، وطعمه يشبه طعم القمح المقلوّ ، وهو جيّد محمود الغذاء يسخّن الكلَى ويدرّ البول . وبالسوس عسل يفوق عسل الأمصار يلقي

1426 1) هذا العنوان عن ر ــ 2) س ق ر : إيقلي ، وكذا في باقي الفقرة ــ 3) سقطت من ق ــ 4) ر : وهي التي ــ 5) ر : أحسن منه جمالا وتمامًا .

1427 1) ر : شجر ــ

النبيذيّون [2] علَى الكَيل الواحد منه خمسة عشر كيلاً من ماء فحينئذ يأتي شرابًا ، وإن كان أقلّ من ذلك بقي حلوًا ، ولا ينحلّ إلاّ في الماء الشديد الحرارة ، ولونه لون الرماد [3] . وتبايع أهل سوقه بالحلى المكسورة ونقار الفضّة ، والدرهم المسكوك عندهم قليل ، ومثاقيلهم (تعرف بالقرديرية لأنّ رجلاً تولّى) [4] سكّتهم يعرف بأبي الحسن القرديري . وبالسوس توفّي عبد الله بن إدريس وبها قبره .

(1428)

وبقبلي إيجلي وعلَى ستّ مراحل منها مدينة تامدلت ، أسّسها عبد الله بن إدريس بن إدريس ، وهي سهلية عليها سور طوب وحجر وبها حمّامان وسوق عامرة ولها أربعة أبواب ، وهي علَى نهر عنصره من جبل علَى عشرة أميال منها ، وما بينهما بساتين ، وعلَى هذا النهر (أرحاء كثيرة ، وأرضها أكرم أرض وأكثرها ريعًا تعطَى للحبّة مائة [1] ، وبها معدن فضّة غزير كثير المادّة . وبشرقيّ تامدلت) [2] مدينة درعة بينهما مسيرة ستّة أيّام [3] . وتسير من تامدلت إلَى وادي درعة ثلاث مراحل . ومنها (إلَى أجرو ستّ) [4] مراحل كلّها علَى مياه . ومنها إلَى مرغاد مرحلة . ومنها إلَى سجلماسة ستّة أميال .

(1429)

وأهل السوس وأغمات أكثر الناس تكسّبًا وأطلبهم لرزق يكلّفون نساءهم وصبيانهم التحرّف والتكسّب . وبأرض أغمات والسوس شجر الهلجان لا

1427 2) ر : النباذون ـ 3) ق ر : الزمرد ـ 4) سقطت من ص ج (بياض) .

1428 1) ق : مائة حبّة ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ق : وسنذكرها بعد هذا إن شاء الله ـ 4) سقطت من ر (بياض) .

يكون إلاّ هناك ، يستخرج من حبّه زيت طيّب كثير النفع ، وذلك أنّهم يجنون ثمره فتعلّفه الماشية ، ثمّ يعمدون إلى عجمه فيطحن ويطبخ ويستخرج منه دهنه فيكادون يستغنون به عن جميع الزيوت لكثرته [1] عندهم [2] .

1429 1) سقطت من ر ـ 2) ف : كمل الجزء بحمد الله وحسن عونه ، بسم الله الرحمٰن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وسلّم .

الطـريق من وادي درعـة في الصحـراء
إلَى بـــلاد الســـودان

(1430)

من وادي درعة خمس مراحل إلَى وادي تارجا [1] ، وهو أوّل الصحراء . ثمّ تمشي في الصحراء (فتجد الماء علَى اليومين والثلاثة حتّى تصل إلَى رأس المجابة إلَى البئر المسمّاة تزامت بئر معينة غير عذبة ، وهي إلَى الملوحة أقرب قد أنبطت) [2] في حجر صلد من عمل الأوّل ، ويزعم قوم أنّ بني أميّة صنعتها . وفي الشرق منها بئر تسمّى بئر الجمّالين ، وعلَى مقربة منها أيضًا بئر تسمّى نالي [3] كلّها غير عذبة ، وبين هذه الآبار الثلاث وبلاد الإسلام مسيرة أربعة أيّام . ومنها إلَى جبل يسمّى بالبربرية (أدراران وزّال تفسيره) [4] جبل الحديد مثل ذلك . ومن هذا الجبل مجابة ماؤها علَى ثمانية أيّام ، وهي المجابة الكبرى ، وذلك الماء في بني ينتسر [5] من صنهاجة ، ومن بني ينتسر إلَى قرية تسمّى مدّوكن لصنهاجة أيضًا . ومنها إلَى مدينة غانة أربعة أيّام . ومن الآبار الثلاثة [6] المذكورة مجابة ماؤها علَى أربعة أيّام إلَى ايزل ، وهو جبل في الصحراء ، إلَى قبيل من صنهاجة يعرفون ببني لمتونة ظواعن رحّالة في الصحراء ، مراحلهم فيه مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام ويصيفون في موضع يسمّى أمَطْلوس [7] وآخر يسمّى تاليوين ، وهم إلَى بلاد السودان أقرب . وبينهم وبين بلاد السودان نحو عشر مراحل ، وليس يعرفون حرثًا ولا يزرعون [8] زرعًا ولا يعرفون [8] خبزًا ، إنّما أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن ينفد عمر أحدهم ولا رأى خبزًا ولا أكله إلاّ أن يمرّ بهم التجّار من بلاد الإسلام أو بلاد السودان فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق ، وهم علَى السنّة مجاهدون للسودان [2] .

1430 1) س ق ر : ترقا ـ 2) سقطت من ر ـ 3) ق ر : ماليلي ، س : مالكي ـ 4) سقطت من س ق ر ـ 5) ر : ينتصر ـ 6) عن ر ـ 7) ر : امطولس ـ 8) سقطت من ق .

(1431)

وكان رئيسهم محمّد المعروف بتارشنّى [1] من أهل الفضل والخير [2] والدين والحجّ والجهاد ، وهلك بموضع يقال له قنقارة - وقيل كنكارة [3] - من بلاد السودان ، وهم قبيل من السودان بغربيّ مدينة بنكلابين [4] ، وهي مدينة يسكنها جماعة من المسلمين يعرفون ببني وارث من صنهاجة . (وخلف بني لمتونة قبيلة من صنهاجة) [2] تسمّى بني جدالة وهم يجاورون البحر وليس بينهم وبينه أحد .

(1432)

وهذه القبائل هي الّتي قامت بعد الأربعين وأربعمائة بدعوة الحق وردّ المظالم وقطع جميع المغارم ، وهم علَى السنّة ومتمسكون بمذهب مالك بن أنس رضه ، وكان الّذي نهج ذلك فيهم ودعا الناس إلَى الرباط ودعوة الحقّ عبد الله بن ياسين . وذلك أنّ رئيسهم كان يحيَى بن إبراهيم من بني جدالة وحجّ في بعض السنين ولقي في صدره عن حجّه الفقيه أبا عمران الفاسي ، فسأله أبو عمران عن بلده وسيرته وما ينتحلونه من المذاهب ، فلم يجد عنده علمًا بشيء إلاّ أنّه رآه حريصًا علَى التعلّم [1] صحيح النيّة واليقين ، فقال له : ما يمنعكم من تعلّم الشرع علَى وجهه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قال له : لا يصل إلينا إلاّ معلّمون لا ورع لهم [2] ولا علم بالسنّة عندهم . ورغب إلَى أبي عمران أن يرسل معه من تلاميذه مَن يثق بعلمه ودينه ليعلّمهم ويقيم أحكام الشريعة [3] عندهم ، فلم يجد أبو عمران فيمن رضيه مَن يجيبه إلَى السير معه . فقال له أبو عمران : إنّي قد عدمت بالقيروان بغيتكم [4] وإنّ

1431 1) ر : بتاوشتا ـ 2) سقطت من ق ـ 3) وقيل كنكارة : عن هامش ر ـ 4) ر : باتكلاسن .

1432 1) ر : التعليم ـ 2) ق : عندهم ـ 3) ر : المسلمين في الشريعة ـ 4) ر : بعينك ـ

بملكوس فقيهًا حاذقًا ورعًا قد لقيني وعرفت ذلك منه يقال له وجّاج [5] بن زلوي [6] ، فمرّ به فربّما ظفرت عنده ببغيتك .

(1433)

فجعل ذلك يحيَى بن إبراهيم أوكد همّه فنزل به وعلّمه ما جرى له مع أبي عمران . فاختار له وجاج من أصحابه رجلاً يقال له عبد الله بن ياسين (واسم أمّه) [1] تين يزامارن من أهل جزولة (من قرية تسمّى) [2] تماماناوت في طرف صحراء مدينة غانة ، فوصل به إلَى موضعه واجتمعوا للتعلّم منه والانقياد له في سبعين رجلاً . فغزوا بني لمتونة وحاصروهم في جبل لهم فهزموهم وجعلوا ما اتّخذوا من أموالهم مغنمًا ، فلم يزل أمرهم يقوى واستعملوا علَى أنفسهم يحيَى بن عمر بن تلاجاجين [3] وعبد الله بن ياسين مقيم فيهم متورّعًا عن أكل لحمانهم وشرب ألبانهم لما كانت أموالهم غير طيّبة ، وإنّما كان عيشه من صيد البرية [4] . ثمّ أمرهم ببناء مدينة سمّوها أرتنّني [5] وأمرهم أن لا يشف بناء بعضهم علَى بناء بعض ، فامتثلوا ذلك وهم يسمعون له ويطيعون إلَى أن نقموا عليه أشياء يطول ذكرها ، وكأنّهم وجدوا في أحكامه بعض التناقض .

(1434)

فقام عليه فقيه منهم كان اسمه (الجوهر بن سكّم) [1] مع رجلين من كبرائهم يقال لأحدهما أيار وللآخر اينتكّوا [2] ، فعزلوه عن الرأي والمشورة وقبضوا

1432 5) س ق ر : وكاك ــ 6) سقطت من ر .

1433 1) سقطت من ر ، ق : وأمّه ــ 2) سقطت من ق ر ــ 3) س ر : تلالاكن ، ق : تلاكاكن ــ 4) عن س ، ص ج ق : البرّ ــ 5) ق : ارتنيني ، ر : أرتنين .

1434 1) سقطت من ر (بياض) ــ 2) ج ر : تينكو ــ

منه بيت مالهم [1] وطردوه وهدموا داره وانتهبوا ما كان فيها من أثاث وخرثي . فخرج مستخفيًا من قبائل صنهاجة إلَى أن أتى وجاج بن زلوي فقيه ملكوس . فعاتبهم وجّاج [3] علَى ما كان منهم إلَى عبد الله وأعلمهم أنّ من خالف أمر عبد الله فقد فارق الجماعة وأنّ دمه هدر ، وأمر عبد الله بالرجوع إليهم فرجع وقتل الّذين قاموا عليه وقتل خلقًا كثيرًا ممّن استوجب القتل عنده لجراية أو فسق واستولَى علَى الصحراء كلّها . وأجابه جميع تلك القبائل ودخلوا في دعوته والتزموا السنّة به . ثمّ نهضوا إلَى لمطة وسألوهم ثلث أموالهم ليطيب لهم بذلك الثلثان ، وهكذا سنّ لهم عبد الله في الأموال المختلطة ، فأجابوهم إلَى ذلك ودخلوا معهم في دعوتهم .

(1435)

وأوّل ما أخذوا من البلاد المخالفة لهم درعة ، ولهم في قتالهم شدّة وجلد ليس لغيرهم ، وهم يختارون الموت علَى الانهزام ولا يحفظ لهم فرار من زحف ، وهم يقاتلون علَى الخيل والنجب وأكثر قتالهم رجالة صفوفًا بأيدي الصفّ الأوّل القنَى الطوال للمداعسة والطعان ، وما يليه [1] من الصفوف بأيديهم المزاريق يحمل الرجل الواحد منها [2] عدّة يزرقها فلا يكاد يخطئ ولا يشوى . ولهم رجل قد قدموه أمام الصفّ بيده الراية ، فهم يقفون ما وقفت منتصبة ، وإن أمالها إلَى الأرض جلسوا جميعًا فكانوا أثبت من الهضاب ، ومن فرّ أمامهم لم يتبعوه . وهم يقتلون الكلاب لا يستصحبون منها شيئًا .

1434 3) ر : فكتب إليهم وكاك يعاتبهم .

1435 1) ق ر : يليهم – 2) ر : منهم .

(1436)

وكان يحيَى بن عمر أشدّ الناس انقيادًا لعبد الله بن ياسين وامتثالاً لِما يأمره به ، ولقد حدّث جماعة أنّ عبد الله قال له في بعض تلك الحروب : أيّها الأمير إنّ عليك حقًّا أدبًا . فقال له يحيَى : فما الّذي أوجبه عليّ ؟ قال له عبد الله : إنّي لا أخبرك به حتّى أؤدّبك وآخذ حقّ الله منك . فطاع له الأمير بذلك وحكّمه في بشرته فضربه الفقيه ضربات بالسوط ، ثمّ قال له : الأمير لا يدخل القتال بنفسه لأنّ حياته حياة عسكره وهلاكه هلاكهم .

(1437)

وغزا المرابطون مدينة سجلماسة بعد أن خاطبوا أهلها ورئيسهم مسعود بن وانودين المغراوي ، فلم يجيبوهم إلَى ما أرادوا ، فغزوهم في جيش عدّته ثلاثون ألف جمل سرج ، فقتلوا مسعودًا واستولوا علَى مدينة سجلماسة وتخلّفوا فيها جماعة منهم ، ثمّ عادوا إلَى بلادهم . فغدر أهل سجلماسة بالمرابطين بالمسجد [1] فقتلوا منهم عددًا كثيرًا ، وذلك سنة ستّ وأربعين وأربعمائة . وندم أهل سجلماسة علَى ما فعلوا وتواترت رسلهم علَى عبد الله بن ياسين أن يرجع إليهم العساكر ويذكرون أنّ زناتة زحفت إليهم ، فندب عبد الله المرابطين إلَى غزو زناتة ثانية ، فأبوا عليه وخالف عليه بنو جدالة وذهبوا إلَى ساحل البحر . فأمر عبد الله الأمير يحيَى أن يتحصّن بجبل لمتونة ، وهو جبل منيع كثير الماء والكلأ في طوله مسافة ستّة أيّام وفي عرضه مسافة يوم [2] ، وهناك حصن يسمّى أركَى [3] حوله نحو عشرين ألف نخلة كان بناه يانّو بن عمر الحاج أخو يحيَى بن عمر .

1437 1) سقطت من ر ــ 2) ف : يومين ــ 3) س ر : أزجى ، ف : أزكى .

(1438)

فصار يحيَى في جبل لمتونة ، (وذهب عبد الله بن ياسين إلَى مدينة سجلماسة في مائتي رجل من قبائل صنهاجة ونزل موضعًا يقال له تامدّولت حصن) [1] فيه مياه ونخل كثير ، ويشرف عليه جبل فيه معدن فضّة معلوم هناك . فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سرطة وترجة ولهم هناك حصون . وكان أبو بكر بن عمر بدرعة مع أحمد بن أمدجنو [2] ، فأمّره عبد الله مكان أخيه يحيَى المتخلّف بجبل لمتونة . ثمّ رجعت جيوش بني جدالة إلَى يحيَى بن عمر فحاصروه في الجبل ، وذلك سنة ثمان وأربعين ، وهم في نحو ثلاثين ألفًا . وكان مع يحيَى أيضًا (عدد كثير) [3] ، وكان معه لبّي بن ورجاي [4] رئيس تكرور ، وكان التقاؤهم هناك بموضع يسمّى تيفريلّي بين تاليوين وجبل لمتونة . فقُتل يحيَى بن عمر رحمه الله وقتل معه بشر كثير ، وهم يذكرون أنّهم يسمعون في هذا الموضع أصوات المؤذّنين عند أوقات الصلوات ، وهم يتحامونه ولا يدخله أحد ولا أخذ منه سيف ولا درقة ولا شيء من أسلحتهم ولا ثيابهم . ولم يكن للمرابطين بعد كرّة إلَى بني جدالة .

(1439)

وفي سنة ستّ وأربعين غزا عبد الله بن ياسين أودغست ، وهو بلد (قائم العمارة مدينة كبيرة فيها أسواق) [1] ونخل كثير وأشجار الحناء ، وهي في العظم كشجر الزيتون ، وهي كانت منزل ملك [2] السودان المسمّى بغانة قبل أن يدخل العرب غانة ، وهي متقنة المباني حسنة المنازل ، ومسافة ما بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وبينها وبين مدينة غانة خمسة عشر يومًا . وكان يسكن هذه المدينة زناتة مع العرب وكانوا متباغضين متدابرين ، وكانت لهم

1438 1) سقطت من ر ـ 2) س ق ر : امدكنوا ـ 3) سقطت من ص ج (بياض) ـ 4) س : وارخاقي .

1439 1) ر : قديم كبير فيه أسواق ، ق : قديم العمارة مدينة كبيرة آهلة فيها أسواق ـ 2) سقطت من ر ـ

أموال عظيمة ورقيق كثير كان للرجل منهم ألف خادم وأكثر. فاستباح المرابطون حريمها وجعلوا جميع ما أصابوا فيها فيئًا، وقتل فيها عبد الله بن ياسين رجلاً من العرب المولّدين من أهل القيروان معلومًا بالورع والصلاح وتلاوة القرآن وحجّ البيت يسمّى زباقرة [3]، وإنّما نقموا عليهم أنّهم كانوا تحت طاعة صاحب غانة وحكمه.

(1440)

وغزا عبد الله بن ياسين أغمات سنة تسع وأربعين، واستولَى علَى بلاد المصامدة (سنة خمسين، وقُتل ببرغواطة) [1] سنة إحدى وخمسين بموضع يسمّى كريفلت، وعلَى قبره اليوم مشهد مقصود ورابطة معمورة. ولم يقتل عبد الله بن ياسين حتّى استولَى علَى سجلماسة وأعمالها والسوس كلّه وأغمات ونول [2] والصحراء.

(1441)

وممّا يذكرونه ولا يشكّون فيه من براهين صلاح عبد الله أنّه ذهب في بعض أسفاره فعطشوا فشكوا ذلك إليه، فقال: عسَى الله أن يجعل لنا من أمرنا فرجًا [1]. ثمّ سار بهم ساعة وقال لهم: احفروا بين يديّ [2]. فحفروا فوجدوا الماء بأدنَى حفر، فشربوا وسقوا واستقوا أعذب ماء وأطيبه. ويذكرون أنّه نزل منزلاً تقرب منه بركة ماء وكانت كثيرة الضفادع لا يسكن نقيقها، فإذا وقف عبد الله علَى البركة لا يسمع لها ركز. وهم الآن لا تقدّم طائفة منهم أحدًا للصلاة بها إلاّ مَن صلّى وراء عبد الله وإن كان في تلك

1439 3) ر: أبا قرة.

1440 1) سقطت من س ـ 2) سقطت من ر.

1441 1) ق: فرجًا ومخرجًا ـ 2) ر: بين يدي رجلي ـ

الطائفة أقرأ [3] منه وأورع ممّن لم يصلّ وراءه . وكان عبد الله نكّاحًا للنساء [4] يتزوّج في الشهر عددًا منهنّ ويطلقهنّ ، لا يسمع بامرأة حسناء إلاّ خطبها ، ولا يتجاوز بصدقاتهنّ أربعة مثاقيل .

ذكر ما شذّ فيه عبد الله بن ياسين من الأحكام

(1442)

من ذلك أخذه الثلث من الأموال المختلطة ، وزعم أنّ ذلك يطيب باقيها ويحلّه ، وقد تقدّم ذكرها . هذا وأن الرجل إذا دخل في دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالوا له : قد أذنبت ذنوبًا كثيرة في شبابك ، فيجب أن تقام عليك حدودها وتطهر من إثمها ، فيضرب حدّ الزاني مائة سوط وحدّ المفتري ثمانين سوطًا وحدّ الشارب [1] مثلها ، وربّما زيد علَى ذلك . وهكذا يفعلون بمن تغلّبوا عليه وأدخلوه في رباطهم ، وإن علموا أنّه قتل قتلوه [2] سواء أتاهم تائبًا طائعًا أو غلبوا عليه مجاهرًا عاصيًا لا تنفعه توبته ولا تغني عنه رجعته . ومن تخلّف عن مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطًا ، ومن فاتته ركعة ضرب خمسة أسواط . ويأخذون الناس بصلاة ظهر أربعًا قبل صلاة الظهر في الجماعة ، وكذلك في سائر الصلوات ، ويقولون : إنّك لا بدّ قد فرطت في سالف عمرك فاقض ذلك . وأكثر عوامّهم يصلّون بغير وضوء إذا أعجلهم الأمر جزعًا من الضرب . ومن رفع صوته في المسجد ضرب علَى قدر ما يراه الضارب (له صلاحا) [3] . وزكاة الفطر يأخذونها وينفقونها علَى أنفسهم .

1441 3) ر : أتقى ـ 4) من هنا نقص مقدار ورقة واحدة في ج .

1442 1) ر : السكران ـ 2) ق : قتل ـ 3) سقطت من ق ر .

(1443)

وممّا يحفظ من جهل عبد الله بن ياسين أنّ رجلاً اختصم إليه مع تاجر غريب عندهم ، فقال التاجر في بعض مراجعته لخصمه : حاشَى لله أن يكون ذلك . فأمر عبد الله بضربه وقال : لقد قال كلامًا فظيعًا وقولاً شنيعًا يوجب عليه أشدّ الأدب . وكان بالحضرة رجل قيرواني فقال لعبد الله : وما تنكر من مقالته ؟ والله عزّ وجلّ (قد ذكر ذلك في كتابه فقال) [1] حكاية عن النسوة اللاّتي قطعن أيديهنّ في قصّة يوسف : حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ [2] . فرفع الضرب [3] عن ذلك الرجل .

(1444)

وأمير المرابطين إلى اليوم ـ وذلك سنة ستّين وأربعمائة ـ أبو بكر بن عمر ، وأمرهم منتشر غير ملتئم ومقامهم بالصحراء ، وجميع قبائل الصحراء [1] يلتزمون النقاب وهو فوق اللثام حتّى لا يبدو منه إلاّ محاجر عينيه ، ولا يفارقون ذلك في حال من الأحوال ولا يميّز رجل منهم وليه ولا حميمه إلاّ إذا تنقّب ، وكذلك في المعارك إذا قتل منهم القتيل وزال قناعه لم يعلم (من هو) [2] حتّى يعاد عليه القناع ، وصار ذلك لهم ألزم من جلودهم وهم يسمّون من خالف زيّهم هذا من جميع الناس [3] أفواه الذبان بلغتهم . وطعامهم صفيف [4] اللحم الجافّ مطحونًا يصبّ عليه الشحم المذاب أو السمن ، وشرابهم اللبن قد غنوا به عن الماء ، يبقى الرجل منهم الأشهر لا يشرب ماء ، وقوّتهم مع ذلك مكينة وأبدانهم صحيحة .

1443 1) ر : يقول وقد ذكر في كتابه ـ 2) سورة يوسف 31/12 ـ 3) ر : السوط .

1444 1) ق : العرب ـ 2) سقطت من ق ـ 3) هنا يستأنف ج (انظر 4/1441) ـ 4) ق ر : قديد .

(1445)

ومن سير أهلِ الصحراء في المتَّهم بالسرقة أن يعمدوا إلَى عود فيشقّ باثنين ويشدّ علَى صدغيه في مقدم رأسه ومؤخّره فلا يتمالك أن يقرّ ولا يصبر علَى ذلك الضغط لحظة [1] لشدّته .

(1446)

وممّا في هذه الصحراء من الحيوان اللمط ، وهو دابّة دون البقر لها قرون دقاق حادّة لذكرانها وإناثها ، وكلّما كبر منها الواحد طال قرناه حتّى يكون أكبر من أربعة أشبار . وأجود الدرق وأغلاها ثمنًا ما صُنع من جلود العواتق منها ، وهي الّتي طال قرناها لكبر سنّها فمنع الفحل علوّها . ودوابّ الفنك أكثر شيء في هذه الصحراء ومنها يحمل إلَى جميع البلاد . وعندهم الكباش الدمانية خلقها خلق الضأن إلاّ أنّها أجمل [1] وشعرها شعر الماعز لا أصواف لها ، وهي أحسن الغنم خلقًا وألوانًا . ولا تنبت هذه الصحراء ولا بلاد أغمات ولا السوس شجر المرسين ، وهو شجر الآس وهو عندهم عزيز يجلب إليهم من سائر البلاد .

(1447)

ومن غرائب تلك الصّحراء معْدن ملح علَى يومين من المجابة الكبرى وبينه وبين سجلماسة مسيرة عشرين يومًا ، تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن والجواهر ، ويوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض وتقطع كما تقطع

1445 1) سقطت من ق ر .

1446 1) ر : أجلّ .

الحجارة ، ويسمّى هذا المعدن [1] تاتنتال وعليه حصن مبني بحجارة الملح ، وكذلك بيوته ومشارفه وغرفه كلّ ذلك ملح ، ومن هذا المعدن يتجهّز بالملح إلَى سجلماسة وغانة وسائر السودان [2] ، والعمل فيه متّصل والتجّار إليه متسايرون وله غلّة عظيمة . ومعدن للملح آخر [3] عند بني جدالة بموضع يسمّى أوليل علَى شاطئ البحر ، ومن هناك تتحمّله الرفاق أيضًا إلَى ما جاوره .

(1448)

وبقرب أوليل في البحر جزيرة تسمّى ايونَى ، وهي عند المدّ جزيرة لا يوصل إليها من البرّ وعند الجزر يوصل إليها علَى القدم ، ويوجد فيها العنبر ، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف وهي أكثر شيء عندهم [1] في ذلك البحر وهي مفرطة العظم ، وربّما دخل الرجل منهم في محار [2] ظهورها فيتصيّد فيها كالقارب . (وسنذكر من كبر السلاحف بطريق تيرقَى [3] ما هو أشنع من هذا) [4] . ولهم أغنام ومواش ، وهذه الجزيرة مرسًى من المراسي ، والطريق منها إلَى نول علَى ساحل البحر لا يفارقه مسيرة شهرين مشي العير في أرض أكثرها صفًى ينبو عنه الحديد وتكلّ فيه المعاول . وإنّما يشربون في طريقهم من قلات [5] يحتفرونها عند جزر البحر فتبضّ ماء عذبًا . وإذا مات لهم ميّت في طريقهم هذا لم يمكنهم مواراته لصلابة الأرض وامتناعها علَى الحفر ، فيستّرونه بالحطام والحشيش أو يقذفونه بالبحر .

1447 1) ر : هذا الموضع معدن ـ 2) ق ر : بلاد السُّودان ـ 3) س : المر .

1448 1) سقطت من ق ر ـ 2) ر : بحار ـ 3) ق : برتقى ، ر : تبرقي ـ 4) سقطت من س ـ 5) ص ج : فلات ، ر : قلاة .

ذكر بلاد السودان ومدنها المشهورة واتّصال بعضها ببعض والمسافات بينها وما فيها من الغرائب وسير أهلها

(1449)

المصاقبون [1] لبلاد السودان بنو جدالة ، هم آخر الإسلام خطّة . وأقرب بلاد السودان منهم صنغانة [2] ، بين آخر بلادهم وبينها مسيرة ستّة أيّام ، ومدينة صنغانة مدينتان علَى ضفّتي النيل وعمارتها متّصلة إلَى البحر المحيط . ويلي مدينة صنغانة ما بين الغرب والقبلة علَى النيل مدينة تكرور أهلها سودان ، وكانوا علَى ما كان [3] سائر السودان عليه من المجوسية [4] وعبادة الدكاكير ، والدكور عندهم الصنم ، حتّى وليهم وارجابي [5] بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليها وحقّق بصائرهم فيها . وتوفّي وارجابي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، فأهل تكرور اليوم مسلمون .

(1450)

(وتسير من مدينة تكرور إلَى مدينة سلَى ، وهي مدينتان علَى شاطئ النيل أيضًا وأهلها مسلمون) [1] أسلموا علَى يدي وارجابي رحمه الله . وبين سلَى ومدينة غانة مسيرة عشرين يومًا في عمارة السودان القبيلة بعد القبيلة . وملك سلَى يحارب كفّارهم وليس بينه وبين أوّلهم إلاّ مسيرة يوم واحد ، وهم أهل مدينة قلنبو ، وهو واسع المملكة كثير العدد يكاد يقاوم ملك غانة . وتبايع أهل سلَى بالذرة والملح وحلق النحاس وأزر لطاف من قطن يسمّونها الشكيات [2] . والبقر عندهم كثير وليس عندهم ضأن ولا معز ، وأكثر نبات

1449 1) ج : المسافرون ـ 2) ر : سنغانة ، كذا دائمًا ـ 3) عن ر ـ 4) ر : على دين المجوسية ـ 5) ر : ورجاي .

1450 1) سقطت من ق ـ 2) ق : السكبات ، ر : الشبكات ـ

أرضهم الأبنوس ومنه يحتطبون . وفيما يتّصل ببلادهم من النيل في موضع يقال له صحابي حيوان في الماء يشبه الفيل في عظم خلقته وفنطيسته [3] وأنيابه يسمّونه قفوا ، وهو يرعَى في البراري ويأوي إِلَى النيل ، وهم يميّزون موضعه من النيل بتحرّك الماء علَى ظهره فيقصدونه بمزاريق حديد ، فصار في أسافلها حلق قد شدّت فيها الحبال المديدة ، فيرمونه بالعدد الكثير منها فيغوص ويضطرب في أسفل النيل ، فإذا مات طفا علَى الماء ، فجذبوه وأكلوا لحمه وصنعوا من جلده هذه الأسواط الّتي تسمّى السريافات ، (ومن هناك تحمل إِلَى الآفاق .

(1451)

ويلي هذا البلد مدينة قلنبو بينها [1] مسيرة يوم علَى ما تقدّم ، وهي علَى النيل وأهلها مشركون . وتتّصل بمدينة قلنبو مدينة ترنقة ، وهو بلد عريض ، وعندهم تصنع [2] الأزر المسمّاة بالشكيات) [3] الّتي تقدّم ذكرها ، وهي أربعة أشبار في مثلها . وليس في بلدهم كثير قطن غير أنّهم لا تكاد تخلو دار أحدهم من شجرة قطن [4] .

(1452)

وحكم أهل هذه البلاد [1] والمذكور قبلها من بلاد السودان أن يخيّر صاحب السرقة في بيع السارق أو قتله ، وحكمهم في الزاني أن يسلخ من جلده .

1450 3) ق : فرطيسته ، ر : فنطوسته .

1451 1) ر : بينها وبين البحر ـ 2) سقطت من ر (بياض) ـ 3) سقطت من س ـ 4) ق ر : القطن .

1452 1) ر : وحكم هذه المدينة ، ق : وحكم هذه البلاد .

(1453)

ومن ترنقة تصل العمارة بالسودان إلَى بلد زافقو [1] ، وهم صنف من السودان يعبدون حيّة كالثعبان العظيم ذا عرف وذنب رأسه كرأس البختي ، وهو في مغارة بالمفازة وعلَى فم المغارة عريش وأحجار [2] ومسكن قوم منهم متعبّدين معظّمين [3] لتلك الحيّة ، ويعلّقون بنفيس الثياب وجرّ [4] المتاع علَى ذلك العريش ويضعون له جفان الطعام وعساس اللبن والشراب . وهم إذا أرادوا إخراجه إلى العريش تكلّموا كلامًا وصفروا صفيرًا معلومًا فيبرز إليهم . وإذا هلك والي من ولاتهم [5] جمعوا كلّ من يصلح للمملكة وقرّبوهم إليها وتكلّموا بكلام يعلمونه ، فتدنو الحيّة منهم فلا تزال تشمّهم رجلاً رجلاً حتّى تنكز أحدهم بأنفها ، فإذا نكزته ولت إلَى المغارة فيتبعها ذلك المنكوز بأجدّ ما يقدر عليه من السير ، فيجذب من ذنبها أو من عرفها بأشدّ ما يقدر عليه من شعرات ، فتكون مدّة ملكه لهم بعدد تلك الشعرات لكلّ شعرة سنة ، لا يخطيهم ذلك بزعمهم .

(1454)

وتليهم بلاد الفرويين ، وهي مملكة الفرويّين علَى حدتها ، ومن غريب ما فيها بركة يجتمع فيها الماء ينبت فيها نبات أصوله أبلغ شيء في تقوية الباه والعون عليها ، والملك يمنع منها ولا يصل منها شيء إلَى غيره ، وله من النساء عدد عظيم ، فإذا أراد أن يطوف عليهنّ المذرهن قبل ذلك بيوم ، ثمّ استعمل ذلك الدواء فيطوف عليهنّ كلّهنّ [1] ولا يكاد ينكسر . وقد أهدى إليه بعض (ملوك المسلمين) [2] المجاورين له هديّة نفيسة واستهداه شيئًا من هذا النبات [3] . فعارضه علَى هديته وكتب إليه يقول : إنّ المسلمين لا يحلّ لهم

1453 1) ق ر : زانقو – 2) س ر : وأشجار – 3) ر : مطيعين – 4) ر : وخير – 5) ر : وإذا مات ملكهم .

1454 1) سقطت من ر – 2) ق : الملوك – 3) ق ر : العود –

من النساء إلاّ قليل ، وقد خفتُ عليك إن بعثت إليك الدواء أن لا تقدر علَى إمساك نفسك فتأتي بما لا يحلّ لك في دينك [4] ، ولكنّي قد بعثت إليك نباتًا [5] يأكله الرجل العقيم فيولد له . وبلاد الفرويّين يبدّل الملح فيها بالذهب .

ذكـر غـانة وسـير أهلهـا

(1455)

وغانة سمة لملوكهم ، واسم البلد أوكار واسم ملكهم اليوم - وهي سنة ستّين وأربعمائة - تنكامنين ، وولي سنة خمس وخمسين . وكان اسم ملكهم قبله بسي [1] ، ووليهم وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وكان محمود السيرة محبًا للعدل مؤثرًا للمسلمين ، وعمي في آخر عمره ، فكان يكتم ذلك عن أهل مملكته ويريهم أنّه يبصر وتوضع بين يديه أشياء فيقول : هذا حسن وهذا قبيح وكان وزراؤه يلبسون ذلك علَى الناس ويلغزون للملك بما يقول ، فلا تفهمه العامّة . وبسي هذا خال تنكامنين ، وتلك سيرتهم ومذهبهم أنّ الملك لا يكون إلاّ في ابن أخت الملك لأنّه لا يشكّ فيه أنّه ابن أخته وهو يشكّ في ابنه ولا يقطع علَى صحّة اتّصاله به .

(1456)

وتنكامنين هذا شديد الشوكة (عظيم المملكة مهيب السلطان) [1] . ومدينة غانة مدينتان سهليّتان [2] إحداهما المدينة الّتي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة

1454 4) ق ر : شرعك - 5) ق ر : عودًا .

1455 1) ر : وبسي ، ق : بتسي .

1456 1) ق : عظيم السّلطان ، ر : مهيب السّلطان - 2) سقطت من ق ر -

كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً أحدها يجمعون فيه ، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم . وحواليها [3] آبار عذبة منها يشربون وعليها يعتملون الخضراوات [4] . ومدينة الملك علَى ستّة أميال من هذه وتسمّى بالغابة [5] والمساكن بينهما متّصلة ، ومبانيهم بالحجارة وخشب السنط [6] . وللملك قصر وقباب ، وقد أحاط بذلك كلّه حائط كالسور . وفي مدينة الملك مسجد يصلّي فيه مَن يفد عليه من المسلمين علَى مقربة من مجلس حكم الملك . وحول مدينة الملك قباب وغابات وشعراء يسكن فيها سحرتهم ، وهم الّذين يقيمون دينهم . وفيها دكاكيرهم (وقبور ملوكهم) [7] ، ولتلك الغابات حرس ولا يمكن أحدا دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهناك سجون الملك، فإذا سجن أحد فيها انقطع عن الناس خبره .

(1457)

وتراجمة الملك من المسلمين ، وكذالك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه ، ولا يلبس المخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولي عهده ، وهو ابن أخته ، ويلبس سائر الناس ملاحف القطن والحرير والديباج علَى قدر أحوالهم . وهم أجمع [1] يحلقون لحاهم ونساؤهم يحلقن رؤوسهنّ ، وملكهم يتحلّى بحلَى النساء في العنق والذراعين ويجعل (علَى رأسه) [2] الطراطير المذهّبة عليها عمائم القطن الرفيعة .

1456 3) ر : وفيها ـ 4) ر : يستعملون الخضر ـ 5) س : بالغابة ، ر : بالغانة ـ 6) ر : السنطار ـ 7) سقطت من ق ر .

1457 1) سقطت من ق ـ 2) سقطت من ق ر .

(1458)

وهو يجلس للنّاس [1] والمظالم في قبّة ويكون حوالي القبّة [2] عشرة أفراس بثياب مذهّبة ووراء الملك عشرة [3] من الغلمان يحملون الحجف والسيوف المحلاة بالذهب ، وعن يمينه أولاد ملوك بلده قد ضفروا رؤوسهم بأنواع الذهب وعليهم الثياب الرفيعة ، ووالي المدينة [4] بين يدي الملك جالس في الأرض وحواليه الوزراء جلوسًا علَى الأرض . (وعلَى باب القبّة كلاب منسوبة) [5] لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه ، في أعناقها سواجير الذهب والفضّة يكون في الساجور عدد رمّانات ذهب وفضّة . وهم ينذرون بجلوسه بطبل يسمّونه دبا ، (وهو خشبة طويلة منقورة ، فيجتمع الناس ، فإذا دنا أهل دينه منه جثوا علَى ركبهم ونثروا التراب علَى رؤوسهم ، فتلك) [6] تحيّتهم له . وأمّا المسلمون فإنّما سلامهم عليه تصفيقًا باليدين .

(1459)

وديانتهم المجوسية وعبادة الدكاكير . وإذا مات ملكهم عقدوا له [1] قبّة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره ، ثمّ أتوا به علَى سرير قليل الفرش والوطاء فأدخلوه في تلك القبّة ووضعوا معه حليته وسلاحه وآنيته الّتي كان يأكل فيها ويشرب ، وأدخلوا فيها الأطعمة والأشربة وأدخلوا معه رجالاً ممّن كان يخدم طعامه وشرابه وأغلقوا عليهم بابه [2] القبّة وجعلوا فوق القبّة الحصر والأمتعة ، ثمّ اجتمع الناس فردموا فوقها بالتراب حتّى تأتي كالجبل الضخم ، ثمّ يخندقون حولها حتّى لا يوصل إلَى [3] ذلك الكوم إلاّ من موضع واحد . وهم يذبحون لموتاهم الذبائح ويقرّبون لهم الخمور .

1458 1) ق : النساء ـ 2) ق : في القبّة ـ 3) ر : ووراء ظهر الملك عشرون ... ـ 4) ر : وولي العهد ـ 5) سقطت من ص ج ، ر : كلاب معروفة منسوبة موضوعة ـ 6) سقطت من ر .

1459 1) ر : عملوا إليه ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق ر : إلى شيء من .

(1460)

وللكهم علَى حمار [1] الملح دينار ذهب في إدخاله البلد وديناران في إخراجه ، وله علَى حمل النحاس خمسة مثاقيل وعلَى حمل المتاع عشرة مثاقيل . وأفضل الذهب في بلاده ما كان بمدينة غياروا ، وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يومًا في بلاد معمورة بقبائل السودان مساكن متّصلة . وإذا وجد في جميع معادن بلاده الندرة من الذهب استصفاها الملك ، وإنّما يترك منها للناس هذا التبر الرقيق ، ولولا ذلك لكثر الذهب بأيدي الناس حتّى يهون . والندرة تكون من أوقية إلَى رطل ، ويذكر أنّ عنده منه ندرة كالحجر الضخم . وبين مدينة غيارو والنيل اثنا عشر ميلاً وفيها من المسلمين كثير . وغانة بلدة مستوبية غير آهلة لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض عند امتلاء زرعهم ، ويقع الموتان في غربانها عند استحصاد الزرع .

[الطريق من غانة إلَى غيارو]

(1461)

فأمّا الطريق من غانة إلَى غيارو فإلَى مدينة سامقندى [1] أربعة أيّام ، وأهل سامقندى أرمَى السودان بالنشاب . ومنها إلَى بلد يسمّى طاقة يومان ، وأكثر شجر طاقة شجر يسمّى تادموت ، وهو شجر الآراك إلاّ أنّ له ثمرًا كالبطيخ داخله شيء يشبه القند تشوب حلاوته بحموضة نافع للمحمومين . ومن هنالك إلَى خليج من النيل يقال له زوغو مسيرة يوم تخوضه الجمال ، ولا يعبره الناس إلاّ في القوارب . ومنه إلَى بلد يقال له غرنتل [2] ، وهو بلد كبير ومملكة جليلة لا يسكنه مسلمون ولكنّهم يكرمونهم ويخرجون لهم عن الطريق إذا دخلوا بلادهم ، وتلد [3] عندهم الفيلة والزرافات . ومن غرنتل إلَى غيارو .

1460 1) ر : حمل .

1461 1) س ر : سامقندي ـ 2) ر : غرنيل ـ 3) سقطت من ق ر .

(1462)

وملك غانة إذا احتفل (ينتهي جيشه مائتي ألف ، منهم رماة أزيد من أربعين ألفًا ، وخيل غانة قصار جدًا . وعندهم الأبنوس الجيّد) [1] المجزّع . وهم يزدرعون مرّتين في العام مرّة علَى ثرى النيل إذا خرج عندهم وأخرى علَى ثرى أيضًا .

(1463)

وبغربيّ غيارو علَى النيل مدينة يرسنَى [1] (يسكنها المسلمون وما حولها مشركون) [2] . وفي يرسنَى معز قصار ، فإذا وضعت الماعزة ذبحوا الذكور وأبقوا الإناث ، وعندهم شجر تحتكّ بها هذه المعزة فتحمل من ذلك العود تلد من غير ذكر ، وهذا معلوم عندهم غير منكر ، وحدّث به جماعة من المسلمين الثقات . ومن يرسنَى يجلب السودان العجم المعروفون ببني نغمرانة وهم تجّار التبر إلَى البلاد . وما وازاها من ضفّة النيل الثانية مملكة كبيرة أزيد من مسيرة ثمانية أيّام سمة ملكهم دُو ، وهم يقاتلون بالنشاب .

(1464)

ووراءه بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني ، وإنّما سمّي بذلك لأنّ بلاده أجدبت [1] عامًا بعد عام ، فاستسقوا بقرابينهم من البقر حتّى كادوا يفنونها ولا يزدادون إلاّ قحطًا وشقاء . وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ القرآن ويعلم السنّة ، فشكا إليه الملك ما دهمهم من ذلك فقال له : أيّها الملك لو

1462 1) سقطت من ص ج .

1463 1) ق : برسنا ، ر : برسا ـ 2) سقطت من ر .

1464 1) ر : أقحطت ـ

آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمّد عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الإسلام كلّها لرجوت لك الفرج (ممّا أنت فيه) [2] وحلّ بك ، وأن تعمّ الرحمة [3] أهل بلدك ، وأن يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك . فلم يزل به حتّى أسلم وأخلص نيّته وأقرأه من كتاب الله ما تيسّر (عليه وعلّمه من الفرائض والسُّنن ما لا يسع جهله . ثمّ استأنى به إلى ليلة جمعة فأمره فتطهّر فيها طهرًا سابغًا) [4] وألبسه المسلم ثوب قطن كان [5] عنده ، وبرزوا إلى ربوة من الأرض فقام المسلم يصلّي والملك عن يمينه يأتمّ به . فصلّيا من الليل ما شاء الله والمسلم يدعو والملك يؤمّن ، فما انفجر الصباح إلاّ والله قد عمّهم بالسقي . فأمر الملك بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده ، وصحّ إسلامه وإسلام عقبه وخاصّته وأهل مملكته مشركون ، فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلماني .

(1465)

ومن أعمال غانة المنضافة إليها بلد يسمّى سامة ويعرف أهله بالبكم ، بينه وبين غانة مسيرة أربعة أيّام ، وهم يمشون عراة إلاّ أنّ المرأة تستر فرجها بسيور تضفرها ، وهنّ يوفرن شعر العانة ويحلقن شعر الرأس . وحدّث أبو عبد الله المكّي أنّه رأى منهنّ امرأة وقفت على رجل من العرب طويل اللحية ، فتكلّمت بكلام لم يفهمه ، فسأل الترجمان عن مقالتها فذكر أنّها تمنّت أن يكون شعر لحيته في عانتها . فامتلأ العربي غضبًا [1] وأوسعها سبًّا . والبكم لهم حذق بالرماية وهم يرمون بالسهام المسمومة . ويورثون الابن الأكبر مال الأب كلّه .

1464 2) سقطت من ق ر ـ 3) ق : الراحة ـ 4) سقطت من ق ـ 5) ق ر : ثياب قطن كانت .

1465 1) ر : غيظا .

(1466)

وبغربيّ مدينة غانة مدينة أنبارة ، وملكها اسمه تارم [1] وهو معاند لملك غانة . وعلَى تسع مراحل من مدينة أنبارة مدينة كوغة وبينها وبين غانة مسيرة [2] خمس عشرة مرحلة ، وأهلها مسلمون وحواليها المشركون . وأكثر ما يتجهّز إليها بالملح والودع والنحاس والفربيون ، والودع والفربيون أنفق شيء عندهم . وحواليها من معادن التبر كثير ، وهي أكثر بلاد السودان ذهبًا . وهناك مدينة ألكن [3] وملكها يسمّى قنمر بن بسي ويقال إنّه مسلم يخفي إسلامه .

(1467)

وببلاد غانة قوم يسمّون بالهنيهين من ذرّية الجيش الّذي كان بنو أمية أنفذوه إلَى غانة في صدر الإسلام ، وهم علَى دين أهل غانة إلاّ أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم ، فهم بيض الألوان حسان الوجوه . وبسلَى أيضًا قوم منهم يعرفون بالفامان .

(1468)

وببلاد غانة حكم الماء ، وذلك أنّه من ادّعي عليه بمال أو دم أو غير ذلك عمد أمينهم إلَى عود فيه حرافة [1] ومرارة ورقّة [2] وصبّ عليه من الماء قدرًا معلومًا [3] ، وسقاه المدّعي عليه ، فإن رماه من جوفه علم أنّه بريء وهنّي بذلك ، وإن لم يرمه وبقي في جوفه صحّت الدعوة عليه .

1466 1) س : ابا رام ، ر : تبارك ـ 2) سقطت من ق ر ـ 3) ق ر : الوكن .

1468 1) ق ر : حرارة ـ 2) ر : في ورقة ـ 3) ق ص ج : قدرًا ما .

(1469)

ومن الغرائب ببلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقه تسمّى تورزى تنبت في الرمال ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف أبيض تصنع منه الثياب والأكسية ولا تؤثّر النار فيما صنع من ذلك الصوف من الثياب لو أوقدت عليه الدهر (كلّه لم يحترق) [1] . وأخبر [2] الفقيه عبد الملك أنّ أهل اللامس [3] بلد هناك ليس لهم لبس إلاّ من هذا الصنف . ومن هذا الجنس حجارة بوادي درعة تسمّى بالبربرية تامطغست [4] تحكّ باليد فتلين إلَى أن تأتي في قوام الكتّان فتصنع منها الأمرّة [5] والقيود للدوابّ ، فلا تؤثّر النار في شيء من ذلك . وقد صنع منها كساء لبعض ملوك زناتة بسجلماسة ، وأخبرني الثقة أنّه شهد تاجرًا قد جلب منه منديلاً إلَى فردلند صاحب الجلالقة وذكر أنّه منديل لبعض الحواريّين وأنّ النار لا تؤثّر فيه ، وأراه ذلك عيانًا فعظم موقعه من فردلند وبذل له فيه غناه ، وبعث به فردلند إلَى صاحب قسطنطينية ليوضع في كنيستهم العظمَى ، فعند ذلك بعث إليه صاحب قسطنطينية التاج وأمره بالتتويج . وقد حدّث جماعة أنّهم رأوا منه هداب منديل عند أبي فضل البغدادي تحمَى عليه النار فيزداد بياضًا ويكون له النار [6] غسلاً ، وهو كثوب الكتان .

(1470)

وإذا سرت من غانة تريد مطلع الشمس فإنّك تسير في طريق معمورة بالسودان إلَى موضع يقال له أوغام يحرثون الذرّة وهو عيشهم ، ثمّ تسير من هناك أربعة أيّام إلَى موضع يقال له رأس الماء ، وهناك تلقَى النيل خارجًا من

1469 1) عن س ر ـ 2) ق : وأخبرني ـ 3) ر : الأمنين ـ 4) ر : تامدغست ـ 5) ر : الأحزمة ، ج : الامارة ـ 6) س : الدخان .

بلاد السودان ، وعليه قبائل من [1] البربر مسلمون يسمّون مداسة ، وبإزائهم من الشط الثاني مشركو السودان . ثمّ تسير من هناك ستّ مراحل علَى النيل إلَى مدينة تيرقَى ، ويجتمع في سوق هذه المدينة أهل غانة وأهل تادمكّة . وتعظم السلاحف بتيرقَى وتتّخذ في الأرض أسرابًا [2] يمشي فيها الإنسان ولا يطيقون استخراج واحدة منها إلاّ بعد شدّ الحبال فيها واجتماع العدد الكثير عليها . وأخبرني الفقيه أبو محمّد عبد الملك بن مخاس الغرفة أن قومًا عرسوا في طريق تيرقَى ، والأرضة هناك تأتي علَى ما تجده وتفسد ما وصلت إليه وتخرج من التراب أكوامًا كالروابي ، ومن الغرائب [3] أنّ ذلك التراب ثرّ ندٍ والماء هناك غير موجود علَى أبعد حفر . فلا توضع الأمتعة إلاّ علَى الحجارة المجموعة أو الخشب الموضوعة . فارتاد كلّ واحد من القوم لمتاعه حرزًا من الأرضة ، وبدر أحدهم فيما ظنّ إلَى صخرة كبيرة فأنزل عليها وقر بعيرين كانا معه . فلمّا هبّ [4] من نومه سحرًا لم يجد الصخرة ولا ما كان عليها ، فارتاع ونادى بالويل والحرب [5] . فاجتمعوا إليه يسألونه عن خطبه فأخبرهم فقالوا : لو طرقك لصوص لأخذوا المتاع وبقيت الصخرة . فنظروا فإذا أثر سلحفاة ذاهبة من الموضع ، فاقتفوه أميالاً حتّى أدركوها وحملا المتاع علَى ظهرها ، وهي الّتي حسبها صخرة .

(1471)

ومن تيرقَى يرجع النيل نحو الجنوب في بلاد السودان ، فتسير عليه نحو [1] ثلاث مراحل فتدخل بلاد سغمارة [2] ، وهم قبيل من البربر في عمل تادمكّة ، ويحاذيهم من الشطّ الثاني مدينة كوكو للسودان . وسيأتي ذكرها وما والاها إن شاء الله .

1470 1) في ج نقص مقدار ورقة ــ 2) ر : وتتجيل على الأرض أسرافًا ــ 3) ق : الغرابة ، ر : الغريبة ــ 4) ر : انتبه ــ 5) ق : والكرب .

1471 1) ر : معه ــ 2) ر : سمغانة .

[الطريق من غانة إلَى تادمكّة]

(1472)

فأمّا الجادة من غانة إلَى تادمكّة وبينهما مسيرة خمسين [1] يومًا ، فمن غانة إلَى سفنقو ثلاث مراحل ، وهي علَى النيل وهي آخر عمل غانة . (إلَى تادمكرة ، وبينهما مسيرة عشرين يومًا) [2] . ثمّ تصحب النيل إلَى بوغرات فيه قبيل من صنهاجة يعرفون بمداسة . وأخبر الفقيه (أبو محمّد) [3] عبد الملك أنّه رأى في بوغرات طائرًا يشبه الخطاف يُفهم من صوته كلّ سامع إفهامًا لا يشوبه لبس : قُتل الحسين قتل الحسين يكرّر مرارًا ، ثمّ يقول : بكرّبلا مرّة واحدة . قال عبد الملك : سمعته أنا ومن حضر من المسلمين معي . ومن بوغرات إلَى تيرقَى . ثمّ تسير منها في الصحراء إلَى تادمكّة ، وتادمكّة أشبه بلاد الدنيا بمكّة (شرفها الله وزادها تشريفًا وتعظيمًا) [2] . (ومعنَى تاد عندهم هيئة إذ أنّها علَى هيئة مكّة) [4] ، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب ، وهي أحسن بناء من مَدينة غانة ومدينة كوكو . وأهل تادمكّة بربر مسلمون وهم يتنقّبون كما [5] يتنقّب بربر الصحراء ، وعيشهم من اللحم واللبن ومن حبّ تنبته الأرض من غير اعتمال ، ويجلب إليهم الذرّة وسائر الحبوب من بلاد السودان ، ويلبسون الثياب المصبّغة (بالحمرة من القطن) [5] والنولي وغير ذلك ، وملكهم يلبس عمامة حمراء وقميصًا أصفر وسراويل زرقاء . ودنانيرهم تسمّى الصلع لأنّها ذهب محض غير مختومة . ونساؤهم فائقات الجمال لا تعدل بهنّ أهل بلد حسنًا ، والزنا عندهم مباح ، وهنّ يبادرن التجّار أيّهنّ تحمله إلَى منزلها .

1472 1) ق : خمسة عشر ـ 2) عن ر ـ 3) سقطت من ق ر ـ 4) سقطت من ص ، ر : ومعنى تاد هيئة إنّها على هيئة مكّة ـ 5) هنا يستأنف نص ج (انظر 1/1470) ـ 6) سقطت من ق .

[الطريق من تادمكّة إلَى القيروان]

(1473)

فإن أردت من تادمكّة إلَى القيروان فإنّك تسير في الصحراء خمسين يومًا إلَى وارجلان [1] ، وهي سبعة حصون للبربر أكبرها يسمّى أغرم أن بكامّن [2] ، أي حصن العهود [3] . ومنها إلَى مدينة قسطيلية أربعة عشر يومًا ، (ومن قسطيلية إلَى القيروان سبعة آيّام علَى ما تقدّم . وبين وارجلان وقلعة أبي طويل مسيرة ثلاثة عشر يومًا) [4] .

[الطريق من تادمكّة إلَى غدامس]

(1474)

ومن تادمكّة إلَى غدامس أربعون مرحلة في الصحراء ، والماء فيها علَى مسيرة اليومين والثلاثة أحساء . وغدامس مدينة لطيفة [1] كثيرة النخل والمياه وأهلها بربر مسلمون . وبغدامس دواميس كانت سجنًا للكاهنة الّتي كانت بإفريقية . وأكثر طعام أهل غدامس التمر ، والكمأة تعظم عندهم حتّى تتّخذ فيها الأرانب جحرة . وبين غدامس وجبل نفوسة سبعة آيّام في الصحراء ، وبين نفوسة ومدينة [2] أطرابلس ثلاثة آيّام علَى ما تقدّم .

1473 1) ق : وارقلان ، ر : واركلان ـ 2) ر : اغرم انيناكان ـ 3)ر : الشهود ، س : العمود ـ 4) سقطت من ق .

1474 1) ج : كبيرة ـ 2) عن ق .

(1475)

وطريق آخر من تادمكّة إلَى غدامس : تسير من تادمكّة ستّة أيّام في عمارة سغمارة ، ثمّ في مجابة أربعة أيّام إلَى الماء [1] ، ثمّ في مجابة ثانية [2] أربعة أيّام ، وفي هذه المجابة الثانية معدن لحجارة تسمّى تاسي النسمت ، وهي حجارة تشبه العقيق وربّما كان في الحجر الواحد ألوان من الحمرة والصفرة والبياض وربّما وجد فيها في النادر الحجر الجليل الكبير ، فإذا وصل به إلَى أهل غانة غالوا فيه وبذلوا فيه الرغائب ، وهو أجلّ عندهم من كلّ علق يقتنَى ، وهو يجلَى ويثقّب بحجر آخر يسمّى تنتواس [3] كما يجلَى الياقوت ويثقّب بالسنباذج ، لا يعمل فيه الحديد شيئًا إلاّ بالتنتواس ولا يوصل إليه ولا يعلم موضعه حتّى ينحر الإبل علَى معدنه وينضج دمه ، فحينئذ يظهر ويلقّط . وفي بونو معدن للتاسي أنسمت أيضًا ، ومعدن هذه المجابة أفضل .

(1476)

وتسير من هذه المجابة الثانية [1] إلَى مجابة ثالثة ، وفي هذه المجابة معدن الشبّ ومنه يحمل إلَى البلاد . وتسير من هذه المجابة إلَى مجابة رابعة أحد عشر يومًا في رمال جرد لا ماء فيها ولا نبت ، يتزوّد الرفاق الماء والحطب فيها كما يتزوّد الطعام والعلف ، وعلَى يسار السائر في هذه المجابة جبل الرمل الأحمر الّذي يتّصل بسجلماسة ، وهو الّذي يكون فيه الفنك والثعلب الدهي [2] ، وهو آخر حدّ إفريقية .

1475 1) ق : الرملة ــ 2) ر : أخرى ــ 3) ق : تنتواش ، ر : تنتاوس .

1476 1) عن ر ــ 2) س ق ر : الرملي .

(1477)

وإذا سار السائر من بلاد كوكو علَى شاطئ البحر غربًا انتهَى إلَى مملكة يقال لها الدمدم [1] يأكلون مَن وقع إليهم ، ولهم ملك كبير وملوك تحت يده ، وفي بلدهم قلعة عظيمة عليها صنم في صورة امرأة يتألهون له ويحجّونه .

(1478)

وبين تادمكّة ومدينة كوكو تسع مراحل ، والعرب تسمّي أهلها البزركانيّين [1] . وهي مدينتان مدينة للملك ومدينة للمسلمين ، وملكهم يسمّى قندا . وزيّهم كزي السودان (من الملاحف وثياب الجلود وغير ذلك بقدر جدّة الإنسان منهم ، وهم يعبدون الدكاكير كما يفعل السودان) [2] . ويضرب لجلوس الملك الطبل وترقص النساء السودانيات بالشعور الجثلة [2] المسترسلة ، ولا يتصرّف أحد منهم في مدينته حتّى يفرغ من طعامه ويقذف باقيه في النيل ، فيجلبون عند ذلك ويصيحون فيعلم الناس أنّه قد فرغ من طعامه . وإذا ولي منهم ملك دفع إليه خاتم وسيف ومصحف يزعمون أنّ أمير المؤمنين بعث بذلك إليهم . وملكهم مسلم لا يملّكون غير المسلمين ، ويزعمون أنّهم إنّما سمّوا كوكو لأنّ الّذي يفهم [3] من نغمة طبلهم ذاك ، وكذلك أزور وهير وزويلة يفهم من نغمة طبلهم زويلة زويلة . وتجارة أهل بلد كوكو بالملح وهو نقدهم ، والملح يحمل من بلاد البربر يقال لها توتك من معادن تحت الأرض إلَى تادمكّة ، ومن تادمكّة إلَى كوكو . (وبين توتك) [3] وتادمكّة ستّ مراحل .

1477 1) ر : الرســوم .

1478 1) ر : البوركانيين ــ 2) سقطت من ر ــ 3) سقطت من ق .

ذكر نبذ من سير البربر وسياساتهم
سوى ما وقع منها مفترقًا في موضعه من هذا الكتاب

(1479)

ذكروا أنّ رجلاً شيخًا خرج مع امرأته وكانت شابّة يريد قلعة حماد ، فصحبه في بعض الطريق (فتًى شابٌ)[1] كلف بتلك المرأة وكلفت به ، فتواطيا علَى أن يدّعي كلّ واحد منهما زوجيّة الآخر ويسقطا الشيخ . فلمّا وصلا إلَى القلعة شكا ذلك الشيخ إلَى حماد ما دهمه من أمرهما ووصف له حاله معهما . فوقف حماد الشاب والمرأة فتقارا علَى نكاحهما وأنكرا ما يدّعيه الشيخ . فجعل حماد يباحث الشيخ هل صحبهم في طريقهم أحد أو هل له شبهة[2] ، فقال : ما صحبنا في طريقنا أحد غير هذا الكلب ، فأندلَى لكلب كان معه . فأمر الشيخ بربط الكلب إلَى ثمرة أو وتد (كان هناك ، ثمّ أمر المرأة بحلّه ، فذهبت إليه فأرسلته)[3] . ثمّ أمرها بربطه والكلب لا ينكر شيئًا من ذلك . ثمّ قال للشابّ : قم فارسل الكلب ثمّ اربطه . فلمّا همّ بذلك نبحه الكلب وأنكره ، فقال للمرأة : هذا زوجك الشيخ وهذا الفاسق يخلّفك[4] عليه . وأمر بضرب عنق الفتَى .

(1480)

وذكر أنّ رجلاً[1] كان له امرأتان وكان كلفًا بآخرتهما نكاحًا . فقالت له الأولَى : إنّ هذه الّتي تكلف بها تخونك وإنّها تفجر مع غلام لها . فاستعمل الركوب والسقوط عن الدابّة وسيق إلَى منزل امرأته الأخيرة محمولاً لا يقلّب

1479 1) سقطت من س ر ــ 2) سقطت من ر ــ 3) سقطت من ق ــ 4) ر : خلفك .

1480 1) ر : رجلاً من ولد حماد ــ

عضوًا بزعمه ، فاجتمع أهله ونساؤه إليه يمرّضونه ويلطّفونه إلَى أن مضَى هزيع من الّليل [2] ، فعزم عليهم وصرفهم إلَى منازلهم ، وبقي مع امرأته واستعمل النوم والتثاقل حتّى كأنّه مغمًى عليه . فرأى امرأته قد خرجت عنه إلَى البيت الّذي كان فيه المتّهم بها ، فجمع حسّه وصار عند باب البيت يستمع [3] ، فسمعه يقول لها : أبطأت عليّ وتركتني بلا عشاء . فقالت [4] : حبسني عنك شغلي بهذا الرجل ، فلا تلمني فأنت للنفس وهو للولد . فصمت علَى ما سمع وتغافل عنه ورجع إلَى مضجعه . فما كان إلاّ ضحَى الغد حتّى تنادى حي ذلك الموضع وأصباحاه . فثاروا إلَى العدوّ ورأى هذا الساقط التحامل علَى نفسه والأنفة من تخلّفه ، فلبس سلاحه وركب فرسه وحمل ذلك المتّهم فيمن حمل من أتباعه معهم السلاح . فلمّا برزوا إلَى عدوّهم أمر ذلك المتّهم بالتقدّم بين يديه ، فلم يجد إلَى الحيدة سبيلاً . فلمّا خالط [5] به العدوّ وكلّل عنه مدبرًا ، فكان أوّل صريع ولم يعلم أحد شيئًا من أمرهما . ثمّ انصرف إلَى منزله فحمدت امرأته الله علَى سلامته ، فقال لها : لكنّ الّذي للنفس لم يسلم ، فإنّي إنّما للولد . فعلمت أنّه قد سمع مقالتها فقالت : أرسلني إلَى أهلي . فقال : اذهبي . فلمّا أبطأت عليه أتَى أهلها فقال : ما بال امرأتي لا تعود إلَى منزلها ؟ فقالوا له : إنّا لا نقدر علَى صرفها . فقال : وأنا لا أقدر علَى فراقها . فلجّ بهم الأمر حتّى افتدت منه بجميع ما حمل إليها في صداقها وما تكلّف لها عند إملاكها ، فلمّا قبض ذلك ووصل إليه قال لهم : أمّا إذ وصلتُ إلَى حقّي فإنّ الشأن كيت وكيت ، وأخبرهم بالقصّة . فقرّرها أهلها واستبانوا الريبة فيها فقتلوها . فبلغ بسياسته إلَى التشفّي منها بغير يده وتخلّص من عشيرته [6] وعشيرة امرأته واسترجع جميع حقّه .

1480 2) ر : فاستعمل طعامًا إلى بعض أهله وحبسهم إلى أن مضى كثير من الليل ــ 3) يستمع : عن ر ــ 4) سقطت من ر ــ 5) ر : أحاط ــ 6) عن ر .

(1481)

وشبيه بهذا عن بعض كبرائهم أيضًا أنّه اتّهم امرأته وأخبر أنّه إذا غاب خالفه رجل من أهل ناحيته إلَى امرأته . فاستعمل سفرًا بعيدًا وذكر ذلك لقبيله ، فتجهّز معه نفرًا لذلك [1] . فلمّا صاروا وانتهوا إلَى أدنَى مرحلة اعتذر لهم بعذر يضطرّه إلَى الانصراف (وعزم عليهم في النفوذ لطيّتهم) [2] فكرّ راجعًا حتّى أتَى بعض الشعاب مساء ، فأخفَى فيه فرسه وسلاحه وأتَى أهله متستّرًا متجسّسًا [3] ، فتسلّق جدارًا أو مكانًا يطلع منه علَى منزله آمنًا أن يعلم به منه . فرأى امرأته علَى ما يكره مع ذلك الرجل المتّهم . فولّى راجعًا إلَى الشعب ولبس سلاحه وركب فرسه وأتَى المنزل . فلمّا علم به أهله ارتاعوا وأخفوا ذلك الفاجر في بيت من الدار . ودخل ربّ المنزل غير مكترث واعتذر في رجوعه بعذر قبلته امرأته وجعلت [4] تحاول له طعامًا . فلمّا كمل قربته إليه ، فقال : احضري ضيفك . قالت : وهل لي من ضيف ؟ قال : نعم هو ذاك في البيت الكذا . فناكرته فقام إليه واستخرجه وقال : هلمّ إلَى طعامنا . فقال له : ما لي إلَى الأكل من حاجة وإنّي إلَى الموت أحوج لما نالني من هذه الفضيحة . قال : لا بأس عليك فقد افتتن مَن هو خير منك ، ولم يزل به حتّى طعم .

(1482)

ثمّ أرسله عن منزله مستترًا مسلّمًا لم يُرِبْه بريب . ثمّ أقبل علَى امرأته فقال : لا تعي ممّا جرى لك فإنّ النساء قد يزللن ويملن بهواهنّ ، والمعصوم من الناس قليل ، وعندي من الستر لأمرك والطي لخبرك ما يسرّك ، وقد علمت أنّه لم يحملك علَى ما صنعت إلاّ هوى غلب عليك غيّه ، وأنا تارك بينك وبين هذا الّذي أحببته تنكحينه وتتشفّين منه جهارًا من غير ريبة ، علَى أن تشترطي

1481 1) ق : نفر كذلك ـ 2) سقطت من ر ـ 3) نقص في ق ـ 4) ر : وقامت .

لي شرطًا وتعقد لي علَى نفسك عقدًا تلتزمينه . فأجابته إلَى ذلك وقالت : ما شرطك ؟ قال : إنّك إذا أكملت عنده عامًا أن ترسلي إليّ فأمرّ بك وهو حاضر ، فتخرجين إليّ متزيّنة في ثياب تشفّ[1] وتتكلّمين معي في أمره وتتشكّين سوء عشرته فستحمله الغيرة علَى طلاقك ، فأعود إلَى حالي معك بعد أن تقضي حاجة نفسك وترتفع عنّي الريب في أمرك باختيارك لي علَى هذا الّذي قد مال بك . وقد علم سوء خلق صاحبه وتهافته إلَى الشرّ وقلّة ملكه لنفسه[2] . فعاقدته علَى ذلك .

(1483)

ثمّ أرسل إلَى أبيها وأهل بيتها فصنع لهم طعامًا فأطعمهم ، ثمّ قال لهم : سلوا وليّتكم كيف كانت[1] صحبتي لها ومعاشرتي إيّاها . فسألوها فأثنت خيرًا ووصفت مجاملة وبرًّا . فقال : اسألوها ما بالها أتريد المقام عندي . فسألوها فقالت : إنّي أكرهه وأبغض قربه وأحبّ بُعده ولا أجد من نفسي معينًا علَى غير ذلك ، وقد جاهدتها علَى الاستمرار[2] في صحبته ، فعزفت بي عن ذلك عزوفًا لا رجعة معه ، فلا تتركوني معه فإنّ ذلك يقتادني إلَى الحمام ويفضي بي إلَى أنواع السقام ، وقد تبرّأت إليه من جميع حقّه . والزوج في ذلك كلّه يظهر الرغبة فيها والاشفاق من مفارقتها . فما انفضّ[3] جمعهم حتّى ملكت أمرها ورجعوا[4] علَى زوجها ما صيّر إليها من حقّها وشكروه علَى برّه بها وولوها الملامة في جميع أمرها . فلمّا حلّت[5] للأزواج كان الغادر[6] بها أوّل خاطب لها ، فتزوّجته ومكثت معه حولاً وهي تستبطي مرور الحول لما خبرته من فضل الأوّل علَى هذا . فلمّا انقضَى بعثت إلَى الأوّل علَى ما عاقدته معه ، فخرج مارًّا علَى منزلها فتلقّته في قميص يصفها[7] وينمّ بجسمها تشكو زوجها وهو قاعد مع جماعتها[8] . فلمّا رأى ذلك لم يتمالك

1482 1) ر : تصفك ـ 2) سقطت من ر .

1483 1) هنا ينتهي نص ج ـ 2) ر : الإقامة ـ 3) ر : انفصل ـ 4) ر : وردّوا ـ 5) ر : بعثت ـ 6) ر : الفاجر ـ 7) ر : يطنها ـ 8) من ر : جماعته .

غيرة أن قام إليها وطعنها طعنة كانت فيها نفسها . فعمد إليه أهلها وإخوتها فقتلوه . واختلف الفريقان وزحف بعضهم إلَى بعض ، فكادت الحرب تفنيهم . وتمّ للزوج الأوّل المراد فيها ولم يرزأ في نفسه ولا في ماله بمقدار قلامة .

(1484)

وحدّثوا أنّ حمادًا قال : ما تداهَى أحد قطّ عليّ ولا خدعني إلاّ امرأة وكعاء من البربر [1] . قيل له : وكيف كان ذلك ؟ قال : نعم إنّ صاحبًا كان لي بالقيروان نشأ معي نشأة واحدة لم يفرق بيننا مكتب ولا مشهد [2] ، وكنت قد خلطته بنفسي وجعلته محلّ أنسي . فلم يزل علَى ذلك حتّى صرت إلَى ما أنا فيه ففقدته فجعلت أفتقده فلا أقدر عليه ولا أجد سببًا للوصول إليه . فلمّا أن عتبت علَى أهل باغاية وشننت عليها الغارات لم أنشب [3] صبيحة ذلك اليوم أن سمعت مناديًا ينادي : يالله يا للأمير [4] . فقلت : ما بالك ومن أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان . فإذا به صاحبي المطلوب قد حبسه عنّي نسكه وغلب علَى هواه ورع يملكه . فأظهرتُ البشر بمكانه والجذل [5] بشأنه ، ولو شفع في جميع أهل باغاية لشفعته . فجعلت أُلطّفه وأُؤنّسه وهو كالوِلهان ، فسألته عن أمره فقال إنّه فقد بنته فيمن فُقد من النساء . فقلت له : والله لو خرجت إليّ بالأمس لحقنت دماء أهل بلدك [6] لحرمتك عندي . فقال : القدر غالب والمحروم خائب .

1484 1) ر : إلّا امرأة وهي صبية صغيرة وكعاء من البربر ـ 2) ر : شبر ـ 3) ر : ألبث ـ 4) ر : بالله وبالأمير ـ 5) ر : والسرور والجذل ـ 6) ر : باغاية .

(1485)

قال حماد : ثمّ أمرت القواد فأحضروا جميع ما كان في جيوشهم من النساء فعرف فيهنّ بنته . قال : فأمرت بسترها وحملها مع أبيها ، فرفعت صوتها قائلة : لا والله يا حماد ، لا رجعت مع أبي ولا رجعت مع الّذي غصبني . قلت : وما تريدين ويلك ؟ قالت : إنّي لا أصلح إلاّ للملوك فلا حاجة لي في السّوقة . فلمّا سمع ذلك أبوها سكن ما كان في نفسه وظنّ أنّها قد فتنت وفسدت عليه . قال حمّاد : فقلت لها : ومن أين لا تصلح إلاّ للملوك ؟ قالت : لأنّ عندي علمًا لا أشارك فيه ولا يدّعيه غيري . قلت : ألا أريتنا شيئًا من ذلك ؟ فقالت : نعم ، تأمر بقتل إنسان [1] تحضر أمضى سيف أتكلّم عليه بكلمات تمنع من تأثيره [2] ويعود بيد حامله أكلّ من قائمه . قال حمّاد : فقلت : الّذي يجرّب هذا فيه لمغرور . قالت : أو يتّهم أحد أن يريد قتل نفسه ؟ قلت [3] لا . قالت : فإنّي أريد أن يجرّب ذلك فيّ . فتكلّمت علَى سيف اختاروه ومدّت عنقها ، فضربها السيّاف ضربة أبان رأسها . فاستيقظتُ من غفلتي وعلمت أنّها تداهت عليّ وكرهَت العيش بعد الّذي جرى لها وعليها [4] . واستبان لأبيها من ذلك مثل الّذي بان لي ، فجعل يلقي بنفسه عليها ويتمرّغ في دمها أسفًا لما حلّ به منها واغتباطًا بها لما رأى من عظم أنفتها واختيارها الموت علَى ما نزل بها .

(1486)

وبنو وارسيفان [1] قبيل من البربر إذا أرادوا مباشرة [2] الحرب تقرّبوا بذبح بقرة سوداء للشماريخ ـوهم عندهم الشياطين- ويقولون : هذا ذبح للشماريخ ، ويفتحون أوعيتهم في تلك الليلة من الطعام والعلف فلا [3] يكون له [4] وكاء ولا سداد ، ويقولون : هذا طعام وعلف للشماريخ . فإذا غدوا

1485 1) ر : رجل ـ 2) هنا ينتهي نص ص ـ 3) س : قال ـ 4) ر : بعدما جرى عليها .

1486 1) ر : وارسكان ـ 2) سقطت من ر ـ 3) هنا يستأنف نص ق (انظر 3/1481) ـ 4) ر : لهم ـ

للقتال توقّفوا [5] حتّى يروا زوابع الريح فيقولون : قد جاءت الشماريخ أولياؤكم لتفديكم [6] ، فيحملون عند ذلك فينتصرون بزعمهم . ويقولون إنّ ذلك لا يخطيهم وجماعتهم يعتقد ذلك غير مستترين به . وهم إذا أضافوا الضيف جعلوا من طعامه للشماريخ ويزعمون أنّه يأكلونه [7] الّذي يوضع لهم . وينهون عن ذكر اسم الله عند شيء من ذلك [8] .

ذكر بلاد الأندلس وخواصّها والمشهور من مدنها [1]

(1487)

ذكر أنّ اسمها في القديم إبارية [2] من وادي أبره [3] ، ثمّ سمّيت بعد ذلك باطقة [4] من وادي بيطَى [5] ، وهو نهر قرطبة ، ثمّ سمّيت إشبانية من أجل [6] رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان . وقيل إنّما [7] سمّيت بالاشبان لأنّ الأشبان سكنوها [8] في أوّل الزمان علَى جرية النهر وما والاه [9] . وقال قوم إنّ اسمها علَى الحقيقة إشبارية مسمّاة من بشيرَى ، وهو الكوكب [10] المعروف بالأحمر . وسمّيت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش [11] الّذين سكنوها علَى ما يأتي ذكره .

1486 5) ق : تواقفوا ــ 6) ر : لتفديكم ــ 7) ق ر : يأكله ــ 8) ق : انتهى القول في أخبار البربر وذكر المشهور من بلادهم والحمد لله .

1487 1) ق : ذكر جزيرة الأندلس وجمل من أخبارها (يختلف ترتيب الفصول بين مخطوط وآخر ، فنتبع هنا ترتيب ر) ــ 2) ق : إباريو ــ 3) ق : إبرا ــ 4) ر : ناطبة ــ 5) ر : نبطي ــ 6) ق س : من اسم ــ 7) عن ر ــ 8) ر : لما كتبوها ــ 9) ر : والاها ــ 10) ر : من تسمية الكوكب ــ 11) ر : الأندالش ، ق : الأنداليش .

(1488)

وحدّث الأوائل عن الأندلس بعبارات مختلفة ، وحدّها قسطنطين حدوداً ستّة جعل الجزء الأوّل من حدودها من مدينة نربونة [1] ، وهو حدّ ما بين غاليش [2] وبين الأندلس ، وأضاف إليها سبع مدن بما حواليها وهي بطرّش وطليوشة ومقلونة [3] ونومشو وقرقشونة . وفي قرقشونة هذه الكنيسة العظمَى عندهم تسمّى شنت مرية غرائية [4] فيها سبع سوار [5] من فضّة ولها يوم عيد يرده العجم من الآفاق . وبينها وبين برشلونة [6] مسيرة [7] خمسة وعشرين يومًا .

(1489)

وجعل الجزء الثاني من مدينة براقرة [1] وهو حوز جليقية وشلطيانة [2] وهو بلد ابن غومس ، وجعل لها اثنَي عشرة مدينة (بما حواليها ، منها مدينة) [2] برطقال ومدينة توذي ومدينة أورية ومدينة لكّه ومدينة برطانية ومدينة أشتيرقية [3] ومدينة شنتا ياقو [4] ، وفيها كنيسة الذهب ولها يوم يرد [5] فيه من إفرنجة ومن رومة ومن جميع نواحيهم كلّها ، ومدينة إيرية [2] ومدينة بطقة [6] ومدينة شارة .

1488 1) س : مرمونة ، ر : نرجونة ــ 2) ق : غاليوش ــ 3) ق : بطبوش وطليوثة وملفونة . س : بطيوش وطلوسة وملمونة . والتصحيح عن «جزيرة الأندلس» ص 246 ، ونقلنا التصويبات الآتية عن ذلك الكتاب أيضًا ــ 4) ق س : غراسية ، ر : محرامة ــ 5) ر : قصور وسواري ــ 6) ر : برسونة ــ 7) عن ر .

1489 1) في جميع المخطوطات : براقلة (أو براقلة) ــ 2) سقطت من ر ــ 3) ر : اسيرقبة ــ 4) ر : شتارية ــ 5) س ر : يورد ــ 6) ر : بضفة .

(1490)

وجعل الجزء الثالث من مدينة طركونة وأضاف إليها مدينة سرقسطة [1] وأشقة ولاردة [2] وطرطوشة وتطيلة وأعمال بلد ابن شانجو كلّها وبلد بليارش وبرشلونة وجرندة [3] ومدينة أنبوريش [4] ومدينة بنبلونة ومدينة أوقة ومدينة قلهرّة ومدينة طرسونة ومدينة أماية .

(1491)

وجعل الجزء الرابع عشرين مدينة قاعدتها مدينة طليطلة وأضاف إليها مدينة أوريط ومدينة شقوبية ومدينة أركيبقة [1] ومدينة وادي الحجارة [2] ومدينة شقونسة ومدينة أكشومة [3] ومدينة بلنسية ومدينة بلازية ومدينة أوريولة ومدينة آلش [4] ومدينة شاطبة ومدينة دانية ومدينة بياسة ومدينة قسطلونة (ومدينة منتيشة ومدينة وادي آش) [5] ومدينة بسطة ومدينة أرش وهي بجّانة .

(1492)

وجعل الجزء الخامس قاعدته مدينة ماردة [1] وأضاف إليها اثنتي عشرة مدينة وهي باجة ومدينة أكشونبة (ومدينة صيوتلة) [2] ومدينة يابرة وشنترة وشنترين والأشبونة وقلنبرية وقورية وشلمنقة [3] وصمورة وهي محدثة برّا إلى شنت ياقوب [4] .

1490 — 1) تقص في ر من هنا إلى آخر الفقرة ـ 2) ق : لارادة ـ 3) ق : جريرة ـ 4) ق : أنبور .

1491 — 1) ق ر : أركيفة ـ 2) سقطت من ق ـ 3) س ر : أكشمة ، ق : أكمشة ـ 4) ر : الشق ـ 5) سقطت من ر .

1492 — 1) في المخطوطات : لاردة ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : شلمنتقة ـ 4) ر : سنسانية .

(1493)

وجعل الجزء السادس قاعدته مدينة إشبيلية وأضاف إليها لبلة وقرطبة وقرمونة ومورون ومدينة مرشانة والجزيرة وتاكرنا وريه وأشبونة واستجة [1] وقبرة وأعمالها إلَى بجّانة وإلبيرة وجيان ومنتيشة [2] (وبيرة وأرجونة) [3] وملكونة وأبدة وبياسة .

(1494)

وبلد الأندلس مثلّث الشكل ، فالركن الواحد منها الموضع الّذي فيه صنم قادس بين المغرب والقبلة بإزاء جبل إفريقية المسمّى أدلانية [1] ، ومنه يخرج إلَى [2] البحر المتوسّط الخارج إلَى الشام الآخذ بقبلي الأندلس . والركن الثاني هو بشرقي الأندلس بين مدينة نربونة [3] ومدينة برذيل بإزاء [4] جزيرتي ميورقة ومنورقة بمجاورة البحرين البحر المحيط والبحر الشامي المتوسّط ، وبينهما المدخل الّذي يعرف بالأبواب ، وهو المدخل إلَى الأندلس من الأرض الكبيرة علَى بلد إفرنجة ، ومسافته بين البحرين مسيرة يومين ، ويقابل مدينة برذيل مدينة نربونة علَى البحر المحيط . والركن الثالث حيث ينعطف البحر من الجوف إلَى الغرب حيث المنارة في الجبل الموفي علَى البحر ، فيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس ، وهو البلد الطالع علَى بلد برطانية [5] . وقال أوروشيوش [6] : يسمّى البلد الّذي فيه الصنم برغشية ، وحيث هذا الصنم ينقطع حوز جليقية .

1493 (1) ر : اشجة ـ 2) ر : متشبة ، ق : متيتة ـ 3) سقطت من ق .

1494 (1) ر : ادلابية ، س : ادلابه ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : تربونة ، ر : بونة ـ 4) عن الرازي 3 ـ 5) ق : بريطانية ـ 6) في النسخ : أوشيوش .

(1495)

فمن جوفي الأندلس وغربيه البحر المحيط ، وفي قبليه البحر الشامي وهو البحر المعروف ببحر تيران ، ومعناه الّذي يشقّ دائرة الأرض . وفي شرقيه منحرفًا إلَى الجوف يسيرًا بلد البشكنش آخذًا مع نهر أبره إلَى بلد شنت مرية . وذكر بطليموس [1] أنّ قلوباطرة [2] فتحت في الجبل الحاجز بين الأندلس وإفرنجة طريقًا بالحديد والنار والخلّ ، وكان فعلها ذلك من العجائب .

ذكر فضل الأندلس وغريب أخبارها

(1496)

والأندلس شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظيم جبايتها [1] ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها . فيها آثار عظيمة (للأوّل من اليونانيّين) [2] أهل الحكمة وحاملي الفلسفة . وكان من ملوكهم (الّذين أثروا) [3] الآثار بالأندلس هرقلش ، وله الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والآخر [4] في مدينة [5] طركونة الّذي لا نظير له .

1495 1) س ق : بطلميوس ، ر : بطيلموس ـ 2) ر : بلد باطرة ، ق : قلوباطرة .

1496 1) ق : جهاتها ـ 2) ق : لليونانيّين ـ 3) ر : الذي أثر ـ 4) ق : والأثر ـ 5) ق : صنم .

[ذكــر جبــال الأنــدلس]

(1497)

ومن الجبال المشهورة بالعظم في بلد الأندلس، منها جبل إلبيرة وهو جبل الثلج ، وهو متّصل بالبحر [1] المتوسّط منتظم بجبل ريه ولاصق بالجزيرة مع البحر . ويذكر ساكنوه أنّهم لا يزالون يرون الثلج نازلاً [2] فيه شتاءً وصيفًا . وهذا الجبل يُرى من أكثر بلاد الأندلس ويرى من عدوة البحر ببلاد البربر . وفي هذا الجبل أصناف الفواكه العجيبة ، وفي قراه المتّصلة به يكون أفضل الحرير والكتّان [3] الّذي يفضّل علَى كتّان الفيوم .

(1498)

ومنها جبل ألبرت ، وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلد غاليش ومبتدأه من البحر القبلي (المتوسّط المجاور) [1] طرطوشة ومنتهاه إلَى البحر الغربي بين الأشبونة وجليقية .

ومنها الجبل الحاجز بين بلاد إفرنجة وبلاد الصقالبة .

1497 1) ر : بالبحر المحيط ــ 2) سقطت من ق ــ 3) سقطت من ر (بياض) .

1498 1) سقطت من ر .

ذكـر ما خصّت به الأنـدلس من الأشجـار والمعـادن والأحجـار

(1499)

يوجد [1] في ناحية دلاية من إقليم البشرة عود النضوح لا يقارنه العود الهندي ذكاءً وعطراً ، وقد سيق منه إلَى خيران الصقلبي [2] صاحب ألمرية أصل كان منبته بين أحجار هناك . وبأكشنبة جبل يعرف بجبل الجنّة كثيرًا ما يتضوّع منه ريح العود الذكي إذا أرسلت فيه النار . وببحر شحذونة يوجد أطيب العنبر العربي الوردي ، وفي جبل المنتلون المحلب [3] الّذي لا يعدل به . قال أحمد بن محمّد بن موسَى الرازي : وهو المقدم في الأفاوه المفضّل في أنواع الاشنان لا ينبت بشيء من الأرض إلاّ بالهند وبالأندلس .

(1500)

وفي جبل بإلبيرة السنبل الفائق الطيب ، وبنواحي المنتلون يكون البرباريس العجيب . وبجبل أندة يوجد القسط الطيّب المرّ المذاق ، ويوجد أيضًا بالجبل المنسوب إليه جبل القسط ، وهو بين حصن [1] قاشترو ومارتش . والجنطيانا يجلب [2] من الأندلس إلَى جميع الآفاق ، وهو عقير رفيع يوجد بلبلة .

(1501)

وبجزيرة سطين الزبد النفيس المصمّغ الطرفين ، ويوجد بجبال قلعة أيوب المرّ الطيّب ، وأطيب كهرباء الأرض بشذونة درهم منها يعدل دراهم من

1499 1) سقط هذا الفصل من ق ـ 2) ر : الصقلّي ـ 3) ر : المحلب .

1500 1) ر : صخر ـ 2) ر : يحمل .

المجلوبة . وأطيب القرمز قرمز الأندلس وأكثر ما يكون بنواحي إشبيلية ولبلة وشذونة وبلنسية ، ومن الأندلس يحمل إلَى الآفاق . وبناحية لورقة [1] من ناحية تدمير يكون حجر الأزورد الجيّد ، وقد يوجد في غيرها . وعلَى مقربة من حصن منتون من عمل قرطبة معدن البلّور بجبل شجيران ، وهو بشرقي قبرة . وحجر البجادي موجود بناحية مدينة الأشبونة ، في جبل هناك يتلألأ فيه ليلاً كالسرج . والياقوت الأحمر يوجد في ناحية حصن منت ميور من عمالة مالقة ، إلّا أنّه دقيق جداً لا يصلح للاستعمال لصغره . وحجر يشبه الياقوت الأحمر في ناحية مدينة بجّانة في خندق بقرب قرية ناشر يوجد أشكالاً مختلفة كأنّه مصنوع حسن اللون صبورا على النار .

(1502)

وحجر المغنطيس الجاذب للحديد يوجد بموضع يعرف بالصنهاجيّين من كورة تدمير . وحجر الشادنة بجبل قرطبة كثير ، وهو يرقي الدم ويستعمل في ذلك التذاهيب . والحجر اليهودي [1] في ناحية حصن البونت ، وهو أنفع شيء للحصَى . وحجر المرقشيتا الذهبية في جبال أنطاندة الّتي لا نظير لها في الدنيا ومن الأندلس يحمل إلَى جميع الآفاق لفضلها . والمغنيسيا بالأندلس كثير ، وكذلك حجر الطلق ، ويوجد اللؤلؤ بناحية مدينة برشلونة ، إلاّ أنّه جامد اللون . والمرجان يخرج من بحر الأندلس ، وقد خرج منه في ساحل بحر إلبيرة [2] من عمل المرية ما لقط منه في أقلّ من شهر نحو ثمانين قنطارًا . ومعدن الذهب بنهر لاردة يجمع بها منه كثير ، ويجمع أيضًا في ساحل الأشبونة .

1501 1) ر : تورقة .

1502 1) ر : وحجر اليهودي ــ 2) ر : بيرة .

(1503)

ومعادن الفضّة بالأندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال حمّة بجّانة ، وبإقليم كرتيش من عمل قرطبة معدن فضّة جليل . وبأكشونبة [1] معدن القصدير لا نظير له يشبه الفضّة ، وله معادن بناحية إفرنجة وليون [2] . ومعدن الزئبق في جبل البرانس ومن هناك يتجهّز به إلَى الآفاق . ومعدن الكبريت الأحمر بالأندلس ومعادن الأصفر كثيرة . ومعادن التوتيا الطيّبة بساحل إلبيرة بقرية تسمّى بطرنة ، وهي أزكَى توتيا وأقوى في صنع النحاس ، وبجبال قرطبة توتيا وليست كالبطرنية . ومعدن الكحل المشبه بالاصبهاني بناحية مدينة طرطوشة يحمل منها إلَى جميع البلاد . ومعادن الشبوب والحديد والنحاس والرصاص بالأندلس أكثر من أن تحصَى .

(1504)

والأندلس دار جهاد وموطنُ رباط قد أحاط بشرقها وشمالها وبعض غربها أصناف أهل الكفر . وروي عن عثمان بن عفان رضه أنّه كتب إلَى من انتدب إلَى غزو الأندلس : أمّا بعد فإنّ القسطنطينية إنّما تفتح من قبل الأندلس وإنّكم إن استفتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام . وروي عن كعب الأحبار أنّه قال : يعبر البحر إلَى الأندلس أقوام يفتحونها يعرفون بنورهم يوم القيامة .

(1505)

ودخل الأندلس رجل واحد من أصحاب النبي صلعم ، وقال عبد الملك بن حبيب : اسمه المنيذر الإفريقي . ويروى عن النبي صلعم أنّه قال : من قال

1503 1) ر : أكشوبنة ـ 2) ر : والبون .

رضيت بالله ربًّا إلَى آخرها فأنا الزعيم له لآخذنّ بيده فأدخله الجنّة . ودخلها من التابعين حنش بن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن نهر بن قنان بن ثعلبة بن ثامر النساني يكنّى أبا راشد ، وهو صنعاني من صنعاء الشام ويعدّ في المقرّبين ، ويقال حنش بن علي ، والصواب بن عبد الله ، وهو الّذي أسّس المسجد الجامع بسرقسطة ، وكان مع علي بالرقّة . فلمّا قُتل انتقل إلَى مصر ، وموضع محرابه وقبره بسرقسطة معلوم . ومنهم علي بن ربّاح [1] اللخمي البصري ويكنّى أبا موسَى ، لقِي أبا هريرة وعمرو بن العاص وعلقمة بن عامر وروى عنهم ، وقبره أيضًا بمدينة سرقسطة معلوم . ومنهم حيوة بن رجاء التميمي وأبو عبد الرحمان بن عبد الله بن يزيد الجبلي [2] الأنصاري وعياض بن عقبة الفهري وموسَى بن نصير بن عبد الرحمان بن يزيد يقال بكري ويقال لخمي . ويقال إنّ نصيرًا وحمدان مولَى عثمان من سبي عين التمر وإنّ نصيرًا أعتقه صبيح مولَى أبي العاص بن أميّة . ومن كتب الخزانة غير المترجم أنّ نصيرًا أصابه خالد بن الوليد في علوج عين التمر وادّعوا أنّهم رهن وأنّهم من بكر بن وائل ، فصار نصير وصيفًا لعبد العزيز بن مروان فأعتقه ، فمن أجل هذا يختلف فيه .

(1506)

وعقد الوليد لموسَى علَى إفريقيّة سنة ثلاث وثمانين ، وكان مولد موسَى سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطّاب رضه . وكان معاوية قد جعل نصيرًا أبا موسَى علَى حرسه [1] ، فلم يقاتل معه عليًّا رضه . فقال له معاوية : ما منعك في الخروج معي علَى علي ولم تكافِ يدًا لي عليك ؟ فقال له : لم يمكنّي أن أشكرك بكفر من هو أولَى بشكري منك . قال : ومن هو ؟ قال : الله تعالَى .

1505 1) ر : رياح ـ 2) ر : البجلي .

1506 1) ر : خدمته .

(1507)

ومسافة ما يملك المسلمون من الأندلس ـ وذلك من أكشونبة [1] إلَى مدينة أشقة ـ فذلك ثلاثمائة فرسخ طولاً ، ومن قرطاجنة الحلفاء إلَى الفهمين ثلاثون فرسخًا عرضًا .

ذكر مدينة قرطبة

(1508)

ذكر أنّ تفسير قرطبة بلسان القوط قرظبة بالظاء المعجمة ، ومعناه بلسانهم القلوب المختلفة ، وقيل : معنَى [1] قرطبة آخر « فاسكنها » . ودور [2] مدينة قرطبة في كمالها ثلاثون ألف ذراع ، [ولها من الأبواب باب القنطرة وهو بقبليّها ومنه يعبر النهر علَى القنطرة ، والباب الجديد وهو بشرقيّها ، وباب عامر وهو بين الغرب والجوف منها ، وغيرها . وقصر مدينة قرطبة بغربيّها متّصل بسورها القبلي والغربي . وجامعها بإزاء القصر من جهة الشرق ، وقد وصل بينهما بساباط يسلك الناس تحته من المحجة العظمَى الّتي بين الجامع والقصر إلَى باب القنطرة] [3] . وكان طول مسقف البلاطات من المسجد الجامع وذلك من القبلة إلَى الجوف قبل الزيادة مائتين وخمسًا وعشرين ذراعًا ، والعرض من الشرق إلَى الغرب قبل الزيادة مائة ذراع وثلاثين ذراعًا . (ثمّ زاد الحكم في طوله في القبلة مائة ذراع وخمس أذرع) [4] . فكمل الطول [ثلاثمائة ذراع وثلاثين ذراعًا] [3] . وزاد محمّد بن أبي عامر بأمر هشام بن الحكم في (عرضه من) [5] جهة الشرق ثمانين ذراعًا . فتمّ العرض مائتين (وثلاثين ذراعًا) [5]

1507 1) ر : شكشونية .

1508 1) ق ر : معناه ـ 2) ر : ودور جامع ـ 3) عن الحميري ص 458 ـ 4) عن ق ـ 5) سقطت من ق .

(1509)

وكان عدد بلاطاته أحد عشر بلاطًا عرض أوسطها ستّ عشرة ذراعًا ، [وعرض كلّ واحد من اللّذين يليانه شرقًا واللّذين يليانه غربًا أربع عشرة ذراعًا] (1) وعرض كلّ واحد من الستّة الباقية إحدى عشرة ذراعًا . وزاد ابن أبي عامر فيه ثمانية بلاطات عرض كلّ واحد عشرة أذرع . وطول الصحن من المشرق إلَى المغرب مائة وثمان وعشرون ذراعًا ، وعرضه من القبلة إلَى الجوف مائة وخمس أذرع ، وعرض السقائف المستديرة بصحنه عشر أذرع فتكسيره ثلاثة وثلاثون ألف ذراع ومائة وخمسون ذراعًا .

(1510)

وعدد أبوابه تسعة منها ثلاثة في صحنه غربًا وشرقًا وجوفًا وأربعة في بلاطاته اثنان غربيان واثنان شرقيان ، وفي مقاصير النساء من السقائف بابان . وجميع ما فيه من الأعمدة ألف عمود ومائتا (1) عمود وثلاثة وتسعون عمودًا أساطين (2) رخام كلّها . وقباب (3) مقصورة الجامع مذهّبة وكذلك جدار المحراب وما يليه قد أجرى فيه الذهب علَى الفسيفساء ، وثريات المقصورة فضّة محضة . وارتفاع الصومعة اليوم - وهي من بناء عبد الرحمان بن محمّد - ثلاث وسبعون ذراعًا إلَى أعلَى القبّة المفتّحة الّتي يستدير فيها المؤذّنون . وفي رأس هذه القبّة تفّاح ذهب وفضّة وارتفاعها إلَى مكان الآذان أربع وخمسون ذراعًا ، وطول كلّ حائط من حيطانها علَى الأرض ثماني عشرة ذراعًا .

وعدد المساجد (4) بقرطبة علَى ما أُحصي وضبط أربعمائة وواحد وتسعون مسجدًا .

1509 1) عن الحميري ص 458 .

1510 1) ر : ومائة - 2) سقطت من ق - 3) ر : وقبّة - 4) ر : وعدد ما كان من المساجد .

(1511)

وبقرطبة أقاليم كثيرة وكور جليلة ، وكانت جباية هذه الأقاليم في أيّام الحكم بن هشام [1] من ناضّ الحشر وناضّ الطبل وناضّ البيزرة للعام مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار ، ومن وضيفة القمح مديا أربعة آلاف مدي وستّمائة مدّي وسبعة وأربعين مدّيا ، ومن الشعير سبعة وأربعين ألف مدّي .

(1512)

قال المؤلّف : عقب الفتنة الّتي كانت علَى رأس أربعمائة من الهجرة واستمرّت إلَى وقتنا هذا ـ وهو سنة ستّين وأربعمائة ـ عفت آثار هذه القرى وغيّرت رسوم ذلك العمران ، فصار أكثرها خلاء بندب [1] ساكنيه . وكذلك حكم الله في كلّ جديد أن يبليه وفي كلّ أهل أن يخليه حتّى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

ذكــر مدينــة إشبيليــة

(1513)

وهي قديمة أوّلية ، زعم أهل العلم باللسان اللطيني [1] أنّ أصل تسميتها إشبال [2] معناه المدينة المنبسطة ، ويقال إنّ الّذي بناها يوليش قيصر وإنّه أوّل من تَسمّى قيصر. وكان سبب بنائه إيّاها أنّه لمّا دخل الأندلس ووصل إلَى مكانها أعجب بكرم ساحته وطيب أرضه وجبله المعروف بجبل [3]

1511 1) ر : الحكم وهشام .

1512 1) ق ر : بندب .

1513 1) ر : العربي الطيني ـ 2) ق ر : اشبال ـ 3) سقطت من ق ـ

الشرف ، فردم علَى النهر الأكبر مكانًا وأقام فيه المدينة وأحدق عليها بأسوار [4] من صخر صلب ، وبنَى في وسط المدينة قصبتين متقنتين عجيبتين تعرفان بالأخوين ، وجعلها [5] أمّ قواعد الأندلس واشتقّ لها اسمًا من اسمه ومن اسم رومية فسمّاها مدينة [3] رومية يوليش ، ولم تزل معظّمة عند العجم من ذلك الوقت . وقد كان منها رجال ولوا قيادة العجم العظمَى والمملكة بمدينة رومية . وروى ابن وضّاح أنّ المرأة الّتي قتلت يحيَى بن زكريا عليه السلام من إشبيلية من قرية طالقة . وقد قيل إنّ رأس إشبيلية لقيصر أكتبيان [6]

(1514)

ومدينة إشبيلية موفية [1] علَى النهر وهو في غربيّها . ويذكر في بعض الأخبار أنّ إشبان بن طيطش من ذرّية طوبيل [2] بن يافث بن نوح عليه السلام ، كان أحد أملاك الاشبانيّين [3] خصّ بملك أكثر الدنيا وأنّ بدء ظهوره كان من إشبيلية ، فغلظ أمره وبعُد صيته وتمكّن في كلّ ناحية سلطانه . فلمّا ملك نواحي الأندلس وطاعت له أقاصي البلاد خرج في السفن من إشبيلية إلَى إيليا فغنمها وهدمها وقتل بها من اليهود مائة ألف وسبَى مائة ألف وفرّق في البلاد [4] مائة ألف ، وأنقل [5] رخامها إلَى إشبيلية وماردة وباجة [6] ، وأنّه صاحب المائدة الّتي ألفيت بطليطلة وصاحب الحجر الّذي وجد بماردة وصاحب قُليلة الجوهر الّتي كانت بماردة أيضًا علَى حسب ما ذكر (في فتح الأندلس) [7] ، وأنّه حضر خراب بيت المقدس الأوّل مع بخت نصر وحضر الخراب الّذي كان مع قيصر بشبشيان وأدريان [8] ، ويذكر أنّه من طالقة [9] إشبيلية . وفي سنة عشرين من دولته أتقن بنيان إيلياء . وكان

1513 4) ق ر : بأسوارها ـ 5) ق : وجعلها ـ 6) ر : اكتيان ، سقطت من ق .

1514 1) سقطت من ق ـ 2) ق ر : طوبل ـ 3) ر : كان أحد الاشبيليّين ـ 4) ق : الأرض ـ 5) ق : وانتقل ـ 6) سقطت من ر (بياض) ـ 7) سقطت من ر ـ 8) ر : بسنشيان واردمان ـ 9) ق :

من [15] مضَى من ملوك الأعاجم يتداولون بمسكنهم أربعة من مدن الأندلس : إشبيلية وماردة وطليطلة وقرطبة ، ويقسمون أزمانهم علَى الكينونة بها .

(1515)

وكان سور إشبيلية من بناء الإمام عبدالرحمان بن الحكم بناه بعد غلبة المجوس عليها بالحجر أحكم بناء . وكذلك جامعها اليوم من بنائه وهو من [1] عجيب المباني وجليلها ، وصومعته بديعة الصنعة غريبة العمل أركانها الأربعة عمد (فوق عمد) [1] إلَى أعلاها ، في كلّ ركن ثلاثة أعمدة . فلمّا مات عبدالرحمان بن إبراهيم بن حجّاج ـ وذلك في محرّم سنة إحدى وثلاثمائة ـ (قدّم أهلها) [2] أحمد بن مسلمة ، وكان من أهل البأس والنجدة ، فأظهر العناد وجاهر [3] بالخلاف ، فأخرج إليه (عبدالرحمان بن محمّد) [2] قائدًا (من قوّاده) [2] بعد قائد حتّى افتتحها علَى يدي الحاجب يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولَى سنة إحدى وثلاثمائة [4] ، (واستعمل عليها سعيد) [2] بن المنذر المعروف بابن السليم ، فهدم سورها وألحق أعاليه بأسفله وبنَى القصر (القديم المعروف بدار الإمارة) [2] وحصنه بسور صخر رفيع وأبراج منيعة [5] ، وهو علَى ذلك إلَى اليوم . وبنَى سور المدينة (في الفتنة بالتراب . وله من) [2] الأبواب باب أبي العاص [6] غربي ومنه الخروج إلَى الشرق ، وباب حميدة غربي أيضًا (بإزاء المقبرة ، وباب قرمونة) [2] شرقي . ويطلّ علَى إشبيلية جبل الشرف ، وهو شريف البقعة كريم التربة دائم الخضرة فراسخ في فراسخ طولاً وعرضًا ، لا تكاد تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه واشتباك غصونه . ولها كور جليلة ومدن [7] كثيرة وحصون شريفة .

1514 طالوت ـ 10) ق : ممّن .

1515 1) سقطت من ق ـ 2) سقطت من ر (بياض) ـ 3) ر : وشاهد ـ 4) ر : احدى وثلاثين ـ 5) ق : مبنية ـ 6) ق : القليص ـ 7) سقطت من ر .

(1516)

وبإشبيلية آثار للأوّل كثيرة ، وبها أساطين [عظام تدلّ على هياكل كانت بها] [1] . وإشبيلية من الكور (المجنّدة نزلها جند حمص) [2] ، ولواؤهم في الميمنة بعد لواء جند دمشق .

(1517)

ولإشبيلية من الأقاليم : إقليم المدينة ، (إقليم ألية) [1] ، إقليم السهل ، إقليم الشعراء ، إقليم البصل ، إقليم طالقة ، إقليم الشرف [2] ، إقليم الوادي ، إقليم طشانة ، إقليم الفحص ، إقليم قرطشانة [3] ، إقليم المنسئير . وانتهت جبايتها في أيّام الأمير الحكم بن هشام خمسة وثلاثين ألف دينار ومائة دينار . وفي إقليم طالقة وجدت صورة جارية من مرمر (معها صبي وكأنّ حيّة تريده) [1] ، لم يسمع في الأخبار ولا رُئِيَ في الآثار صورة أبدع منها جعلت في بعض الحمّامات وتعشّقها جماعة من العوامّ .

[ذكـــر الجـــزيرة]

(1518)

ومدينة [1] الجزيرة على ربوة مشرفة على البحر ولها أقاليم [2] . وكانت جباية كورة الجزيرة ستّمائة دينار وثمانية عشر ديناراً . قال محمّد بن وضّاح : حدّثنا زهير بن عبّاد الكلاعي عن ابن عمّ وكيع بن الجرّاح الكوفي [قال] : لقيته

1516 1) عن الحميري ص 59 ـ 2) ر : ولها جند .

1517 1) سقطت من ر ـ 2) ر : الشريف ـ 3) ر : قطرشانة .

1518 1) هذا الفصل غير موجود في ق ـ 2) ر : إقليم ـ

بمصر ولقيته في رحلتي الثانية بالشام وأخذت عنه علمًا كثيرًا شيخ ثبت ، قال : أهل الجزيرة من بلاد الأندلس هم الّذين أبوا أن يضيفوا موسَى والخضر عليهما السلام . بها أقام الخضر الجدار وخرق السفينة وأسلم الجلندى ، وكَانَ يأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا كما قال الله تعالَى في كتابه العزيز [3]

ذكـر مـاردة وبطليـوس

(1519)

ماردة بجوفي قرطبة منحرفة إلَى الغرب قليلاً ، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل [1] ، فكثرت بها آثارهم والمياه المستجلبة إليها . وكان قد أحدق بها سور عرضه اثنتا عشرة ذراعًا وارتفاعه ثماني عشرة ذراعًا ، وعلَى بابها كتابة ترجمتها : براءة لأهل إيليا من عمل في [2] سورها خمس عشرة ذراعًا . ولماردة حصون وأقاليم ، من ذلك مدلّين وحصن مورش (وحصن أمّ غزالة وحصن الأرش) [1] وحصن أمّ جعفر وحصن الجزيرة وحصن الجناح وحصن الصخرة المعروفة بصخرة أبي حسّان وحصن لقرشان وحصن سنت أقروج [3] في غاية الارتفاع لا يعلوه طائر البتّة لا نسر ولا غيره ، وغيرها من الحصون (يكثر ذكرها) [1] .

(1520)

وبطليوس هي حديثة الاتّخاذ ، بناها عبد الرحمان بن مروان المعروف بالجلّيقي بإذن الأمير محمّد لمّا أخرجه من قلعة الحنش [1] ولجأ إلَى حصن مرنيط [2]

1518 3) سورة الكهف 18/71_79 .

1519 1) سقطت من ر ـ 2) سقطت من ق ـ 3) ق : سنت افرج .

1520 1) ر : الجيش ـ 2) ر : فرنيط ـ

من حصون جلّيقية ، انعقد سلمه [3] علَى أن يستقرّ ببطليوس ويتّخذها دارًا ، وهي إذ ذاك خالية ، فبناها لنفسه ومَن معه . فلمّا توطّد [4] له الملك كتب إلَى الأمير عبد الله - وقد تولّى الأمر - أن يجدّد له سجلاً علَى بلده وعقدًا علَى قومه المولّدين ، فأجابه إلَى ذلك . ثمّ كتب إليه ألاّ مسجد جامع له يعلن فيه الدعاء للأمير ولا حمّام يغتسل فيه ، فهم علَى كثرتهم بادية وإن تحضّروا . وسأله أن يرسل إليه فعلة يبنون له الجامع والحمّام فيلحق البلد بالحواضر ، فأجابه إلَى ما أراد . ولبطليوس أقاليم وحصون كثيرة .

ذكر مدينة طليطلة

(1521)

معنَى طليطلة باللطيني تولاطو ، معناه فرح ساكنها يريدون لحصانتها ومنعتها . وفي كتب الحدثان كان يقال : طليطلة الأطلال ، بنيت علَى الهرج والقتال ، إذا وادعوا الشرك ، لم يقم لهم سوقة ولا ملك ، علَى يد أهلها يظهر الفساد ، ويخرج الناس من تلك البلاد . ومدينة طليطلة قاعدة القوط ودار مملكتهم ، ومنها كانوا يغزون عدوّهم وإليها كان يجتمع جنودهم ، وهي إحدى القواعد الأربع المتقدّم ذكرها وهي أقدمهنّ ، ألفتها القياصرة مبنية ، وهي أوّل الإقليم الخامس من السبعة الأقاليم الّتي هي ربع معمور الأرض ، وإليها ينتهي حدّ الأندلس الأدنَى ويبتدئ بعدها الذكر للأندلس الأقصَى . وأوفت علَى نهر تاجه وبها كانت القنطرة الّتي كان يعجز الواصفون عن وصفها [1] ، وكان خرابها في أيّام الإمام محمّد . ومن خواصّها أنّ حنطتها لا تتغيّر ولا تسوّس علَى مرّ السنين (يتوارثها الخلف) [2] عن السلف ، وزعفران طليطلة هو الّذي يعمّ البلاد ويتجهّز به إلَى الآفاق ، وكذلك الصمغ السماوي [3] .

1520 3) ق : مسلمة - 4) ر : توطا .

1521 1) ر : عن النظر فيها - 2) سقطت من ر (بياض) - 3) ر : المسا .

(1522)

وأوّل من نزل بها من ملوك الأندلس لوبيان ،[وهو الّذي بنَى مدينة رقوبل ، وهي علَى مقربة من طليطلة ، وسمّاها باسم ولده ، ومنها ولّى الأساقفة علَى الكور وبها مجتمعهم للمشورة ، وكان عددهم ثمانين أسقفًا لثمانين مدينة من حوز الأندلس كجلّيقية وطركونة وقرطاجنة . وكانت قبل ولايته فرقًا ، فائتلف أمر الناس وانقطع الخلاف وأحبّه الخاصّ والعامّ . وهو الّذي بنَى الكنائس الجليلة والمعالم الرفيعة ، وبنَى الكنيسة المعروفة بالمردقة واسمه مزبور علَى بابها ، وهي بين حاضرة إلبيرة ووادي آش] [1] .

(ولها أقاليم وحصون) [2] .

[ذكــر طلبيــرة]

(1523)

ومدينة طلبيرة أقصَى [1] ثغور المسلمين وباب من الأبواب الّتي يدخل منها إلَى أرض المشركين ، وهي قديمة علَى نهر تاجه [2] .

1522 1) عن الحميري 394 ـ 2) عن ر .

1523 1) سقطت من ق ـ 2) ورد هنا في ر : ومن العجائب البلاط الأوسط من مسجد جامع (بياض) فإنّ طول كلّ جائزة منها من جوائزه مائة شبر وأحد عشر شبرًا وهي مربّعة منحوتة مستوية الأطراف .

[ذكــر تطيلــة]

(1524)

وكان بتطيلة [1] بعد الأربعمائة من الهجرة أو علَى رأسها أمرأة لها لحية كاملة سابغة [2] كلحى الرجال ، وكانت تتصرف في الأسفار وسائر ما يتصرّف فيه الناس حتّى أمر قاضي الناحية [3] نسوة من القوابل [4] بالنظر إليها ، فأحجمن عن ذلك [5] لما عاينَّه [6] من منظرها فأكرههنّ علَى ذلك فإذا بها امرأة ، فأمر القاضي بحلق لحيتها وأن تتزيّا بزيّ النساء ولا تسافر إلاّ مع ذي محرم .

ولتطيلة مدن وبناءات، منها طرسونة [7] وغيرها ، وقلعة أيّوب [8] محدثة .

[ذكــر مدينــة بربشتــر]

(1525)

ومدينة بربشتر من بلاد بربطانية [1] وبعضها في ملك المسلمين وبعضها للعجم اليوم . وحصن بربشتر علَى نهر تارة [2] ، وبربشتر من أمّهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة البائنة في الامتناع .

1524 1) ق : بتطلية ـ 2) ر : شنبعة ـ 3) ر : حتّى أعلم بذلك قاضي الناحية فأمر . . . ـ 4) ر : القبائل ـ 5) ر : فامتنعن من ذلك ـ 6) ر : عاينوه ـ 7) ر : طرسوسة ـ 8) ر : أبواب .

1525 1) ر : برطانية ـ 2) ق : حارة ؟

(1526)

وقد غزاها علَى غرّة (وقلّة عدد من أهلها) [1] وعدّة أهل غاليش والروذمانون ، وكان عليهم رئيس يسمّى البيطين وكان في عسكره نحو أربعين ألف فارس ، فحاصرها أربعين يومًا حتّى افتتحها ، وذلك سنة ستّ وخمسين وأربعمائة . فقتلوا عامّة رجالها وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصَى كثرة [1] . ويذكر أنّهم اختاروا من أبكار جواري [1] المسلمين وأهل الحسن منهنّ [2] خمسة آلاف جارية وأهدوهنّ إلَى صاحب القسطنطينية وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يعجز عن وصفه . وفتحها بعد ذلك أحمد (بن سليمان) [3] بن هود صاحب سرقسطة مع أهل الثغور واستنجد [3] بحلفائه من رؤساء الأندلس [ونهد إليها في جمع كثيف ذوي جدّ وحدّ ، ففتحها الله عزّ وجلّ علَى يديه عنوة ، فقتل المقاتلة وسبَى النساء والذرية] [4] وأدخل منها سرقسطة نحو خمسة آلاف سبية ونحو ألف فرس وألف درع وأموالاً كثيرة وثيابًا جليلة . وكان افتتاحه لها لثمان خلون من جمادى الأولَى سنة سبع وخمسين وأربعمائة . ومنذ ذلك تَسمّى أحمد بن سليمان المقتدر بالله .

ولبربشتر حصون ...

[ذكـر مدينـة برشلـونة]

(1527)

وأمّا مدينة برشلونة فهي من القسم الثالث من الأندلس مسوّرة علَى ساحل

1526 1) سقطت من ق — 2) ر : منهم — 3) سقطت من ر — 4) عن الحميري 91 .

البحر ، واليهود بها يعدلون النصارى كثرة ولها ربض [1] خارج منها .

وصاحب برشلونة اليوم راي مند بن بلنقير بن بريل ، وكان خرج يريد بيت المقدس سنة ستّ وأربعين وأربعمائة فنزل مدينة نربونة علَى رجل من كبراء أهلها ، فتعشّق امرأته وتعشّقته ، ثمّ تمادى في سفره حتّى وصل بيت المقدس ، ثمّ كرّ راجعًا حتّى أتى نربونة فنزل علَى ضيفه بها ، وليس له همّ إلاّ امرأته ، فتحكّم ذلك التعاشق بينهما واتّفق معها علَى أن تعمل الحيلة في الهروب إليه من بلدها فيزوّجها من نفسه . فلمّا وصل إلَى برشلونة أرسل إليها قومًا من اليهود في ذلك . ودخل [2] صاحب طرطوشة في الأمر فأوصلهم في الشواني إلَى نربونة ، فلم تتوجّه اليهود الحيلة في أمرها وأحسّ [3] زوجها ببعض شأنها وكان بها كلفًا ، فثقّفها فكان تثقيفه لها سببًا لمعونة [4] أهلها علَى مرادها . فوصلت مع قوم منهم إلَى برشلونة ، فنزل راي مند عن امرأته وتزوّج النربونية ، فلبست الأولَى المسوح وخرجت مع جماعة من أهل بيتها إلَى رومة حتّى أتت عظيمها وصاحب الدين بها ، وهو الّذي يسمّونه البابه ، فشكت إليه ما صنع زوجها وأنّه تركها بغير سبب ، وهو أمر لا يحلّ في دينهم ، وأنّه [5] لا يجوز لهم فعله ، وإنّما حمله علَى ذلك عشقه للنربونية [6] . وشهد لها شهود قبلهم ، فحرم البابه علَى صاحب برشلونة دخول الكنائس وأمر ألاّ يدفن له ميّت وأن يتبرّأ منه جميع [7] من يعتقد النصرانية . فلمّا علم ذلك علم أنّه لا حيلة له معه ولا بقاء في أفق يكون فيه لنصراني حكم . فبذل الأموال ودسّ مشاهير الأساقفة والقسيسين وأوطأهم علَى الشخوص إلَى البابه وأن يشهدوا له بأنّه تقصّى [8] عن نسب المرأة الّتي ترك فوجدها منه بقربَى يحرّمها عليه ، وأنّ النربونية فرّت من زوجها لذلك لأنّه كانت منه بنسب وكان يكرهها علَى المقام معه . فنفذ القوم إلَى البابه وشهدوا للقومس [9] ما أوطأهم عليه ، فقبلهم [10] وأباح له دخول الكنائس ودفن من مات له وسائر ما حجر عليه .

---

1) ر : رباط ـ 2) ر : وأدخل ـ 3) ر : وأحسن ـ 4) ر : لمعاونة ـ 5) ق : وأنّهم ـ 6) ق : لها ـ 7) سقطت من ر (بياض) ـ 8) ر : استقصى ـ 9) ر : للمقوقس ـ 10) ر : فقبلهم 1527

ذكـر بلـد جلّيقيـة

(1528)

قسمه الأوائل علَى أربعة أقسام ، فالقسم الأوّل هو الّذي يلي [1] الغرب وينحرف إلَى الجوف . وساكنوه هم الجلالقة وموضعهم جلّيقية ، وكانوا حوالي مدينة براقرة الّتي هي متوسّطة الغرب . ومدينة براقرة هي مدينة أوّلية [2] من بنيان الروم ، وقواعدهم ودور مملكتهم شبيهة [3] بمدينة ماردة في إتقان بنائها وصنعة أسوارها [4] ، وهي اليوم مهدومة الأكثر خالية هدمها المسلمون وأجلوا [5] أهلها .

(1529)

القسم الثاني هو المسمّى (بأشتورش وسمّي) [1] بذلك بواد لهم يقال له أشترو منه شرب جميع بلادهم . والقسم الثالث ما كان (من جلّيقية بين الغرب) [1] والقبلة ويسمّى أهله البرتقالش [2] . والقسم الرابع ما كان بين الشرق والقبلة ويسمّى بقشتيلة [1] ، وقشتيلة القصوى وقشتيلة الأدنَى ، فالأدنَى [3] من حصونها (غرنون والقصير وبرغش وأماية) [4] .

1528 1) سقطت من ق ـ 2) سقطت من ر (بياض) ـ 3) ق : يشبه ، ر : شبه ـ 4) ر : أسواقها ـ 5) ق : أخلوا .

1529 1) سقطت من ر (بياض) ـ 2) ق : القرمانش ، ر : القرمانيس ـ 3) سقطت من ر ـ 4) ر : غرماجس وقلعة النسور (بياض) مورش وقنالش وأهل القصور من حصونها .

جملة القول في بلاد الجلّيقيّين وغيرهم من قبائل النصارى إلَى بلد الصقالبة علَى ما أورده إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطرطوشي

(1530)

قال إبراهيم [1] : بلد الجلّيقيّين سهل جميعه والغالب علَى أرضه [2] الرمل وأكثر أقواتهم [3] الدخن والذرّة ، ومعولهم في الأشربة علَى شراب التفاح والبشكة [4] ، وهو شراب يتّخذ من الدقيق . وأهله أهل غدر [5] ودناءة أخلاق لا يتنظّفون ولا يغتسلون في العام إلاّ مرّة أو مرّتين بالماء البارد ، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلَى أن تنقطع عليهم ، ويزعمون أنّ الوسخ [6] الّذي يعلوها من عرقهم تنعم أجسامهم (وتصحّ أبدانهم) [7] . وثيابهم أضيق الثياب وهي مفرّجة يبدو من تفاريجها أكثر أبدانهم . ولهم بأس وشدّة [8] لا يرون الفرار عند اللقاء (في الحرب) [4] ويرون الموت دونه .

ذكر بلاد إفرنجة

(1531)

في وسط الإقليم الخامس ، وهواؤها غليظ لشدّة بردها ومصيفها معتدل . وهو بلد كثير الفاكهة غزير الأنهار المنبعثة من ذوب [1] الثلج ، ومدائنه متقنة الأسوار محكمة البناء . وآخر حدودها بحر الشام وحدّ آخر البحر المحيط ، البحر

1530 1) ورد هذا الفصل في ر بعد ذكر بلاد إفرنجة ـ 2) ق : أرضهم ـ 3) ق : قوتهم ـ 4) سقطت من ق ـ 5) ر : نجدة ـ 6) ق : الوضوء ـ 7) سقطت من ر ـ 8) ق : بأس شديد .

1531 1) ق : ذواب ـ

الشامي بقبليّها والبحر المحيط بجوفيّها ، وتتّصل ببلاد رومة أيضًا [من ناحية القبلة وتتّصل أيضًا] [2] من ناحية الجوف ببلاد الصقالبة بينهما شعراء ملتفّة مسيرة الأيّام الكثيرة ، وتتّصل في الشرق أيضًا بالصقالبة وتتّصل في الغرب بالبشكنس [3] ، وتتّصل أيضًا ببلاد بيورة [4] وهم الّذين يعرفون بالأمانيش [5] ولهم كلام غير كلام الإفرنج .

(1532)

وتتمادى [أعمال] إفرنجة في الطول والعرض مسيرة شهرين في شهرين مع غيرها من القبائل ، ويحجز بين بلاد إفرنجة وبلاد الصقالبة في الجوف والشرق الجبل المعترض بين البحرين . فيتمادى بلد الإفرنج مع ساحل البحر القبلي الشامي حتّى يلزق [1] بجزيرة رومة وبلد لنقبردية [2] . ويتمادى مع الجبل المعترض في الجوف إلَى البحر المحيط . ويتّصل بالصقالبة بلاد المجوس المعروفين بالأنقلش . وسيوف إفرنجة تفوق سيوف الهند .

[ومنّها يرد الرقيق من بلاد الصقالبة ، ولا يكاد يرى ببلاد إفرنجة زمِن ولا ذو عاهة . والزنا في غير ذوات الأزواج عند الإفرنج غير منكر ، وإذا حلف أميرهم أو كبيرهم حانثًا استهانوه ولم يزالوا يعيّرونه بذلك . وأبناء الأشراف عندهم يسترضعونهم في الأباعد ولا يعرف الابن أبويه حتّى يعقل ، وإذا عقل ردّ إليهما فيراهما كالسيّدين ويكون لهما كالعبد . وكانت مملكتهم مجتمعة وأمرهم ملتئمًا حتّى ثار علَى رجل من ملوكهم يسمّى قارلُه قومس مع ملك يقال له روديبرت ، وذلك في عهد الإمام عبد الله ، فحشد له قارله وزحف بعضهما إلَى بعض فقتله قارله وأسر أصحاب روديبرت قارله فمكث أسيرًا أربعة أعوام ، ثمّ هلك بأيديهم فافترق ملكهم واقتسم] [3] .

1531 2) عن الحميري 50 ـ 3) سقطت من ر (بياض) ـ 4) ر : نبورة ـ 5) ق : بالأمانيس .

1532 1) ر : يلتصق ـ 2) ر : لمردمة ـ 3) عن الحميري 50 .

[ويحكَى أنّ موسَى بن نُصير لمّا غزا الأندلس أراد أن يخرق ما بقِي عليه من بلاد إفرنجة ويفتح الأرض الكبيرة حتّى يتّصل بالناس إلَى الشام مؤملاً أن يتّخذ مخترقة تلك الأرض طريقًا مهيعًا يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من المشرق وإليه علَى البرّ لا يركبون بحرًا ، وأنّه أوغل في بلاد إفرنجة حتّى انتهَى إلَى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار . فأصاب فيها صنمًا عظيمًا قائمًا كالسارية مكتوبًا فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فإذا هي : يا بني إسماعيل انتهيتم فارجعوا . فهاله ذلك فقال : ما كُتب هذا إلاّ بمعنًى . فشاور أصحابه في الاعراض عنه وجوازه إلَى ما وراءه ، فاختلفوا عليه . فأخذ برأي جمهورهم وانصرف بالناس ، وقد أشرفوا علَى قطع البلاد وتقصّي الغاية] [3] .

ذكـــر البرتـــونين

(1533)

لهم لغة تمجّها الأسماع ومناظر [1] قبيحة وأخلاق سيّئة ، وهم [2] لصوص يقطعون علَى الإفرنج ويسترقونهم [3] والإفرنج يصلبونهم إذا ظفروا منهم بأحد [4] . ومن البرتونيّين والجلالقة والبشاكسة كان حشد طيطش (إلَى الشام) [5] حين خرج يريد بيت المقدس [6] .

1533 1) ر : ومعاطر ــ 2) ر : ولهم ــ 3) ق : ويسرقونهم ــ 4) ر : إذا ما ظفروا بهم ــ 5) سقطت من ق ــ 6) ق : حين ضرب بيت المقدس .

أسماء الأماكن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ح ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ ق ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ ي ـ

أسماء الأشخاص والأمم والقبائل والمذاهب

ـ أ ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

- خ -

- د -

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

- ع -

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

KITĀB AL-MASĀLIK WA-L-MAMĀ-LIK

D'ABU UBAYD AL-BAKRĪ

EDITION CRITIQUE
AVEC INTRODUCTION ET INDICES

A.P. Van LEEUWEN
et A. FERRE

INTRODUCTION

La situation politique de l'Andalousie au 5e/11e siècle, époque à laquelle appartient al-Bakrî, est trop connue de tous ceux qui, de près ou de loin, s'intéressent à l'histoire du monde musulman en général et à celle du Maġrib en particulier, pour qu'il soit nécessaire d'y insister longuement. Nous nous limiterons donc à indiquer dans ses grandes lignes le cadre dans lequel s'est constituée et développée l'œuvre d'al-Bakrî, objet de ce travail.

Après les règnes stables et prospères des deux califes umayyades ʿAbd al-Raḥmân III (300/912 - 350/961) et son fils al-Ḥakam II (350/961 - 366/976), l'accession au trône d'un enfant, al-Hišâm II, ouvre une période de troubles et de luttes intestines qui mènent rapidement à la déchéance totale de la dynastie. On assiste au triste spectacle de prétendants occupant successivement ou même simultanément le trône, chacun s'appuyant sur une des nombreuses factions dont se compose l'armée : Arabes, Berbères ou Esclavons.

Dès la première décade du 11e siècle, un califat rival fait son apparition, celui des Ḥammûdides de Malaga, puis d'Algésiras, dont les souverains alternent ou coexistent avec les derniers représentants de la famille umayyade. Cette situation durera jusqu'en 422/1031, quand la dynastie régnante disparaît définitivement avec son dernier calife, Hišâm III.

Une nouvelle ère s'ouvre pour l'Andalousie, rendant pour ainsi dire officiel un état qui, de fait, était déjà amorcé depuis des années. Chaque gouverneur se rend indépendant dans sa région ou dans sa ville. Période

d'anarchie, d'émiettement, connue comme le siècle des «Mulùk al-Ṭawâ'if», Los Reyes des Taifas des historiens espagnols. On en comptera à certains moments plus de vingt[1].

Rien de plus fastidieux que de suivre l'histoire embrouillée de ces années sombres. Les luttes continuelles entre tous ces «Etats» remplissent les chroniques, les alliances se font et se défont au fil des jours, de nouveaux royaumes naissent, d'autres disparaissent, jusqu'à ce que certaines unités émergent du chaos, unités plus étendues, plus fortes et plus stables, qui réussissent à se maintenir jusqu'à la fin du siècle[2].

A ce moment-là, les royaumes du nord, comme Tolède et Saragosse, finissent par succomber sous les coups de leurs voisins chrétiens, Castille, Leon et Aragon. Il va sans dire, en effet, que les chrétiens ne restèrent pas inactifs face au spectacle lamentable qu'offrait l'Espagne musulmane à cette époque. Devant la dispersion des musulmans, leur instabilité et leur incapacité à s'unir et à se défendre, ils usent de tous les moyens à leur disposition, violents aussi bien que pacifiques, pour étendre, lentement mais sûrement, leur influence sur des parties de plus en plus grandes de la Péninsule.

Ce processus culmine avec l'occupation de Tolède par Alphonse VI, roi de Leon et de Castille, en 478/1085. Cette catastrophe eut un retentissement considérable dans tout le monde musulman et déclencha la réaction des Andalous. Ils décidèrent de faire appel aux Almoravides, installés dans le nord de l'Afrique. En 483/1090 Yûsuf b. Tašfîn débarque à la tête de ses troupes; mais, venu pour combattre les chrétiens du nord, il se rend bientôt compte qu'il n'y a rien à faire s'il n'intervient pas de changement radical dans la situation politique des territoires musulmans. Les «Mulûk al-Ṭawâ'if» seront donc éliminés les uns après les autres et leurs territoires incorporés à l'empire almoravide. Ainsi, Yûsuf B. Tašfîn refait, souvent contre le gré des Andalous, l'unité politique de l'Espagne musulmane, d'abord à son profit mais finalement aussi au profit des Andalous eux-mêmes, en prenant en mains sa défense et en lui assurant ainsi une survie de deux siècles.

Tableau sombre et attristant que ce 5ᵉ/11ᵉ siècle, du point de vue politique. Mais tout cela ne doit pas nous faire oublier l'autre face du

---

1. Zambaur, *Manuel*, I, 54-57

2. Citons Séville avec les ʿAbbâdides, Grenade avec les Zîrides, Saragosse avec les Banû Tuǧîb, Tolède avec les Dû Nûnides

tableau. Par un phénomène dont l'Andalousie n'est pas le seul exemple[3], cette période de décadence politique et militaire est caractérisée par un essor extraordinaire de la vie culturelle et artistique. Si, sous les Umayyades, Cordoue était un centre de culture extrêmement brillant, elle était pratiquement le seul existant. Mais à l'époque des «Mulûk al-Ṭawâ'if» nous assistons à la création d'un grand nombre de ces centres. Chaque prince rivalise avec ses voisins et ses adversaires pour attirer à sa Cour poètes, littérateurs et savants de toutes disciplines; il suffit de nommer des cités comme Séville, Almeria, Badajoz, Malaga et Grenade, sans parler de Tolède et Saragosse jusqu'à leur conquête par les chrétiens. C'est l'époque où brillent les plus grands noms de la culture hispano-musulmane, l'époque d'un Ibn Ḥazm, d'un Ibn Ḥayyân, d'un Ibn Bassâm et de tant d'autres dont nous connaissons sinon les œuvres, disparues dans les tourmentes de l'histoire, du moins les noms prestigieux.

C'est à cette période qu'appartient al-Bakrî, c'est à cette époque qu'il participe dans ses deux aspects de déchéance politique et d'essor culturel, comme nous le verrons. C'est à cette époque tourmentée entre toutes que s'est constituée et développée l'œuvre de celui qui reprendra la grande tradition de la géographie arabe après sa disparition en Orient, et qui, malgré certains signes de décadence dans ses œuvres, est toujours considéré comme l'un des grands noms de la culture hispano-arabe et comme le plus grand géographe de l'Occident arabe.

BIOGRAPHIE[4]

ʿAbdallah B. ʿAbd al-Aziz B. Muḥammad B. Ayyûb B. ʿAmr al-Bakrî, connu surtout sous sa **kunya** d'Abû ʿUbayd, naquit dans une noble famille arabe de Niebla[5] qui faisait remonter son origine jusqu'à la célèbre tribu arabe de Bakr B. Wâ'il et dont plusieurs membres occupèrent des postes officiels en Andalousie. Nous ne savons rien des débuts de cette famille ni de l'époque à laquelle elle s'installa dans le pays.

---

3. Rappelons-nous la situation dans l'Orient musulman au 4ᵉ/10ᵉ siècle, lors du démembrement du califat ʿabbâside et la formation d'un grand nombre d'Etats provinciaux : Ḥamdânides, Ṭûlûnides, Sâmânides, etc..

4. Pour cette notice biographique, nous avons surtout utilisé, en dehors des sources arabes, les deux articles de l'**Encyclopédie de l'Islam** : Ire éd., I, 619-620 (A. Cour); IIème éd. I, 159-161 (E. Lévi-Provençal); H. Mu'nis, **Târîḫ al-ǧuġrâfiyâ wa-l-ǧuġrâfiyyîn** 108-131; R. Dozy, **Recherches** (art. sur les Bakrides). Pour les sources arabes, cf. E. Lévi-Provençal dans l'art. de l'EI.

5. Ibn al-Abbâr, **al-Ḥulla**, I, 180.

Le premier Bakrî dont l'histoire nous ait transmis le nom est l'arrière-grand-père d'Abû'Ubayd, Ayyûb B.'Amr al-Bakrî [6]. Pendant le dernier quart du 4e/10e siècle, il occupa le poste de **qâḍî** dans sa ville d'origine et fut **ṣâḥib al-maẓâlim** à Cordoue; il semble y avoir exercé une influence considérable puisque nous le voyons, avec son frère Muḥammad, jouer un rôle important dans la réconciliation entre le calife Hišâm II et son vizir, al-Manṣûr B. Abî 'Âmir, en l'année 387/997.

Un peu plus tard, nous trouvons la famille installée dans la cité de Huelva (Walba) et à Saltès (Šaltîš), petite île située à l'embouchure du Guadalquivir, non loin de Séville; mais nous ne savons pas avec exactitude à quand remonte cette installation.

D'après Ibn al-Abbâr, citant Ibn Ḥayyân [7], Muḥammad B. Ayyûb aurait reçu le gouvernement de cette région et il l'aurait conservé jusqu'à sa mort, qui a dû survenir vers l'année 433/1040. Peut-on le considérer déjà comme prince indépendant de ce territoire minuscule? Il est difficile de trancher la question. Il semble s'être rendu indépendant en 402/1011-12. Ce qui paraît certain, en tous cas, c'est que la famille fut parmi les partisans d'al-Manṣûr, donc opposée au calife umayyade, et qu'elle eut des relations assez étroites avec Ismâ'îl B.'Abbâd de Séville [8], un des premiers à s'être libéré des liens avec le pouvoir central. Il n'est donc pas impensable que Muḥammed ait suivi l'exemple de ce dernier.

Après la mort d'Abû Zayd Muḥammad, la succession échut à son fils Abû Mus'ab 'Abd al-'Azîz B. Muḥammad, qui administra en souverain indépendant sa petite principauté de Walba et Šaltîš, dont il aurait été le deuxième ou, selon d'autres, le premier et unique souverain. Son règne dura jusqu'en l'année 443/1051, quand al-Mu'taḍid B. 'Abbâd, roi de Séville, s'empara de la principauté voisine de Niebla. Depuis une dizaine d'années, en effet, la puissance grandissante d'al-Mu'taḍid lui avait permis d'absorber un grand nombre de ces cités-Etats et de les incorporer à son royaume autour duquel il rêvait de refaire l'unité de l'Andalousie. Les liens anciens qui unissaient la famille des Bakrî à la dynastie de Séville ne changèrent rien au projet. 'Abd al-'Azîz, qui avait vu le danger, commença par lui céder la ville de Huelva; il se maintint

6. Ibn al Abbâr, *ibid.*, 181.

7. Ibn al-Abbâr, *ibid.*, 181-182. Il semble régner une certaine confusion dans les noms chez Ibn Ḥayyân, confusion relevée par Ibn al-Abbâr lui-même, p. 184.

8. Ibn al-Abbâr, *ibid.*, 182.

encore quelque temps dans l'île de Šaltīš, mais fut enfin contraint de la céder pour le prix de 10.000 **mitqâl** et de s'expatrier avec sa famille et ses trésors.

ʿAbd al-ʿAzîz avait alors un fils, qui n'était autre que ʿAbdallah. La date de naissance du futur Abû ʿUbayd n'est mentionnée nulle part, mais nous pouvons cependant essayer de la fixer avec une certaine précision.

Gayangos, dans sa traduction du **Nafḥ al-Tîb** d'al-Maqqarî [9], donne comme date l'année 1040 (431-2), sans mentionner les sources sur lesquelles il appuie cette information. Brockelmann mentionne la même année [10]. Il nous semble cependant impossible de retenir cette date, et cela pour diverses raisons :

- si Abû ʿUbayd était réellement né en 1040, il aurait eu, au moment de l'expulsion de sa famille de Šaltīš, environ onze ans; or Ibn al-Abbâr [11] nous parle de lui comme d'un jeune homme déjà apprécié pour sa science et ses connaissances littéraires, termes qui s'appliquent difficilement à un garçon de cet âge.

- D'autre part, on assure qu'il mourut en 487/1094 à un âge très avancé; les 54 ans qu'il aurait eus s'il était né en 1040 ne constituent pas, même pour l'époque, un «âge très avancé».

- Al-Fatḥ B. Ḫâqân relate d'ailleurs qu'étant encore jeune homme il avait rencontré Abû ʿUbayd âgé à ce moment-là de 80 ans [12].

On peut conclure de tout cela que la date de naissance d'al-Bakrî doit se placer aux environs de l'année 400/1010, peut-être un peu plus tard, et qu'il avait donc, au moment de quitter sa terre natale, trente-sept ou trente-huit ans.

L'incertitude règne également au sujet de l'endroit où ʿAbd al ʿAzîz et sa famille se rendirent au moment de leur éviction par al-Muʿtaḍid. Ibn-al-Abbâr, Ibn ʿIḏârî [13] et d'autres encore racontent qu'ils allèrent à

---

9. D. Pascual de Gayangos. **The History of the Muhammadan Dynasties in Spain**, London, 1840.

10. GAL. S. I, 875

11. **Al-Ḥulla**, I, 182.

12. H. Mu'nis, **op. cit.**, 115.

13. Ibn al-Abbâr, 182-183; Ibn ʿIḏârî, **al-Bayân**, III, 240-242

Cordoue pour se mettre sous la protection d'Abû l-Walîd Muḥammad B. Ǧawhar, le gouverneur de la ville; mais ce même Ibn ʿIḏârî, à un autre endroit de son livre [14], nous informe qu'ils se rendirent à Séville, auprès d'al-Muʿtaḍid qui les traita avec tous les honneurs.

Il est difficile de se prononcer pour l'une ou l'autre de ces versions. Pourrait-on les concilier en supposant qu'après un séjour de brève durée à Séville, sentant un changement dans l'attitude d'al-Muʿtaḍid à leur égard, ils allèrent se fixer à Cordoue? Quoi qu'il en soit, après cet épisode nous n'entendons plus parler de ʿAbd al-ʿAzîz; on peut penser qu'il ne tarda pas à mourir.

Nous ne savons pas combien de temps Abû ʿUbayd resta à Cordoue. A-t-il quitté la ville du vivant de son père ou après sa mort? Il est en tous cas certain qu'il y demeura suffisamment pour poursuivre et perfectionner sa formation littéraire et scientifique. Ibn Baškuwâl nous apprend qu'il suivit les leçons d'Abû Marwân et du grand historien Abû Ḥayyân [15]. C'est à Cordoue aussi sans doute qu'il fut l'élève d'Abû Bakr al-Mašʿafî et d'Ibn ʿAbd al-Barr [16]. Les dates respectives de ses œuvres n'étant pas connues, nous ne pouvons pas dire lesquelles il composa (s'il en composa) durant ce premier séjour à Cordoue; mais tout porte à croire qu'il ne restait pas inactif et que plusieurs de ses ouvrages virent le jour à ce moment-là.

Selon une information d'Ibn Ḥayyân, reprise par Fatḥ B. Ḫâqân et rapportée non sans une certaine réserve par Ibn al-Abbâr [17], al- Bakrî se rendit ensuite à Almeria sur l'invitation du prince de l'endroit, Muḥammad B. Maʿn. Cette invitation était certainement due à sa renommée comme homme de lettres qui commençait à se répandre. Le seigneur d'Almeria le reçut avec bienveillance et fit de lui l'un de ses familiers. Les occupations d'Abû ʿUbayd se partagèrent donc entre la vie de cour et l'étude. Il suivit à Almeria l'enseignement d'al-ʿUḏrî [18], et il n'est pas impossible que ce dernier ait influé sur la direction que prirent les études de son disciple. Al-ʿUḏrî était géographe et a pu entraîner

---

14. **Al-Bayân**, III, 299.

15. **Al-Ṣila**, 287.

16. **Ibid.**

17. **Al-Ḥulla**, II, 186

18. Sur al-ʿUḏrî, cf. A. Al-Ahwânî, **Nuṣûṣ ʿan al-Andalus**, Préface.

Abû'Ubayd dans cette voie. Serait-il alors téméraire de penser que la composition de ses ouvrages géographiques, le **Mu'ǧam mâ sta'ǧam et le Kitâb al-masâlik wa-l-mamâlik,** date de cette époque? Hypothèse d'autant plus vraisemblable que nous savons, par plusieurs allusions éparses dans le deuxième ouvrage, qu'il a dû le terminer vers 460/1068.

La vie d'al-Bakrî à Almeria ne devait pas être très mouvementée : les biographes nous disent très peu de choses à son sujet, les articles qu'ils lui consacrent sont d'ailleurs d'une extrême concision, la plupart se réduisant à quelques lignes. En 478/1085-6, il partit pour Séville comme ambassadeur de Muḥammad B. Ma'n auprès d'al-Mu'tamid B.'Abbâd lorsque celui-ci se rendit au Maroc implorer l'aide des Almoravides contre la menace chrétienne [19]. Al-Bakrî resta-t-il à Séville ou retourna-t-il à Alméria? Une fois de plus, nous en sommes réduits à des hypothèses.

Après l'année 483/1090-1, nous le retrouvons à Cordoue, redevenue capitale de l'Andalousie après l'occupation almoravide. C'est là, selon toute probabilité, qu'il passa le reste de ses jours, partageant son temps entre l'étude et la joyeuse compagnie de ses amis. C'est là aussi qu'il mourut et qu'il fut enterré au cimetière d'Umm Salâma.

L'OEUVRE D'AL-BAKRI

Comme presque tous les savants musulmans du Moyen-âge, al-Bakrî ne s'est pas spécialisé dans une branche unique du savoir humain.La formation de l'homme cultivé de cette époque comportait toujours une solide base de connaissances religieuses : droit, sciences coraniques, théologie; puis venaient la littérature, la philologie, la philosophie et d'autres disciplines, selon les possibilités et les goûts personnels. Il n'est donc pas étonnant de rencontrer dans l'œuvre d'al-Bakrî des ouvrages traitant de sujets divers.

Mieux connu comme géographe en Orient comme en Occident, al-Bakrî est avant tout un philologue et un littérateur : il suffit, pour s'en rendre compte, de parcourir la liste des titres qui lui sont attribués. Même dans sa grande œuvre géographique, la littérature joue un grand rôle, sans parler de son dictionnaire «géographique», qui est avant tout un ouvrage de philologie.

---

19. A. Cour, in EI [1], I, 620

20. Cf. H. Mu'nis, op. cit., 127-128.

Bon nombre de ses œuvres ont disparu et nous n'en connaissons que les titres; nous nous contenterons d'en fournir la liste. En dehors de sa poésie, dont quelques vers seulement (d'ailleurs de qualité médiocre) nous sont parvenus à travers des citations de ses biographes, voici les écrits d'Abû Ubayd :·

1. Philologie et littérature

- *Kitâb al-iḥṣâ' li-ṭabaqât al-šu'arâ'*
- *Kitâb ištiqâq al-asmâ'*
- *Al-tanbîh fî aġlât 'Abi 'Ali fî âmâlîhi*
- *Šifâ' 'alîl al-arabiyya*
- *Kitâb ṣilat al-mafṣûl fî šarḥ al-ġarîb al muṣannaf* (d'Abû Ubad al-Qâsim B. Sallâm)
- *Faṣl al maqâl fî šarḥ kitâb al-amṯâl*(du même)
- *Al-la'âli fî šarḥ Âmâlî al-Qâlî*

2. Géographie

- *Mu'ǧam mâ sta'ǧam*
- *kitâb al-masâlik wa-l-mamâlik*

3. Divers

- *A'lâm nubuwwat nibiyyi-nâ Muḥammad*
- *Al-tadrîb wa-l-tahḏîb fî ḍurûb aḥwâl al-ḥurûb*
- *Kitâb al-nabât*

AL-MASÂLIK WA-L-MAMÂLIK

Caractère de l'œuvre et contenu

Il est incontestable que c'est le **Kitâb al-masâlik wa-l-mamâlik** qui a le plus contribué à rendre célèbre le nom d'al-Bakrî. Ce livre, malgré son titre classique très répandu dans la littérature arabe, ne ressemble à aucune autre œuvre du genre. Il n'est pas seulement une sèche énumération d'itinéraires comme l'ouvrage homonyme d'Ibn Hurdâdbih; il n'est pas «une collection sans ordre précis d'anecdotes, d'histoires bizarres et de légendes»[21] comme le **Kitâb al-buldân** d'Ibn Faqîh; ce n'est pas non plus le compte-rendu des voyages de son auteur comme les relations d'al-Muqaddasî ou d'al-Iṣṭahrî. Et il ne peut pas être classé dans le genre des **ʿağâ'ib** ni être rangé dans la çatégorie des traités de cosmographie. Mais on y trouve tout cela réuni, dans une alternance continuelle d'itinéraires, de description de pays, de peuples et de villes, d'anecdotes, de légendes et d'excursus historiques, de telle façon que l'intérêt du lecteur reste en éveil.

Malheureusement, aucun des dix manuscrits connus n'est complet et, même disposés bout à bout, ils ne permettent pas de reconstruire l'ouvrage dans son intégralité. Les quelques emprunts faits à des auteurs postérieurs sont destinés, comme nous le préciserons plus loin, à mieux faire percevoir le contenu de l'ouvrage tel qu'il était dans son état originel.

Les **Masâlik** se présentent à nous en deux volumes, de longueur sensiblement égale.

Le premier volume, qui devait probablement comporter une introduction générale ou une préface aujourd'hui perdue, s'ouvre sur un très long chapitre historique commençant par la création du monde et traitant toute l'histoire des Prophètes depuis Adam jusqu'à Muhammad. Le chapitre suivant aborde les croyances religieuses et les superstitions des anciens Arabes; lui fait suite une description des principaux édifices religieux existant ou ayant existé chez différents peuples : Grecs, Romains, Persans (les temples du feu), Slaves, Chinois, etc...

La partie géographique proprement dite s'ouvre alors par plusieurs chapitres de géographie générale : les terres, les mers, les fleuves et les sept climats du monde. Puis l'auteur passe en revue les sept mers et les principaux fleuves.

---

21. Blachère. Darmaun. Géographes arabes du Moyen-Age, 70.

Avec le titre «**Ibtidâ' al-mamâlik**», nous abordons la partie qui donne son nom à tout l'ouvrage : la description du monde pays par pays, région par région, ville par ville. Et partout nous trouvons le même schéma : introduction historique, description générale du pays, des populations, des produits, description des itinéraires (qui, dans plusieurs cas, par exemple l'Andalousie, sont perdus) et des villes rencontrées, très souvent accompagnée d'une partie historique. Tout cela est encore entrelardé de quelques histoires curieuses qui relèvent de la littérature des **'ağâ'ib.**

La progression générale va de l'Orient vers l'Occident. L'Inde, la Chine et les Turcs arrivent en premier lieu; puis viennent la Syrie, le Tibet et le Sind. Les Persans occupent alors un long chapitre divisé en deux parties consacrées aux rois de la première et de la deuxième dynastie. Très logiquement, ils sont suivis de l'histoire d'Alexandre le Grand, de celle des rois grecs d'Egypte et de Syrie et des Byzantins. Après les Byzantins, ce sont les royaumes des Noirs, les Berbères, le pays des oasis en Afrique; en Europe, les Slaves, les Francs, les Galliciens, les Normands. Vient enfin un chapitre sur les Kurdes.

Tout ce qui précède était consacré aux non-Arabes. La section qui traite des Arabes et de leurs pays débute par l'histoire des anciens royaumes arabes : celui du Yémen et celui de Ḥîra. On passe alors à la description de la Péninsule arabique, d'abord de façon globale, puis pays par pays en commençant par le Yémen. Ici, nous rencontrons également un long chapitre consacré à la ville sainte de la Mekke, à son histoire, aux lieux saints et aux montagnes qui les entourent. Des développements similaires se retrouvent à propos de Yaṯrib/Médine. Cette partie se conclut par l'itinéraire de la Mekke en Egypte.

Nous restons encore chez les Arabes avec la description de l'Irâq et de ses principales villes. Ici, l'ordre de succession s'embrouille quelque peu : après l'Irâq, nous retournons en Orient; d'abord la Perse, puis Babel, le Ḫurâsân et ses régions, et la Transoxiane.

A la fin du premier volume, nous trouvons encore des notices sur certains peuples turcs : les Petchenègues, les Ḫazars, les Maghyars, le pays de Sarîr (dans le Caucase), les Burdâs et les Burğân.

L'un des manuscrits donne alors un index qui comprend les chapitres à partir des rois de Ḥîra jusqu'à la fin du volume. Il est présenté comme la suite d'un autre index qui devait couvrir la première partie. Mais il est d'une autre main que le reste du texte, et on peut se demander s'il est d'al-Bakrî lui-même ou s'il fut ajouté ultérieurement par un copiste.

Le deuxième volume s'ouvre sur la description du mur de Gog et Magog et le voyage de Sallâm al-Turğumân. L'auteur revient alors vers le Moyen-Orient et nous donne des informations sur les marches de la Syrie (les ʿAwâṣim), la Syrie elle-même avec ses principales cités : Damas, Homs, Antioche, etc..; puis la Palestine, avec une longue description de Jérusalem. Le voyage se poursuit au pays des Rûm : ville de Rome, îles de la Méditerranée et de certaines régions de l'Europe du sud-est : Thrace, Thessalie, Macédoine et pays des Anqliš. Cette section se clot sur une description des territoires des Russes (**al-Rûs**).

Ici sont intercalés plusieurs chapitres qui n'ont aucun lien apparent avec ceux qui les encadrent. En premier lieu, les caractéristiques d'un certain nombre de pays comme la Syrie, l'Irâq, l'Egypte, ensuite une énumération de pratiquement tous les pays avec l'indication de leur superficie. Puis nous passons à la liste détaillée de toutes les régions de l'Irânšahr et, pour finir, au calcul du **ḫarâğ** de ces régions.

Après cette interruption, nous reprenons le voyage vers l'Occident avec un très long chapitre sur l'Egypte, où nous passons d'une description générale du pays et de quelques-unes de ses particularités à son histoire jusqu'à la conquête musulmane. La partie consacrée à l'histoire ancienne accorde beaucoup de relief aux **ʿağâʾib**. La description du Caire est suivie d'une liste des districts du pays, puis certaines villes sont traitées en particulier, ainsi que plusieurs itinéraires. Le chapitre se termine par la description d'Alexandrie, où le Phare retient longuement l'attention.

La route d'Alexandrie en Ifrîqiyya nous conduit en Afrique du Nord. Les indications de route alternent avec la description plus ou moins détaillée des villes rencontrées et de longs développements purement historiques sur les Idrîsides, les Barğwâṭa, les Almoravides. Le procédé est le même que pour la partie qui concerne l'Orient. Arrivés à l'extrême-sud marocain (Sigilmâsa, Ağmât), nous nous tournons vers le sud, traversons le Sahara et visitons le «pays des Noirs» : Ĝâna, Mâli, etc..

La dernière section de l'ouvrage s'intéresse à l'Europe occidentale. D'abord, l'Espagne en général, ses divisions, ses montagnes, ses particularités; puis certaines villes sont passées en revue, à commencer par Cordoue et Séville. Suivent des notices sur la Galicie, le pays des Francs et les Bretons. Il est dommage que cette dernière section n'ait été conservée que d'une façon très fragmentaire. Comme nous le dirons plus loin, il serait possible de combler nombre de lacunes des **Masâlik** par un

usage judicieux du livre d'al-Ḥimyarî, **al-Rawḍ al-mi'ṭâr**; mais même cela ne nous permettrait pas une reconstitution satisfaisante, l'auteur du **Rawḍ** ayant découpé les descriptions des villes pour les ranger par ordre alphabétique. Le cadre dans lequel elles étaient intégrées, les itinéraires, cela est définitivement perdu, à moins qu'on ne découvre de nouveaux manuscrits d'al-Bakrî.

Les sources [21bis]

On voit donc quelle accumulation de données géographiques aussi bien qu'historiques, ethnographiques et économiques se trouve dans les **Masâlik**, données qui concernent presque tout l'univers connu des Arabes à cette époque. Cette richesse ne doit cependant pas nous faire oublier la grande faiblesse de l'ouvrage : à l'encontre de ses grands prédécesseurs de l'époque classique en Orient, Ibn Ḥawqal, Iṣṭaḫrî, Mas'ûdî, al-Bakrî ne nous parle jamais de ce qu'il a vu personnellement, il n'a pas d'expérience directe des pays qu'il nous décrit. Il ne ressort d'aucune de ses biographies qu'il ait jamais quitté sa patrie, et même là son existence se déroule dans une région assez restreinte, située entre Huelva, Séville, Cordoue et Alméria. Il fut donc obligé, pour composer son ouvrage, de compulser des documents. Pour cela, il disposait, il est vrai, de travaux antérieurs, mais il en résulte que l'état du monde tel que nous le connaissons à travers la lecture des **Masâlik** n'est pas celui du 5e/11e siècle, mais celui d'un ou deux siècles plus tôt, sauf lorsqu'il a recours à d'autres informations : voyageurs qu'il a connus personnellement ou autres sources contemporaines; mais ces cas sont rares et se limitent pratiquement à certains développements sur le Maġrib et le Sûdân [22]. Pour tout le reste, il s'est inspiré uniquement de sources écrites : livres d'histoire et de géographie, ouvrage d'**adab**. Il est permis de supposer qu'il les possédait personnellement, car il est connu comme bibliophile et on nous raconte dans sa biographie qu'il enveloppait ses livres dans des étoffes précieuses pour mieux les conserver.

Cette manière de travailler aboutit à un double résultat, l'un positif et l'autre négatif.

---

21 bis. Pour une étude plus détaillée sur les sources d'al-Bakrî, on pourra consulter : A. FERRE, «Les sources du **Kitâb al masâlik wa-l-mamâlik** d'Abû 'Ubayd al-Bakrî», dans **IBLA** 158 (1986 2), 185-214.

22 Cf. par ex., § 1444.

Le côté positif, que le **Kitâb al-masâlik** partage avec d'autres compilations, c'est de nous avoir conservé des fragments d'ouvrages qui autrement seraient définitivement perdus, comme ceux qui proviennent de la relation d'Ibrâhîm B. Ya'qûb al-Ṭurṭûšî. Un manque d'originalité constitue le résultat négatif: la plus grande partie du texte actuel des Masâlik est déjà connue par ailleurs et figure dans les éditions d'al-Mas'ûdî, d'Ibn Rusteh, d'Ibn 'Abd al-Ḥakam, d'al-Ṭabarî, etc..

Un autre inconvénient découle du caractère de compilation des Masâlik. E. Lévi-Provençal souhaitait, dans l'article de **l'Encyclopédie de l'Islam** qu'il a consacré à al-Bakrî[23], une étude de la langue de l'auteur pour aboutir à la constitution d'un lexique des hispanismes rencontrés chez lui. Nous ne pensons pas qu'une telle étude puisse apporter un résultat satisfaisant. On peut trouver des hispanismes quand l'auteur cite des sources hispaniques, mais alors il s'agit de la langue des sources et non de celle d'al-Bakrî. Les notations personnelles de l'auteur sont trop peu nombreuses pour qu'il soit possible d'en tirer des conclusions valables.

La plupart du temps, al-Bakrî cite nommément les sources qu'il utilise; suffisamment en tous cas pour qu'il soit relativement facile de dresser la liste de ses auteurs préférés. Une étude attentive des **Masâlik** nous révèle sa méthode de travail dans l'utilisation des sources. Si parfois il les cite littéralement, même par pages entières, plus fréquemment il les résume, les combine entre elles, de sorte qu'il en résulte un texte recomposé. Ce procédé cause d'ailleurs certaines difficultés dans l'établissement du texte; nous y reviendrons plus loin.

Il va sans dire que la variété des sujets abordés, la multiplicité des pays décrits, amènent le compilateur à abandonner momentanément telle ou telle source, quitte à y revenir plus loin. Certaines sont longuement exploitées, tandis que d'autres ne font l'objet que d'emprunts modestes sur un sujet bien précis. Il est impossible de traiter la question en détail dans le cadre de cette introduction et d'indiquer pour chaque chapitre, chaque paragraphe, la source mise à contribution; on se contentera donc d'en indiquer les grandes lignes.

Etant donné le caractère particulier du **Kitâb al-masâlik,** où s'entremêlent continuellement des éléments géographiques et d'autres à caractère historique, il a paru préférable de présenter séparément les sources géographiques et les sources historiques. Bien que le caractère

---

23. EI², I, 159-161.

même de ces œuvres, dans lesquelles nous trouvons des sujets hétérogènes, ne rende pas toujours facile cette distinction, nous avons pensé profitable de recourir à celle-ci pour faciliter une première approche de la question.

a. Les sources historiques

Dès les premières lignes des **Masâlik**, nous rencontrons le nom d'Abû Ǧa'far al-Ṭabarî, qui sera souvent cité tout au long du premier volume, en particulier dans le chapitre des Prophètes, dans celui des rois persans et celui des rois du Yémen. Nous le retrouvons ensuite dans plusieurs passages historiques concernant des villes ou des pays, par exemple dans la description du Kirmân, d'al-Madâ'in. Ces citations intéressent un ensemble de 130 paragraphes environ; elles sont introduites par l'une des mentions suivantes : al-Ṭabarî, Abû Ǧâfar [24], Muḥammad B. Ǧarîr, ou simplement par la lettre ط [25].

Un autre auteur célèbre, encore plus souvent cité que le précédent, c'est al-Mas'ûdî. Il est, en alternance avec al-Ṭabarî, à l'origine des exposés sur l'histoire des Prophètes et des rois du Yémen. Il est en outre l'une des principales sources dans un grand nombre de paragraphes qui traitent des mers et des fleuves, de l'histoire des rois de Ḥîra, des Syriens, des Nabatéens, des Kurdes, des Noirs, de l'ancienne histoire de l'Egypte. Par ailleurs, presque tout le chapitre concernant les croyances des Arabes est emprunté directement aux **Murûǧ**. L'histoire des rois grecs de l'Egypte et la première partie des empereurs de Byzance ont la même origine, comme certaines parties des notices sur les Slaves et sur les peuples du Caucase. Au total, au moins 330 paragraphes sont repris d'al-Mas'ûdî, en général sous une forme résumée. Là où la source est expressément mentionnée, nous trouvons les indications suivantes : al-Mas'ûdî, ou bien Abû l-Ḥasan, ou plus fréquemment la simple lettre س [26].

A côté de ces deux sources principales, plusieurs autres ne sont utilisées par al-Bakrî que dans un chapitre donné ou pour une question particulière.

Le chapitre sur les Prophètes comporte une vingtaine de citations du **Kitâb al-ma'ârif** d'Ibn Qutayba. Quand l'origine de la citation est mentionnée, nous avons la lettre ق [27].

---

24. Par ex. § 54, 113, 118.

25. Par ex. § 2, 46, 439.

26. Cf § 19, 58, 145.

27. Cf. § 15, 20, 125, 172.

Dans ce même chapitre, des citations sont mises sous le nom d'al-Quraẓî [28] ou Ḥafṣ al-Quraẓî[29]. Le nom de l'œuvre citée est donné la première fois comme **al-Târîḫ**, la deuxième comme **Al-dîwân.** F. Sezgin [30] nous apprend l'existence d'un Muḥammad B. Ka'b al-Quraẓî, auteur d'un commentaire coranique sur lequel on sait peu de choses. On peut se demander s'il s'agit du même personnage et si les deux titres évoqués représentent on non deux ouvrages différents.

Toujours dans le chapitre sur les Prophètes, nous rencontrons plusieurs fois la mention d'un certain Al-Qûṭî (le Goth)[31]. Sous cette **nisba** se cache en fait l'historien Paul Orosius, qui composa en 416-417, à la demande de S. Augustin, son **Historiarum adversus paganos libri septem.** On sait que l'ouvrage de ce prêtre andalou fut traduit en arabe à la cour umayyade de Cordoue, probablement sous le règne de ʿAbd al-Raḥmân III[32]. Une consultation de l'unique manuscrit connu de cette traduction, conservé à Columbia University de New York, nous a permis de retrouver les passages utilisés par al-Bakrî sous forme de citations quasi-littérales. Le géographe s'est également inspiré d'Orosius pour rédiger les chapitres consacrés à Alexandre le Grand et à ses successeurs et aux empereurs romains (par. 468 et suiv.); là encore, il a été possible d'identifier de nombreuses citations littérales.

Un deuxième auteur, cité dans la première partie des **Masâlik** et dont le nom revient fréquemment dans l'histoire ancienne de l'Egypte, est un certain al-Waṣîfî, souvent écrit al-Waṣfî [33]. Il n'est guère douteux que ce personnage soit à identifier avec Ibrâhîm Waṣîf Šâh, auteur d'un **Kitâb al-ʿaǧâ'ib,** dont une traduction française fut réalisée par Carra de Vaux. Quant au texte arabe, son éditeur l'a faussement attribué à al-Masʿûdî sous le titre **Aḫbâr al-zamân** [34]. Une citation explicitement attribuée au «Ṣâḥib kitâb al-ʿaǧâ'ib» se retrouve d'ailleurs aux pp. 45-46 de la 2e

---

28. Cf. § 66.

29. Cf. § 52.

30. GAS. I, 32, 253.

31. Par ex. § 157, 160, 169.

32. Sur cette question, G. Levi Della Vida, **La traduzione araba delle storie di Orosio, in al-Andalus** XIX (1954), 257-293.

33. Cf. 63, 67, 906, 913, etc..

34. Ed. Dâr al-Andalus, Beyrouth. Nous avons consulté la 2e édition (1966, 279 p).

édition du texte arabe (cf.§311).Ces emprunts ont pu être constatés pour au moins 120 paragraphes des **Masâlik**, en particulier 304-328 et 914-991; mais le texte d'al-Bakrî est parfois plus long que celui de Waṣîf Šâh, ce qui laisse supposer qu'il avait entre les mains l'ouvrage complet, alors que celui qui nous est parvenu est un résumé (**muḫtaṣar**).

Pour l'histoire préislamique de la Mekke, les **Aḫbâr Makka** d'al-Azraqî sont largement mis à contribution; les emprunts concernent les paragraphes 646-676. L'identification des sources est plus difficile pour la partie consacrée à Médine. Bon nombre de passages se retrouvent dans les œuvres de ʿAlî B. Aḥmad al-Samhûdî, **Wafâ'al-Wafâ'fî aḫbâr dâr al-Muṣṭafâ** et **Ḫulâṣat al-wafâ' bi aḫbâr dâr al-Muṣṭafâ**. Il est donc vraisemblable que les deux auteurs ont disposé des mêmes sources, notamment Ibn Zabâla (2ᵉ/8ᵉ siècle).

Une remarque similaire peut être faite à propos de la description et de l'histoire de Jérusalem. Les **Masâlik** ont plusieurs passages en commun avec **Al-uns al-ǧalîl bi-târîḫ al Quds wa-l-Ḫalîl** de Muǧîr al-Dîn (860/1456 - 928/1522).

Al-Bakrî est redevable à Ibn ʿAbd al-Ḥakam et à son livre **Futûḥ Miṣr wa-aḫbâru-hâ** d'une grande partie du récit de la conquête musulmane de l'Égypte (paragraphes 992-1014), ainsi que de quelques passages relatifs au Maġrib (1093 suiv.)

Une brève notice sur la ville de Baṣra semble provenir directement du **Futûḥ al-Buldân** d'al-Balâḏurî (730). De même, une seule citation d'un ouvrage actuellement perdu : le **Târîḫ** d'Ibn Ḫurdâḏbih (132). Nous reviendrons plus loin sur cet auteur et son œuvre géographique.

Un autre ouvrage disparu, **Al-masâlik wa-l-mamâlik** de Muḥammad B. Yûsuf B. al-Warrâq, forme l'une des sources principales d'al-Bakrî pour tout ce qui a trait au Maġrib, aussi bien en matière historique que géographique. Il est cité généralement sous le nom de Muhammad b. Yûsuf[35].

Nous avons déjà signalé le fait qu'al-Bakrî n'a pour ainsi dire jamais voyagé; aussi son horizon est-il resté limité à sa région et a-t-il recours, même pour la description de l'Andalousie, aux sources écrites plutôt qu'à son expérience personnelle. Son principal informateur en matière historique comme pour la géographie est ici le grand géographe-historien de l'Espagne musulmane dont dépendent tous les auteurs

---

35. Sur ce personnage, De Slane, **Description de l'Afrique septentrionale**, Introd., 15-16.

postérieurs : Aḥmad b. Muḥammad al-Râzî. Il est cependant malaisé de préciser s'il l'a utilisé directement ou par l'intermédiaire de l'œuvre de son maître al-ʿUḏrî.

Pour en finir avec les sources historiques, citons l'opinion de Lévi-Provençal suivant laquelle al-Bakrî, pour écrire certains chapitres, notamment ceux qui traitent des Idrîsides et des Barġwâṭa, aurait eu accès aux archives officielles de Cordoue[36]. La chose est hautement probable mais, tant que nous ne possédons pas d'autres données, il est difficile d'aller plus loin.

b. Les sources géographiques

Un certain nombre d'auteurs et d'œuvres ont déjà été signalés à propos des sources historiques; nous n'y reviendrons donc pas. C'est le cas d'Ibrâhîm, Waṣîf Šâh et des **Murûǧ** d'al-Masʿûdî. Mais, au moins une fois, al-Bakrî fait référence à un autre ouvrage d'al Masʿûdî, le **Kitâb al-tanbîh wa-l-išrâf** (342).

D'autres autorités que nous connaissons déjà sont : Al-Azraqî pour une partie de la description de la Mekke et des environs, et Ibn Zabâla pour Médine. Quant à la géographie de l'Afrique du Nord et de l'Andalousie, ici encore nous retrouvons respectivement Abû Yûsuf al-Warrâq et al-Râzî.

A côté de ces auteurs déjà présentés, al-Bakrî doit une part considérable de ses informations à des géographes proprement dits. Il convient de citer en premier lieu Ibn Rusteh et son ouvrage **Al-aʿlâq al-nafîsa**, qui constitue sans aucun doute une source importante des **Masâlik**, surtout pour la première partie du livre. Nous le trouvons habituellement désigné dans les citations par la lettre د[37], fait curieux, puisque son premier éditeur, Chwollson, a lu son nom «Ibn Dasteh»[38]. Nous lui devons les chapitres sur «Les terres habitables», «Les fleuves et les mers», les descriptions des sanctuaires de la Mekke et de Médine, ainsi que l'énumération des régions de l'Irânšahr. La description de certaines parties de l'Inde et plusieurs passages sur les peuples de l'Europe trouvent aussi leur origine chez Ibn Rusteh, comme la

---

36. EI, Loc. cit.; cf. aussi, de Slane, op. cit., 15.

37. § 95, 100, 258, etc..

38. D.A. CHWOLLSON, **Izvestiya o Khazarakh, Burtasakh, Bolgarakh, Medjarakh, Slavianakh i Russakh Abû Alî Akhmada B. Omara Ibn Dasta**, S. Petersbourg, 1869.

description de Constantinople et de Rome, certaines notations sur les Slaves, les Bulgares, etc.. Au total, une bonne soixantaine de paragraphes se réfèrent, en partie ou en entier, à cet auteur.

Parmi les géographes arabes classiques, figure également Ibn Ḫurdâḏbeh, dont le **Kitâb al-masâlik wa-l-mamâlik** est transcrit en plusieurs passages[39]. Cependant, certains indices semblent montrer qu'al Bakrî le cite à travers Ibn Rusteh et non pas directement.

Quelques.détails sur le Sind, le Kirmân et le Ḫurâsân ont été fournis par al-Iṣṭaḫrî et Ibn Ḥawqal[40].

A plusieurs reprises, al-Bakrî fait appel à l'autorité d'un certain al-Ǧayhânî (190, 363, 368,...). On sait qu'un géographe de ce nom écrivait, au 4e/10e siècle, un **Kitâb al-masâlik wa-l-mamâlik,** connu seulement à travers des citations d'auteurs postérieurs[41]. Ce géographe est appelé habituellement Abû ʿAbdallah Muḥammed b. Aḥmad, tandis qu'al Bakrî, qui le désigne une fois de façon plus précise(§190), le nomme Abû l-Naṣr Saʿîd. Ǧâlib al-Ǧayhânî. Quoi qu'il en soit, certaines citations d'al-Ǧayhânî se trouvent en Ibn Rusteh. Laissant de côté le problème des rapports entre Ibn Rusteh, Ibn Hurdâḏbeh et al-Ǧayhâni[42], on peut se demander si al-Bakrî a puisé directement à la source, ou bien s'il l'a connue par l'intermédiaire d'un autre ouvrage. Voici quelques éléments qui pourraient constituer un début de réponse.

Au moins une fois, al-Bakrî cite al-Ǧayhânî d'après une autre source, qu'il appelle Aḥmad[43]. De qui s'agit-t-il? Nous savons qu'Ibn Rusteh porte le nom de Aḥmad, mais nulle part ailleurs al-Bakrî ne le désigne ainsi; il paraît donc douteux qu'il s'agisse ici de l'auteur des **Aʿlâq al-nafîsa.** Mais un autre personnage, bien connu d'al-Bakrî puisqu'il fut son maître à Alméria, s'appelle aussi Aḥmad : c'est al-ʿUḏrî. Serait-il téméraire de supposer qu'al-Bakrî a eu connaissance d'al-Ǧayhânî par l'œuvre de son maître, intitulée encore une fois **Al-masâlik wa-l-mamâlik?**

---

39. Par ex. § 763 suiv. : le mur de Yâǧûǧ wa-Mâǧûǧ.

40. Cf. § 375, 376, 416.

41. Cf. A. MIQUEL, **La géographie humaine...**, 92-95.

42. Sur cette question, V. MINORSKY, **Sharaf al-zamân Tâhir Marvazi on China**, 6-8.

43. § 341.

Il est très probable aussi que les fragments de la «Relation» d'Ibrâhîm B. Ya'qûb que reproduit al-Bakrî proviennent de l'œuvre d'al-ʿUdrî[44]. Et il n'est pas impossible que bon nombre d'autres informations qu'il nous donne, sans indication de source, aient la même origine. Et ainsi al-ʿUdrî constituerait l'une des sources principales des **Masâlik**, en particulier pour les notices consacrées à l'Europe (Macédoine, Thessalie, Thrace, etc...), aux îles de la Méditerranée, à Rome....

Enfin, nous pensons pouvoir reconnaître des traces du **Kitâb al-buldân** d'al-Yaʿqûbi (par exemple, une bonne partie de la relation sur Bagdâd), ainsi que des citations d'Ibn-Faqîh et du **Kitâb al-amṣâr** d'al-Ǧâḥiẓ.

Ce bref aperçu sur les sources, sans être exhaustif, nous donne cependant une idée de la diversité des matériaux qu'al-Bakrî a réussi à réunir pour en composer son œuvre maîtresse.

Les manuscrits :

Le nombre des manuscrits des **Masâlik** connus à ce jour est de dix, dispersés dans plusieurs bibliothèques d'Occident et d'Orient. Aucun de ces manuscrits n'est autographe et ne semble copié directement sur l'original; de plus, la plupart sont acéphales et dépourvus de colophon, ce qui rend leur datation difficile. Nous savons cependant que l'un d'eux est une copie tardive effectuée au 19ᵉ siècle; deux autres sont datés : ce sont les deux conservés à Istanbul. Aucune de ces copies ne fournit un texte complet, ce sont tous des extraits plus ou moins longs qui se recoupent partiellement. Mais, même mis en ordre, ils ne reproduisent pas l'ouvrage en son entier. Pour plus de clarté, nous présentons à la fin de l'introduction en arabe un tableau synoptique qui permet de repérer le contenu de chaque manuscrit, leur ordre interne et les parties communes à plusieurs.

Pour la présente édition, nous les avons tous utilisés. En voici la liste :

1. ل : Man. de la Bibliothèque Laâli d'Istanbul, n° 2144
2. ن : Man. de la Bibliothèque Nûr Osmânia d'Istanbul, n° 3034
3. ب : Man. de la Bibliothèque Nationale de Paris, n° 5905
4. م : Man. de la Bibliothèque de la Real Academia de Madrid, coll.

44. Al-Qazwînî, dans **Aṯâr al-bilâd**, cite d'après al-ʿUdrî plusieurs passages qui proviennent manifestement de la relation d'Ibrâhîm al-Ṭurṭûsî (373, Lûrqa; 410, Bâṭin al-Rûm; 399, Bardîl, etc..).

Gayangos, n° XIII

5. ق : Man. de la Bibliothèque de la Qarawiyyîn de Fès, n° L.390.80
6. ر : Man. de la Bibliothèque Nationale de Rabat, n° Q.488
7. س : Man. de la Bibliothèque Nationale de Paris, n°2218
8. ص : Man. du British Museum de Londres, n° add. 9577
9. ط : Man. de la Bibliothèque de l'Escurial, Madrid, n° 1625
10. ج : Man. de la Bibliothèque Nationale d'Alger, n° 1548

1. Man. ل : Grand format de 12,5 pouces, folioté de 1 à 77, et la foliotation est de la même main que le texte. Le nombre de lignes est de 31 par page et le nombre de mots par ligne en moyenne de 15. Pas de guide au bas des feuillets. Sur la page de garde nous lisons :

«كتاب المالك والمسالك تأليف الشيخ الامام العالم المحقق أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري القرطبي ، أثابه الله الجنة ورضي عنه برسم الخزانة العالية ... بسم الله الرحمان الرحيم وما توفيقي الا [به] عليه توكلت »

Le colophon est comme suit :

«كمل بحمد الله
وعونه ولطفه ومنّه وجوده على يد يوسف بن عبد الله بن يوسف ابن محمد بن احمد بن عبد الله بن محمد العمري السعدي نسبا الشافعي مذهباً في يوم الأحد 21 رجب سنة737 ».

L'écriture est petite, mais claire. La qualité du texte est en général assez bonne, meilleure que celle du suivant qui, selon toute probabilité, a été copié sur lui.

2. Man. ن : Grand format, folioté de 1 à 246. La foliotation est de la même main que le texte. 15 lignes par page et en moyenne 9 mots par ligne. Il n'y a pas de guide. Sur la page de garde, qui est ornée d'un encadrement, on lit le titre de l'ouvrage et le nom de l'auteur. Le texte commence sans aucune introduction par les mots :

القول في مدة عمارة الأرض .

Texte du colophon :

«كمل بحمد الله وعونه ولطفه ومنّه وفضله وتوفيقه وحوله وتوتده وكرمه وحسن توفيقه وذلك يوم السبت المبارك الحادي والعشرين من شهر شعبان المكرم من شهور

سنة 851 ، أحسن الله عاقبتها ، محمد وآله وصحبه وسلم ، وصلاة الله وسلامه الأتمان والأكملان على سيدنا محمد وآله .

L'écriture est orientale comme celle du manuscrit précédent, assez ample et facile à déchiffrer. Le texte est abondamment vocalisé, de bonne qualité, sauf pour les noms propres (remarque qui vaut pour presque tous les manuscrits). Tout semble indiquer que ن a été copié sur ت : le texte est exactement le même, avec les mêmes lacunes et les mêmes fautes; mais ن a des lacunes qui lui sont propres.

3. Man. ب : Format moyen, folioté de 1 à 186. Chaque page comporte 17 lignes et 12 mots en moyenne à la ligne. La numérotation est de la même main que le texte; pas de guide. L'écriture est orientale, de type **nasḫî** moderne, en général très lisible mais très peu vocalisée. La qualité du texte laisse beaucoup à désirer : beaucoup de mots, voire des phrases entières, ont été omis, sans compter les nombreuses fautes de copiste. C'est une copie que M. Schefer fit exécuter au 19e siècle à Istanbul, probablement à partir des deux manuscrits précédents. Ce texte n'ayant pas de valeur du point de vue critique, il n'en a pas été tenu compte pour l'établissement de cette édition; seules sont signalées quelques rares variantes lorsqu'elles sont utiles pour vérifier la lecture d'un mot.

Ces trois premiers manuscrits couvrent exactement la même portion des **Masâlik**; la différence dans le nombre de leurs pages provient du format et des dimensions de l'écriture qui varient de l'un à l'autre.

4. Man. م : Format moyen, 113 folios numérotés d'une autre main. 15 lignes par page et une moyenne de 10 mots à la ligne. Pas de guide au bas des pages. L'écriture est orientale **nasḫî**, assez lisible, parfois vocalisée mais pas toujours correctement. La qualité du texte est assez bonne. A la première page du manuscrit, on annonce que c'est le début du deuxième volume des **Masâlik**, mais, à la fin du texte il est dit : Fin du premier volume, suivi d'une table des matières de ce volume. Cette contradiction a fait penser à certains qu'il s'agissait d'une faute de copiste ou bien d'une ajoute ultérieure. En fait, il s'agit simplement d'une mauvaise reliure. Le folio 97 commence par les mots **«ḥatta tufḍî»** et, à partir de cet endroit, le texte concorde avec les dernières pages des trois manuscrits précédents, formant donc la fin du premier volume des **Masâlik**. Ces feuillets auraient donc dû se trouver au début.

5. Man. ق : Petit format, 131 feuillets numérotés d'une autre main. 17 lignes par page et 10 mots en moyenne à la ligne. Pas de guide. L'écriture est maghrébine, claire et cependant difficile à lire. C'est le seul manuscrit dans lequel nous trouvions une illustration, un plan de la mosquée de Jérusalem. Il convient d'ailleurs de préciser qu'il est le seul à donner le texte correspondant. La suite des chapitres est bouleversée (cf. le tableau synoptique). On a l'impression qu'il s'agit d'une collection de fragments rassemblés sans beaucoup d'ordre.

6. Man ز : Format moyen, 165 feuillets paginés de 1 à 330; la pagination est de la même main que le texte. Chaque page compte 25 lignes et une moyenne de 13 mots à la ligne. Il y a un guide au bas de chaque feuillet. L'écriture est maghrébine, très peu vocalisée; elle est cependant claire, facile à déchiffrer, et la qualité du texte est en général bonne.

7. Man. س : Format moyen. La pagination, de 1 à 256, est d'une autre main que le texte (chiffres «arabes» modernes). 21 lignes par page et une moyenne de 11 mots à la ligne; les feuillets comportent un guide. L'écriture est orientale **nas̲h̲î,** assez ancienne. Non seulement les voyelles sont rares, mais beaucoup de points diacritiques font défaut. Cela rend la lecture, surtout des noms propres, très malaisée et même impossible. Un nombre important de pages intérieures ont disparu.

Il est à noter également que cette copie est la seule à donner un titre légèrement différent des autres. L'ouvrage y est en effet appelé **Kitâb ah̲bâr al-zamân fî l-mamâlik wa-l-masâlik.** Cette altération a été probablement introduite en songeant à l'ouvrage, actuellement disparu, d'al-Mas'ûdî: **Ah̲bâr al-zamân**. C'est ce manuscrit que Quatremère a analysé et qu'il fut le premier à attribuer à al-Bakrî.

8. Man. ص : Format moyen, folioté de 1 à 119. Même remarque que pour le précédent en ce qui concerne la pagination. 19 lignes à la page et une moyenne de 11 mots par ligne. Le texte est muni d'un guide. L'écriture est maghrébine, très lisible. Si les voyelles sont généralement rares, beaucoup de noms propres en sont munis, bien que parfois de façon erronée. La qualité du texte est bonne en ce qui concerne l'Afrique du nord et, sur ce point, c'est probablement le meilleur. Il servit de base à de Slane pour la **Description de l'Afrique septentrionale.** Il manque un seul feuillet.

9. Man. ط : Grand format, 110 feuillets numérotés de façon un peu fantaisiste. Pas de guide. Chaque page comprend 19 lignes et une moyenne de 10 mots par ligne. L'écriture est andalouse, d'une très belle

calligraphic, claire et relativement facile à lire. Un certain nombre de pages, surtout celles du début, ont dû souffrir de l'humidité : dans les coins supérieurs l'écriture est presque effacée. Bien que parfois le texte donne de bonnes variantes, nombre d'omissions de copistes sont à déplorer. Plusieurs feuillets ont été déplacés.

10. Man. ج : Format de 182/139 mm., paginé de 1 à 235. Il est difficile de déterminer si la numérotation est de la même main que le texte. Pas de guide. Le nombre de lignes varie entre 20 et 23, et la moyenne des mots par ligne est de 9. L'écriture est maghrébine, en général peu soignée et difficile à déchiffrer. Ajoutons que ce manuscrit semble être l'œuvre de plusieurs copistes. Selon de Slane, qui ne fournit pas ses arguments, il aurait été recopié à Kairouan. Il est clair en tous cas qu'il est en étroite relation avec le man. 8 : les deux textes comportent habituellement les mêmes lectures, les mêmes lacunes et les mêmes fautes de copistes. La qualité du texte 10 est cependant le plus souvent moins bonne que celle du 8; il en est peut-être une copie, ou alors les deux copies ont été effectuées sur le même texte. Il manque plusieurs feuillets intérieurs.

UTILISATION ET REPRODUCTION DU TEXTE DES MASALIK

1. Extraits reproduits par des auteurs anciens

Nous ne donnerons pas ici une liste exhaustive des auteurs qui ont puisé dans les Masâlik, mais nous nous limiterons à quelques échantillons; il s'agit surtout de ceux qui ont servi à corriger ou compléter le texte trop souvent défectueux des manuscrits.

- Signalons pour commencer un ouvrage qui, pour une bonne partie, est emprunté à al-Bakrî[45]: c'est le **Kitâb al-istibṣâr,** œuvre d'un anonyme du 6e 12e siècle[46]. Le texte en a été édité au Caire par S. Zaġlûl, et la traduction française de la partie concernant «l'Afrique septentrionale» par E. Fagnan en 1899.

- Dans l'encyclopédie **Masâlik al-abṣâr fî mamâlik al-amṣâr** d'al-ʿUmarî, dont le premier volume seulement a été édité au Caire par A. Zakî en 1924, il se trouve plusieurs citations d'al-Bakrî, surtout tirées du chapitre sur la terre habitée. L'édition complète de la partie géographique, annoncée à Beyrouth, permettra de vérifier dans quelle mesure al-ʿUmarî a utilisé son devancier.

- Dans l'œuvre historique **Al-bayân al-muġrib fî aḫbâr al-Andalus wa-l-Maġrib,** nous retrouvons une bonne partie du chapitre sur les Almoravides.

- D'autres citations, moins importantes, peuvent être identifiées dans **Aṯâr al-bilâd** d'al-Qazwînî et **Nuḫbat al-dahr fî ʿaǧâ'ib al-barr wa-l-baḥr** d'al-Dimašqî. Les index qui accompagnent les éditions de ces ouvrages permettent de repérer facilement les passages empruntés.

- Certains fragments de la description de la Péninsule arabique se retrouvent dans l'autre ouvrage géographique d'al-Bakrî, le dictionnaire intitulé **Muʿǧam mâ staʿǧam.** Ignorant les dates respectives de la composition des deux livres, il nous est évidemment difficile de déterminer lequel des deux a servi de source. Nous inclinerions cependant à regarder le dictionnaire comme le plus ancien.

- Une autre catégorie de citations ne provient pas directement d'al-Bakrî, mais a été faite grâce à l'utilisation de sources communes. Nous avons déjà fait allusion à al-Samhûdî et à Muǧîr al-Dîn; ajoutons deux

---

45. Notamment dans la partie relative à l'Afrique septentrionale.

46. Pour cet ouvrage et les suivants, nous renvoyons à la **Bibliographie** présentée plus loin.

ouvrages encyclopédiques : **Ṣubḥ al-aᶜšâ** d'al-Qalqašandî et **Ḫiṭaṭ Miṣr** d'al-Maqrîzî. Tous les deux exploitent le livre d'Ibrâhim Waṣîf Šâh, et les textes qu'ils reproduisent ont permis de corriger parfois celui d'al-Bakrî.

- **Al-rawḍ al-miᶜṭâr fî ḫabar al-aqṭâr** d'al-Ḥimyarî. Il n'est peut-être pas inutile de s'arrêter plus longuement à ce dictionnaire géographique, l'un des derniers ouvrages du genre qui soit parvenu jusqu'à nous. On ne parlera pas ici de l'auteur lui-même ni des problèmes qui ont été soulevés autour de sa personne et de son œuvre[47] ; mais on voudrait attirer l'attention sur la relation entre le **Rawḍ** et les **Masâlik**. Lévi-Provençal avait déjà remarqué qu'un grand nombre de notices relatives à l'Andalousie provenaient des **Masâlik**. Or cela ne vaut pas uniquement pour l'Andalousie; quand nous considérons le texte en son entier, il apparaît immédiatement que, mis à part les emprunts faits à al-Idrîsî et à Ibn Ǧubayr, une très grande partie de la matière géographique du **Rawḍ** provient d'al-Bakrî.

Fait important : les citations des **Masâlik** dans les manuscrits d'al-Ḥimyarî sont très souvent de meilleure qualité et plus complètes que le texte trop souvent tronqué d'al-Bakrî. Ceci est particulièrement vrai dans la description de certaines îles de la Méditerranée : Malte, la Sicile, au lieu de quelques lignes chez al-Bakrî, occupent dans le **Rawḍ** parfois une page ou plus. Et que dire de la Sardaigne, totalement absente des **Masâlik**? Le même phénomène se vérifie dans la description de certaines parties de l'Europe (Thessalie, Thrace) et de la Syrie (villes de Damas, d'Alep, de Homs, d'Antioche). La **Ǧazîra**, réduite à une ligne dans nos manuscrits, est beaucoup plus développée dans le **Rawḍ**. De toute évidence, al-Ḥimyarî avait sous les yeux, pour ces parties-là du moins, un texte plus complet que le nôtre.

Nous préciserons plus loin quel parti nous avons tenté de tirer, pour l'établissement du texte, du rapport entre ces deux ouvrages géographiques.

2. Extraits édités par des auteurs modernes

Après que Quatremère eut ouvert la voie en publiant une analyse et une traduction partielle du manuscrit 7, un certain nombre de

47. Sur cette question, E. LEVI-PROVENÇAL, **La Péninsule ibérique**, Introduction; S.K. HAMARNEH, in **Folia Orientalia** 11 (1969), 145-156.

fragments ont été édités aussi bien en Orient qu'en Occident. Ce sont en général les plus intéressants de l'ouvrage, parce qu'ils étaient inconnus par ailleurs.

- L'extrait le plus souvent édité, traduit et commenté est sans aucun doute la «Relation» d'Ibrâhim B. Ya'qûb al-Isrâ'îlî sur les Slaves. Elle parut pour la première fois en 1878 à Saint-Petersbourg, avec une traduction et un commentaire de A. Kunik et V. Rosen. En 1946, A. Kowalski en publia à Cracovie une nouvelle édition avec traduction et notes et, plus récemment, A. Ḥaǧǧî en donna le texte dans son livre **Ǧuġrâfiyâ al-Andalus wa-Urubbâ,** paru à Beyrouth en 1968. De Goeje en fit paraître une traduction néerlandaise à Amsterdam en 1880.

- Un autre fragment, peut-être moins fréquemment édité mais non moins connu, est la «Description de l'Afrique». De Slane fut le premier à l'éditer dans le texte arabe et en traduction française, puis un extrait fut traduit par V. Monteil dans le Bulletin de l'IFAN. D'autres fragments ont été traduits par J. Cuoq dans son **Recueil des sources arabes concernant l'Afrique du 8e au 16e siècle;** ils sont relatifs à l'Afrique Noire.

- A. Ḥaǧǧî publia, dans l'ouvrage que nous venons de mentionner, tous les passages relatifs à l'Andalousie et à l'Europe.

- A. Seippel a publié en 1896 et 1928 le texte et la traduction des pages consacrées aux Normands, dans **Rerum Normannicarum Fontes Arabici.**

- Dans son édition de **Al-rawḍ al-miʿṭâr,** Lévi-Provençal reproduit, à partir du man. 5, quelques extraits concernant l'Andalousie.

- Defremery, dans le **Journal Asiatique** de 1849, transcrivit le passage relatif aux Petchénègues, aux Ḫazars, aux Bulgares et au pays de Sarîr, y joignant une traduction française.

- R. Blachère et H. Darmaun, dans leurs **Extraits des principaux géographes arabes,** donnent le texte arabe de la description de Siǧilmâsa.

- Dans un Mémoire de maîtrise présenté à Bordeaux en 1981, F. Clément a traduit et richement annoté les extraits concernant l'Espagne et l'Europe (voir la version, revue et corrigée, de 1983, 137 p. dactylo).

ETABLISSEMENT DU TEXTE

1. Sources

La présente édition a été préparée à partir des dix manuscrits connus mais, puisqu'aucun d'entre eux n'est complet, plusieurs ont été utilisés successivement comme texte de base.

Pour la partie couverte par les manuscrits 1, 2 et 3 (§ 1-713), le texte de base est celui de 1. C'est aussi la pagination de ce manuscrit qui est indiquée en marge.

Pour la partie commune à 4 et 5 (§714-825), c'est le 4 qui fournit le texte de base, complété par 5. Cependant, on a préféré signaler en marge la pagination du texte 5, plus complet et plus suivi.

A partir du § 826 et jusqu'à la fin, les chiffres placés dans la marge se réfèrent à la pagination du texte 6.

I. Kratchkovski a pu dire, dans son **Histoire de la littérature géographique arabe,** parlant des sources d'al-Ḥimyarî et de ses emprunts à al-Idrîsî : «Ceci est un fait très important, car nous nous trouvons ainsi devant un nouveau texte d'al-Idrîsî qui pourra avoir une grande importance pour établir le texte du **Nuzhaṭ al- muštâq** et en préparer l'édition»[48]. Après avoir comparé les manuscrits des **Masâlik** et ceux du **Rawḍ,** il nous semble possible de dire la même chose pour ce qui regarde al-Bakrî. Dans la première rédaction de ce travail, on avait donc tenu compte des deux manuscrits du **Rawḍ** conservés respectivement à Istanbul et à Médine. Mais, entre temps, a paru l'édition complète de cet ouvrage, établie à partir de ces mêmes manuscrits.[49] C'est donc à cette édition que renvoient les références indiquées dans l'apparat critique sous le nom d'al-Ḥimyarî.

D'autre part, étant donnés les larges emprunts faits par al-Bakrî à ses devanciers, nous avons eu recours aux éditions imprimées de leurs ouvrages, surtout là où le texte des **Masâlik** était manifestement fautif ou tronqué. La mise en œuvre de ce procédé était relativement facile lorsque le géographe transcrit littéralement sa source, mais plus souvent al-Bakrî résume, change l'ordre des mots et des phrases, ou utilise des synonymes; parfois même, il combine dans un même passage plusieurs sources, créant ainsi un nouveau texte. De plus, comme nous l'avons

---

48. Cf. p. XXX.

49. Ed. Ihsân ʿAbbâs, Beyrouth, Maktabat Lubnân, 1975, 745 p.

déjà dit, certaines sections de l'ouvrage sont indiscutablement résumées ou incomplètes, au point d'être devenues incompréhensibles. Fallait-il laisser le texte en son état actuel, ou bien tenter de lui restituer, sinon parfaitement, du moins en partie, son aspect original?

C'est pour cette dernière solution que nous avons opté. Les additions que nous avons été amenés à introduire ont cependant été clairement indiquées grâce à l'utilisation des crochets ou bien de caractères plus petits. Dans certains cas pourtant nous avons jugé préférable de transcrire littéralement le texte des manuscrits; il s'agit de passages qui ont été altérés de façon telle qu'il est devenu impossible de reconstituer la leçon initiale. Signalons notamment les exposés sur la formation du foetus, sur le Tibet et sur la Chine, empruntés aux Murûǧ d'al-Masʿûdî[50]. De même, le passage sur les montagnes de la Mekke[51], qui trouve son origine dans les **Aḫbâr Makka** d'al-Azraqî; ou encore, la description de l'Andalousie.

Quant aux citations poétiques, fréquemment le texte d'al-Bakrî est en désaccord avec la source: divergences dans le vocabulaire, vers manquants ou déplacés, combinaison de parties de vers différents en un seul, etc.. Ces variantes sont-elles dues à la plume d'al-Bakrî ou bien aux copistes[52]? On a donc observé la règle suivante: introduire une correction uniquement dans les cas de faute évidente: texte incompréhensible, erreur de mètre poétique. Pour le reste, on a conservé la leçon des manuscrits tout en signalant dans l'apparat critique la version de la source.

2. Orthographe et grammaire

A côté des divergences précédentes entre les sources et le texte dérivé, il existe d'autres difficultés: ce sont les différences entre les divers manuscrits ou les déformations d'ordre grammatical dues à des fautes de copistes. Le but de notre travail étant de fournir un texte clair et lisible des **Masâlik**, et non pas d'effectuer une recherche sur l'état de la langue arabe à l'époque où les divers manuscrits furent copiés, on a cru bon de passer sous silence un grand nombre de variantes ou de fautes de copiste, surtout dans le domaine de l'orthographe; les signaler aurait d'ailleurs considérablement alourdi l'apparat critique.

---

50. Sur le foetus, § 41; sur le Tibet et la Chine, § 410 suiv.

51. § 674 suiv.

52. Cf. par ex. les citations poétiques dans le chapitre sur la Mekke: § 648-654.

Voici quelques-unes des fautes les plus fréquentes non mentionnées dans les notes :

- en grammaire, toutes les fautes d'accord entre **fi'l** et **fâ'il**, entre **ism** et **ṣifa**, fautes dans la déclinaison des diptotes, etc..

- orthographe : مئة ، مائة ، مية

a) le support de la **hamza** a été partout restitué selon l'usage actuel. Dans les manuscrits, on trouve par exemple pour le mot «cent» plusieurs orthographes :

b) On a suivi de même l'usage reçu pour la transcription de **l'alif** d'allongement. On a écrit ثلاث au lieu de ثلث et هذا au lieu de هاذا

c) la distinction entre **l'alif mamdûda** et **l'alif maqṣûra**, très souvent négligée dans les manuscrits, surtout dans le verbe **nâqiṣ** et les **maṣdars**, a été respectée.

d) Les copistes étendent fréquemment l'usage de **l'alif** orthographique de la 3ᵉ personne masc. plur. du **mâḍî** (فعلوا) à tout mot se terminant par و . Ainsi trouve-t-on les formes أبوا ، يرجوا . On a toujours supprimé cette lettre, sauf dans quelques noms propres où il n'était pas possible de savoir si l'alif faisait ou non partie du mot.

e) L'emploi du **fa** et du **wa** varie énormément d'un manuscrit à l'autre. On a renoncé à signaler les différences rencontrées.

f) Nombreuses sont les variantes d'un même nom propre, surtout s'il est d'origine non-arabe. Nous avons cherché à déterminer, à partir des textes parallèles, l'orthographe exacte, en indiquant les leçons des manuscrits.

g) Lorsque la même faute se répète plusieurs fois de suite, comme c'est le cas fréquent pour les noms propres, nous nous bornons à signaler la faute la première fois, sans répéter par la suite les variantes. Mais si une version nouvelle se présente, elle est indiquée.